



الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
المجلس العلمي
مركز البحث العلمي والأحياء والترابيع الإسلامية

١٧

عقيدة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

السلفية

وأثرها في العالم الإسلامي

تأليف

الدكتور صالح بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القدرة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله ، فقد فاز فوزا عظيما ﴾ ^(١) [الأحزاب : ٧٠] .

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله عز وجل ، وخير الهدي هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ^(٢) .

و « يد الله على الجماعة » ^(٣) ونعني بالجماعة : الذين اجتمعوا على كتاب الله الذى أنزله على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ مهيمنا على ما قبله ، وسنة رسوله وهديه ، لأنه ﷺ خاتم النبيين الذى أرسل بكمال الدين وتمام النعمة والكتاب المهيمين والحكمة الجامعة ، إلى قيام الساعة وإلى الناس كافة .

(١) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة ، وهى تشرع بين يدي كل خطبة سواء كانت خطبة جمعة أو عيد أو نكاح أو درس أو محاضرة أو بحث أو مؤلف . وهى مأثورة عن رسول الله ﷺ . سنن ابن ماجه ١/٦٠٩ ، مسلم ٣٣٦/١ ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى جـ ١ ص ٣ .

(٢) اقتباس من حديث شريف عن رسول الله ﷺ ، رواه مسلم فى صحيحه جـ ٢ ص ٥٩٢ .

(٣) انظر حديثا مرفوعا عن رسول الله ﷺ ، فى كتاب السنة لابن أبى عاصم جـ ١ ص ٤٠ ، قال الألبانى فى تخریجه : حديث صحيح .

وقد بعثه الله تعالى على حين فترة من الرسل، وعلى حين تفرق بين الناس خصوصاً العرب - تفرقاً شديداً، وكانوا في ضلال مبين، كما وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، [الجمعة: ٢].

قال ابن كثير: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ﴾ أي من قبل هذا الرسول ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي لفى غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الخلق، وقد مقت أهل الأرض: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، ماتوا - أو أكثرهم - قبل مبعثه. والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب إما مبدل وإما منسوخ، أو بدين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإما أمي من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنته وظن أنه ينفعه: من نجم، أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك. والناس في جاهلية جهلاء، من مقالات يظنونها علماً وهي جهل وأعمال يحسبونها صلاحاً وهي فساد. وغاية البارع منهم علماً وعملاً: أن يحصل قليلاً من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين مشوباً بأهواء المبدلين والمبتدعين قد اشتبه عليهم حقه بباطله، أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثرف صلاحه إلا القليل، أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسفة، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق حتى يصل إن وصل بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزر قليل مضطرب، لا يروى غليلاً ولا يشفى عليلاً، ولا يغنى من العلم الإلهي شيئاً، باطله أضعاف حقه - إن حصل وأنى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله، والاضطراب، وتعذر الأدلة عليه والأسباب^(٢).

فأنعم الله عليهم بأن بعث إليهم نبي الهدى ورسول الرحمة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأظهر الله دينه وجمع عليه المسلمين أمة واحدة، اجتمعت قلوبهم على الصراط المستقيم، وألف الله بينهم بالإسلام على رسوله ﷺ: ولو أنفق ما في الأرض جميعاً ما ألف بين قلوبهم ولكن الله ألف بينها بهذه النعمة العظمى، رسوله ودينه.

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٤/١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم ص ٢، ٣.

قال الله تعالى يخاطب رسوله ﷺ : ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

ولما قبض الله رسوله إليه وتوفاه ، لم تنزل الأمة المسلمة مجتمعة على دينه الباقي واجتمعت على خليفته أبى بكر ، حين بين لهم الحق ، وأزاح الاشكال عنهم في موته ﷺ ، وأكد لهم بقاء دينه إلى يوم القيامة ، وكانوا يرجعون إلى بيانه في ما يشكل عليهم لأنه أعلم الأمة بميراث نبيها ولأنه صاحبه الأول وصديق الأمة ، ولذلك اجتمع الناس عليه^(١).

واجتمع الناس كذلك على الفاروق ، عمر بن الخطاب ، حيث أوصى به أبو بكر رضى الله عنها ، فواصل بهم مسيرة الهدى والرشاد يبلغون دين الله مجتمعين أمة واحدة ، حتى قصروا قيصر ، وكسروا كسرى ، وهكذا في بقية زمن الخلفاء الراشدين المهديين رضى الله عنهم ، وبعد زمانهم ، والمسلمون يلتفتون حول أهل السنة والجماعة منهم ، وهم سوادهم الأعظم ومركز ثقلهم ، وما زالوا على مسيرتهم في إبلاغ دين الله ونشره للناس ، حتى بلغوا به مشارق الأرض ومغاربها تماما كما زوى لرسول الله ﷺ ، وأخبر أن ملك أمته سيبلغ ما زوى له منها .

فقد روى مسلم وغيره عن ثوبان : قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لي منها » الحديث^(٢).

ثم حدث ما أخبر به رسول الله ﷺ من الفتن وظهورها في الأمة كما روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال : كنا عند عمر ، فقال أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم : نحن سمعناه . فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا : أجل . قال : تلك تكفرها الصلاة والصدقة - ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن

(١) انظر: تاريخ ابن جرير الطبري ج٣ ص ٢٠٢، ٢٠٣ ، وتاريخ ابن كثير وما أورد من روايات صحيحة

جده ص ٢٤١-٢٥٤ .

(٢) صحيح مسلم : ج٤ ص ٢٢١٥، ٢٢١٦ .

التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم. فقلت أنا. قال: أنت، الله أبوك. قال حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا. فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب هواه »^(١).

وقد بدأت غربة الإسلام بعد مضي قرن الرسول ﷺ، الذي هو خير القرون، ثم مضي القرن الذي يليه، ثم الذي يليه أيضا، كما روى البخارى في صحيحه في فضائل أصحاب النبي ﷺ عن عبد الله أن النبي ﷺ قال: « خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته »^(٢).

وكلما جاء زمان كان الذى بعده شرا منه، وكانت غربة الإسلام فيه أشد كما أخبر رسول الله ﷺ، فيما روى مسلم في صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء »^(٣). هذا فى غالب الأحوال. وقد جعل الله دين محمد ﷺ باقيا إلى قيام الساعة، فلم يخل الأرض من قائم له بحجته أبدا، كما روى مسلم في صحيحه: « لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة »^(٤).

وكما روى البخارى في صحيحه في المناقب عن معاوية رضى الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ يقول: « لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك »^(٥).

وممن يقيم الله بهم الحجة الأئمة المجددون، فكلما جاء قرن من القرون التي تنطمس فيه أكثر معالم الدين، ويكاد ينتقض حبله، وتتعطل معظم أصوله ودعائمه

(١) صحيح مسلم: ج ١ ص ١٢٨.

(٢) ج ٤ ص ١٨٩.

(٣) وكذلك رواه مسلم عن ابن عمر، انظر ج ١ / ١٣٠، ورواه غير مسلم من طرق عديدة انظر تحريجه في

كتاب غربة الإسلام، لابن رجب الحنبلى.

(٤) ج ٤ ص ١٤٥٣.

(٥) ج ٤ ص ١٨٧.

من تلاعب الجهال به، وقبض العلم بموت العلماء، وارتفاع أهل الجهل وترأسهم، بعث الله عز وجل من يجدد لهم دينهم ويردهم إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وأهل القرون الفاضلة بالدعوة والتعليم وحسن القدوة والجهاد، وذلك مصداق الحديث الشريف الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»^(١).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: هذا الحديث إسناده جيد رجاله كلهم ثقات، وقد صححه الحاكم والحافظ العراقي والعلامة السخاوي وآخرون^(٢).

وقال الألباني: حديث صحيح، والسند صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم^(٣).

وقال عبد المتعال الصعيدي - قال السيوطي: اتفق الحفاظ على صحته منهم الحاكم في المستدرک والبيهقي في المدخل، ونص الحافظ ابن حجر على صحته^(٤).
وقال الإمام أحمد في خطبة كتابه: «الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله»^(٥).

«الحمد لله الذي امتن على العباد بأن جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ويصبرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، (بذلوا دماءهم وأمواهم دون هلكة العباد)^(٦)، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»^(٧).

(١) سنن أبي داود، ج٢، كتاب الملاحم باب ١ ص ٤٢٤.

(٢) هامش ص ١٠ من كتاب: الشيخ محمد بن عبد الوهاب. تأليف أحمد بن حجر آل بوطامي.

(٣) انظر: تخريج الألباني لأحاديث كتاب اصلاح المساجد للقاسمي هامش ص ٦، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢ ص ١٥٠ ورقمه ٥٩٩.

(٤) انظر: المجددون في الإسلام، تأليف عبد المتعال الصعيدي ص ٨، ٩.

(٥) تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع رئاسة البحوث العلمية.

(٦) ما بين القوسين زيادة من كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح وقد أسند هذه الخطبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع اختلاف في بعض ألفاظها، انظر ص ٢، ٣.

(٧) الرد على الجهمية ص ١٣، ١٤.

وليس من شرط المجدد أن يكون واحدا بعينه، أو صنفا خاصا من الناس بل الأمر كما ذكر الشيخ ابن باز أن الحافظ ابن كثير قال في النهاية - لما ذكر هذا الحديث - ما نصه: «وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث والظاهر - والله أعلم - أنه يعم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء، من محدثين ومفسرين وفقهاء ونحاة ولغويين إلى غير ذلك من الأصناف، والله أعلم»^(١).

ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمهم الله تعالى: «وليس من شرطه أن يقبل منه ويستجاب، ولا أن يكون معصوما في كل ما يقول، فإن هذا لم يثبت لأحد دون الرسول ﷺ»^(٢).

ويقول أيضا: «ولهذا المجدد علامة يعرفها المتوسمون وينكرها المبطلون، وأوضحها وأجلها وأصدقها وأولاها محبة الرعيل الأول من هذه الأمة، والعلم بما كانوا عليه من أصول الدين وقواعده المهمة، التي أصلها الأصيل وأُسُها الأكبر الجليل، معرفة الله بصفاته، بصفات كماله ونعوت جلاله، وأن يوصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله من غير زيادة ولا تحريف، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويكفروا بما سواه من الأنداد والآلهة. هذا أصل دين الرسل كافة، وأول دعوتهم وآخرها، ولب شعائهم، وحقيقة ملتهم، وفي بسط هذه الجملة من العلم به وبشرعه ودينه وصرف الوجه إليه، ما لا يتسع له هذا الموضع، وكل الدين يدور على هذا الأصل ويتفرع عنه»^(٣).

ومن هؤلاء المجددين الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد شهد له بذلك الجرم الغفير من أكابر أهل العلم والدين، يذكر الشيخ عبدالرحمن بن قاسم أن أكابر أهل عصر الشيخ شهدوا له بالعلم والدين وأنه من جملة المجددين لما جاء به رسول رب العالمين، وكذلك أهل مصر والشام والعراق والحرمين، والهند، وغيرهم، وتواتر عن فضلائهم وأذكيائهم مدحه والثناء عليه والشهادة له أنه جدد هذا الدين^(٤).

(١) من تعليق ابن باز على كتاب «الشيخ محمد... لأحمد آل بوطامي، ص ١٠. وانظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، ج ١ ص ٣٩.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج ٣ ص ١٥٣.

(٣) المصدر السابق، ج ٣ ص ١٥٤.

(٤) الدرر السنية ج ١٢ ص ٩.

وقد ذكره الشيخ محمد رشيد رضا من المجددين^(١) وقال: «كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجددا للإسلام في بلاد نجد، بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة»^(٢).

وقال أيضا بعد أن ذكر المجددين: «ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ، وترك البدع والمعاصي، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرّماته المنتهكة المنهوك»^(٣). وكذلك عبد المتعال الصعيدي عده من المجددين في كتابه «المجددون في الإسلام» وترجم له في ذلك الكتاب^(٤).

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز - بعد ما أشار إلى أئمة الهدى الذين يمين الله بهم في الفترات - ما نصه: «وكان من جملة هؤلاء الأئمة المهتدين، والدعاة المصلحين الإمام العلامة والخبر الفهامة، مجدد ما اندرس من معالم الإسلام في القرن الثاني عشر والداعي إلى سنة خير البشر، الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي، طيب الله ثراه، وأكرم في الجنة مثواه»^(٥).

وقد شهد بذلك، للشيخ محمد بن عبد الوهاب كثيرون، من الثقات العدول غير من ذكرنا هنا، يطول المجال باستقصاء شهاداتهم، والمقصود: إقامة الشهادة بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المجددين، وقد قامت والله الحمد قياما لا يدع شكاً في أنه من المجددين، فإنه عالم عامل، ومن أولئك النذيرين يوجههم الله لإقامة حجته ووصل حبل الإسلام الممتد من لدن رسول الله ﷺ إلى أن يأتي أمر الله، وكلما مات منهم علم أبدل الله به علما آخر، من أئمة الهدى وأعلام الهداية، ومناورات الإرشاد، وزعماء الإصلاح.

(١) تاريخ الإمام محمد عبده، ج ١ ص (ح) في التصدير، ط ١٣٥٠هـ.

(٢) الوهابيون والحجاز: ص ٦.

(٣) مقدمة الشيخ رشيد رضا للطبعة الثانية لكتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهواني ص ١١ ط ١٣٩٥هـ.

(٤) المجددون في الإسلام: ص ٤٣٧-٤٤١.

(٥) مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية، وثناء العلماء عليه، بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي ص ٣-٤.

ولقد تجرد الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدعوة إلى الله على حين غربة من الإسلام في القرن الثاني عشر، وكان على بصيرة، حيث كان عارفا بما عليه الصدر الأول، من السلف الصالح، خبيراً بما انحل من عرى الإسلام لدى أهل عصره، وتحولوا عنه فقام مجاهداً، ليرد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح، في باب العلم النافع والعمل الصالح، والإيمان والإحسان، وترك التعلق على غير الله، من الأنبياء والصالحين وعبادتهم، والاعتقاد في الأحبار والأشجار، والعيون والغيران، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ، في الأقوال والأعمال، وهجر ما أحدثه الخلف والأغيار.

وقيض الله له من آل سعود الذين أزره على نصرة دين الله ورسوله، فأقبلوا على معرفة ما عنده، من العلم والإرادة، حتى إذا عرفوا صدق موافقته للحق، نفذوا ذلك بالسلطان والإدارة، والسيف والعزيمة، يريدون ما عند الله تعالى، فصنع لهم من عظيم صنعه، وأظهر لهم من الدولة ما ظهروا به على سائر العرب، وكلما كان الأمر على السنة الإسلامية كلما كان في مزيد عز ونصر وظهور، ونحن لا نزال، ولن نزال - إن شاء الله تعالى - ننعّم بوارف ظلال عقيدة السلف الصالح التي نشرها هؤلاء، ونصرها هؤلاء، تحت دوحتي العلم والوفاء، دوحة علماء الدعوة - من ورثة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودوحة أنصارها - من ورثة الأمير الراشد محمد بن سعود، جزاهم الله خير الجزاء . . والحمد لله، العزيز الرحيم .

وقد اخترت أن يكون موضوع رسالتي للدكتوراه: «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، وأثرها في العالم الإسلامي» لأهميتها ولأنه من المجددين فعقيدته عقيدة سلفية، وعقيدة السلف الصالح عقيدة تجديد حية، تواكب الإصلاح والرقى المشروع في كل عصر ومصر، وتساير التقدم والنمو الخيري المشروع وتزيده زكاء وبراً وشرعية، ولا تعوقه أو تؤخره أبداً، إنها الاعتقاد الجازم بأنه لا يصلح ولا يقبل سوى اتباع سبيل المؤمنين السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، في هذا الدين وفي تفسيره، فتفوقوا على الشرق والغرب، وسادوا العالم كله، وكانت كلمتهم هي النافذة. وقد ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾، ذلك الفوز العظيم ﴿[سورة التوبة: ١٠٠] .

وقال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم، وساءت مصيراً﴾ [النساء: ١١] .

قال الإمام مالك : قال عمر بن عبدالعزيز : «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ، ولا النظر فيما خالفها ، من اقتدى بها مهتد ، ومن استنصر بها منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصله جهنم وساءت مصيرا» . قال مالك : أعجبنى عزم عمر في ذلك^(١) .

ومن يتأمل الواقع الذى نعيشه ، يدرك أن ما نحن فيه من أمن يفوق ما فيه أهل عصرنا من الدول المجاورة وغير المجاورة ، هو من أثر عقيدة الشيخ السلفية ، التى دعا إليها وناصره آل سعود عليها ، كما يجد المتأمل المنصف إضاعة التاريخ الإسلامى بذلك . وان عقيدة هذا شأنها لا ريب أن البحث عنها والدراسة فيها ، أهم موضوع لتحصيل العلم النافع ، والمعتقد الصحيح السليم ، وآمن شيء هو العلم النافع ، والمعتقد الصحيح لأن من استمسك بالعلم النافع والمعتقد الصحيح ، عصم من ضلال الكفار وفسادهم الذى نغزى به من الشيوعيين وغيرهم ، من الشرق والغرب ، تحت شعارات زائفة ودعاوى باطلة لا ينخدع بها إلا من فرغ قلبه وجوارحه ، من عقيدة السلف الصالح وسلوكهم .

ومما قاله سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، في أهمية هذا الموضوع : «هذا الأصل الأصيل ، والفقه الأكبر ، هو أولى ما كتب فيه الكاتبون ، وعنى به دعاة الهدى ، وأنصار الحق ، وهو أحق العلوم أن يعرض عليها بالنواجز ، وينشر بين جميع الطبقات ، حتى يعلموا حقيقته ، ويتعدوا عما يخالفه» . . إلى أن قال : في تحليل أهمية نشره «لعظم شأنه ، وشدة الضرورة إليه ، ولما وقع بسبب الجهل به في غالب البلدان الإسلامية من الغلو في تعظيم القبور ، ولا سيما قبور من يسمونهم بالأولياء ، واتخاذ المساجد عليها وصرف الكثير من العبادة لأهلها كالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ، وغير ذلك ، ولما وقع أيضا بسبب الجهل بهذا الأصل الأصيل ، في غالب البلدان الإسلامية ، من تحكيم القوانين الوضعية ، والآراء البشرية ، والإعراض عن حكم الله ورسوله ، الذى هو أعدل الأحكام وأحسنها»^(٢) .

(١) كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ ، للقيرواني ص ١١٧ .

(٢) مجلة البحوث الإسلامية ، المجلد الأول ، العدد الثاني ص ٤٥٠-٤٥٥ .

لذلك كان موضوع عقيدة الشيخ محمد موضوعا مختارا، وفيما يلي أركز أسباب اختياري له في ثلاثة أسباب فحسب :

١ — إن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدة تجديد سلفية، اعتقدناها واعتمدناها في ديننا ودياننا، وهي أساس وحدتنا السعودية، اجتمعنا عليها بعد الفرقة، واهتدينا بها بعد الضلال، وكانت حال أهل نجد، وأهل الجزيرة العربية قبل ظهور هذا الإمام المجدد بعقيدته السلفية - أسوأ الأحوال - فقد كانوا متفرقين ومختلفين، يبغى بعضهم على بعض، والإسلام بينهم غريب، والضلال ظاهر والمنكر أصبح معروفا لديهم ومألوفا. وسنبين ذلك في مبحث البيئة قبل ظهوره فيما سيأتي إن شاء الله تعالى . ثم إن الله تعالى جمع أهل نجد بالتوحيد، كما دعا إليه الشيخ وبينه عن عقيدة سلفية سليمة، وأعزهم الله بعد ذلتهم، بالنصر المبين، وأغناهم بعد فقرهم بالخير العميم، واستنارت بينهم سنن رسول الله ﷺ واختفت البدع، وزالت الفرقة، تحت راية التوحيد، التي يحملها أنصار الشيخ من آل سعود، وتطهر الحرمان الشريفان وما جاورهما، من البناء على القبور، ودعاء غير الله، والطغيان، والبدع والخرافات، ونودي في أرجائهما بالعدل والأمان، وبطلت سنن جاهلية، وقوانين جائرة، ما أنزل الله بها من سلطان، وبطلت جوائز القبائل التي يأخذونها على الحجاج إذا مروا بهم، واختفى قطاع الطرق، وسراق الأعراب، فأمنت السبل، واطمأنت البلاد واستقام العباد بتلك العقيدة السلفية، التي أظهرها الشيخ وآل سعود، حتى أصبح السعودي علما، يعرف بهذه العقيدة في الغالب وهذا الظهور يدل على علم الشيخ وصدق أنصاره، ولقد كان علم الشيخ علما أصيلا بميراث رسول الله ﷺ، وخلفه لنا في مؤلفاته ورسائله، وردوده وأجوبته جمعا وتأليفا، وبيانا واستنباطا، ميراثا نبويا، ورثه لمن بعده، كما ورثه هو عن من قبله، ويتوارثه العلماء إلى ما شاء الله تعالى، كما ورد «أن العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر»^(١). وكان وفاء آل سعود وصدقهم موافقا لمراد الله ورسوله، فكانت الوحدة، ونعمة الأمن والهداية، والعيش والثروة - في هذا العهد السعودي الميمون .

(١) انظر: صحيح البخارى، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، ج١ ص ٢٥ .

كما قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] .

وقد نشأ جيل جديد، وجد نفسه في نعمة هذه الوحدة، ولم يكن يعرف ضدها وأخشى أن يلهو ويغتر، وينسى سبب نعمته فلا يأخذ به، فتنتقص عليه عرى أمنه وهدايته، وتحل عليه بديلاتها، مما يغزوه عبر الأقمار الصناعية وغيرها من عقائد الكفار وأفكارهم . . فلذا رغبت في مشاركة وارثي هذا الإمام المجدد عقيدته السلفية، وعلمه الأصيل، وولائه لأنصار دين الله ورسوله، من آل سعود الكرام، ومن ذلك أن أخصص بحثي للدكتوراه فيها وفي أثرها، عسى الله أن يهب لي حظا وافرا، من هذا العلم النافع، والمعتقد السلفي السليم الآمن، ونشره واطهاره للناس، عن علم واتباع، لا عن تقليد وابتداع، وأسأل الله أن لا يغير ما بنا من نعمة الأمن والهداية، والعيش والثروة والاجتماع والوحدة . والله ذو الفضل والجلال والاكرام .

٢ — الحاجة إلى كتابة عقيدة الشيخ، وعرضها، مجموعة ومرتبة ومنسقة، في رسالة جامعية، بأسلوب الدراسات العلمية المنهجية، لتيسيرها ونشرها، والدعوة إليها بهذا الأسلوب المألوف، سيما وقد تقاصرت الهمم، وضعفت النفوس عن الصبر، على مشقة البحث الطويل، لكثرة المشاغل، ونقص العلم .

وعقيدة الشيخ، مبثوثة في مؤلفاته ومراسلاته، وردوده وأجوبته، واستنباطاته ونبذه وسائر آثاره، في شتى الفنون والعلوم، ولما جمعت مؤلفاته العامة بلغت مجلدات كبيرة وكثيرة، والشيخ رحمه الله، إنما كان يؤلف بحسب ما تستدعيه حاجات الناس، وتقتضيه مصالحهم، ويلجئ إليه واقع حياتهم، وحالتهم الاعتقادية، والواقع المؤلم للتصحيح والإصلاح، بعقيدة السلف الصالح، في الأصول والفروع، فهذا جعله يهتم بما هو الأولى والأهم، وما يناسب أهل زمانه ويلائمهم، ولقد خاطبهم بما يعقلون ويفهمون، بلهجتهم وأسلوبهم، على أتم وجه وأكمل، ونفع الله بعلمه وعمله .

وأردت أن أقوم بهذه الرسالة بكتابة عقيدة الشيخ وعرضها، عسى أن يكون ذلك من المناسب لأهل زماننا، فيستدعيهم قراءة وقبولا، وفي صحيح البخاري، في

كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ «يسروا ولا تعسروا، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس»^(١).

وفي صحيح مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا»^(٢).

وفي صحيح البخارى، في كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، عن أنس بن مالك قال: كتب النبي ﷺ كتابا، أو أراد أن يكتب - فقليل له : انهم لا يقرأون كتابا إلا محتوما، فاتخذ خاتما من فضة نقشه (محمد رسول الله) كأنى أنظر إلى بياضه في يده»^(٣).

وقد أورد الخطيب البغدادي، في كتابه «تقييد العلم» مجموعة طيبة من الأحاديث والأخبار والأقوال والشواهد، عن السلف ترخص بكتابة العلم، وتبيين فضلها في عرضه وحفظه ونشره، وتجميل كتبه وتحسينه. وقال: «قد أوردت من مشهور الآثار ومحفوظ الأحاديث والأخبار عن رسول رب العالمين وسلف الأمة الصالحين صلى الله عليه ورضي عنهم أجمعين، في جواز كتب العلم وتدوينه، وتجميل ذلك الفعل وتحسينه ما إذا صادف بمشيئة الله قوى شك رفعه، أو عارض ريب قمعه ودفعه»^(٤).

٣ — بيان أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي عقيدة السلف الصالح:

على الرغم من أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي عقيدة السلف الصالح، ولم يتتبع في ذلك شيئا، خلاف ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعهم بإحسان، لكن طالما حكم عليه وعلى ما ظهر به من هذه العقيدة بالبدعة، بغير علم وطالما تجعل عقيدته محل أخذ ورد كثير ليس في العالم البعيد عن دائرة الإسلام. ولكن في ذات الدائرة الإسلامية، وفيما بين المسلمين أنفسهم.

(١) صحيح البخارى ج٧ ص ١٠١.

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص ٢٠٦٠.

(٣) صحيح البخارى ج١ ص ٢٤.

(٤) القسم الثالث، الفصل الرابع، ص ١١٥، ١١٦، ٢، ١٣٩٥هـ.

فهل ياترى ؟ ثم ثغرات مبتدعة في الإسلام فتحت على ابن عبد الوهاب وأتباعه في عقيدته؟ أم أنها محكمة البناء، صحيحة في الادعاء، أصيلة في الانتفاء؟ لكن دخل عليها هؤلاء من باب مخالفتها لما كانوا عليه، وكان عليه آباؤهم وأجدادهم، من تقاليد عمياء وعادات جهلاء، في دينهم واعتقاداتهم، كانت معروفة ومألوفة لديهم، وقد درجوا عليها يعدونها ديناً يقرهم إلى الله ومحسبونها قرينة مسنونة، فما فجأهم إلا والشيخ يطالع عليهم بما لا يعهدون وبما لا يعرفون، فاستنكروا ولقنهم الشيطان حجج أمثالهم السابقين مثل: «إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون» فمن هنا حكموا على عقيدة الشيخ بالبدعة؟ أو من باب الحسد والبغى دخل عليه أقوام لديهم علم وجاه كما قيل:

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوص
وهذا وذاك من الأبواب المفتوحة، والسنن الجارية في هذه الدنيا ليلبوا الله أهلها أيهم أحسن عملاً؟ وسنة الله في الذين خلوا من قبل على امتداد التاريخ، والله هو العزيز الغفور.

هذا أيضاً مما دفع بى إلى أن استوعب مؤلفات الشيخ وآثاره، في هذا المبحث ثم استخلص منها عقيدته مباشرة، ليعلم من يقصد الحق أنها عقيدة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية الذين رضى الله عنهم، ورضوا عنه، وأعد لهم جناته التي تجرى من تحتها الأنهار، وإن خالفت ما عليه أكثر من يدعى الإسلام، وهم ليسوا من الإسلام في شيء.

أما من لا يريد الحق فتقوم عليه الحجة ببسر ووضوح «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة».

نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

والدين النصيحة.

والله المستعان عليه نتوكل وإليه المصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا ولقد كتب عن تاريخ الشيخ وحياته، وفكره، ودعوته، ومؤلفاته، وآثاره وأقوال الناس فيه، الشيء الكثير الجيد، من قبل العلماء، والباحثين، والكتاب وقد استفدت من ذلك كثيراً.

لكنى بالاضافة إلى الأسباب المتقدم ذكرها أردت بهذا البحث أن أدلى بدلوى مع الدلاء، وأن أتطفل على العلماء، وأسهم بسهم مع الفضلاء، تشبها بهم، ونحبا لهم، ولنهجمهم وموضوع بحثهم، وإن لم أكن في مقامهم وسبقهم، فاللاحق يتبع السابق، كما يتبعه من بعده.

وقال الله تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات، أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا، إن الله على كل شيء قدير﴾ (البقرة: ١٤٨).

وأسأل الله تعالى أن يجزى عنا العلماء، وورثة الأنبياء خير الجزاء. . . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الشكر :

أحمد الله وأشكره، ولا أحصى ثناء عليه سبحانه وتعالى، بل هو كما أثنى على نفسه عز وجل.

وأمدح رسول الله ﷺ، وأثنى عليه وأشكره، فقد بلغ رسالة ربه ونصح لنا خير النصح، وأتمه، وجاهد في ذلك جهادا كبيرا، وحرص علينا حرصا بالغاً وشملنا الله برأفته ورحمته، فهو الرحمة المهداة، والنعمة العظمى، فجزاه الله عنا خير ما جزى به نبيا عن أمته، وصلى عليه وسلم على الدوام، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الرحمة والرضوان.

ثم أشكر المشرف عليّ في هذا البحث، فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد فقد قام بالارشاد والتوجيه، وأفادني في ذلك فائدة كبيرة.

كما أشكر فضيلة الشيخ عبد الله الغنيان، فإنه شجعني على المواصلة بفرع العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وأشكر الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، حيث كَرَّم وأهداني نسخة من مؤلفه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وكذلك الزملاء الكرام، سليمان السلومي، وسليمان العريني، وسليمان السعود، وعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، ومحمد الفلاح، وجارنا محمد الصافي، فقد أعاروني كتباً استفدت منها.

ولا أنسى وكيل إمارة حائل صديقنا الشيخ مقبل بن شيخنا الشيخ محمد الصالح المقبل فقد صور لي مخطوطا بعنوان الرسائل المرقومة للشيخ محمد بن عبد الوهاب من مكتبة خاصة بحائل .

كما أشكر صهرى ، ناصر العتيق ، وعمى إبراهيم العبود - على ما قاما به من جلب بعض المراجع من الرياض ، وأشكر ولدى عبد الله فقد ساعدنى بما قام به من تخفيف مشاغل البيت عنى .

وعموما أشكر كل من أفادنى فى ذلك ، وأسأل الله أن يجزيهم عنى خيرا وهو القريب المجيب .

وأشكر الجامعة الإسلامية فقد وجدت فيها محضنا من محاضن العلم والرعاية حين تشرفت بالانتماء إليها .

وأشكر رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد على ما توزعه من مراجع هامة فى الموضوع كان لى منها نصيب كبير .

كما أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فقد منحتنى مؤلنات الشيخ فى مجموعة طبعتها وكذلك مجموعة بحوث أخرى عن الشيخ وعقيدته .

وكل ذلك يسر الله لى به الاستفادة والبحث ، والله الحمد .

وأختم بشكر حكومتنا السعودية - فلقد نعمت بظلمهم ، وتعلمت بمدارسهم ونشأت فى خيرهم ، ومنذ نشأتى ، وأنا أتقلب فى معالهم العلمية والتربوية ، منذ الابتدائية السعودية فى المذنب عام ١٣٦٧ هـ ، إلى الجامعة الإسلامية حاليا ، وفى كل معقل تتلقى الميراث النبوى والحجة الرسالية ، والعلم النافع فى الدنيا والآخرة ، بأمانة وقوة وأمن ورعاية .

والحمد لله رب العالمين والشكر له ، والصلاة والسلام على رسول الله فى البدء والختام ، فان الله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم .



خطة البحث

هذا وقد جعلت موضوع البحث من مقدمة ومدخل وباين وخاتمة .
فأما المقدمة : فتضمنت بياناً لأهمية الموضوع وأسباب اختياري له والشكر
وخطة البحث .

وأما المدخل : فيشتمل على مبحثين .
الأول : في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي .
والثاني : مبحث في حياة الشيخ يتضمن ترجمته ونشأته ورحلاته وشيوخه
وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته ورثاءه .

وأما البابان :
فالباب الأول : هو في عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، ويتضمن
أربعة فصول :

الفصل الأول : في منهج الشيخ رحمه الله تعالى في عقيدته ودعوته .
الفصل الثاني : في مجمل عقيدة الشيخ .
الفصل الثالث : في عقيدة الشيخ في التوحيد من مقاميه : المقام الخبري -
والمقام الطلبى .
الفصل الرابع : هو في التحذير من نقيض عقيدة السلف الصالح أو نقيض
كهاها .

الباب الثاني : في أثر عقيدة الشيخ السلفية في العالم الإسلامي - ويتضمن خمسة
فصول :

الفصل الأول : في ظهور دعوة الشيخ ، وأسباب ومبادئ تأثيرها .
الفصل الثاني : في أثرها في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها .
الفصل الثالث : في أثرها في الدور الثاني .
الفصل الرابع : في أثرها في الدور الثالث .
الفصل الخامس : في أثرها في خارج سلطانها من العالم الإسلامي .
وأما الخاتمة : فهي تتضمن خلاصة البحث ونتيجته .

المدخل

ويشتمل على مبحثين :

١ - المبحث الأول : في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي .

٢ - المبحث الثاني : في حياة الشيخ - ويتضمن ترجمته ونشأته ورحلاته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته وراثته .

المبحث الأول

في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي

لقد كانت البيئة من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البلدان الإسلامية قد تحولت عن صبغتها الإسلامية في غالب أحوالها سواء في العقيدة أو في السياسة ، وقد حدث في أكثرها ما هو أشد من أحوال الجاهلية الأولى في العقيدة والسياسة ، وما من شك أن المجتمع يفقد رشده وأمنه واستقراره إذا غلبت عليه عقيدة الجاهلية ، وظهرت فيه البدع والشركيات .

وهكذا كانت البيئة بصفة عامة التي واجهها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فزار بعض البلدان وشهد بيئتها وبعض البلدان الأخرى التي لم يزرها سمع عنها . وفيما يلي شيء من تفصيل ذلك :

في الأحوال السياسية والدينية :

أما في الأحوال السياسية والدينية فيما سبق ظهور الدولة السلفية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتجاوب الأمير الراشد محمد بن سعود - فكانت كما يلي :

نجد وأحوالها :

أما نجد فانها منذ مدة طويلة قبل ظهور دعوة الشيخ محمد لم تشهد سلطانا قويا صالحا يحكم وجوده على سير الحوادث داخلها، ويوحد أجزاءها، ويحدث فيها استقراراً سياسياً وأمنياً شاملاً، فقد كانت محكومة بغلبة الأخيضريين العلويين الذين أعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية واستمر ملكهم على اليمامة حتى غلبهم القرامطة سنة ٣١٧هـ (١)

ويذكر حمد الجاسر في كتابه (مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ) أن المؤرخين يكادون يجمعون على أنه في سنة ٢٥٣هـ تقريباً استولى الأخيضريون أسرة علوية على اليمامة، وكانوا سيئى السيرة فلم يقتصر ضررهم على إضعاف تلك المدينة وتشيت أهلها عند غزوهم إياها، بل شمل غيرها من مدن نجد في ذلك العهد وانقشع أهلها من جورهم إلى أرض مصر، ولم ينتزع أحد منهم هذه الولاية إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر وهم ذووشوكة ومن فرقة الزيدية، فيقولون في الآذان: (محمد وعلي خير البشر وحي على خير العمل).

ويقرر الجاسر أنه منذ أن حكم هؤلاء الأخيضريون اليمامة وما حولها من نجد إلى قيام الدولة السعودية بنصرة الدعوة الإصلاحية الدينية بعد منتصف القرن الثانى عشر الهجرى واليمامة وما حولها تعيش فترة من التاريخ مجهولة إلا نتفا ضئيلة من بعض المؤرخين، لأن حكم الأخيضريين قضى على مدينة حجر قصبه اليمامة وشرد أهلها وأضعف شأنها، ثم بزوال الأخيضريين لم تحكم اليمامة حكماً قوياً ولم تقم فيها أية دولة ذات شأن ليهتم المؤرخون بأمرها، وبلاد نجد أصبحت كلها مجزأة إلى إمارات متفرقة وأصبحت خاضعة للدويلات الصغيرة التى حكمت البحرين والأحساء مثل القرامطة والعيونيين والجبريين الذين منهم أجود بن زامل الجبري. وكل هؤلاء اتخذوا الأحساء قاعدة لحكمهم الذى امتد إلى بلاد نجد (٢).

وكانت الحروب بين البلدان النجدية قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلانى ص ٢٨، وتاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ

محمد . . تأليف حسين خلف الشيخ خزعل ص ٣٦.

(٢) انظر: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، بقلم حمد الجاسر ص ٦٩-٧٩

مستمرا وحادا وعنيفا - ولذا كانت نجد متمزقة بين امارات صغيرة متعادية ومتفككة، في كل قرية أمير وفي نفس الوقت يتهدده طامع في امارته وربما يكون أقرب أقربائه^(١). فهو خائف ومخيف وسياسته انبثقت من هذه الحالة، وما كان بين امراء القرى في الغالب وفاق، ولكن كل أمير يتربص بالآخر ويتحين فرص الثوب عليه، وقد وصل الحال إلى أن القرية الواحدة تتمزق بين أميرين متعادين أو ثلاثة أو أكثر كل منهم يدعى لنفسه الولاية كما هو شأن حريملاء حيث كانت منقسمة بين قبيلتين كان أصلهما واحد ثم افترقوا إلى حزبين كل منهم يدعى القول له وليس للآخر على الثاني قول، والبلد لا يرأسه رئيس واحد، أو مجموعة متحدة في هدف واحد، فذلك يزع الجميع ان كان قويا^(٢).

وذكر ابن بشر في سابقة سنة ١١٢٠هـ أن ناصر بن حمد غدر بفوزان أمير التويم ورئيسه فتولى في بلد التويم محمد بن فوزان ثم تمألاً عليه رجال فقتلوه منهم المفرع وغيره من رؤساء البلد وهم أربعة رجال فلم يستقم لأحدهم ولاية فقسموا البلد أرباعا كل واحد شاخ في ربعها فسموا المربعة أكثر من سنة، قال ابن بشر: (وإنما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة ولا نعرف الأشياء إلا بأضدادها فإن هذه قرية ضعيفة الرجال والمال وصار فيها أربعة رجال كل منهم يدعى الولاية على ما هو فيه)^(٣).

نجد لم تشهد نفوذا عثمانيا :

ولم تشهد نجد على العموم نفوذا للدولة العثمانية، فما امتد إليها سلطانها^(٤) ولا أتى إليها ولاية عثمانيون، ولا جابت خلال ديارها حامية تركية في الزمان الذي سبق ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وما يدل على هذه الحقيقة التاريخية استقراء تقسيمات الدولة العثمانية الادارية فمن خلال رسالة تركية عنوانها (قوانين آل عثمان در مضامين دفتر ديوان) يعنى (قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان) ألفها

(١) انظر: ابن بشر عنوان المجد في تاريخ نجد... سابقة سنة ١١١١هـ ج١/١٢٢-١٢٢٣ وسوابق ابن بشر عموما تبين هذه الأحوال السياسية. وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب... للدكتور العثيمين.

(٢) انظر: ابن بشر، تاريخ نجد... ٩/١.

(٣) ابن بشر - عنوان المجد في تاريخ نجد ج١/١٥٨.

(٤) تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني.

- يمين على أفندى - الذى كان أميناً للدفتـر الخاقانى سنة ١٠١٨ هـ الموافقة لسنة ١٦٠٩م ونشرها ساطع الحصرى ملحقاً من ملاحق كتابه (البلاد العربية والدولة العثمانية).

من خلال هذه الرسالة يتبين أنه منذ أوائل القرن الحادى عشر الهجرى كانت دولة آل عثمان تنقسم إلى (٣٢) إيالة منها (١٤) إيالة عربية وبلاد نجد ليست منها ماعدا الأحساء ان اعتبرناه من نجد^(١). ثم ان نفوذ العثمانيين ما لبث أن ضعف فى جزيرة العرب نتيجة لمشاكلهم الداخلية والخارجية^(٢)، فاضطروا فى نهاية الأمر إلى ترك اليمن بسبب ثورة أئمة صنعاء ضدهم، واضطروا إلى مغادرة الأحساء أيضاً أمام ثورة زعيم بنى خالد براك بن غرير وأتباعه سنة ١٠٨٠ هـ^(٣).

أشراف الحجاز :

وأما الحجاز فقد كان يحكمه الأشراف تحت سلطان الدولة العثمانية وفى القرن الثانى عشر ابتداء من أوله كان هؤلاء الأشراف فى منازعات بينهم وحروب كانت تقوم بين الأخ وأخيه والعم وابن أخيه وتهدر فيها الدماء وتستحل الحرمات . فكان معدل ولاية الأمير على مكة سنة أوستتين ، لكثرة الاغتيال والغدر والخلاف ، وكان من هوانهم على السلطان العثمانى أنه يوكل أمرهم أحياناً إلى واليه على مصر وكان والى مصر يولى من يشاء ويعزل من يشاء باسم السلطان .

ولقد تعاقب على إمارة مكة خلال القرن الثانى عشر وحده ثلاثون شريفاً لم ينعم واحد منهم بالاستقرار وصارت السلطة مثار نزاع لا نهاية له ، يفرض أقواهم على الآخرين ويتدخل السلطان التركى أحياناً فى النزاع ليجلس على كرسى الحكم أحد الخصوم ، ولا يتورع هؤلاء الأمراء المتنازعون عن أن يصلوا بمعاركهم إلى قلب الأماكن المقدسة مخالفين بذلك نصوص القرآن والسنة ، وأهملت أمور الدين حتى لم يعد الشريف محل ثقة بأمور الإسلام فى نظر المسلمين .

(١) انظر: البلاد العربية والدولة العثمانية، ساطع الحصرى ص ٢٣٠-٢٤٠. وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة ص ١٣ .
(٢) انظر. تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور العجلانى ص ٤٧ .
(٣) انظر. الشيخ محمد بن عبد الوهاب. . للدكتور العثيمين ص ١١، ١٠. وعنوان المجد، سابقة (١٠٨٠هـ).

هذه حالة شرفاء مكة في أول ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما كانوا قادرين على عدوانهم على أهل نجد كما كانوا من قبل منذ القرن العاشر الهجري أو على غير أهل نجد لضعفهم وتحاذلهم وخوف بعضهم من بعض ومع هذا فقد اتخذوا تدابير عدائية في مكة ضد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح - فقد اعتبروه وأنصاره وهابية مبتدعة فمنعهم من الحج، بل أطلقوا عليهم الكفر^(١).

الدولة العثمانية في حكم الزوال :

ولقد كانت الدولة العثمانية بأجمعها وفيما امتدت إليه سلطتها منذ أوائل القرن الثاني عشر للهجرة النبوية في حكم الزوال قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فقد انهزم سلاطين آل عثمان أمام النمسا وروسيا والبنديقية وغيرها من دول النصرانية بتوقيعهم ما يسمى «صلح كارلوفتسى» عام ١١١٠ هـ (١٦٩٩م) وهو وثيقة انهزمهم عن حماية بلدانهم الإسلامية من هذه الدول النصرانية المعادية للإسلام والمسلمين، وبموجب تلك الهزيمة طمع الأوروبيون بإزالة الدولة نهائياً وسموا سلطان آل عثمان «الرجل المريض» واتفقوا على اقتسام تركته لكن اختلفوا في نصيب كل منهم من هذه التركة التي هي البلاد العثمانية الإسلامية، فكان هذا الاختلاف هو الذي أخرهم عن إزالة شبح السلطان العثماني مدة من الزمان.

وفي الحقيقة أن السلطان العثماني أصبح منذ ذلك الوقت ليس له من الأمر في الدولة العثمانية شيء وإنما لبعض الوزراء الذي كان أصلهم من عناصر أجنبية أوربية ومن يهود الدونمة وماسون سالونيك المتظاهرين بالإسلام، ومن المعجبين بكفر «النصارى» والحاد القوميين والعلمانيين^(٢). حتى انقلبت الدولة العثمانية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال وقام كثير من الولاة والأمراء بالخروج عليها وتكوين

(١) انظر: تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي ج٢ ص ٨٠، ٩٣، ص ٩٤-١٠١. والبدر الطالع للشوكاني ج٢ ص ٧. وانظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني ص ٣٠-٣٢.

(٢) انظر: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية لمحمد كمال جمعة ص ١١، ١٢. وانظر: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام لصالح بن عبد الله العمود. - رسالة ماجستير - ص ٣٦-٥٦.

حكومات مستبدة وضعيفة لا تستطيع إخضاع من في حكمها، فكثرت السلب والنهب وفقد الأمن^(١).

ويقول محمد كمال جمعه «وكانت قصور السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة مملوئة بالجوارى والسبايا وكان بعض أولئك السبايا أجنبيات من بلاد أجنبية فكن عيوننا لدولهن على الدولة العثمانية»^(٢).

وقال أيضا: «وقد تعالى سلاطين هذه الدولة على الرعية فإذا خاطبوا الرعية كانوا لا يوجهون الخطاب إليها مباشرة بل يقولون لولاتهم بلغوا عبيد بابنا العالى»^(٣).

وكانت الدولة العثمانية تؤيد التصوف في مختلف طرائقه وبصورته التي بعدت عن الإسلام بعدا شاسعا، وكانت قد دخلت من عادات بعضها نصرانية، كالرهبانية، واللعب بذكر الله، وابتداع أساليب فيه، كالرقص والغناء والصياح، والأشعار والتصفيق والمدائح والموائد، وبعضها من الهندوسية أو الفارسية أو اليونانية، كدعوى الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود. والدولة العثمانية كانت ترى هذا اللون من صميم الدين الإسلامى، فكان السلاطين يخضعون لمدعى التصوف ويبالغون في تعظيمهم، بل يغفلون فيهم حتى غلب اعتقاد العامة فيهم على همم العلماء المصلحين. وهذا بالإضافة إلى القباب والقبور والمزارات التي يقصدها الناس بالذبح والنذر والقرب والدعاء وهي منتشرة وكثيرة في ظل الدولة العثمانية وحمايتها^(٤).

وهي الدولة التي تعتبر أكبر الدول الإسلامية في أيامها والتي كان يعد سلاطينها خلفاء للمسلمين، والتي كانت تعتبر دولة سنية ولا يوجد للمسلمين دولة أوسع منها في ذلك الزمان قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الدولة الصفوية الرافضية :

فالدولة الصفوية المعاصرة للدولة العثمانية في ذلك الزمان وإن كانت تدعى

(١) حاضرم العالم الإسلامى - تأليف لوثروب الأمريكى - فى تعليق شكيب أرسلان ج١/ ٢٥٩ .

(٢) انتشار دعوة الشيخ . . . ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق . . . ص ١٣ .

(٤) انظر: المصدر السابق . . . ص ١٤-١٩ .

الإسلام فهي دولة رافضية على مذهب الإمامية وكانت تغالى في الرفض حتى أنها تحارب الدولة العثمانية لأنها منسوبة إلى السنة أشد الحرب بتحريض نصارى الانكليز، ثم انتهت بمقتل نادر شاه عام ١١٦٠هـ واضطرب أمر بلاد فارس - وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سن الخامسة والأربعين رحمه الله (١).

الدولة المغولية في الهند :

وكان في ذلك الزمان يوجد في الهند الدولة المغولية (٢). لكنها كانت بقية ورثها أبناء ملك الهند المغولي أكبر خان وقد قرب الشاعر الشيعي المسمى الملا مبارك ولديه، - أبا الفائز (وكان شاعرا متصوفا) وأبا الفضل (وكان فيلسوفا على طريقة الصوفية المنحرفة) - وجعل فتح الله الشيرازي من أكابر علماء الشيعة من فارس مستشاره الشرعي وهو شديد الوطأة على علماء أهل السنة، وألغى اللسان العربي من بلاطه وجعل الفارسي مكانه وكان ميالا إلى التصوف المنحرف ويراها أرقى طريقة إسلامية وهو على طريقة تصوف أهل وحدة الوجود، وله عقائد أخرى منها تناسخ الأرواح - أخذه عن البراهمة (٣).

مما دعا أمثال الشاه ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ) في نهاية هذا العصر المغولي أن يقوم بجهود تكسر الجمود وتطلق العقول لتتمشى مع صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان (٤). لكن انتهت دولة المغول في الهند، وطمعت البرتغال الكافرة في مسلمي الهند بسبب فساد ملوك هذه الدولة المغولية، وقامت حروب داخلية كثيرة وتغلب فيها الهندوس واستعمرتها شركة الهند الشرقية الانجليزية حوالى سنة ١١٧٥هـ (٥).

(١) انظر: المصدر السابق ص ١٩، ٢٠.

(٢) انظر: الموسوعة العربية الميسرة فيها كلمة عن (مغول) وأنهم ظهروا بزعامة جنكز خان ثم ادعوا الإسلام كما هو معروف تاريخيا.

(٣) انظر: حاضرم العالم الإسلامى، تأليف لوثرروب الأمريكى ج٤ / ٣٠-٣٠٩. وموجز تاريخ تجديد الدين واحيائه، للمودودى ص ٦٩-٧٩. وحركة الانطلاق الفكرى وجهود الشاه ولي الله الدهلوى فى التجديد لمحمد إسماعيل السلفى ص ٥٦.

(٤) حركة الانطلاق الفكرى ص ٦، ص ٢٧٠، ٢٧١ - موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه للمودودى ص ٨٠، ٧٩.

(٥) انظر: المصدر السابق انتشار دعوة الشيخ... ص ٢٠، ٢١.

وهذا يبين لنا كيف كان حال المسلمين في الهند قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

في المغرب الأقصى :

وكان في المغرب الأقصى دولة العلويين الذين بدأ حكمهم عام ١٠٧٥ هـ ومع أنها دولة مغربية اقتضرت على إقليم المغرب كانت غير سليمة بسبب الفتن بين العرب والبربر والصوفية المنحرفة المنتشرة خصوصا الطريقة الشاذلية والبدع في الدين^(١).

في غرب أفريقيا :

وكان في غرب أفريقيا مجموعة امارات الهوسا ، التي كان أمراؤها قد انتسبوا إلى الإسلام ولكن أكثرهم لم يكن ملتزما به ، وكانت البدع والطرق الصوفية خصوصا القادرية منتشرة بين قبائل الهوسا من المسلمين ، والكثير من رعايا امارات الهوسا مايزالون على الوثنية ، ويسود الجميع روح العصبية للقبيلة إلى جانب الفساد والمظالم في امارات الهوسا والحروب المستمرة بينها^(٢).

في أواسط آسيا :

وفي أواسط آسيا ، كانت روسيا النصرانية في عهد بطرس الأكبر قد استولت على من ينتسب إلى الإسلام في تركستان الشرقية . وكان هؤلاء المنتسبون إلى الإسلام في وادي نهر سيحون يكونون إمارات متفرقة مما أدى إلى ضعفها أمام مطامع روسيا النصرانية ، وكانت البدع والطرق الصوفية خصوصا النقشبندية منتشرة هناك .

في الصين :

وفي الصين شقي من ينتسب إلى الإسلام بحكم أسرة المانشو التي عملت على إرضاء البوذيين بمضايقة المسلمين .

(١) انظر: المصدر السابق . . . ص ٢١، ٢٢ .

(٢) انظر: المصدر السابق . . . ص ٢٢، ٢٣ .

في أندونيسيا :

وفي أندونيسيا لم يؤلف المنتسبون إلى الإسلام دولة قوية تلم شملهم ولكن كونوا ممالك صغيرة سادتها الخلافات الداخلية وانتشرت فيها البدع ومخلفات جاهلية الهنود والصين الخرافية القديمة ، وتغلبت على مقدراتهم الشركة الهولندية^(١) .

وهكذا كان حال أهل البلدان الإسلامية في أول القرن الثاني عشر الهجري . وبمقارنة شرك المشركين في زمان الشيخ بشرك مشركى أهل الجاهلية الأولى فإننا نجد أن مشركى الجاهلية الأولى يشركون في الرخاء ويخلصون الدعاء لله في الشدة - أما مشركو هذا الزمان فإنهم يشركون في الرخاء والشدة على حد سواء .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : « القاعدة الرابعة أن مشركى زماننا أغلظ شركا من الأولين - لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، ومشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء والشدة . والدليل قوله تعالى : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ [العنكبوت : ٦٥] اهـ من القواعد الأربع .

وكان الواقع المشهود والذي سجله أهل التاريخ هو أن كثيرا ممن يعبد الأولياء وأضرحة المشائخ والسادة إنما يفزعون في حال الشدة وحلول المصائب بهم إلى الاستغاثة بمعبوداتهم من دون الله من جني وولي ومعتقد ، فهو يهتف بدعاء غير الله ان قام وان قعد ، ترى الرافضى ان حمل شيئا ثقيلا هتف يستعين فيقول يا على أو يا حسين ، ومثله من يعبد وليا أو غيره كمن يهتف ويستهل بالدوى ، وعبد القادر ، ورسول الله ﷺ يدعوه في حال الشدائد والكوارث راجيا منهم كشف ضره وشفاء مريضه .

هذا فضلا عن حال السرور والرخاء - فإنه في تلك الحال يتقرب إلى معبوداته بها لا يصلح إلا الله تعالى ، يرجو مزيد رخائه ، ودوام سروره ، فهو على الشرك دائم في كل أحواله بخلاف المشركين الأولين الذين ذكر الله قصتهم في القرآن الكريم كما ذكرنا آنفا .

(١) المصدر السابق ص ٢٣-٢٥ .

ومن تتبّع آثار الشيخ القولية يمكن استبيان صورة للحالة التي واجهها رحمه الله وآها منحرفة عن الدين الحق الذى جاء به رسول الله ﷺ - وقدمنا قوله من القواعد الأربع في بيان الحد الذى وصل إليه شرك المشركين في زمانه وهو أمر واقع قد رصده أهل التاريخ ولا يزال باقيا في البلدان التي لم تستنر بالدعوة إلى توحيد الله بالعبادة كما دعا رسول الله ﷺ ، كالذى يفعل عند البدوى بمصر وعند مشاهد الرافضة بايران والعراق وغير ذلك .

قال الشيخ في معنى (لا إله إلا الله) إنها نفي الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد ﷺ حتى جبريل فضلا عن غيرهما من الأولياء والصالحين ، وأن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية والإله معناه الولي الذى فيه السر وهو الذى يسميه الفقراء الشيخ ويسميه العامة السيد وأشبه هذا ، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الإنسان يلتجئ إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله ، فالذى يزعمه أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط هم الذين يسميهم الأولون الآلهة . والواسطة هو الإله فقول الرجل لا إله إلا الله إبطال للوسائط .

ثم ان الشيخ جعل يبين أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية - وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله كما قال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ [يونس : ٣١] . قال ومع هذا الاقرار يتصدقون ويحجون ويعتصرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله عز وجل - ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام ولم يحرم دماءهم وأموالهم لأنهم لم يشهدوا الله بتوحيد الألوهية وهو أنه لا يدعى إلا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد كفر ومن نذر لغيره فقد كفر .

والشيخ يبين ذلك ليشخص مشابهة جاهلية أهل زمانه في اعتقادهم لأولئك الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ وزيادتهم عليهم فيقول : فإن قال قائل من المشركين نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لكن هؤلاء الصالحين مقربون ونحن ندعوهم وننذرهم وندخل عليهم ونستغيث بهم نريد بذلك الوجاهة والشفاعة

وإلا فنحن نفهم أن الله هو المدبر، فقل كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله فإنهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك .

كما قال الله تعالى : ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر: ٣] .

وكما قال تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ [يونس: ١٨] .

إلى أن قال الشيخ رحمه الله - إذا عرفت هذا وتأملتة جيدا فقد تبين لك صفة الإسلام الذى دعا إليه نبيك ﷺ وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل وتبين لك معنى قوله ﷺ «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ» .

ثم بحث رحمه الله على الكفر بالطواغيت ومعاداتهم وبغضهم وبغض من أحبههم وجادل عنهم ومن لم يكفرهم وقال ما على منهم أوقال - ما كلفنى الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم .

ثم قال الشيخ : «ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله ﷺ - قال الله تعالى : ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ [الأساء: ٦٧] .

فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشائخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به بل أخلصوا لله وحده لا شريك له واستغاثوا به وحده فإذا جاء الرخاء أشركوا .

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلانى وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزيبر وأجل من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ فالله المستعان .

وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وادريس ويقال له الأشقر ويوسف وأمثالهم . اهـ (١).

ويقول الشيخ رحمه الله في رسالته إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو اذ ذاك مقيم في العينه بعد أن بين لهم معنى (لا إله إلا الله) كما سبق - إذا عرفتم ذلك فهو لأ الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل الخرج وغيرهم مشهورون عند الخاص والعام بذلك وأنهم يترشحون له ، ويأمرون به الناس - كلهم كفار مرتدون - عن الإسلام ومن جادل عنهم أو أنكر على من كفرهم ، أوزعم أن فعلهم هذا لو كان باطلا فلا يخرجهم إلى الكفر - فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق لا يقبل خطه ولا شهادته ولا يصلى خلفه، بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم .

ويقرر الشيخ رحمه الله تعالى وجود متصوفة اتحادية فيقول :
وكذلك أيضا من أعظم الناس ضلالا متصوفة في معكال وغيره ، مثل : ولد موسى بن جوعان وسلامة بن مانع وغيرهما يتبعون مذهب ابن عربي وابن الفارض .
وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية ، وهم أغلظ كفرا من اليهود والنصارى ، فكل من لم يدخل في دين محمد ﷺ ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر برىء من الإسلام ، ولا تصح الصلاة خلفه ولا تقبل شهادته .

وبين الشيخ رحمه الله حالة علماء السوء الذين يحتاجون في الله من بعد ما استجيب له - إذا رأوا من يعلم الناس ما أمرهم به محمد ﷺ من شهادة أن لا إله إلا الله - وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد في المخلوقين الصالحين وغيرهم ، قاموا يجادلون ويلبسون على الناس ، ويقولون كيف تكفرون المسلمين؟ كيف تسبون الأموات آل فلان أهل ضيف ، آل فلان أهل كذا وكذا؟ ومرادهم بهذا لئلا يتبين معنى لا إله إلا الله ، ويتبين أن الاعتقاد في الصالحين النفع والضرر ودعاءهم كفر ينقل عن الملة فيقول الناس لهم انكم قبل ذلك جهال ، لأى شىء لم تأمرونا بهذا؟

(١) انظر: نص هذا البيان في روضة ابن غنام ج١/ ١٧٥-١٧٨ ، وتحرير الأسدل لروضة ابن غنام ط ١٣٨١ هـ مط المدني ص ٤٦٧-٤٧١ ، ومجموعة التوحيد ، ط السلفية بمصر ص ٢٥٠-٢٥٣ والدرر السنية ط ٢ ج ٢ ص ٥٨-٦١ . وزيد رضى الله عنه مدفون بنجد ، والزيبر رضى الله عنه مدفون بالبصرة فكان أكثر المعاصرين للشيخ يستغيثون بهما ، وبالجيلاني ، بل في نجد يستغيثون بأناس يدعون إلى عبادة أنفسهم مثل شمسان وادريس ويوسف كما ذكر الشيخ هنا وفي غيره .

وبين الشيخ أن من جهالتهم بمعنى لا إله إلا الله أنهم إذا رأوا من يعلم
الشيوخ والصبيان أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله قالوا: قولوا لهم يتركوا الحرام.

قال الشيخ رحمه الله وهذا من عظيم جهلهم فانهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال
وأما ظلم الشرك فلا يعرفونه - وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وأين
الظلم الذى إذا تكلم الإنسان بكلمة منه ، أو مدح الطواغيت أو جادل عنهم خرج من
الإسلام ولو كان صائها قائما؟ من الظلم الذى لا يخرج من الإسلام بل إما أن يؤدى
إلى صاحبه بالقصاص وإما أن يغفره الله؟ ١. هـ (وقد سجل تحتها عبد الله بن عيسى
فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله وسلم (ﷺ) - يقول العبد الفقير إلى الله
تعالى عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن : إن أول واجب على كل ذكر وأثنى معرفة
شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له - ثم مضى ابن عيسى يقرر شأنها ويدلل
عليها من كتاب الله تعالى ويبحث على معرفتها ويبين حكم من أشرك فيها إلى أن
قال : (فإن الله عباد الله لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله وتلطخ
بالشرك وهو لا يشعر فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم ، فله
الحمد على ما علمنا من دينه ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب) ^(١) إلى أن قال
(وأما الاتحادى ابن عربى صاحب الفصوص المخالف للنصوص وابن الفارض الذى
لدين الله محارب وبالباطل للحق معارض فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير
الرسول سبيلا وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد
المرسلين) إلى قوله (فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره عن الولاية إن
كان ذا ولاية من إمامة أو غيرها فإن صلاته غير صحيحة لا لنفسه ولا لغيره - فإن قال
جاهل أرى عبد الله توه يتكلم فى هذا الأمر فيعلم أنه إنما تبين لى الآن وجوب الجهاد
فى ذلك على وعلى غيرى - لقوله تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ إلى أن قال
(ملة أبيكم إبراهيم) ١. هـ ^(٢).

(١) انظر: الرسالة التى أرسلها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو ذاك مقيم فى
بلد العينية ، وما سجله عليها الشيخ عبد الله بن عيسى قاضى الدعية فى روضة ابن غنام ١/ ص ١٤٥-١٥٠ ،
وفى تحرير الأسد ص ٣٤١-٣٤٨ . وانظر: الدرر السنية ج ٨ ص ٧٠-٧٣ .
(٢) المصدر السابق روضة ابن غنام ص ١٥٠ .

وبيّن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ما عليه أكثر البوادي عنزه وآل ظفير وأمثالهم من عدم إقرارهم بالبعث وعدم اتباعهم كتاب الله وأنهم يقولون: إن كتاب الله عند الحضر وأنهم غايفيه ومتبعون ما أحدث أبأؤهم مما يسمونه الحق، ويفضلونه على شريعة الله وفيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض كسب الشرع أو سب الأذان إذا سمعوه ومع ذلك صرح من يدعى العلم وأنه من العلماء أنه لا يوجد في الجزيرة رجل واحد كافر^(١).

وقد بين الشيخ غلط الكثير في ستة أصول عظيمة من أصول الدين بينها الله تعالى بيانا واضحا للعوام فوق ما يظنه الظانون فقال ما خلاصته:

أولا: إخلاص الدين لله - قد أظهر الشيطان لهم أن الاخلاص تنقص للصالحين وتقصير في حقوقهم وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم.

ثانيا: أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق. . ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وأن الأمر بالاجتماع لا يقوله إلا زنديق أو مجنون.

ثالثا: السمع والطاعة لمن تأمر علينا ولو كان عبدا حبشيا. . ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعى العلم فكيف العمل به؟

رابعا: بيان العلم والعلماء من تشبه بهم وليس منهم. . ثم صار هذا أغرب الأشياء وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل - وأما العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون وصار من أنكره وعاداه وجد في التحذير عنه والنهي عنه هو الفقيه العالم.

خامسا: بيان الله للأولياء وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعدائه المنافقين والفجار. . ثم صار الأمر عند أكثر من يدعى العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشرع إلى أن الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسول ﷺ ومن اتبعه فليس منهم ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم، ولا بد من ترك الإيذان والتقوى، فمن تقيد بالإيذان والتقوى فليس منهم.

(١) انظر: الرسالة التي أرسلها الشيخ إلى محمد بن عيد من مطاوعة ثرمداء في روضة ابن غنام ١٠٧/١ - وفي تحرير الأسد لروضة ابن غنام ٢٨٣-٢٨٩.

سادسا : كشف شبهة الشيطان - وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق الموصوف بكذا وكذا - أوصافا لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر فإن لم يكن الإنسان كذلك فليعرض عنها فرضا حتا لا شك ولا إشكال فيه ومن طلب الهدى منها فهو إما زنديق وإما مجنون لأجل صعوبة فهمهما.

فسبحان الله وبحمده - كم يبين الله سبحانه شرعا وقدر خلقا وأمر في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى بلغت إلى حد الضروريات العامة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)^(١).

وكان بعض الناس في عهد الشيخ يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلا وصفه الشيخ في إحدى رسائله بقوله (إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه، وفر من قسمة الله، مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض، أو يريد أن يحرم نسل البنات إلى أن قال: (ويفتى له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب إلى الله ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله) ووصف الشيخ هذا (بالجنف والاثم) وشدد النكير على فاعله وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه^(٢).

وقدمت هذه النقول التي اخترتها مما كتبه الشيخ نفسه وصدق على بعضها ابن عيسى قاضي الدرعية أمثلة صادقة واضحة لواقع البيئة من حول الشيخ وحال الناس في زمانه (رحمه الله) من دين الله الذي بعث به رسوله محمد بن عبد الله ﷺ .

تصوير ابن غنام للواقع الديني :

ويذكر المؤرخ حسين بن غنام حالة الناس قبيل قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة إلى الإسلام الذي أرسل الله به رسوله محمد بن عبد الله ﷺ - وأورد هنا خلاصة لذلك :

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٩٩-١٠١.

(٢) انظر: فتوى الشيخ في إبطال وقف الجنف والاثم في مؤلفات الشيخ - القسم الخامس، الشخصية رقم ١٢ ص ٧٨-٨٥. وانظر: روضة ابن غنام ١/١٢٤-١٢٩. وانظر: حد الجاسر، المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢.

في مطلع القرن الثاني عشر الهجري كان أكثر الناس قد انهمكوا في الشرك وارتدوا إلى الجاهلية وانطمست بينهم أنوار الإسلام والسنة، لذهاب أهل العلم والبصيرة وغلبة أهل الجهل واستعلاء ذوى الأهواء والضلال - نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال ظانين أنهم أدري بالحق وأعلم بطريق الهدى .

عدلوا عن عبادة الله وحده إلى عبادة الأولياء والصالحين من الأموات والأحياء يستغيثون بهم في النوازل والكوارث، ويقبلون عليهم في الحاجات والرغبات، ويعتقدون النفع والضرر في الجهادات كالأحجار والأشجار، ويعبدون أهل القبور ويصرفون لهم الدعاء والندور في حالتي الضراء والسراء سواء زائدين على مشركي الجاهلية الأولى حيث كانوا إذا مسهم الضر لا يدعون إلا الله مخلصين له الدين - أما إذا نجاهم الله فهم مشركون . لكن هؤلاء أحبوا أوثانهم من دون الله محبة أعظم من محبتهم لله سرت في سويداء قلوبهم وبدت على صفحات وجوههم وألستهم وجوارحهم وبذلوا أعمارهم وحياتهم في دفع الحق ومن يديه - وهذا ليس في قطر دون آخر ولكنه في غالب الأقطار، كما أنه ليس في أول زمن الشيخ فحسب، بل كان بدؤه من قديم حيث التغيير والابتداع والاختلاف بعد زمان رسول الله ﷺ وزمان من بعده، من أهل القرون الفاضلة ثم تعاقبت العصور وتوالت السنين والغني يزداد والضلال ينتشر حتى جاء من اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والبدع لأنهم وجدوا آباءهم وأجدادهم وأسلافهم عليه فقالوا إنا على آثارهم مقتدون .

وقد نص على ذلك كثير من العلماء في كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث وما غير من منار الدين وشعائر الإسلام .

كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، يأتون عند قبر ريد بن الخطاب في الجبيلة فيدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوب، وكان عندهم مشهورا بذلك ومذكورا بقضاء الحوائج .

وكانوا يزعمون أن في قرية في الدرعية قبور بعض الصحابة فعكفوا على عبادتها وصار أهل تربتها أعظم في صدورهم من الله .

وفي شعيب غبراء يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور وهو مكذوب يأتون من المنكر عنده ما لا يعهد مثله .

وكان الرجال والنساء يأتون بليدة القدا لفحل النخل الذى فيها ويفعلون عنده أقبح الأفعال ويتبركون به ويعتقدون فيه ، فكانت المرأة إذا تأخرت عن الزواج تأتية فتضمه بيديها ترجو أن يفرج عنها كرها وتقول: يافحل الفحول أريد زوجا قبل الحول .

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية يتبركون بها ويعلقون الخرق عليها إذا ولدت المرأة ذكرا لعله يسلم من الموت .

وفى أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن امرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت فانطلق لها الغار وأجارها من ذلك سوء فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا إليه .

وكان عندهم رجل يزعمونه من الأولياء اسمه (تاج) سلكوا فيه سبيل الطواغيت ، فصرفوا إليه النذر ، وتوجهوا إليه بالدعاء ، واعتقدوا فيه النفع والضرر ، وكانوا يأتونه لقضاء شؤنهم أفواجا وكان هو يأتى إليهم من بلدة الخرج إلى الدرعية لتحصيل ما تجمع من النذور والخراج وكان أهل البلاد المجاورة يعتقدون فيه اعتقادا عظيما حتى خافه الحكام وهاب أعوانه وحاشيته الناس فلا يتعرضون لهم بما يكرهون ، ويدعون فيه دعاوى فظيعة وينسبون إليه حكايات قبيحة وكانوا لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها - يصدقون ما فيها من مين وزور ، زعموا أنه أعمى وأنه يأتى من بلده الخرج من غير قائد يقوده وغير ذلك من الحكايات والاعتقادات التى ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم ، وأعرضوا عن اخلاص الدعاء لله وحده رب العالمين .

وأما ما يفعل فى الحرم المكى الشريف - زاده الله رفعة وتشريفا - فهو يزيد على غيره كثيرا ففى تلك البقاع المطهرة تأتى جماعات الأعراب من الفسوق والضلال والعصيان ما يملأ القلب أسى وحزنا - فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود ، تظاهر بذلك جم غفير ولم يكن لأهل العلم تغيير ، بل صادموا الحق «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق» .

فمن ذلك : ما يفعل عند قبة أبى طالب ، وهم يعلمون أنه جاكم متعد غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم خراجا فإن أعطى ما أراد انصرف وإلا عاداهم وحاربهم فصاروا يأتون قبره بالساعات والعلامات يستغيثون به عند حلول

المصائب ونزول الكوارث . وكذلك ما يفعل عند قبر المحجوب ، يعظمون أمره ويحذرون سره ويطلبون عنده الشفاعة ومغفرة الذنوب .

وان التجأ سارق أو متعد أو غاصب إلى أحد هذين القبرين لم يتعرض له أحد بما يكره ، ولا يخشى معاقبة - أما ان تعلق جان - مهما تكن جنايته صغيرة - بالكعبة فإنه يسحب منها سحبا لا يرعون للكعبة حرمة .

ومن ذلك أيضا : ما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها في سرف وعند قبر خديجة رضى الله عنها في المعلاة - من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات ، وارتفاع الأصوات عندهما بالدعاء والاستغاثة وتقديم الفدية ، مما لا يسوغ لمسلم أن يبيحه فضلا عن أن يراه قرابة وعبادة .

وكذلك ما يأتونه عند قبر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بالطائف من هذه الأمور التى تشتمز منها نفس الجاهل فكيف بالعالم ؟

يقف عند قبره المكروب والخائف متضرعا مستغيثا في حالة عبوديته ، وينادى أكثر الباعة في الأسواق : « اليوم على الله وعليك يا ابن عباس » ثم يسألونه ويسترزقونه .

وأما ما يفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام من الأمور العظيمة المحرمة - كتعفير الخدود ، والانحناء ، والسجود خضوعا وتذللا ، واتخاذ ذلك القبر عيدا - فهو أعم من أن يخفى ، وأعظم من أن يذكر ، لشهرته وشيوعه . وقد لعن الرسول ﷺ فاعله ، وكفى بذلك زجرا ووعيدا ونهى عما يفعل عنده الآن غالب العلماء ، وغلظوا في ذلك تغليظا شديدا .

ويكل اللسان عن وصف ما يفعل عند قبر حمزة ، وفي البقيع وقبا ، ويعجز القلم عن بيانه مهما يكتفى بذكر القليل منه :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما ما يفعل في جدة فقد عمت به البلوى وبلغ من الضلال والفحش الغاية ، فعندهم قبر طوله ستون ذراعا عليه قبة ، يزعمون أنه قبر حواء ، وضعه بعض الشياطين من قديم وهياه ، فيجى عنده السدنة من الأموال كل سنة ما يكاد أن لا يخطر بالبال ، ولا يدخل إنسان ليسلم على أمه إلا عجل بتقديم الدراهم - وكيف

لا . . أيبخل أحد من اللثام فضلا عن الكرام ، ببذل بعض حطام الدنيا في سبيل الدخول على أمه والسلام عليها .

وعندهم معبد يسمى العلوى ، فاقوا في تعظيمه جميع الخلائق : فلودخل قبره سارق أو غاصب أو قاتل لم يعترضه مؤمن ولا فاسق بمكروه ، ولم يجروا أحد أن يخرج منه ، فمن استجار بترته أجير ، ولم ينله أحد من الحكام بأذى .

وفى سنة ١٢١٠ هـ عشر بعد المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جدة أموالا من تجار الهند والهند القادمين تزيد على سبعين ألف ريال فانكسر بعد أيام وأفلس وتغيرت حاله ولم يبق عنده ما يقابل نصف الذى عليه ، فهرب إلى ذلك المعبد مستجيرا ، فلم يتقدم إليه من الناس شريف ولا وضيع ولا كبير ولا صغير ، وترك بيته وما فيه من مال ومتاع ، ولم يرزأ بقليل ولا كثير ، حتى اجتمع التجار ورأوا أن ينظروه ويسسروا عليه ، وجعلوا المال عليه نجوما في سنين ، وكان بعض أهل الدين من المشيرين بذلك .

وأما ما يجرى في بلدان مصر وصعيدها من الأمور التى ينزه الإنسان عن ذكرها خصوصا عند قبور الصلحاء والعباد ، كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار وروايتها فأكثر من أن يحصى .

فمنها : أنهم يأتون قبر أحمد البدوى وقبور غيره من العباد والزهاد والمشهورين بالخير فيستغيثون ويندبون ويسألونهم المدد ويستحثونهم على كشف المصائب ، ويتداولون بينهم حكايات ، وينسبون إليهم كرامات ، ويحكون في محافلهم خرافات من أفحش المنكرات فيقولون فلان استغاث بفلان - فسارع إلى إغاثته . وفلان شكى لصاحب ذلك القبر حاله فأغاثه وكشف عنه ضره . وفلان شكى إليه حاجته فأزال عنه فقره . وأمثال هذا الهذيان الملىء بالزور والبهتان .

ويصدر هذا الكلام في تلك البلاد وهى مملوءة بالعلماء وذوى التحقيق والعرفان ، ويبقى ذلك المنكر لا يزال بل ربما تنشرح له صدورهم .

وأما ما بفعل في بلدان اليمن من الشرك والفتن ، فأكثر من أن يستقصى - فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادى ، كانوا يغدون عليه جميعا

ويروحون يدعونه ويستغيثون به ، فتأتيه المرأة إذا تعسر حملها أو كانت عقيماً فتقول عنده كلمة عظيمة قيحة - فسيحان من لا يعاجل بالمعاقبة على الذنوب .

وأما أهل برع فعندهم البرعي ، وهو رجل يرحل إلى دعوته كل دان وقاص ، ويؤتى إليه من مسيرة أيام وليال لطلب الاغاثة وشكاية الحال ، ويقيمون عند قبره للزيارة ويتقربون إليه بالذبايح ، كما حقق أخباره من شاهدها .

وأما أهل الهجرية : فعندهم قبر يسمى علوان وقد أقبل عليه العامة في نواحي الزمان واستغاث به منهم كل لهفان ويسميه غوغاؤهم منجى الغارقين ، وأغلب أهل البر والبحر منهم يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به وإن لم يصلوا إلى قبره وينذر له في البر والبحر وعند أهل بلده نذورا تزيد عن الحصر ويفعلون عند قبره الساعات والموائد ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والمفاسد وليس في أقطار اليمن مثله في الاشتهار ، وهم في حضرته أمور يفعلونها تديننا قطعهم أنفسهم بالسكاكين والدبابيس ويقولون وهم يرقصون طربين وقد ملأ الوجد ألبابهم «يا سادتي قلبي بكم معنى» .

وأما حال حضر موت والشجر ويافع وعدن : فقد ثوى فيهم الغى والضلال ، عندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والشرك ما يكفى ذكر مجمله . يقول قائلهم : «شىء الله يا عيدروس . . شىء الله يا محي النفوس» .

وأما بلدان الساحل فعندهم الكثير :

أهل المخا عندهم الشاذلى - أكثرهم يدعوه ويستغيث به ، ولا تفتقر ألسنتهم عن ذكره قعوداً وقياماً ويتتابون تربته وحدانا وجمعا .

وأهل الحديد عندهم الشيخ صديق يعظمونه ويغفلون فيه إلى أنه لا يمكن أحد أن يركب البحر أو ينزل منه إلى البر حتى يجيء إليه ويسلم عليه ويطلب منه الاعانة والمدد فيما أراد .

وأما أهل اللحية فعندهم الزيلعى واسمه عندهم الشمس لأن قبره ليس عليه قبة ، يصرفون إليه جميع النذور ويعظمونه ويدعونه أشد ما يكون ذلك عبادة وضراعة ، ويحكى عنه أهل البادية منهم أنه كان رسولا في حاجة فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلّية للغروب فقال لها قفى فوقفت وسمعت قوله وامثلت فدخل بلده نهرا .

وعندهم قبر رابعة مشهور لا يحلفون يمينا صادقا إلا بها .

وفى أراضى نجران الطامة المعضلة وهو الرئيس المعروف بالسيد فقد أتى أهل نجران وما يليهم من الأعراب والقبائل من تعظيمه والغلو فيه والاعتقاد الشركى ما أفضى بهم إلى الضلال والاحاد، صرفوا له من أنواع العبادة سهما وجعلوا فيه للألوهية قسما حتى كادوا يجعلونه لله ندا وكان عندهم بذلك الحال شهير - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وأما فى حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه فهو مما لا يوقف له على حد ولا يمكن ضبط قدره بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه من العكوف على عبادة القبور وصرف القربان إليها والندور والمجاهرة بالفسوق والفجور وأخذ المكوس واحلال الدستور الوضعى محل الشريعة الربانية وتنظيم عمل البغايا ووضع الخراج عليهن من مهورهن الخبيثة .

وفى الموصل وبلدان الأكراد وما يليها من سائر البلاد وفى العراق عموما وفى المشهد وبغداد خصوصا ما لا يقدر على حصره وتعداده مما يفعل عند قبر الإمام أبى حنيفة ومعروف الكرخى والشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنهم من الدعاء والاستغاثة بهم والطلب منهم فى سائر الأوقات والأزمان - ويحصل من التعظيم والتدلل عندهم والخضوع أعظم مما يصدر بين يدى الله فى الصلاة ، واشتهر عندهم أن كثيرا ممن يفعل ذلك وجرب وجد أنهم لقضاء الحوائج ترياق مجرب .

وأما مشهد علي رضى الله عنه فقد صيرته الرافضة (لعنها الله) وثنا يعبد ، يدعونه بخالص الدعاء من دون الله تعالى ويصلون له فى قبته ويركعون ويسجدون ، وليس فى قلوبهم من تعظيم الله معشار ما فيها لعلي رضى الله عنه - يحلفون بالله الأيمان الكاذبة ولا يخافون ، أما علي فلا يحلف به أحدهم كاذبا أبدا ، ويحزمون أن عنده مفاتيح الغيب . ولهذا يقولون ان زيارته أفضل من سبعين حجة ، ولقد غلوا فيه وأتوا من الشرك أعظم مما فعل النصارى بالمسيح سوى دعوى الولدية ، وزخرفوا على قبره قبة مذهبة .

ومثل ذلك الشرك يفعل عند مشهد الحسين والكاظم .

ولقد شب فيهم على ذلك الكفر الرعاع والأطفال وشابوا عليه ، فلا يسمع بينهم ذكر لله وإنما ديدنهم ذكر علي والحسين وبقية الآل . . . وكفى بما ذكر حجة عليهم فى خروجهم عن الإسلام .

وكذلك جميع قرى الشط والمجرة وما حول البصرة وما توسط فيها من تلك القرب والمجاهد كقبر الحسن البصري والزبير رضى الله عنها يطلبون منها الفرج ويصرفون لها من العبادة الدعاء والاستغاثة عند الشدائد. لا يحدد ذلك إلا مباحث مكابر.

وأما فى القطيف والبحرين: فالبدع الرفضية الشريكية والمجاهد الوثنية التى لا تكاد تخفى على أحد من الناس.

وعلى العموم فإن من رأى أفعال الناس فى بلاد المسلمين مما أشرنا إليه وهو عارف بالإيمان تبين له غربة الإسلام فى ذلك الزمان، وصيرورة الحظوظ الدنيوية والشهوات النفسية غايتهم ومقصدهم وسرهم فى الخلق والابجاد.

وهذا فى الغالب الأكثر وليس عليه جميع المسلمين حيث أن الله تعالى لا يجمع الأمة على ضلالة ولا يعمها بالسفاهة والجهالة كما ثبت ذلك فى صحيح الأخبار عن النبى ﷺ - وكما أخبر أيضا أن فى أمته أناسا لا يزالون يهديه يستمسكون إلى قيام الساعة كما أن أكثرهم فى أزمنة الغربية مخطئون وعن هدى الرسول ﷺ ومنهاجه منحرفون . . . وهذا مما زينه الشيطان واقتضته الطباع الناقصة والنفوس البشرية - حتى ان ذلك يوجد من بعض العلماء المنتسبين إلى أحد المذاهب المتعصين فلا يقبلون من الدين رأيا ولا رواية إلا ما كان لأصحابهم به عمل أو ديانة - فيرفض السنن النبوى واتباعه ولو عرف أن الحق ليس مع مذهبه، وقد يحمله التعصب على الطعن فى الأئمة وثلبهم وكذلك من المتعبدة والمتصوفة من يرى طريقة العلم سفاهة وضلالا ويدعى أن العلماء لم يشربوا من صافى الشريعة ومعينها. كبرت فرية وكذبة من هؤلاء المتصوفة.

وقال ابن غنام: عن الذبح للجن تقربا إليهم - وقصد الذابح أن يبرأ مريضه من شكواه: - «ومن العجب أن ذلك يفعل فى بلدان العارض وغيرها لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله بل منهم من يفتى الجهال بذلك ويقول: اذهبوا على هذا الصبى أو هذا المريض ذبيحة سوداء للجن ولا تسموا عليها وقصده بذلك أن الجن يزيلون ذلك المرض إذا ذبحت لهم تلك الذبيحة. فلما أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلغ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم أن ذلك كفر وردة ينكر ذلك

عليه من يزعم أنه من العلماء فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن . . نعوذ بالله من الطبع على القلب»^(١).

انتهى ما أردت تلخيصه وتحريره من روضة ابن غنام في وصف البيئة التي كانت من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله زمانا ومكانا^(٢).

وصف الشيخ عبد اللطيف غربة الدين :

ومثل ذلك ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في نبذته المفيدة عن حال جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب حين أتى على وصف أهل عصره ومصره وقرر أن غربة الإسلام قد اشتدت بينهم وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية من الجهل والتقليد والاعراض عن السنة والقرآن وقبول أحاديث الكهان والطواغيت، والآثار الموضوعات والحكايات المختلقة والمنامات كما يفعله أهل الجاهلية، وكثير منهم يعتقد النفع والضرر في الأولياء والصالحين والأوثان والأصنام والشياطين والأحجار والجمادات فيستغيثون بهم ويتعلقون ويتبركون بآثارهم وقبورهم في جميع الأوقات حتى نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

واستمر الشيخ عبد اللطيف في وصف البيئة على نحو ما وصف ابن غنام رحمهما الله تعالى^(٣).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في نصيحة للإمام فيصل بن تركي «ومن طاف البلاد وخبر أحوال الناس منذ أزمان متطاولة عرف انحرافهم عن هذا الأصل الأصيل (يعني به معرفة الله بصفات كماله ونعوت جلاله ووصفه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وعبادته وحده لا شريك له والكفر بما سواه من الآلهة والأنداد) وبعدهم عما جاءت به الرسل من التفريع والتأصيل فكل بلد وكل قطر وكل جهة فيما نعلم فيها من الآلهة التي عبدت مع الله بخالص العبادات وقصدت من دونه

(١) روضة . . . ١٣٧/١، ١٣٨.

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام، روضة الأفكار، ج ١ ص ٢٥٥، ١٣٧، ١٣٨. وتحرير الاسد لروضة

ابن غنام، ص ١٩-١٠، وص ٢٠-٢٦.

(٣) انظر: الرسائل والمسائل ج ٣/٣٨١-٣٨٨.

في الرغبات والرهبات ما هو معروف مشهور لا يمكن جحده ولا انكاره، بل وصل بعضهم إلى أن ادعى لمعبوده مشاركة في الربوبية بالعطاء والمنع والتدبيرات، ومن أنكر ذلك عندهم فهو خارجي ينكر الكرامات وكذلك في باب الأسماء والصفات رؤساؤهم وأخبارهم معطلة وكذلك يدينون بالالحاد والتحريفات وهم يظنون أنهم من أهل التنزيل والمعرفة باللغات، ثم إذا نظرت إليهم وسبرتهم في باب العبادات رأيتهم قد شرعوا لأنفسهم شريعة لم تأت بها النبوات. وهذا وصف من يدعى الإسلام منهم في سائر الجهات»^(١).

كلام ابن بشر عن فُشو الشرك :

وقال المؤرخ ابن بشر ما نصه: «وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها الاستعاذة بالجن والذبح لهم. ووضع الطعام لهم وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله. وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر.

والسبب الذي أحدث ذلك في نجد - والله أعلم - أن الأعراب إذا نزلوا في البلدان وقت الثمار وصار معهم رجال ونساء يتطببون ويداؤون، فإذا كان في أحد من أهل البلد مرض أوفى بعض أعضائه أتى أهله إلى متطبية ذلك القطين من البادية فيسألونهم عن دواء علتة فيقولون لهم: اذبحوا له في الموضع الفلاني كذا وكذا، إما خروفا بهيما أسود وإما تيسا أصمغ، وذلك ليحققوا معرفتهم عند هؤلاء الجهلة - ثم يقولون لهم: لا تسموا الله على ذبحه. وأعطوا المريض منه كذا وكذا وكلوا منه كذا وكذا - وتركوا كذا وكذا فربما يشفى الله مريضهم فتنة لهم واستدراجا. وربما يوافق وقت الشفاء، حتى كثر ذلك في الناس وطال عليهم الأمد فوقعوا بهذا السبب في عظام - وليس للناس من ينهاهم عن ذلك فيصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورؤساء البلدان وظلمتهم لا يعرفون إلا ظلم الرعايا والجور والقتال لبعضهم بعضا»^(٢).

(١) الرسائل والمسائل جـ ١٥٧/٣.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ٧، ٦/١.

قول الشيخ ابن باز - عن الحالة الدينية :

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز: «كان أهل نجد قبل دعوة الشيخ على حالة لا يرضاها مؤمن، كان الشرك الأكبر قد انتشر في نجد حتى عبدت القباب والأشجار وعبدت الغيران وعبد من يدعى بالولاية وهو من المعتوهين أو المجانين، واشتهر في نجد السحرة والكهنة وسؤا لهم وتصديقهم وليس هناك منكر إلا من شاء الله وغلب على الناس الاقبال على الدنيا وشهواتها وقل القائم لله والناصر لدين الله . وهكذا في الحرمين الشريفين وفي اليمن اشتهر فيها ذلك الشرك وبناء القباب على القبور ودعاء الأولياء والاستغاثة بهم . وفي اليمن من ذلك ما لا يحصى ما بين قبر وما بين غار وبين شجرة وبين مجذوب ومجنون يدعى من دون الله ويستغاث به مع الله وكذلك مما عرف في نجد واشتهر دعاء الجن والاستغاثة بهم وذبح الذبائح لهم وجعلها في الزوايا من البيوت رجاء نجدتهم وخوف شرهم»^(١).

كلام الشيخ ابن حميد - عن الانحراف الواقع :

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد بعد أن تحدث عن أسباب رؤية الشيخ محمد بن عبد الوهاب للواقع من حوله : «كل ذلك قد أعطاه النظر الفاحص لما عليه قومه وبنو جلدته ومن جاورهم من البلدان من الانحراف عن طريق الإسلام الصحيح يصل في بعض الحالات إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة . فقد رأى في تلك المناطق مرتعا للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين فكان هناك قبور تنسب إلى بعض الصحابة يقصدها الناس ويطلبون منها حاجاتهم ويستغيثون بها لرفع كروهم وقضاء حاجاتهم ولقد وصلت الحال في بعضهم أن اتجهت العوانس من النساء إلى فحل من فحول النخل يرددن بعبارة مسجوعة : (يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الفحول) وكما انتشرت هذه الخرافات في نجد رأى مثلها في الحجاز وفي البصرة والزبير وسمع مثلها في عدن واليمن فوزن هذه الأفعال المنكرة بميزان الوحيين كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وأصحابه المتقين فرآهم في بعد عن منهج الدين وروحه - حيث رأى أنهم لم يعرفوا لماذا بعث الله الرسل؟ ولماذا بعث الله

(١) محمد بن عبد الوهاب، دعوته وسيرته، محاضرة للشيخ عبد العزيز ابن باز، الدار السعودية للنشر،

محمد للناس كافة؟ رآهم غير وأصول الدين وفروعه إلا القليل . . هذه إشارة إلى وضعهم الديني»^(١).

ويذكر الشيخ البسام :

أن بيئة العالم الإسلامي من حول الشيخ محمد «بيئة جاهلة جافية، متقاطعة متباعدة»^(٢).

وصف الأمير الصنعاني - ظهور البدع وطغيان الضلال :

وإذا تجاوزنا علماء الدعوة من نجد والتمسنا ما يقوله العلماء من غيرهم - فإننا نجد الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني يصف ظهور المبتدعات وطغيان الضلال وغربة الدين في قصيدته البائية المشهورة فيقول :

طغى الماء من بحر ابتداع على الورى	فلم تنج منه مركب وركاب
وطوفان نوح كان فى الفلك أهله	فنجاهم والغارقون تباب
فأنى لنا فلك ينجى وليته	يطير بنا عما نراه غراب
وأين إلى أين المطار وكل ما	على ظهرها يأتيك منه عجاب
نسائل من دار الأراضى سياحة	عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كل عن قبائح ما رأى	وليس لأهلها يكون متاب
لأنهم عدوا قبائح فعلهم	محاسن يرجى عندهن ثواب
كقوم عراة فى ذرا مصر ماعلا	على عورة منهم هناك ثياب
يدورون فيها كاشفى عوراتهم	تواتر هذا لا يقال كذاب
يعدون فى مصر من فضلائهم	دعائهم فيما يرون محاب
وفى كل مصر مثل مصر وإنما	لسان ولا يدنو إليه خطاب
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت لها	لكل مسمى والجميع ذئاب
لقد مزقته بعد كل ممزق	ذئاب وما عنه هن ذهاب
	فلم يبق منه جثة واهاب

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته ، للشيخ عبد الله بن حميد مطبوعة ضمن هداية الناسك ومعه مجموعة رسائل الطبعة السابعة ١٣٩٨ هـ ، ص ص ٩١-٩٢ .
(٢) علماء نجد ، خلال ستة قرون ٤٢/١ .

وليس اغتراب الدين إلا كما ترى فهل بعد هذا الاغتراب إياب
فيا غربة هل يرتجى منك أوبة فيجبر من هذا السبعاذ مصاب
فلم يبقى للراجى سلامة دينه سوى عزلة فيها المجلس كتاب
ويعنى بالكتاب القرآن الكريم إلى أن قال يصف موقف أهل الأرض مما حواه
القرآن الكريم :

ولكن سكان البسيطة أصبحوا كأنهم عما حواه غضاب
فلا يطلبون الحق منه وإنما يقولون من يتلوه فهو مثاب
فإن جاءهم فيه الدليل موافقا لما كان للآباء إليه ذهاب
رضوه وإلا قيل هذا مؤول ويركب في التأويل فيه صعب
تراه أسيرا كل حبر يقوده إلى مذهب قد قررته صحاب

هذا ما يصف به الأمير الصنعاني أهل زمانه من بعدهم عن كتاب الله وعدم
رجوعهم إليه ولكن يسخرونه في تقرير مذاهبهم التي جعلوها هي الأصول التي يزنون
بها دينهم أما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففي غربة شديدة في أراضى المسلمين
وبلدانهم وأمصارهم وحل محلها في الظهور والاشتهار المبتدعات والعصبية للمذاهب
المخالفة .

والشيخ الصنعاني معاصر للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وزمانه هو
زمانه - ولقد أثنى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقصيدة مطلعها :
سلام على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدى

وفي هذه القصيدة أيضا بيان صورة صحيحة للبيئة التي كانت في ذلك الزمان
كقوله يتحدث عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويصف ما لاقاه من ضلال الناس :
ويعمر أركان الشريعة هادما مشاهد ضل الناس فيها عن الرشدا
أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وودّ بش ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدايد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل ومستلم الأركان منهن باليد
إلى آخر ما أنشده رحمه الله من هذه القصيدة الجيدة، وقد ذكر انكاره للغلو
الذي اشتمل عليه دلائل الخيرات وقد نهى الرسول ﷺ عن الغلو ولكن الجهال

صيروا دلائل الخيرات أعظم من القرآن ، فأقبلوا على تلاوته هاجرين لكتاب الله القرآن العظيم .

ثم ذكر بدعة التعصب للمذاهب المخالفة للدليل حتى أن من خالفها لدليل من القرآن والسنة يناله من المتعصبين كل الأذى بأنياب الأفاعي والسباع وأسواط الذم والغيبة والجفاء والتنقيص بلا حق ولا ذنب سوى أنه يتابع رسول الله ﷺ في الرد إلى وحي الله المنزل - هذا الذى عده الجهال ذنباً - فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم ذكر بدعة التصوف وطريقة ابن عربى وضلالهم المنتشر إلى أن قال رحمه الله تعالى :

ومن يطلب الانصاف يدلى بحجة وهيئات كل فى الديانة تابع وقد قال قبلهم كل مشرك كذا أصحاب الكتاب تتابعوا وهذا اغتراب الدين فاصبر فاننى إذا ما رأونى عظمونى وإن أغب هذه شهادة من عالم أهل اليمن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى الحسينى .
ومن اليمن أيضا نورد شهادة من أحد علمائها الموثوقين هو العالم المحقق الشيخ حسين بن مهدي النعمي المتوفى سنة ١١٨٧ هـ يصف لنا البيئة وواقع الناس فى زمانه فيقول :

ان ما فشا فى العامة ، ومن امتاز عنهم بالاسم فقط ، هو كون هجّيراهم عند الأموات ومصارع الرفات : دعاؤهم والاستغاثة بهم ، والعكوف حول أجداثهم ورفع الأصوات بالخوار ، واطهار الفاقة والاضطرار ، واللجأ فى ظلمات البحر ، والتظام أمواجه الكبار ، والسفر نحوها بالأزواج والأطفال . والله قد علم ما فى طي ذلك كله من قبيح الخلائق والأفعال ، وارتكاب ما نهى الله عنه واضاعة حقوق ذى العزة والجلال ، والالتجاء المحقق إلى سكان المقابر فى فتح أرحام العقام ، وتزويج الأرامل والأيامى من الأنام واستنزال السحائب والأمطار واستمache المآرب والأوطار ، ودفع المحاذير من المكاره والشدائد ، والاتاحة بأبوابها لنيل ما يرام من الحوائج والمقاصد وبالجملة : فأتى مطلب أو مهرب .

(١) ديوان الصنعانى ص ١٨-٢٢ ، ص ١٢٨-١٣٣ .

ترى هنالك ربع المشهد مأهولا ، وقد قطعت إليه المهامه وعورا وسهولا والنداء لساكنه : أن يمنح أويريح ، والتأدب والخضوع والتوقير والرغبة ، ومشاعر الرهبة . وينضاف إلى ذلك - خصوصا في الزيارات في الأعياد والموالد - نحر الأنعام ، وترك الصلاة وصنوف الملاهى ، وأنواع المعاصى للمليك العلام ، وكثيرون لا طمع في حصرهم ، ولعلمهم العموم ، إلا من شاء الله : ان لم تلد زوجة أحدهم أو طال مرض مريض منهم ، أو صاب امرأة التوق إلى النكاح ، أو قحطت الأرض ، أو دهمهم نازل من عدو ، أو جراد أو غيرهما أو راموا أمرا عناهم تحصيله . فالولي في كل ذلك نصب العين ، وإذا جرى المقدور بنفع أو دفع ضرر ، أو حصول مكروه كان المركز في عقيدتهم التي لا يتحولون عنها : أن ذلك ثمرة الاستغاثة به ، والابانة إليه في الأولين . ودليل ضعف الاعتقاد ، أو اختلال شرط من المنيب أو نحوهما في الثالث . فصار مدار التصرف والحصول له خاصة ، أو مع الله في شيء دون شيء .

وحاصل معتقدتهم : أن للولي اليد الطولى في الملك والملكوت . كما سيأتى تحقيق هذا وشرح وقوعه في أفعال من على هذه العقيدة ، وذكر ألفاظهم مبينة مفسرة مصرحة بما حكيناه عنهم ، وانهم قد ذهبوا هذا المذهب المشروح آنفا في سكان التراب ، وانزلوهم هذه المنزلة المحكية من مساواة رب الأرباب وقد سردنا بعضها للبيان ولئلا يتمكن الخصم من جحود ، أو يقدر على مدافعة ، وليعرف كل سامع لما نمليه : أن القائل «بأن العوام قد يقع منهم عبارات موهمة ، وقصارى أمرهم : التوسل» اما غالط أو خالط ، أو جاهل للدين . وإلا فما بعد هذا؟

ثم مضى يشرح افراد وقائع هذا الشرك وذكر ألفاظهم الصريحة في مقارفة الشرك والاعتقاد في المقبورين إلى أن قال :

«وشاهد هذا ظاهرة في حالاتهم تلك . بحيث أن جماهير من العامة لا يحصون في أقاليم واسعة وأقطار متباعدة ، ونواحي متباينة ، لما كانوا قد نشأوا لا يعرفون إلا ما وجدوا عليه من قبلهم من الآباء والشيوخ من هذه العقائد الوثنية والمفاسد . فتجدهم إذا شكى أحدهم على الآخر نازلة نزلت ، فلعله لا يخطر له في بال ، إلا : هل قد ذهبت إلى الولي ؟ وقد يضرب له الأمثال بأن فلانا كان أمره كذا ، وفلانا كان أمره كذا ، حتى أنسوا بهذا الباب أكثر مما يصفه الواصف ، ويقدر أنسهم به تناسوا ما رسمه لهم الرسول الحكيم الناصح الأمين ، وجهلوه بالمرة ، وانطمست لديهم معالمه .

وبعضهم قد يعرف شيئا من ذلك ولكنه يؤثر عليه ما ذكر: إما لعدم وثوقه بذلك وإما لغلبة انفعال نفسه لخاطر السوء، وإما لسلطان العادات والتقليد، وبعضهم - وهو أقلهم كفرا - يجعل البابين محلا صالحا مدخلا للدفع والنفع، حتى أنا شاهدنا ما لا يحصى قدره الآن: إذا سقطت دابة أحدهم، أو عثر هو أو بغتته حادثة من هذا القبيل: نادى ببديهة الحس: يا هادياه يا ابن علوان، يا جيلانى .

ويقول: ومن عجيب ما أتته العامة من طرائف هذا الباب وغرائب الفاحشة، التى زعم ذلك المخادع القائل «انها مجرد توسل وعبرة موهمة» ما شاهدناه بالمعاينة مكتوبا على راية مشهد من المشاهد «هذه راية البحر التيار. فلان بن فلان، به أستغيث وأستجير، وبه أعوذ من النار» وإلى هذا اللفظ زيادة تركتها، لأننى لا استبثتها الآن. وهى من هذا النمط المستطرف .

ومن عجيب طرائفهم فى هذا الباب: قول بعضهم من قصيدة. وهى شئ يقشعر منه الجلد، وإنها حكيناها لما زعم شيوخهم المخادعون: انها عبارة موهمة بمنزلة لغو اليمين .

يا سيدى يا صفى الدين يا سنى	يا عمدتى ، بل ويا ذخرى ومفتخرى
أنت الملاذ لما اخشى ضرورته	وأنت لى ملجأ من حادث الدهر
امدد بمواد اللطف منك، وكن	لى الكفيل بكشف الضر ونيل الظفر
وامنن على بتوفيق وعافية	وخير خاتمة مهما انقضى عمرى
وكف عنا اكف الظالمين إذا	امتدت بسوء وامر مؤلم نكر
فاني عبيدك الراجي لودك ما	آمله يا صفى السادة الغرر
وقد مددت يد الرجوى على ثقة	منى لنيل الذى املت من وطرى
انتهى المراد نقله منها .	

فلا ندرى: أى معنى اختص به الخالق بعد هذه المنزلة من كيفية مطلب أو تحصيل مأرب؟ وماذا أبقي هذا المشرك الخبيث لخالقه من الأمر؟ فإن كان هذا، أو ما يعطى شيئا منه «عبارة موهمة بمنزلة لغو اليمين» فعلى السفسطة السلام .

فإن المشركين أهل الأوثان ما يؤهلون كل ما عبده من دون الله لشئ من هذا ولا لما هو أقل منه، كما سنشرح لك حالهم إن شاء الله تعالى^(١).

(١) انظر: معارج الأبواب فى مناهج الحق والصواب ص ص ١٨٥-١٨٩ فقد شرح حالهم فى ذلك الموضع .

ومن غرائب شرك العامة في هذا الباب : ما حدثنا به الثقات الاثبات عن حى من الأعراب ، حضرت أحدهم الوفاة ، فقيل له : قل لا إله إلا الله . فقال : أين الله ؟ قل : ياعمراه . كذا حدث أولئك ذلك سيد الحيّ بمجمع من أهل المحل ، على وجه اليقين المشهور عندهم .

وه : ذلك : أن حينا من أهل البوادي إذا أرسلوا أنعامهم للمرعى . قالوا : في حفظك يا فلان ، يعنون ساكن مشهدهم ، وإنهم إذا أرادوا السفر إلى جهة استأذنوه والعمل في الجواب على سادن المشهد ، حتى انه إذا اشتد المرض برجل من العامة شد رحاله إلى قبر الولي يستجير به ، أو عنده من الموت .

ومن ذلك : أن امرأة كف بصرها ، ومات ولدها ، فنادت وليها : أما الله فقد صنع ما ترى ، ولم يبق إلا حسبك في .

ومن ذلك : وهو من أشهر عجائبهم المعلومة ، في نواحي من البلدان - شراؤهم الأولاد - بزعمهم - من الولي بشيء معين ، فيبقى ثمنه رسما جاريا ، يؤدي كل عام لصندوق الولي ، وإن كانت امرأة ، فمهرها له ، أو نصف مهرها ، إذ هي مشتراة منه ولعله يفقد شيء من هذا في بعض النواحي ، فكم له من أخوات عند التصفح .

ومن ذلك - وهو من طرائفهم الشهيرة أيضا - ترك أشجار ومراع حول المشهد ، لمكان قريبها منه ، مع الحاجة الشديدة إليها . فتبقى على عمر الأزمان سائبة .

ومن عجائبهم : ما حدث به جمع من أهل الدين : أنه وقع في زيارة بعض المشاهد اجتماع خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال . فكان هناك من القبائح ما منه السجود للمعتقد .

شاهد ذلك الجمع ما ذكر عيانا . فلعل هذا : «عبارة موهمة ، بمنزلة اللغو في اليمين» !

ثم يقول : ولو كان المتكلم بهذا في غير مكة - شرفها الله تعالى - لجوزنا : أنه لم يبلغه ، ولم ير شيئا من هذه الضروب التي سردناها ، أو نظائرها .

ومن ذلك - وهو من غرائب الانحلال من الدين - أن جماعة من العامة خرجوا من مسجد بجوار مشهد ، بعد أن صلوا فريضة من المكتوبات . فدخلوا المشهد . فرفعوا وضموا ، وركعوا إلى جدار القفص .

ومن ذلك - وهو أيضا من طرائف ما يحكى - أن رجلا سأل من فيه مسكة من عقل فقال: كيف رأيت الجمع لزيارة الشيخ؟ فأجابه: لم أر أكثر منه، إلا في جبال عرفات إلا أنى لم أرهم سجدوا لله سجدة قط، ولا صلوا مدة الثلاثة الأيام فريضة. فقال السائل: قد تحملها عنهم الشيخ.

قلت: وباب «قد تحمل عنهم الشيخ» مصراعه ما بين بصرى وعدن، قد اتسع خرقة وتتابع فتقه، ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد، وساكن البلد والمشهد، وهو أمر شهير في العامة، ولعل هذا عند هذا المخادع الخائن لنفسه وللناس «عبارة موهمة» كما قال.

فقل لى: أى ملة - صان الله ملة الإسلام - لا يمانعها كل ذلك، ولا يدافعها؟ قلت: ولقد أذكرنى هذا ما سمعت بعض الأفاضل يحدث به: أن رجلين قصدا الطائف من مكة المشرفة، وأحدهما يزعم: أنه من أهل العلم، فقال له رفيقه - ببديهة الفطرة -: أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس. فأجابه: بأن معرفتهم لابن عباس كافية. لأنه يعرف الله.

ويضاھيها: ما حكاه لنا بعض من جاور بالبلد الحرام: أن رجلا كان ببعض المشاهد بمكة، فقال لمن عنده: أريد الذهاب إلى الطواف. فقال له بعض كبرائها: مقامك هنا أكرم.

وما شئت بهذا الطغيان المجاوز، وبالله لو ذهبنا ننقب عما يحادون الله به من هذه الجهالات، وما يجترىء عليه السفهاء هنالك. لحصلنا على ما يفوت الطاقة ضبطه الا تكلفا - إن كان - وفي الناس من يخالف الله، ويستحى من معارضة الكتاب والسنة بالساجدة والقحة، وفي الناس من يتحاشى عن الافراط - وإذا لم تستح فاصنع ما شئت.

ويقول: ومن طريف أخبارهم: أن منهم من يمرض، فيلازم المشهد، يستجير به من ذلك المرض، ويتوصل إلى زوال ما به من الداء الذى أضناه، وخصوصا إذا كان من نوع المانِيخوليا، أو أمراض العقل - قائلا بلسان الحال والمقال أيضا (وإذا مرضت فهو يشفين).

يقول: ومنهم من يمكث في المشهد أياما محبوسا بلا صلاة قط، زاعما أنه في حبس الولي وقيده، ولا يطلقه إلا لحاجته، وما فى عقله الذى تقوم به الحجة عليه

اختلال وإنما فسدت فطرة الأغلف بطاريء العوائد ، حتى كأنه لا يعقل ومن طريف أقوالهم في أوليائهم : أنه يضرب من تظلم منه ، أو شكى به إليه - بصيغة المبني للمفعول فيهما - ويعزل الوالى إذا لم يزره ، ويهب الولد إذا جومعت المرأة عند مشهده ، ويسلب السلاح ويقيد ويفك الأسرى والمحبسّين ، ويهدى الضالين ويحجر القوم ، ويترك بنادقهم قصبا ، وعاقلهم خنثى ، لا أنثى ولا ذكر ، ويعاقب من أخذ من ضريحه ورقة للتبرك بها في الحال ، حتى صار في بعض الجهات : ان المرأة لا تدخل عند زوجها ، حتى تزور الولي - وأن رجلا زعم أن وليا نبه عليه في النوم : أن يبنى عليه قبة - قال : فبنيت خوفا منه .

قلت : وباب تنبيه الأموات - أى باضافة تنبيه إلى فاعله - كباب «تحمل الشيخ الصلاة وغيرها» في السعة والشيوع . والله يغلقها كلها بنصر دينه .

ومن عجيب أمرهم : ان امرأة جاءت قبرا - فجعلت تقول : ياسيدى بعت ما لي ورحلت إليك من مسافة كذا ، سألتك بالله أن تشفى ولدى فانى جارة الله وجارتك .

ويقول : ان القوم سحبت عليهم العادات والخيالات ، وتعفى في قلوبهم رسوم الفطر والأديان ، وجر الشيطان أذياله عليها . ما هم بالمحل الذى يزعمه لهم الخاطبون .

ومن أذيال مصيبة المشاهد - التى أصيب بها الإسلام وشعائرها - ما ظهر وانتشر في العامة في جهات كثيرة . كما هو معلوم مشاهد : أن المساجد ربما تكون متروكة مهجورة وفيها من التراب والعيدان والأوساخ ، وزبل الأنعام ، وحراق التمباك وغير ذلك ما يجعلها مزابل ومشاهد الأموات : محترمة مكرمة ، مجمرة بالظفر والعطور ، مفروشة بالسجاد الفاخر وعلى القبور ستور الحرير الثمينة ، وبها الشمعدانات الفضية ما جعلها مرعية مقامة متحامة .

وسرد أشياء كثيرة إلى أن قال : فهذه قطرة سردناها ليعلم الأغبياء ما صار عليه الحال مما لا يحصى كثرة ، وجميع سكان البسيطة - إلا من أنقذ الله - قد مسهم هذا المرض المضني ، وعمهم هذا الداء العضال ، وان تفاوتوا في الايغال والاغراق في هذه الضلالة ، فكل - إلا من شاء الله - قد أخذ بحظه ، وشارك في أصل المعنى ، من تعليق أمرهم بسكان القبور في جملة أمرهم ، وأما تفاصيلها : فغير مقدورة ، فلقد

أحيوا هذه المشاهد بالتردد والدعاء، والنداء والعكوف، والمثول والتأدب، والتوقير والخضوع مما لا يحصل بعضه في بيوت الله والصلاة المكتوبة، إلا ما لا نسبة بينه وبين ما في عرصات المشاهد، بحيث يتتابها ويهبط إليها ويسمح بالبذل الكثير لها، ويضيع لأجلها ولده وأهله.

وكثير من الناس لا يقوم في حق الله تعالى برائحة من ذلك. ولا يعرف الصلاة ولا المساجد، وهو اللائق بمن سلك تلك السبيل، ثم يتكلمون بما يناسب حالاتهم هذه، من مثل: أكرمنا الشيخ، أو بين لنا إشارة، أو حصل لنا ما نطلب، ونجانا مما نهرب، وشفى مريضنا، وأنزل الغيث لنا، إذ قصدناه وسألناه. ويقول: هذا مذهب عامة المقابرين.

ويقول: وأما الحاذقون بها - فهل أتتكم أنباؤهم؟ انهم يقولون: هؤلاء المقربون هم المخصوصون من الله بالإمداد والملقى إليهم مقاليد التصرف والتصرف في عالم الابداع ومن حبي بهذه الحبة بذلنا له محض التأليه والصبوة، وما سألناه ودعوانه إلا امراً مكن منه، وصُرف فيه، ووُلِّي نظره وتديره بولاية عامة تمكينية.

فالسؤال والاستغاثة، وما هو من واديهما هو من ذى أهلية تامة قائمة صالحة لتأهيلنا إياها جميع ما أنكر منا من معاملتها.

والواقف بنا على مجرد التوسل فقط - كما قيل أيضاً على عامتنا - هو في القضية عامي، أو واهم وللحقيقة التي نحن بها غير محقق ولا فاهم. انتهى.

«فهذه الدسيسة هي - فيما علمنا - روح البحث - وسر المسألة عند حذاقهم السابقين في الصناعة. وقد شافهني بذلك أحد خواصهم الموسومين بالفقه والفتنة في هذا الباب زعماً منه أنه قد امتطى صهوة التحقيق، وارتقى ذروة التدقيق. أترى هذا من محاسن الكلام؟ ألا تقول: برأ الله عنه ملة الإسلام، وقدسها عن ضر هذا العار والملام؟»

ثم يقول: وإذا فقهت هذا: انتقلت منه - إن شاء الله تعالى - إلى فهم ما يؤثر عن قوم ممن يدعى المحبة والقرب والولاية، ودعاوهم الطويلة العريضة المشروحة في مؤلفاتهم ومنظومهم ومثورهم.

ومن شرح عنهم بعضاً مما أشرنا إليه ما نقله تقي الدين الفاسي في تاريخ مكة، والمحقق الأهدل في شرح دعاء أبي حرب، وقبله القاضي إسماعيل بن أبي بكر المقرئ

الشاورى الشرحى الزيدى الشافعى ، وقصيدته الرائية مشهورة فى هذا المعنى . وغير ما ذكرنا أيضا كثير يفوت حصرهم .

ويقول : ولقد سمعنا فى هذا المقام حكاية شنيعة ، وهى : ان بعض كبراء الصوفية ركب البحر ومعه مريده ، فهاجت ريح خيف منها . فجعل الأستاذ يقول : يا الله فطفق المريد يقول كذلك . فكاد يغرق . فأشار إليه الأستاذ أن يهتف باسمه ففعل فنجا . وهى مشهورة عند كثير من الناس ، ولا أعرف الآن موضعها فأنقلها بصفتها^(١) .

ويقول : ان هذا شىء لا يختص به الواحد والاثنان ، ولا البلدة ولا البلدتان . ولا القطر ولا القطران ، بل عم أمر المشاهد وعبادة الأموات البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، حتى آل الأمر إلى أن عاد غصن الشوك غصنا طريا ، وبلغنا من ذلك الكثير ، الذى لا تحويه السطور ، سوى ما سمعناه وشاهدناه . ونحن ببلد أقل شىء فيها هذا القبيل بحمد الله - بل لكاد يلتحق بالمعدوم بالنظر إلى ما سواها ، وإلا فمن سكن بفرس ، والمخا ، وصعده وغيرها من قطرنا هذا خاصة ، كيف سواه ؟ رأى العجب ، ان كان قلبه حيا .

وبالجملة : فأمر العامة فى هذا النحو غريب بالنسبة إلى الإسلام ، فان كل من عرف الحقيقة ، ونظر إلى ما صاروا إليه من ذلك : وجد المضادة لله وتوحيده فاشية فى كثير من أفعالهم وأقوالهم ، وتقلبهم وتصرفاتهم . والطمع فى حصره طمع فى محال ، كضبط الريح والبحر ، وهو ظاهر شهير على رؤوس الخلائق .

وإنما جهل قدره ومنافاته ، لما دعت إليه الرسل ، لما تعفت رسوم شرعهم عند الأكثرين ولأنسهم بكثير من أضدادها ، وبضدها تتبين الأشياء .

ويقول : «وما سقنا هذه الكلمات عن العامة إلا على سبيل المثال» . ويذكر أن

(١) وقال محمد حامد الفقى : نقلها الشعرانى فى الطبقات عن الحنفى الذى ضمه بمصر وأنه كان يذهب كل يوم بعد العصر ، فيجتاز النيل من الشاطئ الشرقى إلى الغربى مشيا على الماء هو وتلاميذه . ويقول لهم : قولوا : يا حنفى . فقال واحد منهم يا الله : فغرق . فأخرجه الحنفى وأنبه على أن دعا الله (نفس المرجع ص ١٢٤ هامش) .

هذا واقع وكثير جدا في البلدان الإسلامية - وتركت شيئا كثيرا وهاما من وصفه
وأخباره ختشية الاطالة واحيل عليه^(١).

وهذه شهادة ثالثة من عالم آخر هو الإمام الشوكاني المشهور، من أهل اليمن،
ومن أعلام أهل السنة الموثوقين نقتطفها من مؤلفاته كمؤلفه: «كتاب الدر النضيد في
إخلاص كلمة التوحيد» يقرر وجود المعتقدين في الولي والقبر والمشهد ممن ينسب إلى
الإسلام ويزعم انه من المسلمين، وأن هذا هو الشرك بالله لأن الشرك هو أن يفعل
لغير الله شيئا يختص به سبحانه سواء اطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه الجاهلية أو
أطلق عليه اسما آخر^(٢).

ويقول: «ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجرا أو شجرا
أو ملكا أو شيطانا كما كان يفعل ذلك أهل الجاهلية. وبين أن يكون إنسانا من الأحياء
أو الأموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين، وكل عالم يعلم هذا ويقربه فان العلة
واحدة، وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجهاد
وللحي كما يكون للميت».

إلى أن قال: «وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها
واعتقاد أنها تضر وتنفع، فالاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات
بجزء من أموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور فإنهم قد عظموها إلى حد
لا يكون إلا لله سبحانه بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من
يعتقده أو قريبا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان في
حرم الله أو في مسجد من المساجد أو قريبا من ذلك، وربما حلف بعض غلاتهم بالله
كاذبا ولم يحلف بالميت الذي يعتقدونه».

وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع فلولا اشتغال ضيائهم على هذا الاعتقاد لم يدع
أحد منهم ميتا أو حيا عند استجلابه لنفع أو استدفاعه لضرر قائلا يا فلان افعل لي كذا
وكذا وعلى الله وعليك وأنا بالله وبك.

وأما التقرب للأموات فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير

(١) انظر: معارج الأبواب في مناهج الحق والصواب، تأليف العلامة المحقق حسين بن مهدي النعمي،
ص ص ١٦٩-١٨٥.

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ص ١٨.

من المحلات ولوطلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل ، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء .

(فإن قلت) إن هؤلاء القبوريين يعتقدون أن الله تعالى هو الضار النافع والخير والشر بيده ، وإن استغاثوا بالأموات قصدوا إنجاز ما يطلبونه من الله سبحانه (قلت) وهكذا كانت الجاهلية فإنهم كانوا يعلمون أن الله هو الضار النافع وأن الخير والشر بيده وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز ، نعم إذا لم يحصل من المسلم إلا مجرد التوسل الذى قدمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقاً^(١) ولكن من زعم أنه لم يقع منه إلا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده فى أحد من المخلوقين وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب إلى الأموات بالذبائح والنذور وناداهم مستغيثاً بهم عند الحاجة فهذا كاذب فى دعواه أنه متوسل فقط فلو كان الأمر كما زعمه لم يقع منه شيء من ذلك والمتوسل به لا يحتاج إلى رشوة بنذر أو ذبح ولا تعظيم ولا اعتقاد لأن المدعو هو الله سبحانه وهو أيضاً المجيب ولا تأثير لمن وقع به التوسل قط بل هو بمنزلة التوسل بالعمل الصالح^(٢) فأى جدوى فى رشوة من قد صار تحت أطباق الثرى بشيء من ذلك وهل هذا إلا فعل من يعتقد التأثير اشتراكاً أو استقلالاً . ولا أعدل من شهادة أفعال جوارح الإنسان على بطلان ما ينطق به لسانه من الدعاوى الباطلة العاطلة ، بل من زعم أنه لم يحصل منه إلا مجرد التوسل وهو يقول بلسانه يا فلان منادياً لمن يعتقد من الأموات فهو كاذب على نفسه ومن أنكر حصول النداء للأموات والاستغاثة بهم استقلالاً فليخبرنا ما معنى ما نسمعه فى الأقطار اليمنية من قولهم يا ابن العجيل يازيلعى . يا ابن علوان . يا فلان وهل ينكر هذا منكر أو يشك فيه شاك؟ وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم ، ففى كل قرية ميت يعتقد أهلها وينادونه وفى كل مدينة جماعة منهم حتى أنهم فى حرم الله ينادون يا ابن عباس . يا محبوب . فما ظنك بغير ذلك - فلقد تلطف إبليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الإسلامية بلطفة تزلزل الأقدام عن الإسلام . . . فإننا لله وإنا إليه راجعون .

(١) الإمام الشوكانى ، هنا يخالف جمهور السلف الصالح ، فيجيز التوسل بذوات الصالحين . والصواب عدم جوازه ، كما عليه الجمهور . (انظر: مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث الفتاوى رقم ١٤ ص ص ٦٨-٦٩ .

وبعد أن يقرر الإمام الشوكاني أن ما يفعله القبوريون من الدعاء والاستغاثة والتقرب بأنواع القرب إلى غير الله تعالى من الأموات وغيرهم انه هو الشرك . ولا يتفطن له أهل العلم لا لكونه خفيا في نفسه ، بل لاطباق الجمهور على هذا الأمر ، وكونه قد شاب عليه الكبير ، وشب عليه الصغير ، وهو يرى ذلك ويسمعه ولا يرى ولا يسمع من ينكره ، بل ربما يسمع من يرغب فيه ، ويندب الناس إليه ، وينضم إلى ذلك ما يظهره الشيطان للناس ، من قضاء حوائج من قصد بعض الأموات الذين لهم شهرة ، وللعامة فيهم اعتقاد ، وربما يقف جماعة من المحتالين على قبر ويجلبون الناس بأكاذيب يحكونها عن ذلك الميت ليستجلبوا منهم النذور ، ويستدروا منهم الأرزاق ، ويقتنصوا النحائر ويستخرجوا من عوام الناس ما يعود عليهم وعلى من يعولونه ، ويجعلون ذلك مكسبا ومعاشا وربما يهولون على الزائر لذلك الميت بتهويلات ويجعلون قبره بما يعظم في عين الواصلين ويوقدون في المشهد الشموع ويوقدون فيه الأطياب ، ويجعلون لزيارته مواسم مخصوصة يتجمع فيها الجمع الجم فيبهز الزائر ويرى ما يملأ عينه وسمعه من ضجيج الخلق وازدحامهم وتكالبهم على القرب من الميت والتمسح بأحجار قبره وأعواده والاستغاثة به والالتجاء إليه وسؤاله قضاء الحاجات ونجاح الطلبات مع خضوعهم واستكانتهم وتقريبهم إليه نفائس الأموال ونحرمهم أصناف النحائر فبمجموع هذه الأمور مع تطاول الأزمنة وانقراض القرن بعد القرن يظن الإنسان في مبادئ عمره وأوائل أيامه أن ذلك من أعظم القربات وأفضل الطاعات ثم لا ينفعه ما تعلمه من العلم بعد ذلك بل يذهل عن كل حجة شرعية تدل على أن هذا هو الشرك بعينه وإذا سمع من يقول ذلك أنكره ونبا عنه سمعه وضاق به ذرعه لأنه لا يبعد كل البعد أن ينقل ذهنه دفعة واحدة في وقت واحد عن شيء يعتقد من أعظم الطاعات إلى كونه من أقبح المقبحات وأكبر المحرمات مع كونه قد درج عليه الأسلاف ودب فيه الأخلاف وتعاودته العصور ، وتناوبته الدهور ، وهكذا كل شيء يقلد الناس أسلافهم ويحكمون العادات والتقاليد المستمرة ، وهذه الذريعة الشيطانية والوسيلة الطاغوتية ، بقي الشرك من الجاهلية على شركه ، واليهودي على يهوديته ، والنصراني على نصرانيته ، والمبتدع على بدعته ، وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وتبدلت الأمة بكثير المسائل الشرعية غيرها ، وألفوا ذلك ومرنت عليه نفوسهم ، وقبلته قلوبهم وأنسوا إليه حتى لو أراد من يتصدى للارشاد أن يحملهم على المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدلوا بها غيرها لنفروا عن ذلك ولم تقبله طبائعهم ، ونالوا ذلك المرشد بكل المكروه ، ومزقوا عرضه بكل لسان ، وهكذا كثير

موجود في كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم في غفلة^(١).

ويقول : حافظ وهبه

كانت نجد - من الوجهة الدينية - كسائر الأمصار الأخرى : مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة . فقد كان كثير من القبور التي تنسب إلى الصحابة يحج الناس إليها . ويطلبون منها حاجاتهم ، ويتوسلون بالمقبورين إلى دفع كربهم فكانوا في الجيلة يؤمون قبر زيد بن الخطاب لتحسين حالهم وإجابة ملتسمهم كما كان أهل الدرعية التي صارت فيما بعد معقل التوحيد ومقر حكم آل سعود - يضرعون إلى مثل هذه القبور لمثل هذه الأغراض . وأغرب من ذلك توسلهم بفحل النخل في بلدة (منفوحة) واعتقادهم أن من تؤمه من العوانس تتزوج لعامها . فكانت من تقصده تقول (يا فحل الفحول ، أريد زوجاً قبل الحول) وكان في الدرعية غاريقدسونه ويزعمون أنه كان ملجأً لأحدى بنات الأمير التي فرت هاربة من تعذيب بعض الطغاة واتخذت في أحد الجبال الصخرية مأوى لها فانشق لها الكهف بمعجزة لتأوى إليه .

فهذه الروايات تكشف عما كانت عليه نجد من العقيدة الدينية الفاسدة .
ومن حيث السياسة : فقد كانت ولايات العرب منقسمة إلى ولايات عديدة ، يحكم كل واحدة منها أمير لا تربطه وجاره أية رابطة .

ومن أشهر هؤلاء الأمراء بنو خالد في الأحساء ، وآل معمر في العينية ، والأشراف في الحجاز ، وآل سعود في الدرعية ، والسعدون فيما بين النهرين ، وغيرهم . وقد كان سكان بلاد العرب ، وهم الحضر - في حروب دائمة مع البدو وسكان البادية وكذلك الأمراء على قدم الاستعداد عندما تسنح الفرص للتعدى على جيرانهم إذا بدا من هؤلاء الجيران ضعف أو عدم استعداد .
أما من حيث الأحكام : فلم يكن هناك قانون أو شريعة إلا ما قضت به أهواء الأمراء وعمالهم^(٢) .

(١) كتاب الدر النفيد في اخلاص كلمة التوحيد ص ١٨-٢٠ ، ص ٢٦-٢٩ .

(٢) جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٣١٩-٣٢٠ .

وإذا ما تجاوزنا أمثال هؤلاء من علماء المسلمين فاننا نجد ما يقوله المنصفون من غيرهم مطابقا لهذه الأقوال الصادقة في وصف البيئة من حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والتي أسلفنا أمثلتها ، ونسوق فيما يلي مثالا لأقوال المنصفين ، هو ما يقوله لوثرروب ستودارد الأمريكي ، في كتابه «حاضر العالم الإسلامي» بترجمة الأستاذ عجاج نويهض ، وتعليقات شكيب أرسلان ، ففي الجزء الأول في الفصل الأول تحت عنوان : «اليقظة الإسلامية» ما نصه : «في القرن الثامن عشر الميلادي ، كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، ومن التدنى والانحطاط ، أعظم دركة ، فأربد جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربي ، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات ، وماتت الفضيلة في الناس وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال ، فليس يرى في العالم الإسلامي ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين ، كسلطان تركيا . . . الخ .

إلى أن قال : «وأما الدين فقد غشيت غاشية سوداء فالبست الوحداية التي علمها صاحب الرسالة ، سجفا من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد من الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين ، يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التائم والتعاويز والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبون في الحج إلى قبور الأولياء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور وغابت عن الناس فضائل القرآن ، فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام ، فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي^(١) على من استطاعه ضربا من المستهزات ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ، ورأى ما كان يدهي الإسلام لغضب ، وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يلعن المرتدون وعبداء الأوثان» ا - هـ .

(١) هكذا قال الكاتب الأمريكي ! والحقيقة : أن الحج فرضه الله تعالى ورسوله ﷺ .

وعند ذلك علق الأمير شكيب أرسلان على وصفه هذا للعالم الإسلامي بقوله: «لو أن فيلسوفا نقرىسا من فلاسفة الإسلام أو مؤرخا عبقرىا بصيرا بجميع أمراضه الاجتماعية، أراد تشخيص حالته فى هذه القرون الأخيرة، ما أمكنه أن يصيب المحز، وأن يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب الأمريكى ستودارد»^(١).

إقرار خصوم الشيخ بالانحراف :

ثم إذا التفتنا إلى غير المنصفين نجد أن خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ممن يزعمون أنهم علماء لا ينكرون حالة الناس الدينية السيئة ولا السياسية، ولا ينكرون وجود القباب على القبور، ووجود تقديس أشجار وأحجار وغيران ونحوها، ووجود أولياء مزعومين، ووجود من يدعو مثل ذلك من دون الله وينذرله ويذبح ويتقرب إليه بأنواع من العبادة لا ينكرون عموم البلوى بهذه المظاهر المنحرفة فى نجد وفى غيرها بل يؤكدها ويقررون أن السواد الأعظم عليها تبريرا لها، إنهم يحاولون التماس مشروعيها وتسويغها وتخطئة الشيخ بل تضليله فى إنكارها كقولهم: إن الصالحين لهم شفاعة تطلب منهم أمواتا وأحياءا وكقولهم: إن الرسول ﷺ هو الواسطة فيدعونه ليتوسط لهم عند الله ويشفع فيجيب دعاءهم ويقرهم، وكقولهم: إن الشرك لا يتصور وقوعه فى بلاد المسلمين، وأن المسلم لا يرتد مهما عمل، فإذا قال لا إله إلا الله فهو مسلم ولو دعا الأولياء، واستغاث بهم فى كشف الضرا، ومثل قولهم: المعين لا يكفر!، ونحو هذا من تبريرات فاسدة وتلبيسات قبيحة ولو كانت غربة الدين غير واقعة وانحرافات الأكثر غير صحيحة لكان هؤلاء المعارضون أسرع الناس بيانا وتقريراً لشيوع الإسلام وتأريخاً له، كيف لا؟ وهم الحريصون على تنفيذ أقوال - الشيخ وتسفيه حركته، لكن الواقع بهتهم، والحال فضحهم، فراحوا يبررون ويؤولون ويلتمسون المعاذير، ويحتجون بالآباء والأجداد، والتقاليد والعادات، وموضوعات الحديث وضعيفها، ومشتبهات القضايا والمقولات، تاركين محكم الأدلة، وواضح الآيات، لأغراض فى نفوسهم، وشهوات فى صدورهم، وأمراض فى قلوبهم. وكيف نذهب بعيدا، وقد أنكر علماء السنة العدول، ما شهدوا عليه من حوادث حدثت فى الدين، ووقعت بين المسلمين، وبين أيدينا مصنفاتهم منذ القديم من الزمان، يفندون هذا الواقع المؤلم، وينكرونه، ويعينونه بالانكار والابطال، مثل

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامى، ط الحلبي، ١٣٥٢هـ، ج ١/ ٢٥٩-٢٦٠.

تعظيم القبور، وبناء القباب عليها والمشاهد، واتخاذها مساجد ومعابد، وعبادة أهلها من دون الله. بأنواع من العبادة، كدعائها والذبح لها والتقرب إليها بأنواع القربان والصدقات.

ومن هؤلاء الأئمة: محمد بن وضاح القرطبي (١٩٧-٢٨٦هـ) في كتابه البدع والنهي عنها، ومحمد بن سحنون (٢٠٢-٢٥٦هـ)، وأبو زكريا، يحيى بن عون، المتوفى سنة ٢٩٨هـ في الرد على أهل البدع، وكذلك الأئمة الأربعة يردون على أهل البدع، وأتباعهم كذلك، فهذا الإمام أحمد في رده على الجهمية والزنادقة، ومن أتباعه - ابن تيمية وابن القيم الحنبلان وردوهم شهيرة، والشيخ قاسم بن قطلوبغا ولد سنة ٨٠٢هـ وتوفى سنة ٨٧٩هـ ويعرف بقاسم الحنفى. كيف كان رده على أهل البدع بدعهم؟ خصوصاً في شرحه كتاب درر البحار، للقونى الحنفى في اختلاف المذاهب الأربعة^(١).

وهذا الإمام الطرطوشى المتوفى ما بين سنتي (٥٢٠-٥٢٥هـ) من المالكية في كتابه: «الحوادث والبدع» الذى نشر بتحقيق، محمد الطالبي، وطبعته دار الأصفهاني بجدة.

وأبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ من الشافعية، في كتابه: «الباعث في انكار البدع والحوادث»، والشاطبي في كتابه «الاعتصام»، وعفى الدين البركوى الحنفى في رسالته التى ألفها: «في زيارة القبور» - وغيرهم من العلماء، ألفوا رسائلهم، وأنكروا ما وقع من الحوادث، واشتد نكيرهم على غلاة القبور، حتى نسبوا أعمالهم إلى الشرك الأكبر والكفر. وماتوا قبل أن يخلق الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقد ذكر غالب هؤلاء العلماء وأمثالهم أن «شرك عم الابتلاء به في زمانهم، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريباً»^(٢).

ولننظر ما قرره الفقهاء من كل مذهب، من نواقض الإسلام في باب أحكام الردة مما يدل على أن هذه الناحية لها معنى واقعى، ليس من باب الخيال بعيداً عن الأحداث الواقعة لأن ذلك ليس من شأن فقهاء المسلمين، بل شأنهم مواجهة

(١) انظر: الضوء اللامع، للسخاوى، ج ١ / ١٨٤-١٩٠، والفوائد البهية في تراجم الحنفية، للكنوى،

ص ٩٩.

(٢) انظر: روضة ابن غنام ج ١ / ٧٤-٩٥، ص ١١٥-١٢١.

الأحداث بأحكام فقهية من الإسلام، وكل أولئك الفقهاء العلماء، يعالجون ما حدث في زمانهم، ولا شك أن البلاء ازداد سوءاً، كلما مر الزمان من بعدهم خاصة في أول القرن الثاني عشر الهجري.

وقد أطلت النفس، في بيان صفة البيئة، قبيل ظهور الشيخ، لبيان أن الشيخ رحمه الله ظهر على بيئة، عاد الإسلام فيها غريباً، ومن يارس أعمال الشرك هم الأكثر الغالب خلافاً لما يذهب إليه الدكتور العثيمين من أن ابن غنام متحمس للدعوة - وابن بشر كذلك فكان هذا التحمس من الأمور التي دفعتهما إلى إصدار أحكام على الحالة التي كان عليها النجديون من حيث العقيدة تنقصها الدقة وأنه من المقارنة بين المصادر المختلفة يبدو أن الحالة الدينية التي كانت سائدة في نجد آنذاك لم تكن بالصورة التي أظهرتها بها المصادر المؤيدة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١) - وقال بالحرف الواحد: «ربما كان تحمس ابن غنام لهذه الدعوة المباركة من الأمور التي دفعته إلى تعميم حكمه على أهل نجد قبل ظهورها ليوضح مقدار فضلها»^(٢)، وقال عن ابن بشر أيضاً: «وابن بشر كما هو واضح من تأمل تاريخه - كان أيضاً من المتحمسين لدعوة الشيخ وأنصارها، وموقف كهذا قد يؤدي إلى إصدار أحكام تنقصها الدقة»^(٣). وهذا غير صحيح.

فابن غنام وابن بشر لم يصدرا حكماً عاماً وهذا واضح للقارئ من تاريخهما كما بيناه في النقل عنهما آنفاً، ولم ينفردا بما ذكرناه عن حالة نجد وغيرها الدينية والسياسية قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما بيناه من كلام الصنعاني والبسام وغيرهما قبل قليل. ولم ينكر أحد من ابن غنام وابن بشر، أو غيرهما، وجود علماء في الفقه ووجود مسلمين غير أن وجودهم لم يقض على اعتقاد أكثر الناس بالطواغيت أمثال تاج وشمسان وحسين وأدريس، وبالأشجار والأحجار والقبور والقبب وتقديس الصالحين والأولياء وعبادتهم - كما قضى عليه وجود الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمناصرة الأمير محمد بن سعود في نجد وما حولها - أما ما بعد فلا يزال - كما هو الشأن

(١) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته، وفكره، للدكتور العثيمين، تحت بحث الحالة الدينية في نجد، ب: العقيدة وأركان الإسلام ص ١٩، ٢٠، ٢١.
(٢) مجلة الدار ع ٣، س ٤ شوال ١٣٩٨ هـ.
(٣) المصدر السابق.

فى مصر؁ وغيرها إلى يومنا هذا؁ فوجود العلماء فيها أهل الدراية والتحقيق؁ لم يقطع المظاهر المنافية للإسلام من مجتمعهم .

وقد سبقنى إلى هذه الملاحظة الأستاذ صالح محمد الحسن فى تعقيبه حول مقال الدكتور العثيمين فى مجلة الدارة - فقد لاحظ أن الدكتور العثيمين حين بحث الناحية العقيدية ذلك الزمن فى مقاله أنهى تحليله بأن هناك جهلة يمارسون أعمالا شركية لكن عدد هؤلاء كان فيما يظهر قليلا - .

وأن هذه النتيجة تشكيك فى الدور الذى قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب من محاربة مظاهر الشرك والعودة بالأمة إلى الكتاب والسنة عقيدة وسلوكا ومنهاج حياة؁ وتظهر الشيخ محبا للزعامة لأن الناس كانوا على العقيدة السليمة إلا النزر اليسير منهم^(١) .

(١) مجلة الدارة؁ ع ١ س ٥ ربيع الثانى ١٣٩٩ هـ ص ص ٣٥٢-٣٥٨ .

المَبْحَثُ الثَّانِي

حَيَاةُ الشَّيْخِ .. خُصُوصًا النَّاحِيَةُ الْعِلْمِيَّةُ

المترجمون للشيخ :

ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كثير من المؤرخين والأدباء والكتّاب وأصحاب التراجم والعلماء كثرة لم تقف إلا للأعلام المجددين ، بل لو استقرأنا عدد التراجم للعلماء والأعلام في جميع الميادين الإسلامية من بعد عصره لوجدنا أن ترجمة الشيخ تأخذ أعلى رقم من بين هذه التراجم ، وقل أن تجد كتاب تاريخ أو تراجم لأهل عصره ، أو لبقظة المسلمين الحديثة وحاضر العالم الإسلامي ، أو لآل سعود على الخصوص إلا وتجد للشيخ ترجمة أو شيئاً منها ، وبين يدي ما يزيد عن خمسين كتاباً وبحثاً لم يخل واحد منها عن ذكر شيء من ذلك وسأذكر بعضها في هذا البحث بشيء من البيان وأختار منها ما اعتبره من المراجع الأساسية لترجمة الشيخ .

أ - مراجع أساسية :

أولها : « روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام ، والغزوات البيانية والفتوحات الربانية » للشيخ حسين ابن غنام المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ .

قال حمد الجاسر عنه وعن تاريخه هذا : « وكان أول من قام بذلك - يعني تدوين تاريخ قيام الدعوة من نجد - عالم جليل من بلاد الاحساء قدم الدرعية قاعدة تلك الحركة لينهل من معين علم الداعية الأول الإمام محمد ، هو الشيخ حسين بن غنام ، (توفي ١٢٢٥ هـ) فآلف كتابه الذي يعتبر المصدر الأول لبيان حقيقة تلك الدعوة ، بما نشره من رسائل الشيخ وآرائه ، وكتبه ، ولتصوير ما قام به حملتها من جهاد وكفاح »^(١) .

وتقع هذه الترجمة من تاريخ ابن غنام في الصفحات من ص ٢٥ إلى ص ٥٠ ، ط الأهلية عام ١٣٦٨ هـ ، وفي تحرير الأسد لتاريخ ابن غنام ص ٧٥-٨٥ .

(١) مقدمة تاريخ ابن عيسى ، ط . دار البهامة ص ٦٠ ، ٥٠ .

والثاني هو : «عنوان المجد في تاريخ نجد» تأليف المؤرخ عثمان بن عبد الله بن بشر المولود سنة ١٢١٠ والمتوفى سنة ١٢٩٠ هـ^(١).

قال ابن بسام عن المؤلف : «صار اتجاهه إلى التاريخ لاسيما تاريخ نجد»^(٢)، وقال عن تاريخه : «هذا التاريخ هو أنفس وأجمع وأوثق وأعدل ما صنف من تواريخ نجد»^(٣) وتقع ترجمة الشيخ من هذا التاريخ في جـ ١ ص ١٥-٦، ص ص ٨٩-٩٦.

والثالث : هو مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الثالث، تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن المولود عام ١٢٢٥ هـ والمتوفى سنة ١٢٩٣ هـ، والذي رتب هذه المسائل وبومها هو تلميذه سليمان بن سحمان المولود عام ١٢٦٦ هـ والمتوفى عام ١٣٤٩ هـ، وقد أخذ الشيخ عبد اللطيف عن أبيه وأبوه أخذ عن جده الشيخ محمد المترجم له، وكذلك أخذ عن الشيخ حسين بن غنام^(٤).

ولا شك أن الشيخ عبد اللطيف مصدر معتمد لهذه الترجمة ولكل ما يتعلق بالشيخ المترجم له باعتبار موقعه من النسب والعلم. وتقع ترجمة جده في ص ص ٣٧٨-٣٨٩ من رسائله هذه.

والرابع : الدرر السنية في الجزء الثاني عشر جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ومن مشائخه الشيخ سليمان بن سحمان وقد جمع واستوعب وهو ثقة ضابط، وكان مولده عام ١٣١٩ هـ وتوفى عام ١٣٩٢ هـ^(٥). وتقع ترجمة الشيخ في مجموعه في جـ ١٢ ص ٣-٢٥.

ب — مراجع فرعية :

والبقية من هذه المراجع سأترك ذكرها هنا وإن كنت قد استفدت منها لكن ليست هي الأساسية وفي الغالب هي عيال على ما تقدم، وسأذكرها عند موضع الاستفادة منها إن شاء الله تعالى، وقال حمد الجاسر : «إن سيرة الإمام المجدد الشيخ

(١) المصدر السابق.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون، جـ ٢ ص ٧٠١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر تراجمهم في المصدر السابق جـ ١.

(٥) عبد الله البسام علماء نجد خلال ستة قرون، جـ ٢ ص ٤١٤.

محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - قد عنى تلاميذه وأبناؤه وأحفاده وتلاميذهم من علماء نجد بتدوينها تدوينا كاملا»^(١).

وقال أيضا: «وهم في الحقيقة أدرى من غيرهم بحياة هذا العالم الجليل كما قيل: أهل مكة أدرى بشعابها»^(٢).

وعلى هذا الأساس بنيت اختياري للمراجع واعتباري للأساسي منها.

ج - مراجع أعرضت عنها :

وأعرضت عن مثل كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب» لمؤلف مجهول طبع، بيروت ١٣٨٧ هـ، نشر بتحقيق، أبي حاكمه، وتلقاه كثير من الناس - أعرضت عنه للأسباب التالية :

أ - إنه لمؤلف مجهول، ويظهر منه روح معادية لعقيدة السلف الصالح، والروح المعادية للحق تحمل صاحبها على ترويج الأكاذيب واختلاق الأخبار، ألف سنة ١٢٣٣ هـ^(٣). وهذا هو تاريخ حلول النكبة التي أصيب بها أهل الدرعية على يد طاغية مصر ومن ورائه الترك وأعداء المسلمين من أوروبا والانكليز، مما يدل على أن الكتاب ألف كجزء من حملة الباطل على الدرعية ولكن الله رد كيدهم وأبقى ميراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي والله الحمد كما قال تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ [الصف: ٨].

ب - وما فيه من صدق فهو قليل جدا وموجود في غيره من المصادر الموثوقة فنحن في غنى عنه، وما قصد بذكر المشتهر منه إلا لبس الحق بالباطل كما هي طريقة أهل الكتاب المنحرفين والكهان والعرافين يأتون بكلمة واحدة من الصدق مشهورة ويضيفون إليها مائة كلمة من الكذب مجهولة ليروجوا هذا الكذب ويوهموها الناس أنه كله صدق، وعلى كل فلا يعتمد على رواياته لكذبه الواضح وتزييفه وقائع تاريخية معلومة.

ج - ومصادق ذلك أن دار الملك عبد العزيز قامت بطبعه مرة أخرى

(١) مجلة العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ ص ٩٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٤٤.

(٣) انظر: صورة آخر صفحة من مخطوط لمع الشهاب في ص (ي) من مطبوعته بتحقيق وتعليق ابن عبد اللطيف وص ٢١٨ من نفس المطبوع.

لتمحيص الأخطاء والتنبيه إلى تزييفه الوقائع والحقائق التاريخية بقلم محققه عبد الرحمن بن عبد اللطيف وقد بسط الكلام حول هذا: عبد الواحد راغب، في مقاله في مجلة الدارة ع ٢، س ٢، ص ٢٣٨-٢٤٩.

د - وكان حمد الجاسر قد سئل عن رأيه في هذا الكتاب فقال: «أرى أن كتاب «لمع الشهاب» ألف استجابة لرغبة المستر (ريس) أو أحد موظفي الإنكليز في الخليج ذلك أن هذا الكتاب يحوى ثناء على الإنكليز ووصفا لأعدائهم من العرب في الشارقة وغيرها بأوصاف كان موظفو الإنكليز في ذلك العهد يطلقونها عليهم، وهى غير صحيحة.

وفي الكتاب كثير من التحريف والكذب في الأنساب وفي الوقائع التاريخية مما يدل على أن كاتبه كان قد استوحى كثيرا مما فيه من مخيلته وأضاف إلى ذلك وقائع وحوادث كانت معروفة ومشهورة في ذلك الوقت، وخلط بعضها بما لا يتفق مع الحقيقة، وأبرز الكتاب بصورة تجعله مقبولا عند القارئ فهو برغم ما فيه من المعلومات الباطلة عن أنساب أهل نجد وعن حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعن نسب آل سعود وأخبارهم مع ما في كل ذلك من الأباطيل ففي الكتاب ثناء طيب يحمل القارئ على أن يحسن الظن بالمؤلف ويعتقد أنه يكتب بتجرد وانصاف. لا أقول هذا متحيزا أو متأثرا بأية عاطفة ولكننى أقوله مقررا لحقيقة تاريخية هو أنه لا يصح التعويل على ما في هذا الكتاب ما لم توجد نصوص أخرى تؤيده، وكثير مما فيه يخالف النصوص التاريخية المعروفة»^(١).

والأمر هو كما قال الأستاذ المحقق حمد الجاسر، من أن هذا الكتاب ونحوه. لا يصح التعويل على ما فيه.

نُسبته :

هو : محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن

(١) العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة ربيع الثانى ١٣٩٠ هـ ص ٩٤١. وانظر: نقدا لكتاب لمع الشهاب بتحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه في مجلة العرب الجزء التاسع، السنة الأولى، ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ ص ٩٥٣-٩٥٧.

علوى بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد ابن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظله بن مالك بن زيد مناة ابن تميم بن مر بن أدبن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . أما والدة الشيخ محمد - رحمه الله - فهي بنت محمد بن عزاز المشرفي الوهبي التميمي فهي من عشيرته الأذنين^(١).

وهناك اختلاف طفيف في نسب الشيخ إلى «مشرف» ففي سرد ابن بشر^(٢)، وعبد الرحمن المغيرة^(٣) لنسب الشيخ يصير «مشرف» الجد السابع للشيخ، قالوا: «محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف» فقد سقط اسمان من أسماء أجداده هما: «محمد» ثم «بريد» بين «بريد» الأول و«مشرف» ويبدو أن عبد الله بن يوسف الشبل قد تبع ابن بشر في سرده لنسب الشيخ عندما ترجم له^(٤).

أما عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتابه: «مشاهير علماء نجد وغيرهم»^(٥) وفي كتابه: «علماء الدعوة»^(٦)، وعبد الله بن عبد الرحمن البسام في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون»^(٧) فقد زادا في سردهما لنسب الشيخ عن سرد ابن بشر والمغيرة الجد السابع «محمد» ونقص الجد الثامن «بريد»، كما هو الثابت في سرد المؤرخ الأقدم حسين بن غنام^(٨). والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن^(٩)، والشيخ راشد بن علي بن جريس الحنبلي^(١٠)، والمؤرخ إبراهيم بن عيسى^(١١)،

(١) علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن بسام ج ١ / ص ٢٦ .

(٢) عنوان المجد ١ / ٨٩، ط. مكة .

(٣) الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب، ص ١٦٣ .

(٤) في كتابه: الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته ص ١٦ ، مطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

(٥) ط ١، ص ١٦ .

(٦) ص ٦ .

(٧) ٢٥ / ١ .

(٨) روضة الأفكار ٢٥ / ١ .

(٩) الرسائل والمسائل ٣ / ٣٧٩ .

(١٠) مثير الوجد في معرفة ملوك نجد ص ص ٣١، ٣٢ .

(١١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٢٥، ١٢٦ .

والفقيه إبراهيم بن ضويان^(١)، والشيخ عبد الرحمن بن قاسم^(٢) والشيخ حمد الجاسر^(٣) - ففى سردهم جميعا لنسب الشيخ يصير «مشرف» الجدد التاسع، فيقولون: «محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف».

وعلى ما يبدو أن إبراهيم بن عبيد فى تاريخه «تذكرة أولى النهى والعرفان»^(٤) ومحمد العقيلي فى بحثه^(٥) الذى قدمه لمؤتمر اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهما^(٦) قد تبعوهم فى سردهم لنسب الشيخ، وكذلك الدكتور عبد الله العثيمين ذكر أن «مشرفا» هو الجدد التاسع للشيخ - ولكنه حين سرد نسب الشيخ أسقط اسم جده الثالث «محمد» ولعله أسقطه سهوا^(٧)، إلا أن يكون قد تبع الحيدرى فى كتابه «عنوان المجدد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد» فالحيدرى قد أسقط اسم جده الثالث «محمد» واعتبر العدّ يبدأ من أب الشيخ لا من جده.

والذى أثبتته الشيخ حسين بن غنام ومن أتى بعده ممن ذكرنا هو الراجح لأنهم أكثر عددا وفيهم من هو أتم ضبطا وأقدم تاريخا.

وأما من «مشرف» إلى «ريس» فإن ابن غنام لم يذكر ما بعد «مشرف» من نسب الشيخ وإنما وقف فى نسبه على «مشرف»^(٨)، وكذلك الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن^(٩).

(١) رفع النقاب مخطوط، لوحة ٧٤ عن مجلة الدارة ع ٢، س ١٣٩٨، ص ٩٧.

(٢) الدرر السنية ج ١٢ ص ٣.

(٣) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد ١/٤٦٩.

(٤) ج ١/١٣.

(٥) ص ١٣.

(٦) انظر البحوث المقدمة لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنعقد فى الفترة من ١٤٠٠/٤/٢١ إلى نهاية ١٤٠٠/٤/٢٧، مجلد «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية» بحث الشيخ إسمايل الأنصارى وبحث الشيخ يوسف جاسم الحجى.

(٧) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره ص ٢٣.

(٨) روضة الأفكار: ١/٢٥.

(٩) الرسائل والمسائل ٣/٣٧٩.

ولكن ابن بشر^(١)، وإبراهيم بن صالح بن عيسى^(٢)، وعبد الرحمن بن قاسم^(٣)، وحمد الجاسر^(٤)، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ^(٥)، وعبد الله بن عبد الرحمن البسام^(٦) يتفقون على أنه هكذا: «مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس» ويخالفهم عبد الرحمن المغيرة^(٧)، وتركى آل ماضى^(٨) - في اسم والد مشرف «عمر» ففى مؤلفيهما أنه «عمرو» والراجح «عمر» لا «عمرو» لأنه هكذا في مؤلفات ابن بشر وابن عيسى وابن قاسم ومن معهم كما ذكرنا - وهم أضبط وأكثر.

كما يخالف كل من سبق ذكره إبراهيم بن ضويان^(٩)، وصاحب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق^(١٠). في اسم «ريس» ففى مؤلفيهما أنه «ادريس» والراجح أنه «ريس» لا «ادريس» لأن من ضبطه «ريس» أضبط وأكثر.

وقال المؤرخ إبراهيم بن عيسى: «وأما المشارفة أولاد مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر، فمنهم آل الشيخ المعروفين في الرياض»^(١١).

وأما من ريس إلى «عقبة» ومن عقبة إلى «مر» - فيقول ابن عيسى: «قال الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع: وهذا النسب من ريس إلى عقبة، منقول من خط محمد بن أحمد بن محمد بن منيف بن بسام (بن) منيف القاضي، ومن خط علماء الوهبة المعروفين المعتبرين، مثل الشيخ أحمد بن محمد بن بسام، والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير، والشيخ سليمان بن علي (جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) والشيخ أحمد بن محمد البجنادي، والشيخ عبد المحسن بن علي بن شارخ المشرفي

(١) عنوان المجد، ١/ ٨٩.

(٢) تاريخ بعض الحوادث... ص ٢٢٣، ٢١١.

(٣) الدرر السنية ج ١٢ ص ٤، ٣.

(٤) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ١/ ٤٦٩.

(٥) مشاهير علماء نجد ص ١٦.

(٦) علماء نجد خلا ستة قرون ١/ ٢٥.

(٧) الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب ص ١٦٣.

(٨) تاريخ آل ماضى ص ١٠.

(٩) رفع النقاب عن تراجم الأصحاب مخطوط لوحة ٧٤، عن مجلة الدارة، ع ٢ رجب ١٣٩٨ هـ ص ٩٧.

(١٠) مطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣١٩ هـ ص ١٦.

(١١) تاريخ بعض الحوادث... ص ٢٢٣.

وغيرهم . ومن «عقبة» إلى «مر» منقول عن ابن الكلبي وياقوت الحموي ، قال ابن الكلبي : وكان عقبة شريفاً^(١) أى فى قومه .

كما نقل ابن عيسى أن الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع يقول : «ان ابن منصور ليس بمأمون فى نقله عن علماء الوهبة من أن أحدهم إذا وصل فى نسبه إلى مسعود قال هو أخو غيلان ذى الرمة بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة» الخ . وينكر ذلك ويقول : «الذى وقفنا عليه ورأيناه بخطوطهم خلاف ما نقله عنهم ابن منصور، إنما هو: مسعود بن عقبة بن سنيح بن نهشل بن شداد» . . . الخ^(٢) .

وهناك اختلافات أخرى شاذة مثل السقط والتصحيقات التى وقعت فى كتاب إبراهيم الحيدري المسمى : «عنوان المجد فى بيان ، أحوال بغداد والبصرة ونجد» فقد أسقط اسم جده الثالث «محمد» وصحف اسم جده «بريد» إلى «بريز» واسم جده «معضاد» إلى «بعضاد» واسم جده «زاخر» إلى «ذاخر» [لوحه ٣١٤-٣١٥] ومثل ما فى معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة فقد قال : «محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن أحمد بن راشد بن يزيد بن محمد بن يزيد ابن مشرف التميمي النجدى»^(٣) فقد أسقط اسم «علي» ثم «محمد» بين «سليمان» و«أحمد» وأبدل «بريدا» بيزيد فى الموضعين ، وهذا غير صحيح .

وبعض المترجمين أعرض عن تفصيل نسب الشيخ كالزركلي فى كتابه «الأعلام . . . » واقتصر على قوله : «محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدى»^(٤) .

وبالجملة التى لا خلاف عليها خلافاً معتبراً أن الشيخ ينسب فيقال : «المشرفي» نسبة إلى جده «مشرف» وأسرته آل مشرف ، ويقال : «الوهيبي» نسبة إلى جده «وهيب» جد الوهبة ، والوهبة يجتمعون فى محمد بن علوى بن وهيب . وهم بطن كبير من حنظلة ، وحنظلة بيت من بيوت بنى تميم الأربعة الكبار كما قال غيلان ذو الرمة :

(١) المصدر السابق، ص ٢١٢، وانظر: الكتاب المنتخب فى ذكر قبائل العرب لعبد الرحمن المغيرى، ص ١٦٤ - وتاريخ آل ماضى ص ١٢، ١٣، وعلماء نجد خلال ستة قرون للباسم ٢٥/١ .
(٢) تاريخ بعض الحوادث . . . ص ٢١٧-٢١٩، وانظر: مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلى، ص ص ٣٠-٣٢ .
(٣) ج ١٠/٢٦٩ .
(٤) ج ٧/١٣٧-١٣٨ .

يعد الناسبون إلى تميم بيوت المجد أربعة كبارا
يعدون الرباب وآل سعد وعمرو ثم حنظلة الخيارا

ويقال: (التميمي) نسبة إلى (تميم) أبى القبيلة الشهيرة^(١)، والتي ورد فيها ما رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب العتق^(٢)، فى الباب الثالث عشر، وفى كتابه المغازى^(٣) فى الباب الثامن والستين، ومسلم فى صحيحه فى كتاب فضائل الصحابة^(٤)، فى الباب السابع والأربعين ورقم الحديث ١٩٨ عن أبى هريرة واللفظ هنا لمسلم: عن أبى زرعة قال: قال أبو هريرة: لا أزال أحب بنى تميم من ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ - سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم أشد أمتى على الدجال» قال: وجاءت صدقاتهم فقال النبى ﷺ: «هذه صدقات قومنا» قال: وكانت سبية منهم عند عائشة - فقال رسول الله ﷺ: «أعتقها فإنها من ولد إسماعيل».

ويتضح من سرد نسب الشيخ المتقدم أنه يلتقى مع نسب الرسول ﷺ فى إلیاس ابن مضر.

أسرته العلمية :

انه منذ القرن العاشر الهجرى زمن أجود بن زامل ملك الأحساء ونواحيه تلمع أسماء علماء من آل مشرف كالفاضى عبد القادر بن بريد المشرفى، وكان أحمد بن محمد بن مشرف فى أشيقر ممن أخذ عن أحمد بن يحيى بن عطوة وعن أبى النجم موسى الحجاوى مصنف الاقناع وزاد المستقنع وغيرهما^(٥).

(١) انظر: البسام، علماء نجد خلال ستة قرون ٢٥/١، ٢٦، وعبد الرحمن المغيرى، الكتاب المنتخب فى ذكر قبائل العرب ص ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، تركى بن ماضى، تاريخ آل ماضى ص ١١.

(٢) ج ٣ ص ١٢٢.

(٣) ج ٥ ص ١١٦، ١١٥.

(٤) ج ٤ ص ١٩٥٧.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد ٢٢/١، ٢٣، فى سابقة (٩٤٨)، وابن بسام، علماء نجد، ٣١٠/١، والدكتور العثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. ص ٢٤.

جـدـه :

. وفى القرن الحادى عشر الهجرى نجد أن جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو القاضى سليمان بن علي بن مشرف أكبر عالم فى نجد ذلك الزمن ، ويتحدث المؤرخ إبراهيم بن عيسى عن مكان ولادته ونشأته وأعماله وتنقلاته فيقول : «ولد فى بلد أشيقر ونشأ بها وقرأ على علمائها ولازم منهم أجلهم الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف وبرع ودرس ومهر فى الفقه ثم طلبه أهل روضة سدير قاضيا لهم فأجابهم إلى ذلك فانتقل من أشيقر وسكن عندهم فنشر العلم فى الروضة وحث الناس على التعلم ورغبهم فيه وانتفع به خلق كثير واتفق أنه حصل بينه وبين بعض رؤساء البلد كلام فغضب الشيخ من ذلك وانتقل إلى العيينة واستوطنها وتولى قضاءها وباشره بعفة وصيانة» أ - هـ (١).

ويصف ابن بشر مكاتبه العلمية فيقول : «كان سليمان رحمه الله تعالى فقيه زمانه متبحرا فى علوم المذهب وانتهت إليه الرئاسة فى العلم ، وكان علماء نجد فى زمانه يرجعون إليه فى كل مشكلة من الفقه وغيره رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة ، وصنف كتابا فى المناسك ، وذكر لى أنه شرح الاقناع فلما علم أن منصور البهوتى شرحه أئلف سليمان شرحه» (٢) ، وقال ابن بسام عن فتاوى الشيخ سليمان «بلغ المحفوظ منها الآن أكثر من أربعمئة جواب مفرقة فى بعض المطبوعات ، وأكثرها لا يزال مخطوطا» (٣) أ - هـ .

وقد رأيت فى مجموعة الرسائل والمسائل النجدية أجوبة له على مسائل من الفقه بلغت احدى وثلاثين مسألة (٤).

وقال البسام عن شرحه الاقناع : «وقد شرح الاقناع فلما حج سنة (١٠٤٩ هـ) تسع وأربعين وألف وجد الشيخ منصور البهوتى حاجا فأطلععه على شرحه فتأمله الشيخ سليمان ثم قال : وجدته مطابقا لما عندى إلا فى مواضع يسيرة وأئلف شرحه عليه» (٥).

(١) نقلا عن ابن بسام ، علماء نجد ، ١ / ٣١٠ .

(٢) ابن بشر ، عنوان المجد ، ١ / ٦٢ .

(٣) علماء نجد ، ١ / ٣١٢ .

(٤) انظرها فى : ج ١ / ٥١٠ - ٥٢٠ .

(٥) علماء نجد ، ١ / ٣١١ .

ويزيد المؤرخ إبراهيم بن عيسى في وصف مكانته العلمية فيقول: «وكتب بخطه الحسن المضبوط النير كتباً كثيرة من كتب الفقه وغيرها وحصل كتباً كثيرة نفيسة في كل فن وعلى كل كتاب منها خطه بتهميش وتصحيح وإلحاق فوائد وتنبهات مما يدل على أنه طالعها جميعها مطالعة تأمل وتفهم» أ - هـ^(١).

وقال الدكتور العثيمين: «يوجد خطه في مكتبة برلين (ms-idbg. 4/22) لكتاب جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام تأليف شمس الدين الزرعي وهو مكون من ٢٢٠ ورقة»^(٢).

توفي الشيخ سليمان بن علي في سنة تسع وسبعين وألف (١٠٧٩هـ)^(٣)، في بلد العيينة^(٤).

وكان قد أخذ عنه العلم والفقه جماعة، وتلمذ له خلق كثير تخرجوا على يديه وانتفعوا به منهم أبناء عبد الوهاب وإبراهيم وغيرهما^(٥).

وقال الشيخ عبد الله البسام: «المعروف أن الشيخ سليمان بن علي لم يبق له عقب الآن إلا من قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب»^(٦).

ولنا أن نقول: وكذلك ميراث الشيخ سليمان بن علي العلمي بقى في الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من ذريته وغيرهم - ومنهم انتشر كما هي سنة الله تعالى في عباده المحسنين، يجيبهم إذا نادوه ودعوه، وينجيهم من الكرب، ويجعل البقاء في ذريتهم.

قال تعالى: ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون، ونجينا وأهله من الكرب العظيم، وجعلنا ذريته هم الباقين، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على نوح في العالمين، إنا كذلك نجزي المحسنين﴾^(٧).

(١) نقلاً عن البسام، علماء نجد، ٣١٠/١، ٣١١.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... ص ٢٤.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد، ٦٢/١، وابن عيسى تاريخ ... ص ٦٢، ٦١.

(٤) ابن بسام، علماء نجد ٣١٢/١.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ٦٢/١، ٦٣، والسحب الوابلة عن مجلة العرب س ١٢ ص ٦٧٠.

(٦) علماء نجد خلال ستة قرون ١١١/١.

(٧) سورة الصافات: ٧٥-٨٠.

والسده :

وعبد الوهاب بن الشيخ سليمان هو أبو الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب - ولد في العيينة ونشأ بها على تربية أبيه بالعلم والفقه من صغره وكما أخذ عن والده الشيخ سليمان فقد أخذ عن غيره أيضا من علماء العيينة حتى أدرك في الفقه كأبيه وولي قضاء العيينة مكان أبيه^(١). وقد رأيت له جوابا في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية على سؤال وجهه إليه عبد الله بن أحمد بن سحيم عن أحوال منكرة من أناس يسمون أنفسهم فقراء يدخلون في النار ويضربون أنفسهم بالحديد ويقفزون من السطوح ويلعبون بذكر الله حيث يفعلونه كنج الكلاب . . . فأجاب بأن هؤلاء فسقة شياطين منافقون وأفعالهم منكرة وبعضها كفر بلا ريب يتعوذ المسلمون بالله من أفعالهم وأن أهل حرمة وأضرابهم الذين اتبعوهم وجادلوا عنهم لا يصلى خلف أحدهم ولا تقبل شهادته ويحث على إنكار مثل ذلك باليد واللسان ، واستدل بأدلة سديدة مما يدل على أصالة علمه وفقهه^(٢).

وفي هذه الأسرة العلمية من آل مشرف ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

مولده ونشأته العلمية ومواهبه :

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وخمس عشرة (١١١٥ هـ) من هجرة المصطفى ﷺ^(٣)، على ما هو معروف^(٤)، في بلدة العيينة على الصحيح^(٥)، وكما ذكرنا في أسرة علمية، تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، وكان حاد الفهم وقاد الذهن ذكى القلب سريع الحفظ^(٦)، قرأ على أبيه في الفقه، وكان رحمه الله تعالى في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن

(١) ابن بشر، عنوان المجدد ١/٢٣٥.

(٢) انظر: المسائل والرسائل النجدية ١/٥٢٣-٥٢٥.

(٣) ابن غنام، روضة الأفكار ١/٢٥ وابن بشر، عنوان المجدد، سابقة (١١١٥ هـ) ج ١/١٣٨.

(٤) الشيخ عبد العزيز بن باز، محاضرة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٩-٢٠. وانظر: البيان الواضح لأسرة الشيخ - تأليف عبد الله بن إبراهيم بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٥.

(٥) الدكتور العثيمين، الشيخ محمد . . . ص ٢٥، ومسعود الندوي، محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٣٦.

(٦) روضة ابن غنام ج ١/٢٥.

طريقه^(١)، وجد في طلب العلم وأدرك وهو في سن مبكرة حظاً وافراً من العلم حتى ان أباه كان يتعجب من فهمه ويقول: «لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام»^(٢) وكتب أبوه إلى بعض اخوانه رسالة نوه فيها بشأنه وفهمه الجيد وأنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتي عشرة سنة من عمره ورآه أهلاً للصلاة بالجماعة إماماً لمعرفته بالأحكام، وزوجه بعد البلوغ مباشرة ثم طلب من أبيه الحج إلى بيت الله الحرام فأذن له فحج وقصد المدينة وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك إلى أبيه في العينة وأخذ يدرس الفقه على مذهب الإمام أحمد على والده، ورزق مع قوة الحفظ سرعة الكتابة بحيث انه يخط كراساً بخط واضح في الجلسة الواحدة بلا سأم ولا تعب مما يحير أصحابه^(٣)، ويقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: «وقد كتب بخط يده كثيراً من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية لا يزال بعضها موجوداً بالمتحف البريطاني بلندن»^(٤).

وقال حفيده وتلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «لما قدم جده سليمان بن علي من الروضة ونزل العينة كان أفقه من نزل نجداً في وقته فتخرج عليه خلق كثير من أهل نجد منهم ابنه عبد الوهاب وإبراهيم، وكان المتولى للقضاء في العارض أبو عبد الوهاب وكان عمه يسافر إلى ما حولهم من البلاد لحاجتهم إليه في الافتاء وما يقع بينهم من بيع العقارات وكان عليه اعتمادهم فيما كتبه وأثبتته، وأكثر إقامته مع أخيه عبد الوهاب فظهر شيخنا بين أبيه وعمه، فحفظ القرآن وهو صغير، وقرأ في فنون العلم، وصار له فهم قوى وهمة عالية في طلب العلم فصار يناظر أباه وعمه في بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجه عن الأصحاب فتخرج عليهما في الفقه وناظرهما في مسائل قرأها في الشرح الكبير والمغنى، والانصاف لما فيهما من مخالفة ما في متن المنتهى والاقناع»^(٥).

(١) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ٦/١.

(٢) روضة ابن غنام ٢٥/١.

(٣) روضة ابن غنام ج ١/٢٥-٢٦.

(٤) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٨، وانظر: عبد الحليم الجندى، «الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي» دار المعارف ص ٩١.

(٥) الدرر السنية ٢١٥/٩.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم: «أمدّه الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ، وقوة الادراك وعدم النسيان، سمع الحديث، وأكثر في طلبه، وكتب ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره، برع في تفسير القرآن، وغاص في دقائق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ مثله مع سرعة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين بحيث انه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده، تمسك بأصول الكتاب والسنة، وتأيد باجماع سلف الأمة^(١).

وهكذا نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشأة علمية فأبوه القاضي كان يحثه على طلب العلم ويرشده إلى طريق المعرفة، ومكتبة جده العلامة القاضي سليمان بن علي بأيديهم وعمه إبراهيم أكثر إقامته مع أخيه عبد الوهاب، فالتقى به ابن أخيه محمد بن عبد الوهاب وتأخذ عنه، وبعض أقارب الشيخ الآخرين من آل مشرف وغيرهم من طلاب العلم، وبيتهم في الغالب ملقى طلاب العلم وخواص الفقهاء سيما الوافدين باعتباره بيت القاضي، ولا بد أن يتخلل اجتماعاتهم ولقاءاتهم مناقشات ومباحث علمية يحضرها محمد بن عبد الوهاب والقضايا التي كان أبوه ينظر فيها فإن قربه يمكنه من معرفة مجرياتها^(٢)، وهو قد أنعم الله عليه بالادراك العميق والحفظ القوى والذكاء الممتاز والرغبة الطموح، والجد في اكتساب معالي الغايات وإن كانت بعيدة، فما له لا يدرك الحظ الوافر والبلغة العظيمة من العلم النافع والميراث النبوي الكريم؟ لقد أتم الله عليه نعمته ورزقه إدراك بعض الأرب من العلم، في بلده وأخذ ما عند علماء نجد ووصلوه بسندهم، ولكن همته العالية وطموحه الوثاب، كان يحفزه على البحث الدائب والدراسة المتواصلة، والتفكير النافع والمناقشة البناءة مع العلماء والطلبة وغيرهم، فلا يقنع بما اقتنع به سابقوه ويقنع به معاصروه.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «وقد أخبر شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان في ابتداء طلبه العلم، وتحصيله في فن الفقه وغيره لم يتبين له الضلال الذي كان الناس

(١) الدرر السنية ١٢/٨.

(٢) انظر: الدكتور العثيمين، الشيخ محمد عبد الوهاب . . . ص ٢٦، ٢٧.

عليه من عبادة غير الله ، من جن أو غائب ، أو طاغوت ، أو شجر أو حجر أو غير ذلك ثم إن الله جعل له مهمة في مطالعة التفسير والحديث ، وتبين له من معاني الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة أن هذا الذى وقع فيه الناس من الشرك أنه الشرك الذى بعث الله رسله ، وأنزل كتبه بالنهى عنه ، وأنه الشرك الذى لا يغفره الله لمن لم يتب منه فبحث في هذا الأمر مع أهله وغيرهم من طلبة العلم فاستنار قلبه بتوحيد الله الذى أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه^(١) .

أثر البيئة في توجيه الشيخ علميا :

لقد أبصر الشيخ البيئة من حوله بواقعها والناس في حياتهم ودينهم على الغالب في تناقض وتصادم مع ما نشأ عليه من علم وما عرفه من الحق على يد أبيه ومن خلال مطالعته لكتب المحققين من علماء السلف الصالح ، فما يتعلمه من أبيه ومن ميراث العلماء في واقع الحياة الواقعة والعمل الجارى من الناس على العموم والغالب في واد آخر ، بل في مصادمة ومناقضة مع حياته العلمية الخاصة التى ورثها من متصل اسناد العدول وحملة العلم النبوى من لدن رسول الله ﷺ إليه اتصالا متينا لا يتطرق إليه انقطاع ولا انفصام . ذلك أن البيئة في نجد على الخصوص كما هى في سائر البلاد الأخرى على العموم - بيئة جاهلية ، بيئة خرافة وبدعة ، امتزجت بالنفوس فأصبحت جزءا من عقيدتها إن لم تكن هى عقيدتها . وقد بينا ذلك في المبحث السابق بفضل الله تعالى^(٢) . ولا شك أن بيئة هذه عقيدتها مناقضة لعقيدة السلف الصالح ، مناقضة للإسلام ، الذى يتربى عليه الشيخ في محضن خاص من المحاضن التى يحفظ الله بها دينه ، ويقيم على الناس بها حجته استمرارا لرسالة خاتم أنبيائه ورسله محمد بن عبد الله ﷺ .

ولابد أن يخرج الشيخ إلى هذه البيئة ويعاملها بمقتضى سنة الله في خلقه ، الذى خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ، والشيخ بين أمرين إما أن يستسلم للبيئة ويصبح مثل الآخرين فتكون نفسه وقلبه وروحه ميدانا للمتناقضات وصراعا واختلاط البدعة والوهم بعقيدته السليمة ودينه القيم

(١) الدرر السنية ٢١٨/٩ . وانظر: ابن بشر، عنوان المجد ٦/١ .

(٢) انظر: ص ص ٢١-٤٨ من هذا المبحث .

وحياته الطيبة، وتصبح الجاهلية سائدة في نفسه كالأكثر الغالب من الناس. وإما أن يصمم على محاربة الخرافة المنتشرة والبدعة الشائعة، والجاهلية الجاثمة الثقيلة، وما أثقلها من كابوس جاثم، إنها حياة أغلبية المجتمع من حوله، التي تضغط بقوة على من يحيا بالإسلام ونوره.

ولكن قد اختار الشيخ رحمه الله وجزاه خيرا أن يقوم لله قومة إنصدعت لها جبال الجاهلية، وتقطعت بها غيوم الباطل وشبهاته - فعزم على تنحية البدع من الحياة التي حوله وإيقاظ النائمين، وتنبية الغافلين، والعمل على نشر الإسلام والنور، من الكتاب والسنة وسيرة الصالحين.

توجهه الشيخ للرحلة في طلب العلم :

قال ابن بشر: « فلما تحقق الشيخ معرفة التوحيد ونواقضه، وما كان وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة صار ينكر هذه الأشياء، واستحسن الناس ما يقول، لكن لم ينهوا عما فعل الجاهلون، ولم يزيلوا ما أحدث المبتدعون» أ - ه (١).

هنا توجه الشيخ للرحلة في طلب العلم للتسلح بسلاح ماض قاطع - فإن إنكار الشيخ لهذه الأمور الشائعة جعلته في مواجهة للمعارضة من علماء سوء وتلبساتهم وشبهاتهم، وتآليب العامة عليه، وتهمتهم إياه بالانحراف والجهل. فكان كل ذلك يزيد تفكيره، وحرصه على تحصيل العلم وإدراك الحق فلا بد أن يرحل في طلب العلم وتحقيق ما شرح الله له صدره من حقيقة هذا الدين القيم على أيدي حملته العدول الذين لن تخلو منهم الأرض ولن ينقطع منهم زمان إلى قيام الساعة فليرحل إلى مظانهم في أقطار البلاد الإسلامية - حيث انهم لا يحصرون في مكان دون آخر ولا زمان دون زمان. فان للعلماء بقايا، وفي الزوايا خبايا، وحجة الله قائمة وذكره محفوظ وميراث رسول الله ﷺ مضبوط في الكتب والصدور يحمله : ن كل خلف عدوله، ويتوارثه جيل بعد جيل، ورب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ليرحل الشيخ في طلب العلم والتسلح بسلاحه فان الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب على المسلم أن يتعلم

(١) ابن بشر، عنوان المجد ٦/١، ٧، وانظر الرسائل والمسائل النجدية للشيخ عبد اللطيف ٣/٣٣٩، ٣٤٠.

من دين الله ما يصير له سلاحا يقاتل به هؤلاء الشياطين الذين يصدون عن سبيل الله ويقطعون الطريق إليه ، كما يقول الشيخ^(١).

لذلك قرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يرتحل من بلده العيينة يطلب العلم والنصرة واعداد العدة من النور والحكمة ، «ولعله يجد من يساعده على ما عرف من دين الإسلام»^(٢).

وقال الشيخ : «كنت عند الشيخ ابن سيف يوما فقال لي تريد أن أريك سلاحا أعددت للمجموعة؟ قلت : نعم - فأدخلني منزلا عنده فيه كتب كثيرة وقال : هذا الذى أعددتنا لها»^(٣).

رحلاته العلمية :

خط سيرها ، والأماكن التى رحل إليها ، وزمانها - وشيوخه - وتحصيله - ونتيجة ذلك .

قال المؤرخ ابن بشر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : «فلما رأى أنه لا يغنى القول ، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول تجهز من بلد «العيينة» إلى حج بيت الله الحرام - فلما قضى حجه سار إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام»^(٤) .
يفيد كلام ابن بشر هذا أن الشيخ بدأ رحلاته العلمية من العيينة إلى الحجاز فحج بيت الله الحرام أولا ثم سار إلى المدينة ثانيا .

وعلى ما يظهر من كلام ابن غنام وكلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن أن الشيخ كان قد حج قبل هذه الحجة التى ذكرها ابن بشر بداية رحلة الشيخ فى طلب العلم ، قال ابن غنام ينسب عن والد الشيخ أنه يقول عنه : «وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل اكمال اثنتى عشرة سنة على الاتمام . . . وزوجته بعد البلوغ فى

(١) انظر: كشف الشبهات تقديم علي الصالحى ص ٢٠ .

(٢) الرسائل والمسائل النجدية ، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ج ٣ / ٣٤٠ .

(٣) ابن بشر ، عنوان المجد ١ / ٧ .

(٤) انظر الرسائل والمسائل النجدية للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن

عبد الوهاب ج ٣ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ذلك العام ثم طلب منى الحج إلى بيت الله الحرام ، فأجبت بالاسعاف بذلك المرام فحج وقضى ركن الإسلام وأدى المناسك على التمام ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك فائزا بأجر الزيارة والمناسك»^(١).

ثم ذكر ابن غنام أن الشيخ بعد رجوعه من المدينة إلى العيينة أخذ في القراءة على والده في الفقه ، على مذهب الإمام أحمد ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم إلى ما يليه من الأقطار وزاحم فيه العلماء الكبار ، فوطىء الحجاز والبصرة لذلك مرارا وأتى الأحساء لتلك الأوطار»^(٢).

ويقول الشيخ عبد اللطيف أيضا : «وبعد بلوغ الشيخ سن الاحتلام قدمه والده في الصلاة ورآه أهلا للالتزام ، ثم طلب الحج إلى بيت الله الحرام ، فأجابه والده إلى ذلك المقصد والمرام ، وبادر إلى قضاء فريضة الإسلام وأداء المناسك على التمام ، ثم قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأقام بها قريبا من شهرين ، ثم رجع إلى وطنه قرير العين ، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم»^(٣).

فيتضح من كلام ابن غنام والشيخ عبد اللطيف أن حجته الأولى كان يدفعه إليها واجب أداء ركن الإسلام وفريضته لما توفرت شروطها ببلوغ الشيخ ألا وهي حج بيت الله الحرام أما هذه الحجة التي ذكرها ابن بشر بداية رحلاته العلمية فواضح أنها كانت بعد أن قرر مغادرة العيينة لطلب العلم ، وبنحو ما حررته ، يقول مسعود الندوى ما نصه : «وكان قد تشرف بحج بيت الله الحرام وكانت مركزية الحجاز قد أثرت في نفسه وحينها فكر في طلب العلم قصد الحجاز» إلى أن قال : «حج بيت الله الحرام وزار المسجد النبوى مرة ثانية ثم حضر مجالس العلماء وانقطع لطلب العلم»^(٤).

(١) روضة ابن غنام ٢٦/١ .

(٢) المصدر السابق نفس الموضع .

(٣) الرسائل والمسائل النجدية ٣/٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٤) محمد بن عبد الوهاب ، مصلح مظلوم ومفتى عليه ، تأليف مسعود الندوى ، ص ٣٨ .

وقال الدكتور العثيمين : « الواضح مما ذكره كل من ابن غنام وابن بشر أن الحجاز كانت أولى الجهات التي سافر إليها محمد بن عبد الوهاب في سلسلة رحلاته العلمية »^(١).

وقال أيضا : « كانت ذكريات حجة الشيخ الأولى لا تزال عالقة في ذهنه ، وكان ما شاهدته في الحرمين كافيا لاقتناعه بأن تكون خطوته الأولى في أسفاره العلمية إلى الحجاز ، وقد بدأ هذه الخطوة بالسفر إلى مكة المكرمة ، حيث حج مرة ثانية »^(٢).

ولا مانع من أن يكون الشيخ قد تلقى عن بعض المشائخ في المدينة في حجته الأولى وإن لم يكن قد أطل الاقامة فيها كما فعل في المرة الثانية ، بل اننا لنجد ذلك في كتابات الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ في العدد الأول والثاني والثالث من مجلة راية الإسلام ، ففيها أن الشيخ رحل إلى مكة وحج ، ثم إلى المدينة وتلقى فيها على بعض المشائخ ثم عاد إلى العيينة ، ثم رحل إلى مكة وأقام بها وتلقى فيها عن بعض المشائخ ، ثم إلى المدينة وأطل المكث فيها ورأى ما أفرعه من الأعمال المنافية للشرع عند حجرة النبي ﷺ ، ثم رحل إلى البصرة^(٣).

والشيخ على ما يروى ابن بشر من رحلته العلمية خرج من المدينة - بعد أن أقام فيها ماشاء الله يطلب العلم - إلى نجد ، ومن نجد تجهز إلى البصرة يريد الشام فلما وصل البصرة جلس فيها يقرأ عند عالم من أهل المجموعة - قرية من قرى البصرة - في مدرسة فيها^(٤).

ويذكر حفيد الشيخ وتلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في معرض رده على ابن منصور الذي يفتخر برحلته إلى البصرة والزبير ليقول : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتخرج على أشياخ في العلم - قال الشيخ عبد الرحمن : إن الشيخ أيضا

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره ، الدكتور عبد الله الصالح العثيمين ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، نفس الموضع .

(٣) انظر : مجلة راية الإسلام ، العدد الأول ، ص ٣٤ .

(٤) عنوان المجد . . . ٨٠٧/١ .

سافر إلى البصرة غير مرة كل مرة يقيم بين من كان بها من العلماء، فما الذي يخص ابن منصور بأخذ العلم منها دونه إذا كان الكل قد سافر إليها»^(١).

ويقول عبد الرحمن بن حسن: «ثم إن شيخنا رحمه الله تعالى بعد رحلته إلى البصرة رحل إلى الأحساء ثم رجع من الأحساء إلى البصرة»^(٢).

ويذكر ابن بشر أن الشيخ تجمع عليه أناس في البصرة من رؤسائهم وغيرهم فأذوه أشد الأذى وأخرجوه منها وقت الهجيرة فلما خرج وتوسط في الدرب فيما بينها وبين بلد الزبير أدركه العطش وأشرف على الهلاك وكان ماشيا على رجله وحده فوافاه صاحب حمار مكارى يقال له أبو حميدان فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الزبير»^(٣).

وقال عبد الرحمن بن حسن: «إن الشيخ خرج من البصرة إلى نجد قاصدا الحج فحج رحمه الله، فلما قضى الحج وقف في الملتزم وسأل الله أن يظهر هذا الدين بدعوته وأن يرزقه القبول من الناس فخرج قاصدا المدينة مع الحاجاج يريد الشام فعرض له بعض سراق الحجيج فضربوه وسلبوه وأخذوا ما معه وشجوا رأسه وعاقه ذلك عن مسيره مع الحاجاج فقدم المدينة بعد أن خرج الحاج منها ثم رجع إلى نجد فقام فيهم يدعوه إلى التوحيد» أ - ه باختصار^(٤).

ويؤيد هذا الكلام كلام ابنه عبد اللطيف في الرسائل والمسائل^(٥)، وكلام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في الدرر السنية في ترجمته للشيخ^(٦).

فكلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن هذا واضح وصريح في أن الشيخ خرج من البصرة إلى نجد قاصدا الحج فحج ووقف في الملتزم وسأل الله أن يظهر هذا الدين بدعوته وأن يرزقه القبول من الناس ثم خرج من مكة قاصدا المدينة مع الحاجاج ليسافر منها إلى الشام مع حاج الشام ولكن فاته ركب الشام بسبب ما تعرض له من

(١) الدرر السنية ٢١٥/٩.

(٢) الدرر السنية ٢١٦/٩.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد ٨/١.

(٤) الدرر السنية ٢١٥-٢١٦/٩.

(٥) الرسائل والمسائل النجدية ٣/٣٤٠.

(٦) الدرر السنية، تراجم ٥/١٢.

لصوص البادية، سراق الحجيج وحين قدم المدينة لم يدركهم، وسواء بقى في المدينة أو لم يبق بها فإنه رجع إلى نجد من المدينة وقام يدعو أهل نجد إلى التوحيد، فلم لا تكون هذه حجة ثالثة، حيث كانت الثانية هي بداية رحلاته العلمية على ما قدمنا من رواية ابن بشر ولم ينفها ابن غنام ولا ابن حسن فكذلك تكون هذه على ما يروى ابن حسن ولم ينفها ابن بشر الحجة الثالثة.

ويؤيد هذا أن ابن غنام يذكر أن الشيخ وطىء الحجاز والبصرة لطلب العلم مرارا^(١)، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن قال أيضا: «رحل إلى البصرة والحجاز مرارا»^(٢)، فقولهما «مرارا» يدل على أكثر من مرتين.

كما يؤيد هذا أيضا أن بعض المصادر تذكر «أخذ الشيخ عن علي الداغستاني واجازة الداغستاني له»^(٣).

وعلى ما يقرر مسعود الندوى أن الداغستاني ولد سنة ١١٢٥ هـ واحتل مكانا عاليا في علماء دمشق ورحل إلى المدينة ليرى عن الشيخ محمد حياة السندی، ورجع إلى الشام سنة ١١٥٠ هـ^(٤) وأن الشيخ بدأ رحلته العلمية في العشرين من عمره^(٥) - أى في عام ١١٣٥ هـ تقريبا فليس من المعقول أن يكون الشيخ أخذ عن الداغستاني ابن عشر فقط ولكن من المعقول أن يكون أخذ عنه بعد أن أمضى بضع عشرة سنة في طلب العلم راحلا إلى نجد والبصرة وعائدا إلى الحجاز وقد تم للداغستاني عشرين سنة ونيفا وأمكته أن يحتل مكانا عاليا في علماء دمشق وأن يأتى للمدينة ليرى عن شيخها السندی فيلتقى به الشيخ في هذه المرة ويأخذ عنه ويستجيزه ما معه من علم أهل الشام، فهذا دليل على أن الشيخ ختم رحلته العلمية بالحج والزيارة بالاضافة إلى كلام ابن حسن الصريح بذلك والمتقدم قبل قليل. والله أعلم.

(١) روضة ابن غنام ٢٦/١.

(٢) الرسائل والمسائل ٣/٣٨٠.

(٣) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب... بقلم أحمد بن حجر آل بوطامى ص ١٧. وقبله ابن قاسم في الدرر السنية ٤/١٢، وقبلهما صاحب التوضيح محمد بن علي بن غريب، في التوضيح عن توحيد الخلاق... ص ١٦، ١٧.

(٤) محمد بن عبد الوهاب... ص ٣٩ هامش ٣.

(٥) محمد بن عبد الوهاب... ص ٣٨.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وكان قد عزم وهو بمكة أن يصل الشام مع الحاج فعاقه عنهم عائق فقدم المدينة وأقام بها ثم ان العليم الحكيم رده إلى نجد رحمة لمن أراد أن يرحمه بمن يؤويه وينصره وقدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حريملاء فناداهم بالدعوة إلى التوحيد»^(١).

وقال ابن بشر: «ثم ان الشيخ أراد أن يصل إلى الشام فضاعت نفقته التي معه فانشئ عزمه عن المسير إليه . لما أراد الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى أن يمضى أمره ويعلى كلمته ويجمع أهل نجد بعد تفرقهم على إمام واحد، يزيل عنها شعائر الكفر والبدع»^(٢).

وقال ابن قاسم: «ثم ارتحل يريد الشام فحصل له عائق لما اقتضته الحكمة الربانية من ظهور هذا الدين في البلاد النجدية فقصده نجدا ووجد والده قد ارتحل إلى بلدة حريملاء»^(٣).

وكل هذه النصوص تصرح بأن الشيخ انشئ عزمه عن الشام وعاد إلى نجد لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يرحمهم به ، وأما ما فهمه الدكتور العثيمين من قول ابن بشر عن الشيخ: «ثم انه خرج من الأحساء وقصد بلد حريملاء»^(٤) من أن الأحساء كانت آخر المواطن لرحلات الشيخ ولوللحج وأنه لم يرحل بعد رحلته العلمية إلى الحرمين ، وأن عودته النهائية إلى حريملاء لم تكن من المدينة - فإن هذا المفهوم مرجوح لما قدمناه والله أعلم .

وخلاصة ما تقدم أن الشيخ رحمه الله رحل إلى خارج وطنه لطلب العلم إلى الحجاز ثم إلى البصرة وإلى الأحساء ثم البصرة أيضا والزبير ثم إلى الحجاز ولم يتمكن من الرحلة إلى الشام وعاد إلى نجد يدعوهم إلى التوحيد . وهذا ما نظمتم إلى .

(١) الرسائل والمسائل النجدية ج ٣ / ٣٤٠ .

(٢) ابن بشر ٨ / ١ .

(٣) الدرر السنية ٥ / ١٢ .

(٤) عنوان المجد ٨ / ١ .

ويذكر الدكتور محمد عبد الله ماضي أن الشيخ: سافر إلى بغداد^(١)، وكذا يذكر الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم^(٢)، وعبد الحليم الجندي^(٣)، وإبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري^(٤)، والله أعلم.

زمان رحلات الشيخ العلمية :

أما الزمن لهذه الرحلات العلمية، فليس فيه بيان دقيق وهو مجال اجتهاد. فيرجح الدكتور العثيمين أن مغادرة الشيخ بلدته العيينة لطلب العلم تمت قبل بلوغه عشرين سنة من العمر^(٥). كما قرر نحوه مسعود الندوي في كتابه: «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه»^(٦).

وكذلك يرجح الدكتور العثيمين أن الشيخ كان في الأحساء في الزمن الذي بين عامي ١١٤٤، ١١٤٨ هـ لأن ابن غنام أورد رسالة بعثها الشيخ أثناء إقامته الأخيرة في العيينة يدعوا إلى الله إلى العالم عبد الله بن عبد اللطيف ومما جاء فيها أن الشيخ اجتمع به من نحو «عشر سنين» كما في المخطوطة لتاريخ ابن غنام بخط صالح المرشد^(٧). ومن المعلوم أن الشيخ كان في العيينة بين سنتي ١١٥٤ هـ، ١١٥٨ هـ، وكذلك يرجح الدكتور العثيمين عودة الشيخ النهائية من رحلته العلمية إلى حريملاء كان بين سنتي ١١٤٤-١١٤٩ هـ - لأن ابن بشر ذكر أن الشيخ بقي مع أبيه في حريملاء مدة سنين ولعل صيغة الجمع هنا توحى بأن ذلك كان أكثر من ثلاث سنوات، وذكر ابن بشر أن أبا الشيخ توفي سنة ١١٥٣ هـ^(٨).

(١) النهضة الحديثة في جزيرة العرب، في المملكة العربية السعودية ص ٤٣.

(٢) الدولة السعودية الأولى ص ٣٣.

(٣) الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي ص ٩٢.

(٤) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، خ، لوجه ٣٢٧.

(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٢٩.

(٦) ص ٣٨.

(٧) انظر مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الرسائل الشخصية ص ٢٥٠ هامش رقم ٢ وص ٣، وانظر:

الشيخ محمد بن عبد الوهاب... للدكتور العثيمين ص ٤٠، وتحرير الأسد لروضة ابن غنام ص ٢١٣ هامش ١.

(٨) الشيخ محمد بن عبد الوهاب... للدكتور العثيمين ص ٤٠.

أى أن الشيخ قضى ما بين إحدى عشرة وست عشرة سنة في السفر والترحال لطلب العلم وتحقيق مسائل عقيدة السلف الصالح .

وقبل هذه الرحلة وأثناءها أخذ الشيخ عن مشايخ فضلاء، وعلماء أجلاء في نجد والمدينة والبصرة والأحساء، وحصل على إجازات منهم وكتب كثيرا من كتب السنة وكتب ابن تيمية وابن القيم، وكان ينكر ما يراه مخالفا للإسلام إنكارا لفت الأنظار إليه وانفرد به انفرادا جعله مستهدفا بالأذى والاخراج كما حصل له في البصرة . وفيما يلي تفصيل هذه الجملة :

شيوخه وما أخذه عنهم من فنون العلم :

١ — في نجد :

كما سبق أن ذكرنا أن الشيخ تلقى العلم في نشأته العلمية في بلدة «العينة» على والده الشيخ عبد الوهاب قاضي العينة، وعلى عمه الشيخ إبراهيم - وهما أخذا عن أبيهما علامة الديار النجدية ومرجع علمائها الشيخ سليمان بن علي^(١)، ولا يستبعد أخذه عن غير والده وعمه ولكننا نستطيع تسمية أبيه وعمه فحسب فنجعل والده أول شيخ له نترجمه هنا فنقول :

١ — الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ سليمان بن علي .

ولد في مدينة العينة - قاعدة بلدان نجد إذ ذاك وكان والده الشيخ سليمان بن علي علامة نجد في زمنه هو قاضي العينة فشب في بيت علم وفضل واشتغل بالعلم من صغره فأخذ عن والده وعن غيره من علماء العينة ونجد كالشيخ محمد بن ناصر حتى أدرك لاسيما في الفقه، فانه فقيه لا كآبيه ودرس وأفتى وكتب عن بعض المسائل الفقهية كتابات حسنة وولى قضاء العينة فمكث فيه مدة طويلة .

قال عبد الله بن بسام : «وقد رأيت له أحكاما عام ١١٢٠ هـ^(٢) ثم ترك قضاء العينة حين عزله خرفاش بن معمر عام ١١٣٩ هـ وانتقل إلى حريملاء ونزلها وتولى

(١) انظر: ص ٧٣-٧٩ من هذا البحث .

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ج ٣/٦٦٩ .

القضاء فيها حتى توفي عام ١١٥٣ هـ رحمه الله تعالى وقد ربي ابنه الشيخ محمد تربية علمية كما ذكرناه قريباً^(١).

٢ — والشيخ الثاني هو: الشيخ إبراهيم بن الشيخ سليمان بن علي.

ولد سنة ١٠٧٠ هـ سبعين وألف في بلدة العيينة وكان والده الشيخ سليمان بن علي قاضيها كما ذكرنا في ترجمة أخيه الشيخ عبد الوهاب قبله، وأخذ عن أبيه وعن غيره من العلماء حتى حصل خصوصاً في الفقه وكتب من كتب الفقه شيئاً كثيراً بيده وخطه حسن مضبوط وقد ولي القضاء في بلدة أشيقر وقال البسام «رأيت له حكماً في بعض عقاراتها»^(٢).

وتوفي سنة ١١٤١ هـ وخلف ابنه عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ وانقطع عقبه^(٣).

٢ — في الحجاز:

هل درس على علماء مكة؟

يذكر الشيخ عبد العزيز بن باز أنه أخذ عن بعض علماء الحرم الشريف^(٤). ويقول الدكتور العثيمين: «وتشير بعض المصادر إلى أنه درس على علماء الحرمين وهذا يعني أنه درس في كل من مكة والمدينة ولكن عدم ذكر المصادر لأي عالم درس محمد بن عبد الوهاب عليه في مكة يرجح أنه لم يدرس فيها مدة تستحق العناية والبحث»^(٥).

ولكنني وجدت في بعض المصادر أن الشيخ أخذ عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري وهو مكي^(٦).

(١) انظر: المصدر السابق ج ٣/٦٦٩-٦٧٠، وص (٩٣) من هذا البحث.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ج ١/١١٠ هـ.

(٣) المصدر السابق، ص ١١١.

(٤) محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، محاضرة، الدار السعودية للنشر ص ٢٠.

(٥) الشيخ محمد بن عبد الوهاب... ص ٣٠.

(٦) المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر

٢/٢٤٧. وفهرس الفهارس ١/١٣٦.

وفيا يلي ترجمته وبيان أخذ الشيخ عنه :

٣ — الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصرى أصلاً المكي مولداً ومدفننا الشافعي ، مسند الحجاز عمدة المحققين^(١) .

ولد سنة ١٠٥٠ هـ أو ١٠٤٩ هـ ، أو ١٠٤٨ هـ وتوفي سنة ١١٣٤ هـ^(٢) ، الإمام المحدث الحافظ^(٣) ، تأهل للعلم في مكة ومات فيها ، ترجم له العلامة الشيخ عابد السندى الحنفي فقال : وأما إمام الحديث والمقدم في عصره الشيخ عبد الله بن سالم البصرى فهو إمام عصره - إلى أن قال : جمع في علم الحديث بين الرواية والدراية وبلغ من التحقيق أكمل غاية ، وصنف التصانيف الفائقة ، وقرأ في المسجد الحرام عدة كتب ، من جملتها البخارى ومسلم والسنن الأربع ، وقرأ البخارى أيضاً بتمامه في جوف الكعبة الشريفة^(٤) مرتين وقرأ مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى جميعه في الروضة الشريفة في ستة وخمسين مجلساً سنة ألف ومائة واحد وثلاثين^(٥) .

وقال الكتانى : قد اتفقوا على أنه حافظ البلاد الحجازية^(٦) ، وأخذ عن عدة مشائخ منهم العلامة محمد بن علاء الدين البابلى ، وجل أخذه عنه^(٧) ، ومن مناقبه تصحيحه للكتب الستة حتى صارت نسخه هى المرجع ، وجمع مسند الإمام بعد أن فرقته الأيدى وصححه وبمصر في خزانة الشيخ محمد بن محمد الأمير المالكى نسخة من مسند الإمام أحمد بخطه مصححة ، وجمع من تفسير الكتب ما لا يوجد عند غيره^(٨) ، وتفرد بأقراء جميع الكتب الستة وهو صاحب الامداد بمعرفة علو الاسناد ، اسم لفهرس مجمع في أسانيده ، في نحو ثلاث كراريس طبع بالهند ، من جمع ولده الشيخ سالم متداول بين المشائخ^(٩) ، وقد أخذ عنه من أهل الحرمين والشام والمشرق واليمن ما لا يحصى عددهم^(١٠) .

(١) فهرس الفهارس ١/١٣٦ ، والمختصر من كتاب نشر الروض والزهر ٢/٢٤٦ .

(٢) (٥-٢) فهرس الفهارس ١/١٣٦ ، والمختصر ٢/٢٤٦ . ولعله يريد بجوف الكعبة حجراً إسماعيل عليه السلام فهو من الكعبة . وهذا من الغلو الذى لا مدح فيه .

(٦) فهرس الفهارس ١/١٣٦ هـ .

(٧) المختصر ٢/٢٤٧ .

(٨) المرجع السابق باختصار .

(٩) فهرس الفهارس ١/١٣٦ باختصار .

(١٠) المختصر ... ٢/٢٤٧ .

حدث عنه شيوخ العصر وشيوخ المشايخ منهم المعمر محمد بن حياة السندی
نزىل المدينة المنورة، ومنهم العلامة إسماعيل بن محمد العجلونی وغيرهما^(١).

وهذا الشيخ يعتبر الشيخ الثالث للشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد شيخه الأول
أبيه عبد الوهاب وشيخه الثاني عمه إبراهيم ابني الشيخ سليمان بن علي علامة نجد
وتقدمت ترجمتهما ويذكر عن أسرته العلمية^(٢)، والدليل على أن الشيخ محمد بن عبد
الوهاب أخذ عن هذا الشيخ المترجم هو ما جاء في فهرس الفهارس للكتاني عند ذكره
ثبت «حصر الشارد من أسانيد محمد عابد السندی» المتوفي سنة ١٢٥٧ هـ بالمدينة،
فقال الكتاني عن محمد عابد هذا: «وروى كتاب القرى لقاصد أم القرى عن عبد
الله بن محمد بن عبد الوهاب النجدي عن أبيه إمام الطائفة الوهابية النجدية عن
البصري»^(٣).

فهذا يدل بوضوح على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أخذ عن
البصري وأما تعقيب الكتاني باستبعاده ذلك لأن ابن عبد الوهاب إنما عاصر البصري
بنحو عشرين سنة وهو بنجد والبصري بمكة، ولأن المعروف لديه هو أن ابن عبد
الوهاب إنما أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصري وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستاني
الدمشقي وعبد اللطيف الأحسائي ومحمد العفالق^(٤)، فلا يتم، لأن الكتاني لم يذكر
أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حج وزار المدينة وأقام بها شهرين وهو في الثالثة عشرة
من عمره أي في سنة ١١٢٧ هـ تقريباً. وهذه المدة كان الشيخ البصري فيها حياً يرزق
يقوم بالتدريس، فقد كانت وفاته عام ١١٣٤ هـ على ما يثبت الكتاني^(٥)، وهو الثابت
في تراجم أفاضل مكة^(٦) وسبق ذكره قبل قليل^(٧)، فاذا تذكرنا هذا علمنا امكان لقاء
الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتصاله بالشيخ البصري، فلا محل لتعقيب الكتاني
باستبعاد ذلك فيما يرى فالحجة فيما روى. ويكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب آخر

(١) المختصر ... ٢٤٨/٢-٢٤٩ باختصار. وفهرس الفهارس ١/١٤٩، ١٤٠ باختصار أيضاً.

(٢) انظر: ص ص ٧٣-٨٩ من هذا البحث.

(٣) فهرس الفهارس ١/١٣٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) فهرس الفهارس ١/٢٧١.

(٦) المختصر ... ٢٤٦/٢.

(٧) انظر: ص ٩٠ من هذا البحث.

تلاميذ البصري موتاً لأنه توفى سنة ١٢٠٦ هـ ، وما يقوله الكتاني من أن آخرهم فيما يحفظ موتاً الشمس محمد بن عبد الله المغربي غير صحيح لأن المغربي مات سنة ١٢٠١ هـ . والله أعلم^(١) .

في المدينة المنورة :

«كانت المدينة المنورة ملتقى العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية كان بعض هؤلاء يأتى إليها فيستقر فيها . وكان بعضهم يأتى إليها فيقيم فيها فترة ثم يغادرها إلى وطنه وقد ضمت في تلك الفترة بالذات علماء درس عليهم وتأثر بهم عدد من أصبحت لهم أدوار مهمة في بلدانهم»^(٢) .

وكان المناخ التعليمي فيها كما هو في مكة مختلفاً عما ألفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسقط رأسه العيينة . فبينما كان الاهتمام في بلده منصباً تقريباً على الفقه الحنبلي كان في مكة والمدينة شاملاً لكثير من العلوم والفنون . وإذا كان العلماء في العيينة محصورين عدداً ونوعية فأنهم في الحجاز كانوا كثيرين في عددهم مختلفين في مشاربهم وأنواع علومهم . وكان ذلك الوضع الجديد فرصة عظيمة للوافد الحاج ليدرس ما يحب من فنون المعرفة ويحضر دروس من يختاره من المشائخ^(٣) .

وفيما يلي تراجم من أخذ عنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب من علماء بالمدينة المنورة :

٤٠ — الشيخ العالم عبد الله بن إبراهيم بن سيف من آل سيف رؤساء بلد «المجموعة» والد إبراهيم مصنف العذب الفاضل شرح ألفية الفرائض^(٤) .

قال ابن عيسى عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم هذا : «انتقل أبوه إبراهيم بن

(١) انظر: فهرس الفهارس . . . ٢٧١/١ ، وانظر للمقارنة بحث إسماعيل الأنصاري المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ص ١٠-١١ .

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره للدكتور عبد الله العثيمين ص ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٣٠ .

(٤) طبع الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢ هـ قال في مقدمته عن نفسه : «المشرف أصلاً ، والمدني مولداً وداراً

والحنبلي مذهباً ، والسلفي معتقداً» ص ٣ .

سيف بن عبد الله الشمري من بلد الجمعة بعد أن قام على بيته وجعل بعضه مسجداً وهو المعروف اليوم بمسجد إبراهيم في بلد الجمعة ، وبعضه حفر فيه بئراً لوضوء الناس ، وبعضه بستانا للبئر المذكورة ، وأوقف بعض عقاره على إمام المسجد المذكور ، وسكن في المدينة المنورة»^(١).

وقال عبد الله بن بسام : «قرأ على الشيخ فوزان بن نصر الله النجدي»^(٢) وقال عنه صاحب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة : «من أفاضل الفقهاء قرأ على علماء المدينة المنورة ثم ارتحل إلى الشام فقرأ على علامتها وشيخ الحنابلة بها أبي المواهب ، وسكن في المدينة إلى أن مات وأخذ عنه جمع»^(٣).

وقال عنه عبد الرحمن الانصاري المتوفى سنة ١١٩٧ هـ في كتابه : «تحفة المحيين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب» له قصيدة فريدة في ذم الدخان وشربه^(٤) ، ذكر ابن بسام أن مطلعها :

يا مولعا بدخان النار تشربه وتدعى الحل فيه هات برهاننا
أورد عليه دليلا كي تحلله لا فلسفات وتغليطاً ومهتاننا^(٥)

وتوفى الشيخ عبد الله بن سيف في المدينة عام ١١٤٠ هـ^(٦) رحمه الله تعالى وهو رابع شيخ من مشايخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وقد وجدت في كتاب الحِطَّة (لصديق حسن خان : ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن عبد الله بن إبراهيم النجدي تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي»^(٧).

(١) ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث ... ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ج ٢ / ٥٠٢ .

(٣) نقلا عن مجلة العرب ج ٩ و ١٠ س ١٢ عام ١٣٩٨ هـ ، ص ٦٥٥ .

(٤) انظر بيت الغرضي من ذلك الكتاب ص ٣٨٦-٣٨٧ ط تونس ١٣٩٠ هـ . ابن بسام ، علماء نجد خلال

ستة قرون ج ٢ / ٥٠٤ .

(٥) ابن بسام علماء نجد خلال ستة قرون ج ٢ / ٥٠٣ .

(٦) ابن بسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ج ٢ / ٥٠٤ .

(٧) الحِطَّة في ذكر صحاح ستة ، ط عام ١٣٩٧ هـ ، لاهور ، ص ١٦٦-١٦٨ .

ولقد أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن المترجم كثيرا من العلم وصارت بينهما محبة وكان بمحمد بن عبد الوهاب حفا وبذل جهدا كبيرا في تثقيفه وتعليمه . وكان من أكبر عوامل توثيق الروابط بينهما وتمكين المحبة توافق أفكاره ومبدئه مع تلميذه في عقيدة التوحيد والتألم مما عليه أهل نجد وغيرهم من عقائد باطلة وأعمال زائفة^(١) . وقال الشيخ محمد عن شيخه هذا : «كنت عنده يوما - فقال لي : تريد أن أريك سلاحا أعددتَه للمجموعة؟ قلت : نعم - فأدخلني منزلا عنده فيه كتب كثيرة وقال هذا الذي أعددتُه لها»^(٢) . وقد ذكرنا ذلك قبل قليل^(٣) .

وأول حديث سمعته منه ، الحديث المشهور المسلسل بالأولية . نقل ابن غنام من خطه ما نصه : «حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عن شيخ الإسلام ومفتي الشام أبي المواهب الحنبلي اجازة قال أخبرنا والدي تقي الدين عبد الباقي الحنبلي وهو أول حديث سمعته منه ، قال أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتي الحنبلي ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي ، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به والدي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحكري الصوفي الخازن ، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي ، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الصدر أبو الفتح الميذومي وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني وهو أول حديث سمعته منه ، قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن

الجوزي وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ إسماعيل بن صالح النيسابوري وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به والدي أبو حامد صالح المؤذن وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به أبوطاهر محمد بن محمد بن محمد بن محمش

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . أحمد بن حجر آل بوطامي ، ص ١٦ .

(٢) ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ٧/١ .

(٣) انظر : ص ٨١ من هذا البحث .

الزيادى، وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا سفيان بن عيينه وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن أبى قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال - قال رسول الله ﷺ : «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» تفرد به سفيان ولا يصح سنده عن من فوق سفيان^(١) والله أعلم.

وحدث الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف أيضا بالمسلسل بالحنابلة، قال رحمه الله «حدثنى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلى بمنزله بظاهر المدينة النبوية عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبى المواهب بن تقى الدين عبد الباقي الحنبليان عفى الله عنهما - اجازة عن والده تقى الدين المذكور قال أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البهوتى الحنبلى - قال أخبرنا الشيخ تقى الدين بن النجار الفتوحى صاحب منتهى الارادات أخبرنا والدى شهاب الدين أحمد قاضى القضاة الحنبلى أخبرنا بدر الدين الصفدى القاهرى الحنبلى أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلى أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله الرصافى قال أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلى قال أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلى قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلى قال حدثنى أبى أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلى عن ابن (أبى)^(٢) عدى عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال - قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله - قالوا كيف يستعمله؟ - قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام أحمد رضى الله عنه^(٣).

(١) انظر: البحث المقدم لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الشيخ إسماعيل الأنصارى ص ٥ - ٦. والحديث صححه الترمذى والحاكم وحمل السخاوى تصحيحهما على ماله من المتابعات والشواهد المقاصد الحسنة ص ١٠٠ رقم ٨٨.

(٢) الزيادة التى بين القوسين من شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد للسفارينى ج ١/ ٧٩٩.

(٣) روضة ابن غنام ١/ ٢٦، ٢٧، وقد شرحه السفارينى فى كتابه نفثات صدر المكمد وقرة عين المسعد لشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، ج ١/ ٧٩٩، وانظر: الدرر السنية للشيخ عبد الرحمن بن قاسم ١٢/ ٤، وبحث إسماعيل الأنصارى ص ٧.

وقد أجاز الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من طريقين^(١).

وقد أجازهُ أيضاً الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف في كل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلماً وتعليماً من صحيح البخاري بسنده إلى مؤلفه وصحيح مسلم بسنده إلى مؤلفه وشروح كل منها وسنن الترمذي بسنده وسنن أبي داود بسنده وسنن ابن ماجه بسنده وسنن النسائي الكبرى بسنده وسنن الدرامي ومؤلفاته بالسند وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكتب النووي كلها وألفية العراقي والترغيب والترهيب والخلاصة لابن مالك وسيرة ابن هشام وسائر كتبه ومؤلفات ابن حجر العسقلاني وكتب القاضي عياض وكتب القراءات وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلي وكتاب القاموس بالسند إلى مؤلفه ومسنند الإمام الشافعي وموطأ مالك ومسنند الإمام الأعظم ومسنند الإمام أحمد ومسنند أبي داود ومعجم الطبراني وكتب السيوطي وفقه الحنابلة وسلسلتها وأصولهم^(٢).

ثم ان الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف وصل جبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجبل الشيخ المحدث محمد حياة السندی وعرفه به وبأهله فأقام الشيخ عنده وأخذ عنه^(٣).

٥ — الشيخ الإمام العالم الكبير المحدث محمد حياة بن إبراهيم السندی المدني . أحد العلماء المشهورين الربانيين وعظماء المحدثين ولد في إقليم السند ونشأ وقرأ العلم على الشيخ محمد معين بن محمد أمين السندی من تلامذة الشاه ولي الله الدهلوی رحمه الله ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين فحج ثم توطن المدينة المنورة ولازم

(١) روضة ابن غنام ٢٦/١ ، وانظر: الدرر السنية ٤/١٢ للشيخ عبد الرحمن بن قاسم .

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق . . ص ١٧ ، وانظر: مقال الشيخ عبد الله بن حميد ص ٩١ ، وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . بقلم أحمد آل أبو طامي ص ١٦ ، وقد خلط بين الرواية بالحديث المسلسل بالأولية وبين الاجازة من طريقين وهما أى الرواية والاجازة شيان منفصلان .

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . أحمد بن حجر آل بو طامي ص ١٦ .

الشيخ الكبير أبا الحسن محمد بن عبد الهادي السندی المدني صاحب الحواشي على دواوين السنة الستة وأخذ عنه وجلس مجلسه بعد وفاته أربعاً وعشرين سنة^(١).

وفي كتاب: «مشاهير علماء نجد وغيرهم» لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ: أن محمد حياة السندی المدني هو صاحب الحاشية المشهورة على صحيح البخاري^(٢) وكذلك في كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد، تأليف محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الأحسائي الأنصاري^(٣).

والصحيح أن صاحب الحاشية هو شيخ محمد حياة السندی لا هو كما قدمنا، وكما في حاشية السندی على البخاري المطبوع بکراچی من ترجمته^(٤). وحصل الشيخ محمد حياة السندی على اجازة من الشيخ عبد الله بن سالم البصري المالكي صاحب الامداد في علو الاسناد^(٥).

وأخذ عن الشيخ أبي الطاهر محمد بن إبراهيم الكردي والشيخ حسن بن علي العجمي وغيرهم.

وأخذ عنه سوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ أبو الحسن بن محمد صادق السندی والشيخ أحمد بن عبد الرحمن السندی والشيخ محمد سعيد صقر والشيخ عليم الله بن عبد الرشيد اللاهوري المدفون بدمشق والشيخ خير الدين بن محمد زاهد السورتی والشيخ محمد فاخر بن محمد يحيى العباسي و غلام علي آزاد البلجرامي والشيخ علاء الدين السورى وغيرهم^(٦).

(١) مقدمة تحفة الأنام في العمل بخديث النبي عليه السلام للشيخ السندی بقلم محمد عطاء الله حنيف ص ٧٩.

(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٧.

(٣) القسم الأول، أشرف على طبعه. وعلق عليه بعض الحواشي حمد الجاسر، ط ١، ١٣٧٩ هـ المكتب الإسلامي ص ١٢٥.

(٤) حاشية السندی على صحيح البخاري المطبوع بکراچی عام ١٣٨١ هـ نشر نور محمد ص ٢.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، ٢٦/١، سابقة ١١٦٥ هـ، وانظر مقدمة تحفة الأنام ... بقلم محمد عطا الله حنيف ص ٧٩، وص ٩٠ من هذا البحث.

(٦) انظر: مقدمة تحفة الأنام ... ص ص ٨٠، وانظر: ابن بشر، عنوان المجد ... ٢٦/١.

قال ابن بشر: «كان له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله ومحبه وصنف مصنفًا سماه تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام - وله مصنفات غيرها رأيت له مصنفًا عجيبًا شرحًا على الأربعين النووية سماه «تحفة المحبين في شرح الأربعين»^(١).

وله رسالة بعنوان: «الايقاف على سبب الاختلاف» وقد طبعت ضمن مجموع يضم ثلاث رسائل رسالته هذه ورسالة أخرى هي تحفة الأنام التي أورد ذكرها ابن بشر ورسالة الاتباع للقاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفى تحت اشراف المكتبة السلفية بلاهور^(٢).

ويضيف عبد الغفور عطار إلى مؤلفاته: مقدمة في العقائد^(٣) ويذكر له صاحب سلك الدرر محمد خليل المرادى: شرح الترغيب والترهيب، و«مختصر الزواجر، وشرح الحكم العطائية والحكم الحدادية وشرح الأربعين حديثًا من جمع الملا علي القارى، وتوفى رحمه الله يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين ومائة وألف ودفن بالبقيع»^(٤) وقيل توفى سنة خمس وستين ومائة وألف . . . والله أعلم^(٥).

وكان الشيخ محمد حياة من المنكرين للبدع في الدين وللأعمال الشركية .

قال ابن بشر: «وحكى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقف يوما عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي ﷺ فرآه محمد حياة فأتى إليه فقال الشيخ ما تقول في هؤلاء؟ قال: (إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون)^(٦).

(١) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٢٦، ٢٥/١ .

(٢) طبعة أولى عام ١٤٠١ هـ .

(٣) محمد بن عبد الوهاب، هامش ص ٣٧ .

(٤) سلك الدرر للمرادى ج ٤/٣٤، وفهرس الفهارس . . . ٢٦٤، ٢٦٥، ومقدمة تحفة الأنام . . .

ص ٨٠ .

(٥) ابن بشر، عنوان المجد، سابقة ١١٦٥ هـ . ٢٦، ٢٥/١، وانظر: مسعود الندوى محمد بن عبد

الوهاب . . . ص ٣٩ .

(٦) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٧/١ .

وكان أيضا من المعارضين للتعصب للمذاهب الفقهية وترك الحديث الصحيح المحكم الذى لم ينسخ للالتزام بالمذهب، قال الشيخ صالح بن محمد العمرى الفلانى: (١١٦٦هـ - ١٢١٨هـ) قال شيخ مشائخنا محمد حياة السندى: «اللازم على كل مسلم أن يجتهد فى معرفة معانى القرآن وتتبع الأحاديث وفهم معانيها وإخراج الأحكام منها فإن لم يقدر فعليه أن يقلد العلماء من غير التزام مذهب لأنه يشبه اتخاذ نبياً وينبغى له أن يأخذ بالأحوط من كل مذهب ويجوز له الأخذ بالرخص عند الضرورة - وأما بدونها فالأحسن الترك - أما ما أحدثه أهل زماننا من التزام مذاهب مخصوصة لا يرى ولا يجوز كل منهم الانتقال من مذهب إلى مذهب فجهل وبدع وتعسف، وقد رأيناهم يتركون الأحاديث الصحاح غير المنسوخة ويتعلقون بمذاهبهم من غير سند . . . إنا لله وإنا إليه راجعون» أ - هـ (١).

هذا هو الشيخ محمد حياة السندى ومنهجه السلفى، والذى صار الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من تلامذته الخواص ومكث عنده زمناً (٢)، وأخذ عنه علماً نبوياً نافعا فى المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «وكان له أكبر الأثر فى توجيهه إلى إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة» (٣).

٦ - الشيخ إسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى الشافعى .

ولد بعجلون سنة (١٠٨٧) سبع وثمانين بعد الألف للهجرة، وأخذ العلم عن الشيخ أبى المواهب مفتى الحتابلة بدمشق وعن كثير من المشايخ الكبار، وأجازه الشيخ عبد الله بن سالم البصرى المكي والشيخ أبو الحسن السندى ثم المدنى وغيرهما وألف المؤلفات المفيدة منها «كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس». وله: «حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال» (٤).

(١) إيقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار ص ٧٠.

(٢) انظر: محمد بن عبد الوهاب . . . لمسعود الندوى ص ٣٩، وابن بشر عنوان المجد . . . ٧/١.

(٣) مصباح الظلام تصحيح محمد حامد الفقى ص ١٣٩.

(٤) فهرس الفهارس . . . ٢٦٩/١.

وكانت وفاته بدمشق في شهر المحرم الحرام سنة اثنتين وستين ومائة وألف^(١)
(١١٦٢ هـ) رحمه الله ، وقد ذكره من مشايخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ عبد
القادر بن أحمد المعروف بابن بدران الدمشقي في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام
أحمد بن حنبل» في (ص ٢٣٠) والشيخ عبد الرحمن بن قاسم في الدرر السنية
(ج ٤/١٢).

ولعله التقى به في مكة أو المدينة وقد ثبت أن العجلوني رحل إلى الحجاز وأخذ
عن المشايخ بمكة كالبصري ، والقلعي مفتي مكة ، وغيرهما - وعن المشايخ بالمدينة
كالسندی أبي الحسن صاحب الحاشية على صحيح البخاري والبرزنجي وغيرهما -
وأقرأ صحيح البخاري في روضة المسجد النبوي وأعاد له الدرس المرادى من
تلاميذه^(٢) والله أعلم .

٧ — وأخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ علي أفندي بن صادق بن
محمد بن إبراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي الداغستاني^(٣) . ولد في سنة
١١٢٥ هـ .

قال صاحب التوضيح : «والشيخ الداغستاني هو شيخ مشايخ الشام بأجمعهم
بعد الشيخ أبي المواهب والشيخ إسماعيل العجلوني» أ - هـ^(٤) - فقد ورثهما في العلم
والمكانة ، وكان يحتل مكانا عاليا في علماء دمشق - أخذ عن الشيخ محمود بن عبد الله
الأنطاكي ، وعن الشيخ عبد الكريم الأفندي والشيخ أيوب الداغستاني ثم رحل إلى
الحجاز وجاور بالمدينة وروى عن الشيخ محمد حياة السندی وطلب العلم ومكث مدة
واستفاد منه عشرات من الناس ثم رجع إلى الشام سنة ١١٥٠ هـ .

(١) ملخص من سلك الدرر للمرادي ١/٢٥٩-٢٧٢ ، وانظر : الجزء الأول من كتاب «كشف الخفاء
ومزيل الالباس للعجلوني ، ص ٦٠٢ .

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) التوضيح عن توحيد الخلاق ... ص ١٦ ، ١٧ ، وابن بدران في المدخل ص ٢٣٠ ، والكتاني في
فهرس الفهارس ١/٢٧١ ، وانظر : الدرر السنية ٤/١٢ ، وانظر : بحث إسماعيل الأنصاري ص ٩ المقدم لمؤتمر
اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاق ... ص ١٦ ، ١٧ .

وقد أخذ عنه الشيخ لما اجتمع به في المدينة المنورة، وأجازه بمثل ما أجازه الشيخ عبد الله بن إبراهيم بما في ثبت أبي المواهب^(١).

وتقدم ذكر إجازة الشيخ عبد الله له^(٢). أصيب بالفالج سنة ١١٩٦ هـ وانقطع في داره وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة وألف^(٣) (١١٩٩ هـ) رحمه الله تعالى. ولكن مسعود الندوي يستبعد تتلمذ الشيخ محمد أو استفادته منه، ويعلل ذلك بأنه كان صغيراً جداً أثناء إقامة الشيخ ابن عبد الوهاب في المدينة المنورة^(٤).

غير أننا إذا تذكرنا أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قرر بأن جده وشيخه الشيخ محمد بن عبد الوهاب حج وزار المسجد النبوي بعد رحلته العلمية إلى البصرة والأحساء وكانت عودته النهائية من هذه الرحلة العلمية من المدينة المنورة^(٥).

وتذكرنا أن الدكتور العثيمين رجح أن عودة الشيخ إلى حريملاء كانت قبل سنة (١١٤٩ هـ)^(٦) فمن الجائز أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد لقي الشيخ علي الداغستاني في ذلك الزمن حيث كان موجوداً في المدينة قبل عام (١١٥٠ هـ)، وللشيخ الداغستاني من العمر ما يزيد على عشرين سنة وهذا ليس سن صغير جداً بل سن من يمكن الأخذ عن صاحبه فيه وإن كان الأخذ أكبر منه بنحو عشر سنوات كالشيخ ابن عبد الوهاب في حرصه وتواضعه لطلب العلم، كما أن هذا الفارق في السن لا يمنع من تبادل المعرفة وأخذ أحدهم عن الآخر سيما وأن الداغستاني قد أتى من الشام ليأخذ عن شيخ المدينة محمد حياة السندی وفي الغالب أن طالب العلم مثله لا يرحل من بلده يطلب العلم حتى يستوفي ما عند علماء بلده، وقد ذكر بعلو مكانه بين علماء دمشق واستفادة عشرات الناس منه. والله أعلم.

٨ ، ٩ ، ١٠ — وكذلك أخذ عن الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني وهو ابن عم الشيخ علي أفندي المتقدم ذكره وكذلك أخذ عن الشيخ محمد البرهاني، وعن

(١) التوضيح ... ص ١٦، ١٧. والشيخ محمد بن عبد الوهاب ... بقلم أحمد آل أبوطامي ص ١٧.

(٢) انظر: ص ٩٦ من هذا البحث.

(٣) سلك الدرر ٢١٥/٣.

(٤) محمد بن عبد الوهاب ... ص ٣٩.

(٥) انظر: ص ٨٥ من هذا البحث.

(٦) انظر: ص ٨٧ من هذا البحث.

الشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة، وحرر على أيديهم علم التوحيد وأمره عندهم فأقروه وكذلك محمد السفاريني أرسل إليه وهو بالشام نسخة فأقرها.

ذكر ذلك صاحب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق^(١).

وقال مسعود الندوى: وكذلك في بعض الكتب ذكر استفادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردي المدني المتوفى عام ١١٩٤هـ إلا أن السنين والأحوال تشهد بعكس هذا - بالإضافة إلى سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة حيث لم يذكر ابن غنام ولا ابن بشر تتلمذه عليه وإنما تفرد بذكره أحمد زيني دحلان فقط (في كتابه الذي سماه، الدرر السنية ص ٣٥-٤٢). ولكن كتابه هذا وكذلك كتابه خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام - ملئ بالأخطاء بل الافتراءات حتى أن القلب لا يرضى أن يقبل هذه الرواية التي لا تضر شيئا. ثم إن السنين تشهد بخلافه فمحمد بن سليمان الكردي توفي سنة ١١٩٤هـ عن عمر سبع وستين سنة كما في سلك الدرر (٤/١١١، ١٢) وهكذا تكون ولادته في سنة ١١٢٧هـ تقريبا ويكون صغير السن أيام طلب الشيخ وتتلمذه عليه بعيد. أ - هـ بتصرف قليل^(٢).

والقول بصغر سنه مبني على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأ رحلته العلمية عام ١١٣٥ تقريبا وهو في سن العشرين إلى الحجاز مكة والمدينة^(٣). ثم لم يعد إليه بعد بضع عشرة سنة قضاها في رحلاته العلمية أى في حدود سنة ١١٤٩هـ تقريبا، ولكن كما قلنا بأن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قررباًن جده وشيخه محمد بن عبد الوهاب حج وزار المسجد النبوي وكانت عودته من رحلته العلمية نهائياً من المدينة المنورة، وإذا علمنا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاد إلى حريملاء حيث كان فيها أبوه وبقي معه سنوات حتى توفي أبوه عام ١١٥٣هـ فمعنى ذلك أن عودته النهائية من المدينة المنورة كانت في حدود سنة ١١٥٠هـ فيمكن أن يكون التقى بالشيخ المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردي في هذا الزمن وعمر الشيخ الكردي ينيف على عشرين سنة وهذا سن لا يمنع الاستفادة منه وإن يكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يزيد عليه في السن كما حررناه في شأن الشيخ علي أفندي الداغستاني قبل هذا.

(١) ص ١٩.

(٢) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم . . . ص ٤٠ بالإضافة إلى هامشها رقم ١.

(٣) المرجع السابق ص ٣٨.

وأما كون دحلان لا يضمّن القلب خبره فنعم لأنه صاحب وسوسة وافتراءات وعداوة للإسلام ، وليست لديه أمانة في نقله ودينه^(١).

وأما سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة كابن غنام وابن بشر عن ذكر أخذ الشيخ عن الكردي فليس دليلاً على عدم أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب عنه ولعل سكوتهم عن ذكره بسبب ما نسبته أحمد زيني دحلان إليه : أنه من المعارضين لما يعتقده الشيخ محمد بن عبد الوهاب من عقيدة السلف الصالح^(٢) . فان صدق دحلان وقد يصدق الكذوب خصوصاً إن كان الصدق موافقاً لهواه فإن الكردي ممن لا يختاره الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأخذ عنه لأن في صحيح مسلم في المقدمة عن محمد بن سيرين ، قال : «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» وفيه عن ابن المبارك بنحوه وعن ابن سيرين أيضاً قال : لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سموا لنا رجالكم» فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم^(٣).

وقد بوب النووي لهذه الآثار وغيرها في شرحه في صحيح مسلم «باب بيان أن الاسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب ، وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة» .

ولسنا نحكم على الكردي بمجرد خبر دحلان ، ولكن نبين حكم افتراض أن دحلان صدق بخبره عنه على ضوء منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي في اختياره لمشائخه الذين يأخذ عنهم ، ويجوز أن الكردي ترك ذكره لعدم اشتهاه أخذ الشيخ عنه أو للاختصار أو لغير ذلك . . الله أعلم .

وذكر صاحب التوضيح أن الشيخ أخذ عن عبد اللطيف العفالقى الأحسائي وأن عبد اللطيف أجاز الشيخ في كل ما حواه ثبت عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلماً وتعليماً من كتب السنة بأسانيداً إلى مؤلفيها والعربية والقراءات وفقه الحنابلة والشروح والأصول بمثل ما أجازته كل من الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف والشيخ علي أفندي الداغستاني^(٤).

(١) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، تأليف محمد بشير السهسواني ص ١٢-١٤ .

(٢) ما يسمى «الدرر السنية في الرد على الوهابية» ، تأليف أحمد زيني دحلان ص ٣٥-٣٩ .

(٣) صحيح مسلم ج ١ ص ١٤ ، ١٥ .

(٤) التوضيح عن توحيد الخلاق . . . ص ١٦ ، ١٧ ، والكتاني في فهرس الفهارس ١/ ٢٧١ .

وتقدم ذكر ذلك مفصلاً^(١)، وكذلك ذكر الشيخ أحمد بن حجر آل أبوطامى ونص على هذا فى كتابه «الشيخ محمد بن عبد الوهاب...»^(٢).

وأيضاً فقد ذكر كل من صاحب التوضيح والكتانى وأحمد بن حجر آل أبوطامى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن محمد العفالقى الأحسائى، وقد عده أحمد بن حجر آل أبوطامى وسابقه عبد اللطيف العفالقى من شيوخ الشيخ فى المدينة^(٣) والله أعلم.

ولم أقف على ترجمة لعبد اللطيف العفالقى الأحسائى.

وكذلك محمد العفالقى الأحسائى إلا أن يكون هو محمد بن عبد الرحمن بن عفالق، فهذا له ترجمة فى السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لمحمد بن عبد الله بن حميد نشرتها مجلة العرب ضمن ما نشرت من تراجمه^(٤)، وترجم له عبد الله البسام فى كتابه علنائه نجد خلال ستة قرون^(٥).

وذكر ابن بسام انه ولد سنة ١١٠٠ هـ ورحل إلى المدينة وأخذ عن علمائها ومنهم عبد الله بن إبراهيم بن سيف وتوفى بالأحساء عام ١١٦٣ هـ وهو ممن عادى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عقيدة السلف الصالح وكتب له رسالة يتعنت فيها بأسئلة عن سورة العاديات، ماذا فيها من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها؟ من التعنتات التى ليست مما يدخل فى تحقيق ما يجب لله تعالى على عباده من توحيده بالعبادة وإخلاصها له. هذا المقام الذى لم يصل إليه ابن عفالق وأشياعه^(٦).

(١) انظر ص ٩-٦ وص ١٠١ من هذا البحث.

(٢) ص ١٧.

(٣) التوضيح... ص ١٦، ١٧، والكتانى فى فهرس الفهارس ٢٧١/١، والشيخ محمد... آل أبو طامى ص ١٧.

(٤) مجلة العرب الجزء التاسع والعاشر السنة الثانية عشرة الربيعان سنة ١٣٩٨ هـ ص ٧١٩-٧٢٠.

(٥) ج ٨٢١-٨١٨/٣.

(٦) انظر: المصدر السابق ٨٢٠/٣.

٣ - في البصرة :

١١ - ذكر الشيخ عثمان بن بشر في عنوان المجد في تاريخ نجد أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب «تجهز إلى البصرة يريد الشام ، فلما وصلها جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة قرية من قرى البصرة في مدرسة فيها - قال ابن بشر : «ذكر لى أن اسمه محمد المجموعى ، فأقام مدة يقرأ عليه وينكر أشياء من الشريكات والبدع وأعلن بالانكار واستحسن شيخه قوله ، وقرر له التوحيد وانتفع به ، وأخبرنى شيخنا القاضى عثمان بن منصور الناصرى . قال : أخبرنى رجل فى مجموعة البصرة بأن أولاد ذلك العالم الذى قرأ عليه الشيخ محمد هم أحسن أهل بلدهم بالصلاح ومعرفة التوحيد ، وهذا والله أعلم ببركة اجتماع الشيخ بالدهم»^(١).

وقد نقل ابن غنام أن الشيخ رحمه الله قد سمع الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو وأتقنه وكتب الكثير من اللغة والحديث فى إقامته تلك ، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومع ذلك فقد كان يدعو إلى توحيد الله بالعبادة ويزجر وينكر على من يدعو غير الله تعالى ، ويبين أن دعاء الأولياء ليس من محبتهم الصالحة وإنما محبتهم هي اتباع هديهم ، وحصل بمجلسه أن رجلاً يذكر مشروعية دعاء الصالحين والأولياء فأغلظ عليه الشيخ وزجره فتغير وجه ذلك الرجل وجال واستغرب وقال إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقاً فالناس ليسوا على شيء من زمان . ونقل ابن غنام قول الشيخ : وكان ناس من مشركى البصرة يأتون إلى بشبهات يلقونها على فأقول وهم قعود لذي : لا تصلح العبادة كلها إلا لله فيبته كل منهم فلا يتكلم»^(٢).

وذكر حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن : أنه «جالس علماء البصرة وتميز بالأخذ ممن لا يتهم فى حقه بالكذب والزور ، وصنف فى البصرة كتاب التوحيد أخذه من الكتب التى فى مدارس البصرة من كتب الحديث»^(٣).

(١) عنوان المجد . . . ٨٠٧/١ .

(٢) روضة ابن غنام ، ٢٨٠، ٢٧/١ .

(٣) الدرر السنية ٢١٥/٩ .

٤- لقاءه شيوخ الأحساء :

ذكر كل من الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عثمان بن بشر أن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحل إلى الأحساء فذكر ابن حسن أنه وجد في الأحساء فحول العلماء منهم : الشيخ عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سر به ، وأثنى على عبد الله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد^(١).

ولد سنة ١١٠٥ هـ ومن مشائخه الشيخ فوزان بن نصر الله وخاله الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي وهو ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب - وتوفي سنة ١١٧٥ هـ - وكان سلفي العقيدة^(٢) ، أما ابنه محمد الكفيف فهو من المعادين لعقيدة السلف الصالح التي دعا إليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(٣) ، رغم أن محمد ابن فيروز بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب آصرة القرابة في النسب وآصرة القرابة في الصهر ولكن فرقت بينهم العقيدة التي وفق للسلامة فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب دون الآخر^(٤).

وذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عثمان بن بشر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حضر مشائخ الأحساء ومن أعظمهم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي القاضي فنزل عنده فطلب منه أن يحضر الأول من فتح الباري على البخاري ، ويبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيثار ، ويبين أن الأشاعرة خالفوا ما صدر به البخاري كتابه من الأحاديث والآثار ، وبحث معهم في مسائل وناظر ، وهذا مشهور يعرفه أهل الأحساء وغيرهم من أهل نجد^(٥) ، وذلك قبل أن يعلن الشيخ محمد إنكاره الشرك في نجد وقبل أن تبرز معارضة أهل الأحساء للشيخ ومنهم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف المذكور وجرت بينه وبين الشيخ مكاتبات في

(١) الدرر السنية ٢١٦/٩ .

(٢) ابن بسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ٢/٦٢٧ ، ٦٢٨ .

(٣) المصدر السابق ٣/٨٨٢ .

(٤) انظر المصدر السابق ١/٣١٣ .

(٥) الدرر السنية ٢١٦/٩ ، عنوان المجد ج ٨/١ ، وانظر له ذكرا في كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد ، تأليف محمد بن عبد الله آل عبد القادر قسم ١/١٢٥ ، ٢/٧٤ .

ما بعد حول عقيدة السلف الصالح لا شك أن الصواب كان مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١).

هل للشيخ مشائخ في بغداد والموصل ؟

قال إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري : ان والده أخبره أن الشيخ محمد قدم بغداد وأخذ أيضا عن جد جده صبغة الله الحيدري ولذا لما رجع جده أسعد الحيدري من مكة على طريق الدرعية إجتمع بالشيخ وجلس عنده في الدرعية ثلاثة أشهر^(٢).

وفي بحث قدمه اللواء الركن محمود شيت خطاب لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود بعنوان : «الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل» يحقق ما ذكره المؤرخ ياسين بن خير الله العمرى الموصلى في كتابه «غرائب الأثر» أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قدم الموصل وقرأ العلم على العلامة ملا حمد الجميل وأخذ عنه الكثير^(٣)، ويقول : «لا يقلل من أهمية رحلة الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية إلى الموصل وأثرها في تكوينه العلمى واتجاهه الفكرى إغفال المصادر والمراجع التى ترجمت وأرخت لدعوته، لهذه الرحلة العلمية إلى هذه المدينة العلمية، ولعل أهم أسباب إغفالها هونشر كتاب «غرائب الأثر» متأخرا في سنة ١٣٥٩ هـ. المؤرخ غير متهم في صدقه وأمانته، وكان نشر هذا الكتاب بعد صدوره مجهولا بالنسبة للذين كتبوا بعد إخراجهم للناس، والواقع أن كتاب : «غرائب الأثر» مجهول بالنسبة لأكثر الباحثين العراقيين فلا عتب على الباحثين من غير العراقيين عربا وأجانب»^(٤).

ولكن الدكتور العثيمين وهو لم يذكر هذا الكتاب من مراجعه فلعله ممن يجهله يقول : «وعلى أية حال فإن النتيجة التى يطمئن إليها الباحث من مقارنة جميع المصادر السابقة أى التى ذكرها - حول أسفار محمد بن عبد الوهاب خارج نجد هى الأخذ

(١) انظر: روضة ابن غنام ١/ ٥٠-٦٠.

(٢) عنوان المجلد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، لوحة ٣٢٧. وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب

للدكتور العثيمين ص ٣٨.

(٣) ص ١، مجلد حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية.

(٤) ص ٣، نفس المصدر السابق.

برواية المؤرخين المؤيدين له»^(١) وكان الدكتور العثيمين قد قال : إن «المصادر المقربة من محمد بن عبد الوهاب لا تذكر أن رحلاته العلمية خارج نجد تجاوزت ثلاثة أمكنة : الحجاز والأحساء والبصرة»^(٢) قال : «لسببين رئيسيين - أحدهما أنهم أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم ، كما قال الشيخ حمد الجاسر ، والثاني أنهم حرصوا كل الحرص على تدوين جميع فضائله - ومن المعروف أن السفر في طلب العلم فضيلة . ولو كان الشيخ محمد قد سافر إلى بلدان غير التي ذكروا لما توانوا في تدوين ذلك وتفصيله»^(٣) أ - هـ .

ولكن عدم ذكر المصادر المقربة على حد تعبير الدكتور العثيمين رحلة الشيخ إلى ما سوى الحجاز والأحساء والبصرة لا يعنى عدمها فمن الجائز أن الشيخ وصل بغداد والموصل لاسيما وهما آنذاك أكبر مدن العراق ويستقطبان قسما من علماء المسلمين وطلاب العلم لأنهما من المراكز العلمية^(٤) .

وكون المؤرخين المؤيدين للشيخ أدرى بتفاصيل حياته من غيرهم ، وأنهم حرصوا كل الحرص على تدوين جميع فضائله لا يحتتم ذكرهم لجميع أسفاره في طلب العلم وهم لم ينفوا سفره إلى ما سوى ذلك ولم يحددوا سفره بما ذكروا ، وإنما ذكروا ما يستحق الذكر وهو المههم الذي حصل فيه الشيخ على بغيته من أسفاره فاقصروا على ذكره وذكر من وقع عليهم اختياره من الشيوخ الفحول في علم أهل السنة والجماعة ، أما المشائخ الآخرون في الأماكن الأخرى كبغداد والموصل . فيجوز أنهم ليسوا ممن اختاره الشيخ للأخذ عنه والتلقى منه ولذا أهمل المؤرخون المؤيدون ذكرهم وذكر بلدانهم ، واختيار العلماء يتطلب بحثا طويلا وترحالا كثيرا وصبرا جميلا والله أعلم .

رحلات الشيخ لم تتجاوز الحجاز والعراق والأحساء :

أما ما تجاوز الحد من أنه سافر إلى الشام كما ذكره خير الدين الزركلى في الأعلام وإلى فارس وإيران وقم وأصفهان كما يذكره بعض المستشرقين ونحوهم في

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٣٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٤) انظر : بحث «الإمام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل لمحمود شيت خطاب ص ٥ .

مؤلفاتهم المعروفة بالأخطاء ومجانبة الحقيقة كمرجليوث في دائرة المعارف الإسلامية وبراءجس وهيوجز وزويمر وبالغريف وكتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب»^(١) ومن تأثر به فهو أمر غير مقبول لأن حفيد الشيخ ابن حسن وابنه عبد اللطيف وابن بشر نصوا على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يتمكن من السفر إلى الشام كما قدمنا^(٢). وأما زعم أن الشيخ رحل إلى فارس وإيران وقم وأصفهان فإن عبد الحلیم الجندی يذكر في كتابه: «الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي» أنه ناقش في هذه الواقعة الشيخ عبد العزيز بن باز في الرياض فأنكر ما أورده المؤلفون من رحلة الشيخ إلى كردستان وإيران وقرر أنه تلقى هذا عن أشياخه ومنهم حفدة الشيخ وبخاصة شيخه محمد بن إبراهيم^(٣).

ويلاحظ أن كثيرا ممن ذكر هذه النواطل عن رحلات الشيخ اعتمد على كتاب «لمع الشهاب».

قال حمد الجاسر: «ولا تفوت الإشارة إلى أن كثيرا ممن كتبوا عن الشيخ محمد - رحمه الله - إنخدعوا بما جاء في كتاب «لمع الشهاب» ومن أولئك الأستاذ أحمد أمين في كتابه «زعماء الإصلاح في العصر الحديث»^(٤) ومنهم الأستاذ حسين بن خلف بن الشيخ خزعل الذي سرد كتابه «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»^(٥) كلما جاء في ذلك الكتاب من ذكر رحلات الشيخ إلى بلاد الأكراد وإيران والشام ومصر معولا على هذا الكتاب الذي لا يصلح التعويل عليه.

وبالاجمال فقد حرص مترجموا الشيخ محمد، على تدوين كل ما يتصل برحلاته وبأسماء العلماء الذين تلقى العلم عنهم، ويذكر البلاد التي زارها ويكادون يتفقون على عدم صحة ما ورد في كتاب «لمع الشهاب» من ذلك^(٦).

(١) انظر: محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه لسعود الندي ص ٤٠، ٤١. وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٣٦-٣٩. وانظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي لعبد الحلیم الجندی ص ٩٢. وجزيرة العرب لحافظ وهبه ص ٣١٩.

(٢) انظر: ص ١٠٦ من هذا البحث.

(٣) الإمام محمد بن عبد الوهاب .. ص ٩٢ هامش ١.

(٤) انظر: ص ١٠ من كتاب: زعماء الإصلاح في العصر الحديث تأليف أحمد أمين.

(٥) انظر: ص ٥٦، وص ١٣٨، ١٣٩، وص ١٤٣-١٤٤، وص ٤٠٥ من كتاب تاريخ الجزيرة في عصر

الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تأليف حسين خلف الشيخ خزعل.

(٦) العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ ص ٩٤٣، ٩٤٤.

ويقول الدكتور منير العجلاني : «أخذت عن اللمع» : دائرة المعارف الإسلامية وطائفة كبيرة من المستشرقين ، ثم نقل عن هؤلاء أحمد أمين والعقاد وغيرهم من الكتاب العرب^(١).

وقال في موضع آخر: «نقل عن هذا الكتاب أكثر المستشرقين ، ثم أخذ عنهم كثير من كبار المؤلفين العرب ، ومن المؤسف أنهم تعلقوا بروايته الكاذبة عن رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العجم»^(٢).

وقال في موضع ثالث : «أما ادعاء اللمع أن الشيخ سافر إلى مصر ودرس في الأزهر فخير مختلق ولم يأخذ به أحد» .

ومما يكشف كذب صاحب اللمع ويضعف قيمة رواياته : «حساب التواريخ . . فقد زعم أن الشيخ محمدا خرج من نجد وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، وأعادته إلى نجد بعد عشرين سنة أو أكثر ، فكان عمره في زعمه سبعا وخمسين سنة ، ونحن نعرف أن الشيخ ولد عام ١١١٥ هـ فتكون سنة عودته إلى نجد ، في رواية اللمع سنة (١١٧٢) . . . أى بعد انقضاء خمس عشرة سنة على إقامته الثانية في الدرعية . وهذا وراء العقل»^(٣).

الشيخ لم يدرس اللغتين الفارسية والتركية :

وأما زعم أن الشيخ درس اللغتين الفارسية والتركية والحكمة المشائية ؟ والفلسفة والتصوف ولبس جبة خضراء في أصفهان فليس بثابت بل إنه أمر باطل ، ويستبعد أن يتعلم الشيخ لغة أعجمية ليس مضطرا لها وقد استغنى بالعربية وهي لغة السلف الصالح من المسلمين والتي نزل بها القرآن ودونت بها السنة وفي اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية آثار عن بعض السلف الصالح تقتضى كراهة ذلك من غير حاجة ولا مصلحة دينية^(٤).

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ١٩٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٠١ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ص ٢٠٤-٢٠٧ .

وليس في مؤلفات الشيخ وآثاره ما يدل على شيء من هذا بل إنها على المنهج السلفي بعيدة كل البعد عن مخالفة طريقة الرسول ﷺ وأتباعه .

ثم إن من ذكر ذلك عن الشيخ كان ممن انخدع بمثل كتاب «لمع الشهاب»^(١) ومؤلف لمع الشهاب وأمثاله «أرادوا من ذكر مثل هذه الأخبار الباطلة أن الشيخ جاء بما جاء به من أفكار فلسفية وبشرية لا تستند على الوحي المنزل من عند الله تعالى وقد بين هذه النقطة حمد الجاسر حيث قال «ولو ساغ التعليل لأمكن القول بأن مؤلف «لمع الشهاب» أراد من ذكر وصول الشيخ إلى أصفهان أمراً غير مطابق للواقع ، وخاصة حينما يقول بأن الشيخ درس الحكمة الاشراقية ، ذلك أن هذا المذهب الفلسفي يقوم على أساس أن المعارف والعلوم تكتسب بطرق رياضية بحتة ، ولا تنال بطريق التعليم والممارسة . ولكي يستخلص أن الشيخ تأثر بهذه الفلسفة فأتى بأشياء جديدة أراد أن يدخلها في مذهبه والشيخ يرى من ذلك فكل ما جاء به قد استقاه من منابعه العذبة الصافية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال علماء السلف الصالح ، وهو أبعد الناس عن الشطحات الصوفية والأفكار المادية الفلسفية التي لا تقوم على أساس من النقل الشرعي الصحيح ، وأنا أقرر هذا كقضية تاريخية مجردة تقوم على أساس ما عرف عن الشيخ وآرائه التي لا يجهل كل مؤرخ أصولها ، غير متأثر بأية عاطفة»^(٢) .

ويذكر الدكتور منير العجلاني أن : «صلاح العقاد ينكر أقوال اللمع ، فيما يتصل باقامة الشيخ في بلاد العجم ودرسه فيها الفلسفة والتصوف» لسببين :
السبب الأول – جهل الشيخ التام باللغة الفارسية .
السبب الثاني – أننا لا نجد في كتابات الشيخ أثراً لهذه الدراسات المزعومة في الفلسفة والتصوف .

قال الدكتور العجلاني : «وهذا رأينا أيضاً»^(٣) .
وقال الدكتور العجلاني أيضاً : «أما القول بأن الشيخ كانت له (شخصية)

(١) انظر : ص ص ٦٧-٦٨ من هذا البحث .

(٢) مجلة العرب ، الجزء العاشر ، السنة الرابعة ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ ص ٩٤٤ .

(٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٢٠٠ .

ثانية . . اختفت تماماً، كما يزعم صاحب اللمع، فنوع من الهذيان تورط فيه صاحب اللمع وورط فيه غيره^(١).

نتيجة رحلاته العلمية وأخذه عن المشائخ :

لقد كانت رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية وأخذه عن أهل العلم ومشائخه موفقة ومفيدة «وكانت على جانب كبير من الأهمية، وكان أثرها واضحاً في زيادة معرفة الشيخ»^(٢) وتسلحه بسلاح العلم الغالب أهله بإذن الله تعالى وتقوية يقينه وزيادة إيمانه وتوسيع مداركه وفهمه وثقافته العامة في الدين والدنيا وقد حصل علم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد وعلم ما يناقضه كماله الواجب، أو يكون ذريعة إلى ذلك وحرره كتاباً. وأمره عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر منهم المشائخ الشاميون الشيخ على أفندي الداغستاني وابن عمه الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني، والشيخ محمد البرهاني والشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة والشيخ محمد السفاريني نزيل نابلس أرسل إليه نسخة فأمرها وأقرأها وهو من غير مشائخه الذين قد ذكروا، وكلهم ادركوا كلامه وأقروه وحرروه وأجازوه، ولكن عذرهم عدم المساعدة من أمير أو غيره^(٣).

وبالجملة فما إن أتم رحلاته إلا وقد فتح الله عليه بحصيلة من العلوم الشرعية كبيرة.

قال ابن بدران: «امتلاً وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد»^(٤).
وحين رجع إلى أبيه بعد رحلته العلمية كان في مستوى علمي لا يقل عن مستوى أبيه ان لم يزد عليه وإن كانت بعض المصادر تذكر أنه أخذ يدرس على والده بعد استقراره في حريملاء^(٥) فهذا من باب أدبه وتواضعه مع والده وشيخه الأول.
وعلى كل فإن الشيخ لم يعد من رحلاته إلا وقد اقتنع بأنه قد أخذ قدراً من

(١) نفس المرجع السابق والموضع.

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور عبد الله الصالح العثيمين ص ٢٩.

(٣) التوضيح عن توحيد الخلاق ص ١٩.

(٤) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ص ٢٣٠.

(٥) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . الدكتور العثيمين ص ٤٠، ٤١.

العلم والبصيرة كافياً للدعوة بما علم إلى الله على بصيرة كما هي سنة رسول الله ﷺ التي لاشك في اتباعه لها .

هذا وقد أطلت النفس في هذه المباحث عن تحصيل الشيخ العلمي ورحلاته وشيوخه واستطردت بتراجم بعضهم مما له صلة بمعلومات الشيخ - كل ذلك لبيان مكانته العلمية الأصيلة وتحصيله الكبير وهو أمر لائق في هذا المدخل .

عودة الشيخ من رحلاته العلمية إلى حريملاء :

بعد أن أتينا في المباحث المتقدمة على ذكر رحلات الشيخ العلمية وذكرنا خط سيرها والأماكن التي رحل إليها وزمانها وشيوخه وتحصيله - نذكر هنا عودته من هذه الرحلات العلمية المباركة ، وكما تقرر في المباحث المتقدمة كانت عودته من المدينة المنورة إلى حريملاء^(١) حيث كان والده قد انتقل إليها من العيينة بسبب أن أمير العيينة الجديد الملقب خرفاش بن معمر لم يرق له بقاء الشيخ عبد الوهاب في القضاء ، فعزله عنه فغادرها الشيخ عبد الوهاب إلى حريملاء ، وتولى قضاءها وأقام بها فأقام الشيخ محمد بعد عودته من رحلته العلمية في حريملاء مع أبيه يدرس عليه ويدعو إلى التوحيد ، ويبين بطلان دعوة غير الله وكانت دعوة غير الله من أشجار وغيران وقبور وجن ونحو ذلك متشرة كثيراً في نجد وفي البلدان الإسلامية عموماً في ذلك الزمان كما بينا في البحث عن هذه البيئة ، المتقدم ، وسبقت الإشارة إلى ذكر أنها من العوامل الأساسية في دفع الشيخ إلى استكمال عدته من العلم النافع والرحلات الطويلة في سبيل تحصيله^(٢) .

ولما توفي والده عام ١١٥٣ هـ ، أعلن الدعوة إلى تصحيح العقائد السائدة بعقيدة السلف الصالح ، لكن لم تكن حريملاء صالحة لأن تكون منطلقاً لدعوته ، فانتقل منها فيما يقارب عام ١١٥٥ هـ إلى العيينة وقد ناصره أميرها عثمان بن معمر أول الأمر ثم خذله فانتقل الشيخ إلى الدرعية والتقى بأميرها الراشد محمد بن سعود فقام بنصرته ووفى وعده فأظهر الله عقيدة السلف الصالح ونصر الله أهلها وتوفر الشيخ لنشرها ، وتدريس العلوم النافعة ، وتأليف الكتب المفيدة في أصول

(١) انظر: ص (٨٥) من هذا البحث .

(٢) انظر: ص (٧٩) من هذا البحث .

الإسلام وفروعه على طريقة السلف الصالح وانطلاقاً من العقيدة السلفية السليمة ، وقد أخذ عن الشيخ جموع كثيرة وخلف من تلاميذه العلماء الكبار الذين قاموا بأدوار مهمة عظيمة ، وخلف أتباعاً وأنصاراً ودولة ملاً ذكرهم الأسماع في الخافقين ، وعظم شأنهم بين العالمين .

وسياتى لذلك مزيد بيان إن شاء الله في باب أثر عقيدة الشيخ السلفية في العالم الإسلامي .

تلاميذ الشيخ ومن أخذ عنه من العلماء :

في هذا المبحث لا نريد استقصاء كل من أخذ عن الشيخ واستفاد أى فائدة ، إنما نقصد من أخذ عن الشيخ حتى تخرجوا على يديه واستكملوا العلم النافع في مدرسته السلفية وصاروا قضاة وعلماء ودعاة ولم نذكر مثل الإمام محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وحفيده سعود بن عبد العزيز ، فهم وإن كانوا قد أخذوا عن الشيخ مباشرة وحضروا مجالس دروسه وأحيوا ما بينه لهم من السنة وأقاموا ما أوضحه لهم من معالم الإسلام فلشهرتهم وارتفاع مقامهم حتى صاروا أئمة في هذا الشأن اكتفينا بما سبق من الإشارة وما سياتى إن شاء الله في باب أثر عقيدة الشيخ في العالم الإسلامي ، فلم ننظمهم هنا مع تلاميذ الشيخ والمترين على يديه ، والمتخرجين في مدرسته .

كذلك لم نذكر من استفاد من علم الشيخ عن طريق المراسلة وعن طريق كتبه وانتشار علمه ودعوته فهذا النوع لا يضبط كثرة ولا يندرج تحت هذا المبحث (ولكن ربما يناسب ذكره في بحث أثر عقيدة الشيخ في العالم الإسلامي) .

وفيما يلي بيان من وجدناه معدوداً من تلاميذ الشيخ المباشرين وصاروا من العلماء والقضاة وشيوخ العقيدة السلفية من بنيه وبنى بنيه وغيرهم من علماء النواحي والأقطار^(١) ، مع ما سياتى إن شاء الله تعالى عنهم في بيان أثر عقيدة الشيخ السلفية باعتبارهم من المتأثرين بها والحاملين لها والناشرين لعقيدة السلف الصالح .

١ - الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . أخذ عن أبيه واستكمل فنون العلم وفاق بالمعرفة أقرانه ، توفي سنة ١٢٢٤ هـ^(٢) .

(١) انظر: ابن بشر، عنوان المجد ... ٩٢/١ .

(٢) الدرر السنية ٤٦/١٢ . ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٨ .

٢ - الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . أخذ عن أبيه فكان آية في العلم ومعرفته ومعرفة فنونه^(١) . ولد في الدرعية سنة ١١٦٥ هـ وتوفي بمصر سنة ١٢٤٢ هـ^(٢) .

٣ - ومن تلاميذ الشيخ ابنه الأكبر الشيخ علي فكان عالماً جليلاً ورعاً ديناً فقيهاً يضرب به المثل في بلد الدرعية .

يقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، الغالب على الظن أن الشيخ علي توفي سنة ١٢٤٥ هـ بمصر^(٣) .

٤ - ومن تلاميذه الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو الابن الرابع ، يقول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم « ولم أقف له على وفاة ولكنه موجود سنة ١٢٥١ في مصر وتوفي فيها »^(٤) .

٥ - ومن أخذ عن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر - فكان عالماً جليلاً وتوفي في مكة المكرمة سنة ١٢٢٥ هـ^(٥) .

٦ - ومن أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلم عبد العزيز بن عبد الله ابن إبراهيم الحصين الناصري التميمي . فقد أخذ عن الشيخ وعن ابنائه وغيرهم في الدرعية بعد أن سبق له أخذ الفقه أولاً عن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل في بلده شقراء . وتوفي رحمه الله في ١٢ رجب سنة ١٢٣٧ هـ^(٦) .

٧ - ومن تلاميذه الشيخ سعيد بن حجي - رحل إلى الدرعية فقرأ على الشيخ كما أخذ عن ابنه الشيخ حسين وعبد الله وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وغيرهم من علماء الدرعية - توفي عام ١٢٢٩ هـ^(٧) .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ٩٣/١ .

(٢) الدرر السنية ٤٥/١٢ . ومشاهير علماء نجد ص ٤٩ . هامش ص ٢١٢-٢١٣ من عنوان المجد

ج ١ ، ط المعارف ١٣٨٧ هـ .

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٥١ . وانظر الدرر السنية ٤٧/١٢ .

(٤) الدرر السنية ٤٦/١٢ .

(٥) الدرر السنية ٤٧/١٢ . وابن بشر في عنوان المجد ٩٤/١ .

(٦) ابن بشر ، عنوان المجد . . . ٢٣٢/١-٢٣٤ . والدرر السنية ٥٠/١٢ .

(٧) عنوان المجد . . لابن بشر ٩٤/١ . وعلماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام ٢٧٣/١ .

٨ - ومن تلاميذ الشيخ محمد بن سويلم^(١). ولد في الدرعية ونشأ فيها. فأخذ يتلقى العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن ابنه العالمين حسين وعبد الله وغيرهما.

قال ابن بسام ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله^(٢).

٩ - ومن تلاميذ الشيخ، الشيخ عبد الرحمن بن خميس. الإمام في قصر آل سعود^(٣).

١٠ - وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ عبد الرحمن بن نامي^(٤). ولد في مدينة العيينة ونشأ بها ثم قرأ على علمائها، وكان ممن استجاب لدعوة الشيخ محمد إلى عقيدة السلف الصالح فهاجر إليه في الدرعية وقرأ عليه واستفاد منه كما قرأ على الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد فأدرك ادراكا جيدا، وفي أول عام ١٢٣٤هـ أرسل إبراهيم باشا إلى الأحساء أمراءه السابقين آل عريعر فقتلوا حتى أئمة المساجد، وقبضوا على الشيخ عبد الرحمن بن نامي فأخذوا ماله ثم قتلوه ضمن من قتلوا ظلما وعدوانا فانتقل إلى ربه شهيدا رحمه الله^(٥).

١١ - وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - محمد بن سلطان العوسجي^(٦). ولد في بلدة ثادق ونشأ فيها ثم رحل إلى الدرعية، فشرع في القراءة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ثم على ابنه الشيخ عبد الله وعلى الشيخ الفقيه حمد بن ناصر بن معمر حتى حصل في التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم. وتوفي في الأحساء عام ١٢٢٣هـ^(٧).

١٢ - وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين^(٨).

(١) ابن بشر، عنوان المجد ... ٩٤/١.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ٧٩٩/٣.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد ... ٩٤/١.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد ... ٩٤/١.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد ... ٢١٢-٢١٣. وعلماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام ٤٣٢/٢.

(٦) ابن بشر، عنوان المجد ... ٩٤/١.

(٧) علماء نجد خلال ستة قرون ٨٠٩/٣.

(٨) ابن بشر، عنوان المجد ... ٩٤/١.

ومما يقول البسام : ولد في بلدة أشيقر إحدى مدن الوشم ونشأ بها ثم رحل إلى
المجموعة في طلب العلم فأخذ الفقه عن قاضيها الشيخ أحمد بن محمد التويجري ثم
رحل إلى الدرعية وكانت أهلة بالعلماء الذين على رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد
الوهاب وابنه العلامة الشيخ عبد الله فتلقى العلم عنها ولازم دروسهما حتى أدرك، ولم
أقف على تاريخ وفاته^(١).

١٣ — وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ حسن بن عبد الله
بن عيدان^(٢). قدم الدرعية في أوج عزها، فقرأ على الإمام محمد بن عبد الوهاب
وعلى غيره من علماء الدرعية كالشيخ عبد الله بن الشيخ والشيخ حمد بن ناصر بن
معمر وغيرهما. توفي عام ١٢٠٢ هـ رحمه الله تعالى.

١٤ — وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ العالم عبد العزيز بن
سويلم العريني^(٤). ولد في الدرعية، فلما شب وأخذ مبادئ الكتابة والقراءة شرع في
طلب العلم فتلقاه عن الإمام محمد بن عبد الوهاب، وما زال مجدا في تحصيله عليه
وعلى ابنه الشيخ عبد الله حتى أدرك وتفقه. وتوفي في بريدة في ذي القعدة عام
١٢٤٤ هـ^(٥).

١٥ — وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيضا الشيخ حمد بن راشد^(٦).
رحل إلى الدرعية لطلب العلم فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعن غيره من
علماء الدرعية فأدرك في الأصول والفقه. والظاهر أنه توفي في آخر ولاية الإمام سعود في
سدير^(٧).

(١) علماء نجد خلال ستة قرون ٢/٣٩٨.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٤/١.

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون ١/٢١٤.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٤/١.

(٥) علماء نجد خلال ستة قرون . . . ٤٦٣/٢. وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد لمحمد القاضي
٢٥٥-٢٥٤/١.

(٦) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٤/١.

(٧) علماء نجد خلال ستة قرون . . . ٢٢٣/١.

١٦ - وكذلك أخذ عن الشيخ ابن ابنه عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ في صغره^(١). وكم يذكر الشيخ عبد الرحمن قراءته على جده ويعبر عنه بلفظ شيخنا^(٢) - وتلمذ على الشيخ وأخذ عنه خلق كثير ممن لم نذكرهم .

قال ابن بشر: وأخذ عن الشيخ من القضاة ممن لا يحضرني الآن عدة - عدد كثير - وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الجم الغفير^(٣) .

ويقول الشيخ إبراهيم بن ضويان في مخطوطته: «رفع النقاب عن تراجم الأصحاب»: «وأخذ عنه خلق ممن لم ينصب للقضاء يبلغون مائتين - وأخذ عنهم أضعاف أضعافهم»^(٤) .

مؤلفات الشيخ :

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في ترجمته للشيخ في الجزء الثاني عشر من الدرر السنية من مؤلفاته ما يلي :

- ١ - كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد .
- ٢ - كتاب كشف الشبهات .
- ٣ - كتاب أصول الإيمان .
- ٤ - كتاب فضائل الإسلام .
- ٥ - كتاب فضائل القرآن .
- ٦ - كتاب السيرة المختصرة .
- ٧ - كتاب السيرة المطولة .
- ٨ - كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ١/٩٣، ٩٤ .

(٢) سيأتي عن الشيخ عبد الرحمن بيان مفصل، في باب أثر عقيدة الشيخ في الفصل الثالث باعتباره شيخ عقيدة السلف الصالح في الدور الثاني للدولة انصارها . فاقصرنا هنا على ما ذكر .

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد ١/٩٤، ٩٥ .

(٤) اللوحة ٧٤، ٧٥، تصوير مجلة الدارة، ع ٢/ رجب ١٣٩٨ هـ .

- ٩ - كتاب مختصر الانصاف والشرح الكبير .
- ١٠ - كتاب مختصر الصواعق .
- ١١ - كتاب مختصر فتح الباري .
- ١٢ - كتاب مختصر الهدى .
- ١٣ - كتاب مختصر العقل والنقل .
- ١٤ - كتاب مختصر المنهاج .
- ١٥ - كتاب مختصر الإيوان .
- ١٦ - كتاب آداب المشى إلى الصلاة .

كتاب التوحيد :

أما كتاب التوحيد ، فهو الموجود بين أيدينا بعنوان : «كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» ، والمصادر التاريخية تدل على أنه من أول مؤلفات الشيخ^(١) . فيذكر ابن غنام : أن الشيخ صنف كتاب التوحيد في حريملاء أثناء إقامته الأولى فيها يدعو إلى التوحيد وينشر أعلامه^(٢) .

بينما يذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن : أن جده صنف «كتاب التوحيد» في البصرة أخذه من الكتب التى فى مدارس البصرة من كتب الحديث^(٣) .

ويمكن الجمع بين ما ذكره بأن ابن غنام : كان أول علمه بهذا الكتاب مصنفًا ، حين قرىء على مؤلفه الشيخ فى حريملاء ، ولم يعلمه مصنفًا قبل ذلك ، سيما وأن حريملاء هى أول ما نشر الشيخ منها أعلام التوحيد الذى صنف من أجله هذا الكتاب ، وقرىء عليه فيها وانتشرت نسخه إلى سائر البلدان من حريملاء ، وما نفى ابن غنام أن يكون الشيخ قد استفاد كتاب التوحيد من كتب الحديث فى مدارس

(١) انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره ، للدكتور عبد الله بن صالح العثيمين ، الفصل الرابع ، ص ص ٨١-١١٠ .

(٢) روضة ابن غنام ١/٣٠ .

(٣) الدرر السنية : ٢٢٥/٩ .

البصرة، ولا أن يكون الشيخ قد فكر في تأليفه قبل وجوده في حرملاء إلا أنه يجوز اعتبار حرملاء آخر مكان تم فيه تأليف هذا الكتاب الهام، والفراغ من تهذيبه حتى استوى على بنائه الذي بقى عليه إلى اليوم. وأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن فقد قال بما علم من جمع الشيخ لمادته من كتب الحديث بمدارس البصرة، وتخطيطه لبنائه، ورسوم أبوابه لاسيما والشيخ عبد الرحمن حفيد المؤلف وتلميذ له، وقد قرأ في مؤلفه هذا عليه من أوله إلى أبواب السحر^(١). ويؤيد هذا أن صاحب «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق» يذكر أن كتاب التوحيد هذا قد حرر وأمر عند شيوخ الشاميين كالشيخ علي أفندي الداغستاني وابن عمه الشيخ عبد الكريم، والشيخ عثمان الديار بكري نزيل المدينة المنورة، والشيخ محمد السفاريني نزيل نابلس أرسلت إليه نسخة منه وغيرهم من شيوخ الشيخ ومن غير شيوخه^(٢). وذلك أثناء رحلاته العلمية، فذلك يدل على أن كتاب التوحيد قد نشأ تأليفه لدى الشيخ منذ وقت مبكر، وما زال يتم وينمو حتى استتم في حرملاء.

وقد لقي الكتاب قبولا عظيما لدى العلماء والمتعلمين، واعتنوا به وخدموه، فأولهم المعاصرون لمؤلفه، تلقوه عنه بلهف وشوق، فقرأوا أبوابه عليه، وحفظوها، واستمعوا شرحه منه وتقريره عليه، مباشرة، واستمرت العناية به إلى يومنا هذا، استنسخه الناس وطبعوه مرارا عديدة، ولا تحصى كثرة نسخه المنتشرة في العالم. وقد أثني عليه العلماء ثناء جميلا^(٣)، ومن ذلك ما يقول ابن بشر: «ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه، فانه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد»^(٤). ووصفه الشيخ سليمان بن حمدان بقوله: «كتاب بديع الوضع عظيم النفع، لم أر من سبقه إلى مثاله أو نسج في تأليفه على منواله، فكل باب منه قاعدة من القواعد ينبني عليها كثير من الفوائد، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، واعتقدوه دينا فلا يتاب منه ولا يستغفر، فألفه عن خبرة ومشاهدة للواقع، فكان لذلك الداء كالدواء النافع»^(٥).

(١) الدرر السنية: ١٨/١٢.

(٢) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق ... ص ١٩.

(٣) انظر: الدرر السنية ج ٩/٢١٥.

(٤) عنوان المجد ... ج ١/٩٢.

(٥) الدرر النضيد على أبواب التوحيد، تأليف سليمان بن عبد الرحمن الحمدان، المقدمة ص ٥.

وكثر الشروح والتعليقات عليه ، فمنها تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، إلا أنه لم يتم ، فكان تمامه من تهذيب الشيخ عبد الرحمن بن حسن بدءاً من قوله : «باب ما جاء في المصورين»^(١) إلى نهاية الكتاب ، ومنها فتح المجيد شرح كتاب التوحيد «وهو تهذيب وتقريب وتكميل لتيسير العزيز الحميد» ، مع زيادة بعض النقول المستحسنة ، تنميها للفائدة ، وضعه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ . وغير ذلك من الشروح والتعليقات المستمرة إلى الآن .

ويوجد هذا الكتاب - كتاب التوحيد - مخطوطاً بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٨٦/٤٦٥ ، كما يوجد مخطوطاً بمكتبة الشيخ عبد الله الأبراهيم التويجري الخاصة ببريدة ، ضمن مجموعة بخط الشيخ عبد الله بن رشيد بن فرج . وبالمكتبة العلمية الصالحية بمسجد أم خنار بعنيزة ، والناسخ : محمد بن منصور بتاريخ ١٣٠٢/٤/٢٧ هـ^(٢) ، وأفاد الشيخ البسام أنه يوجد لشرحه (فتح المجيد) مخطوطة فرغ من كتابتها عام ١٢٨٤ بقلم عبد العزيز بن صالح الصيرامي أي أنها كتبت في حياة المؤلف وخطها جميل وواضح وهي خالية من الأخطاء ومكتوب عليها توقيف زوجة الإمام فيصل بن تركي ومنها هذه العبارة : «الوكيل على ذلك ابنها محمد بن فيصل جرى ذلك في جمادى الأولى من سنة سبع وثمانين بعد المائتين والألف» أ - هـ مما كتبه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام من قرار تفصيلي عن هذه الرسالة إلى أمين المجلس العلمي في الجامعة الإسلامية بالمدينة .

كشف الشبهات :

وأما كشف الشبهات ، فهو رسالة عامة صنفها الشيخ جواباً لكثير من شبه المعارضين ، التي أدلوا بها على الناس ، وصدوهم بها عن الإسلام بألسنتهم وفي مصنفاتهم المنشورة^(٣) .

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٣٢ الهامش .

(٢) انظر : مجلة البحث العلمي وحياء التراث الإسلامي ، ع ٢ عام ١٣٩٩ هـ ص ص ٣٤١ ، ٣٤٢ ،

٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٣) روضة ابن غنام ، ٦١/١ . وتحرير الأسد ، ص ٢٣٣ . والشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للدكتور

العثيمين ، ص ٧٧ .

أولها :

«إعلم رحمك الله تعالى أن التوحيد: هو افراد الله بالعبادة . . . »
يوجد لها نسخة مخطوطة عاصر كاتبها الشيخ المؤلف، وكان الفراغ من كتابتها
وقت الظهر من يوم الخميس غرة شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٦هـ ، أى بعد وفاة
المؤلف بعشر سنوات بخط أحمد بن عيسى بن بكرى، وهى محفوظة فى خزانة كتب دار
المطبعة السلفية بالقاهرة برقم (٥١٣٨)^(١).

ويوجد لها مخطوطة أخرى بالمكتبة السعودية بالرياض برقم ٨٢/٢٦٩.
ومخطوطات أخرى^(٢)، وهى مطبوعة متداولة.

وكتاب فضائل الإسلام :

هو كتاب فضل الإسلام الذى أوله : «باب فضل الإسلام» ويدور على بيان
الإسلام وأنه سنة الرسل وليس بدعة.

يوجد مخطوطا من نسخ عديدة منها برقم ٨٢/٢٩٦ بالمكتبة السعودية
بالرياض، ومنها بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية، قسم المخطوطات تحت رقم ٢٩
ضمن مجموعة كتب أخرى، ونسخ أخرى كثيرة^(٣). وهو مطبوع متداول.

وكتاب أصول الإيمان، وقد زاد فيه بعض أولاده زيادة حسنة.
يوجد هذا الكتاب مخطوطا برقم ٨٦/٤٥٩ بالمكتبة السعودية بالرياض وفى
غيرها^(٤). وهو مطبوع متداول.

وكتاب فضائل القرآن، يوجد له مخطوطتان : إحداها تحت رقم ٨٦/٤٦٠
والأخرى تحت رقم ٨٦/٥١٦ فى المكتبة السعودية بالرياض، وهو عبارة عن مقدمة،
جعلت فى أول ما جمعه ابن قاسم فى تفسير القرآن من مجموعته الدرر السنية ج ١٠
ص ٣ وما بعدها.

(١) انظر: طبعة السلفية لـ «مجموعة التوحيد» ص ٢١٨-٢٣٤.

(٢) مجلد البحث العلمى، ع ٢، ص ١٣٩٩ ص ٣٤١، ٣٥٢، ٣٦١، ع ٣ ص ١٤٠٠
ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٣) مجلة البحث العلمى، ع ٢ ص ١٣٩٩ ص ٣٤٠، ع ٣ ص ١٤٠٠ ص ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤،
٤٤٦، ٤٤٧.

(٤) المصدر السابق ع ٢ ص ١٣٩٩ ص ٣٤١ ع ٣ ص ١٤٠٠ ص ٤٤٣، ٤٤٤.

وفي مؤلفات الشيخ القسم الرابع، التفسير في أوله كمقدمة بلغت (٤٠) ص.

مختصر سيرة الرسول ﷺ .

يوجد له مخطوطتان في المكتبة السعودية بالرياض إحداهما بخط الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان رحمه الله تحت رقم ٨٦/٥١٨ - والثانية لم يسم كاتبها تحت رقم ٨٦/٤٩ وهو مطبوع متداول.

ويلاحظ أن ابن قاسم ذكر من مؤلفات الشيخ كتاب السيرة المختصرة وكتاب السيرة المطولة تبعاً لابن غنام حيث ذكر أن من مؤلفات الشيخ: كتاب السيرة المختصرة وكتاب السيرة المطولة نحو مجلد^(١). فقول ابن غنام نحو مجلد كأنه يعني المختصرة والمطولة كلاهما نحو مجلد. سيما وأن الموجود بين أيدينا للشيخ هو بعنوان مختصر سيرة الرسول ﷺ المطبوع بمطبعة السنة المحمدية وفي أوله مقدمة ذكرها الدكتور الضبيب بعنوان: «قصص الأولين والآخرين وما فيها من العبر والفوائد»^(٢) وطبعت مفردة ضمن الدرر السنية^(٣).

ومختصر سيرة الرسول ﷺ يوجد مخطوطاً بعنوان: «مختصر سيرة ابن هشام والناسخ محمد بن سيف بن خالد، مفرداً عن تلك المقدمة في المكتبة العلمية العامة ببريدة وفي المكتبة السعودية بالرياض، ويذكر الدكتور العثيمين أن هذه المقدمة موجودة في المتحف البريطاني»^(٤).

ولم نطلع على كتابين للشيخ في اختصار السيرة وإنما الموجود هو مختصر سيرة الرسول ﷺ هذا المطبوع الذي أوله: «الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أعلم رحمك الله . . .» .
أما المختصر الأطول الموجود فهو من تأليف عبد الله بن الشيخ وليس من تأليف الشيخ والله أعلم.

(١) روضة ابن غنام، ٥٠/١.

(٢) الضبيب، سجل بيلوجرافي ص ٤٨.

(٣) ط ٢ ج ٨ / من ص ٣-٢٤.

(٤) انظر: الشيخ محمد . . . للدكتور العثيمين ص ٨٦-٨٨.

كتاب : مجموع الحديث على أبواب الفقه :

أوله : «بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين - والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

١ - عن أبي سعيد قال : قيل يا رسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة وهي يلقي فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن؟ فقال رسول الله ﷺ : «الماء طهور لا ينجسه شيء» حسنه الترمذى وصححه أحمد .

لقد ورد ذكر هذا الكتاب ضمن ما ذكره ابن غنام من مصنفات الشيخ^(١) . وطبع لأول مرة ضمن مؤلفات الشيخ التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمناسبة انعقاد مؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في قسم الحديث ، وشغل أربعة أجزاء كبار بتحقيق الدكتور خليل ملا خاطر ، والدكتور محمود ابن أحمد الطحان عن مخطوطة واحدة حسب معرفة الأمانة العامة للأسبوع^(٢) . ويوجد في المكتبة السعودية بالرياض مخطوطة له تحت رقم ٨٦/١٨٦^(٣) .

والكتاب كبير الحجم يقارب كتاب المنتقى لابن تيمية الجدد ، بلغت فيه الأحاديث المرفوعة والموقوفة حوالي ستة وأربعين ألف حديث عدا الآثار من أقوال التابعين وفتاوى الأئمة المجتهدين ، والكتاب واسع في ذكر أحاديث الأحكام وفتاوى التابعين والأئمة والاجماع والتصحيح والتحسين والتضعيف وما قيل في الرواة المختلف في الاحتجاج بهم^(٤) .

أما كتاب مختصر الانصاف والشرح الكبير فيوجد له مخطوطات كثيرة بمكتبات القصيم وحائل^(٥) ، والرياض^(٦) ، وقد طبع بالمطبعة السلفية بالقاهرة في ٥١٢ ص ثم طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مؤلفات الشيخ في ٧٩٢ ص طبعة أخرى .

(١) انظر: روضة ابن غنام ج ١ ص ٥٠ .

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ ، قسم الحديث ، جزء ١ ص ٥ .

(٣) انظر: الشيخ محمد ، لابن عثيمين ، هامش ص ٩٤ وفيه وصف للمخطوطة .

(٤) انظر: مؤلفات الشيخ ، قسم الحديث ١/٢-٤ .

(٥) مجلة البحث العلمي ، عدد ٢/ ٣٣٢-٣٤٣ ، عدد ٣/ ٤٤٧ .

(٦) مؤلفات الشيخ ، القسم الثاني ، الفقه ، المجلد الأول ص ٥ .

وكتاب مختصر الهدى :

هو مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزية ، حوى خلاصة أصله ووفى بمقصوده ، ذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن شيخه وجده الشيخ محمد بن عبد الوهاب نسخ أصله الهدى النبوى فى المدينة بيده^(١) .

يوجد له مخطوطات اثنتان بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٨٦/٤٨ وتحت رقم ٨٦/٤٩^(٢) ، والثالثة بمكتبة مسجد أم خمار بعنيزة^(٣) ، وأشار الدكتور عبد الله العثيمين إلى نسخة خطية هى الرابعة كتبها محمد بن سيف بن خميس سنة ١١٩٧ هـ عنوانها مختصر الهدى النبوى - ولكن لم يذكر مكان وجودها^(٤) ، ومخطوطتان إحداهما للشيخ عبد الرحمن بن محمد آل الشيخ ، والثانية مخطوطة بمكتبة زهير الشاويش^(٥) . وقد طبعه المكتب الإسلامى فى بيروت عام ١٣٩١ فى ١٢ + ٤٠٨ ص ، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع فى ٣٥١ ص .

أما آداب المشى إلى الصلاة :

فيوجد له خمس نسخ خطية اثنتان منها بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية تحت رقم ٢٩/١٦٣ ورقم ٢٧/١٤١ والمكتبة السعودية تحت رقم ٨٦/٢٦٩^(٦) ، وبمكتبة الشيخ عبد الله الأبراهيم التويجى ببريدة^(٧) وبمكتبة الشيخ عبد الرحمن المللق بحائل^(٨) .

وطبع بالمطبعة السورتية ببمبى ، ١٣٣٦ هـ ، وفى القاهرة بمطبعة المنار ، ١٣٤٠ وضمن مجموعة متون بمطبعة السلفية عام ١٣٤٥ هـ من ص ٦٥-١٢٧ ، وطبع

(١) الدرر السنية : ٢١٦/٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام ، القسم الرابع .

(٣) مجلة البحث العلمى ، عدد ٢ عام ١٣٩٩ هـ ص ٣٥١ .

(٤) الشيخ محمد . . . للدكتور العثيمين هامش رقم ٢ ص ٨٩ .

(٥) الطبعة الأولى من مختصر الهدى النبوى بمطبعة المكتب الإسلامى ص ص ، د ، ط ، ي .

(٦) انظر : مؤلفات الشيخ ، الفقه ، غلاف آداب المشى إلى الصلاة .

(٧) مجلة البحث العلمى ، عدد ٢ سنة ١٣٩٩ هـ ص ص ٣٤١-٣٤٢ .

(٨) مجلة البحث العلمى ، عدد ٣ سنة ١٤٠٠ هـ ص ص ٤٤٦-٤٤٧ .

بإشراف محمد بن مانع بمكة المكرمة المطبعة المأجدية ١٣٦٧ هـ^(١)، وتوالت طبعاته المدرسية حيث كان مقرراً على تلاميذ المرحلة الابتدائية - وهو مأخوذ من شرح الاقناع المسمى كشف القناع عن متن الاقناع كما ذكره ابن بشر في تاريخه عند كلامه على مؤلفات الشيخ^(٢).

ويظهر هذا من المقارنة بين آداب المشي إلى الصلاة وهذا وبين كشف القناع عن متن الاقناع.

آداب المشي إلى الصلاة ، عنوان لا يدل على كل مضمون الكتاب :

لقد أفرد كتاب آداب المشي إلى الصلاة بهذا العنوان في نسخه المخطوطة والمطبوعة وهو عنوان أول أبواب الكتاب ، حيث انه يبدأ بباب آداب المشي إلى الصلاة، ويشئ بباب صفة الصلاة، وهكذا حتى يتم عشرين باباً في الصلاة والزكاة والصيام فأصبح مضمون الكتاب لا يقتصر على مدلول العنوان، كما أن العنوان لا يدل على كل ما تضمنه الكتاب، فهل هذا من وضع الشيخ نفسه أم لا؟ والجواب هو: أن الذي يظهر عدم قصد الشيخ في اختصاره الكتاب أن يقتصر على مضمون هذا العنوان، ولكنه قصد أن يختصر جزءاً في فقه الصلاة والزكاة والصيام على المنهج الدراسي المجزأ لتسهيل دراسته على طلاب العلم كما هو الشأن من قديم في تقسيم الفقه إلى عبادات ومعاملات وغير ذلك. فأخذ هذا الجزء طابع الكتاب وأخذ عنوان أول أبوابه فيما تعارف عليه طلاب العلم بينهم، وصار من باب تسمية الشيء باسم جزئه، وذلك من مجازات التسمية، ويؤيد ما ذكرنا أن هذا الجزء يبدأ مباشرة بباب آداب المشي إلى الصلاة مما يبين أنه يبنى على أبواب سابقة. وهي الأبواب التي احتوت عليهما رسالة شروط الصلاة وكتاب الطهارة.

ولذا فقد علق الشيخ محمد بن مانع على هذا العنوان «باب آداب المشي إلى الصلاة» بقوله: «لم يذكر المصنف رحمه الله كتاب أحكام الوضوء وشروط الصلاة قبل

(١) انظر: الضبيب ببلو جراف ، ص ١١١ ، المواد ٥٥٣-٥٥٦ .

(٢) عنوان المجلد . . . ٩٢/١ ، ومجلة البحث العلمي عدد ٣ عام ١٤٠٠ ص ٢٦ . وانظر للمقارنة ص ٢٧ من كتاب آداب المشي . . ط جامعة الإمام ضمن مؤلفات الشيخ القسم الثاني الفقه . وص ٣٧٨ من كتاب كشف القناع . وص ٥ من آداب المشي . وص ٣٨١ من الكشف . وص ١٨ من الآداب . وص ٤٨١ من الكشف . الخ .

باب آداب المشى إلى الصلاة اكتفاء برسالة شروط الصلاة المتضمنة لذلك كله . وقد جرت العادة بقراءتها قبل هذا الكتاب فكأنها جزء منه» أ - هـ (١) .

كتاب أحكام الطهارة :

قد تضمن أحكام الطهارة في المياه والآنية والاستنجاء والوضوء والمسح والغسل والتميم، والحيض والنفاس وما إلى ذلك .

طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود في (٤٣ ص) لأول مرة، ضمن مؤلفات الشيخ بتصحيح الشيخ صالح الأطرم وزميله، ويقولان انها استندتا في نسبه إلى الشيخ محمد إلى فهارس المكتبة السعودية المدون فيها باسمه مخطوطاً تحت رقم ٨٦/٥٢٠ .

ويقولان : «إن أسلوب المخطوطة يتطابق تماماً مع أساليب كتابات الشيخ وتصانيفه ورسائله رحمه الله تعالى وخاصة كثرة الاشارة إلى اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢) .

رسالة شروط الصلاة وأركانها وواجباتها :

يوجد لها مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٨٦/٢٦٩ . وهى مطبوعة متداولة، ومن المقررات المدرسية .

وقد أحسنت جامعة الإمام محمد بن سعود صنفاً في ترتيبها هذه الأجزاء الثلاثة حيث طبعتها هكذا: كتاب الطهارة، ثم : شروط الصلاة، ثم : آداب المشى إلى الصلاة فكأن القائمين على إعدادها تنبهوا للمناسبة والتي أرادها الشيخ، لولا أنهم طبعوا ملخصاً لشروط الصلاة بعد آداب المشى إلى الصلاة معنوناً بعنوان أحكام الصلاة، وكان حقه أن يقدم قبل آداب المشى إلى الصلاة، لأنه خلاصة موجزة لشروط الصلاة المذكورة قبله، ولعل ملاحظة العناوين فقط تسبب عنه هذا الخطأ .

(١) انظر: ص ٣ من الطبعة التي نشرها محمد سعيد كمال لهذا الكتاب كمقرر على السنة السادسة الابتدائية بتعليق محمد بن مانع مدير المعارف العام .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثانى، الفقه، المجلد الثانى، كتاب أحكام الطهارة. ص ٣ .

أما ما ذكره الشيخ ابن قاسم من مؤلفات الشيخ الأخرى وهى مختصر الصواعق، ومختصر فتح البارى ومختصر العقل والنقل، ومختصر الايمان، ومختصر المنهاج - فما وجدتها مخطوطة ولا مطبوعة إلا أن يكون مختصر المنهاج هو رسالة فى الرد على الرافضة التى نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود لأول مرة بتحقيق الدكتور ناصر الرشيد، وإنه لىحتمل أن يكون هو المراد بمختصر المنهاج المنسوب للشيخ حيث أن مباحثه شبيهة بمباحث منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية وجاء فى أوله بعد المقدمة القصيرة: «فهذا مختصر مفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب».

لكن هذه الرسالة مستخلص قصير جدا، لا نسبة بينها وبين المنهاج. وهذه الرسالة هى غير رد ابن الشيخ، الشيخ عبد الله على الرافضة والزيدية.

رسالة فى الرد على الرافضة :

طبعها جامعة الإمام محمد بن سعود ضمن مطبوعاتها لمؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد ويذكر المحقق أنه لم يسبق لها أن طبعت^(١). وطبعت طبعة ثانية مفردة بأشراف دار المأمون للتراث ١٤٠٠ هـ. وجاء فى أولها بعد مقدمة قصيرة بحمد الله والصلاة على رسوله قول هذا نصه: «فهذا مختصر مفيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب» فلعله هو مختصر المنهاج الذى ذكره ابن قاسم^(٢)، وغيره من مؤلفات الشيخ، والمنهاج هو منهاج أهل السنة رد على الرافضة لابن تيمية، وهذا المختصر غير رد ابنه عبد الله على الرافضة والزيدية. وبلغ عدد صفحاته مطبوعا ٥٦ صفحة ويشمل مطالب أو مباحث هى: الوصية بالخلافة، وإنكار خلافة الخلفاء، دعوى الرافضة ارتداد الصحابة، ونقص القرآن، والسب والتقية، وسبهم عائشة، وتكفير من حارب عليا واستهانتهم بأسماء الصحابة، وانحصار الخلافة فى اثنى عشر، والعصمة، وخلافهم فى خروج غيرهم من النار، ومخالفتهم لأهل السنة، والرجعة، ومشابھتهم اليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك.

وقال عبد الرحمن بن قاسم: «وله (أى الشيخ) رسائل وأجوبة فى التوحيد والنصائح وأجوبة فى الفقه كثيرة ومفيدة تقدمت فى هذا الكتاب (أى الدرر السنية)

(١) انظر مقدمته لمختصر سورة الأنفال، ملحق المصنفات، مؤلفات الشيخ ص ٣.

(٢) انظر: الدرر السنية جزء ١٢، تراجم، ترجمة الشيخ، ص ؟؟؟؟

على حسب الترتيب وله من المسائل المستنبطات من كتاب الله ما يقصر عنه فهم
الفحول الأفاضل ، ولا يقدر على إبرازه ذوو التدقيق من الأمائل تكلم على غالب
السور واستنبط منها من الفوائد ما لم يسبق له « أ - هـ ^(١) .

وقد قمت بتتبع أجزاء الدرر السنية لمعرفة ما هو للشيخ من متفرقات الأجوبة
والرسائل والفوائد ثم قمت بتحديد مواضعها من هذا المجموع الكبير بأرقام
الصفحات .

وفيما يلي بيان احصائي بذلك مرتبا حسب ترتيب جامع الدرر السنية :

في الأجوبة النجدية - الطبعة الثانية عام ١٣٨٥ هـ ، مطابع المكتب
الإسلامي :

١ - الجزء الأول :

وهو في العقيدة ويقصد التوحيد العلمي الخبري فيه للشيخ أربعة وثلاثون
جوابا من ص ٢٨-١١٠ . فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء
٨٢ صفحة .

٢ - الجزء الثاني :

وهو في التوحيد ويقصد بذلك توحيد القصد والطلب الذي هو توحيد العبادة
- فيه للشيخ خمسة وأربعون جوابا من ص ٧٣-٣ + ص ١٧٦ .
فيساوي عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء ٧١ صفحة .

٣ - الجزء الثالث :

وهو في الأسماء والصفات - فيه للشيخ جواب واحد من ص ٨١-٨٥ . فيساوي
عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء ٤ صفحات .

٤ - الجزء الرابع :

وهو :

أ - في الأصول الفقهية : فيه للشيخ أربعة أجوبة من ص ٣-٦ .

ب - وفي العبادات : للشيخ أربعة وأربعون جوابا وموضوعا من
ص ٦٩-٧٢ ، ص ٧٨ ، وص ٧٩-٨٠ ، ص ٨٢ ، ص ٩٨ ، ص ١٠٥ ،

(١) الدرر السنية ١٢/١٨ ، ١٩ .

ص ١٠٩-١١٠، ص ١١٤، ص ١٣١، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣-١٤٨، ١٤٩، ١٦١-١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٩٣، ٢٢٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٧٨-٢٧٩، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٣، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٢٥-٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩-٣٣٠، ٣٣٩-٣٤٠، ٣٥٠، ٣٨٥، ٣٩٤، ٤١٠، ٤١٤.

ومن أهم ما فيها رسالة : شروط الصلاة وأركانها وواجباتها التي نشرت في غير الدرر السنية كثيرا وضمن مجموعات أخرى مختلفة^(١).
فيساوى عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء ٦١ صفحة تقريبا.

٥ - الجزء الخامس :

وهو في البيع والربا والسلم والقرض والضمان والحجر والشركة والمساقاة واللاجارة والغصب والشفعة واللقطة والوقف والهبة أو العطية والفرائض .
فيه للشيخ خمسة وخمسون جوابا تقع في : ص ص ١٠، ١٢، ١٦، ١٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤١-٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٥٨، ٥٩، ٦١-٦٣، ٧٠، ٧٣، ٨٣، ٨٩، ١٠٢، ١٠٤، ١١٨، ١٢٠-١٢١، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٠، ١٦١، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٣٠٧-٣٠٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٥٦-٢٦٥، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤.

ويساوى عدد صفحات ما كتبه الشيخ في هذا الجزء ٦٧ صفحة تقريبا.

٦ - الجزء السادس :

وهو في النكاح - في : وليمة العرس، الطلاق، الظهار، العدد، الرضاع، النفقات، الجنايات، الديات، الزكاة، القضاء، القسمة، الدعاوى والبيانات، الشهادات. فيه للشيخ ٢٨ جوابا.
في ص ص ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٤٥، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٩١-٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢٠.

(١) انظر: الضبيب ببلو جرافى ص. ١١٢-١١٤، المواد ٢٦٥-٥٨٠.

ويساوى مجموع ما للشيخ من الصفحات ٣١ صفحة تقريبا في هذا الجزء .

٧ - الجزء السابع :

وهو - كتاب الجهاد - فيه للشيخ اثنا عشر موضعا .

تقع في الصفحات : ٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٠-٥٦ ، ٥٧ ، ٢٣٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٨٨ .

ويساوى عدد مجموع صفحات ما للشيخ في هذا الجزء ١٩ صفحة تقريبا .

٨ - الجزء الثامن :

وهو في حكم المرتد - فيه للشيخ تسعة وعشرون موضعا أولها كتاب : مفيد

المستفيد في كفر تارك التوحيد . تقع في الصفحات : ٣ - ٤٩ ، ٥١ - ٥٢ ، ٦١ - ٧٥ ، ٧٦-٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠-٩٧ ، ٩٨-١٠٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

ويساوى عدد صفحات ما للشيخ في هذا الجزء ٩٦ صفحة تقريبا .

٩ - الجزء التاسع :

وهو في : « مختصرات الردود » وليس فيه للشيخ شيء .

١٠ - الجزء العاشر :

وهو في تفسير القرآن - فيه للشيخ ثمانية وسبعون موضعا - تقع في الصفحات :

٣-١٠ ، ٢٦ ، ٢٧-٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩-٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥-٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤-٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠-٦٢ ، ٦٣-٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١-٨٦ ، ٩١-١٠٢ ، ١٠٤-١٦٠ ، ١٦٢-١٧٨ ، ١٨٣-٢٠٠ .

ويساوى مجموع صفحات ما للشيخ في هذا الجزء ١٥٠ صفحة .

١١ - في « النصائح » وليس فيه للشيخ شيء .

١٢ - في التراجم - وفيه ترجمة للشيخ بقلم مؤلف وجامع الدرر الشيخ عبد

الرحمن بن قاسم .

ويصبح مجموع صفحات ما للشيخ في هذه الأجزاء كلها = ٨٢ + ٧١ + ٤ +

٦١ + ٦٧ + ٣١ + ١٩ = ١٥٠ = ٤٨٥ صفحة .

وهذه تساوى مجلدا كبيرا لو جمعت وضمت مع بعضها . وقد نبه جامع الدرر

السنية أنه لم يتعرض إلا للفتاوى والرسائل وما كان مختصرا نحو الكراستين فأقل ، أما

الردود والكتب الكبار المشهورة المتداولة، فهي مستقلة على حدة، مستغنية عن اثباتها في هذا المجموع.

هذا ومن مؤلفات الشيخ ورسائله الجديرة بالتنويه أيضا ما يلي :

رسالة : ثلاثة الأصول وأدلتها :

ويظهر أن هذا العنوان هو أول ما عنونت به هذه الرسالة، فإذا لاحظنا طبعاتها الأولى نجد أن عنوانها هكذا كما دون أعلاه، فمثلا طبعتها ضمن مجموعة نشرها عيسى بن رميح سنة ١٣٣٨ هـ، وطبعتها سنة ١٣٤٠ هـ بمطبعة المنار وطبعها سنة ١٣٤٥ هـ بالمطبعة السلفية بالقاهرة ضمن مجموعة متون^(١)، كلها بهذا العنوان، وكذلك إذا لاحظنا تعبيرات بعض المؤرخين والعلماء عنها فانهم يعبرون عنها بهذا العنوان^(٢)

وقد عنونت هذه الرسالة بعناوين تختلف بترتيب ألفاظها، وبالألفاظ ذاتها وبالاختصار والطول، فمرة بعنوان : «ثلاثة الأصول»^(٣) وأخرى : «ثلاثة الأصول وأدلتها»^(٤) وثالثة : «الأصول الثلاثة وأدلتها»^(٥) ورابعة : «الأصول الثلاثة الواجبة على كل مسلم ومسلمة»^(٦) وخامسة : «تلقين أصول العقيدة للعامة»^(٧) وسادسة : «أصول الدين الإسلامي»^(٨) وسابعة : «مبادئ الإسلام»^(٩).

وهذه العناوين موضوعها واحد وإن اختلفت محتوياتها طولاً وقصراً وبسطاً وإيجازاً يوجد لها مخطوطة تحت رقم ٢٦٩ / ٨٦ في المكتبة السعودية بالرياض وتبدأ بعض نسخها ببيان الأصول الثلاثة بلا مقدمات وبعض نسخها المطولة تبدأ

(١) انظر: الضبيب، بليوجرافيا، الأصول الثلاثة، ص ٢٩.

(٢) انظر: تاريخ ابن بشر، ط مكة، ج ١ / ص ١٤.

(٣) انظر: حاشية ثلاثة الأصول، الغلاف.

(٤) انظر: المجموعة السعودية تصحيح ابن حيد، ص ٢٢١.

(٥) انظر: الأصول الثلاثة، الغلاف.

(٦) انظر: مجموعة التوحيد ص ٢٦٢.

(٧) انظر: المصدر السابق، ص ٢٥٧.

(٨) انظر: أصول الدين، ترتيب الطيب، الغلاف.

(٩) انظر: مبادئ الإسلام، الغلاف.

بمقدمات قصار ثلاث مرتبطة تستهل الأولى والثانية بقوله : «إعلم رحمك الله» والثالثة بقوله : «إعلم أرشدك الله لطاعته» .

القواعد الأربع :

في تمييز المسلم من المشرك - مطولة ومختصرة ، وأول المطولة : «أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة وأن يجعلك مباركا أينما كنت» . توجد مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٨٦/٢٦٩ وبالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت ١٤٢ ورقم ١٦٣ مع المجموعة رقم ٢٩ . وهي مطبوعة متداولة في مجموعة التوحيد وغيرها .

كتاب : مسائل الجاهلية :

التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية - يوجد له مخطوطات بمكتبات خاصة^(١) . وهو مطبوع متداول بتعداد مختلف لهذه المسائل اختلافا سهلا في الزيادة والنقص ولا يضر ذلك لأن الكتاب صحيح النسبة إلى الشيخ - والزيادة والنقص إنما هو في تعداد المسائل .

فبعض النساخ يجعل المسألتين والثلاث واحدة والبعض الآخر يجعل لكل مسألة عدداً خاصا كما يفعل الشيخ الألوسي في الرابعة والخمسين والخامسة والخمسين وهكذا .

كتاب : مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد :

يوجد مخطوطا بالمكتبات الخاصة^(٢) . وهو مطبوع متداول ، وجعله جامع الدرر السنية في أول جزء حكم المرتد وما جعل له عنوانا . وابن غنام ذكر أن الشيخ أرسل هذا الكتاب لأهل العيينة يبطل ما موه به سليمان بن عبد الوهاب في كتابه إليهم وما جعل له عنوانا .

(١) مجلة البحث العلمي ج ٣ ص ١٤٠٠ هـ ص ص ٤٤٣-٤٤٤ .

(٢) انظر : مؤلفات الشيخ ، القسم الأول العقيدة ، هامش ص ٢٨٦-٢٩٤ ومجلة البحث العلمي عدد ٢

ص ١٣٩٩ هـ ص ٣٤١ ، وع ٣ ص ١٤٠٠ هـ ص ٤٤١ ، وص ٤٤٤ .

وكتاب الكبائر :

أوله : كتاب الكبائر، وقول الله تعالى : ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، نكفر عنكم سيئاتكم﴾ الآية .

يوجد مخطوطا في ثلاث نسخ : مخطوطة مكتبة الشيخ محمد بن إبراهيم ومخطوطة محمد بن عبد اللطيف ، ومخطوطة الحصين^(١) ، ونسخ أخرى^(٢) ، وهو مطبوع متداول .

الخطب المنبرية له ولبعض أحفاده :

هذا الكتاب مطبوع طبعات مختلفة فطبعة أم القرى سنة ١٣٤٥هـ في ٨٣ ص ، وطبعة السلفية بلا تاريخ في ٩٠ + ٢ ص تحتوى على خمس وسبعين خطبة وعنوانها : خطب إمام الدعوة الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأحفاده وبعض تلاميذه . وطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتحتوى على ثمان وثلاثين خطبة بعنوان الخطب المنبرية للشيخ محمد بن عبد الوهاب في ٦٦ ص .

كتاب بعنوان : هذه أحاديث في الفتن والحوادث التى أخبر النبى ﷺ أنها ستكون بعده جمعها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

يوجد له مخطوطة في المكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٨٦/٥٢٥ ذكر ناسخها أنه نقلها من خط المؤلف نفسه .

وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود لأول مرة ضمن مؤلفات الشيخ بتحقيق محمد محرز حسن سلامه وزميله في ٢٩١ صفحة ، ويذكر المحققان أن أصله المخطوط ضم أحاديث في موضوعات عدة بدون تبويب لها أو مراعاة لوحدة الموضوع ولم يكن في أوله خطبة الكتاب مما يغلب على الظن أنه كان مسودة في دور الاعداد لم ينل حظه من التبويب أو التنسيق وأنها وضعا لها أبوابا تعين وحدة الموضوع أخرجاها اخرجها حسنا ييسر الانتفاع بها . الخ^(٣) .

(١) انظر: ص ٣ من كتاب الكبائر، ط رئاسة إدارات البحوث العلمية وهامش ص ٣ من مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب الكبائر.

(٢) مجلة البحث العلمى ع ٣ س ١٤٠٠ هـ ص ص ٤٤٤-٤٤٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ، قسم الحديث، المجلد الثالث، ص ١٠ .

كتاب أحكام تمنى الموت :

هو مجموعة أحاديث تتناول أموراً تتعلق بالموت والقبر ، وحالة الأرواح المقبوضة في البرزخ ، ليست مبوبة بعناوين سوى الفهرس الذي هو من عمل المصحح ، ويظهر أنه اختصار لكتاب الروح لابن قيم الجوزية .

أوله : الحمد لله رب العالمين ، اللهم صلى على محمد وآله وصحبه وسلم ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيا ، فليقل : اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لى وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لى . . . » .

طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لأول مرة عن نسخة مصورة من مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض برقم ٩٦/٧٧١ بتصحيح ومقابلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد السدحان وزميله ، ضمن مؤلفات الشيخ بقسم الفقه في ٧٨ صفحة ، ويذكر الدكتور العثيمين أنه يوجد له مخطوط في مكتبة لايدن بهولندا تحت رقم ٢٤٧٩^(١) .

وقد صنّفه المصنفون في قسم الفقه وهو عبارة عن مجموعة أحاديث في أمور تتعلق بالموت وما بعده إلى البرزخ !

مختصر تفسير سورة الأنفال :

طبعته لأول مرة جامعة الإمام ضمن مؤلفات الشيخ ضمن ملحق المصنفات في ٢٨ ص بتحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد من مخطوطة في مكتبة الأوقاف ببغداد صورها مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة بمكة ويظهر أنه مختصر من مجموعة تفاسير كابن كثير والطبري وابن الجوزي وغيرهما من تفاسير السلف الصالح^(٢) .

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره ، ص ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) انظر : الصفحات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ وما بعدها . ط جامعة الإمام .

كتاب بعنوان : هذه مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية :

أوله : «(١) ان قوله : «إنما الأعمال بالنيات» عام ، خلافا لما عليه أكثر الشراح . . » وهو شامل لمسائل عديدة في التوحيد بجميع أنواعه وفي الفقه وأصوله والتفسير وعلومه ، وتبلغ هذه المسائل عدد مائة وخمس وثلاثين مسألة .

وهو أثر من آثار الشيخ يبين لنا مدى تحصيل الشيخ العلمي ودراسته الجادة لمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وانتمائه الأكيد إلى مدرسته السلفية الجامعة للمعقول والمنقول كما هي روح الإسلام ، فهو وثيقة تدل على مصدر عظيم من مصادر الشيخ محمد بن عبد الوهاب العلمية .

ويوجد مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض برقم ٦٧٨/٨٦ وصورة من هذه المخطوطة في مكتبة الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ^(١) .
وقد طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود بمراجعة محمد بن عبد العزيز النمي وزميله في ١٩٩ صفحة^(٢) .

أربع قواعد تدور عليها الأحكام :

أولها : قال الشيخ محمد رحمه الله : «هذه أربع قواعد من قواعد الدين التي تدور الأحكام عليها . . .» .

توجد مخطوطة ضمن مجموعة في المكتبة السعودية برقم ٨٦/٨٩ وقد طبعت ضمن الدرر، وضمن مؤلفات الشيخ .

مبحث الاجتهاد والاختلاف :

مختصر من كتاب أعلام الموقعين لابن القيم ، الجزء ٤ ، ص ص ١١٩-١٦٢ .

يوجد مخطوطا بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٧٧٢-٨٨٦ وقد طبع ضمن مؤلفات الشيخ .

(١) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، طبعة جامعة الإمام ص ٩ .

(٢) المصدر السابق .

رسالة في إبطال وقف الجنف والاثم :

أولها : «هذه كلمات جواب الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والاثم ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة، ثم نتكلم على الأدلة . . . » .

طبعت بعنوان : «فتوى لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مع مذكرة في قضية المحرومين»، لأحمد محمد شاكر، طبعتها دار المعارف بالقاهرة، سنة ١٣٧٢ هـ ، وطبعت ضمن روضة ابن غنام ج ١ / ص ص ١٢٤-١٣٨ ، وضمن مؤلفات الشيخ وطبعت أخرى^(١) .

وقد قام المسؤلون بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع وطبع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره بمجموعة خاصة انفردت بمؤلفات الشيخ فقط وتميزت بذلك عن المجاميع الأخرى، وبسبقتها إلى طبع ونشر مؤلفات للشيخ لم تطبع من قبل .

وعدد مجلدات هذه المجموعة التي سميت باسم : «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» اثنا عشر مجلدا، فالأول في العقيدة والآداب الإسلامية مجلد واحد .

وخمس مجلدات في الحديث .

ومجلدان في الفقه .

ومجلد في التفسير ومختصر زاد المعاد .

ومجلد في مختصر سيرة الرسول ﷺ .

والفتاوى .

ومجلد في الرسائل الشخصية .

ومجلد في ملحق المصنفات .

فأما مجلد العقيدة والآداب الإسلامية فهي القسم الأول ويتضمن :

كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، والقواعد الأربع، وفضل الإسلام وأصول الايمان، وكتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ومجموعة رسائل في التوحيد والايمان : هي مسائل الجاهلية وشرح ستة مواضع من السيرة وتفسير كلمة

(١) انظر: الضبيب، آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سجل بليوجرافي . ص ص ١١١-١١٢ .

التوحيد، وتلقين أصول العقيدة للعامة وثلاث مسائل، ومعنى الطاغوت والأصل الجامع لعبادة الله وحده وبعض فوائد سورة الفاتحة ونواقض الإسلام ومسائل مستنبطة من قول الله تعالى : ﴿وَأَن الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وثان حالات استنبطها الشيخ من قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي﴾ الآية، وستة أصول عظيمة مفيدة، ورسالة في توحيد العبادة وكتاب الكبائر.

وأما مجلدات الحديث فهي تتضمن :
مجموع الحديث في الأحكام على أبواب الفقه أربعة أجزاء ، طبع لأول مرة في هذه المجموعة وهو جيد مفيد واسع في ذكر الأحكام والآثار.
ومجلدا في أحاديث الفتن والحوادث ، وأشراف الساعة ، وخروج الدجال ، وما جاء في المهدي ونزول عيسى عليه السلام ، وغير ذلك . والمجلدان في الفقه فهما القسم الثاني أحدهما مختصر الانصاف والشرح الكبير .
والثاني يتضمن نبذا في الأصول الفقهية وكتاب الطهارة وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها وآداب المشي إلى الصلاة ، وأحكام الصلاة ، وأحكام تمنى الموت ، وأحوال الأرواح ، والقبر والأهوال من السنة والأثر . وكان الأنسب أن يوضع في قسم الحديث لأنه مجموعة أحاديث .

ومجلد التفسير ومختصر زاد المعاد فهو القسم الرابع في فضائل القرآن وتفسير آيات من القرآن الكريم من سورة الفاتحة حتى سورة الناس ، وهذا التفسير أشبه باستنباط فوائد من الآيات التي وقع عليها الاختيار - ويتضمن مختصر زاد المعاد في الهدى النبوي لابن القيم اختصره الشيخ .

ومجلد مختصر السيرة والفتاوى فهو القسم الثالث يتضمن : مختصر سيرة الرسول ﷺ ، وفتاوى ومسائل للشيخ متفرقة .

ومجلد الرسائل الشخصية فهي القسم الخامس ، وتشتمل على رسائل الشيخ الشخصية في بيان عقيدته وحقيقة دعوته ورد ما الصق به من التهم الباطلة ، وبيان أنواع التوحيد ومعنى لا إله إلا الله وبيان ما يناقضها من الشرك في العبادة ، وبيان الأشياء التي يكفر مرتكبها ويوجب قتاله والفرق بين فهم الحجة وقيام الحجة وتوجيهات عامة للمسلمين في العقيدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وآخر هذه المجلدات الاثنى عشر مجلد ملحق المصنفات يتضمن مسائل لخصها الشيخ من كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ومختصر تفسير سورة الأنفال، والرد على الرافضة، وبعض فوائد صلح الحديبية، والخطب المنبرية .

هذا وقد قام بتصنيف هذه المؤلفات واعدادها للتصحيح الشيخ عبد العزيز بن زيد الرومي والدكتور محمد بلتاجي والدكتور سيد حجاب وطبعت طبعة خاصة باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعد أن صححت وحقت بواسطة لجان علمية مكونة من العلماء المتخصصين ذوى الصلة الوثيقة بنوع وطبيعة ما يراجعونه من مؤلفات الشيخ ومن ذوى الخبرات فى البحوث العلمية قدر الاستطاعة^(١) .

ولكن عند تفقدي لمؤلفات الشيخ فى هذه المجموعة القيمة لم أجد قليلا من آثار الشيخ ضمنها، كمختصر تفسير سورة الاخلاص والمعوذتين، لابن القيم . وهذا يوجد مخطوطا بمكتبة الآثار العامة ببغداد تحت رقم ٣٥١٧٩^(٢) .

وكنبذ ومسائل ورسائل للشيخ هى موجودة فى الدرر السنية جمع ابن قاسم مثل تفسير الاستعاذة وهى فى الدرر السنية ج ١٠ / ص ص ٣٥-٣٦ وتفسير أول سورة البقرة: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ الآيات وهى فى الدرر السنية ج ١٠ ص ص ٣٩-٤٢ ، ج ١ ص ص ٥٩-٦٢ ، ص ص ٧٨-٨٠ ، ص ص ٩٥-٩٩ ، ص ص ١٠٧ ، ص ١٠٢ ، ١٠٥ .

ومسائل فى التوحيد وهى فى الدرر السنية ج ٢ ص ص ٣٨-٣٩ ، ص ص ٤٢-٤٦ ، ص ص ٥٠-٥٢ ، ص ٦٦ ، ج ٦ ص ص ٤٩٥-٤٩٦ ، وج ٧ ص ص ٣٤٦-٣٤٧ ، وج ٨ ص ٨٧ وغير ذلك .

ورسالة شخصية موجهة من الشيخ محمد إلى الشيخ عبد الله بن عيسى أولها : «من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وما ذكرت أن الحمولة زعلين من تلك الكلمة .» وهى فى الدرر السنية ج ٧ ص ص ٢٨-٢٩ .

ورسائل فى معنى لا إله إلا الله :

(١) انظر: تقديم أمانة المؤتمر لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة والأدب الإسلامية، ص ص ٦-٥ .

(٢) فهرس المصورات الميكروفيلمية، التابعة لمركز البحث العلمى وحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة بجامعة أم القرى، رقم ١٢٣ .

عنوان الأولى : «هذه كلمات في بيان شهادة أن لا إله إلا الله وبيان التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» وهى موجودة ضمن الدرر السنية ج ٢ ص ص ٥٨-٥٢ .

والثانية أولها : «هذه كلمات في معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» وتوجد في الدرر السنية ج ٢ ص ص ٤٤-٤٨ .

والثالثة بعنوان : «فرض معرفة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة والصوم» وتوجد في الدرر السنية ج ٢ ص ٦١ .

والرابعة : أن معنى لا إله إلا الله نفى وإثبات تنفي أربعة أنواع وثبت أربعة أنواع . وتوجد في الدرر السنية ج ٢ ص ٦٢ .

والخامسة : في كلمة التوحيد - أولها : «إعلم أرشدك الله أن الله خلقك لعبادته» وتوجد في الدرر السنية ج ٢ ص ص ٦٢-٦٥ .

وجواب سؤال عن معنى أبيات أولها : أول واجب على الإنسان معرفة الإله باستيقان . وتوجد في الدرر السنية ج ١ ص ص ٦٩-٧١ . وغير ذلك قليل .

ورسالة في التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح ، واتباع الدليل للشيخ محمد بن عبد الوهاب وهى موجودة في روضة ابن غنام ، ج ١ ص ص ٤٢-٤٦ . وهى مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان بالمغرب الأقصى ، ونقلت صورة عن صورتها من الشيخ حماد الأنصارى .

وحصل في التصنيف قليل من الخطأ القنى كوضع كتاب أحكام ثمنى الموت «وهو عبارة عن مجموعة أحاديث في قسم الفقه .

وكتكرار بعض آثار الشيخ كما وقع تكرار نبذة في اتباع النصوص طبعته في القسم الثانى ، الفقه ، المجلد الثانى ص ٣ ثم كررت في القسم الثالث ، الفتاوى ص ٩٧ .

وكما يوجد في القسم الثانى ، الفقه ، المجلد الثانى ص ص ١١-١٢ هو مكرر في القسم الثالث الفتاوى في ص ص ٢٧-٤٠ .

وكما وقع في تفسير سورة طه من ص ص ٢٦٣-٢٦٨ في القسم الرابع هو بعينه الذى وقع في القسم الثالث ، الفتاوى ص ص ٧٥-٧٩ ، وفي تفسير سورة هود من

ص ١٢٠-١٢٣ في القسم الرابع هو بعينه الذى وقع فى القسم الثالث، الفتاوى،
ص ص ٨-٥ وغير ذلك قليل .

ولم ينفرد شىء من المراجع الأخرى كتاريخ ابن غنام ومجموعتى التوحيد
والحديث ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية بأجزائها الأربعة بذكر شىء من مؤلفات
الشيخ ليس فى مجموعتى الدرر السنية، ومؤلفات الشيخ، وهما أشمل ما ظهر حتى
الآن من مجاميع لمؤلفاته .

تحقيق نسبة بعض الرسائل الشخصية من آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

يقول الدكتور عبد الله العثيمين : إن بعض الرسائل المضافة إلى ما ورد فى
تاريخ ابن غنام ليس فيها ما يرجح كونها من رسائل الشيخ نفسه ، ويمثل بالرسالة
التي أرسلها الشيخ إلى عالم من أهل المدينة ، والرسالة التي بعثها الشيخ إلى عبد الله
الصنعاني والرسالة التي بعثها الشيخ إلى أهل المغرب ، ورسالة رابعة جواب من
الشيخ عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه .

فيقول عن الأولى التي أرسلها الشيخ إلى عالم من أهل المدينة بأنها لم ترد إلا فى
الدرر السنية ، ولم يذكر اسم العالم الذى أرسلت إليه ولم ينص فيها أنها من الشيخ كما
هى عادته حيث يبدأ رسائله بعبارة : من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان .

وقال عن الثانية التي بعثها الشيخ إلى عبد الله الصنعاني مثلما قال عن الأولى
وزاد بأن فيها شبهها كبيرا بأجزاء من الرسالة التي كتبها عبد الله بن الشيخ محمد عند
دخوله مكة المكرمة مع سعود بن عبد العزيز من حيث الأسلوب والمضمون ، فلعل فى
هذا ما يرجح أن الذى كتب الرسالة إلى الصنعاني هو الشيخ عبد الله بن محمد وليس
أباه .

وقال عن الثالثة التي بعثها الشيخ إلى أهل المغرب أنه من الواضح عدم
رجحان كونها له لانفراد صاحب الدرر السنية بإيرادها وعدم النص فيها على اسم
مرسلها ، ولأنه من غير المحتمل أن يكون اهتمام زعماء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل
استيلائهم على الحجاز ملتقى الوافدين إلى بيت الله الحرام ، وأن هذه الرسالة قد
شاعت فى تونس زمن الباي حمودة باشا . وقد ذكرت المصادر التونسية وصولها إلى ذلك
القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التي قام بها سعود بن عبد العزيز فى الحجاز ، وهذا

يتلاءم مع القول بأن الاهتمام بالمغرب ناتج عن الوجود السعودي في الحجاز، وعلى هذا الأساس فانه من المحتمل جدا أن تكون هذه الرسالة أيضا من كتابة الشيخ عبد الله بن محمد، وكان الدكتور العثيمين قد قال عنها في كتابه عن الشيخ «والحقيقة أن هذه الرسالة كانت من الإمام سعود بن عبد العزيز إلى قادة المغرب بعد استيلائه على الحجاز، وقد لقيت رسالة سعود هذه نوعا من التأييد في المغرب الأقصى، لكنها لقيت معارضة في تونس» (الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور عبد الله العثيمين ص ٩٩).

وقال عن الرابعة وهي جواب الشيخ عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه انه ورد فيها ما يثير انتباه الباحث ذلك أنه ورد فيها ما يشير إلى أنها قد كتبت وعبد الله المويس لا يزال حيا لكن ورد فيها ما نصه: «فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله» قال: ولو فرض أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد حوالي سنة ١١٤٥هـ فإن الرسالة حسب العبارة السابقة تكون قد كتبت خطيا سنة ١١٨٥هـ تقريبا ومن المعروف أن المويس قد توفي قبل هذا التاريخ بعشر سنين.

انتهى ما لخصته من ملاحظات الدكتور العثيمين على صحة ما ينسب للشيخ من بعض الرسائل الشخصية^(١).

والجواب عن هذه الملاحظات هو أن دعوى انفراد صاحب الدرر السنية وهو الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بإيرادها دعوى لا تتم لاسيما وأنه جمع مجموع الدرر السنية عن مجموعات مشائخه الشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري وإعانه على ذلك الجمع شيخه محمد بن إبراهيم تحريرا وتهذيبا وإعادة وإبداء، وقرأ أكثره على شيخه محمد بن عبد اللطيف، وعلى شيخه سعد بن حمد بن عتيق^(٢).

فهو في الدرر السنية لم ينفرد بشيء، وإنما أثبت فيها ما وافق عليه عدد من العلماء كما ذكرنا أسماءهم وقامت دار الافتاء بطبع هذه الدرر السنية مرتين وتوزع على

(١) انظر: بحثا بعنوان «الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب» من إعداد الدكتور عبد الله بن صالح العثيمين ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود لسنة ١٤٠٠هـ ص ٥١.

(٢) انظر: الدرر السنية ١/ ٢٠-٢١.

طلبة العلم من غير نكير بل تقابل بالاستحسان والقبول، ثم ان الدكتور العثيمين لم يبين لنا في الشيخ عبد الرحمن بن قاسم شيئا يجعلنا نتوقف فيما ينفرد به لو حصل ذلك الانفراد، والذي نعلمه عن ابن قاسم أنه موثوق لدى علماء الدعوة وغيرهم ممن عاصره ولقيه وعرفه فتبين بذلك أن قول الدكتور العثيمين بأن صاحب الدرر السنية انفرد فيها لم يذكر في غيرها غير صحيح وكذلك اضعافه صحة نسبة ما ينفرد به لو كان ذلك فان صاحب الدرر رجل موثوق.

وأما ما يفهم عن الدكتور العثيمين بأن الرسالة التي لم يذكر فيها اسم من أرسلت إليه ولم ينص فيها أنها من الشيخ كما هي عادته حيث يبدأ رسائله بعبارة: من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان أنه يتوقف في نسبتها إلى الشيخ فهذا لا يثير أدنى شك في نسبتها مادامت تنسب إليه لأن عدم ذكر اسم من أرسلت إليه وعدم النص فيها من محمد بن عبد الوهاب لا يعنى أن الشيخ لم يكتبها ويرسلها مفتوحة لينتفع بها العموم ويجوز أن اسم المرسل والمرسل إليه حذفاً لدفع مفسدة ونحو ذلك بعد أن انتهى الغرض من ذكرهما.

وأما حكاية الشبه بين ما يكتبه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما ينسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب من الرسالة إلى أهل المغرب. وأن هذا الشبه يشكك في النسبة فإن الأمر بالعكس وهو أن هذا الشبه يؤكد النسبة - فالشيخ عبد الله هو ابن الشيخ محمد وتلميذه والأخذ عنه فلم لا يشبه أباه ؟ في كل أسلوبه ومضمونه ؟

أما قطع الدكتور بعدم احتمال أن يهتم الشيخ بالمغرب وغيره من بلاد المسلمين قبل الحجاز فقد كانت بداية دعوة الشيخ في غير الحجاز، وكانت دعوته صالحة للجميع كيف ما اتفق من غير ترتيب بلد على بلد أو جماعة دون أخرى لأن الشأن هو قبولها، ولقد كان قبول دعوة الرسول ﷺ في الضعفاء قبل الأشراف. ومن المدينة قبل مكة وهذا ما يجعل الشيخ غير آبه بترتيب قطر على قطر وإنما يهيمه أن يقبل منه، وكون رسالة الشيخ إلى أهل المغرب شاعت في تونس زمن الباي حمودة باشا وكون المصادر التونسية ذكرت وصولها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التي قام بها سعود في الحجاز فهذا لا يدل على أن الشيخ لم يكن قد كتبها وأرسلها إلى أهل المغرب في زمنه وكونها لم تنتشر في تونس إلا متأخرة وبعد قيام الأمور السعودية في الحجاز لا يثير

الاستغراب ولا يقدح في نسبتها للشيخ لأنه أمر طبيعي فالناس يشيع بينهم أثر من عظم شأنه ولربعد وفاته بزمان طويل .

وقول الدكتور العثيمين والحقيقة أن هذه الرسالة كانت من الإمام سعود قول لم يحقق بأدلة كافية في الوصول إلى هذه الحقيقة ومخالفة الحقيقة المذكورة . وما ذكره الدكتور العثيمين عن اجابة الشيخ على كتاب لم يقف على اسم كاتبه بأنه ورد فيها ما يدل على أنها كتبت والمويس لا يزال حيا ثم ورد فيها ما يدل على انها كتبت بعد وفاة المويس فهذا غير صحيح لأن ما ورد فيها من قوله : « فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله » لا يدل على أن الرسالة كتبت بعد وفاة المويس حسب ما استنتجته العثيمين بناء على حسابه أن سباب المويس للدين إنما بدأ حين بدأت دعوة الشيخ حوالى سنة ١١٤٥ هـ ، والمويس مات سنة ١١٧٥ هـ قبل تمام الأربعين ، فان ما ورد من قول الشيخ في ذلك الجواب يعنى المويس : « فكيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله » لا يعنى أن حساب الأربعين سنة ابتداء منذ بدء دعوة الشيخ بل ابتداء قبل ذلك ، ثم ان الشيخ كان قد ظهر له فساد ما عليه أكثر أهل عصره من علماء السوء وغيرهم منذ كان في العينة أى قبل سنة ١١٣٥ هـ .

وهذا يندفع ما أورده الدكتور العثيمين من ملاحظات اعتراضية حول صحة نسبة بعض الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

تحقيق نسبة رسالة في مبحث الاجتهاد والتقليد للشيخ :

ويقول الدكتور عبد الله العثيمين كذلك : « وقد أظهر البحث أنها جزء من كتاب الإمام ابن قيم الجوزية أعلام الموقعين » أى أنها نسبت إلى الشيخ وليست من عمله^(١) . ولكن للشيخ أثره الواضح في اختصارها يتيين بأول مقارنة بينها وبين أصلها في الكتاب المذكور ، ومن المعلوم أن اختصار المطول غرض من أغراض التأليف ونوع منه ، فلا وجه للاعتراض على نسبتها مختصرة من آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعدم الفطنة إلى عمل الشيخ فيها .

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره ، للدكتور عبد الله العثيمين ص ٩٩ .

تحقيق عدم نسبة كتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين :

أما هذا الكتاب ، فقد نسبته الدكتور العثيمين للشيخ^(١) ، لأنه طبع منسوباً إلى الشيخ ضمن مجموعة الحديث النجدية طبعة المنار والسلفية وقطر ، ويذكر من مؤلفات الشيخ كما في السجل الببليوجرافي الذي عمله الدكتور أحمد محمد الضبيب وفي غيره كثير لكنه لم يطبع ضمن مجموعة جامعة الإمام محمد بن سعود لمؤلفات الشيخ ، وقد حقق نسبته الشيخ إسماعيل الأنصاري فذكر أنه نص كتاب الأدب من مشكاة المصابيح للخطيب العمري التبريزي وأيد تحقيقه هذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بجوابه له وأنقل منه ما يختص بذلك بنصه : « نعيد إليكم تحقيقكم الجيد عن كتاب نصيحة المسلمين ونفيدكم أنه قد اتضح لنا من هذا التحقيق المرفق أن كتاب النصيحة في مجموعة الحديث النجدية ليس من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بل هو قطعة من المشكاة كما ذكرتم وضعها بعض تلاميذه أو بعض طلاب العلم عن حسن قصد ضمن المجموعة (يعنى كتاب مجموعة الحديث النجدية) لقصد الفائدة» أ - هـ .

ويمكن أن بعض أحفاد الشيخ وجده بخط الشيخ فظن أنه له .

وكذلك رسالة في أنواع التوحيد وأنواع الشرك والكفر التى أولها : « الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . . . » نسبت للشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة التوحيد ط الهند ص ص ٢-٥ وط مكة ص ص ٩-١١ وط دمشق ص ص ٣-٩ وفي الدرر السنية ج ٢ / ٣٤-٣٧ وفي مؤلف الرويشد ج ٢ / ٣٠-٣٥ وفي السجل الببليوجرافي لمؤلفات الشيخ وآثاره الذى أعده الدكتور أحمد الضبيب .

ولكنها نسبت للشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ ضمن مجموعة التوحيد ط السلفية بمصر وهى طبعة محققة وقد قررت ضمن مقرر التوحيد للسنة الخامسة الابتدائية في معارف المملكة العربية السعودية بعنوان : « الرسالة المفيدة المهمة الجليلة للشيخ عبد الرحمن بن حسن » قام بطبعها عمر عبد الجبار . ولم تذكر ضمن مؤلفات الشيخ التى قامت بجمعها وطبعها جامعة الإمام محمد بن سعود . ولذا فمن المحتمل أنها من مؤلفات حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن .

(١) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

وكذلك رسالة جوابية بعنوان :

« أوثق عرى الإيمان »

أولها : « الحمد لله رب العالمين ، إعلم أولا أيدك الله تعالى بتوفيقه أن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله . . . » .

توجد في مجموعة التوحيد ، ط . دمشق ، ص ص ١٥٨-١٧٨ منسوبة للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وتوجد في مجموعة التوحيد ، ط السلفية ، ص ص ٣٦٦-٣٧٦ منسوبة لحفيده سليمان بن عبد الله بن الشيخ .

والتحقيق أنها ليست للشيخ محمد بدليل ما ورد من استشهاد مؤلفها بما عزاه للشيخ محمد في نفس هذه الرسالة الجوابية في ص ١٦٩ من المجموعة المشتمة عليها ، ط . دمشق وفي ص ٣٧١ من ط . السلفية ، ونصه : « قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : . . الخ » .

وفاته :

وفي ست ومائتين وألف من هجرة المصطفى ﷺ توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

قال ابن غنام كان ابتداء المرض به في شوال ثم كانت وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر^(١) وكذا قال عبد الرحمن بن قاسم^(٢) ، أما ابن بشر فيقول كانت وفاته آخر ذى القعدة من السنة المذكورة^(٣) ، وقول ابن غنام أرجح لتقدمه في الزمن على ابن بشر ومباصرته للشيخ وشهوده زمن وفاته ، وتدوينه لتاريخه وقد رثاه ، وابن بشر ينقل عن ابن غنام فلعله نقل ذلك وسها في نقله ، والأمر سهل .

ولقد كان للشيخ من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة على اعتبار أن ولادته كانت في سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة ، وتوفي ولم يخلف دينارا ولا درهما ، فلم

(١) روضة ابن غنام ١٥٤/٢ .

(٢) الدرر السنية ٢٠/١٢ .

(٣) عنوان المجد . . . ٩٥/١ .

يوزع بين ورثته مال ولم يقسم^(١)، وقد رثاه الشعراء وأثنى عليه العلماء، قال ابن قاسم عن يوم جنازته «وكان يوما مشهودا، وتزاحم الناس على سريه، وصلوا عليه في بلدة الدرعية، وخرج الناس مع جنازته الكبير والصغير»^(٢). قال الإمام أحمد: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز»^(٣).

ثناء العلماء ورثاءهم :

قال الشيخ عبد الله البسام، وقد رثاه الشعراء وأثنى عليه العلماء، وتداول الرسائل فيه المسلمون^(٤). وهذا صحيح، ولو ذهبنا نذكر ذلك لطال المبحث، ولكن نكتفي ببعضه .

ولعل مرثيه تلميذه ومؤرخه الشيخ حسين بن غنام خير ما يرسم لنا مشاعر الجمهور الكبير الذي شيع جنازته، ومشاعر المسلمين حوله لما أصيبوا بموته، ورحيله عن أتباعه وتلاميذه والأخذين عنه - فنوردها لذلك . قال ابن غنام يرثيه :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع	وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى	فسالت دمءاء في الخدود وأدمع
إمام أصيب الناس طرا بفقده	وطاف بهم خطب من البين موجع
وأظلم أرجاء البلاد لموته	وحل بهم كرب من الحزن مفظع
شهاب هوى من أفقه وسماؤه	ونجم ثوى في الترب واره بلقع ^(٥)
وكوكب سعد مستنير سناؤه	وبدرله في منزل اليمن مطلع
وصبح تبدى للأنام ضياؤه	فداجى الدياجى بعده متقشع
لقد غاض بحر العلم والفهم والندى	وقد كان فيه للبرية مرتع
فقوم جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا	فأسماعهم للحق تصغى وتسمع

(١) روضة ابن غنام ١٥٥/٢ .

(٢) الدرر السنية ٢٠/١٢ .

(٣) نقل ذلك الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام أحمد في مؤلفه تاريخ الإسلام ، التي أفرد لها منه أحد محمد شاكروني نشرها في جزء خاص ، ص ٨١ . وقال ابن كثير : «وقد صدق الله قول أحمد في هذا» (البداية والنهاية ج ١٠/٣٤٢) يعني كثرة مشيعي جنازة أحمد وعدم احتفال أحد بموت عيون مخالفيه كابن أبي ذؤاد وهو رئيس فضاة الدنيا والمريسي وغيرهما .

(٤) علماء نجد خلال ستة قرون ٤٤/١ .

(٥) البلقع : الأرض القفر التي لا شيء بها .

وقوم ذوو فقر وجهد وفاقه
لقد رفع المولى به رتبة الهدى
أبان له من لمعة الحق لمحة
سقاء نمير الفهم مولاه فارتوى
فأحى به التوحيد بعد اندراسه
فأنوار صبح الحق باد سناؤها
سما ذروة المجد التى ما ارتقى لها
وشمر فى منهاج سنة أحمد
وينفى الأعادى من حماه وسوحه
ينظر بالآيات والسنة التى
فأضحت به السمحاء يسم ثغرها
وعاد به نهج الغواية طامسا
وجرت به نجد ذبول افتخارها
فأثاره فيها سوام^(٥) سوافر
لقد وجد الإسلام يوم فراقه
وطاش ذوو الأحلام والفضل والنهى
وطارت قلوب المسلمين بيومه
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا
وفاضت عيون واستهلت مدامع
بكته ذوو الحاجات يوم فراقه
فما لى أرى الأبصار قلص دمعها
وما لى أرى الأبواب تبدى قساوة

حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
بوقت به يعلى الضلال ويرفع
أزيل بها عنه حجاب وبرقع
وعام بتيار المعارف يقطع
وأقوى به من مظلم الشرك مهيع^(١)
ومصباحه عال ورياه ضيع^(٢)
سواه ولا حاذاه فيها سميدع^(٣)
يشيد ويحى ما تعفى ويرقع
ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
أمرنا إليها فى التنازع نرجع
وأمسى محياها يضيئ ويلمع
وقد كان مسلوكا به الناس تربع^(٤)
وحق لها بالألمعى ترفع
وأنواره فيها تضىء وتسطع
مصابا خشينا بعده يتصدع
وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وظنوا به أن القيامة تقرر
وكادت قلوب بعده تتفجع
يخالطها مزج من الدم يهمع
وأهل الهدى والحق والدين أجمع
وليست على فقدته تهمة وتدمع
وليست على ذكره يومما توجع

(١) أقوى : مبنى للمجهول ومعناه أفقره وأخلاه . ومهيع : طريق بين - والمعنى أن الشيخ رحمه الله بسببه
أفقر وأخلى طريق الشرك المظلم فلا يسلك .

(٢) ضيع : على وزن - صبب - من ضاع المسك أى تحرك فانتشرت رائحته .

(٣) السميدع بفتح السين السيد الموطأ للأكتاف .

(٤) تربع أى تحل وتزل .

(٥) سوام : أى علامات يهتدى بها .

لقد غدرت عين تظن بئائها
يحق لأرواح المحبين أن ترى
وتلوسريرا فوقه قمر الهدى
فما بالها قرت بأشباح أهلها
فيالك من قبر حوى الزهد والتقى
لئن كان في الدنيا له القبر موضع
سقى قبره من هاطل العفوديمة^(٢)
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضا
ولا زال بالرضوان فيها يمتع^(٣)

وهناك مريثة لمحمد بن علي الشوكاني ، قاضى صنعاء والعالم المشهور يرثى بها
شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وهى مريثة بليغة مؤثرة تبلغ أكثر من مائة بيت ،
وتعتبر من أصدق ما يصور مشاعر علماء أهل السنة سيما الذين ليسوا داخل سلطان
دولة الدعوة وأفصحوا عن مشاعرهم واراتهم من مكان بعيد عن المجاملة والمداراة لا
سيما بعد الموت والله أعلم .

ونورد من هذه المريثة بعضا نكتفى به عن طولها - قال رحمه الله :

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلى وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلى
إلى أن قال :

مصاب به ذابت حشاشة مهجتي وعن حمله قد كل متنى وكاهلى
إلى أن قال :

مصاب به الدنيا قد اغبر وجهها وقد شمخت أعلام قوم أسافل
إلى أن قال :

به هد ركن الدين وانبت حبله وشيد بناء الغنى مع كل باطل
وقام على الإسلام جهرا وأهله نعيق غراب بالمدلة هائل

(١) المعنى حل بالقبر طود مترع من العلم . والطود : الجبل العظيم والمترع الملاّن .
(٢) الديمة : المطر الذى ليس فيه رعد ولا برق أقله ثلث النهار أو ثلث الليل وأكثره ما بلغ من العدة . مختار
الصحاح .

(٣) روضة ابن غنام ٢/ ١٥٦ ، ١٥٧ ، وتاريخ ابن بشر ١/ ٩٥ ، ٩٦ .

وسيم منار الاتباع لأحمد
وهبت لنار الابتداع سائم

هوان انهدام جاء من كل جاهل
بسم لنفس الدين مرد وقاتل

إلى أن قال :

فقد مات طود العلم قطب رحي العلا
وماتت علوم الدين طرا بموته
إمام الهدى ما حى الردى، قامع العدى

ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وغيب وجه الحق تحت الجنادل
ومروى الصدى من فيض علم ونائل

إلى أن قال :

امام الورى علامة العصر قدوتى
(محمد) ذو المجد الذى عزدركه
إلى (عبد الوهاب) يعزى وانه

وشيخ الشيوخ الخبر فرد الفضائل
وجل مقاما عن لحوق المطاول
سلالة أنجاب زكى الحصائل

إلى أن قال :

لقد أشرقت نجد بنور ضيائه

وقام مقامات الهدى بالدلائل

إلى أن قال :

ولم يأل جهدا فى نصيحة مسلم
يجازى باحسان اساءة غيره
تقمص بالتقوى وبالحشية ارتدى
ومن شأنه قمع الضلال ونصره

برأى وتدبير وحسن تعامل
وبالجاه عن مستوجه غير باخل
ولم يمض منه العمر فى غير طائل
لمن كان مظلوما وليس بخاذل

إلى أن قال :

فقيم استباح أهل الضلال لعرضه
وليس له شىء عن الله شاغل
فلولاه لم تحز رضى الدين مركزا
ولا كان للتوحيد واضح لا حب
فما هو إلا قائم فى زمانه

وما نكست أعلامه بالأراذل
ولا عن وصال الاعتبار بغافل
ولا اشتد للإسلام ركن المعازل
يقيم اعوجاج السير من كل عادل
مقام نبى فى إماتة باطل

إلى أن قال :

وتوضيحه للمعضلات المشاكل
يبين المخبا منها للمحاول
لأحكام فقه الدين من للرسائل؟
وكشف لثام الحكم عند النوازل؟
وردع أخى الجهل الغوي المجادل؟
بها أنزل القرآن أشرف نازل؟
بجد ولا يخشى ملامة عاذل؟
لقد عبت حقا وارتحلت بباطل
وفل التعصب بالسيوف الصواقل
صرختم له بالقذف مثل الزواجل
إلى دين آباء به وقبائل
أتانا بها طه النبي خير قائل

وأها على تحقيقه في دروسه
فمن للبخارى بعده ولمسلم
ومن ذا لتفسير الكتاب؟ ومن ترى
ومن لسانيد سمت ومعاجم
ومن للمعانى والبيان ومنطق
ومن لك بالأصلين واللغة التى
ومن بعده للصدع بالحق قائم
أفق يامعيب الشيخ ماذا تعييه
نعم ذنبه التقليد قد جذ حبله
ولما دعا الله فى الخلق صارخا
أفيقوا أفيقوا انه ليس داعيا
دعا لكتاب الله والسنة التى

إلى أن قال يخاطب أولاد الشيخ وآل سعود :

أعزيكموا مع ذى انتساب ابن وائل
بجارى القضاء فى عاجل ثم آجل
لديه تعالى من أجور جزائل

فيا سائر الأولاد للشيخ إننى
وأوصيكم بالصبر طرا وبالرضا
بتسليم أمر الله ثم احتساب ما

إلى أن قال يخاطبهم :

بعلم وفضل شامخ القدر شامل
بكم يقتدى فى دينه كل فاضل
تحت إليكم مضمرة الرواحل

وأنتم بحمد الله عنه خلائف
وانا لنرجوا أن تكونوا أئمة
وللخير والأحسان من كل وجهة

إلى أن قال :

وجمل زاكى ذكركم كل عاطل
وأزكى تحيات سوام كوامل
هداة الورى من محتدي فرع وائل
جميع بنى الدنيا فى للمجادل
إلى أن أقاموا بالضبا كل مائل

عليكم سلام الله ما هب ناسم
وأوفى الثنا منى عليكم مكررا
وأضعافها للمقرنين كلهموا
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم
لقد جاهدوا فى الله حق جهاده

إلى أن ختمها بقوله :
وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى الهادي كريم الشرائف
محمد المختار من فرع هاشم وآل وأصحاب كرام أفاضل
وتبلغ أكثر من مائة بيت^(١).
رحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجزاه خيرا، عن الإسلام والمسلمين.

(١) الدرر السنية ١٢/ ٢٠-٢٤، تذكرة أولى النهى والعرفان لإبراهيم ابن عبيد ١/ ٥٠-٥٤، وانظر: أثر الدعوة الوهابية . . . لمحمد حامد الفقى، ص ٧٨-٨٠، و: «الشعريواكب الدعوة» لعبد الله بن خميس بحث قدمه إلى أسبوع الشيخ ص ٢. والإمام الشوكاني مفسرا، رسالة دكتوراة، أعدها محمد حسين الغماري، بجامعة أم القرى، ص ٣٢.

الباب الأول

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية

الفصل الأول في بيان منهج الشيخ رحمه الله تعالى في عقيدته ودعوته

تَوَظُّة :

مَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ

لعل من المناسب هنا أن أمهد بذكر نبذة من منهج السلف الصالح في اعتقادهم السليم وعلمهم النافع وعملهم الصالح ، والأصول التي يعتمدون عليها في ذلك ويرجعون إليها عند الاختلاف حتى نرى على ضوءها منهج الشيخ رحمه الله تعالى ونعلم أنه منهج السلف الصالح وأن الشيخ متبع غير مبتدع ناهج منهج العلماء المجتهدين المنصورين ولم يأت بشيء من الدين ليس على منهج الأوائل المصلحين .
يذهب السلف الصالح رضى الله عنهم إلى أن أصل أصول العلم والهدى هو الوحي إلى النبي محمد بن عبد الله ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده ولا رسول .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾
(النساء: ١٦٣) .

وقال رسول الله وخاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله أو من أو آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أنى أكثرهم تابعا يوم القيامة »^(١) .

(١) رواه البخارى في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ : « بعثت بجوامع الكلم » ج٨/ص ١٣٨ . وفي كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي ، ج٧/ص ٩٧ .
=

والوحي يشمل القرآن الكريم والسنة الشريفة . قال الله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .
ولذا والله أعلم بدأ الإمام البخارى صحيحه بذكر الوحي وكيف كان بدؤه إلى رسول الله ﷺ .

ونورد من هذا الوحي آيات وأحاديث تستمد منها أصول العقيدة الصحيحة :
قال الله تعالى : ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (سبأ: ٦) .
وقال تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنها أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ (الرعد: ١٩) .
وقال تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (إبراهيم: ١) .
وقال تعالى : ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته يزكّهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (الجمعة: ٢) .

وقال تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (التوبة: ١٢٢) .

وفى صحيح البخارى فى كتاب التوحيد ، باب ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى^(١) ، ورواه فى مواضع أخرى فى صحيحه ، وفى صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام^(٢) «عن ابن عباس قال : لما بعث النبى ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن قال له : إنك تقدم على

= ورواه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته .

ورواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ٤٥١ ، ٣٤١ / ٢ ، واللفظ هنا للبخارى رحمه الله تعالى .

(١) ج ٨ / ١٦٤ .

(٢) ٥٠ / ١ .

قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقرأوا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس» واللفظ للبخارى .

وفي صحيح البخارى فى كتاب العلم فى باب فضل من علم وعلم - عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » (١) .

ورواه مسلم فى صحيحه (٢) ، فى كتاب الفضائل فى باب بيان مثل ما بعث النبى ﷺ من الهدى والعلم .
ورواه الإمام أحمد فى المسند (٣) .

ما ينبى على ذلك من أصول العلم :

وينبى على ذلك من أصول العلم ما يلى :

١ - أن الذين أوتوا العلم يرون أن الله تعالى بعث محمدا ﷺ رسولا يدعو إليه بإذنه جميع الثقلين بأن يقولوا لا إله إلا الله بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، بعثه الله بالهدى ودين الحق الكامل الذى تمت به نعمة الله ورضيه دينا إلى قيام الساعة ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وسراجا منيرا ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ويجب على الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم وعقيدتهم إلى ما بعث الله به رسوله وأنزله عليه من الكتاب والحكمة والسنة بلا حرج ولا تردد ولا

(١) جـ ١ / ٢٨ .

(٢) جـ ٤ / ١٧٨٧ .

(٣) جـ ٤ / ٤٩٩ .

توقف، فمن تعارض عند ما جاء به الرسول ﷺ وآراء الرجال فقدمها عليه أو توقف فيه أو قدحت في كمال معرفته فهو أعمى عن الحق^(١)، وليس ممن أوتوا العلم.

٢ - وينشأ من هذا أصل آخر هو أن البصير العاقل يعلم قطعاً أن رسول الله ﷺ قد بلغ رسالته هذه وبينها أصولها وفروعها، البلاغ المبين، والبيان البليغ وأدى أمانته خير أداء، ونصح لأمته أخلص النصيح، وجاهد في سبيل الله حق الجهاد وما قبضه الله إليه إلا وقد علم أمته جميع أبواب الاعتقاد والتعبد، وعلم أمته كتاب الله ومثل كتاب الله معه من سنته المطهرة الشريفة وعلم أمته كل شيء من دينهم حتى آداب قضاء الحاجة^(٢).

وبالجملة فقد دلهم على الخير كله وحذرهم عن الشر كله حتى تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها بعده إلا هالك^(٣)، من بدء الخلق حتى يدخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه^(٤). وأمره الله أن يقول: ﴿هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف: ١٠٨).

ووصى أمته بكتاب الله وسنته، ما ان تمسكوا بهما فلن يضلوا، فصلوات الله وسلامه عليه.

وكان قد حث أمته على أن يبلغ الشاهد منهم الغائب^(٥) فرب مبلغ أوعى من سامع^(٦)، ودعا لمن سمع مقالته فوعاها وأداها كما سمعها أن يلبسه الله النضرة ويوصله إلى نضرة الجنة^(٧).

٣ - ولأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل إلى الناس كافة وتوفى بعد

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ط السلفية بمكة سنة ١٣٤٨ ص ٦.

(٢) إشارة إلى ما رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في كتاب الطهارة وأحمد في المسند ٤٣٧/٥ أن سلمان قيل له قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراء. فقال أجل... الحديث.

(٣) انظر: كتاب السنة لابن أبي عاصم وخرجات الألباني ج ١ ص ٢٦-٢٧.

(٤) صحيح البخاري، ج ٤ / كتاب بدء الخلق / باب ١ / ص ٧٣، وانظر: فتح الباري ج ٦ ص ٢٩٠-٢٩١، وانظر: أول الحموية لابن تيمية.

(٥) انظر: السنة للعمروزي، ص ٩، ١٠.

(٦) انظر: البخاري: ١ / كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع.

(٧) انظر: دراسة حديث «نضر الله امرءاً سمع مقالتي...» رواية ودراسة بقلم عبد المحسن بن حمد العباد

ص ١٨٤.

أن بلغ رسالته ورسالته باقية إلى قيام الساعة لجميع الثقلين ، فإن العاقل البصير يعلم قطعاً أن الذى ورث العلم عنه وخلفه في أمته هم صحابته الذين معه واختارهم الله لصحبته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، ثم الذين اتبعوهم بإحسان ثم أئمة الهدى وأعلام الهداية الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، ثم من يرثهم ويخلف من بعدهم ويتبع سبيلهم بإحسان وإن تكن أزمانهم أزمان فترات وغربة فإن حجة الله لا تزال قائمة ورسالة محمد ﷺ مستمرة يحملها من كل خلف عدوله^(١) إلى قيام الساعة كما ذكر الإمام البخارى في «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه : باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم» ثم أورد حديث معاوية قال سمعت النبي ﷺ يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم ويعطى الله ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر الله »^(٢).

وإذا كان هذا معلوماً فمن المعلوم امتناع أن يكون خير أمة رسول الله ﷺ وأفضل قرونها ومن تبعهم بإحسان قد قصرُوا في هذا الواجب أو كانوا غير عالمين وغير قائلين بالحق المبين ، ومن المعلوم كذلك عدم جواز أن يكون المخالفون لهم أعلم بالحق منهم وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء ، الذين وهبهم الله من العلم بالكتاب والسنة وجودة الاسناد وصحته ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم^(٣).

معنى السلفية :

إن المراد من التعبير بالسلفية هو اتباع طريقة السلف الصالح من هذه الأمة المسلمة ، الذين هم أهل السنة والجماعة ومعنى ذلك هو الاجماع المحتج به لأنه الاجتماع على اتباع سنة رسول الله ﷺ وآثاره باطنا وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، واتباع وصية رسول الله ﷺ

(١) انظر : كتاب : « البدع والنهي عنها » تأليف محمد بن وضاح القرطبي ففيه أن رسول الله ﷺ قال : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه انتحال المبتلين ، وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين ، أ - هـ . وانظر تحريجه في الهامش ص ١ ، ٢ تحقيق محمد أحمد دهمان ، ط ٢ دار البصائر دمشق سنة ١٤١٠ هـ .
(٢) صحيح البخارى ج ٨ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩٦ باب ١٠ ص ١٤٩ .
(٣) انظر : الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢-٧ .

في ذلك حيث قال : « عليكم بستی وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدی تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » ويعتقدون بأن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدى محمد ﷺ على هدى كل أحد في أى زمان وأى مكان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «ولهذا سموا أهل الكتاب والسنة أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين»^(١).

وقال أيضاً في ختام العقيدة الواسطية : «لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولوا المناقب الماثورة، والفضائل المذكورة وفيهم الأبدال وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة» أ - ه .

وقال ابن كثير : «هم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من قديم الدهر وحديثه كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل رسول الله ﷺ عن الفرقة الناجية من هم؟ قال : «من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي» أ - ه^(٢).

وفي جامع الترمذی فی کتاب الإیمان فی باب افتراق هذه الأمة أورد الترمذی تفسير رسول الله ﷺ للناجية عن عبد الله بن عمرو بقوله : «ما أنا عليه وأصحابي» وقال الترمذی هذا حديث حسن غريب مفسر ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ،

(١) العقيدة الواسطية ، ط السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٧هـ ، ص ٣٤ وحديث عليكم بستی رواه الترمذی وقال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وسكت عنه أبو داود ونقل المنذرى تصحيح الترمذی وأقره (تحفة الأحوذى ج٧ ص ٤٤٢) .
(٢) تفسير ابن كثير ج٤ ص ٤٣٣ .

وقال المباركفوري في سنده «عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف، فتحسين الترمذى له لاعتضاده بأحاديث الباب، وحديث عبد الله بن عمرو- هذا أخرجه أيضا الحاكم وفيه «ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

وقال الألباني: «هذه الرواية فيها ضعف، وحسنها الترمذى في الإيمان»^(٢)، وقد أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتابه «السنة»^(٣) والأجري في كتابه «الشريعة» من طريقين لكن عن عبد الرحمن بن زياد^(٤). وهو حسن كما قال الترمذى لتوجيه المباركفوري.

وقد أورد الشاطبي في كتابه الاعتصام أقوال الناس في معنى الجماعة المرادة بالنصوص وحصرها في خمسة أقوال، قال: «فهذه خمسة أقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع وأنهم المرادون بالأحاديث، فلنأخذ ذلك أصلا وبينى عليه معنى آخر»^(٥).

وتلك الأقوال الخمسة نقلها عن السلف الصالح أمثال ابن مسعود وابن المبارك، وعمر بن عبد العزيز والشافعي والطبري وهي عند تأملها متفقة كما قال الشاطبي دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع أنهم هم الجماعة، الفرقة الناجية المرادون بالأحاديث الثابتة في كل زمان ومكان إلى أن يأتي أمر الله تعالى.

طريقة السلف الصالح في العلم والدين :

نجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار أصحابه وتابعيهم نصوصا صحيحة صريحة تبين طريق الفرقة الناجية في العلم والدين، وتحث على لزومه.

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

قال محمد بن نصر المروزي في مؤلفه «السنة» يفسر هذه الآية : «أخبرنا الله أن طريقه واحد مستقيم وأن السبل كثيرة تصد من اتباعها عن طريقه المستقيم، ثم بين لنا

(١) تحفة الأحوذى ج٧ ص ٤٠٠.

(٢) تصحيح الألباني على هامش شرح الطحاوية ص ٤٣٢.

(٣) ص ١٦، ١٥.

(٤) ص ١٨.

(٥) الاعتصام، ج٢ ص ٢٦٠-٢٦٥.

النبي ﷺ ذلك بسنته فحدثنا اسحاق - ثم ساق سنده إلى - عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه وقرأ: ﴿ وأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ . . . ﴾ الآية .

ثم ذكر المروزي روايات أخرى بهذا المعنى ، وفيها زيادة تفسير الصراط المستقيم بالإسلام وبكتاب الله ، وعن أبي العالية ، قال هو النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر وعمر وقال الحسن : « صدق أبو العالية ونصح »^(١) .

وقال ابن كثير في تفسيره : « قال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ وفي قوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ونحو هذا في القرآن ، قال : « أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله » ونحو هذا « قاله مجاهد وغير واحد » .

ثم أورد ابن كثير عن الإمام أحمد بسنده إلى ابن مسعود رضى الله عنه قال : « خط لنا رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال : (هذا سبيل الله مستقيما) وخط عن يمينه وشماله ثم قال : (هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه) ثم قرأ : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ »^(٢) .

وأورد ابن كثير رواية الحاكم من طريقين عن ابن مسعود وتصحيح الحاكم إياه من الطريقين على شرط البخاري ومسلم ، كما أورد ابن كثير رواية أبي جعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قيس ويزيد بن هارون ومسدد والنسائي وابن حبان وابن جرير لهذا الحديث عن ابن مسعود كذلك ، وقول الحاكم : « وشاهد هذا الحديث حديث الشعبي عن جابر من غير وجه معتمد » وأورده ابن كثير بتفصيل سنده إلى أن قال : « والعمدة على حديث ابن مسعود مع ما فيه من الاختلاف ان كان مؤثرا » ثم أورده موقوفا على ابن مسعود من روايتين لابن جرير وابن مردويه ، ثم أورد نحوه من حديث

(١) السنة ، تأليف محمد بن نصر المروزي المتوفى ٢٩٤هـ ، ص ص ٨٥ .

(٢) انظره في المسند ١/ ٤٦٥ ، وهو في سنن الدارمي ج١ / ص ٦٧ ، ٦٨ .

النواس بن سمعان مرفوعا من رواية الإمام أحمد والترمذى والنسائى وقول الترمذى :
«حسن غريب»^(١).

وهو فى سنن ابن ماجة عن جابر^(٢).

وفى سنن أبى داود فى كتاب السنة ، فى باب لزوم السنة^(٣) ، وفى جامع الترمذى
فى أبواب العلم عن رسول الله ﷺ فى باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة^(٤) ، وفى
سنن ابن ماجة فى المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين^(٥).

وفى سنن الدارمى فى باب اتباع السنة^(٦) . وفى المسند للإمام أحمد^(٧) ، وفى
كتاب السنة لابن أبى عاصم ، باب ما أمر به من اتباع السنة وسنة الخلفاء
الراشدين^(٨) ، عن العرياض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الله وعليكم
بالسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا وإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا
كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء من بعدى الراشدين المهديين ، عضوا عليها
بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » .

قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح^(٩) ، وقال المباركفورى : « وسكت
عنه أبوداود ونقل المنذرى تصحيح الترمذى وأقره »^(١٠) ، ونقل النووى تصحيح
الترمذى مقرأه فى الأربعين النووية ، وكذلك شارح الطحاوية وقال الألبانى فى
الهامش : « صحيح كما قال الترمذى »^(١١).

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٢ / ص ١٩٠-١٩١ .

(٢) ج ١ / ٦ .

(٣) ح ٥٠٦ / ٢ .

(٤) تحفة الأحوذى ج ٧ / ٤٣٨-٤٤٢ .

(٥) ج ١ / ، ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٦) ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٧) ج ٤ ص ١٢٦ .

(٨) ج ١ ص ٢٩-٣٠ .

(٩) تحفة الأحوذى ج ٧ ص ٤٤٢ .

(١٠) المصدر السابق .

(١١) شرح الطحاوية ط ٤ ، ١٣٩٢ هـ هامش ص ٤٣١ ، وقال الألبانى عنه أيضا صحيح فى كتاب السنة
لابن أبى عاصم (رقم ٣١-٣٤) ج ١ ص ١٩-٢٠ وفى ارواء الغليل ج ٨ ص ١٠٧ ورقم الحديث (٢٤٥٥) وانظر
من أخرجه هناك .

وعن عمر أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد ومن أراد بحبوة الجنة فليزم الجماعة».

وعن أسامة بن شريك عن النبي ﷺ قال: «يد الله مع الجماعة» أخرجهما ابن أبي عاصم في كتاب السنة في باب ما ذكر عن النبي ﷺ من أمره بلزوم الجماعة وإخباره أن يد الله على الجماعة وصححهما الألباني^(١).

وفي صحيح البخارى، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة في باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث موقوف ونصه بعد سياق سنده إلى مرة الحمدانى يقول: «قال عبد الله - وهو ابن مسعود^(٢) - : (ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين)^(٣)».

وقد ورد أوله في كتاب الأدب في باب الهدى الصالح من صحيح البخارى أيضا^(٤)، وفيه: «قال ابن عون ثلاث أحبهن لنفسى ولاخوانى هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه، ويدعوا الناس الا من خير»^(٥).

وقد فسر الإمام البخارى قول الله تعالى: ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ فقال: «أئمة، نقتدى بمن قبلنا ويقتدى بنا من بعدنا»^(٦).

وبالجملة نعلم أن طريقهم في العلم والدين هو الاتباع ومجانبة الابتداع يخلصون قصدهم لله تعالى ويتعلمون العلم النافع وهو العلم بالله وبرسوله وبدينه الذى ارتضاه ويقولون بها علموا ويكلون علم ما لم يعلموا إلى عالمه، ولا يقولون بغير

(١) ج ١ / ٣٩-٤٤.

(٢) انظر: فتح البارى ج ١٣ / ص ٢٥٣، وانظر ص ١ من هذا البحث، فقد تقدم تخريجه في صحيح مسلم هناك.

(٣) ج ١ / ١٣٩.

(٤) ج ٧ / ٩٥، ٩٦.

(٥) صحيح البخارى، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ج ٨ / ١٣٩.

(٦) ج ٨ / ١٣٩ من صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن

رسول الله ﷺ.

علم يقفون من الأمور أحد ثلاثة مواقف حسب انقسام هذه الأمور بالنسبة إليهم إلى ثلاثة أقسام :

أمر تبين أنه حق ورشد وحلال فيأخذون به ويدعون إليه .

وأمر تبين أنه باطل وغي وحرام فيجتنبونه وينهون عنه ، وهذا هو المحكم .

والأخير هو الأمر المشتبه فيتقونه ويقفون فيه كما في حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبي ﷺ يقول : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراع يرمى حول الحمى »^(١).

وكما قال الله تعالى : ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ (آل عمران : ٧) .

وفى صحيح البخارى فى التفسير باب (منه آيات محكمات) وقال مجاهد الحلال والحرام . وأخر متشابهات : يصدق بعضه بعضا كقوله تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقون ﴾ وكقوله جل ذكره : ﴿ ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ وكقوله : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ زيغ : شك ، ابتغاء الفتنة : المشتبهات ، والراسخون يعلمون : يقولون آمنا به .

ثم ساق بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ . . . الآية .

قالت قال رسول الله ﷺ : « فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم »^(٢).

(١) رواه البخارى فى صحيحه ، فى كتاب الإيمان فى باب فضل من استبرأ لدينه ونماه « . . . يوشك أن يواقع الا وان لكل ملك حمى ، ألا ان حمى الله محارمه ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » .

(٢) ج٥ / ص ١٦٥ ، ١٦٦ . رواه مسلم فى كتاب العلم ، باب النهى عن اتباع متشابه القرآن ، والتحذير من متبعه ، والنهى عن الاختلاف فى القرآن ج٤ ص ٢٠٥٣ . وأبو داود فى سننه فى كتاب السنة ، باب النهى عن الجدل واتباع المتشابه من القرآن ج٢ ص ٥٠٤ .

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أى بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه فى الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى: ﴿هن أم الكتاب﴾ أى أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وأخر متشابهات﴾ أى يحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد» إلى أن قال: «نص عليه محمد بن اسحق رحمه الله حيث قال منه آيات محكمات فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه»^(١).

وهذا هو الاحكام الخاص ببعض القرآن والتشابه الخاص ببعضه الآخر ويرد المتشابه إلى المحكم كما تقدم بيانه.

أما الاجكام العام والتشابه العام الذى وصف الله به كل القرآن كما قال تعالى: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾ (هود: ١).

وكما قال تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى﴾ (الزمر: ٢٣).

فمعنى الاحكام الاتقان فالقرآن كله متقن يصدق بعضه بعضا ولا يتناقض. ومعنى التشابه تماثله وتناسبه وتوافقه فإذا أمر بأمر فى موضع ففى الموضع الآخر إنما يأمر به أو بنظيره أو بمنزوماته وكذلك النهى إذا لم يكن هناك نسخ، وإذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيضه وإذا أخبر بنفى شيء لم يثبتته.

وهذا يصدق على السنة الشريفة وعلى إجماع المسلمين فان شيئا من ذلك لا يناقض الآخر كما لا يناقض بعضه بعضا، ولكن قد يشبه منه شيء على كثير من الناس - فالموفق للصراط المستقيم يرده إلى المحكم البين، وهذا هو حكمه.

أما ما عدا الوحى ففيه القول المختلف الذى ينقض بعضه بعضا، يثبت الشيء تارة وينفيه أخرى، أو يأمر به وينهى عنه فى وقت واحد، ويفرق بين المتماثلين فيمدح أحدهما ويذم الآخر^(٢).

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص ٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) انظر: التدمرية، القاعدة الخامسة ص ٣٨-٤٠ لابن تيمية.

وجماع الأمر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « أن الكتاب والسنة يحصل منهما الكمال والهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد في أسماء الله وآياته ، ولا يحسب الحاسب أن شيئا من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة »^(١).

وقال الشاطبي : « فان الذى عليه كل موفق بالشرعية أنه لا تناقض فيها ولا اختلاف فمن توهم ذلك فيها فلم يمعن النظر ولا أعطى وحى الله حقه » ولذلك قال الله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ؟ ﴾ فحضهم على التدبر أولا ثم أعقبه ﴿ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ فبين أنه لا اختلاف فيه والتدبر يعين على تصديق ما أخبر به^(٢).

أصول السلف الصالح :

إن أصول السلف الصالح التى يصدرون عنها ويرجعون إليها عند الاختلاف ويردون إليها عند التنازع ، وينزلون على حكمها ويعتمدون عليها فى العلم والدين تتلخص فيما يلى :

المصدر الأول : كتاب الله تعالى وهو كلامه أصدق الكلام ولا أصدق منه .

المصدر الثانى : السنة الشريفة وهى هدى محمد ﷺ خير الهدى ولا هدى خير منه . وهى التى تفسر القرآن وتبينه ، وهى مثل القرآن فى الحجة ولا تناقضه .

المصدر الثالث : الاجماع (اجماع المسلمين) وهم الجماعة أهل السنة الذين لا يجتمعون على ضلالة . والاجماع الذى ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح من القرون الثلاثة الأولى وأما بعدهم فكثير الاختلاف وانتشرت الأمة .

المصدر الرابع : القياس : يبنى القياس على الثلاثة المصادر المتقدمة . فهذه الثلاثة هى موازين أهل السنة والجماعة يزنون بها كل شئ ولا يزنونها بشئ ، وهذا هو معنى القياس ، فانهم يزنون بهذه الثلاثة المتقدم ذكرها طردا وهو التسوية بين

(١) الحموية ص ٧٩ تصحيح محمد عبد الرزاق حمزة ، ط المدنى .

(٢) الاعتصام ج٢ ص ٣١٧ .

المتاثلات ، وعكسا وهو التفرقة بين المختلفات ، يزنون بذلك جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال وأقوال وأحوال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالعلم والدين .

نصوص تبين أن الاختلاف واقع في الأمة :

ومما أخبر به رسول الله ﷺ أن أمته تتفرق إلى فرق كثيرة :
قال الإمام الشاطبي في كتاب الاعتصام^(١) : «صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك وتتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» وخرجه الترمذي هكذا .
وفي رواية أبي داود قال : «افترق اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(٢) .

نصوص تبين ماذا يختلفون فيه وسبب الاختلاف وذم أهله ومصيرهم :

في صحيح البخاري في كتاب التوحيد حديث فيه قول النبي ﷺ «ان . . . قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لأن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٣) .
وهذا الحديث في مواضع كثيرة من صحيح البخاري وغيره .
وفي صحيح البخاري أيضا في كتاب الفتن : «باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان» وفيه حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذى الخلصة وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية»^(٤) .

(١) جـ ٢ / ١٨٩ .

(٢) انظره في : سنن أبي داود ، ط الخلي ، جـ ٢ / ٥٠٣ ، وانظر تصحيح الألباني له في هامش شرح الطحاوية ص ٥٧٨ .

(٣) جـ ٨ / ١٧٨ .

(٤) جـ ٨ / ١٠٠ وانظره في كتاب السنة لابن أبي عاصم جـ ١ / ٣٨ .

وفي كتاب السنة لابن أبي عاصم وصححه الألباني عن معاوية رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ يوما فذكر: «ان أهل الكتاب قبلكم تفرقوا على اثنين وسبعين فرقة في الأهواء، ألا وان هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهى الجماعة، ألا وانه يخرج فى أمتى قوم يهون هوى يتجارى بهم ذلك الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يدع منه عرقا ولا مفصلا إلا دخله» .

وأخرجه ابن أبي عاصم من طرق متعددة^(١)، ومثل ذلك فى سنن أبى داود كتاب السنة^(٢).

وقال الإمام الشاطبى فى قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء﴾ .

«وهى آية نزلت عند المفسرين فى أهل البدع، ويوضحه من قرأ: (ان الذين فارقوا دينهم) والمفارقة للدين بحسب الظاهر إنما هى الخروج عنه، وقوله: ﴿فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم؟﴾ . . . الآية وهى عند العلماء منزلة فى أهل القبلة وهم أهل البدع وهذا كالنص إلى غير ذلك من الآيات»^(٣).

وأورد ابن أبى عاصم أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى منها عن سنان بن أبى سنان أنه سمع أبا واقد الليثى يقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثوا عهد بكفر - وكانوا أسلموا يوم الفتح - قال فمررنا بشجرة فقلنا يا رسول الله اجعل ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فلما قلنا ذلك للنبي ﷺ قال الله أكبر قلتم والذي نفسى بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال: انكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من قبلكم» ورواه ابن عينية ومالك أيضا.

قال الألبانى اسناده حسن وصحح الحديث بشواهد أخرى (ج ١/ ٣٦، ٣٧) .

ومنها ما رواه مسلم فى كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى^(٤) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم

(١) انظر: ج ١ ص ٩-٧، ص ٣٦-٣٢.

(٢) انظر: ج ٢ ص ٥٤٦-٥٠٣.

(٣) ج ٢/ ١٩٥.

(٤) انظره: فى ج ٤/ ٢٠٥٦ ترتيب فؤاد عبد الباقي.

شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لودخلوا جحر ضب لسلكتموه» قالوا يا رسول الله من اليهود والنصارى؟ قال: «فمن إذا»^(١).

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣٢) وهذه الأمة اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة»^(٢).

مما تقدم نعلم أن الاختلاف والتفرق في الدين فتنة، وهو أمر واقع في أصل الدين وفي توحيد الله بالعبادة، وفي معنى العبادة كما اختلف الذين من قبل في ذلك، وهو أصل محكم فيما أنزل الله على النبي وأرسله به ﷺ لا يتناقض ولا يختلف ولا يتضاد، ولكن الناس هم يختلفون . . وأقبح اختلاف ما كان بسبب الأهواء المخالفة لما جاء به رسول الله ﷺ وهى أصل المحدثات في الدين والبدع المذمومة التى يتعبد بها أصحابها وكل واحدة من هذه المحدثات لها أتباع هم فرقة من الفرق الكثيرة التى أخبر الرسول ﷺ أنها تبلغ فى أمته ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى النار إلا الجماعة التى تمسكت بالكتاب والسنة فى تعبدها لله تعالى، ولم تتعبد لربها بما ليس عليه أمر رسول الله ﷺ فى باطنها وظاهرها فهى الجماعة الناجية والفرقة الفائزة.

(١) انظر كتاب السنة لابن أبى عاصم ج١/ ٣٦-٣٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٤/ ٤٣٣.

مَنْهَجُ الشَّيْخِ

ومنهج الشيخ رحمه الله هو منهج السلف الصالح، ويوافق تماما ما ذكرناه في هذا التمهيد من منهجهم رضى الله عنهم.

الشيخ يرى أن الله سبحانه وتعالى نصب الأدلة وبين الآيات الدالة عليه وأعطى الفطر ثم العقول ثم بعث الرسل وأنزل الكتب، كلها دالة عليه ومعرفة به سبحانه وتعالى ومن آياته القرآن الكريم الذى تحدى الله بسورة من مثله فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار... ﴿الآية (البقرة: ٢٣، ٢٤)﴾.

وقد ضرب الله في هذا القرآن الأمثال الجلية وبين البيان الواضح، وحمد نفسه على هذا البيان، ومع وضوح الأدلة فالأكثر جهال - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، قرأنا عربيا غير ذى عوج لعلمهم يتقون، ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴿١﴾ (الزمر: ٢٧-٢٩).

والله سبحانه قطع العذر وأقام الحجة بانزال هذا الكتاب وارسال الرسول ﷺ وابقاء دينه لا خير إلا دل عليه ولا شر إلا حذر منه إلى قيام الساعة والخير الذى دل عليه هو التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذى حذر منه هو الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه، بعثه الله إلى الناس كافة وافترض الله طاعته على جميع الثقيلين: الجن والإنس ﴿٢﴾.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٤٥ والزمر ص ٣٢٨، والأعراف ص ٧٦ والعلق ص ٣٧١. وملحق المصنفات، ومسائل ملخصة عن ابن تيمية مسألة رقم ٥٤-٥٢ ص ص ٣٩، ٤٠. ورقم ٦٠ ص ٤٣، والخطب المنبرية ص ص ١٣، ١٤ وص ص ٢٢، ٢٣، وص ص ٥١، ٥٣، ٥٨-٦٠. ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص ص ١٧، ١٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٨ ص ٢٧١. والقسم الأول، العقيدة ثلاثة الأصول، ص ١٩٤.

ويقول رحمه الله تعالى في جواب أفتى به حين سئل رحمه الله تعالى عن قوله تعالى ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴾ (١) الآية . فأجاب رحمه الله : «إعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شيء ، يعلم ما يقع على خلقه وما يقعون فيه ، وما يرد عليه من الواردات إلى يوم القيامة . وأنزل هذا الكتاب المبارك الذي جعله تبياناً لكل شيء ، وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم ، كما جعله لأهل القرن الأول ومن بعدهم . ومن أعظم البيان الذي فيه بيان الحجج الصحيحة ، والجواب عما يعارضها ، وبيان بطلان الحجج الفاسدة ونفيها . فلا إله إلا الله ماذا حرمه المعرضون عن كتاب الله من الهدى والعلم ! ولكن لا معطى لما منع الله ، وهذه التي سألت عنها فيها بيان بطلان شبهة يحتج بها بعض أهل النفاق والريب في زماننا هذا في قضيتنا هذه .

وبيان ذلك : أن هذه في آخر قصة آدم وإبليس ، وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما ما يجل عن الوصف ، فمن ذلك : أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم ، ولو فعل لكان فيه طاعة لربه وشرف له ، ولكن سولت له نفسه أن ذلك نقص في حقه إذا خضع لواحد دونه في السن ودونه في الأصل على زعمه ، فلم يطع الأمر ، واحتج على فضله بحجة وهي : أن الله خلقه من أصل خير من أصل آدم ، ولا ينبغي أن الشريف يخضع لمن دونه ، بل العكس فعارض النص الصريح بفعل الله الذي هو الخلق ، فكان في هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئاً من أمر الله ورسوله واحتج بها لا يجدى . فلما فعل لم يعذره الله بهذا التأويل ، بل طرده ورفع آدم ، وأسكنه الجنة . فكان مع عدو الله من الذكاء والفتنة ودقة المعرفة ما يجل عن الوصف ، فتحيل على آدم حتى ترك شيئاً من أمر الله ، وذلك بالأكل من الشجرة ، واحتج لآدم بحجج . فلما أكل لم يعذره الله بتلك الحجج ، بل أهبطه إلى الأرض ، وأجله من وطنه ، ثم قال : ﴿ اهبط منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى ﴾ (٢) يقول تعالى : لاجلينكم عن وطنكم ، فان بعد هذا كلام وهو أنى أرسل إليكم هدى من عندى لا أكلكم إلى رأيكم ولا رأى علمائكم ، بل أنزل عليكم العلم الواضح الذي يبين الحق من الباطل

(١) سورة طه : آية ١٢٥ .

(٢) سورة طه : آية ١٢٣ .

والصحيح من الفاسد، والنافع من الضار ﴿لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾^(١).

ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن. فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد فقد كذب الله بخبره أنه هدى فإنه على هذا القول الباطل لا يكون في حق الواحد من الآلاف المؤلفة، وأما أكثر الناس فليس هدى في حقهم، بل الهدى في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء. فما أبطل هذا من قول. وكيف يصح لمن يدعى الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن؟

ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجرى عليها ما جرى على من قبلها من اختلافهم على الأكثر من سبعين فرقة، وأن الفرق كلها ترك هدى الله إلا فرقة واحدة، وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق لكن يعتذرون بالعجز، وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموه لغموضه - قال: ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن سوء. قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء، واقتصروا على الوحي لم يهتدوا بسبب أنهم لا يفهمون، كما قالوا: (قلوبنا غلف)، فرد الله عليهم بقوله ﴿بل لعنهم الله بكفرهم﴾^(٢) فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضل من اتبع الرأى، فتجدهم في المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أوستة ليس منها قول صحيح، والذي ذكره الله في كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه.

والحاصل أنهم يقولون: لا نترك القرآن إلا خوفا من الخطأ، ولم نقبل على ما نحن فيه إلا للعصمة فعكس الله كلامهم، وبين أن العصمة في اتباع القرآن إلى يوم القيامة.

وأما قوله: (ولا يشقى) فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم ويشبههم عليه في الآخرة، ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا. فذكر الله أن من اتبع القرآن آمن من المحذور الذى هو الخطأ عن الطريق، وهو الضلال، وأمن من عاقبته وهو الشقاء في

(١) سورة النساء: آية ١٦٥.

(٢) سورة البقرة: آية ٨٨.

الآخرة. ثم ذكر الفريق الآخر الذى أعرض عن القرآن فقال: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا﴾^(١) وذكر الله هو القرآن الذى يبين الله لخلقه فيه ما يجب ويكره، قال الله تعالى: ﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾^(٢) الآيتين. فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين، احدهما: المعيشة الضنك، وفسرها السلف بنوعين، احدهما: ضنك الدنيا - وهو أنه - ان كان غنيا - سلط عليه خوف الفقر وتعب القلب والبدن فى جميع الدنيا حتى يأتيه الموت، ولم يتهن بعيش.

الثانى: الضنك فى البرزخ وهو عذاب القبر. وفسر الضنك فى الدنيا أيضا بالجهل، فان الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما، فصار فى هذا مصداق لقوله فى الحديث عن القرآن: «من ابتغى الهدى من غيره أضله الله» فبان لك أن الله عاقبهم بضد قصدهم، فانهم قصدوا معرفة الفقه فجازاهم بأن أضلهم وكدر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم لخوف الفقر وقلة غنى أنفسهم، وعذاب أبدانهم بأن سلط عليهم الظلم والفقر وأغرى بينهم العداوة والبغضاء. فان أعظم الناس تعاديا هو لاء الذين ينتسبون إلى المعرفة، ثم قال تعالى: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ والعمى نوعان: عمى القلب وعمى البصر. فهذا المعرض عن القرآن - لما عميت بصيرته فى الدنيا عن القرآن - جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى. قال بعض السلف: أعمى عن الحجة لا يقدر على المجادلة بالباطل كما كان يصنع فى الدنيا ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا﴾ فذكر الله أنه يقال له: هذا بنسب اعراضك عن القرآن فى الدنيا وطلبك العلم من غيره. قال ابن كثير فى الآية (ومن أعرض عن ذكرى - أى خالف أمرى وما أنزلته على رسولى. أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿فان له معيشة ضنكا﴾ أى: فى الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعم. وظاهره أن قوما أعرضوا عن الحق وكانوا فى سعة من الدنيا فكانت معيشتهم ضنكا، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخالفا لهم معاشهم من سوء ظنهم بالله. ثم ذكر كلاما طويلا، وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك. والله سبحانه وتعالى أعلم^(٣).

(١) سورة طه: آية ١٢٤.

(٢) سورة الزخرف: آية ٣٦.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٦ ص ٧٥-٧٩، والقسم الرابع، التفسير ص ٢٦٣-٢٦٨.

فبناء على هذا فالشيخ رحمه الله تعالى يرى كما يرى السلف رضى الله عنهم أن أصل أصول العلم والهدى هو ما جاء به رسول الله ﷺ من العلم بالله والعلم برسوله ﷺ والعلم بدين الإسلام بأدلته، لأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، ان هو وحى يوحى، قال تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾^(١) (النساء: ١٦٣).

وقال الله تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ (يوسف: ١٠٢).

قال الشيخ: «فيه الرد على مخالفى الرسل فى قولهم: ﴿لولا يكلمنا الله﴾ (البقرة: ١١٨) - أو نحو ذلك، لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحى^(٢)، وخاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ أوحى الله إليه هذا القرآن وآتاه مثله معه من السنة، والله تعالى بين دلالة نبوة رسوله ﷺ بالتحدى بأقصر سورة من القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار...﴾ الآية^(٣). (البقرة: ٢٤).

وبشهادة علماء أهل الكتاب كما فى قوله: ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل﴾ (الشعراء: ١٩٨)، وبكون أهل الكتاب يعرفونه كما فى قوله تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفرو...﴾ الآية. وغير ذلك من الآيات التى تقطع الخصم وتدل على أن محمدا ﷺ رسول الله يوحى إليه بالعلم والهدى كما أوحى إلى من قبله وخص بالقرآن الذى قال الله فيه: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾.

قال الشيخ فى تفسير ذلك ما حاصله: ذلك الكتاب الكامل الذى لا شك فيه، وأن الهداية به للمتقين خاصة فمن لا يتبعه ليس هو من المتقين، وفيه الرد على

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة ثلاثة الأصول ص ١٨٥-١٩٥، ومسائل الجاهلية ص ٣٣٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٧٧.

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص ١٧.

قول الشياطين من شياطين الإنس ممن يدعى العلم أن القرآن لا يفسر^(١).

وأجاب الشيخ عن اختلافهم في الكتاب العزيز وهل يجب تعلمه واتباعه على المتأخرين لامكانه؟ أولا يجوز للمتأخرين لعدم امكانه؟ بأن الكتاب العزيز حكم بينهم بالحكم الذي هو قول الله تعالى : ﴿وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ (طه : ١٠٠).

وقوله تعالى : ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ الآيات . (طه : ١٢٤-١٢٧).

وقوله تعالى : ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ (الزخرف : ٣٦)^(٢).

وكذلك أمر رسول الله ﷺ هو مثل القرآن - كما قال تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (الحشر: ٧).

وقال تعالى : ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ (النور: ٥٤).

وقال تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله﴾ (آل عمران : ٣١).

فمن أراد أن يهتدى ويكون محبوبا عند الله فليقبل ما آتاه الرسول ﷺ وينتهى عما نهى عنه ويطيعه فيما أمر.

قال ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية مسلم «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٣).

يقول الشيخ : «وأما متابعة الرسول ﷺ فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال ، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله فما وافق منها قبل وما خالف رد على فاعله كائنا من كان ، فإن شهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به وطاعته ومتابعته في كل ما أمر به .

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ ١٠ ص ٣٩-٤٠.

(٢) الدرر السنية جـ ٤ / ص ٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري، جـ ٣ ك الصلح ب ٥ ص ١٦٧ ، صحيح مسلم جـ ٣ ك الأفضية ص ١٣٤٣ ، ١٣٤٤.

وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى - قيل: ومن أبى - قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى»^(١).

ويقول: «فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم أجمعين لكى تتبع آثارهم»^(٢).

ومن منهج الشيخ: أن طلب العلم فريضة على كل ذكر وأنثى، وأنه شفاء للقلوب المريضة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا يَأْتِيَنكُم مِّنْهُ هَدًى فَمَن تَبِعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(٣) (طه: ١٢٣)، وأن العلم قبل العمل ومقدم عليه، وهو امامه وسائقه والحاكم عليه^(٤).

ويريد بالعلم، العلم بما أمر الله به ونهى عنه أى العلم بالتوحيد والإيمان، أى معرفة الله، ومعرفة نبيه محمد بن عبد الله ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة والعمل بتلك المعرفة^(٥).

ومفتاح العلم فى ذلك هو الدليل كما فى قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (الكهف: ١٥) وأول الآية: ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال الشيخ: فهذه المسألة مفتاح العلم وما أكبر فائدتها لمن فهمها^(٦).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٢ ص ٨٤ ورقم ٧ ص ٤٨، ورقم ١٦ ص ١٠٦. وانظر: صحيح البخارى، ج ٨ ك الاعتصام ب ٢ ص ١٣٩.

(٢) المصدر السابق رقم ١٦ ص ١٠٦-١٠٧ من الرسائل الشخصية.

(٣) الدرر السنية، ج ١ ص ٩٨، ج ٤ ص ١٦٨. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٦٩.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٣٦.

(٥) الدرر السنية، ج ٢ ص ١٢٣. ومؤلفات الشيخ الإمام، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ١٨٥-١٨٦. والرسالة الخامسة ص ٣٧٤-٣٧٥. والقسم الرابع، التفسير، آل عمران ص ٥٠، ويوسف ص ١٥٣، ١٦٣، ١٦٤. ومختصر زاد المعاد ص ٧٧.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٤٤. وانظر: ص ٢٨-٢٩، ص ٤٠، ٤١، ص ٥٣-٥٤، ص ٥٩-٦٣، ص ٣٢٣، ص ١٣١، ص ٣٧١.

ويرى الشيخ أن اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة هدى الرسول ﷺ وما جاء به، فإنه لا سبيل إلى الفلاح إلا على يديه، ولا إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهته، فأى حاجة فرضت وضرورة عرضت، فضرورة العبد إلى هدى الرسول ﷺ فوقها بكثير . . .

وإذا كانت السعادة معلقة بهديه ﷺ فيجب على كل من أحب نجاة نفسه أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن خطة الجاهلين.

والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم^(١). فهو لا يريد علما غير نافع ولا علما مجردا عن العمل، ولا يقصد غير ما أمر الله به ونهى عنه.

يقول رحمه الله: «إذا أمر الله العبد بأمر، وجب فيه سبع مراتب: الأولى العلم، والثانية محبته، الثالثة العزم على الفعل، الرابعة العمل، الخامسة كونه يقع على المشروع خالصا صوابا، السادسة التحذير من فعل ما يحبطه، السابعة الثبات عليه»^(٢).

وفي كتاب أصول الإيمان للشيخ عقد أبوابا في شأن العلم، هي: باب التحريض على طلب العلم وكيفية الطلب، وباب قبض العلم، وباب التشديد في طلب العلم للمراء والجدال وباب التجوز في القول وترك التكلف والتنطع. أورد تحتها أحاديث مناسبة عن رسول الله ﷺ، يتبين منها الحث على طلب علم ما أنزله الله على رسوله ﷺ، من الهدى والعلم، لوجه الله تعالى خالصا، وبيان كيفية طلب العلم، وما هو العلم وما ينبغي أن يقصد به^(٣).

ويعتقد الشيخ أن هذا أهم ما على الإنسان معرفته والعمل به قبل كل معرفة وعمل، فإنه أصل العلم وقاعدته وأن هذا العلم والإيمان في مكانهما من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة^(٤).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ١٣.

(٢) الدرر السنية ج ٢ ص ٣٨.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ص ٢٦٦-٢٧٦.

(٤) الدرر السنية ط ٢، ج ١ ص ٩٣، وص ٩٧. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق

ص ٣٧٠، والقصص ص ٢٨١.

فلا يزال العلماء بذلك يوجدون، فإن الحق لا ينقطع كلية، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته، إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، كما هي البشارة المحمدية بأن الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة وأنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة^(١).

ومن منهجه في إزالة الشبهة أن يتبع عادة السلف الصالح، فمن عادتهم أنهم يزيلون الشبهة بسؤال العلماء، وأن العلماء يجيبون السائل بما يزيل شبهته، وذلك أنهم ينسبون الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط^(٢)، لعمق علمهم^(٣) ولا يخفى أن المفصود بالسلف الصالح وبالعلماء هنا أنهم الصحابة والتابعون، فإن هذه القاعدة التي اعتادها السلف الصالح، وبينها الشيخ في مؤلفاته لينبه على أنها قاعدة منهجية يتبعها المسلمون في سير حياتهم، وهي مستنبطة من الآثار الواردة عن الصحابة وعن التابعين، ولما حدث في نفوس بعض الناس إشكال في القدر لبعدهم عن العلم النبوي، اتجهوا إلى صحابة النبي ﷺ، كابن عمر، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت ونحوهم فهم العلماء^(٤).

ومن عادة هؤلاء السلف الصالح، أنهم يبدأون بالأهم فالأهم والتنبيه على التعليم بالتدرج كما رسم ذلك رسول الله ﷺ: حين بعث معاذًا إلى اليمن فقال له «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» - وفي رواية: «إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . .» الحديث متفق عليه - ونحوه من حديث بعث علي إلى خيبر ليفتحها متفق عليه^(٥).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان ص ٦٨-٧٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في منكرى القدر ص ١٣٧، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ٢٠-٢٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، التوحيد، باب من حقق التوحيد ص ١٧.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ١٣٥-١٣٧.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٢٠-٢٢.

ويقول رحمه الله : «إذا أردت البحث عن هدى الله الذى جاء من عنده، فانك تبتدى بالأسهل فالأسهل، وأسهل ما يكون وأهمه القصص التى قص الله علينا عن الأنبياء وأممهم، وأول ما تبتدى به من القصص التى قص الله، قصة أبيك آدم وإبليس، وما ذكر الله عنهم وكون آدم لما اعترف بذنبه وتاب، تاب الله عليه، وأكثر الناس يظنون أن الاعتراف بالذنب مذلة، ويستهزؤن بمن أقر بذنبه واعترف وتاب منه، وكون إبليس لعنه الله لما احتج بالقدر ولم يعترف بذنبه أن الله طرده وآيسه من رحمته، وكون أكثر الناس يظن أن فعل إبليس هو الذى يرضاه الله، ويزدرى على من فعل فعل آدم، نعوذ بالله من سوء الفهم.

ويقول أيضا : «ينبغي للمعلم أن يعلم الإنسان على قدر فهمه، فإن كان ممن يقرأ القرآن أو عرف أنه ذكى، فيعلم أصل الدين وأدلته، والشرك وأدلته، ويقرأ عليه القرآن، ويجهده أنه يفهم القرآن فهم قلب، وإن كان رجلا متوسطا ذكر له بعض هذا، وإن كان مثل غالب الناس، ضعيف الفهم، فيصرح له بحق الله على العبيد، مثل ما ذكر النبي ﷺ لمعاذ، ويصف له حقوق الخلق، مثل حق المسلم على المسلم، وحق الأرحام وحق الوالدين، وأعظم من ذلك حق النبي ﷺ، وأفرضه شهادتك له أنه رسول الله، وأنه خاتم النبيين، وتعلم أنك لو ترفع واحدا من الصحابة فى منزلة النبوة صرت كافرا، فإذا فهم ذلك فقل حق الله عليك أعظم وأعظم، فإذا سأل عن حق الله فاذكر له أنك تعبده، ولا تصير مثل البدوى، وأيضا تخلص له العبادة، لا تكون مثل من يدعو ويدعوا غيره، أو يذبح له ولغيره، أو يتوكل عليه وعلى غيره، وكل العبادات كذلك وتعرفه أن من أخل بهذا حرمت عليه الجنة، ومأواه النار، ولو ظن أنه ما يشرك، فإذا عرف التوحيد ولا عمل به، ولا أحب وأبغض فيه ما دخل الجنة، ولو ظن أنه ما أشرك لأن فائدة ترك الشرك تصحيح التوحيد، ومن أعظم ما تنبهه عليه التضرع عند الله، والنصيحة واحضار القلب فى دعاء الفاتحة إذا صلى» (١).

وينبغى للعالم إذا سأله العامى عما لا يحتاج إليه، أو سأله عما غيره أهم منه، أن يفتح له بابا إلى المهم. ولا يحقر عن التعليم من يظنه أبعد الناس عنه، ولا يستبعد فضل الله عليه، فإن الرجلين (الذين مع يوسف فى السجن) من خدام الملوك الكفرة، بخلاف من يقول: ليس هذا بأهل للعلم، وتعليمه اضاعة للعلم (٢).

(١) الدرر السنية ج١ ص ٩٨-٩٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ص ١٤٧-١٤٨.

فإن من يهتم بالعلم ويسأل عنه، هو الذى ينتفع به، فلا يعرض عنه، أما من لا يهتم به فهو الذى لا ينتفع^(١).

ويبين الشيخ أن من أساليب العلماء، أنهم يخرجون المسألة للمتعلم بالاستفهام عنها لقوله ﷺ: «أتدرون ماذا قال ربكم؟» فى حديث زيد بن خالد قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟»^(٢) ومن أسلوهم، أنهم يصنفون الكتب فى بيان الحق، والدعوة إليه، وبيان ما هو من عند الله على الحقيقة، ولا يصنفون الكتب الباطلة، ولا ينسبون إلى الله الباطل، كما هو أسلوب الجاهلين^(٣).

ومن منهج الشيخ رحمه الله، أنه يحدث الناس بما يعرفون، أخذاً بقول علي رضى الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟» رواه البخارى، وقد أورده الشيخ فى كتاب التوحيد^(٤).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن فى شرحه: «وقد كان شيخنا المصنف رحمه الله لا يحب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم، فى أصل دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم، الذى لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة فى مثل كتب ابن الجوزى: كالمنعش، والمرعش، والتبصرة، لما فى ذلك من الاعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغى اعتقاده والمعصوم من عصمة الله»^(٥).

ومما استنبطه الشيخ من قصة آدم وإبليس أن فى القصة شاهدا لما ذكر فى الحديث: «ان من العلم جهلا»^(٦) أى من بعض العلم ما العلم به جهل، والجهل به هو العلم فان اللعين من أعلم الخلق بأنواع الحيل التى لا يعرفها، مع أن الله علمه الأساء كلها، فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل، وفى الحديث: «ان الفاجر

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ١٣١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٨٥-٨٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، مسائل الجاهلية، ص ٣٤١.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٠٦.

(٥) فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد ص ٤١٤.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٩٤ والحديث رواه أبو داود عن بريدة ويروى (ان من

البيان سحرا وان من العلم جهلا).

خب لثيم وأن المؤمن غر كريم»^(١) وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة: ﴿أجعل فيها من يفسد فيها﴾ فقليل لهم ما قيل وعوتبوا، فكانت توبتهم أن قالوا: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ (البقرة: ٣٢) فكان كما لهم ورجوعهم عن العتب، وكما علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل إلا ما علمهم سبحانه، ففي هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى في الشريعة المنبى عليها في مواضع منها قوله ﷺ: «وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»^(٢).

والشيخ يبين أن أهم وأنفع شيء هو معرفة قواعد الدين على التفصيل، فإن أكثر الناس يفهم القواعد ويقر بها على الاجمال، ويدعها عند التفصيل^(٣).

مثل من يقول: التوحيد زين والدين حق، فاذا تبين له أن من التوحيد والدين تكفير المشرك وقتاله على ذلك، ترك هذا الأمر لأنه لا يوافق هواه^(٤).

ويبين الشيخ أن الكلام ينحصر في مسألتين من العلم:

الأولى:

أن الله بعث محمدا ﷺ لاخلص الدين، لا يجعل معه أحد في العبادة، والتأله، لا ملك ولا نبي، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك.

الثانية:

وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال كما قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ ﴿آل عمران: ١٠٦﴾.

(١) رواه أبو داود (كتاب الأدب) والترمذي (كتاب البر) كما رواه أحمد في مسنده ٢٩٤-٣.

(٢) راجع في هذا المعنى: الترمذي (كتاب اللباس) وابن ماجه (كتاب الأطعمة)، وصحيح البخاري (كتاب الاعتصام) وصحيح مسلم (كتاب الفضائل). وراجع تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ سورة المائدة: ١٠١ في كتب التفسير الكبيرة، (مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٩٤).

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثاني، الفقه، المجلد الثاني ص ص ١٠-١٥، وبمجموعة رسائل مخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان المغرب صورتها عند الشيخ حماد الأنصاري بعنوان مسألة في رجل تفقه لوحة ٤. ومؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣١.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٧ ص ١٨٣.

وترك ابتداع ما ليس من سنته ﷺ في عبادة الله تعالى ، لقوله ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخارى ومسلم ، وفي رواية مسلم : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» .

فتوزن أقوال الناس وأفعالهم الباطنة والظاهرة ، في عبادة الله تعالى بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله ، فما وافق منها أقوال الرسول ﷺ وأفعاله قبل وما خالف رد على فاعله كائنا من كان^(١) .

ويقول الشيخ بعد كلام له في تقرير طلب العلم بالسنة والعمل بها : «وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم ، وكلما يحتاج إليه الناس فقد بينه الله ورسوله ﷺ بيانا شافيا كافيا ، فكيف أصول التوحيد والإيمان ، ثم إذا عرف ما بينه ﷺ نظر في أقوال الناس وما أرادوا بها فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذى هو موافق للرسول ﷺ فإنه الميزان مع الكتاب فهذا سبيل الهدى ، وأما سبيل الضلال والبدع والجهل فعكسه أن تبتدع بدعة بآراء رجال وتأويلاتهم ، ثم تجعل ما جاء به الرسول ﷺ تبعاً لها وتحرف ألفاظه وتؤول على وفق ما أصلوه وهؤلاء تجدهم في نفس الأمر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ﷺ ، ولا يتلقون منه الهدى ، ولكن ما وافقهم منه قبلوه ، وجعلوه حجة لا عمدة وما خالفهم منه تأولوه كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، أو فوضوه كالذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى»^(٢) .

وليعلم طالب العلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل ونقل كلام العلماء .

وقد نوه ﷺ ، بأن دينه يصير بعده غريبا ، فقال ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٩٦ ، ص ١٠٦ .

(٢) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٨ .

وأن أمة محمد ﷺ ، تفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، ثم ذكر الشيخ أمثلة من ظهور البدع ، التي انما تحدث في حال غربة الإسلام^(١) . ليحدد منهجه في مقاومة البدع وإبطالها .

كما يحدد الشيخ نوع من يكون معه الكلام في ذلك فيقول : «إنما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويحب ما أحب الله ورسوله ، ويبغض ما أبغض الله ورسوله ، لكنه جاهل قد لبست عليه الشياطين دينه ، ويظن ان الاعتقاد في الصالحين حق ، ولو يدري انه كفريدخل صاحبه في النار ما فعله ، ونحن نبين لهذا ما يوضح له الأمر ، فنقول : الذي يجب على المسلم : أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه ، والله سبحانه أنزل القرآن ، وذكر فيه ما يحبه ويبغضه ، وبين لنا فيه ديننا وأكمل ، وكذلك محمد ﷺ أفضل الأنبياء ، فليس على وجه الأرض أحد أحب إلى أصحابه منه وهم يحبونه أحب من أنفسهم وأولادهم ويعرفون قدره ويعرفون أيضاً الشرك والإيان ، فإن كان أحد من المسلمين في زمن النبي ﷺ قد دعاه أو نذرله أو نذبه ، أو أحد من أصحابه ، جاء عند قبره بعد موته ، يسأله أو يندبه ، أو يدخل عليه ، للالتجاء له عند القبر ، فاعرف أن هذا الأمر صحيح حسن ، ولا تطعنى ، ولا غيرى ، وإن كان إذا سألت ، إذا أنه تبرأ ممن اعتقد في الأنبياء والصالحين ، وقتلهم وسباهم وأولادهم ، وأخذ أموالهم ، وحكم بكفرهم ، فاعرف أن النبي ﷺ ، لا يقول إلا الحق ، والواجب على كل مؤمن اتباعه فيما جاء به .

أما من يصصر على دعوة الصالحين ، والاستغاثة بهم ، والنذر لهم ، وصيرورة الإنسان فقيراً لهم ، ويقول إن هذا أمر حسن ، ولو ذكر الله ورسوله ﷺ أنه كفر ، فهو مصر بتكذيب الله ورسوله ، ولا خفاء في كفره ، فليس لنا معه كلام^(٢) .

ومنهج الشيخ في الاستدلال على التوحيد وتفسيره : بالبراهين القاطعة ، التي احتج الله بها على خلقه ، واستدل بها رسل الله ، ومن تبعهم على التوحيد . فيستدل الشيخ بربوبية الله العامة لجميع العالمين ، وبآثار صفات الله في مخلوقاته ، وبصفة الإله

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٧ ص ٤٦-٤٨ .

(٢) الدرر السنية جـ ١/٥٢ ، مؤلفات الشيخ ، الشخصية ، رسالة رقم ٨ ص ٥٢ ، ٥٣ ورقم ٧

ص ٤٨ ، ٤٩ .

واختصاص الله بها ، فلا إله غيره ، وبسائر صفات الكمال لله تعالى ، التي انفرد بها ، والدالة على وحدانيته .

ويستدل بنبوة محمد ﷺ ، وبعثته لبيان التوحيد ، وبيانه البيان البليغ ، وتمام رسالته ، ونصرتة وظهور دينه .

ويستدل بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ ، المعجز منه وهو القرآن والصحيح من السنة قولاً وفعلاً وتقريراً .

ويستدل بمخلوقات الله تعالى ، وعبوديتها له طوعاً وكرهاً .

وفي ذلك يسلك الشيخ طريقة القرآن في البرهنة على التوحيد التي هي عقلية وشرعية ، عقلية حيث أن العقل يشهد بصحتها ، وشرعية حيث أن الشرع جاء بها ، وما ترك الشيخ فيما علمت مسلكاً من مسالك الاستدلال إلا وقد سلكه ، فالشيخ أحياناً يذكر الوجدانية ، ثم يذكر دليلها ، وأحياناً : يذكر الدليل ، ثم يذكر الوجدانية عقب ذكر الدليل ، وأحياناً : لا يذكر الوجدانية ، ولا دليلها ، ولكن يذكر فقر المخلوقات ، وحاجتها وعدمها ، وما إلى ذلك من صفاتها ، التي تشهد بعبوديتها ، وعدم استحقاقها لشيء من العبادة ، وأحياناً : يذكر غنى الله سبحانه ، وقدرته ، وحكمته ، وعلمه ، وبسائر صفات الكمال ، التي انفرد بها ، وكلها تشهد باستحقاقه لكل العبادة بجميع أنواعها واختصاصه سبحانه بهذا الحق ، وكل هذه المسالك يأخذها الشيخ من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والشواهد التاريخية ، وكلام العلماء واجماع أهل العلم .

ومما يسترعى الانتباه : أن الشيخ في احتجاجه واستدلاله ، يسلك الطريقة المثلى في ذلك ، فيستدل بالعلوم إلى المجهول ، وبالمسلم به إلى المنازع فيه ، وبما أقر به الخصم على ما جحدته ، وبالمجمع عليه على المختلف فيه ، فلننظر إليه في قوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ، أن أرادني الله بضر ، هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمته هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون ﴾ (الزمر: ٣٨) .

يقول الشيخ : فيها بيان أن عندهم من العلم ما تقوم به الحجة ، وأن المجمع عليه يدل على المختلف فيه ، ومجادلة المبطل بالحق الذي يسلمه ، وأنه تسليم لا

يُحَدِّثُونَهُ بَلْ يَقْرُونَ بِهِ لِلْخَصْمِ ، وَالتَّعَجُّبُ مِنَ الْإِنْكَارِ مَعَ هَذَا الْإِقْرَارِ ، وَالْإِلْزَامُ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ وَأَنْ هَذَا كَاشَفَ لَشَبْهَتِهِمْ^(١) .

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ ، فِي مَبْحَثِ اسْتِدْلَالِ الشَّيْخِ عَلَى تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَمَّا مَا يُسَمَّى : قَضِيَّةُ إِثْبَاتِ وَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى - فَانَ الشَّيْخُ لَمْ يَشْغَلْ نَفْسَهُ بِذَلِكَ كَمَا فَعَلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي التَّوْحِيدِ ، مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَغَيْرِهِمْ ، لِأَنَّ وَجُودَ اللَّهِ ثَابِتٌ مُشْهُودٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا رَيْبَ ، وَالْخَلْقُ مُفْطَوْرُونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِذَلِكَ ، بَلْ يَقْرُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي الرِّبَوِيَّةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (الزمر: ٣٩) .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَطَرَهُ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم: ٣٠) . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ؟ ﴾ (الأعراف: ١٧٢ ، ١٧٣) .

قَالَ الشَّيْخُ : «لَيْسَ الْمُرَادُ مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ الْإِجْمَالِيَّةِ ، يَعْنِي مَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِ أَنَّ لَهُ خَالِقًا ، فَانَهَا ضَرُورِيَّةٌ فَطَرِيَّةٌ ، بَلِ الْمُرَادُ مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ ، هَلْ هَذَا الْوَصْفُ مُخْتَصٌّ بِاللَّهِ ؟ لَا يَشْرَكَهُ فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَمْ جَعَلَ لْغَيْرِهِ قِسْطًا مِنْهُ ؟

فَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ ، فَاجْمَاعُهُمْ : عَلَى أَنَّهُ مُخْتَصٌّ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ، إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ : أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥) .

وَالْكَافِرُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ هُوَ الْإِلَهِ الْأَكْبَرُ ، وَلَكِنْ مَعَهُ آلِهَةٌ أُخْرَى تُشْفَعُ عِنْدَهُ ، وَالتَّكَلُّمُونَ مَنْ يَدْعَى الْإِسْلَامَ ، أَضْلَهُمُ اللَّهُ عَنْ مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ^(٢) .

ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ أَنَّهُ يَفْسِرُونَ الْإِلَهِ : بِأَنَّهُ الْقَادِرُ ، وَأَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ هِيَ الْقُدْرَةُ^(٣) ، وَعَلَى كُلِّ فَالْشَّيْخُ يَعْتَبِرُ الْإِقْرَارَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ ، وَبِرَبَوِيَّتِهِ أَمْرًا فَطَرِيًّا ضَرُورِيًّا بِدَهْيَا ، وَهُوَ

(١) مؤلفات الشَّيْخِ ، الْقِسْمُ الرَّابِعُ ، التَّفْسِيرُ ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٢) الدَّرَرُ السَّنِيَّةُ ، ج ١ ص ٧٠ .

الدليل القاطع كما قال تعالى : ﴿ أَمِنَ يَخْلُقْ كَمَنْ لَا يَخْلُقْ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

(النحل : ١٧) .

فهو الذى يستدل به على اختصاص الله تعالى بصفة الإله ، فكيف يحتاج إلى دليل ؟ وهو الدليل ؟ لا شك أن الدليل لا يحتاج إلى دليل .

ولئن كانت ربوبية الله الظاهرة المشهودة بالمحسوس والمنظور والفطرة ، تحتاج إلى دليل فإنه لا يصح ثبوت شىء على الإطلاق .

كما قيل :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل
وأما ما يقوله الشيخ فى افتتاحية رسالة له ، تشتمل على قواعد أربع يتميز بهن المسلم من المشرك ، ونصه : « الحمد لله الذى يستدل على وجوب وجوده ببدايع ما له من الأفعال المنزهة فى ذاته وصفاته عن النظائر والأمثال ، أنشأ الموجودات فلا يعزب عن علمه مثقال » (٢) .

فالشيخ ينبه على دلائل وحدانية الله بالألوهية من صفاته وأفعاله وربوبيته المشهودة ، لأن الشيخ لا يقصد مجرد إثبات وجوده وربوبيته ، بمعنى أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمور إلا الله ، بل مقصوده كما ذكرنا الاستدلال بربوبيته على وحدانيته فى الألوهية بدليل أن هذه الرسالة تشتمل على قواعد أربع يتميز بهن المسلم من المشرك وخلاصتهن :

١ — بيان أن الله أبدع خلقنا .

٢ — لنعبده .

٣ — ان الشرك يفسد العبادة .

٤ — أن العبادة على السنة (٣) .

إذا تقرر هذا فمن العبث الاشتغال بإثبات الثابت ، وتحصيل الحاصل ، ومن الخطأ أن تنفق هذا العبث فى منهج الشيخ ، الجاد فى دعوته وعقيدته ، أو إذا لم نجده نحاول لى بعض الجوانب الأخرى لتكون مقصود الشيخ بهذا الذى افتقدناه .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٢٠٤ .

(٢) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٣ .

(٣) انظر المرجع السابق .

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يحيثوا أقوامهم ليثبتوا ثابتاً، ويعلموا معلوماً ولم يأمرؤا أهل ملتهم أن يقولوا: «الله موجود» ولا أن يقولوا: «لا موجود إلا الله» فهذا يفضى إلى وحدة الوجود الباطلة، وصفة الوجود ليست أخص وصفه، كما هي ربوبيته للعالمين، فكونه رب العالمين هو من أخص وصفه سبحانه، لذا فإن الرسل أمروا قومهم بأن يقولوا: «لا إله إلا الله» وبينوا لهم أن هذا القول بصدق هو المطلوب، واستدلوا بربوبية الله للعالمين، التى هى معلومة من أخص وصفه سبحانه لديهم، واحتجوا على قومهم بذلك، كما قال الله تعالى: ﴿قالت رسلهم: أفي الله شك فاطر السموات والأرض؟﴾ (إبراهيم: ١٠).

فكانت حجتهم عليهم لله بالغة، فالصلاة والسلام عليهم ولا سبيل لأهل السنة والجماعة والشيخ منهم - أن يعدلوا عن مناجهم .
ولذا فالشيخ يذكر توحيد الربوبية ليستدل به لأنه معلوم - على توحيد الله بالألوهية وكم كرر فى هذا الأمر وقرر.

وأما ما ينقل عن الملاحدة والشيوعيين، من أنهم لا يقرون بالربوبية، بل ينكرون وجود الله، فإن هذا الصنف من المخلوقات لا تنفع معهم أدلة، ولا تنجح فيهم حجة، ولا يصح ويثبت فى أذهانهم أى علم، فمن العبث الاشتغال بأفكارهم والرد عليها، لأنهم مردوا على الجحود والكفر، فطبع الله على قلوبهم، وازدادوا كفرا بعد كفر، وظلمة فوق ظلمة وفسادا فوق فساد، فالمنهج تجاههم هو: الاعراض عنهم والإقبال على تقرير التوحيد على منهاج الرسل، وكما قرره والمضي فى هذا السبيل بكل قوة، ومن غير التفات إلى المعاندين المكابرين ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ (الأنعام: ٢٥).

وتقرير توحيد الله تعالى وإثباته على منهاج الرسل، يفيد إثبات وجود الله مع مزيد التأييد والقوة، والوفاء بالمقصود، ولا أنفع علاجاً ودواء لداء إنحراف الفطرة وفسادها من تقرير التوحيد، كما قرره الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان فقد تعاملوا مع خلق الله بما أمر الله وأرضوا الله فيمن أسخطه فيهم وفى غيرهم فأقاموا حدود الله وطبقوا شريعته على جميع الأحوال. فكانوا هم الغالبون بإذن الله.

ويقول الشيخ: إن التأويل الفاسد فى رد النصوص ليس عذراً لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس فى شبهته التى أبداها كما يُعذر من خالف النصوص متأولاً

مخطئا، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره . ومثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق كما يفعلون مع المخطيء المتأول، بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه، وإلا أعرض عنه أن لم يقدر عليه، كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا، فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل، ولما عتب على الملائكة في قتلهم أبدى لهم شيئا من حكمته وتابوا، وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله ﷺ في غزوته التي فتح الله له فيها مكة، فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم ووجدت عليه الأنصار عاتبهم واعتذروا وقبل عذرهم، وبين لهم شيئا من الحكمة، ولما قال له ذلك الرجل العابد (اعدل) قال له كلاما غليظا، واستأذن بعض الصحابة في قتله ولم ينكر عليه، لكن ترك قتله لعذر ذكره^(١).

ويزيد الشيخ ذلك أيضا فيقول: «إن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها، فإن الخوض معه في إبطالها تضييع للزمان وإتاعب للحيوان، مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته، وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في رد باطلهم كما عليه المتأخرون، بل يعاقبونه إن قدروا وإلا أعرضوا عنهم.

وقال أحمد لمن أراد أن يرد على أحدهم: اتق الله ولا تنصب نفسك لهذا، فإن جاءك مسترشداً فأرشده^(٢).

ويقول الشيخ: إن في قول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، فإن آمنوا بمثل ما آمنت به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيهم الله وهو السميع العليم ﴿(البقرة: ١٣٦-١٣٧)﴾. إن في هذا الكلام غاية انصاف الخصم وإن الذي لا ينقاد له ليس داؤه جهالة بل مشاقة وإنك إذا أنصفته وأصر، فهو سبب لانتقام الله منه^(٣).

ويستنبط الشيخ من قصة آدم وإبليس أنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بالفجرة، بل يكون على حذر منهم، ولو قالوا ما قالوا، خصوصا أولياء الشيطان الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته، فإن اللعين حلف ﴿إني لكم لمن الناصحين﴾.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٩٢.

(٢) المصدر السابق ص ٩٣.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ٣٩-٤٠.

ومنها أن زخرفة القول قد تخرج الباطل في صورة الحق كما في الحديث : «إن من البيان لسحرا»^(١) فإن اللعين زخرف قوله بأنواع منها تسمية الشجرة شجرة الخلد، ومنها تأكيد قوله : ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ وغير ذلك مما ذكر في القصة، فينبغي للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر، ولا يقنع بظاهره حتى يعجم العود^(٢).

وكما قدمنا أن منهج الشيخ هو منهج السلف الصالح، فإنه في إعراضه عن مبحث الوجود والإستدلال عليه، لأنه أمر مسلم به، ولأنه هو الدليل على توحيد العبادة المطلوب، والذي من أجله فقط أرسلت الرسل، فقد اتبع منهج كبار الأئمة في بيان التوحيد، وإقامة الأدلة عليه، مثل الإمام أبي حنيفة وغيره من أئمة المذاهب الأربعة الكبار.

قال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة : «وقد أعرض الإمام عن بحث الوجود اكتفاء بما هو ظاهر في مقام الشهود، ففي التنزيل : ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ فوجود الحق ثابت في فطرة الخلق كما يشير إليه قوله سبحانه وتعالى : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ ويومئء إليه حديث : «كل مولود يولد على الفطرة».

وإنما جاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لبيان التوحيد، وتبيان التفريد، ولذا أطنفت كلمتهم وأجمعت حججهم على كلمة : لا إله إلا الله، ولم يؤمروا بأن يأمروا أهل ملتهم بأن يقولوا : الله موجود، بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود رداً لما توهموا وتخیلوا حيث قالوا : ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ - و- ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.

على أن التوحيد يفيد الوجود مع مزيد التأييد. ثم العقائد يجب أن تؤخذ من الشرع الذي هو الأصل^(٣).

(١) رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٩٣، ٩٤.

(٣) شرح ملا علي قاري للفقه الأكبر لأبي حنيفة ص ١٠.

وقال ملا علي قارى : حكى عن أبى حنيفة رحمه الله أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه فى تقرير توحيد الربوبية فقال لهم : أخبرنى قبل أن نتكلم فى هذه المسألة عن سفينة فى دجلة تذهب فتمتلىء من الطعام والمتاع وغيره بنفسها وتعود بنفسها فتترسى بنفسها وتتفرغ بنفسها وترجع ، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟ فقالوا : هذا محال لا يمكن أبداً ، فقال لهم إذا كان هذا محالاً فى سفينة ، فكيف فى هذا العالم كله علوه وسفله ؟ انتهى (١) .

ولقد أحسن أبو العتاهية فى قوله :

فواعجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريك وتسكينة أبداً شاهد
وفى كل شئ له آية تدل على أنه واحد (٢)

وأما من بلى بشئ من وسوسة التسلسل فى الفاعلين - فإن الشيخ يرشد إلى ما أرشد إليه رسول الله ﷺ حيث أرشد من بلى بشئ من وسوسة التسلسل فى الفاعلين إذا قيل له : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ أن يستعيد بالله وينته ويقراً ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شئ عليم ﴾ وكذلك قال ابن عباس لأبى زميل - وقد سأله : ما شئ أعجده فى صدرى ؟ قال : ما هو ؟ قال : قلت : والله لا أتكلم به ، فقال : أشئ من شك ؟ قلت : بلى ، قال : ما نجا من ذلك أحد ، فإذا وجدت فى نفسك شيئاً ، فقل : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ﴾ . فأرشدهم بالآية إلى بطلان التسلسل ببدية العقل وأن سلسلة المخلوقات فى ابتدائها تنتهى إلى أول ليس قبله شئ كما تنتهى فى آخرها إلى آخر ليس بعده شئ ، كما أن ظهوره : هو العلو الذى ليس فوقه شئ ، وبطونه هو أنه ليس دونه واسطة ، فليس دونه شئ سبحانه .

ولو كان قبله شئ يكون مؤثراً فيه لكان هو الرب الخلاق ، فلا بد أن ينتهى الأمر إلى خالق غنى عن غيره ، وكل شئ فقير إليه ، قائم بنفسه ، وكل شئ قائم

(١) شرح ملا علي قارى على الفقه الأكبر لأبى حنيفة ص ٩ .

(٢) نقلاً من شرح ملا علي قارى على الفقه الأكبر لأبى حنيفة ص ٩ .

به ، موجود بذاته ، قديم لا أول له ، وكل ما سواه فوجوده به بعد عدمه ، باق بذاته ، وبقاء كل شيء به^(١) .

ثم يرشد الشيخ إلى : أن ما يقع في القلب من خواطر الشيطان لا يضر ، بل هو صريح الإيمان إذا كان مع الكراهة أخذاً من قوله تعالى : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ﴾ الآية^(٢) .

فسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، هو خالق كل شيء وما سواه مخلوق .

والشيخ حين يجعل أصله في علم التوحيد ، هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق أهل السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه السلف الصالحون يكون متبعاً للعلماء السابقين غير مبتدع .

وإذا قسم التوحيد إلى نوعين ، هما توحيد الربوبية - ويدخل فيه إثبات الأسماء الحسنى وصفات الكمال على ما جاء في الشرع ، وهو القسم العلمي الخبري من قسمي التوحيد وتوحيد الألوهية أو توحيد العبودية - الذي هو القسم الطلبي الإرادي ، وإذا بين أن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية دون العكس في القضية ليس هذا القول من الشيخ لمتابعه ابن تيمية ، أو علماء الحنابلة ، أو علماء أهل السنة من المالكية والشافعية فحسب بل لأن الفرق بين العلم والعمل والخبر والطلب يجده الإنسان في نفسه ضرورة حتى إن الفرق بين هذا النوع والنوع الآخر معروف عند العامة والخاصة وعند أصناف المتكلمين في العلم ، كما ذكر ذلك الفقهاء في كتاب الإيمان وكما ذكره المقسمون للكلام من أهل النظر والنحو والبيان فذكروا أن الكلام نوعان : خبر وإنشاء فالخبر علمي والإنشاء طلبى . وليس المراد بالتقسيم أن له أنواعاً متباينة بل إن الشيخ يعتقد أن أنواع التوحيد متلازمة يلزم من الأقارب بعضها كالربوبية الأقارب جميعها ويرى أن توحيد الألوهية يتضمن التوحيد كله كما سيأتى ص ٢٤٨ .

وإذا بحثنا عن محققى علماء الحنفية فيما حققوه من السنة النبوية الشريفة نجدهم يقسمون التوحيد إلى نوعين :-

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ١٥٢-١٥٣ ، وانظر : ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ٤٠ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، يوسف ص ١٨٠ .

هذا أبو جعفر أحمد الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ هـ قبل ابن تيمية يذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني فيقول: «نقول في توحيد الله معتردين بتوفيق الله: أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره»^(١).

فقوله: «لا شيء مثله» في توحيد الصفات والأسماء «ولا شيء يعجزه» في توحيد الربوبية والقدرة، وكل ذلك في توحيد المعرفة والاثبات.

«ولا إله غيره» في توحيد الألوهية وذلك في توحيد الطلب والارادة قال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفى المتوفى سنة ٧٤٦ هـ: «ثم التوحيد الذى دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الاثبات والمعرفة وتوحيد في الطلب والقصد»^(٢).

بل إن من المتأخرين من الأحناف من يقرر ما قرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل أن يولد.

وهذا ملا علي بن سلطان القارى الحنفى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ قبل ميلاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بهائة سنة يقرر ما قرره الشيخ من نوعى التوحيد، فقال في شرحه الفقه الأكبر لأبى حنيفة «أقول: فابتداء كلامه سبحانه وتعالى في الفاتحة بالحمد لله رب العالمين، يشير إلى تقرير توحيد الربوبية المترتب عليه توحيد الألوهية مقتضى من الخلق تحقيق العبودية» إلى أن قال:

«والحاصل أنه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس في القضية لقوله تعالى: ﴿وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

وقوله سبحانه حكاية عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

بل غالب سور القرآن متضمنة لنوعى التوحيد، بل القرآن من أوله إلى آخره في بيانها وتحقيق شأنها، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمى الخبرى، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادى الطلبى.

(١) العقيدة الطحاوية، ط المكتب الإسلامى ص ص ١٧-١٨.

(٢) شرح الطحاوية ص ٨٨.

وإما أمر ونهى وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في العقبى فهو جزاء توحيدهم، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب والسلاسل والأغلال فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد - فالقرآن كله في التوحيد وحقوق أهله وثوابهم، وفي شأن ذم الشرك وعقوق أهله وجزائهم، فالحمد لله رب العالمين توحيد، الرحمن الرحيم، توحيد، مالك يوم الدين، توحيد، إياك نعبد وإياك نستعين، توحيد، إهدنا الصراط المستقيم، توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، صراط الذين أنعمت عليهم (وهم أهل التوحيد) غير المغضوب عليهم ولا الضالين، الذين فارقوا التوحيد عناداً وجهلاً وافساداً.

وكذا السنة تأتي مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن، فلم يحوجنا ربنا سبحانه وتعالى إلى رأى فلان وذوق فلان ووجد فلان في أصول ديننا - ولذا نجد من خالف الكتاب والسنة مختلفين مضطربين - بل قال الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأنممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ . فلا نحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة، كما قال الله تعالى: ﴿هذا بلاغ مبين﴾

وقال الله تعالى: ﴿أو لم يكفهم أننا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ . وقال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(١). وأظنه نقل عن شارح الطحاوية ابن أبى العز الحنفى^(٢). لأنه حنفى وشارح الطحاوية نقله عن ابن القيم في مدارج السالكين^(٣).

وليس سبب الخلاف بين الشيخ وخصومه هو تقسيم التوحيد إلى نوعين وبيان الفرق بينهما كما يذهب إليه الدكتور العثيمين^(٤)، وإنما الخلاف بينه وبين خصومه، هو

(١) شرح ملا علي بن سلطان محمد القارى الحنفى المتوفى ١٠١٤ على الفقه الأكبر لأبى حنيفة ص ص ٩-١٠.

(٢) انظر: شرح الطحاوية ص ص ٨٨-٨٩.

(٣) جـ ١ ص ص ٣-٢٨.

(٤) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور عبد الله العثيمين ص ص ١٠٨-١١٠.

أنه يقول : « ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى في كتابه : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ (الجن : ١٨) ، وقال في حق النبي ﷺ : ﴿ قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشداً ﴾ (الجن : ٢١) .

ولما ذكر الشيخ لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرها أنها على خلاف أمر الله ورسوله ، وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذي قال فيه : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ (المائدة : ٧٢) .

لما أظهر لهم هذا أنكروه وكبر عليهم ، وقالوا : جعلنا مشركين . وقالوا : هذا ليس إشراكا . هذا هو مرتكز الخلاف بين الشيخ وخصومه^(١) ، ولو أن خصوم الشيخ أقرّوا بتوحيد الله في هذا وتابوا مما كانوا عليه من دعاء غير الله ما كان الشيخ ليطلبهم بالتفريق بين نوعي التوحيد ، كيف ! والشيخ يرى أن لفظ الربوبية يأتي بمعنى الألوهية كما في قوله تعالى : ﴿ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا : ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا ﴾ (الكهف : ١٤) .

قال الشيخ : « قولهم ربنا رب السموات والأرض » هذه الربوبية هي الألوهية^(٢) .

والشيخ حين يفرق بين توحيد الربوبية والألوهية ، إنما ليبين أن الربوبية لما تفسر بأشهر معانيها الذي هو فعل الرب ، وحين تؤتى بتوحيد الربوبية على هذا التفسير أي اعتقاد أن الله واحد في فعله فإنه لا يكفي عن الإتيان بتوحيد الألوهية والذي منه افراد الله بالدعاء لأن المشركين زمن الرسول ﷺ كانوا يقولون بتوحيد الربوبية هذا ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام ، لأنهم لم يأتوا بتوحيد الألوهية - على ما سيأتي بيانه بالتفصيل في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى .

وقد بين الشيخ منهجه في الأحكام في نبذة كتبها بعنوان : « أربع قواعد تدور عليها الأحكام » وتتلخص في الآتي :

- ١ - تحريم القول على الله بلا علم .
- ٢ - أن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو .

(١) انظر : مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٤ ص ٣٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الكهف ص ٢٤٣ .

٣ - أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بالمتشابه طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج .

٤ - أن الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتهيات ، فمن لم يفتن لهذه القاعدة ويريد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل^(١) .

والشيخ يرى أن الصواب في المسائل المشكلة عدم الجزم بشيء بل يقول : (الله أعلم) مثل ما قال أهل الكهف : ﴿ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ (الكهف : ١٩) . وكما أمر الله باسناد الأمر إلى علمه : ﴿ قل ربى أعلم بعدتهم ﴾ فالسكوت عنها هو العلم والمتكلم بلا علم ينكر عليه^(٢) .

والله تبارك وتعالى نهى عن افتراء الكذب عليه والقول عليه بلا علم والمحااجة والمجادلة بغير علم وقول ما ليس للقائل به علم مطلقا - قال الله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ (الاسراء : ٣٦) .

والذى يجب العلم به أن كل ما قال الرسول ﷺ حق يجب الإيمان به ولو لم يعرف الإنسان معناه ، وأنه لا تضاد ولا تناقض في كلام الله وكلام الرسول ﷺ كما أنه ليس بين كلام الرسول ﷺ وكلام الله أى مناقضة^(٣) .

والأدلة الصحيحة لا تتناقض ، بل يصدق بعضها بعضا ، لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل لأنه إما استدل بحديث لم يصح ، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوما مخطئا .

وحاشا كلام الله وكلام رسوله ﷺ من التضاد ، بل كله حق يصدق بعضه بعضا والواجب على المؤمن في مثل هذا أن يحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله ويقول كما أمر الله : ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ (آل عمران : ٧) . فاذا تبين له الحق فليقل به وليعمل به ، وإلا فليمسك وليقل الله ورسوله أعلم^(٤) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الثانى ، الفقه ، المجلد الثانى ، ص ١٠-٣ ، والقسم الرابع ، التفسير ، الأعراف ص ص ٧٧ ، ٨٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الكهف ص ص ٢٤٥ ، ٢٤٧ .

(٣) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٦ ص ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ص ص ٣٤ ، ٣٥ ، وص ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٠ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ص ٣٤ .

نعم قد يرد حديثان متضادان ولكن أحدهما ليس بصحيح، وقد يكون أحدهما ناسخا لكنه قليل جدا ومع ذلك لا يرد المنسوخ إلا قد يرد ما بينه^(١).

وينبغي لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة في الدليل الذي يدل عليها ويحيل نظره في ذلك فان كثيراً من الأغاليط وقعت في مسألة واضحة جدا ويستدل الغالط على غلطه بشيء من القرآن والسنة وهو لا يدل على ذلك كما فعل الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم.

قال الله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾^(٢) الآية (آل عمران: ٧).

فينبغي رد المسألة المشككة إلى المسألة البينة ليزول الاشكال، وللمفتي أن يستفصل اذا احتاج لذلك^(٣).

فان الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه كما ابتلاهم بالمحكم ليعلم من يقف حيث وقفه الله ومن يقول على الله بلا علم. ولو بلغ الإنسان من العلم ما بلغ لكان ما علمه قليلا بالنسبة إلى ما لم يعلمه. فقد قال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾^(٤) (الاسراء: ٨٥).

وقد توقف الشيخ في الافتاء عن معنى قوله: «الشؤم في ثلاث» الخ وقال: «لم يتبين لى معناه، والله أعلم بمراد رسوله ﷺ».

وفي جواب، هل المراد حفظ القرآن مع حفظ المعاني؟ في ما ورد من الفضل في حفظه؟ قال الشيخ: «لا يحضرني جواب يفصل المسألة».

وفي اغلاق الباب عند الجذاذ ووقت الحصاد قال: «فلا أجسر على الجزم بتحريمه» وفي موضع قال: «فلا أتجرأ على الجزم بتحريمه» وفي معنى عقد اللحية - قال: «لا أعلمه» وفي مقصود الحسن بتفسير الجبت برنة الشيطان - قال «لا أعرف مقصود الحسن» وفي الفرق بين الروح والرحمة - قال: «لا أعرفه».

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٤٠، ٤١.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٣٩.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٣٤، ٣٥.

وفى مسألة اذا لم يعرف هل هذا وقف على من يرث أم لا ولكن الافاضة على أنه ممن يرث قال: «فأنا لا أدري عن هذه المسألة لكن أرى لك التوقف عنها ولا ينزع من يد من يأكله إلا بيينة، وغير ذلك»^(١).

ويرى أنه لا غنى للمسلم عن معرفة أمور أهل الجاهلية الكتابيين والأمة التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ - فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء، والحق لا يتبين إلا بالباطل^(٢). وأنه قد يكون لأهل الباطل والشرك علوم كثيرة وكتب وحجج، ويفرحون بما عندهم من العلم، ومن حكمة الله أن جعل منهم أعداء للرسول وأتباعهم وهم شياطين الجن والإنس^(٣)، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

ومن أمورهم أن التقليد بالباطل هو القاعدة الكبرى لجميع أهل الجاهلية أولهم وآخرهم كما قال تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ (الزخرف: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ (لقمان: ٢١).

فأتاهم رسول الله ﷺ بقول الله تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ (سبأ: ٤٦).

وقول الله تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ (الأعراف: ٣)^(٤).

لذا فالشيخ لا يرتضى مناهج الجاهلية ولا قياساتهم واستدلالاتهم الفاسدة ولا حججهم الباطلة مثل استدلالهم على بطلان الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء كقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ (الشعراء: ١١١).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٣٨، ٣٩، ٥٣، ٥٤، ٧٣، ٩٠، ٩٧، ١٠٥.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ٣٣٣، والقسم الرابع، التفسير، الفاتحة، ص ص ١٥، ١٦.

(٣) المصدر السابق، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات، ص ص ١٥٩-١٦٠. والقسم الخامس، الشخصية، رقم ٢٢ ص ص ١٥٥-١٥٧.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ٣٣٦.

وقوله عنهم: ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ (الأنعام: ٥٣) - فرد الله استدلالهم بقوله: ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ (الأنعام: ٥٣).

ومثل اقتدائهم بفسقة العلماء والعباد أمثال من قال الله فيهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله﴾ (التوبة: ٣٤).

وقال تعالى: ﴿لا تغفلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل﴾ (المائدة: ٧٧).

ومثل استدلالهم على بطلان الدين بقلة أفهام أهله وعدم حفظهم .

ومثل استدلالهم بالقياس الفاسد ، وإنكارهم القياس الصحيح واستدلالهم على الحق بقوم ضالين غير أنهم أعطوا قوى في الأفهام والأعمال وفي الملك والجاه والمال فرد الله ذلك بقوله: ﴿ولقد مكناكم فيها إن مكناهم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (الأحقاف: ٢٦).

واعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين واعتياضهم كتب السحر عن ما أتاهم من الله ، كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ (البقرة: ١٠١-١٠٢).

ونسبتهم الباطل إلى الأنبياء فرد الله عليهم بمثل قوله: ﴿وما كفر سليمان﴾ وبمثل قوله: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا﴾ (آل عمران: ٦٧).

وقدحهم في الصالحين بفعل سييء من بعض المنتسبين إليهم كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ^(١).

وتحريفهم كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ، وتصنيفهم الكتب الباطلة ونسبتها إلى الله كما قال الله عنهم ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ (البقرة: ٧٩).

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٨-١٣، ١٦-٢٥.

ولا يقبلون من الحق إلا الذى مع طائفتهم، ومع ذلك لا يعملون بما تقوله طائفتهم^(١). ولكن يثبتون أهواءهم وظنوزهم ويعرضون عما جاءت به الرسل فيصبحون على خلاف ما جاءت به الرسل من النفى والاثبات يثبتون ما نفتته الرسل وينفون ما أثبتته الرسل، ويعتذرون عن إعراضهم عن ما جاءت به الرسل بعدم الفهم كقولهم: ﴿قلوبنا غلف﴾ ﴿يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول﴾^(٢).

ويلحدون في أسماء الله الحسنى وصفاته ويعطلون الله من صفات الكمال والعظمة والجلال وينسبون إليه النقائص سبحانه وقد ينزهون أنفسهم عنها، ويحدون القدر أو يحتجون به على معارضة الشرع، ويسبون الدهر^(٣)، ويعملون الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل وقد يقرون بالحق ليتوصلوا بذلك إلى دفعه، ويلقبون أهل الهدى بالصباة والحشوية، وإذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى إلى الملوك وأهل النفوذ يرمون أصحاب الحجة الغالبة بالفساد في الأرض وانتقاص الملك وتبديل الدين^(٤).

كما قال تعالى عن فرعون أنه قال: ﴿إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ (غافر: ٢٦) - وقال عن قومه أنهم قالوا: ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهتك﴾، قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ (الأعراف: ١٢٧).

ودعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم كمن ينتسب إلى إبراهيم مع اظهارهم ترك اتباعه^(٥).

لقد كان الشيخ ينطلق من إسلامه وإيمانه ومن منهجه السلفى في كلامه على التوحيد فلم يشغل نفسه بما شغل به أهل البدع أنفسهم. كالمتكلمين المعارضين عن طريقة الرسل واتباعهم من سلف الأمة هأثمتهما فاشتغلوا ببدع من الكلام والاستدلال كجواهر وانعرض والتحيز واجهة ونحو ذلك من الألفاظ التى لم يرد نفيها ولا إثباتها بأسوحى.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، رقم ٢٦-٢٩.

(٢) المرجع السابق رقم ١٥-١.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، رقم ٣٧-٤٦.

(٤) انظر مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية رقم ٥٣، ٥٩، ٦٢، ٦٧.

(٥) انظر: المصدر السابق رقم ١٢٠، ١٨.

وينقل الشيخ عن شيخ الإسلام ابن تيمية : أن ابن سريج لما سئل عن التوحيد ذكر توحيد المسلمين، ثم قال : وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض، وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك . وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في مواضعه .

ومن ذلك ينقل من كلام أبي الوفاء بن عقيل قال : «أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ما عرفا الجوهر والعرض فان رأيت أن طريقة أبي على الجبائي وأبي هاشم خير لك من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت» أ - هـ^(١) .

ولذا فالشيخ يرى أن المتكلمين أهل شك وريب ولم ينتهوا من مباحثهم إلى طمأنينة وقضوا حياتهم وفارقوا الحياة وهم في حيرة واضطراب واختلاف وأمر مريب وقول مختلف، وقال : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك، إما عند الموت وإما قبل الموت . والحكايات في هذا كثيرة معروفة .

هذا أبو الحسن الأشعري : نشأ في الاعتزال أربعين عاما يناظر عليه، ثم رجع عن ذلك وصرح بتضليل المعتزلة وبالع في الرد عليهم .

وهذا أبو حامد الغزالي مع فرط ذكائه وتألهه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف والحيرة ويحيل في آخر أمره على طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث وصنف إجماع العوام عن علم الكلام .

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفى عليلا، ولا تروى غليلا وزأيت أقرب الطرق طريقة أهل القرآن أقرأ في الاثبات ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ .

وأقرأ في النفي : ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، ﴿ولا يحيطون به علما﴾ ، ﴿هل تعلم له سميا﴾ .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٠ ص ص ١٣١، ١٣٢ .

ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وكان يتمثل كثيرا:
 نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال
 وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دياننا أذى ووبال
 ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وهذا إمام الحرمين ترك ما كان ينتحله ويقره واختار مذهب السلف، وكان يقول «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به» وقال عند موته لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت فيما نهوني عنه. والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وما أنذا أموت على عقيدة أُمي - أو قال - عقيدة عجائز نيسابور.

وكذلك قال أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: «انه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم» وكان ينشد:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
 فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

وابن الفارض - من متأخري الاتحادية - صاحب القصيدة الثائية المعروفة بنظم السلوك، وقد نظم فيها الاتحاد نظما رائع اللفظ، فهو أخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك، الله أعلم بها وبما اشتملت عليه، وقد نفقت كثيرا وبالعالم أهل العصر في تحسينها والاعتداد بها فيها من الاتحاد - لما حضرته الوفاة أنشد:

ان كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
 أمنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام

والخلاصة: «أن أهل الكلام يردون باطلا بباطل»^(١).

ويقول الشيخ عن مناهج المخالفين من أهل الكلام للرسول، في معرض رسالته إلى ابن عبد اللطيف: «ومما يهون عليك مخالفة من خالف الحق وإن كان من أعظم

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١١٩ ص ١٢٧-١٤٠. ونقض المنطق، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٦٠-٦٢، وانظر: شرح ملا علي بن سلطان محمد القاري الحنفى على الفتاوى الأكبر للإمام أبي حنيفة ص ٨٥ ط ٢، ١٣٧٥هـ، الحلبي.

الناس وأذكارهم وأعظمهم جاهاً وأتبعه أكثر الناس تذكر ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في أصول الدين وصفات الله تعالى ، وما وقع فيه من الجهل والمحدور غالب من يدعى المعرفة وما عليه المتكلمون من التناقض والحيرة وتسميتهم طريقة رسول الله ﷺ حشوا وتشبيهاً وتجسيماً ، مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب أهل الكلام مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد وهو أصل الدين تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله ﷺ - اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه ، وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي بل من عقولهم ومعترفون أنهم مخالفون للسلف في ذلك ما ذكر في فتح الباري في مسألة الإيمان على قول البخاري ، وهو قول وعمل ويزيد وينقص فذكر إجماع السلف على ذلك وذكر عن الشافعي أنه نقل الإجماع على ذلك ، وكذلك ذكر أن البخاري نقله ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يردّه .

فان نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح - فتأمل تلك التراجم - وقرأ في كتب أهل العلم من السلف ومن أتباعهم من الخلف ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى وتلقيها بالقبول وأن من جحد شيئاً منها أو تأول شيئاً من النصوص فقد افتري على الله وخالف إجماع أهل العلم ونقلهم الإجماع على أن علم الكلام بدعة وضلالة حتى قال أبو عمر بن عبد البر أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء .

قال الشيخ : « انهم ابتدعوا كلاماً من عند أنفسهم وكابروا به العقول أيضاً » . ويقول الشيخ : « إن أهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم وهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب وهم وأتباعهم مقرون أنهم مخالفون للسلف مع هذا ، وأيضاً فهم عاجزون عن الرد على الفلاسفة إفكهم وباطلهم لكون مذهبهم فاسداً في نفسه ومخالفاً للعقول مع مخالفته لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم حتى ان بعض أئمتهم المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم آيات الأمر والنهي مثل قولهم المراد بالصيام كتمان أسرارنا والمراد بالحج زيارة مشايخنا ، والمراد بجبريل العقل الفعال وغير ذلك من إفكهم رد عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام فقال لهم الفلاسفة أنتم جحدتم علو الله

على خلقه واستواءه على عرشه مع أنه مذكور في الكتب على السنة الرسل ، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً؟ فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا اليراد .

ثم يخاطب الشيخ ابن عبد اللطيف فيقول : «وأنا أدعوك إلى التفكير في هذه المسألة وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في أصول الدين وإبطال كلام المتكلمين وتفكيرهم ومن ذكر هذا من متأخري الشافعية البيهقي والبغوي وإسماعيل التميمي ومن بعدهم كالحافظ الذهبي ، وأما متقدموهم كابن سريج والدارقطني وغيرهما فكلهم على هذا الأمر ففتش في كتب هؤلاء فإن أتيتني بكلمة واحدة أن منهم رجلاً واحداً لم ينكر على المتكلمين فلا تقبل مني شيئاً أبداً ، ومع هذا كله وظهوره غاية الظهور راج عليكم حتى ادعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون والله المستعان^(١) .

وفي معرض رد الشيخ على بعض أهل الكلام تفسيرهم الإله أنه القادر على الاختراع وأن الألوهية هي القدرة فإذا أقرروا بذلك فهو معنى لا إله إلا الله ونفيهم الصفات بوجه أن التوحيد لا يتم إلا بنفيها ، ومن أثبتها سموه مجسماً - يقول الشيخ في سبب هذا الضلال : «وأصل هذا ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ﴾ » .

وذكر الرحمن هو القرآن فلما طلبوا الهداية من غيره أضلهم الله ، وقبض لهم الشيطان فصدهم عن أصل الأصول ومع هذا يحسبون أنهم مهتدون .

وبيان ذلك أنه ليس المراد معرفة الإله الإجمالية يعنى معرفة الإنسان أن له خالقاً فإنها ضرورية فطرية بل معرفة الإله هل هذا الوصف مختص بالله لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل أو لغيره قسط منه ، فأما المسلمون أتباع الأنبياء فاجماعهم على أنه مختص كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده ، والمتكلمون ممن يدعى الإسلام أضلهم الله عن معرفة الإله . . .

(١) انظر : مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية رقم ٣٧ ص ٢٦٢-٢٦٥ بتلخيص وتوضيح قليل . وانظر : الدرر السنية ج-١ ص ٦٩-٧١ .

وذكر الشيخ: «أن العجب العجائب ظنهم أن الألوهية هي القدرة، وأن معنى قولك لا إله إلا الله أى لا يقدر على الخلق إلا الله، إذا فهمت هذا تبين لك عظم قدرة الله على إضلال من شاء مع الذكاء والفتنة كأنهم لم يفهموا قصة إبليس ولا قصة قوم نوح وعاد وثمود وهلم جرا - كما قال شيخ الإسلام في آخر الحموية أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأوتوا علوما وما أوتوا فهوما، وأوتوا سمعا وأبصارا وأفئدة، ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾^(١).

ولذا لم يشغل الشيخ نفسه بمناهج أهل الكلام وابتعد عن بدعهم المذمومة واعتصم بمنهج السلف الصالح في اعتقاده وعلمه.

وهكذا يرفض الشيخ منهج أهل الكلام المبتدع في التوحيد والاعتقاد - ولا يعنى ذلك أن الشيخ لا يعتبر العقل الصريح بل العكس فإن الشيخ رحمه الله كما قدمنا يعتبر القياس الصحيح ويثبته ويرد على منكره ويرفض منهجهم، فما دام القياس صحيحا فالشيخ يثبته سواء كان قياس طرد، وهو التسوية بين المتماثلات أو قياس عكسى، وهو التفرقة بين المختلفات فالشيخ يثبته مادام صحيحا. والشيخ يستدل بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية^(٢).

ويعتبر القاعدة التي هي خاصية العقل هي ارتكاب أدنى الشرين لدفع أعلاهما وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما من الأمور الشرعية^(٣).

وقد تقدم إيرادنا قول الشيخ رحمه الله تعالى: «ثم إذا عرف ما بينه الرسول ﷺ ونظر في أقوال الناس وما أرادوا بها فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذي هو موافق للرسول ﷺ فإنه الميزان مع الكتاب فهذا سبيل الهدى»^(٤).

ويقول الشيخ: «وما جئنا بشيء يخالف النقل ولا ينكره العقل»^(٥).

هذا وقد أشاع أعداء التوحيد عن الشيخ منهجا ليس من منهجه، وافتروا عليه

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ١ ص ٦٩-٧١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٧٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، التفسير، البقرة، ص ٢٣.

(٤) انظر: ص ٢٣٢، ٢٣٣ من هذا البحث، والدرر السنية ج ٢ ص ٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٤ ص ٩٨.

مسلكا لم يسلكه وحيث ان الشيخ بنفسه قد أجاب عن افتراءات أعدائه عليه وبين أنه لا أساس لها من الصحة كما شخص أسباب هذه الافتراءات فأذكرها هنا مكتفيا بأجوبة الشيخ حيث انها تعتبر جانبا من منهجه ، ويجدر بنا أن ننبه إلى أن جميع المفتريات والاشاعات التي أثرت تنبثق من تلك المفتريات التي أجاب عنها الشيخ ، مما يجعلنا نعتبر جواب الشيخ صالحا لكل ما قيل عنه من بعده أيضا .

وفيا يلي تلخيص لأجوبة الشيخ عما نسب إليه أنه انتهجه :

فالشَّيْخُ يَقُولُ : «أشاعوا عنا أنا نسب الصالحين وأنا على غير جادة العلماء ، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها» (١) .

ويقول الشيخ : «إذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهروهي (قوله) إني مبطل كتب المذاهب ، وقوله إني أقول إن الناس من ستمائة سنة لبسوا على شيء ، (وقوله) إني أدعى الاجتهاد ، (وقوله) إني خارج عن التقليد ، (وقوله) إني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة ، (وقوله) إني أكفر من توسل بالصالحين ، (وقوله) إني أكفر البوصيرى لقوله : يا أكرم الخلق ، (وقوله) إني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول ﷺ لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب ، (وقوله) إني أنكر زيارة قبر النبي ﷺ ، وأنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم ، وإني أكفر من يحلف بغير الله ، فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول :

(سبحانك هذا بهتان عظيم) ولكن قبله من بهت محمدا ﷺ أنه يسب عيسى بن مريم ، ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم) ، وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار ، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَى أُولَٰئِكَ مِنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ الآية أ - هـ (٢) .

وأما مسألة التكفير .. فالشيخ يجيب بأنه لا يكفر بالعموم ، ولا يكفر جميع الناس ممن لم يتبعه ، ولا يزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، ولا يقول إن الناس من ستمائة سنة

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٦ ص ٤٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٦ ص ٤٠ ورقم ١٧ ص ١٤٤ ورقم ١١ ص ٦٤ ورقم ٨ ص ٥٢ ورقم ١ ص ١٢ ورقم ٥ ص ٣٧ ورقم ٤٢ ص ٢٨٨ ورقم ٧ ص ٤٧ ، ٤٩ ، وصيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص ١١٢-١١٥ .

ليسوا على شىء^(١). ولا يكفر بالظن، فمن أظهر الإسلام وما تيقنا أنه أتى بناقض لا يكفر لأن اليقين لا يرفع بالظن^(٢).

ولا يكفر الشيخ بالموالة يعنى أنه لا يقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يحجى عندنا ويوالينا بل مراده اتباع دين الله ورسوله ﷺ في أى أرض كانت، ولا يقول ان الذى ما يدخل تحت طاعتي فهو كافر، بل يقول: نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك، وأهله فهو المسلم في أى زمان وأى مكان^(٣).

ولا يكفر الجاهل الذى لم تقم عليه الحجة^(٤)، ولا يكفر من يحلف بغير الله، ولا يكفر من توسل بالصالحين^(٥)، ولا يكفر ابن الفارض بعينه ولا ابن عربى بعينه^(٦)، ولا يكفر البوصيرى لقوله يا أكرم الخلق^(٧).

ولقد بين الشيخ هذا أتم بيان حيث قال: «وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم انا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على اظهار دينه، وأنا نكفر من لم يُكْفَر^(٨) ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه - يعنى زعمهم انه يكفر من لم يقم عليه الحجة ونحو ذلك - يقول الشيخ: فكل هذا من الكذب والبهتان الذى يصدون به الناس عن دين الله ورسوله. وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذى على عبد القادر والصنم الذى على قبر أحمد البدوى وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل^(٩) ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾^(١٠) (النور: ١٦).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٥ ص ٣٧ ورقم ٧ ص ٤٨ ورقم ١٥ ص ١٠١، ورقم ١ ص ١٢ ورقم ١١ ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق رقم ٣ ص ٢٥، ٢٤.

(٣) المرجع السابق رقم ١٠ ص ٦٠ ورقم ٩ ص ٥٨ ورقم ٣ ص ٢٧، ٢٥.

(٤) المرجع السابق رقم ٣ ص ٢٥.

(٥) المرجع السابق رقم ١١ ص ٦٤ ورقم ١ ص ١٢.

(٦) المرجع السابق رقم ١ ص ١٢.

(٧) المرجع السابق رقم ١١ ص ٦٤ ورقم ١ ص ١٢.

(٨، ٩، ١٠) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى، ص ١١، وروضة ابن غنام ١٧٩/١-١٨١، والدرر السنية ١/٦٦. وقوله: لا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل، أى لا نكفر من لم يكفر من كفرناه لعدم توفر دليل كفره لديه مثل توفره لدينا والله أعلم.

وأما القتال فيقول الشيخ فيه: «وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا مكننا، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقاتلة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ﷺ بعد ما عرفه»^(١).

وقد أجاب الشيخ لما سألته الشريف عما يقاتلون عليه وعما يكفرون به الرجل؟ بجواب خلاصته: «أن أول الأركان الخمسة للإسلام الشهادتان، وقد أجمع العلماء على كفر تاركها ووجوب قتاله، أما الأربعة الباقية، فإذا أقر الإنسان بها وتركها تهاونا فالشيخ يقول: فنحن وإن قاتلناه على فعلها فلا نكفره بتركها، لأن العلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلا من غير جحود»^(٢).

والشيخ يكفر من كفر باجماع المسلمين وهو الذي قامت عليه الحجة، ولا يكفر من لم تقم عليه الحجة.

وفي بيان هذه النقطة من عقيدة الشيخ ننقل ما لخصه الشيخ وارتضاه عن ابن تيمية رحمه الله فيقول: «لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين الخمر كقدامة وأصحابه ظنوا أنها تباح لمن عمل صالحا على ما فهموا من آية المائدة، اتفق علماء الصحابة كعمرو وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون، فان أصروا على الاستحلال كفروا وإن أقروا بالتحريم جلدوا، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة حتى يبين لهم الحق فان أصروا كفروا، ولهذا كنت أقول للجهمية الذين نفوا أن يكون الله فوق العرش أنا لو وافقتكم كنت كافرا، وأنتم عندي لا تكفرون، لأنكم جهال، ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ لم يشرع لأمة أن يدعوا أحدا من الأحياء ولا الأموات ولا الأنبياء ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بلفظ الاستعاذة ولا غيرهما كما أنه لم يشرع لهم السجود لميت، ولا إلى غير ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهي عن ذلك كله، وأنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل دين الإسلام الا تفتن

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية، رقم ٥ ص ٣٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ٢ ص ٩، وروضة ابن غنم ١٧٩/١-١٨١ والدرر السنية ٦٧-٦٥/١.

له ، وقال هذا أصل دين الإسلام ، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول : هذه أعظم ما بينته لنا^(١) .

وفي موضع آخر يقول الشيخ في تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله : « كل من استفرغ وسعه استحق الثواب ، وكذلك الكفار ممن بلغته دعوة النبي ﷺ فآمن به وبها أنزل عليه ، واتقى الله ما استطاع ، كما فعل النجاشي وغيره ، ولم تمكنه الهجرة ولا التزام جميع الشرائع لكونه ممنوعاً من الهجرة ، ومن اظهر دينه ، وليس عنده من يعلمه الشرائع فهذا مؤمن من أهل الجنة ، كما كان مؤمن آل فرعون مع قومه ، وكامرأة فرعون ، بل وكما كان يوسف مع أهل مصر ، فانهم كفار ولم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من الإسلام فانه دعاهم إلى التوحيد والإيمان ، فلم يجيبوه - قال تعالى : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به ﴾ (غافر: ٣٤) .

إلى أن قال الشيخ : وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً بل وإماماً وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وعمر بن عبد العزيز عودى ، وأوذى على بعض ما أقامه من العدل ، وقيل إنه سم على ذلك ، فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة ، وإن لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون عليه بل يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها .

إلى أن قال الشيخ بعد أن ذكر أحكام الفوائت من الصلاة وغيرها : ان الحكم لا يثبت إلا مع التمكن من العلم ، وأنه لا يقضى ما لم يعلم وجوبه ، وهذا يطابق الأصل الذي عليه السلف وهو أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، فالوجوب مشروط بالقدرة ، والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور وفعل محظور ، وبعد قيام الحجة^(٢) .

وبذلك يتبين أن الشيخ لا يكفر أحد بعينه إلا إذا قامت عليه الحجة غير أنه يبين من هم الذين لم تقم عليهم الحجة فيقول : « إن الذي لم تقم عليه الحجة ، هو الذي حديث عهد بالإسلام ، والذي نشأ ببادية بعيدة ، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف ، وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فان حجة الله هي القرآن فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة » .

(١) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ١٠٥ ص ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ١٢١ ص ص ١٤٢ - ١٤٦ .

ويفرق الشيخ بين قيام الحجة وفهمها في جوابه لبعض من أشكل عليهم هل قامت الحجة على من بلغه القرآن أولا؟ فيقول: «ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤)، وقيام الحجة، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم (هو) ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها.

ويقول الشيخ: إن أشكل عليكم ذلك فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» وقوله: «شر قتلى تحت أديم السماء»^(١)

(١) الدرر السنية، ج ٨ ص ٩٠-٩١.

وانظر صحيح البخارى، ج ٨ ص ٥٢ ك ٨٨/ب ٦ وفيه: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة». وفي سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٢، المقدمة باب ١٢ ولفظه حدثنا سهل بن أبى سهل ثنا سفيان بن عيينة، عن أبى غالب، عن أبى أمامه يقول: شر قتلى قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوا، كلاب أهل النار. قلت: يا أبا أمامه - هذا شيء تقولونه؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ. قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات بعد أن أورده مطولا عما في ابن ماجه، مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٣٣-٢٣٤.

وفي مجمع الزوائد للهيثمى أيضا: «... فاقتلوهم هم شر البرية» قال: رواه أحمد ورجاله ثقات. وفي صحيح البخارى ج ٨ ص ٥١ ك ٨٨/ب ٦ قال البخارى: «وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين». قال الحافظ ابن حجر في الفتح، وصله الطبري في مسند على من تهذيب الآثار، وقال سنده صحيح. وقال أيضا وقد ثبت في الحديث الصحيح المرفوع عن مسلم من حديث أبى ذر في وصف الخوارج «هم شرار الخلق والخلقة».

وعند أحمد بسند جيد عن أنس مرفوعا مثله، وعند البزار من طريق الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال: هم شرار أمتى يقتلهم خيار أمتى. وسنده حسن. وعند الطبراني من هذا الوجه مرفوعا هم شر الخلق والخلقة يقتلهم خير الخلق والخلقة. وفي حديث أبى سعيد عند أحمد «هم شر البرية».

وفي رواية عبد الله بن أبى رافع عن علي عند مسلم «من أبغض خلق الله إليه». وفي حديث عبد الله بن خباب يعنى عن أبيه عند الطبراني «شر قتلى أظلمتهم السماء وأقلمتهم الأرض». وفي حديث أبى أمامه نحوه وعند أحمد وابن أبى شيبه من حديث أبى برزة مرفوعا في ذكر الخوارج «شر الخلق والخلقة يقولها ثلاثا».

وعند ابن أبى شيبه من طريق عمير بن اسحق عن أبى هريرة «هم شر الخلق». قال الحافظ ابن حجر: «هم قوم مبتدعون سمووا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين» انظر: فتح البارى ج ١٢ باب قتل الخوارج والملحدون بعد إقامة الحجة عليهم ص ٢٨٣-٢٨٦.

قال الشيخ : مع كونهم في عصر الصحابة ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم ومع اجماع الناس أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والغلو والاجتهاد وهم يظنون أنهم يطيعون الله وقد بلغتهم الحجة ولكن لم يفهموها، وكذلك قتل علي رضي الله عنه الذين يعتقدون فيه وتحريقهم بالنار مع كونهم تلاميذ أصحابه مع عبادتهم وصلاتهم وصيامهم وهم يظنون أنهم على حق، وكذلك اجماع السلف على تكفير غلاة القدرية^(١)، وغيرهم مع شدة عبادتهم وكونهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولم يتوقف أحد من السلف في تكفيرهم لأجل كونهم لم يفهموا فان هؤلاء كلهم لم يفهموا^(٢).

ويقصد الشيخ بفهم الحجة أى عقلها وعلى هذا فالأنواع والأعيان ممن بلغه القرآن والسنة وقامت عليه بها الحجة فلم يسلم يكفر ببلوغ كلام الله إليه وكلام رسول الله ﷺ وخلوه من الموانع التي يعذر بها أما كونه لم يعقل الحجة كعقل أبي بكر وعمر فلا يعذر بذلك.

يقول الشيخ رحمه الله تعالى : فاذا كان المعين، يكفر اذا قامت عليه الحجة فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله ﷺ مثل فهم أبي بكر رضى الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شىء يعذربه فهو كافر كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ (الأنعام: ٢٥) وقوله : ﴿ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (الأنفال: ٢٢)^(٣).

وقول الله تعالى : ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ (الفرقان : ٤٤) ، وقال تعالى حكاية عن أهل جهنم : ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ (تبارك : ١٠).

(١) غلاة القدرية : هم الذين ينكرون علم الله المتقدم وكتابه السابقة لمقادير الخلائق قبل أن يخلقهم . قال القرطبي : ولا شك في تكفير من يذهب إلى ذلك فانه جحد معلوم من الشرع بالضرورة ، لذلك تبرأ منهم ابن عمر وابن عباس وغيرهما من الصحابة ، وكان أول من ظهر ذلك عنه بالبصرة معبد الجهنى ، فلما بلغ الصحابة قولاً هؤلاء تبرأوا منهم وأنكروا مقالتهن ، انظر تيسير العزيز في شرح كتاب التوحيد ص ص ٦٢١، ٦٢٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٣٦ ص ص ٢٤٤-٢٤٥ ورقم ٣٤ ص ص ٢٣٢-٢٣٤ ، الدرر السنية ج٨ ص ص ٩٠-٩١ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٣ ص ص ٢٢٠-٢٢١ ورقم ٣٦ ص ص ٢٤٤-٢٤٥ ، الدرر السنية ج٨ ص ص ٩٠، ٩١ .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٤).

وهكذا كل من بلغه الحكم الشرعى من المسلمين فقد قامت عليه الحجة ببلوغ الحكم الشرعى إليه وان لم يعقل حكمته وأسراره ومعناه فهو مسلم عليه أن يلتزم الحكم الشرعى ، والمرجع فى الأحكام الشرعية هو علم علماء الإسلام المشهود لهم بذلك من قرآن وسنة واجماع وقياس .

ومرجع الحكم على أعيان الناس بتركهم الحكم الشرعى كترك أحد المعينين الالتزام بالتوحيد ومع ذلك يُكْفَرُ من التزم التوحيد ويصد الناس عن التوحيد بعد معرفته أنه دين الله ودين رسوله ﷺ ولا يفرح به ولا يحبه ولا يجب أهله ولا يتبرأ من الشرك وأهله فهذا مرجعه إلى علم الخاص والعام ممن يقبل خبرهم وعلمهم^(١).

ولما احتج بعض الناس على الشيخ فى تكفيره من قامت عليه الحجة الرسالية بفهم فهمه على غير وجهه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية نقل الشيخ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بعينه وبين أنه لا متعلق لأحد بشيء من كلام هذا الإمام فقال الشيخ رحمه الله : «وأنا أذكر لفظه الذى احتجوا به على زيفهم». قال رحمه الله تعالى : «أنا من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى وعاصيا أخرى - انتهى كلامه - وهذا صفة كلامه فى المسألة فى كل موضع وقفنا عليه من كلامه لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الاشكال أن المراد بالتوقف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة وإذا بلغت حكمه عليه بما تقتضيه تلك المسألة من تكفير أو تفسيق أو معصية وصرح رضى الله عنه أيضا أن كلامه أيضا فى غير المسائل الظاهرة فقال فى الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منه الردة عن الإسلام كثيرا قال : وهذا ان كان فى المقالات الخفية فقد يقال إنه فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التى يكفر تاركها لكن هذا يصدر عنهم فى أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله ﷺ بعث بها وكفر من خالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم فان هذا أظهر شعائر الإسلام ومثل إيجاب الصلوات الخمس وتعظيم شأنها ومثل

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣١ ص ٢٠٤-٢١٠.

تحريم الفواحش والربى والخمر والميسر ثم تجد كثيرا من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازى (يعنى الفخر الرازى) (١) قال وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين - انتهى كلامه . يعنى ابن تيمية ، ثم علق الشيخ على كلامه بقوله :

فتأمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التى يذكرها أعداء الله لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا (٢) .

ومن أراد مزيد بيان وإيضاح فى منهج الشيخ فى التكفير فنحيله على كتاب «مصباح الظلام» فى الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام ، تأليف الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، أمر بطبعه الأمير سعود بن عبد العزيز آنذاك ، الملك فيما بعد ، وصححه وعلق عليه محمد حامد الفقى - رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية .

قال الشيخ عبد اللطيف فى أوله : وقد رأيت لبعض المعاصرين كتابا يعارض به ما قرر شيخنا من أصول الملة والدين ، ويجادل بمنع تضليل عباد الأولياء والصالحين ، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركون ، الذين أنزلوا العباد بمنزلة الله رب العالمين وأكثر التشبيه بأنهم من الأمة ، وأنهم يقولون لا إله إلا الله ، وأنهم يصلون ويصومون ، ونسى فى ذلك عهود الحمى (٣) ، وما قرره كافة الراسخين من العلماء ، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهماء ، ونص عليه الأكابر والخواص من اشتراط العلم والعمل فى الاتيان بكلمة الاخلاص ، والحكم بموجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والأشخاص ، وسمى كتابه «جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة» (٤) ومراده بالأمة

(١) ، (٢) لم يصرح الشيخ عبد اللطيف باسم مؤلفه ، لأن الكتاب وجد فى تركة عثمان بن منصور وشهد عدلان أنه بخطه ، ثم ظهر الكتاب ، فى بريدة ، وزعم من وجد عنده أنه تصنيف عثمان بن منصور فأخذ الشيخ محمد بن عمر آل سليم معه إلى الرياض عام ١٢٩١ هـ فرد عليه الشيخ عبد اللطيف بهذا الرد . انظر : علماء نجد خلال ستة قرون ، ج ٣ ص ٦٩٨ ، ٦٩٩ . وقوله : عهود الحمى . يعنى حمى التوحيد كما حاماها رسول الله ﷺ .

(٣) ، (٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد ص ص ٢٨٩-٢٩٠ . وانظر : نقض المنطق ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ص ٤٥-٤٧ . وقال الذهبى عن الفخر الرازى : «رأس فى الذكاء والعقلية ، لكنه عرى من الآثار ، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة . . . وله كتاب السر المكتوم فى مخاطبة النجوم ، سحر صريح ، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى» (ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٤٠ ولسانه ج ٤ ص ٤٢٦) .

هنا من عبد آل البيت وغلا فيهم وعبد الصالحين ودعاهم واستغاث بهم ، وجعلهم وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم - هذا مراده - ولكنه أوقع عليهم لفظ الأمة ترويحاً على الأغمار والجهال . ولبساً للحق بالباطل ، وهو يعلم ذلك وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَل سَيْنَاهُمْ غَضِبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ فلكل مفتر نصيب منها بحسب جرمه وعلى قدر ذنبه . وقد رأيت على هذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هو ظاهريين يعرفه من عرفه .

وقد بين الشيخ عبد اللطيف هذه المسألة في منهج الشيخ بيانا واسعا ، ورد على من افترى عليه في هذه النقطة ردا كافيا واستغرق رده ثلثائة وتسعا وخمسين صفحة من القطع الوسط .

وقد تناول هذه النقطة الشيخ حسين بن غنام في تاريخه ، وقال : ان الشيخ كان ملتزما بالمنهج السوى ولم يتسرع لسانه بتكفير أناس أشربت قلوبهم بالمعاصي وبما كانوا عليه من القبائح الشركية حتى نهضوا عليه وعلى جماعته وصاحوا بتكفير من يدعو إلى دين الله ورسوله ، وقالوا ان كان الذى نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور من تلك الأزمان شرك وكفر فنحن كفار ، وخافوا أن يظهر أمره فإذا ظهر خافوا أن يحكم عليهم بما تسرعوا هم به عليه فأشاعوا أن ابن عبد الوهاب يجعلكم كفارا ويكفر كل الناس بقصد التنفير والتحذير^(١) .

والحقيقة : - أن منهج الشيخ يتركز على أربع نقاط اشتهر بها :

١ - بيان التوحيد ، والدعوة إليه على حين غربته ، فى أناس وزمان لم يكن قد طرق آذان أكثرهم هذا البيان ، وأظهر لهم الشيطان أن الاخلاص وإفراد الله بالعبادة تنقص للصالحين وتقصير فى حقوقهم فصدق عليهم إبليس ظنه ، فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين^(٢) .

تنقص للصالحين وتقصير فى حقوقهم فصدق عليهم إبليس ظنه ، فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين^(٢) .

(١) انظر : روضة ابن غنام جـ ١ ص ٣٣-٣٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٣ ص ٢٤ ، ٢٥ ورقم ٥ ص ٣٦ ، وانظر : القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٩٣ .

٢ - بيان الشرك والبراءة منه والتحذير عنه ولو كان في كلام وعمل من ينتسب إلى العلم والعبادة من دعوة غير الله أو قصده بشيء من العبادة ولوزعم الزاعمون أنهم يريدون بذلك القصد شفاعة هؤلاء المدعويين أو المقصودين بشيء من العبادة عند الله في زمان وأناس يظن أكثرهم أن هذا أفضل القربات وأجل الطاعات لأن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك في صورة محبة الصالحين واتباعهم فأشربت قلوبهم هذا الشرك والعياذ بالله^(١).

٣ - تكفير من بان له التوحيد وأنه دين الله ورسوله ﷺ ثم أبغضه ونفر الناس عنه وجاهد في صد الناس عن الدخول فيه . وكذا من عرف الشرك وأن رسول الله ﷺ بعث بإنكاره وأقر بذلك ثم مدحه وحسنه للناس وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم .

٤ - الأمر بقتال هؤلاء المشركين خاصة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله كما قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ (البقرة: ١٩٣) .

وفي الأنفال قال الله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير ﴾ (الأنفال: ٣٩) .

وهذا بعد إقامة الحجة عليهم من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع السلف الصالح من الأئمة كما قدمنا .

قال الشيخ : « فلما اشتهر عنى هؤلاء الأربع صدقنى من يدعى أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد وفي نفي الشرك ، وردوا على التكفير والقتال »^(٢) .

ويقولون : التوحيد زين والدين حق ، إلا التكفير والقتال . والشيخ يقول : « إعملوا بالتوحيد ودين الرسول ﷺ ، ويرتفع حكم التكفير والقتال »^(٣) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٣ ص ٢٤-٢٥ ، ورقم ٥ ص ٣٦ . وانظر : القسم الأول ، العقيدة ، ص ٣٩٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١٥ ص ١٠٤ ورقم ١٦ ص ١٠٤ ، ١٠٧ ، ورقم ٥ ص ٣٦ ورقم ١٤ ص ٩٥ ورقم ٢٢ ص ١٥٠ ورقم ٣ ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٣ ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) المرجع السابق رقم ٢٧ ص ١٨٣ .

ومع أن الشيخ يجلب الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن رجب والذهبي وابن كثير وغيرهم من أئمة السلف رضى الله عنهم ، فليس الشيخ رحمه الله إمعنة يقلد شيخ الإسلام أو غيره تقليدا أعمى ويتعصب له ولكن يلتزم طريق رسول الله ﷺ ويعتقد أن رسول الله ﷺ لا يقول إلا الحق ، وكلُّ قوله يعمل به ولا يُطرح منه شيء وأما ما عدها فيؤخذ من قوله ويترك حتى شيخ الإسلام ابن تيمية يترك قوله إذا غلط فيه . يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك : على أن الذى نعتقد وندين الله به ونرجوا أن يثبتنا عليه انه لو غلط هو أو أجل منه في هذه المسألة وهى مسألة المسلم إذا أشرك بالله بعد بلوغ الحجة أو المسلم الذى يفضل هذا على الموحدين أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذى بينه الله ورسوله وبينه علماء الأمة أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله من تكفيره ولو غلط من غلط فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافا في هذه المسألة . وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجة فرعون ﴿ فما بال القرون الأولى ﴾ أو حجة قريش ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾^(١).

ونقل عن الشيخ حسين بن مهدي النعمي الصنعاني شهادة بذلك فقال رحمه الله : « قالوا : إن قائل تلك المقالة - وهى اتجاه وجوب تخريب المشاهد - قلد ابن تيمية في ذلك . ومن تدبر أصول القوم : وجدهم دلوا على أنهم من جملة العامة . ولا أدري من أين جاء لهم ذلك ؟ . نعم هو نتيجة من نتائج الحكم بتعذر الاجتهاد . ومن حق الباحث : أن يدلى بما يوافق خصمه على صحته ، أو بحجة قاهرة ، تؤذن أن دفعها مكابرة ، وأن التمسك بمعارضها قصور ، أو ضلال .

وكون من ذكره قلد ابن تيمية : بطلانه معلوم غير موهوم ، لما أنه ينهى عن التقليد وينادى بمنعه^(٢) . ولأن عامة مباحثه مبنية على تحرير المقام بمبلغ نظره ، وإن كان لا سبيل إلى رفع الخطأ جملة في كل بحث . وذلك منه من دون تقليد لابن تيمية ولا غيره ، ولا احتجاج بقول أحد قط ، أو

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مفيد المستفيد ، ص ص ٢٩٠-٢٩١ .

(٢) يقصد التقليد الذى يعمل على ترك ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة بعد معرفته لأن فلانا قال بخلافه أى تقليد شخص بلا حجة .

التدين به من دون استبانته منه حسبها علم . وليس معصوما كغيره أيضا . ولأنه في خصوص هذه المسألة أبرز حجته ، وحرر من البرهان ما استطاع .

فأى معنى لقولكم أنه قلد ابن تيمية؟ والحال أنكم لم تأتوا عن أنفسكم ولا فيما نقلتم شيء يقابل بعض ما أقامه في هذه المسألة من أدلة الكتاب والسنة ، التي لا يردّها إلا مشاق لله ولرسوله؟ ولأنه قد ناقض ابن تيمية في كثير من المسائل ذهب إليها ، لظهور ضعف كلامه عنده . فلو كان واقفا على تقليده - كما وقفتم على رسوم شرح المنهاج^(١) وغيره - لما فعل . فما باله يسوغ لنفسه تقليد ابن تيمية في هذه المسألة دون غيرها؟ فلقد حكيتكم عجا . وقد قرأنا عليه وعرفنا مذهبه وأنتم لا تعرفونه ، إنما يبلغكم عنه ما يبلغ ، فتأخذون في مضادته بلا بصيرة ، ولا وازع لكم عن الرجم بالظنون والأوهام ، ولا علم يهدى إلى تمييز الصحيح من ذى السقام .

فالعتب عليكم : أترضون أن يكون من خطاب ما لا يفهم ؟

وكفى دليلا على تنكبكم الصواب : ذكركم الأقوال من فروع المذهب في مقابلة مناهي صريحة مشهورة في الصحاح وغيرها ، ثم تعرضكم لشيخ من شيوخ الإسلام ، وإمام من جلة الأئمة الأعلام - وهو ابن تيمية - بأنه ضال مضل ، وما كان - رحمه الله تعالى - أهلا لهذا . والرجل أمره شهير ، وأقواله ومذاهبه يتناقلها الجمل الغفير . وما مثله يحتاج إلى كشف عن رفيع محله ، وقد تعرض له ولتلميذه الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعى - وهو ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى بعض القائلين . وهما إمامان جليلان لاحقان بأماثل السلف . كالشافعى ، وأحمد ، وإسحاق ، وغيرهم ، ومؤلفاتهما وتراجهما ونقل أهل العلم لأقوالهما ومذاهبهما ونفائس تحقيقهما : كافية شافية مقنعة لمن عدل وأنصف^(٢) .

والشيخ يرفض الاختلاف والتنازع في أمور ترجع كلها إلى الصواب ، وما يحصل النزاع فيها والاختلاف إلا لقلة العلم والجهل بتفاصيل المسائل وقواعد الأحكام الشرعية وهو الذى يسمى اختلاف التنوع .

وأورد الشيخ بعض القواعد لذلك مثل : إذا سن النبى ﷺ أمرين وأراد أحد أن

(١) المنهاج : كتاب فقه معتمد عند الشافعية .

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ، تأليف الشيخ حسين بن مهدي النعمى ص ١٠٣-١٠٤ .

يأخذ بأحدهما ويترك الآخر أنه لا ينكر عليه كالقراءات الثابتة ، ومثل الذين اختلفوا في آية فقال أحدهما ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ وأنكر النبي ﷺ عليهم ، وقال كل منكم بما يحسن ، فأنكر الاختلاف وصوب الجميع في الآية^(١) .

وبين الشيخ أن هذا المنهج الذي سار عليه ليس من عنده ، أو من كتاب وجده ليس عليه عمل ، أو عن أهل مذهبه ، ولكنه أمر الله تعالى ورسوله ﷺ واجماع العلماء في كل مذهب من المذاهب الأربعة .

ومن يؤمن بالله واليوم الآخر لا ينبغي له أن يعرض عن هذا لأجل أهل زمانه ، أو أهل بلده ، أو لأجل أن أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه^(٢) .

ويقول الشيخ في رسالته إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف : «وأما ما ذكر لكم عنى فاني لم آت به جهالة بل أقول والله الحمد والمنة وبه القوة اننى هدانى ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، ولست والله الحمد أدعو إلى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التى أوصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو أنى لا أرد الحق إذا أتانى ، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ان أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلها على الرأس والعين ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتى حاشا رسول الله ﷺ فانه لا يقول إلا الحق وصفة الأمر غير خاف عليكم ما درج عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون وأتباعهم والأئمة كالشافعى وأحمد وأمثالهما ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم وكذلك ما درج عليه من سبقت له من الله الحسنى من أتباعهم ، وغير خاف عليكم ما أحدث الناس في دينهم من الحوادث وما خالفوا فيه طريق سلفهم ، ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل ، وسادتهم وأئمتهم وأعلمهم وأعبدهم وأزهدهم مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ العماد ابن كثير والحافظ ابن رجب قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم» .

ثم يستطرد الشيخ زحمة الله قائلاً : «فاذا استدلل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ج ٤ / ٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٨ ص ٥٣ .

واطباق الناس على طريقتهم قالوا هذا من أكبر الأدلة على انه باطل لأن رسول الله ﷺ قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، وقد ذكر الله في كتابه أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هذا من عند الله وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به وأقبلوا على ما أحدثه أسلافهم من الكتب وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع، وأنهم لم يختلفوا الخفاء الدين بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ (المؤمنون: ٥٣)، والزبر الكتب، فإذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق: «لتبعن سنن من كان قبلكم» وجعله قبة قلبه تبين له أن هذه الآيات وأشباهاها ليست على ما ظن الجاهلون أنها كانت في قوم كانوا فبانوا، بل يفهم ما ورد عن عمر رضى الله عنه أنه قال في هذه الآيات مضى القوم وما يعنى به غيركم، وقد فرض الله على عباده في كل صلاة أن يسألوه الهداية إلى صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. فمن عرف دين الإسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه^(١).

وفي مخاطبته لابن عبد اللطيف يقول: «وان أردت النظر في أعلام الموقعين، فعليك بمناظرة في أثناثة عقدها بين مقلد وصاحب حجة، وإن ألقى في ذهنك أن ابن القيم مبتدع وأن الآيات التي استدل بها ليس هذا معناها فاضرع إلى الله وأسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق وتجرد إلى الله ناظرا أو مناظرا، واطلب كلام أهل العلم في زمانه مثل الحافظ الذهبي وابن كثير وابن رجب وغيرهم وما ينسب للذهبي رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصيبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأى فقيه

فإن لم تتبع هؤلاء فانظر كلام الأئمة قبلهم كالحافظ البيهقي في كتاب المدخل، والحافظ ابن عبد البر والخطابي وأمثالهم. ومن قبلهم كالشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبى عبيد هؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف... وتأمل ما في كتاب (الاعتصام)^(٢) للبخارى وما قال أهل العلم في شرحه، وهل يتصور شيء

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٧ ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) معنى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح البخارى ج ٨ ص ١٣٧.

أُصرح مما صح عنه ﷺ أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة أخبر أنهم كلهم في النار إلا واحدة، ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه^(١).

ويقول الشيخ لمن خالفه: الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئا لكن إذا عرفتم كلام رسول الله ﷺ، الذي في كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس.

ويذكر أيضا أن هذا الذي أنكروا عليه وأبغضوه وعادوه من أجله إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم يقول: هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره بل لما عرف الحق اتبعه، هذا كلام العلماء^(٢). وحاصل ما يقرره الشيخ أمران:

فالأمر الأول: هو قوله: لا تطيعوني ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله ﷺ الذي في كتبكم.

والأمر الثاني: أن كل عاقل مُقَرَّبٍ لَكِن ما يقدر أن يظهره.

ويقول الشيخ: «فنحن ولله الحمد متبعون غير مبتدعين»^(٣) مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة. على مذهب أهل السنة والجماعة، الذي هو على أمر الله ورسوله ﷺ.

وعليه الرسول ﷺ وصحابته والتابعون وأتباعهم، وإجماع علماء المسلمين وأئمة الدين من أجمع أهل الحق على هدايتهم ودرائتهم مثل الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء كالأئمة الأربعة، أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى ورضي عنهم أجمعين، وكذلك ما درج عليه الأعلام من أتباع هؤلاء الأئمة فنحن على ذلك وإن خالفنا غالب الناس في ما أحدثوا في دينهم من الحوادث لأننا على ما كان عليه أهل السنة والجماعة الذين

(١) المصدر السابق ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٤ ص ٣٢ ورقم ٢٨ ص ١٨٩ ورقم ٨ ص ٥٥.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٥ ص ٣٦ ورقم ٦ ص ٤٠، ٤١.

هم الفرقة الناجية وهم سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وإن صرنا غرباء، فطوبى للغرباء^(١).

ويخص الإمام أحمد بن حنبل بالذكر لأنه إمام أهل السنة فهو يعتقد اعتقاده جملة وتفصيلا ويحمد الله على ذلك.

وكان كثيرا ما يتمثل بثلاثة أبيات هي :

بأى لسان أشكر الله إنه لدونعمة قد أعجزت كل شاكر
جاني بالإسلام فضلا ونعمة على وبالقُرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادى يوم كشف السرائر^(٢)

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ في رسالته التي كتبها لما دخلوا مكة سنة ١٢١٨ هـ «مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم بل والأعلم والأحكم خلافا لمن قال طريق الخلف أعلم»^(٣).

وأما في الفروع فهو أيضا على مذهب الإمام أحمد بن حنبل يقول الشيخ : «وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها»^(٤).

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ في رسالته التي كتبها لما دخلوا مكة سنة ١٢١٨ هـ منتصرين : ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٧ ص ٢٥٢-٢٥٩ ورقم ١ ص ١٢ ورقم ١٦ ص ١٠٦، ١٠٧ ورقم ٢٨ ص ١٨٩ ورقم ٨ ص ٥٣، ٥٤، ٥٥ ورقم ١١ ص ٧٣، ٧٤ ورقم ١٤ ص ٩٦، ٩٨ ورقم ١٧ ص ١١١ ورقم ٥ ص ٣٦ ورقم ٣٤ ص ٢٣٥-٢٣٧ ورقم ٢٢ ص ١٥٠ ورقم ٣٨ ص ٢٧٢-٢٧٣ ورقم ٤ ص ٣٢ ورقم ٣٩ ص ٢٧٧ ورقم ٧ ص ٤٨ ورقم ٤٧ ص ٣٠٨، ٣٠٩، ومؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣٥، ٣١ ص ٨٨، ٨٩ والقسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٢٨٥، وص ٣١١-٣١٤-٣٢٤، مجموعة الرسائل النجدية ج١ / ص ٣٢.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج١ / ٩١.

(٣) الدرر السنية، ط ٢، ج١، ص ١٢٦.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٧ ورقم ٦ ص ٤١، ٤٠.

معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كأرث الجد والأخوة فانا نقدم الجد بالأرث وان خالف مذهب الحنابلة^(١).

والشيخ يرى أن إطلاق القول: بأنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد غير مسلم به ولكن يلزم قيده ببعض مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، أما بعضها الآخر الذي تبين فيه الصواب فلا يسوغ مخالفتها بل ينكر على المخالف كائنا من كان^(٢).

ويستنبط الشيخ من تعاليم الرسول ﷺ لأمر الجيش أو السرية الذي أمره إذا حاصر أهل حصن فأرادوه أن ينزلهم على حكم الله فلا ينزلهم، ولكن ينزلهم على حكمه فانه لا يدري أيصيب فيهم حكم الله أم لا ؟ . رواه مسلم .
قال الشيخ فيه كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري: أيوافق حكم الله أم لا ؟^(٣).

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ: «ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذاهب الملتزمين تقليد صاحبه^(٤).
وأما كتب المتأخرين رحمهم الله فان الشيخ يذكر أنها عنده وعند أصحابه ويعملون بما وافق النص منها وما لا يوافق النص لا يعملون به^(٥).

وأما المذاهب الأخرى فان الشيخ عبد الله بن الشيخ يقول أيضا: «إن مذاهب غير الأربعة ليست منضبطة كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم ولا نقرهم ظاهرا على شيء من مذاهبهم الفاسدة»^(٦).

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ١، ص ١٢٦.

(٢) الدرر السنية، ط ٢، ج ٤، ص ٥٤،

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٤٣.

(٤) الدرر السنية، ط ٢، ج ١ ص ١٢٧. وانظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٦

ص ٤١.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٥ ص ١٠٠.

(٦) الدرر السنية، ط ٢، ج ١، ص ١٢٦.

وهكذا فإن الشيخ لا يتعصب للمذاهب من غير حجة ولا يقلد أحدا من غير دليل ولكنه ينشد الحق ويدور معه حيث دار ويتبع من اتبع الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة وقول جمهورها ولا يعارض أمر الله ورسوله بالرأى^(١)، وينصف خصمه فيقول «وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم (يعني علماء البلد الحرام) على دين الله ورسوله أني متبع لأهل العلم وما غاب عني من الحق وأخطأت فيه فبينوا لي، وأنا أشهد الله أني أقبل على الرأس والعين والرجوع إلى الحق خير من التماهي في الباطل»^(٢).

ويقول في رسالته إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى: «فأنا والله الحمد لم آت الذي أتيت بجهالة، وأشهد الله وملائكته أنه أتاني منه (يعني والده عبد الله بن عيسى) أو من دونه في هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلها على الرأس والعين وأترك كل قول إمام اقتديت به حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يفارق الحق»^(٣)، ولا ينجي إلا اتباعه ﷺ»^(٤).

ويرد الشيخ على من يرى أن من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه إلى الاجتهاد وترك الاقتداء بأهل العلم بأن هذا المسلك هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم، فانهم قد وصوا الناس بذلك، ومن أشهرهم كلاما في ذلك الإمام الشافعي وإذا خالف الشيخ من أجل الدليل عالما من علماء الشافعية أو غيرهم فإنه لم يخالفه وحده من غير إمام سابق قد خالفه من أجل الدليل بل قد اتبع من هو مثل ذلك العالم الذي قد خالف واتبع الدليل والنص من الوحي ويقول الشيخ: «لم أستدل بالقرآن والحديث وحدي حتى يتوجه على ما قيل (من أني نسبت نفسي إلى الاجتهاد) ولا خلاف في أن أهل العلم اذا أجمعوا: وجب اتباعهم، ولكن الشأن إذا اختلفوا هل

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الاعراف، قصة آدم وإبليس ص ٨٥، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٦ ص ٤٢، رقم ٧ ص ٤٨ ورقم ١٥ ص ١٠٠ ورقم ١٩ ص ١٢٦، ١٢٧ ورقم ٢٠ ص ١٣٠، ١٤٠-١٤١ ورقم ١١ ص ٧٢-٧٦ ورقم ٢٤ ص ١٦٧ ورقم ٢٢ ص ١٥٧، ١٥٨ ورقم ٢١ ص ١٤٤-١٤٥ ورقم ٢٨ ص ١٨٩ ورقم ٣٢ ص ٢١٢ ورقم ٤٥ ص ٣٠١.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٩ ص ٢٧٦-٢٧٧. وانظر رقم ٣٧ ص ٢٥٢.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٤ ص ٣٣ ورقم ١ ص ١٢ ورقم ٦ ص ٤٠.

يجب قبول الحق ممن جاء به ورد المسألة إلى الله والرسول ﷺ مقتدين بأهل العلم؟ أو نتحل قول بعضهم من غير حجة ونزعم أن الصواب في قوله؟

فالشيخ رحمه الله على المذهب الأول يدعو إليه وينظر عليه ، وهو الحق كما قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فرددوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ (١) (النساء : ٥٩) .

ويقول في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي مذهباً من علماء الأحساء : انى إذا خالفت قول عالم فقد خالفت قوله لقول من هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل ولم آت بشيء من عند نفسى فان سمعتم أنى أفيتت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم توجه عليّ القول (٢) .

وفي جواب من الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابني الشيخ لما سثلا عن عقيدة الشيخ في العمل في العبادة قالوا : «عقيدة الشيخ رحمه الله تعالى التي يدين الله بها هي عقيدتنا وديننا الذي ندين الله به وهو عقيدة سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وعرض أقوال العلماء على ذلك ، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله قبلناه وأفطينا به ، وما خالف ذلك رددناه على قائله وهذا هو الأصل الذي أوصانا الله به في كتابه حيث قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فرددوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ الآية - أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته والأدلة على هذا الأصل كثيرة في الكتاب والسنة ليس هذا موضع بسطها ، وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه فاتبع الدليل وترك مذهبه كان هذا مستحجاً بل واجب عليه إذا تبين له الدليل ولا يكون مخالفاً لإمامه الذي اتبعه فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضى الله عنهم أجمعين .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١١ ص ٦٢ ، ٦٣ ورقم ٣٧ ص ٢٥٢ - ٢٦٢ والقسم الثالث ، الفتاوى ص ٢٧ وص ص ٣١ - ٣٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٣٧ ص ٢٦٥ بتصرف قليل مع الحفاظ على المعنى .

قال الإمام مالك رحمه الله كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .
وقال الشافعي رحمه الله لأصحابه إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولى
الحائط وفى لفظه إذا صح الحديث فهو مذهبي .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عجت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون
إلى رأى سفيان والله تعالى يقول: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم
فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ أتدري ما الفتنة - الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله
أن يقع فى قلبه شئ من الزيغ فيهلك، وقال لبعض أصحابه لا تقلدوني ولا تقلدوا
مالكا ولا الشافعي وتعلموا كما تعلمنا، وكلام الأئمة فى هذا كثير جدا مبسوط فى غير
هذا الموضع . وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل فى المسألة يخالف القول الذى نص عليه
العلماء أصحاب المذاهب فنرجو أنه يجوز العمل به لأن رأيهم لنا خير من رأينا
لأنفسنا، وإنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم ولكن لا ينبغي الجزم أن
هذا شرع الله ورسوله ﷺ حتى يتبين الدليل الذى لا معارض له فى المسألة، وهذا
عمل سلف الأمة وأئمتها قديما وحديثا والذى ننكره هو التعصب للمذهب وترك اتباع
الدليل، اذا تبين فهذا الذى أنكرناه وأنكره العلماء فى القديم والحديث^(١).

ويرى الشيخ أنه ينبغي، للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله
ﷺ فى مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا،
لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله - هذا طريق المنعم عليهم . أما اطراح كلامهم
وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم . وأما اتخاذهم أربابا من دون الله، إذا قيل
قال الله قال رسوله قيل هم أعلم منا - فهذا هو طريق الضالين^(٢).

ويقول: «بالجملة فمتى رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول، فاذا تبين لك
الحق فاتبعه، فان لم يتبين واحتجت إلى العمل، فقلّد من تثق بعلمه ودينه»^(٣).

(١) الدرر السنية ط ٢، ج ١ ص ١٢٢، ١٢٣ ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية
رقم ١١ ص ٦٢، ٦٣ ورقم ٣٧ ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٩٧ والقسم الثانى، الفقه، المجلد الثانى،
ص ١٠-١٣.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣٣ والقسم الخامس، الشخصية رقم ١١
ص ٦٢-٦٣.

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى في بعض رسائله التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح فقال: وأما القول في التقليد واتباع الدليل فإن الله سبحانه فرض علينا فرضين :

الأول : اتباع رسول الله ﷺ وترك ما خالفه في كل شيء وأن الإنسان لا يؤمن حتى يحكمه فيما شجر بينه وبين غيره .

والفرض الثاني : أن الله فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها إلى الله والرسول كما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ وخاطب بها جميع المؤمنين المجتهدين وغيره ، ولكن نقول الواجب عليك تقوى الله ما استطعت وذلك أن تطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك فما عرفت من ذلك فاعمل به وما لم تعرفه واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم قلدهم ، وما أجمعوا عليه فهو الحق ، وما تنازعوا فيه ، رُدُّ إلى الله والرسول ، وأما أخذ الإنسان ما اشتبهت نفسه ووجد عليه آباءه وترك ما خالفه من كلام أهل العلم وغفلته عن كلام الله ورسوله ، واستهزاؤه بمن طلب ذلك ، فهذا هو الضلال الذي أنكرنا والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن تحصر ثم أخذ يسوق كلام ابن رجب في الطبقات في ترجمته ابن هبيرة وقوله : إذا ذكرت لأحدهم الدليل قال ليس هذا مذهبنا . وما قاله الشيخ تقي الدين ابن تيمية في جواب سؤال وجه إليه عن المقلد لبعض الأئمة إذا رأى حديثا يخالف إمامه^(١) .

وأجاب الشيخ عن اتباع بعض الناس للمذهب أنه اتباع لبعض المتأخرين للأئمة ومثل بالحنابلة مع أنهم من أقل الناس بدعة قال : فأكثر الاقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه فضلا عن سنة رسول الله ﷺ ونصها^(٢) .

ومع ذلك فالشيخ وأبناؤه وحملة الدعوة لا يفتشون على أحد في مذهبه ، ولا يعترضون عليه إلا إذا خالف نصا جليا ، وفي مسألة يحصل بها شعار ظاهر من شعائر الإسلام فانهم يأمرونه بالتزام النص .

يقول الشيخ عبد الله بن الشيخ : «ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض

(١) انظر: روضة ابن غنام ج١ ص ٤٢-٤٦ . وانظر: نص جواب شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى جمع بن قاسم ج٢٠ ص ٢١٠-٢١٦ .
(٢) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٤ / ص ٦ .

عليه إلا إذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب أحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر كامام الصلاة فنأمر الحنفى والمالكي بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدين لوضوح دليل ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعى بالبسملة فلا نأمره بالاسرار، وشتان بين المسألتين، فإذا قوى الدليل أرشدناهم بالنص، وإن خالف المذهب، وذلك يكون نادراً جداً^(١)؛

والشيخ يرى أن الموافقة أفضل ولو كان على المفضول من المذاهب، مثل : إذا أم رجل قوماً، وهم يرون القنوت أو يرون الجهر بالبسملة، وهو يرى غير ذلك والأفضل ما رأى، فموافقتهم أحسن، ويصير المفضول هو الفاضل^(٢).

والشيخ وأتباعه إذا فسروا شيئاً من القرآن، إنما يفسرونه بكلام رسول الله ﷺ، وكلام أصحابه ليس لهم إلا النقل^(٣).

والشيخ وأصحابه وأتباعه يعتنون بكتب أهل العلم، ويحرصون على كتب أهل الحديث ويحترمون علوم الأمة الإسلامية، ولا يأمرؤن بإتلاف شيء منها أصلاً إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك، أو يحصل بسببه خلل في العقيدة الإسلامية، على أنهم لا يفحصون عن مثل ذلك، إلا إن تظاهربه صاحبه معانداً أتلف عليه وما حصل مما اتفق لبعض البدوى في إتلاف بعض كتب أهل الطائفة إنما صبر منه لجهله، وقد زجر هو وأمثاله عن مثل ذلك^(٤).

والشيخ وأتباعه يستعينون على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتمدة، ومن أجلها لديهم، تفسير ابن جرير الطبرى، وتفسير ابن كثير الشافعى، وكذا البغوى، وغيرهم، وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين، كالعسقلانى والقسطلانى، على البخارى، والنووى على مسلم، والمناوى على الجامع الصغير، ويحرصون على كتب الحديث خصوصاً الأمهات الست، وشروحها ويعتنون بسائر الكتب فى سائر

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ١، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) الدرر السنية، ج ٤ / ص ٦.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٢١.

(٤) الدرر السنية، ج ١ / ص ١٢٧. ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٢،

ورقم ٥ ص ٣٧.

الفنون أصولاً وفروعاً، وقواعد وسيراً ونحواً وصرفاً وجميع علوم الأمة^(١).
والشيخ نفسه يحدّر من تفاسير المحرفين للكلم عن مواضعه فإنها القاطعة عن
الله وعن دينه^(٢).

وبالجملة فلا ينكر الشيخ وأتباعه إلا ما خالف أمر الله ورسوله ﷺ، وطريقة
الصحابة وأتباعهم^(٣). ويرون أن الاجماع حجة لأدلة القرآن الكريم والسنة
المطهرة^(٤)، لكن ينكر الشيخ على من يفسر الجماعة والسواد الأعظم، الذين لا يجوز
مخالفتهم والشذوذ عنهم، بأنهم الكثرة على الباطل، كما يحدث في أزمان غربة
الإسلام وفتراته، وكالذى حصل في زمان الشيخ، ويبين أن معنى الأحاديث التي
فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم، والتحذير من الشذوذ عنهم إنما هو باجماع أهل
العلم كلهم: «الجماعة الذين كانوا على الحق في القرون الفاضلة، قبل أن يحدث
الفساد فأولئك هم الجماعة فمن كان على مثل ما كانوا عليه فهو مع الجماعة وإن كان
وحده، لأن الله أوضح بطلان الاحتجاج بالكثرة على القلة من أهل الحق في غير
موضع من القرآن من ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿وان تطع أكثر من في الأرض
يضلوك عن سبيل الله﴾، ان يتبعون الا الظن وان هم إلا يخرصون ﴿ (الآية: ١١٦).
وقوله تعالى: ﴿ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من
الخطاء ليبيغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما
هم ﴾^(٥) (ص: ٢٤).

ولأن رسول الله ﷺ أخبر أن الإسلام سيعود غريبا فكيف يأمرنا باتباع غالب
الناس؟ وكذلك الأحاديث الكثيرة منها قوله ﷺ: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث
وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» فهل بعد هذا البيان بيان؟ وينقل الشيخ من
كلام أهل العلم ما يوضح به هذا المنهج السلفي السليم فيقول: قال ابن القيم رحمه
الله في (اعلام الموقعين): واعلم أن الاجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب
الحق، وان كان وحده وان خالفه أهل الأرض.

(١) الدرر السنية، ج١ ص ١٢٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، المصدر السابق ص ٢٥٩.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٣٦.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية، ص ٣٣٧.

وقال عمرو بن ميمون سمعت ابن مسعود قال: «عليكم بالجماعة فإن يذ الله مع الجماعة» وسمعه يقول: «سيلي عليكم ولاية يؤخرون الصلاة عن وقتها فصل الصلاة وحدك» وهي الفريضة «ثم صل معهم فانها لك نافلة». قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تحدثون قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة ثم تقول صل الصلاة وحدك. قال: يا عمرو ابن ميمون، لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة! والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة، وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ، وقال بعض الأئمة وقد ذكر له السواد الأعظم أتدري ما السواد الأعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة: هم الجمهور، فجعلوهم عياراً على السنة، وجعلوا السنة بدعة، وجعلوا المعروف منكراً، لقله أهله، وتفردهم في الأعصار والأمصار، وقالوا: «من شذ شذ في النار» وما عرف المختلفون أن الشاذ: ما خالف الحق، وإن كان عليه الناس كلهم إلا واحد، فهم الشاذون، وقد شذ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل، إلا نفرًا يسيرًا فكانوا هم الجماعة، وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم هم الشاذون، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يتحمل ذلك عقول الناس، قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين أنت تكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل، وأحمد وحده على الحق، فلم يتسع علمه لذلك، فأخذ بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل، فلا إله إلا الله، ما أشبه الليلة بالبارحة - انتهى كلام ابن القيم^(١).

قال الشيخ: «هذا كلام الصحابة في تفسير السواد الأعظم، وكلام التابعين، وكلام السلف، وكلام المتأخرين حتى ابن مسعود ذكر في زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة، وأبلغ من هذا الأحاديث المذكورة عن رسول الله ﷺ من غربة الإسلام

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية ص ص ٢٣٥-٢٣٧ بتصرف قليل. وانظر موضع ما لخص ونقل منه الشيخ في أعلام الموقعين، ج ٣/ ٤٠٩-٤١٠ وقد اكملت ما يخل بالمعنى من سقط، وانظر: القسم الرابع، التفسير ص ١٤٧.

وتفرق هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فأى شىء يرد على رسول الله ﷺ، والعلماء بسنته»^(١).

وهكذا يرسم الشيخ رحمه الله منهجه في أصول الدين، والذي هو منهج السلف الصالح الموافق للمعقول والمنقول، وللإسلام والسنة والكتاب والرسول ﷺ. ويبين منهج المخالفين ويرفضه ويحذر عنه لأنه بدعة وضلالة وفاسد في نفسه ومخالف للمعقول ولدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم.

وبعد هذا الاستعراض لمنهج الشيخ يمكن إيجاز منهجه بالنقاط التالية :

١ - العلم بالله وبرسوله ﷺ ودين الإسلام بأدلتها كما هو الواجب على كل مسلم ومسلمة - والعمل بهذا العلم - والدعوة إلى ذلك - والصبر على الأذى في ذلك.

٢ - اعتبار أن مصدر العلم بالدين أصوله وفروعه، مسائله ودلائله، علومه وأعماله، هو الوحي إلى النبي ﷺ من قرآن أو سنة، وكذلك إجماع سلف الأمة من أهل السنة والجماعة يعتبر حجة يجب الأخذ بها.

٣ - الأقبال على القرآن والسنة وطلب الهدى منها، واتباعها وتقديمها على جميع ما خالفها مهما كان أمره، وعدم الاعراض عنها بحجة أنه لا يفهمها إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا، أوصافاً لعلها لا توجد تامة في أبى بكر وعمر، وليست الآراء المتفرقة والأهواء المختلفة، والعقول البشرية ومناهج أهل الكلام والفلسفة، والمعرضين عن الكتاب والسنة، مصدر علم وهداية، بل هي مصدر ضلال وغواية.

٤ - اتباع الرسول ﷺ في سنته واتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده. واحترام علماء الأمة وأئمتها المشهود لهم بالسنة والاستقامة كالأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم، والاستفادة من فقههم وعلمهم.

٥ - ترك الابتداع ومجانبة البدع وإزالتها وهجر أهلها ورفض بدعهم وبيان مساوئها والتحذير منها.

٦ - بيان ما هو العلم؟ ومن هم العلماء؟ ومن هم الأولياء؟ وبيان من تشبه بهم

(١)، (٢) المصدر السابق.

وليس منهم كما بين الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ ، نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، بعد أن صار العلم عند أكثر الناس هو البدع والضلالات ومن بين العلم الصحيح يتهم بالزندقة والجنون .

٧ - وزن جميع أقوال الناس وأعمالهم وأراداتهم وما يحدث من الحوادث بالقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة من أهل السنة والجماعة فما لم يخالف ذلك قبل ، وما خالف فهو البدعة المردودة ، وهذا حسب منهج أهل السنة والجماعة ، فان العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح ، وهو الميزان الذي أنزله الله مع الكتاب ، وذلك صالح لكل زمان ومكان وحال .

والخلاصة : أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يذهب مذهب أهل السنة وينهج منهجهم ويسلك طريقتهم في علمه وعمله ، وقد وافق في منهجه وطريقته المنهج السلفي علما وعملا والله أعلم ، ومن بيان منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عقيدته ومبادئ تطبيقها نتقل إلى الفصل الذي بعده في بيان مجمل عقيدة الشيخ محمد السلفية .

الْفَصْلُ الثَّانِي مُجْمَلُ عَقِيدَتِهِ

أصول الإيمان :

يقول الشيخ : «أصول الإيمان ستة أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»^(١).

ويقول يخاطب جماعة كتب إليهم عما يعتقدونه : «أشهد الله ، ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني اعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره»^(٢) أ - هـ .

ويقول الشيخ يدعو إلى الإيمان : «وإذا قيل لك ما الإيمان فقل هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره كله من الله والدليل قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾»^(٣).

هذه العبارة التي عبر بها الشيخ بيانا واعتقادا ودعوة قد تضمنت أصول الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل^(٤) . وقد ألف الشيخ كتابا في أصول الإيمان ، اشتمل على أبواب عديدة ، يورد تحت كل باب ما يناسبه من النصوص وأكثرها من الحديث الشريف^(٥).

(١) الدرر السنية، ج ١ ص ٩١ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، تلقين أصول العقيدة للعامة ، ص ص ٣٧٢-٣٧٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، ص ٨ .

(٣) الدرر السنية ط ٢ ، ج ١ ص ٨٨ .

(٤) انظر : مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ص ١٩٢ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ،

التفسير ، ص ، ص ٨٤ ، ١٠٠ .

(٥) انظر : مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ص ٢٢٩ .

ويقول الشيخ: إن الإيمان بالأصول الستة هو الإيـان الشرعى^(١).

الإيمان بالله تعالى :

إن الشيخ يؤمن بالله ، يثبت وجوده ، وأنه متصف بصفات الجلال والعظمة والكمال منزّه من كل عيب ونقص ، وأنه المستحق للعبادة كلها ، لا إله غيره ولا رب سواه .

ويعتقد أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل - بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ وهو السميع البصير ﴿ وقال تعالى : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ .

يقول الشيخ فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكيف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل « فلا أنفى عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا ألحد فى أسمائه وآياته ، ولا أكيف ، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لأنه تعالى أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً ، لا سمى له ، ولا كفوله ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه » ليس كمثله شئ وهو السميع البصير^(٢) ، والله أحد وهو الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد^(٣) .

ويقول الشيخ : « التوحيد نوعان : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية » .

أما توحيد الربوبية فهو : أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم ، والاقرار بهذا حق ، لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل فى الإسلام ، لأن أكثر الناس مقرون به .

قال الله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ١ ص ١٠٤ ، مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، العلق ، ص ٣٧٢ .

(٢) انظر : مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية ، ١ ص ٨ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ١٠ ، ص ١٢ ، وانظر : الدرر السنية ،

ط ٢ ، ج ٣ ص ٢٠٧-٢٦٢ ، جواب الشيخ همد بن ناصر بن معمر وكان قد سئل عن اعتقاد الشيخ فى بعض نصوص الصفات .

والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله - فقل أفلا تتقون ﴿ يونس : ٣١ ﴾ .

ويقول الشيخ : «إن هذا التوحيد هو الذى أقر به الكفار ، ويستدل بالآية المذكورة» .

ويقول الشيخ : «وأما توحيد الألوهية فهو : اخلاص العبادة لله وحده عن جميع الخلق لأن الإله فى كلام العرب هو الذى يقصد للعبادة ، وكانوا يقولون : إن الله سبحانه هو إله الآلهة ، لكن يجعلون معه آلهة أخرى ، مثل الصالحين والملائكة وغيرهم ، يقولون : إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده . فإذا عرفت هذا معرفة جيدة تبين لك غربة الدين وقد استدل عليهم سبحانه بأقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم ، لأنه إذا كان هو المدبر وحده ، وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة - فكيف يدعون معه غيره مع أقرارهم بهذا؟^(١) .

إذا فتوحيد الألوهية هو : أن لا يعبد العبد إلا الله وحده ولا يشرك معه فى العبادة أحدا لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، فضلا عن من دونها . وهذا هو الذى يدخل الرجل فى الإسلام^(٢) . وذلك أن من أتى به فقد أتى بتوحيد الربوبية لأنه متضمن له ، وهو من نتائج توحيد الربوبية الواجبة^(٣) .

أما توحيد الأسماء والصفات : وهو الاقرار بها كما وردت فى الكتاب والسنة نفيا وإثباتا من غير تمثيل ولا تعطيل ، ولا تحريف فى اللفظ والمعنى عن ظاهره اللاتق بالله تعالى ولا تكييف ، فإن الشيخ يجعله مع توحيد الربوبية بجامع أنها نوع واحد هو : توحيد المعرفة والاثبات .

ويقول الشيخ : وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ، ولا توحيد الألوهية إلا بالاقرار بالصفات ، لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات^(٤) . ذلك أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أصل العلوم ، وبمعرفتها يستدل على التوحيد^(٥) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى مسألة رقم ٧ ص ٤٢ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية ، رسالة ١١ ص ٦٤ ، ٦٥ ورسالة ٢٢ ص ص

١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) المصدر السابق رقم ١٨ ص ص ١٢٠-١٢٢ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى رقم ٧ ص ٤٢ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، العلق ص ٣٧٢ .

وأن التوحيد لا يكون إلا عن العلم بأنه لا إله إلا الله بيقين، والشهادة بذلك نطقاً باللسان مع تصديق القلب، وعمل الجوارح بمقتضاه، وهذا يعنى المعرفة التامة بتفرد الله فى ربوبيته وأسمائه وصفاته، كما عليه المسلمون من أهل السنة والجماعة، أتباع رسول الله ﷺ، الذى هو أعلم الأمة برب العالمين ووحدانيته.

وقد بين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله فلا تكون إلا باثبات الصفات والأفعال فمن شهد أن لا إله إلا الله، لابد أن يثبت الصفات، لأنه يشهد أن لا معبود بحق إلا الله وكون الله تعالى هو المعبود وحده، يدل على علمه العظيم، وقدرته العظيمة، وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات، ومن هنا يثبت جميع الصفات، بخلاف من ظن أن معنى لا إله إلا الله، أى لا يقدر على الخلق إلا الله، فإن الأمر يؤول به إلى انكار الصفات أيضاً^(١). لأن منكر الألوهية هو منكر لحقيقة الربوبية والأسماء والصفات ولا يغلط فى توحيد الألوهية إلا من لم يعط توحيد الربوبية حقه^(٢). وأهل الجاهلية وإن أقرروا بتوحيد الربوبية فإنهم لم يعطوه حقه وهو توحيد العبادة فلذلك كانوا مشركين ولم ينفعهم توحيد الربوبية حيث لم يعطوا حقه^(٣).

أما منكر الصفات فإنه منكر لحقيقة الألوهية فإن من شهد أن لا إله إلا الله صدقاً من قلبه لابد أن يثبت الصفات والأفعال، ولذا آل الأمر بمن ينكر الصفات إلى إنكار الرب^(٤) تعالى.

ويقرر الشيخ أن الربوبية والألوهية يجتمعان فى اللفظ فيفترقان فى المعنى، ويفترقان فى اللفظ فيجتمع المعنيان فى لفظ كل واحد من اللفظين المفترقين، أى يفترقان إذا ذكرا معاً كما فى قوله تعالى: ﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس ، إله الناس ﴾ وكما يقال رب العالمين وإله العالمين وإله المرسلين. ويجتمعان عند الأفراد كما فى قوله: ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ (الحج: ١٦٤). وقوله: ﴿ قل أغير الله أبغى ربا ﴾ (الأنعام: ١٦٤). وقوله: ﴿ إن

(١) انظر: الدرر السنية، ج ١، ص ٦٩-٧١ ومؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى، ص ٤٢-٤٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٨ ص ١٢٠-١٢٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية، رسالة رقم ١٨ ص ١٢٠-١٢٢.

(٤) انظر: الدرر السنية، ط ٢، ج ١ ص ٧٠-٧١.

الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴿ (فصلت: ٣٠، الأحقاف: ١٣) . وكما في قولهم : ﴿ ربنا رب السموات والأرض ﴾ (الكهف: ١٤) . وكما في قول القائل : من ربك؟ وقول الملكين في القبر من ربك؟ ومعناه من إلهك؟ لأن الربوبية التي أقربها المشركون ما يمتحن أحد بها .

فالربوبية في هذا ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران - قال : فينبغي التفطن لهذه المسألة ، مثاله الفقير والمسكين : نوعان في قوله : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾ (التوبة: ٦٠) - ونوع واحد في قوله : (افترض الله عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم)^(١) .

فعلى هذا يقرر الشيخ أن الربوبية إذا قرن ذكر لفظها مع الألوهية تكون قسيمة للألوهية وتفسر بأشهر معانيها وهو أنها تعنى فعل الرب مثل الخلق والرزق والأحياء والاماتة وإنزال المطر وإنبات النبات وتدبير الأمور .

وكذا الألوهية تفسر بأشهر معانيها ، وهو أنها تعنى فعل العبد التعبدي مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرغبة والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة^(٢) .

ويقول الشيخ في تلازم الربوبية والألوهية في جواب حين سئل رحمه الله : ما قول الشيخ في تسمية المعبودات أربابا : إذ الرب يطلق على المالك ، والمعبود على الإله وكل اسم من أسمائه جل وعلا له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم . الجواب : الرب والإله في صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفة ، الرب من الملك والتربية بالنعم ، والإله من التأله وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبادة . ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله ، فسموا معبوداتهم أربابا من دون الله لأجل ذلك أى لكونهم يسمون الله ربا بمعنى إله^(٣) .

والإله اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق وهو الله

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٢ ص ١٧ والقسم الرابع ، التفسير ، الكهف ، مسألة ٧ ص ٢٤٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، الرسالة الرابعة ، تلقين أصول العقيدة للعامة ص ٣٧١ ، والقسم الخامس ، الشخصية رقم ٧ ص ٤٧ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى رقم ٨ ص ٤٣ .

تعالى ، وهو الذى يخلق ويرزق ويدبر الأمور ، والتأله التبعيد^(١) .

وقول الله تعالى : ﴿إِلَهَ النَّاسِ﴾ أى معبودهم الذى لا معبود لهم غيره فلا يدعى ولا يرجى ولا يخلق ولا يرزق إلا هو ، فخلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم بربوبيته ، وقهرهم وأمرهم ونهاهم ، وصرفهم كما يشاء بملكه واستعبدهم بالالهية الجامعة لصفات الكمال كلها^(٢) .

ويقرر الشيخ أن النهي عن الشرك والأمر بلا إله إلا الله ليس أحدهما مكررا للآخر ، بل هما أصلان كبيران ، وإن كانا متلازمين .

والنهي عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت ولا إله إلا الله تستلزم الإيمان بالله ، وقد قرن الأنبياء بين النهي عن الشرك والأمر بالتوحيد^(٣) .

والتوحيد مبنى على أن الله واحد فى ملكه وأفعاله لا شريك له ، وهذا هو توحيد الربوبية وواحد فى ذاته وصفاته لا نظير له ، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات ، وواحد فى الاهيته وعبادته لا ند له ، وهذا هو توحيد الألوهية ، وهذه الأنواع على ترتيبها متلازمة ، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر فما ذاك إلا لأنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب ، فهى وحدة مترابطة ، وهذا يتبين المراد بتنوع التوحيد وأنه ليس كل نوع يمكن أن يؤتى به منفصلا عن الآخر .

وان شئت قلت التوحيد نوعان : توحيد فى المعرفة والاثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد فى الطلب والقصد ، وهو توحيد الالهية والعبادة ، كما فعل الشيخ رحمه الله تعالى تبعا لشيخ الإسلام ابن تيمية^(٤) .

ولا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل فان اختلف شىء من هذا لم يكن الرجل مسلما .

فان عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٨٧-٣٨٨ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٣ ص ١٦٣ .

(٤) انظر التدمرية أولها ، وإبطال التنديد للشيخ حمد بن عتيق ص ٣ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ،

الشخصية رقم ١١ ص ٦٤ ، ٦٥ ورقم ١٨ ص ١٢٠-١٢٢ ورقم ٢٢ ص ١٥٠-١٥١ .

وإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً، وهو لا يعتقده بقلبه، فهو منافق خالص، وهو شر من الكافر ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ (النساء: ١٥٤) - وهذا كثير أيضاً^(١).

وهكذا يقرر الشيخ التلازم بين توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الألوهية ويقول: بأن الله تعالى يعرف عباده بتقرير ربوبيته، ليرتقوا بها إلى معرفة إلهيته، التي هي مجموع عبادته على مراده نفياً وإثباتاً، علماً وعملاً، جملة وتفصيلاً، ويقول: «فاعلم أن أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله رب كل شيء ومليكه ومدبره بارادته، فإذا عرفت هذا فانظر ما حق من هذه صفاته عليك، بالعبودية، بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره ونهيه^(٢)، فإن الله قد استعبد الناس بالالهية الجامعة لصفات الكمال كلها^(٣).

ويقول الشيخ: في سورتي الاخلاص بيان العقيدة السلفية الصحيحة^(٤)، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد والقصد^(٥). وسميتا بسورتي الاخلاص لأن ﴿قل هو الله أحد﴾ خلصت قارئها من الشرك العلمي، كما خلصته ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ من الشرك العملي، ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وسائقه والحاكم عليه، كانت ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قل يا أيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن^(٦).

وقد جعل السلف سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ أصلاً في الرد على المشبهة والمعطلة، وفي التمييز بين مثبتى الرب الخالق الأحد الصمد، ومن المعطلين، من قوله: ﴿الله أحد الله الصمد﴾^(٧).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٧٩-١٨٠ والقسم الرابع، التفسير، الحجر ص ١٩٦ والقسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ٩٦، والدرر السنية ج ٢ ص ٦٢، ٦٣، ج ٨ ص ٨٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٥ ص ١٧٤.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، الناس ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٣٥.

(٦) المصدر السابق ص ٣٥، ٣٦.

(٧) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، رقم ١٠ ص ١/٢، ورقم ٩٢

ص ٨٠، ٨١.

﴿ قل هو الله أحد ﴾ السورة متضمنة لما يجب اثباته له تعالى من الأحدية
المنافية لمطلق الشراكة بوجه من الوجوه .
ونفي الولد والوالد المقرر لكمال صمديته وغناه وأحديته .
ونفي الكفاء المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير .
فتضمنت إثبات كل كمال ، ونفي كل نقص ، ونفي إثبات شبيه له أو مثيل في
كماله ، ونفي مطلق الشرك ، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الذي يباين
صاحبه جميع فرق الضلال والشرك^(١) .

كما جعلوا سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ أصلا في التمييز بين من يعبد الله
وبين غيره وإن أقر كل منهما بأن الله رب كل شيء ومليكه ، والتمييز بين المخلصين
وبين المشركين من قوله : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾^(٢) .
والتوحيد أعظم الفرائض ، أعظم من فريضة الصلاة والزكاة والصوم ، كما أن
الشرك أعظم المحرمات ، أعظم تحريما من الزنا والسرقة والكبائر .
والتوحيد رأس أعمال أهل الجنة ، كما أن رأس أعمال أهل النار الشرك بالله
تعالى^(٣) .

والشيخ يعتقد : أن الإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة
والبراءة من الشرك وأهل الشرك^(٤) .

فالتوحيد هودين الفطرة ، التي فطر الله الناس عليها : قال تعالى : ﴿ فأقم
وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين
القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (الروم : ١٣٢) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، مسألة رقم ٨٢ ص ٥٧ ورقم ٩٢ ص ٨٠ ، ٨١ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٣٠ - مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ،
العقيدة ، كشف الشبهات ص ١٧٢ ، وص ٣٨١ ، ومعنى الطاغوت ص ٣٧٦ والقسم الخامس ، الشخصية
رقم ٢٨ ص ١٨٩ . ومؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله
إلا الله ص ٢٠-٢٢ ، وشرح ستة مواضع من السيرة ص ٣٥٣-٣٥٥ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، ثلاثة الأصول ص ١٨٩ .

وهو الصراط^(١) المستقيم كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام: ١٥٣) .

وهو شهادة الحق والعمل بمقتضاها ، كما في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا» .

وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .
وهو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك^(٢) .
وهو الذي بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ .

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ (هود: ١١٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء» رواه مسلم ورواه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه : ومن الغرباء ؟ قال : «النزاع من القبائل ، وفي رواية الغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس - وللترمذي من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده : طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي»^(٣) .

وفي حديث عمرو بن عبسة السلمي الذي في صحيح مسلم (المجلد الأول ص ٥٦٩ ، باب اسلام عمرو بن عبسة) أنه لما جاء إلى رسول الله ﷺ بمكة قال له : وما أنت ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا نبي - فقال له : وما نبي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أرسلني الله - فقال : بأي شيء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء - فقال له : ومن معك على هذا . قال : حرو عبد .

قال الشيخ في هذا الحديث أن عمرو بن عبسة فهم المراد من التوحيد وأنه توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وكسر الأوثان ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، فضل الإسلام ص ٢٠٣-٢٢٢ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، ثلاثة الأصول ص ١٨٩-١٩١ ، فضل الإسلام ص ٢٠٩ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٣ وص ص ١٥-١٧ وأصول الإيمان ص ٢٧١-٢٧٢ ، ومفيد المستفيد

ص ص ٢٨٤-٢٨٥ .

بشدة العداوة وتجريد السيف ، وأن هذا أمر كبير غريب ، ولأجل هذا قال من معك على هذا؟ قال : «حروعبد» فأجابه أن جميع العلماء والعباد والملوك والعامّة مخالفون له ، ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر ، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون مع أقل القليل ، وأن الباطل قد يملأ الأرض . والله در الفضيل بن عياض رحمه الله - حيث يقول : لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين ، وأحسن منه قوله تعالى : ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ﴾ (١) .

وهوملة إبراهيم ، الذى كان أمة قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين ، وهو الأسوة الحسنة التى أخبر بها الله فى كتابه فقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، اذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ (المتحنة : ٤) .

وقد سفه نفسه من رغب عن هذه الملة ، فلا خير إلا فيها ، ولا شر إلا فيما خالفها ، حنيفية فى التوحيد سمحة فى العمل إلى قيام الساعة ، ووسعت جميع الناس ، فأمرُوا باتباعها ﴿ وما أمرُوا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

وأمر رسول الله ﷺ باتباعها كما قال تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ (النحل : ١٢٣) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن لكل نبي ولاية من النبيين وإن وليي أبى خليل ربي» ثم قرأ : ﴿ ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾ رواه الترمذى (٢) فى التفسير والإمام أحمد فى المسند (٣) .

ويقول الشيخ : «وتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل الشرك ، وإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله» (٤) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مفيد المستفيد ، ص ص ٢٨١-٢٨٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، فضل الإسلام ص ٢١٩ .

(٣) انظر : تحفة الأحوذى ص ٣٤٤ ومسند أحمد : ٤٠١/١ ، ٤٣٠ .

(٤) مؤلفات التوحيد ، القسم الأول ، مفيد المستفيد ص ٢٩٧ .

ويزيد الشيخ هذا المعنى إيضاحاً في ثمان حالات إستنبطها من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَاِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس : ١٠٤) .

قال رحمه الله : فيه ثمان حالات :

الأولى : ترك عبادة غير الله مطلقاً ولو جادله أبوه وأمه بالطمع الجليل والاختافة الثقيلة كما جرى لسعد رضى الله عنه مع أمه .

الحالة الثانية : أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لا يفتن لما يريد الله من قلبه من اجلاله ورهبته ، فذكر هذه الحالة بقوله : ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ .

الحالة الثالثة : ان قدرنا أنه ظن وجود الترك والفعل فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ، ولوم يقض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت الذين يبلغون الغاية في العداوة ، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

الحالة الرابعة : ان قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين ، والجد والصدق هو اقامة الوجه للدين .

الحالة الخامسة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع ، فلا بد له من مذهب ينتسب إليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، ويترك كل مذهب سواها ، ولو كان صحيحاً ففي الحنيفية عنه غنية .

الحالة السادسة : إنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس فلا بد أنه يترأ من المشركين فلا يكثر سوادهم .

الحالة السابعة : ان قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ، فقد يدعو من غير قلبه نبياً أو غيره لشىء من مقاصده ولو كان دَيناً يَظُنُّ أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصاً عند الخوف أنه لا يدخل في هذه الحال .

الحالة الثامنة : ان ظن سلامته من ذلك كله ، لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصليح الناس قد صار من

الظالمين ، أو يقول كيف يكفر وهو يحب الدين ويبغض الشرك؟ وما أعز من يتخلص من هذا ، بل ما أعز من يفهمه ، وإن لم يعمل به ، بل ما أعز من لا يظنه جنونا^(١) .
ومن ذلك يستنتج الشيخ أن أصل الدين وقاعدته أمران :
الأول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له والتحرى على ذلك والموالة فيه وتكفير من تركه .

الثانى : الانذار عن الشرك فى عبادة الله والتغليظ فى ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله^(٢) .

وهذا هو الذى بعث به الرسل إلى أممهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾^(٣) (النحل : ٣٦) .

الإيمان بالملائكة :

والشيخ يؤمن بالملائكة ويصدق بوجودهم ويعتقد أنهم عباد لله مكرمون ، لا يسبقون الله بالقول ، وهم بأمره يعملون ، والله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشية الله مشفقون^(٤) .

وقال الشيخ فى كتاب أصول الإيمان باب ذكر الملائكة والإيمان بهم : ثم يستدل على الإيمان بهم بقول الله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ﴾^(٥) (البقرة : ١٧٧) .

ويستدل الشيخ بقول الله تعالى : ﴿ وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾^(٦) (النجم : ٢٦) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد باب «أشركون ما لا يخلق شيئا» ص ٤٧ والرسالة الحادية عشرة ، ص ص ٣٩٠-٣٩٢ والقسم الرابع ، التفسير ، يونس ص ص ١١٣-١١٤ ، وثبت ص ٣٨١ .

(٢) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٢ ص ١٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، ص ٧ وص ١١ .

(٤) القسم الرابع ، التفسير ، الأعراف ص ٨٤ ، وتفسير آيات ص ٣٧٧ ، والقسم الأول ، مسائل انجالية ، ص ٣٥٠ ، وأصول الإيمان ، ص - ص ٢٤٨-٢٥٥ . وانظر : تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٧٦ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٤٨ .

(٦) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ٥١ .

ويؤمن من الشيخ بكل ما ورد من وصفهم وذكرهم وأصنافهم وأعيانهم في القرآن الكريم والسنة الشريفة . قال في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، وهو العلى الكبير ﴾ (سبأ : ٢٣) .

ثم أورد الشيخ حديثاً من صحيح البخارى^(١)، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : «إذا قضى الله الأمر فى السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ، حتى إذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العلى الكبير» الحديث .

قال الشيخ فيه تفسير الآية وسبب سؤالهم عن ذلك ، وأن الغشى يعم أهل السموات كلهم^(٢) .

ويقول الشيخ فى كلامه عن الفوائد من قصة آدم وإبليس : «ومن فوائدها الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم^(٣) ، وذكر الشيخ من صفاتهم أنهم ينزلون على الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا بأن لا يخافوا ولا يحزنوا ويبشروا بالجنة التى كانوا يوعدون - قال تعالى : ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾ (فصلت : ٣٠) . ومنهم مقربون ومع ذلك ، هم عبيد الله تعالى لا يستنكفون من ذلك كما قال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ (النساء : ١٧٢) .

وقال تعالى : ﴿ وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ (الأنبياء : ١٩ ، ٢٠) .

وجعلهم الله رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع قال تعالى : ﴿ جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ (فاطر : ١) .

ومنهم حملة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كما قال تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ (غافر : ٧) .

(١) صحيح البخارى ، ج ٥ ص ٢٢١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ، ص ٤٨-٥٠ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ٨٤ ، ٩١ .

وقد خلقوا من نور كما في الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من النور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» رواه مسلم وغيره^(١).

وهم كثيرون - قال الشيخ - لما ثبت في بعض أحاديث المعراج أنه ﷺ رفع له البيت المعمور الذى هو فى السماء السابعة وقيل السادسة بمنزلة الكعبة فى الأرض وهو بحيال الكعبة حرمة فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم^(٢).

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: «ما فى السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد، أو ملك قائم»، فذلك قول الملائكة: ﴿ وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبحون ﴾ (الصفات: ١٦٥، ١٦٦).

قال الشيخ رواه محمد بن نصر وابن أبى حاتم وابن جرير وأبو الشيخ^(٣).
وقد وصف بعضهم بعظمة خلقه، كما فى الحديث عن جابر رضى الله عنه - قال - قال رسول الله ﷺ: «أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» رواه أبو داود، والبيهقى فى الأسماء والصفات والضيء فى المختارة^(٤).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم، ص ٢٤٨. وانظر: البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير ج ١/ ص ٥٨، ورواه مسلم فى الزهد ج ٤ ص ٢٢٩٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ص ٢٤٨ وص ٢٤٩. وانظر: صحيح البخارى، ج ٤، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ص ٧٧-٧٨. والبداية والنهاية لابن كثير ج ١/ ص ٤٤، ٤٥ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢-٢٤.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٤٩، وانظر: تفسير ابن جرير الطبرى ج ٢٣ ص ١١٢ - والبداية والنهاية لابن كثير، ج ١ ص ٤٦، وقال البخارى: قال ابن عباس (لنحن الصافون) الملائكة، صحيح البخارى ج ٤ ص ٧٧.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٤٩، وانظر: سنن أبى داود ج ٢ ص ٥٣٤، وانظر: مختصر سنن أبى داود للمنذرى ج ٧ ص ١١٧، رقم ٤٥٦٠، وفى عون المعبود حاشية سنن أبى داود قال: «والحديث اسناده صحيح» ثم قال: «والحديث أخرجه أيضا، المقدسى فى المختارة والبيهقى فى كتاب الأسماء والصفات، وسكت عنه المنذرى» (ج ٤ ص ٣٧٣).

وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية، ج ١ ص ٤٦، وص ١٣.

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: «رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح» ج ١/ ٨٠.

ومن سادتهم جبريل عليه السلام قد وصفه الله تعالى بالأمانة وحسن الخلق والقوة فقال تعالى: ﴿ علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ﴾ (النجم: ٥، ٦).

ومن شدة قوته رفع مدائن قوم لوط عليه السلام، وكن سبعا بمن فيهن من الأمم وكانوا قريبا من أربعمئة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات، وما لتك المدائن من الأراضى على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى وقوله ذو مرة أى ذو خلق حسن وبهاء وسناء وقوة شديدة قال معناه ابن عباس رضى الله عنها.

وقال غيره: ذو مرة أى ذو قوة.

وقال تعالى فى صفته: ﴿ إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين، مطاع ثم أمين ﴾ (التكوير: ١٩-٢٠).

أى له قوة وبأس شديد، وله مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند ذى العرش المجيد، ﴿مطاع ثم﴾ أى مطاع فى الملأ الأعلى ﴿أمين﴾ أى ذى أمانة عظيمة. ولهذا كان السفير بين الله وبين رسله.

وقد كان يأتى إلى رسول الله ﷺ فى صفات متعددة، وقد رآه على صفته التى خلقه الله عليها مرتين وله ستائة جناح روى ذلك البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله رضى الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فى صورته له ستائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم. قال الشيخ اسناده قوى^(١).

وللبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبرائيل

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٠.

وانظر: تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ٢٤٧-٢٤٩، ٤٧٩، ٤٨٠ - والبداية والنهاية له أيضا ج ١ ص ٤٧ - وتفسير ابن جرير الطبرى ج ٢٧ ص ٤٢، ٤٣، ج ٣٠ ص ٨٠ - وصحيح البخارى، ج ٤ كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ص - ص ٨٠-٨٤.

«ألا تزورنا أكثر مما تزورنا» فنزلت: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾^(١) (مريم: ٦٤).

ومن ساداتهم ميكائيل عليه السلام وهو موكل بالقطر والنبات^(٢).

ومن ساداتهم إسرافيل وهو صاحب الصور أي الذي ينفخ في الصور.

وروى الترمذى وحسنه والحاكم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فينفخ» قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»^(٣).

وجبرائيل وميكائيل وإسرافيل من المختارين المصطفين من الملائكة كما قال النبي ﷺ: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة»^(٤) قال ومن ساداتهم ملك الموت ولم يحيى مصرحاً باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة وقد جاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير: وقال إنهم بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام، فمنهم حملة العرش ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم مع حملة العرش أشرف الملائكة وهم المقربون كما قال تعالى: ﴿لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقربون﴾ (سورة النساء الآية: ١٧٢).

ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة دائمة ليلاً ونهاراً - كما قال تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (سورة الأنبياء الآية: ٢٠). ومنهم الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور. قال الشيخ: «قلت: الظاهر أن

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٥١، وانظره: في صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ج ٤ ص ٨٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، ص ٢٥٢، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير، ج ١ ص ٤٩، ٥٠.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٥٢، وانظر: مسند أحمد ٣/٧٣، والترمذى في أعلا صحائف تحفة الأحوذى ج ٧ ص ١١٧-١١٨ وقال صاحب تحفة الأحوذى: وأخرجه الحاكم وصححه (نفس الجزء والصفحة).

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ٨، وانظر: صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ج ١ ص ٥٣٤.

الذين يتعاقبون إلى البيت المعمور سكان السموات ، ومنهم موكلون بالجنان وإعداد الكرامات لأهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها ، من ملابس ومأكل ومشرب ومصاغ ومساكن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ومنهم الموكلون بالنار «أعاذنا الله منها» وهم الزبانية ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على الخزنة وهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (سورة المؤمن الآية : ٤٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَنادوا يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ (الزخرف : الآية ٧٧) .
وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ^(١) (سورة التحريم الآية : ٦) .

وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً — إِلَى قَوْلِهِ : — وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (سورة المدثر الآية : ٢٠ ، ٢١) .

ومنهم الموكلون بحفظ بنى آدم كما قال تعالى : ﴿ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (سورة الرعد الآية : ١١) .

قال ابن عباس ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء أمر الله خلوا عنه .

وقال مجاهد ما من عبد إلا وملاك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شيء يأتيه يريد له إلا قال له وراءك إلا شيء يأذن الله تعالى فيه فيصيبه .

ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (سورة ق الآية : ١٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة الانفطار الآية : ١٠-١٢) .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٥٣ . وانظر: البداية والنهاية ج ١ /

قال الحافظ بن كثير ومعنى اكرامهم أن يستحى منهم فلا يملى عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها فإن الله خلقهم في خلقهم وأخلاقهم . ثم قال ما معناه إن من كرمهم أنهم لا يدخلون بيتا فيه كلبا ولا صورة ولا جنب ولا تمثال ولا يصحبون رفقة معهم كلب أو جرس (١).

وروى مالك والبخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» وفى رواية أن أبا هريرة قال : اقرأوا ان شئتم : ﴿ وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ (سورة الأسراء الآية : ٧٨) .

وروى الإمام أحمد ومسلم حديث : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» . وفى المسند والسنن حديث : «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» والأحاديث في ذكرهم عليهم السلام كثيرة جدا (٢).

الإيمان بكتب الله :

والشيخ يؤمن بكتب الله ويصدق بأنها كلام الله ، وأنها حق وبور وهدى ، وما سمي الله منها كالطورا والانجيل والزبور يؤمن بها بأسماؤها ، كما يؤمن بأن الله كتبها أخرى لا يعلم أسماؤها وعددها إلا الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى : ﴿ قولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٥٤ ، وانظر : البداية والنهاية فى التاريخ لابن كثير ١/ ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٥٥ . وانظر : تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ج ١ ص ٥٨٥٣ حيث اقتبس منه الشيخ كثيرا مما هنا وصحيح البخارى ج ٤ ص ٨١ وصحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٧٤ .

مسلمون ، فان آمنوا بمثل ما آمنت به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيهم الله وهو السميع العليم ﴿ (البقرة: ١٣٦-١٣٧) .

قال الشيخ رحمه الله فيها أمر الله أن نقول ما ذكر في الآية وليس هذا من إظهار العمل الذي إخفاؤه أفضل ، والإيمان بجميع المنزل وعدم التفريق بين أحد منهم والتصريح بالإسلام وباخلاص ذلك لله وليس هذا من الثناء على النفس ، بل من بيان الدين الذي أنت عليه ، ولهذا قال بعض السلف ينبغي لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه ، وفيها التصريح بأن الإيمان هو العمل^(١) .

ويعتقد الشيخ أن القرآن ، هو الكتاب لا ريب فيه ، كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ^(٢) .

وأنه الكتاب الكامل المهيمن على الكتب السابقة لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، وينفقون مما رزقهم الله وقول الله تعالى : ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ . قال الشيخ : « هذا من عطف الخاص على العام »^(٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿ كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾ (الاعراف: ٢، ٣) .

يقول الشيخ : في ذلك وصف القرآن بأنه كتاب منزل إلى النبي ﷺ والنهي عن الحرج بقاء التفريع : ﴿ كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ وذكر الحكمة في ذلك وهي الانذار العام والذكر الخاص ، والأمر باتباعه والتحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ والنهي عن اتباع ما سواه^(٤) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، والتفسير ص ص ٣٩ ، ٤٠ ، والقسم الأول ، العقيدة ، مسائل الجاهلية ص ٣٥٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ٩ .

(٣) الدرر السنية ، ج ١٠ ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٩٦ .

وقول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف: ١-٣) .

يستنبط الشيخ من هذه الآيات أن القرآن كاف عما سواه من الكتب ، وأنه المراد بأحسن القصص لا قصة يوسف وحدها ، وأن قوله: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ أى هذه آيات الكتاب المبين الواضح الذى يوضح الأشياء المبهمة - وقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أى تفهمون معانيه والقصص مصدر قص الحديث يقصه قصصا أى بإيجازنا إليك هذا القرآن - وقوله: ﴿ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ أى الجاهلين به . وهذا مما يبين جلالة القرآن ، لأن فيه دلالة على أن علمه ﷺ من القرآن ، وفيه دلالة على جلالة الله وقدرته ، ودلالة على عظيم نعمته على نبيه ﷺ وفيه دلالة على كذب من ادعى أن غيره من الكتب أوضح منه^(١) .

وفى قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ، رَبِّمَا يُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ (الحجر: ١، ٢) .

يقول الشيخ ما معناه بأن فيها الترغيب فى القرآن بجمعه بين الوصفين: الكتاب وقُرْآن مبين ، فقوله الكتاب معرّف بالألف واللام لاستغراقه معنى الكتاب وقُرْآن مبين^(٢) . والذكر هو القرآن ، وقد حفظه الله عن شياطين الجن والإنس ، حفظا كافيا فى تصديق الرسول ﷺ عن انزال الملائكة كما يقترح المعاندون ، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الَّذِى نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ، لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . مَا نَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مِنْظَرِينَ . إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩٦) .

وفى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ (الحجر: ٨٧) .

قال الشيخ: فيها: المنة بايتاء السبع المثاني والقرآن العظيم ، وفيه التعزية عما

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٢٧-١٢٨ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٨٣ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ١٨٤-١٨٥ .

أصابه وعما صرف عنه^(١). والقرآن الكريم تبيان لكل شيء كما قال الله تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾ (النحل : ٨٩) .

فمن ابتغى الهدى من غيره ضل كما قال تعالى : ﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقیض له شیطاناً فهو له قرین ، وانهم لیصدونهم عن السبیل ویحسبون أنهم مهتدون ﴾^(٢) (الزخرف : ٣٦-٣٧) .

ويقول الشيخ : وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله ﴿ تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (النحل : ٨٩) . فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ (الفرقان : ٣٣) .

قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة^(٣) .

ويبين الشيخ موقف المؤمن من متشابه القرآن فيقول : « ان الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ (آل عمران : ٧) .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم »^(٤) وهو عن عائشة رضى الله عنها - متفق عليه .
ففى هذا نعلم أن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه .

ونقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبى ﷺ لا يخالف كلام الله . . .
فالشيخ يرد المتشابه إلى المحكم ، ويؤمن بالجميع ويعلم أن المتشابه لا يناقض المحكم .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٩٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، فضائل القرآن ص ٢٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ص ص ١٦٠ ، ١٦١ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، أصول الإتيان ص ٢٥٨ ، والقسم الرابع ، التفسير ، فضائل القرآن

ص ٢٧ .

ويستدل الشيخ بما رواه ابن جرير عن سعد ابن أبي وقاص قال : أنزل الله على النبي ﷺ القرآن فتلاه زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ (١) (الزمر: ٢٣) .

ويقول الشيخ : « وما يدل على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب فقرأه عليه فغضب فقال : « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه أو يباطل فتصدقونه ، والذي نفسى بيده لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي » رواه أحمد وفي لفظ أنه استكتب جوامع من التوراة وقال : ألا عرضها عليك ، وفيه : « لو أصبح فيكم موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين »

قال الشيخ : وقد انتفع عمر بهذا فقال للذي نسخ كتاب دانيال امحه بالحميم والصوف الأبيض ، قرأ عليه أول هذه السورة ، وقال : « لئن بلغني أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأنهكنك عقوبة » (٢) .

وقال الشيخ في حديث نحو حديث قصة عمر هذه عن أبي هريرة رواه الاسماعيلي في معجمه وابن مردويه .

وقال الشيخ في حديث آخر تضمن قصة عمر بأسلوب آخر . عن عبد الله بن ثابت بن الحارث الأنصاري رواه عبد الرزاق وابن سعد والحاكم في الكنى (٣) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، يوسف ص ١٢٧ .

والحديث أخرجه ابن حبان كما في موارد الظمان ص ٤٣٢ وابن جرير في التفسير ج ١٢ ص ١٥٠ والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٣٤٥ وقال فيه صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، يوسف ص - ص ١٢٧-١٢٨ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ص ٢٥٨-٢٥٩ .

وانظر : تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص - ص ٤٦٦-٤٦٨ ، فقد خرج الروايات هناك ، ومسنده أحمد

وفي كتاب أصول الإيمان عقد الشيخ بابا سباه باب الوصية بكتاب الله عز وجل وقوله تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾ (الأعراف: ٣) .

وأورد في ذلك أحاديث عن النبي ﷺ منها ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي» وفي لفظ «كتاب الله هو حبل الله المتين من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة» رواه مسلم^(١) .

وله في حديث جابر، الطويل، أنه ﷺ قال في خطبة يوم عرفه : «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به - كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت» .

= ج ٣/ ٣٨٧ عن جابر، وروى نحوه البيهقي والديلمي وأبونصر السجزي في الإبانة عن جابر أيضا ورواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس وروى نحوه ابن عساكر عن ابن مسعود وعن أنس (كنز العمال ج ١ ص - ص ٢٠٠-٢٠١) وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن هذا الحديث أخرجه أحمد والزار من حديث جابر بنحوه ولا أحد أيضا وأبي يعلى من وجه آخر عن جابر بنحوه وأخرجه الطبراني عن أبي الدرداء وأخرجه أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن ثابت، وأخرج أبي يعلى من طريق خالد بن عرفطة قال كنت عند عمر فذكر قصة انكاره على من نسخ كتاب (دانيال وذكر الحديث) ثم قال الحافظ ابن حجر وهذه جميع طرق هذا الحديث وهي وإن لم يكن فيها ما يحتاج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلا (فتح الباري، ج ١٣ ص ٥٢٥) .

ومع ذلك فالحافظ ابن حجر لم يذكر من هذه الطرق ما أخرجه الشيخ من كتاب معجم الاسماعيلى ومن كتاب ابن مردويه عن أبي هريرة، وما أخرجه الشيخ رحمه الله، من مصنف عبد الرزاق وطبقات ابن سعد والكنى للحاكم عن عبد الله بن ثابت كما ذكرنا .

ولم يذكر تخريج مؤلف كنز العمال عند البيهقي والديلمي وأبونصر السجزي في الإبانة عن جابر، وتخريج مثله عند أحمد وابن ماجه عن ابن عباس، وتخريج نحوه عند ابن عساكر عن ابن مسعود وعن أنس وتخريجات آخر (انظر: كنز العمال ج ١ ص - ص ٢٠٠-٢٠١) .

والقصة بهذا لها أصل كما قال الحافظ ابن حجر ذلك رحمه الله فيستدل بها على أن القرآن كاف عما سواه من الكتب السابقة الساموية، مع دلالة الواقع الواضحة، والأدلة الأخرى من القرآن والسنة وقدمنا ذكر بعضها قبل قليل، وسيأتى ذكر بعض آخر .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٥٦ والقسم الرابع، فضائل القرآن ص ٢٢، ٢٤ . وانظر صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٩٠ وج ٤/ ١٨٧٣، ١٨٧٤ .

قال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس «اللهم اشهد» ثلاث مرات^(١).

وقد ألف الشيخ في فضائل القرآن الكريم كتاباً طبع مقدمة لما جمع من تفسيره فذكر الشيخ فيه باب فضائل تلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه ، وباب ما جاء في تقديم أهل القرآن واکرامهم وباب وجوب تعلم القرآن وتفهمه واستماعه ، والتغليظ على من ترك ذلك ، وباب الخوف على من لم يفهم القرآن أن يكون من المنافقين ، وباب قول الله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ وباب إثم من فجر بالقرآن وباب إثم من تأكل بالقرآن وباب الجفاء عن القرآن وباب من ابتغى الهدى من غير القرآن ، وباب الغلو في القرآن ، وباب ما جاء في اتباع المشابه ، وباب وعيد من قال في القرآن برأيه وبما لا يعلم ، وباب ما جاء في الجدال في القرآن ، وباب ما جاء في الاختلاف في القرآن في لفظه أو معناه ، وباب إذا اختلفتم فقوموا ، وباب قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ﴾ ، وباب ما جاء في التغنى بالقرآن^(٢).

وقد ذكرنا في منهج الشيخ أنه يعتبر القرآن المرجع الأصلي الذي يجب الرجوع إليه ولا يجوز الاعراض عنه لقوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك من لدنا ذكراً ، من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ﴾ (طه : ٩٩) .

وقوله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (طه : ١٢٤) .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقیض له شیطانا فهو له قرين وانهم ليصلونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾^(٣) (الزخرف : ٣٦-٣٧) .

والحاصل أن الشيخ ، يؤمن بكتب الله المنزلة ويصدق بأنها كلام الله حقيقة ، ويصدق بأسماها ما سمي منها ، ويخص القرآن الكريم بالتعبد بتلاوته وقراءته وتدبره ،

(١) المصدر السابق .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، أوله ص ٤٠١ .

(٣) الدرر السنية ط ٢ ج ٤ / ٦ .

وإتباع ما فيه وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وتحليل ما أحل وتحريم ما حرم، لأنه بيان لكل شيء وخاتم لكل كتاب، ومهيمن عليه، وصراط مستقيم وأحسن الحديث، وحبل الله المتين، فالاعتصام به عصمة، وهو كلام الله الذي لا نظير له من الكلام في دفع الشر، وأنه صالح لكل زمان ومكان^(١).

الإيمان بالرسول :

ويؤمن الشيخ بالرسول الذين أرسلهم الله والأنبياء الذين نبأهم الله . ومن الإيمان بهم ، معرفة مراد الله في بعثتهم كما قال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ الآية .

وأما الحكمة الأخرى فذكرها أيضا في غير موضع ، منها قوله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ لثلاث يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ .

فقوله : ﴿ مبشرين ومنذرين ﴾ وقوله : ﴿ لثلاث يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ هما حكمة الله في إيجاد الخليقة وإليهما ترجع كل حقيقة^(٢) .

ويعتقد أنهم صادقون فيما أخبروا به ، وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ، وأنه يجب احترامهم وعدم التفريق بينهم وأن من كذب واحدا منهم فقد كذب جميع الرسل ، ويؤمن الشيخ بمن سمي الله منهم في كتابه باسمه كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى ومن قبلهم نوح وخاتمهم محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا ، وكل من صرح باسمه في القرآن الكريم والسنة يؤمن به باسمه وما لم يصرح باسمه فيؤمن به على الإطلاق كما ورد .

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات رقم ٤٧ ص ٣٤ وص ٧٢، ٧٣-٧٥ والقسم الرابع، التفسير ص ٣٣٧ وص ٣١٧ وص ٣٢٤ وص ٥٠ وص ٤٩ وص ٦٨ وص ص ١٨١، ١٨٢ وص ٢٤٠ وص ٢٢٨ وص ٣٢٦، ٣٢٧ وص ٣٣٢ وص ٢٠٠ وص ٢٤٩ وص ٢٨١ وص ٢٢٧ وص ٢٩١ وص ٢٢٤ وص ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦ . والقسم الأول، العقيدة، ستة أصول عظيمة ص ٣٩٦-٣٩٧ ومسائل الجاهلية ص ٣٤٤، ٣٤١ . والقسم الثالث، الفتاوى ص ص ٧٥، ٧٦ وص ٢٤ .
(٢) الدرر السنية ط ٢، ج ١ ص ١٠٤ .

وأول الرسل نوح وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام ، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ، وَرَسَلْنَا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، وَرَسَلْنَا لَمْ نَقْصِصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ، رَسَلْنَا مَبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ، لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ، أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١) (النساء : ١٦٦-١٦٢).

وأن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن وجعله الله للناس إماما في التوحيد وما كان من المشركين (٢).

وقد أعطى موسى عليه الصلاة والسلام قوة في جسمه أخذاً من قصته في القرآن وبطشه بالعدو وقدرته على السقاية للمراةين من ماء مدين . ومن خصوصياته التي اشتهر بها تكليم الله إياه ، ولذلك يذكرها إبراهيم عليه السلام حين يحيل إذا طلبت منه الشفاعة .

وقد أرسل إلى فرعون وقومه بتسع آيات بينات ، ولأصحابه فضيلة على من سواهم من قومه (٣).

وأن يوسف جميل الظاهر بالحسن وجميل الباطن بالعفة ، وهو كريم عارف ، صرف الله عنه سوء والفحشاء وكان من المخلصين (٤).

وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه (٥).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٥٥ وثلاثة الأصول وأدلتها، ص ص ١٩٣، ١٩٥ - والدرر السنية ج ١ ص ٨٢.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ١٩٤ وص ٢٣٤-٢٣٥، وص ٢٣٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٣٩-٤٠ وص ص ١٩٤، ١٩٥، ص ص ٢٥٣، ٢٨٦، ٢٨٨ وص ص ٢٩٧، ٣٠٢ وص ص ٢٩١، ٢٩٢، والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ص ٣٥٠-٣٥١، وكتاب التوحيد ص ١٧ . وانظر: تاريخ نجد للألوسي ص ٤٤.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ١٢٩-١٣٠ وص ١٤٣ وص ١٣٧ وص ١٤١ وص ١٤٥ وص ١٥١ وص ص ١٧٦-١٧٧.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٤.

وأن الأنبياء يتفاوتون في الفضل وأنهم أشد الناس بلاء^(١) . وأن قصص الرسل ممدوح فيه عبرة لا يفهمها إلا أولوا الألباب^(٢) .

ولا نبى إلا رعى الغنم ، ورعى الغنم صفة كمال^(٣) .

وأن الرسل من البشر كلهم رجال ، وليس في الجن ولا في النساء رسل ، وأنهم من أهل القرى^(٤) .

وأنه يجوز عليهم الخطأ والنسيان فيما لا تعلق له بتبليغ الرسالة ، ولا تنكر إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يقدح في النبوة ، وأنهم على بشريتهم وإن كانوا أنبياء ، وهذا من أدلة التوحيد^(٥) وهم يحتاجون إلى التنبيه على فضل لا إله إلا الله ، كما في قصة موسى حين قال : يارب علمنى شيئاً أذكرك به^(٦) . الحديث .

وأن دينهم التوحيد ، وأن الدعوة إلى توحيد الله سبيلهم وسبيل من اتبعهم^(٧) وبذلك أرسلوا ورسالتهم حق^(٨) .

وخلاصة رسالتهم : هي أن يدعوا المخالفين إلى أن يوحدوا الله تعالى ويتركوا الشرك به كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (النحل : ٣٦)^(٩) .

وأن رسالة الرسل عمت كل أمة من بنى آدم ، وكل أمة لها رسولها يخصها ، وأن الله يثيب من أطاع الرسل بالجنة ويعاقب من عصاهم بالنار^(١٠) .

-
- (١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٦٦ وص ١٣١ وص ١٦٢ وص ١٦٩ وص ١٧١ .
 - (٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٨١ .
 - (٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٢٩٠ .
 - (٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٧٩ وص ص ٢١٢-٢١١ وص ٢٥٣ .
 - (٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٢٥٣ .
 - (٦) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٣ .
 - (٧) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٤٤ والقسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ٩ .
 - (٨) المصدر السابق ص ١١٧ وص ١٠١-١٠٣ وص ١٠٧ وص ٨٤ وص ١٨٠ .
 - (٩) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ٩٧ وثلاثة الأصول ص ١٩٥ .
 - (١٠) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٢٠٩ وص ١٨٠ وص ١٨٥ وص ٣٤٢ ، والقسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ٩٠٧ .

وأرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (النساء: ١٦٥) ^(١) ، وأنهم ما أتوا أهمهم إلا بالوحي ^(٢) .

ويرى أن الله سبحانه اختار الأنبياء من ولد آدم ، واختار الرسل من الأنبياء ، واختار من الرسل أولى العزم منهم ، وهم الخمسة المذكورون في سورتي الأحزاب والشورى ^(٣) .

والشيخ يشير بهذا إلى قوله تعالى : ﴿ واخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ (الأحزاب: ٨) .

وإلى قوله تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ (الشورى: ١٣) .

ويقول الشيخ : واختار من أولى العزم الخليلين : إبراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وعليهم أجمعين ^(٤) .

وأن الله أخذ الميثاق الشديد على الرسل لئن بعث فيهم رسول الله محمد ﷺ ليؤمنن به ولينصرنه ، فأقروا بذلك - قال تعالى : ﴿ واخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (آل عمران: ٨١-٨٢) ^(٥) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٩٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٧٩ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ٨ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ٨ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ٤٦-٤٧ .

ويقول الشيخ في كلامه على قصة آدم وإبليس ومن فوائدها أنها من أدلة الرسل عامة، ومن أدلة نبوة محمد ﷺ خاصة^(١). ويؤ من بأن نبينا محمدا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين وأنه لا يصح إيمان عبد حتى يؤ من برسالته ويشهد بنبوته. والدليل قوله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾^(٢) (التوبة: ١٢٨).

ويقول الشيخ: والدليل على أنه رسول الله ﷺ من العقل والنقل: أما النقل فواضح، وأما العقل فنبه عليه القرآن، من ذلك ترك الله خلقه بلا أمر ولا نهى لا يناسب في حق الله ونبه عليه في قوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها، وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾^(٣) ومنها أن قول الرجل: انى رسول الله إما أن يكون خير الناس، وإما أن يكون شرهم وأكذبهم، والتمييز بين ذلك سهل يعرف بأمور كثيرة، ونبه على ذلك بقوله: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفك أثيم﴾^(٤) الآيات^(٥)، ومنها شهادة الله بقوله: ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾^(٦) ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم كما في الآية، ومنها - وهى أعظم الآيات العقلية - هذا القرآن الذى تحداهم الله بسورة من مثله، ونحن ان لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية فنحن نعلمها من معرفتنا بشدة عداوة أهل الأرض له علمائهم وفصحائهم، وتكريره هذا واستعجازهم به، ولم يتعرضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه، وإدخال الشبه على الناس، ومنها تمام ما ذكرنا وهو إخباره سبحانه أنه لا يقدر أحد أن يأتى بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر مع كثرة أعدائه في كل عصر، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم.

ثم استمر الشيخ يذكر الأدلة العقلية فيقول: «ومنها نصرة من اتبعه، ولو كانوا

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٨٤ والدرر السنية ج ١ ص ٩٧-٩٨.

(٢) الدرر السنية ط ٢ ج ١، ص ٢٩ وص ٩٥ ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١

ص ١٠، والقسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٩٠

(٣) الأنعام: ٩١.

(٤) الشعراء: ٢٢٢.

(٥) الأحقاف: ٨.

أضعف الناس، ومنها خذلان من عاداه وعقوبته في الدنيا، ولو كانوا أكثر الناس وأقواهم، ومنها انه رجل أُمى لا يخط ولا يقرأ الخط ولا أخذ عن العلماء، ولا ادعى ذلك أحد من أعدائه مع كثرة كذبهم وبتاتهم، ومع هذا أتى بالعلم الذى فى الكتب الأولى، كما قال تعالى: ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ (١) (العنكبوت: ٤٨).

ومن ذلك ما استدلت به خديجة من صفاته الكريمة حيث قالت: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا. ثم استدلت بما فيه من الصفات على أن من كان كذلك، لم يخزه الله أبدا، فعلمت بفطرتها وكمال عقلها أن الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة تناسب كرامة الله وإحسانه، ولا تناسب الخزي (٢).

وقد عصم الله رسوله ﷺ من الناس، فاجتهدت قريش فى قتله وأخفاه الله عنهم وحفظه وصاحبه فى الغار (٣).

وفى معرض إيراد الشيخ أدلة تحت باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان أورد حديث ثوبان رضى الله عنه لمسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ان الله زوى لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاريها. وان أمتى سيبلى ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض وإنى سألت ربي لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة. وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبى بعضهم بعضا» (٤) زواه البرقانى فى

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ٢، ص ٤٦-٤٨. وانظر مؤلفات الشيخ، القسم الأول، التوحيد ص، ص ١٧، ٢٢، ٣٤، ٧٠-٧١ والقسم الرابع، التفسير ص، ص ٤٦، ١٢٤، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٣، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨١ والقسم الثالث، مختصر السيرة ص، ص ١٠١-٢١٨ والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص - ص ١٧-١٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد، ص ١٦٧.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ١٨٥-١٨٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج ٤ ص ٢٢١٥، ٢٢١٦.

صحيحه^(١)، وزاد: «وانما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. واذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فقام من أمتي الأوثان. وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدى. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره، ولا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».

قال الشيخ فيها من الآيات العظيمة: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أعطى الكنزين وإخباره بأجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع اذا وقع، وإخباره بظهور المنتبين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها أبعد ما يكون في العقول^(٢).

ويقول الشيخ رحمه الله في قوله تعالى في آخر سورة يوسف خطابا لرسول الله ﷺ: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾.

فيه تنبيه الله على آية الرسالة بأن هذه القضية غيب لا يتوصل إليه الرسول ﷺ إلا بالوحي لكونه لا يقرأ ولا يخط، ولا أخذ عن عالم، وتقرير هذه الحجة بقوله: ﴿وما كنت لديهم﴾ لأن هذا لا سبيل إلى العلم به إلا بالوحي أو بحضوره وأن مكرهم خفى حتى لو حضرهم أحد لحفي عليه.

(١) قوله: البرقاني. قال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرحه تيسير العزيز الحميد: «هو الحافظ الكبير أبو بكر محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة. قال الخطيب: كان ثبًا ورعا، لم نرف في شيوينا أثبت منه، عارفا بالفقه، كثير التصنيف، صنف مسندا ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث الثوري، وحديث شعبة، وطائفة، وكان حريصا على العلم منصرف الهمة إليه» ثم قال الشيخ سليمان: «قلت وهذا المسند الذي ذكره الخطيب هو صحيحه الذي عز إليه المصنف». انتهى، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٣٢٥.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ص ص ٧٠-٧١، ويقصد الشيخ أن هذه الأخبار غيبية لا تدركها العقول وإن كانت لا تحيلها لكنه بعد أن يأتي الشرع بالخبر عن مُغَيَّب فلا بد من اعتقاد أن ذلك سيقع وفقاً لما أخبر به. وقد حصل من المؤمنين.

ويقول الشيخ في قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ﴾ (يوسف: ١٠٩).

يقول الشيخ فيها: رد شبهتهم في كونه بشرا وذلك واضح لأنهم ان كانوا ممن يقر بالرسالة في الجملة كأهل الكتاب والمشركين فواضح، وان أنكروها كالمجوس فالنكال الذي أوقع الله بمن خالف الرسل الذي سمعوه وشاهدوه حجة عليهم، وفيها الرد عليهم في قولهم: ﴿ لولا يكلمنا الله ﴾ أو نحو ذلك، لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحي، وفيها استجهاال الله إياهم حيث لم يسيروا في الأرض فيعتبروا بمن قبلهم، فدل ذلك على أن فهم ذلك مقدور لهم^(١).

ويذكر الشيخ ان رسول الله ﷺ اقتصر من الأدلة على الوحي ففيه كفاية، وتبرأ من دعوى أن عنده خزائن الله أو أنه يعلم الغيب أو أنه ملك كما قال تعالى: ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل : هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ (الأنعام: ٥٠).

ويقول الشيخ: إن الذي يقتصر على الوحي هو البصير، وضده الأعمى^(٢). ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله هي طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وأن محمدا عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع، وهو خيرة الله من خلقه، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده وكل ما قاله حق وكل ما أخبر عنه صدق.

وتتضمن هذه الشهادة الإيمان بأن خاتم الرسل هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا رسولا. نبيء «باقراً» وأرسل «بالمدثر» وبلده مكة وهاجر إلى المدينة بعثه الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد. فلما أخذ على هذا عشر سنين عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ١٧٧-١٧٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٥٦.

الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين. وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والجهاد والحج والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين أيضاً وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باق، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرهما منه، والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة، وكل ما قاله حق وافترض الله طاعته على جميع الثقليين: الجن والإنس ودعوته عامة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وهذه من فضيلته على الأنبياء والدليل قوله تعالى: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وأكمل الله به الدين. والدليل قوله تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (المادة: ٣).

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ (الزمر: ٣٠، ٣١).

وهو يوم القيامة صاحب الخوض المورد، والمقام المحمود، أول شافع، وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة إلا أهل البدع فله الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود، وأسعد الناس بها أهل التوحيد الخالص، ولا تكون لمن أشرك بالله^(١).

وطريق رسول الله ﷺ هو صراط الذين أنعم الله عليهم، فالنعم عليهم هم رسول الله ﷺ وأصحابه، والمسلم في كل ركعة من صلاته يسأل الله أن يهديه طريقهم والمراد بذلك الدين الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وكلما خالفه من طريق أو علم أو عبادة، فليس بمستقيم^(٢).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ٥١-٥٣ وص ٦٧ وكشف الشبهات ص ١٦٦ وثلاثة الأصول ص ١٩٠، ١٩٢، ١٩٥ وتلقين أصول العقيدة للعامة ص ٣٧٣، ٣٧٤، والقسم الثالث، مختصر السيرة ص ٥١ وص ٨٠-٨١ وص ١٤٢، الفتاوى رقم ٩ ص ٤٤، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٩ ص ١٩٦ ورقم ٢٢ ص ١٥٤ ورقم ١٧ ص ١١٣، ١١٤ ورقم ١٩ ص ١٢٤ ورقم ١ ص ١٠-٩ ورقم ١٤ ص ٩٤. والقسم الرابع، التفسير ص ٢٢٣ وص ٢٥٣-٢٥٤ وص ١٩٦، ١٩٧، ص ٤٦-٤٧ وص ٣٥٣ وص ١٧٨. ومختصر زاد المعاد ص ١٦٣-١٦٤، ص ١٧٧-١٧٩ وص ١٨٠-١٨٧ وص ٢٩٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ١٧، ص ٤٧، ص ٢٧٩.

ويعتقد الشيخ أن الإيمان به ﷺ حقيقة يقتضى نصرته وطاعته وأهدى فى ذلك، فإن من حقوقه ﷺ طاعته كما قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩) .
وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بى وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» رواه مسلم^(١) .
ولهما عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه وجبت بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار»^(٢) .

ولهما عن أنس مرفوعا : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين»^(٣) .

وعن المقدم بن معدى كرب الكندى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمانه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله» رواه الترمذى وابن ماجه^(٤) .
ورسول الله ﷺ على خلق عظيم وعدل وتواضع يعرف ذلك حتى أعداؤه^(٥) .
وكان ﷺ أشرح الخلق صدراً وأطيبهم نفساً (لما جبل عليه ﷺ من الكرم العظيم)

(١) ج ١ كتاب الإيمان باب ٨ ص ٥٢ رقم ٣٤ ترتيب فؤاد عبد الباقى .

(٢) صحيح البخارى، ج ١ كتاب الإيمان باب ٩ ص ٩ وباب ١٤ ص ١٠ وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب ١٥ ص ٦٦ رقم ٦٧ .

(٣) البخارى، الإيمان باب ٨ ص ٩ ، ومسلم ، الإيمان باب ١٦ ص ٦٧ رقم ٧٠ .

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان، باب حقوق النبى ﷺ ص ٢٦٠-٢٦١ . وهو فى سنن ابن ماجه، المقدمة رقم ١٢ باب ٢ . وفى الترمذى كتاب العلم باب ١٠ رقم ٢٦٦٤ .

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٤٦ والقسم الأول، كتاب التوحيد ص ١٧ وص ١١ .

بالإضافة إلى ما خصه الله به من شرح صدره بالرسالة وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حساً، وإخراج حظ الشيطان منه^(١). وله ﷺ الفضائل العظيمة وقول الحق الذي لا يقدر غيره أن يقوله^(٢).

وهو الرسول النبي الأمي حبيب الله وصفيه من خلقه ﷺ^(٣). وأقرب الخلائق منزلة عند الله تعالى^(٤).

ويقول في قول الله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُوا عَلَيَكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴿آل عمران: ١٠١﴾.

فيها: أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشرفي سائر الكلام، كما أن رسوله ﷺ لا نظير له في الأشخاص في دفع ذلك^(٥). وهو سيد المرسلين^(٦)، سيد ولد آدم على الحقيقة من غير افتخار^(٧).

وقد أكرمه الله بالخلّة وهي أعلى من المحبة كما كان إبراهيم^(٨).

ولابد من الأدب مع رسول الله ﷺ وتعظيم حرمة، وعدم التقدم بين يديه وقد نزل تغليظ في ذلك في أول سورة الحجرات ووصف الله الذين ينادون رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، بأن أكثرهم لا يعقلون^(٩).

وكان ﷺ في حياته يسأله المسلمون الاستسقاء ويتوسلون بدعائه ويستشفعون^(١٠).

(١) المصدر السابق القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٧٦ والقسم الثالث مختصر السيرة ص ٦٤-٦٨ وص ١٤٣، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٨١ وص ٢٥٠.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٤، ١٠٧.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٣٩.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٤٩.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٣٥.

(٧) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٨) المرجع السابق، القسم الأول، التوحيد، ص ٦٣.

(٩) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٥٠، ٣٥١، والقسم الثالث، مختصر السيرة

ص ٢٣٨-٢٤١.

(١٠) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٤٥.

وهو ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته من الصلاة والسلام عليه^(١).
وهو ﷺ أفضل جميع الخلائق والأنام وسيد ولد آدم عليه وعلى آله وصحبه
الصلاة والسلام^(٢).

ويرى الشيخ فضيلة أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم بالكمية والكيفية^(٣)،
وأن الله سبحانه اختار ولد اسماعيل من أجناس بنى آدم، ثم اختار منهم بنى كنانة من
خزيمه، ثم اختار من ولد كنانة قريشا، ثم اختار من قريش بنى هاشم ثم اختار من
بنى هاشم سيد ولد آدم محمدا ﷺ كما في المسند عن معاوية بن حيدة مرفوعا «أنتم
توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»^(٤).

فهم أفضل الأمم واختارهم أفضل القبائل، كما اختارهم أفضل الرسل،
وأفضل الكتب وأخرجهم من خير القرون، وخصهم بأفضل الشرائع، ومنحهم خير
الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض^(٥).

ويؤمن بأن أفضل أمة محمد ﷺ أبو بكر الصديق، وفي قول النبي ﷺ : «ولو
كنت متخذًا من أمتي خليلا، لأتخذت أبا بكر خليلا». يرى الشيخ في هذا التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة ونية الإشارة إلى
خلافته^(٦).

ويقول الشيخ في تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله : «ذكر غير واحد الاجماع
على أن الصديق أعلم الأمة، وهذا بين فانهم لم يختلفوا في مسألة في ولايته إلا فصلها
بحجة من الكتاب والسنة، كما بين لهم موته ﷺ ، وموضع دفنه، وقاتل ما نعى
الزكاة، وأن الخلافة في قريش، واستعمله ﷺ على أول حجة حجت من مدينته،
وعلم الناسك - أدق العبادات - ولولا سعة علمه بها لم يستعمله، ولم يستخلف غيره،
لا في حج ولا في صلاة وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ أخذه أنس من أبي

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٦٧.

(٢) انظر: تاريخ نجد للألوسي، ص - ص ٤٣-٤٤.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ١٧.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٩، ٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص، ص ٦١، ٦٣.

بكر وهو أصح ما روى فيها، وفي الجملة لا يعرف مسألة غلط فيها، وعرف لغيره مسائل كثيرة، وتنازعوا بعده في مسائل الجد والاختوة، والعمريتين والعول، وغير ذلك من مسائل الفرائض ومسألة الحرام والطلاق الثلاث بكلمة، والخلية، والبرية، والبتة، وغير ذلك من مسائل الطلاق، وفي مسائل صارت نزاعاً إلى اليوم لكنه في خلافة عمر نزاع محض وقوى النزاع في خلافة عثمان حتى حصل كلام غليظ من بعضهم لبعض، وفي خلافة علي صار النزاع بالسيف، ولم يعلم أنه استقر بينهم نزاع في خلافة أبي بكر في مسألة واحدة، وذلك لكمال علمه، ثم التى خولف فيها بعد موته قوله فيها أرجح^(١).

ويشرح الشيخ مثلاً من ذلك وهو: أنه لما مات رسول الله ﷺ ارتد غالب من أسلم وحصلت فتنة عظيمة ثبت الله فيها من أنعم عليهم بالثبات بسبب أبي بكر الصديق رضى الله عنه فإنه قام فيها قياماً لم يدانه فيه أحد من الصحابة، ذكرهم فيه ما نسوا وعلمهم ما جهلوا، وشجعهم لما جبنوا - فثبت الله به دين الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (المائدة: ٥٤).

يقول الشيخ: «قال الحسن: هم والله أبو بكر وأصحابه^(٢) - ويقول: جعلنا الله من أتباعه وأتباع ما حملة وأصحابه»^(٣).

ثم عمر الفاروق رضى الله عنه فهو الثانى بعد أبى بكر رضى الله عنه في الخلافة والفضل^(٤) وهو المحدث الملهم الذى أمرنا باتباع سنته وله الفضائل المشهورة، والسوابق الماثورة^(٥).

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٧٦، ص ٥٤-٥٣.

(٢) يقول ابن كثير: رواه ابن أبي حاتم، انظر: التفسير، ج ٢ ص ٧٠.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٣٦، ٣٧ وص ص ٢٥٩-٢٥٦ وص ص ٢٦١-٣٠٠.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ص ٣٠٢-٣٠٩.

(٥) المصدر السابق، الفتاوى ص ٣٥.

ثم عثمان ذو النورين هو ثالث الخلفاء في الخلافة والفضل رضى الله عنه^(١).
كان من ذوى السابقة والشرف والعلم، هاجر الهجرتين، وصلى القبلتين. وزوجه
رسول الله ﷺ ابنتيه، لما توفيت الأولى معه، وزوجه الأخرى. وكان رسول الله ﷺ
يقدمه ويستحى منه^(٢).

ثم علي المرتضى هو رابع الخلفاء الراشدين في الخلافة والفضل - ومن فضائله
قتل الخوارج رضى الله عنه^(٣)، ومن فضيلته رضى الله عنه ما ورد في الحديث المتفق
عليه عن سهل بن سعد رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، فبات الناس
يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ، كلهم يرجو أن
يعطاها. فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقبل: هو يشتكى عينيه، فأرسلوا إليه فأتى
به. فبصق في عينيه، ودعا له. فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال انفذ على
رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام. وأخبرهم بما يجب عليهم من
حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من حمر النعم». قال
الشيخ فيه فضيلة علي رضى الله عنه^(٤).

ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم^(٥): طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح «وهو
أمين الأمة»^(٦).

ثم أهل بدر رضى الله عنهم^(٧).

-
- (١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٣٠٩-٣١٦.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٩.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٣١٦-٣٢٢، والقسم الأول، العقيدة،
كتاب التوحيد ص ٢٢. ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم (١) ص ١٠، وملحق المصنفات،
الخطب المنبرية، ص ٣٦.
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٢١-٢٢.
(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠.
(٦) انظر: الطحاوية وشرحها لابن أبي العز الحنفى ص ٥٤٩-٥٥٣.
(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠. والقسم الثالث، مختصر السيرة
ص ١٩٧.

ثم أهل الشجرة، أهل بيعة الرضوان^(١) رضى الله عنهم .
ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم^(٢) .
ويرضى عن أمهات المؤمنين، زوجات النبي ﷺ ، المطهرات من كل سوء
ويعتقد فضلهن على مراتبهن^(٣) .

ويقول فى تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله : « لآله ﷺ على الأمة حق لا
يشركهم فيه غيرهم ، ويستحقون من زيادة المحبة والموالة ما لا يستحق سائر قريش
وقريش يستحقون ما لا يستحق غيرهم من القبائل ، كما أن جنس العرب يستحقون
من ذلك ما لا يستحقه سائر أجناس بنى آدم ، على هذا دلت النصوص : وتفضيل
الجملة على الجملة لا يقتضى تفضيل كل فرد كالقرن الأول على الثانى ، والثانى
على الثالث ، وأما نفس ترتيب الثواب والعقاب على القرابة ومدح الله للمعين
وكرامته عنده فهذا لا يؤثر فيه النسب ، وهذا لا ينافى ما ذكرنا قبله ، كما قال : (الناس
معادن . . الخ) فالأرض إذا كان فيها معدن ذهب ومعدن فضة فالأول خير ، لأنه
مظنة وجود أفضل الأمرين فان تعطل ولم يخرج ذهباً كان ما يخرج الفضة أفضل منه ،
ولهذا كان فى بنى هاشم النبى ﷺ الذى لا يماثله أحد فى قريش ، وفى قريش الخلفاء
وغيرهم ما لا نظير له فى العرب وفى العرب من السابقين الأولين ما لا نظير له فى سائر
الأجناس . . فالأصل المعتبر هو الإيمان والتقوى ، دون من ألغى فضيلة الأنساب
مطلقاً ، ودون من ظن أن الله مفضل الإنسان بنسبه على من هو مثله فى التقوى وكلا
القولين خطأ وهما متقابلان ، فالفضل بالنسب للمظنة والسبب ، وبالتقوى لليقين . .
والتحقيق والغاية فالأول سبب وعلامة ، والثانى يفضل به لأنه تحقيق وغاية ، والثواب
يقع على هذا لأن الحقيقة قد وجدت فلم يعلق الحكم بالمظنة ، ولأن الله يعلم الأشياء
على ما هى عليه ، ولهذا كان رضى الله عن السابقين أفضل من الصلاة على آل
محمد ، لأن الأول اخبار بما حصل والثانى سؤال ما لم يحصل ، ومحمد أخبر الله تعالى

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ١٠ .
(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ١٠ والقسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد
ص ١١ وص ١٧ والقسم الثالث ، مختصر السيرة ص ٧٨ ، ٧٩ ، ص ص ٢٦٠-٢٦١ وص ص ٣٢٢-٣٢٣ .
(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ١٠ ، والقسم الثالث ، مختصر السيرة
ص ٦٤ ، ص ٧٨ ، وص ص ١٦٧-١٧١ وص ٣٢٢ .

أنه يصلى عليه وملائكته فالفضيلة بنوع لا يستلزم الأفضلية مطلقا، ولهذا كان في الأغنياء من هو أفضل من جمهور الفقراء^(١).

وعلى العموم فالشيخ يعتقد في الآل والأصحاب ومن تبعهم باحسان، ما ورد به الكتاب والسنة والأصل المعتبر: هو الإيثار والتقوى، فيؤ من بفضائل الصحابة الواردة، وشمائهم المروية وعمق علمهم، على مراتبهم، ويرضى عن كل واحد منهم لأنه صحابي من صحابة رسول الله ﷺ، ويرفض مسلك الرافضة في الصحابة لما في قصة الحديبية فلقد ذكر الله رسوله وحزبه ومدحهم بأحسن المدح فقال تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ (الفتح: ٢٩).

قال الشيخ: «والرافضة تصفهم بضده»^(٢).

ويرفض مسلك الخوارج أيضا ويتبرأ منهم - ويقول رحمه الله في وقعة الجمل ان مقصود الصحابة الاصلاح بين الناس واجتماع الكلمة، ولكن كان في العسكرين ناس من الخوارج فخافوا من تماليء العسكرين عليهم، فتحيل الخوارج حتى أثاروا الحرب بينهما من غير رأى فكانت وقعة الجمل المشهورة.

وقال في الحكمين بين علي ومعاوية رضى الله عنهما، لم يتفق الحكماء على شىء.

وقال الشيخ في الحسن لما ترك الأمر لمعاوية مراعاة لمصلحة المسلمين، لقد جرى مصداق ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال في الحسن: «ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٣).

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات رقم ٧٤ ص ٥١، ٥٢.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٢٥٧ والتفسير ص ٢٢ والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٧ وص ٢٢ وانظر تاريخ نجد للألوسي ص ٤٤، ٤٥.

(٣) هو في صحيح البخارى في ج ٨ كتاب الفتن باب قول النبی ﷺ للحسن بن علي ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ص ٩٨، ٩٩.

ثم أورد الشيخ ما صح عن النبي ﷺ أنه قال في الخوارج: «يخرجون على حين فرقة بين الناس، تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق»^(١).

وأورد أنه صح عنه ﷺ في أحاديث كثيرة: أنه نهى عن القتال في الفتنة وأخبر ﷺ بوقوعها وحذر منها^(٢).

قال الشيخ فحصل بمجموع ما ذكرنا: أن الصواب مع سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وأكثر الصحابة الذين قعدوا واعتزلوا الطائفتين، وأن علي بن أبي طالب وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه، وأن الفريقين كلهم لم يخرجوا من الإيمان، وأن الذين خرجوا من الإيمان: إنما هم أهل النهر وان.

ثم قال الشيخ: «وأجمع أهل السنة على السكوت عما شجر بين الصحابة رضى الله عنهم ولا يقال فيهم إلا الحسنى - فمن تكلم في معاوية أو غيره من الصحابة فقد خرج عن الاجماع»^(٣).

- والخلاصة - أن الشيخ يتولى أصحاب رسول الله ﷺ جميعا ويذكر محاسنهم، ويرضى عنهم ويستغفر لهم، ويكف عن مساوئهم، ويسكت عما شجر بينهم ويعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ (الحشر: ١٠).

ويقول الشيخ في تلخيصه عن ابن تيمية رحمه الله: «إذا تكلم فيمن دون الصحابة كالملوك المختلفين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل، فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال والظلم محرم مطلقا لا يباح بحال، قال الله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾ (المائدة: ٨) - وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأموره فاذا كان هذا قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو هوى، والعدل مما اتفق أهل

(١) قال الحاكم هذا حديث صحيح ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي - انظر: المستدرک مع التلخیص ج ٢ / ١٥٤، ١٥٥، وانظر: صحيح البخاری ج ٧ ص ١١١ ك ٧٨ / ب ٩٥ وج ٨ ص ص ٥١-٥٣ ك ٨٨ / ب ٦-٧ ففيه صفة الخوارج وأنهم يخرجون على حين فرقة من الناس.

(٢) انظر: ما في صحيح البخاری مثلا، ج ٨ كتاب الفتن، ص ص ٨٦-٩٩.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ص ٣١٦-٣١٨، ٣٢١-٣٢٢.

الأرض على مدحه، والظلم مما اتفقوا على ذمه، والله أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط، وأخبر أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة، ودعا المؤمنون بقوله: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ (البقرة: ٢٨٦). فقال قد فعلت فدللت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها وأن المخطيء والناسى لا يؤاخذونه وقال: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ (الأحزاب: ٥٨). فمن آذى مؤمناً حياً أو ميتاً بغير ذنب يوجب ذلك دخل في الآية ومن كان مجتهداً لا اثم عليه فإذا مؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب، ومن أذنب وتاب أو غفر له بسبب آخر فإذا مؤذ فقد آذاه بغير ما اكتسب^(١).

ويقول الشيخ بكراتات الأولياء والصالحين، وما لهم من المكاشفات، وهم على صلاحهم رضى الله عنهم وهم كما قال الله فيهم: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (يونس: ٦٢)، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وهم بريئون ممن أشرك بالله كبراءة عيسى من النصارى وموسى من اليهود وعلي من الرافضة، وكذلك عبد القادر الجيلانى رحمه الله برىء من أتباع الشيطان الذين ينتسبون إليه، ويتسمون بالفقراء الجيلانية.

ثم يبين الشيخ أن هؤلاء الذين يزعمون حب الصالحين وهم يخالفونهم ويشركونهم مع الله في الدعاء والنذر والذبح وغير ذلك من العبادة التى لا تصلح إلا لله أن هؤلاء فى الحقيقة أعداء الصالحين، أما من هداه الله فلم يدع إلا الله هو والله الذى يحبهم لأن من أحب قوما أطاعهم فمن أحب الصالحين حقيقة يطيعهم فلا يعتقد إلا فى الله كما فى طريقته^(٢).

ويقول الشيخ فى استنباطاته من قصة آدم وإبليس فى خوارق العادة، وما هو منها كرامة وغير كرامة: انه لا ينبغى للمؤمن أن يغتر بخوارق العادة إذا لم يكن مع صاحبها استقامة على أمر الله، فان اللعين أنظره الله تعالى، ولم يكن ذلك إلا اهانة.

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٧٥، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢١ ص ١٤٧ ورقم ٨ ص ٥٢ وص ٥٤-٥٥ ورقم ١٥ ص ١٠١ ومؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٢٩٦. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٨٢، ٢٨٣. ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٦٩، وستة أصول عظيمة ص ٣٩٥، ٣٩٦.

له وشقاء له، وحكمة بالغة يعلمها الحكيم الخبير، فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها، ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة ومن ذلك يعلم أن الأمور التي يحرص عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة، والجاهل يظنها نعمة مثل المال والجاه وطول العمر، فإن الله أعطى اللعين من النظرة ما أعطاه.

وكذلك الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيرا من القوى والادراكات في العلوم والأعمال حتى في صحة الفراسة، كما ذكر عن اللعين حين تفرس فيهم أن يغريهم إلا المخلصين، فصدق الله فراسته في قوله: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾ (سبأ: ٢٠).. فإن قيل في الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» فلا يناقض ما ذكرناه، بل يدل على أن المؤمن أتم هذه الخصلة من غيره وأصدق، كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك، ولو كان للفجار شيء من ذلك^(١).

ويذكر القول الفصل في عطاء الدنيا بعد أن ذكر خطأ كثير من الناس في نظره إلى ذلك فقال: «بعضهم يظن أن هذا كله نقص أو مذموم، وأن التجرد من المال مطلقا هو الصواب، وبعض يظن أن عطاء الدنيا يدل على رضا الله، وكلاهما على غير الصواب. وذلك أن من أنعم الله عليه بولاية أو مال فجعلها طريقا إلى طاعة الله فهو ممدوح، وهو أحد الرجلين الذين يغبطهما المؤمن، وإن كان غير هذا فلا»^(٢) فإن العطاء ما أغنى أصحاب الحجر: ﴿كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين، فأخذتهم الصيحة مصبحين، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ (الحجر: ٨٢-٨٤). ما أغنى عنهم ذلك وقت البلاء كما أغنت الأعمال الصالحة عن أهلها برحمة الله تعالى^(٣).

ولا يشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ ولكنه

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٩٥-٩٨ والحديث رواه الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامة وأخرجه الترمذي أيضا من حديث أبي سعيد وراجع تحريجه في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل العجلوني، ج ١ ص ٤١-٤٢.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٥٧، وقوله أحد الرجلين الذين يغبطهما المؤمن إشارة إلى حديث (لا حسد إلا في اثنتين). متفق عليه.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الحجر، ص ١٩١، ١٩٤.

يرجو للمحسن ويخاف على المسيء ، ولا يكفر أحدا من المسلمين بذنب ولا يخرج به من دائرة الإسلام^(١).

ويرى أن الفرقة الناجية وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدريّة والجبريّة . وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية . وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية ، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج^(٢) .

ويرى الجهاد ماضيا مع كل إمام برا كان أو فاجرا ، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماضيا منذ بعث الله محمدا ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، لا يبطله جور جائر ، ولا عدل عادل .

ويرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله ، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به ، أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته ، وحرم الخروج عليه^(٣) .

ويقول الشيخ في تلخيصه عن ابن تيمية : مذهب أهل السنة أن الأمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله فيصلى خلفهم ، ويجاهد معهم ، ويستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن حكم منهم بعدل نفذ حكمه ، وإن أمكن تولية بر ، لم يجوز تولية فاجر ، فيجتهدون في الطاعة بحسب الامكان ، كما قال الله : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ (التغابن : ١٦) ويعلمون أن الله بعث محمدا ﷺ بصلاح العباد فاذا اجتمع صلاح وفساد رجحوا الراجح منها وقل من خرج على سلطان إلا كان ما تولد عن فعله من الشر أعظم من الخير ، فلا أقاموا ديننا ولا أبقوا دنيا ، وإن كان فيهم خلق من أهل العلم والدين ، وهذا مما يبين أن ما أمر به ﷺ من الصبر على جور الأئمة هو الأصلح ، فالشارع أمر كلاهما هو أصلح له وللمسلمين ، فأمر الولاية بالعدل والنصح لرعيّتهم ، وأمر بالصبر على استيثارهم وعدم منازعتهم

(١) الدرر السنية ، ج ١ ، ص ٣٠ . وص ١١ من مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس . ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٨ ص ٥٢ وص ٥٤ ، وص ٥٥ ورقم ١٥ ص ١٠١ ورقم ٢١ ص ١٤٧ والقسم الرابع ، التفسير ، البقرة ص ٢٥ والأعراف ص ٩٥-١٠٤ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ٨ .

(٣) المصدر السابق ، الدرر ج ١ ص ٣٠ ، ومؤلفات الشيخ ص ١١ .

الأمر، والفتن في كل زمان بحسب رجاله، والفتنة تمنع معرفة الحق وقصده والقدرة عليه ففيهنا من الشبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من الناس، ومن الشهوات ما يمنع قصد الحق، ومن قوة الشر ما يضعف القدرة على الخير، ولهذا يقال: «فتنة عميا صبا»^(١).

ويرى أن الإمام نائب عن المسلمين يتصرف في مصالحهم وقيام الدين، فان تعين للدفع عن الإسلام، والذب عن حوزته استجلاب أعداء الإسلام إليه ليأمن شرهم ساغ ذلك بل تعين ومبنى الشريعة باحتمال أدنى المفسدين لدفع أعلاهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين^(٢).

ويرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، ويحكم عليهم بالظاهر، ويكل سرائرهم إلى الله. ويعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة، ويرى خلع جميع البدع^(٣).
لأن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسول الله ﷺ وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف فقال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (المائدة: ٣).

وقال: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء، قليلا ما تذكرون﴾ (الأعراف: ٣).

وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (آل عمران: ٣١).

وقال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف: ١٠٨).

وقال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٧٣، ص ص ٥١-٥٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ٢٦٧-٢٦٨، والتفسير، البقرة ص ٢٣.

(٣) المصدر السابق، الدرر ج ١ ص ٣٠، ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١١.

ورقم ١٦ ص ١٠٧.

عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴿ (الأنعام: ١٥٣) .
وقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾
(الحشر: ٧) (١) .

ويرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجهه الشريعة المحمدية الطاهرة (٢) .

ويؤمن بكل ما أخبر به النبي ﷺ من أخبار الفتن والحوادث ، وأشراط الساعة وما جاء في المهدي ، وخروج الدجال ونزول عيسى ، وأنه لا يزال حيا ، وسكنى المدينة وعمارتها وخروج الدابة ونحو ذلك وقد ألف الشيخ في ذلك كتابا بعنوان : هذه أحاديث في الفتن والحوادث التي أخبر النبي ﷺ أنها ستكون بعده (٣) .

الإيمان باليوم الآخر :

والشيخ يؤمن بالبعث بعد الموت وبإعادة الأرواح إلى الأجساد وقيام الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا يوم تأتي الساعة - كما قال تعالى : ﴿ وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ، ان ربك هو الخلاق العليم ﴾ (الحجر: ٨٥-٨٦) .
وكما قال تعالى : ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ (طه: ١٥-١٦) .

قال الشيخ ما مضمونه : فيها ذكر الإيمان باليوم الآخر بعد ذكر الإيمان بالله تعالى مما يبين أنه علة للإيمان بالله فمن لم يؤمن باليوم الآخر لا يؤمن بالله تعالى ولا يؤمن ببلقائه يوم القيامة (٥) .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٧ ص ١١٠-١١١ .
(٢) الدرر السنية، ط ٢، ج ١ ص ٣٠، مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١١ ورقم ١٧ ص ١١٤ .
(٣) مؤلفات الشيخ، قسم الحديث، المجلد الثالث، من أوله إلى آخره في هذه الموضوعات .
(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٩٥ وص ٥١ وص ص ٢٩٥، ٢٩٦، الدرر السنية ج ١ ص ٩٧ .
(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص - ص ٢٩٥-٢٩٦ . والقسم الأول، العقيدة، مسائل الجاهلية ص ٣٥٠ .

ويقول الشيخ في صدر سورة هود فيه من العلوم، علم الإيمان باليوم الآخر، وذكر أنه إلى الله المرجع كما قال تعالى: ﴿ ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا : إن هذا إلا سحر مبين ﴾ الآيات - يقول الشيخ فيها ذكر الجنة والنار وذكر العرض على الله وكلام الأَشْهاد وأن افتراء الكفار ضل عنهم ، وكانوا هم الأَخْسرون في الآخرة^(١).

وفي قول الله تعالى: ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ (النحل: ١١١).

قال الشيخ فيها: تعظيم ذلك اليوم، وذكر الأمر الهائل في كل نفس، ونفي الظلم ولو عن الأَشْرار^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ إن إلى ربك الرجعى ﴾ (العلق: ٨).

قال الشيخ فيها الإيمان باليوم الآخر، والوعظ بذلك عن الطغيان، وتسليية المطغى عليه بذلك، وكونه إلى رب محمد ﷺ ففيه الجزاء على الأعمال^(٣).

ويقول الشيخ: «والناس اذا ماتوا يبعثون» والدليل قوله تعالى: ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ (طه: ٥٥).

وقوله تعالى: ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾ (نوح: ١٧، ١٨).

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم - والدليل قوله تعالى: ﴿ ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ (النجم: ٣١).

ومن كذب بالبعث كفر - والدليل قوله تعالى: ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ، وذلك على الله يسير ﴾ (التغابن: ٧)^(٤).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١١٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٢٣١.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٧١ وص ٢٤٩ وص ١٩٥ وص ٣٣٧، القسم

الخامس، الشخصية رقم ٤ ص ٣٣.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٩٤، ١٩٥ وتلقين أصول العقيدة

للعامة ص ٣٧٣.

ويقول الشيخ في كلامه على قصة آدم وإبليس : «وفي القصة فوائد عظيمة ، وعبر لمن اعتبر بها ، منها أن خلق آدم من تراب من أبين الأدلة على المعاد ، كما استدل عليه سبحانه في غير موضع وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وعقوبته وانعامه وكرمه وغير ذلك من صفاته التي تدل على البعث^(١) .

وفي قول الله تعالى : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾ الآية . (الكهف : ٢١) .

قال الشيخ فيها أن الإثارة عليهم لحكمة ومعرفة المؤمن إذا أعثر عليهم . ﴿ أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ﴾ كما رد الله موسى إلى أمه لتعلم أن وعد الله حق ، فتأمل هذا العلم ما هو ؟

وقوله : ﴿ وأن الساعة لا ريب فيها ﴾ أى لما وقع بينهم النزاع ، وذلك أن بعض الناس زعم أن البعث للأرواح خاصة ، فأعثر عليهم ليكون دليلاً على بعث الأجساد^(٢) .

ومن قصة موسى والخضر عليهما السلام يستنبط مسائل في الأصول منها : الدليل على اليوم الآخر ، لأن من أعظم الأدلة إحياء الموتى في دار الدنيا^(٣) . ومن دليل المعاد المبدأ كما قال تعالى : ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ (الأعراف : ٢٩) .

قال الشيخ فيه ذكر المعاد والاستدلال عليه بالمبدأ^(٤) ، أى لا بد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة^(٥) .

ومن الإيمان باليوم يؤمن الشيخ بما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ، فيؤمن بفتنة القبر ، وبعذاب القبر ونعيمه . وبإعادة الأرواح إلى الأجساد وحالتها في البرزخ وحالة الأموات ونحو ذلك .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٨٤ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٢٥٣ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٧٨ .

(٥) المصدر السابق ص ١٠٠ .

فأما الفتنة : فالناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل : من ربك؟ وما دينك؟
ومن نبيك؟

يقول الشيخ : «فمن لم يعرف ربه ، بمعنى معبوده ، ودينه ، ورسوله ، الذى أرسله الله إليه بدلائله في الدنيا ولم يعمل به سئل عنه في القبر ، فلم يعرفه ، ومن لم يعرفه في القبر ضربته الملائكة بمرزبة من حديد لواجتماع عليها الجن والإنس ما أطاقوا حملها ، ومن عرفه بدليله وعمل به في الدنيا ومات عليه سئل في القبر فيجيب بالحق ، فانه ذكر في الحديث «ان العبد المؤمن أو الموقن إذا وضع في قبره سأله الملائكة عن ربه وعن دينه ، وعن نبيه ، فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وصدقنا واتبعنا ، فيقال له نم صالحا قد علمنا أنك مؤمن ، وأعظم البينات الذى جاء به الرسول كتاب الله كما قال تعالى : ﴿ وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ وأما المنافق والمرتاب إذا سئل عن ذلك يقول هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فتعذبه الملائكة^(١) .

وقد ألف الشيخ كتاب أحكام تمنى الموت جمع فيه أحاديث عن رسول الله ﷺ وآثاراً عن السلف الصالح تتناول أموراً تتعلق بالموت والقبر وحالة الأرواح المقبوضة في البرزخ ويعتبر هذا المؤلف موسوعة في ما ورد في هذه الأمور وقد استغرق ٧٨ صفحة^(٢) .

ويؤ من الشيخ بالحساب ، وأن الحساب متوقف على الرسالة ، وأنه عام حتى المرسلين كما قال تعالى : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ، فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ (الأعراف : ٦ ، ٧) .

قال الشيخ : وفى ذلك أن الله يقص عليهم ما فعلوا بعلمه وأنه شهيد على الجزئيات .

كما يؤ من الشيخ : بالميزان وأنه الحق وأن له كفتين . وأن الفلاح بسبب ثقله ،

(١) الدرر السنية ج ٢ ص ٤٢ وج ١ ص ٩٧ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ١٨٣ ،
والقسم الثالث ، الفتاوى ، مسألة رقم ١٦ ص ٧٨ . وانظر : شرح الطحاوية ص ٤٤٩ .
(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الثانى ، الفقه ، المجلد الثانى ، آخره .

والخسارة بسبب خفته ، وأن سبب الخفة الظلم بآيات الله تعالى - كما قال تعالى : ﴿ والسوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ (الأعراف: ٨، ٩) .

ويؤ من بالحوض المورود^(١) .

والناس يرون أعمالهم كلها يوم القيامة بدليل قوله تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ .

وقد أشار الشيخ إلى أن هذه الآية : « الآية الجامعة الفاذة » ويقرر الشيخ أن الجزء من جنس العمل^(٢) .

وأن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها^(٣) .

ومن مشاهد القيامة - في قوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب ، وحىء بالنبين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ (الزمر: ٦٨-٧٠) .

يقول الشيخ فيها: صعق أهل السموات والأرض إلا من استثنى الله وفيها النفخة الثانية فاذا هم قيام ينظرون ، ويلاحظ إذا الفجائية وفيها إتيان الرب سبحانه واشراق الأرض بنوره وإضافة الأرض إليه ووضع الكتاب والاتبان بالنبين والشهداء ، والقضاء بينهم بالحق وتوفية كل نفس عملها وبيان أنه لا يقع في الخصومات شيء مما يقع في الدنيا لكونه سبحانه وتعالى أعلم^(٤) .

وفي شأن الجنة والنار يؤمن الشيخ بهما ، وأنها موجودتان الآن وأن للإيمان بهما فضلاً عظيماً .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ٧٠-٧١ ، وص ٣٧٨ . ومؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ١٤ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٩٧ ، وص ٣٧٧ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ١٧ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

وأن الدور ثلاث، فدار أخلصت للطيب، ودار أخلصت للخبيث، ودار امتزج فيها الخبيث بالطيب، وهى هذه الدار الدنيا، فإذا كان يوم المعاد ميز الله الخبيث من الطيب فجعل الطيب بحذافيره فى الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره فى النار، فعاد الأمر إلى دارين فقط^(١).

وفى قوله تعالى: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا، حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ الآيات (الزمر: ٧١-٧٥).

قال الشيخ فيها: سياقه الكفار، وكونهم زمرا وفتح أبوابها وقت مجيئهم وتقريع الخزنة لهم وكون كل رسول يتلو الآيات وينذر بذلك اليوم، وكون الرسالة عمت واعتراهم، وأن الذى منعهم كون كلمة العذاب حقت على من كفر، وقول الخزنة ادخلوها خالدين، وبيان أن التكبر سبب الكفر، وفيها سوق أهل الجنة وكونهم زمرا، وفتح الأبواب لهم وتسليم الملائكة وقولهم طبتم فادخلوها خالدين، وقولهم الحمد لله. الخ، حمدوه على صدق الوعد وعلى أنه أورثهم الأرض يتبوءن منها حيث شاءوا واثبات دخولها بالعمل وأنها أجر العاملين ورؤية الملائكة حافين من حول العرش، والقضاء بالحق وقول الخلائق كلهم: (الحمد لله رب العالمين)^(٢).

- وبالجمله - فإن الشيخ: يؤمن بكل ما أخبر النبى ﷺ به مما يكون بعد الموت، فيؤمن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنومهم الشمس، وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون وتنشر الدواوين فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله.

ويؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ بعروسة القيامة، مأواه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

ويؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ١٤ وص ٣٧، وص - ص ١٨-١٩ وص ١٤٤. ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١٠. والقسم الرابع، التفسير ص ١٨٩ وص ٣٢٩ وص ٣٧٦-٣٧٧، ٣٨٠ ومختصر زاد المعاد ص ١١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٢٤١-٢٤٣ وص ١١٧ وص ١١٩ وص ١٨٣ وص ١٩٠.

ويؤمن بشفاعته النبي ﷺ وأنه أول شافع وأول مشفع .
ويؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنها اليوم موجودتان وأنها لا يفنيان .
وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته (١) .

الإيمان بالقدر :

يقول الشيخ : وأؤمن بأن الله فعال لما يريد ، ولا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور (٢) . والصبر على أقدار الله من الإيمان بالله لقوله تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ .

قال علقمة : « هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله : فيرضى ويسلم » (٣) .

ويذكر الشيخ كيفية الإيمان بالقدر وهي أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

وأن الإيمان بذلك فرض ، ولا يجد أحد طعم الإيمان ولن يبلغ حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ومن لم يؤمن به أحرقه الله بالنار ، ولو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ، ثم أنفق في سبيل الله ما قبل الله منه ، حتى يؤمن بالقدر بدليل قول النبي ﷺ : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » . وأن رسول الله ﷺ تبرأ ممن لم يؤمن به .

أخذنا من حديث عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : « يا بني ، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ،

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ١ ، ص ٢٩ . مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ٩ ، ١٠ . والقسم الثالث ، الفتاوى ص ٤٤ . والقسم الرابع ، التفسير ، القصص ص ٣١٣ . والقسم الأول ، العقيدة ، مسائل الجاهلية ص ٣٥١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية ص ٩ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ٩٦-٩٧ ، وقول علقمة في صحيح البخاري

ح ٦ ص ٦٧ .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب - فقال : رب وماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة - يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات على غير هذا فليس مني^(١) .

وفي كتاب أصول الإيمان للشيخ بعد أن ذكر باب الإيمان بالله ومعرفة أركانه مباشرة بباب الإيمان بالقدر قبل ذكر الملائكة والرسول والكتب مما يشير إلى أن القدر من شأن الله تعالى ومن صفته ، ولأن الإيمان بالقدر من حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى^(٢) .

يذكر الشيخ في كتاب الإيمان أدلة القدر من القرآن الكريم ، مثل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَئِكَ نَحْنُ الْغَنِيُّونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠١) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب : ٣٨) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصفات : ٩٦) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر : ٤٩) .

ويذكر أدلته أيضا من السنة المطهرة مثل قوله : في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة » قالوا : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا ونندع العمل ، قال : إعملوا فكل ميسر لما خلق له - أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرْهُ لِلْإِسْرَى ﴾ (الليل : ٦) - متفق عليه^(٣) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد باب ما جاء في منكرى القدر ص ١٣٥-١٣٧ . وأصول الإيمان ، باب الإيمان بالقدر ص ٢٤٧ . والقسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ٣٠٦ . والقسم الخامس ، الشخصية رقم ٢ ص ١٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٤٧ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٤٣ .

ومثل حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» متفق عليه .

ومثل حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» رواه مسلم^(١) .

وعن قتادة في قوله تعالى : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾ (القدر: ٤) - قال : يقضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها ، رواه عبد الرزاق وابن جرير وقد روى معنى ذلك عن ابن عباس والحسن وأبى عبد الرحمن السلمى وسعيد بن جبير ومقاتل^(٢) .

وفيما يروى عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ قال : يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء - رواه عبد الرزاق وابن المنذر والطبرانى والحاكم^(٣) .

ثم نقل الشيخ كلام ابن القيم لما ذكر هذه الأحاديث وما في معناها ومحصله : أن الأدلة دلت على تقدير يومى ، وتقدير حولى ، وتقدير عمرى عند تعلق الروح وعند أول تخليقه وتقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السموات والأرض ، وتقدير سابق على خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكل واحدة من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق .

وينقل الشيخ تفصيلا لقدرة الله السابق فيقول ما حاصله : وتقدير الله السابق هو ثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج ، بل العالم يعلم

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ص ٢٤٤-٢٤٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٤٥ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٤٦ .

الشيء ويكتبه ويتكلم به وليس لذاته في الخارج وجود، وهذا العلم والكتاب هو الذي ينكره القدرية الذين كفرهم الأئمة، حين ناظرهم بالعلم فجحدوه أما من أقربه فقد خصم، وقد بينه الكتاب والسنة وأجاب النبي ﷺ عن السؤال الوارد عليه وهو: - أترك العمل لأجله؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له^(١).

وسيتأتى مزيد بيان لموضوع القدر من الله تعالى في فصل التوحيد الجانب العلمى إن شاء الله تعالى.

من مباحث الإيمان :

ويعتقد الشيخ أن حقيقة الإيمان هي التصديق وأنه قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان كما قال الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال»^(٢) وأن الأعمال من الإيمان^(٣). والإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق^(٤).

ويقول الشيخ إن الله سبحانه قد أمرنا أن نقول آمنا كما قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦).

قال الشيخ. وليس هذا من اظهار العمل الذي اخفاؤه أفضل، وفي ذلك الإيمان بجميع المنزل وعدم التفريق بين الرسل والتصريح بالإسلام والتصريح باخلاص ذلك لله، وليس هذا من الثناء على النفس بل من بيان الدين الذي أنت

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مباحث ملخصة رقم ٢٩ ص ٢٥.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة، ص ٣٥. وانظر: اقتضاء العلم بالعمل للبغدادى ضمن رسائل أربع مجموعة بتحقيق الألبانى ص ١٧٧، والفتاوى مسألة ١١ ص ٥١ من القسم الثالث، من مؤلفات الشيخ.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، النحل ص ٢٢٦، والحجرات ص ٣٥٣.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ١١ ورقم ١٤ ص ٩٦-٩٧ ورقم ١٨ ص ١٢٢ وملحق المصنفات ص ١١، وص ٧٠-٧١ وص ١٣٩-١٤٠. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، القصص ص ٢٨٣ ومختصر زاد المعاد ص ٢٥٦، القسم الثالث، الفتاوى مسألة ١١ ص ٥١ والمسألة الخامسة عشرة ص ٧٣، ٧٤.

عليه ، ولهذا قال بعض السلف ينبغي لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه^(١) .

وأن قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾ (البقرة : ١٣٧) . بعد قوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ الآية (البقرة : ١٣٦) . فيه التصريح أن الإيمان هو العمل^(٢) .

وأجاب الشيخ عن سؤال حول أبيات تضمنت خمس مسائل من مسائل العقيدة التي يسمونها أصول الدين هي : ما هو أول واجب؟ وهل يكتفي في مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لا بد من اليقين؟ وهل يشترط في الواجب النطق بالشهادتين أو يصير مسلماً بالمعرفة؟ وهل الإيمان قول باللسان من غير عقيدة القلب؟ - وهل الأعمال من الإيمان يزيد وينقص بها؟ وفيما يلي السؤال والجواب :

سئل الشيخ عن معنى هذه الأبيات :

أول واجب على الإنسان معرفة الإله باستيقان؟

فأجاب : تمام الكلام يعين على فهم معناه .

أول واجب على الإنسان معرفة الإله باستيقان

والنطق بالشهادتين اعتباراً لصحة الإيمان ممن قدرا

أن صدق القلب وبالأعمال يكون ذا نقص وذا إكمال

فذكر في هذا الكلام خمس مسائل من مسائل العقائد التي يسمونها أصول الدين :

الأولى : اختلف في أول واجب فقليل النظر وقيل القصد إلى النظر وقيل المعرفة .

الثانية : هل يكتفي في مسائل الأصول بالتقليد أو غلبة الظن أو لا بد من اليقين فذكر أن الواجب في معرفة الله هو اليقين .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٩ .

الثالثة : هل يشترط في الواجب النطق بالشهادتين أو يصير مسلماً بالمعرفة فذكر أنه لا يصير مسلماً إلا بالنطق للقادر عليه والمخالف في ذلك جهم من تبعه وقد أفتى الإمام أحمد وغيره من السلف بكفر من قال انه يصير مسلماً بالمعرفة . وتفزع على هذه مسائل (منها) من دعى إلى الصلاة فأبى مع الاقرار بوجوبها هل يقتل كفراً أو حداً .
الرابعة : ان ابن كرام وأتباعه يقولون إن الإيـان قول باللسان من غير عقيدة القلب مع أنهم يوافقون أهل السنة انه مخلد في النار فذكر انه لا بد مع النطق بتصديق القلب .

الخامسة : المسألة المشهورة هل الأعمال من الإيـان ويزيد وينقص بها أم ليست من الإيـان والمخالف في ذلك أبو حنيفة ومن تبعه الذين يسمون مرجئة الفقهاء فرجح الناظم مذهب السلف أن الأعمال من الإيـان وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .
إذا ثبت هذا فكل هذه المسائل واضحة إلا المسألة الأولى المستول عنها وهي معرفة الإله ما هي ؟ فينبغي التفتن لهذه فانها أصل الدين وهي الفارقة بين المستلم والكافروبيان ذلك أنه ليس المراد معرفة الإله الإجمالية يعنى معرفة الإنسان أن له خالقاً فإنها ضرورية فطرية بل معرفة الإله - هل هذا مختص بالله لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ؟ أو لغيره قسط منه ؟

فأما المسلمون أتباع الأنبياء ، فإجماعهم على أنه مختص كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٢٥) والكافرون يزعمون أنه هو الإله الأكبر ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده وهذا باطل (١) .

وفي تفاوت الإيـان ومراتبه وعلو إيـان بعض المؤمنين على بعض - يقول الشيخ في جوابه عن سؤال استفتى به :

وأما قوله : ﴿ رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾ فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيـان ومراتبه ، حتى الأنبياء : فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمناً ، فإذا كان محتاجاً إلى الأدلة التي توجب الطمأنينة فكيف بغيره ؟ ولذلك قال رسول الله ﷺ في الصحيح «نحن أحق بالشك من إبراهيم» .

(١) الدرر السنية ، ج ١ ص ٦٩ ، ٧٠ .

وأما قوله في كلام البقرة والذئب «آمنت به أنا وأبوبكر وعمر» وليس في ذلك المكان، فكان هذا من الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة، وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم فلما أخبر النبي ﷺ أن هذا جرى فيما مضى تعجبوا من ذلك مع إيمانهم فقال: «آمنت به أنا وأبوبكر وعمر» فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ليطمئن قلبه مع كونها ليسا في المجلس دل ذلك، على أن إيمانها أعلى من إيمان غيرهما خصوصا لما قرنهما بإيمانه ﷺ^(١).

ويعتقد الشيخ أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها^(٢)، للحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

وفي رواية: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى» إلى آخره. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من أحب في الله، وأبغض في الله ووالى في الله، وعادى في الله، فانها تنال ولاية الله بذلك. ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا» رواه ابن جرير - وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦) قال: المودة.

قال الشيخ فيه أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها^(٣).

ويفسر الإيمان والتقوى في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يوسف: ٥٧). فيقول: الإيمان يدخل فيه الدين كله، وأيضا يدخل كله في التقوى، وأما إذا فرق بينهما كما هنا فالإيمان الأمور الباطنة، والتقوى الأمور الظاهرة. وإذا قلت: الإيمان فعل الواجبات والتقوى ترك المحرمات فقد أصبت^(٤)، ثم يذكر أن

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٥ ص ٧٣، ٧٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ٨٩.

(٣) المصدر السابق ص ٨٨، ٨٩.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٥٨، ١٧٢.

تفسير التقوى جاء في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر: ٣٣) . وأن هذا أحسن ما فسرته به ، فالمتقى يأتي بالصدق إن كان مخبراً ، ويصدق بالصدق إن كان سامعاً ، وهذا هو الاحسان كما تبين بالآية بعده : ﴿ لَهُمُ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الزمر: ٣٤)^(١) .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَتَّقٍ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٠) . الجمع بين التقوى والإيمان ومعرفة الفرق بينهما ، وأن من جمع بينهما فهو من المحسنين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَتَّقٍ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٠)^(٢) .

ويعتقد أن الإيمان بجميع شعبة حق ، وما ناقضه باطل ، فمن آمن بالإيمان كله ، ولم يلبس إيمانه بشرك كان من أهل الأمن في الآخرة والاهتداء في الدنيا لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢)^(٣) .

ويدخل الإسلام في الإيمان ، فإذا أفرد كقوله في الجنة : ﴿ أَعَدْتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (الحديد: ٢١) - فدخل فيه الإسلام ، وإذا ذكر الإسلام والإيمان كقوله : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (الأحزاب: ٣٥) - فالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان في القلب .

والإيمان أعلى من الإسلام ، فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام ، ولا يخرج من الإسلام إلى الكفر فيخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام الذي ينفعه وإن كان ناقصاً كما في آية الحجرات : ﴿ وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ﴾ (الحجرات: ١٤) .

وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعاً ، وأما الإسلام فقد يستلزم الإيمان وقد لا يستلزمه^(٤) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ٣٢٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ١٥٨ ، وص ١٧٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٢ وص ٢١٣-٢١٤ وص ص

٣٥١، ٣٤٢ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ، المسألة رقم ١٣ ص ٥٦، ٥٧ .

ويعتقد الشيخ أن الإيمان بجميع شعبه وأركانه مرتبة عالية من مراتب دين الإسلام^(١).

ودين الإسلام وسط بين طرفين، وهدي بين ضلالتين، وحق بين باطلين^(٢). وإذا لاح واتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق^(٣).

وأن الإيمان يزيد بالطاعة والأعمال الصالحة وينقص بالمعصية، وهو يتجزأ ولا يلزم إذا ذهب بعضه أن يذهب كله. ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان.

قال الشيخ فيها لخصه عن شيخ الإسلام ابن تيمية: تواترات الأحاديث بخروج من قال: لا إله إلا الله من النار إذا كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها، وتواترت أنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله، لكن جاءت مقيدة بالإخلاص، واليقين، ويموت عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثلاث، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، وغالبهم إنما يقولها تقليداً أو عادة، وغالب ما يفتن عند الموت أو في القبر أمثال هؤلاء، كما في الحديث سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ الآية (الزخرف: ٢٢) - فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين ومات عليها امتنع أن ترجع سيئاته، فإن كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر فهو غير مصر على ذنب، وإن كان على وجه خلص به من الأكبر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فترجح بها الحسنات كما في حديث البطاقة وهذا خلاف من رجحت سيئاته، لأنه معه الشرك الأصغر وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك فترجح سيئاته، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص في القلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي، أو النائم أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة فالذي قالها بيقين وصدق تام إما ألا

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٩١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص ١٦٩.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٨٨، ٨٩.

يكون مصرا على سيئة أو يكون توحيد المتضمن لصدقه و يقينه رجح حسناته ،
والذين دخلوا النار فاتهم أحد الشرطين^(١) .

ويرى أن قلب الإنسان يجتمع فيه الضدان ، المعرفة والانكار ، والعلم والجهل ،
والإيمان والكفر ، والحكم للغالب منها^(٢) .

فقد يكون في الرجل مادتان ، فأيهما غلبت عليه كان من أهلها ، فان أراد الله
بعبد خيرا طهره قبل الموافاة فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار . وحكمته تعالى تأبى أن
يجاوره العبد في داره بخبائثه ، فيدخل النار طهرة له واقامة هذا النوع فيها على حسب
سرعة زوال الخبائث وبطئها ولما كان المشرك خبيث الذات لم تطهره النار ، كالكلب إذا
دخل البحر . ولما كان المؤمن الطيب بريئا من الخبائث ، كانت النار حراما عليه إذ
ليس فيه ما يقتضى تطهيره ، فسبحان من بهرت حكمته العقول^(٣) .

ويفرق بين الكفر الأكبر المخرج من الملة والكفر الذى هو دونه ولا يخرج من
الملة وكذلك الشرك ويقول : كيف تعجبون من كلامى فى رجل من المتأخرين غلط فى
قوله يا أكرم الخلق ، ولا تفطنون لمثل قول أنس بن مالك فى أهل زمانه : ما أعرف فيهم
شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت . هل تظنون هذا المتأخر
خيرا وأعلم من أولئك ؟ ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها وتظنون أن من وصف شركا
أو كفرا أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة^(٤) .

ويعتقد الشيخ أنه : لابد من استدامة حال الإيمان حتى يموت عليه كما قال الله
تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾^(٥) (الحجر : آخرها) .

فإن الأعمال بالخصواتيم^(٦) ، والعبرة بكمال النهاية لا نقص البداية^(٧) ونسأل الله
حسن الختام .

(١) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ، ص ص ٧٠-٧١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٠٨ والقسم الخامس ، الشخصية
رقم ١٨ ص ١٢٢ والقسم الرابع ، البقرة ص ٢٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ١٢ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١١ ص ٦٦ وص ٧١ والقسم الثالث الفتاوى ،
المسألة ١٣ ، ص ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الأعراف ص ٤٩ والحجر ص ١٩٧ ، والزمر ص ٣٢٢ .

(٦) المصدر السابق ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ٥٥ .

(٧) المصدر السابق ، القسم الرابع ، التفسير ، العلق ص ٣٧٠ .

هذا ومن خلال ما مر بنا في هذا الفصل عن مجمل عقيدة الشيخ السلفية تبين لنا أنها الإيمان بأركان الإيمان الستة ، وهذا هو الإيمان الشرعى ونظرا لأهمية الإيمان بالله تعالى ، بأنه الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له سنتناول ذلك بشيء من التفصيل لأن ذلك أصل الأصول ، وقد آن لنا أن ننتقل إلى التعرف على عقيدة الشيخ فى توحيد الله من مقاميه مقام الخبر ، ومقام الطلب ، وإلى ذلك فى الفصل التالى .



الفصل الثالث عقيدة الشيخ في التوحيد

حيث أن الكلام في التوحيد يكون من مقامين، مقام الخبر، وهو الذي يترتب عليه توحيد المعرفة والإثبات، أى التوحيد العلمى . ومقام الطلب وهو الذي يترتب عليه توحيد القصد والإرادة، أى التوحيد العملى .

والعلم قبل العمل وهو إمامه وقائده، وبقدر نفع العلم يكون صلاح العمل كما قال تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ (محمد : ١٩) .

وقال الشيخ : قال البخارى رحمه الله تعالى : باب العلم قبل القول والعمل واستدل بهذه الآية ، ثم قال الشيخ : فبدأ بالعلم قبل القول والعمل^(١) ولذا فقد بدأنا هذا الفصل بالجانب الخبرى العلمى من جانبى التوحيد، وهذا الجانب العلمى هو توحيد المعرفة والاثبات ، وهو من باب الخبر الدائرين النفى والاثبات ، والصدق والكذب ، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) .

توحيد المعرفة والاثبات :

يعتقد الشيخ في هذا الباب أن توحيد الله تعالى هو المبنى على اعتقاد أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له وهذا هو توحيد الربوبية وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له^(٣) - وهذا هو توحيد الأسماء والصفات .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٥ - وانظر: صحيح البخارى ج ١

ص ٢٥ . وانظر: ص ١٧١ من هذا البحث .

(٢) انظر: أول التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٣) ابطال التنديد، للشيخ حمد بن عتيق ص ٦ .

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات كلاهما من باب واحد هو توحيد المعرفة والاثبات وهو التوحيد العلمي الخيري . وهذا التوحيد هو الأصل ولا يغلط في الالهية إلا من لم يعطه حقه^(١) .

وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو . وهذا حق^(٢) ، وهو الذي أقرببه الكفار - كما قال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ (يونس : ٣١) .

ولكنهم كفروا حيث لم يعبدوا الله وحده كما هو مقتضى شهادتهم بالربوبية كما قال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار ﴾ (الزمر : ٣٠) .

وتوحيد الربوبية ثابت مشهود لا يحتاج إلى دليل بل هو الدليل على توحيد الطلب كما انزل الله فى محكم كتابه يحتج به على من كفر من خلقه - وتقدم ذكر قوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم ﴾ الآية .

أما توحيد الأسماء والصفات فيقول الشيخ : وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية ولا توحيد الألوهية إلا بالأقرار بالصفات ، والكفار أعقل ممن أنكر الصفات^(٣) . ذلك أن الكفار يزعمون أن الله هو الإله الأكبر ، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده فهم أثبتوا أن الله يتصف بأنه معبود لكن نازعوا فى توحيد العبادة فقالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾ ولم يرضوا أن يقولوا هذه الكلمة لأنهم عرفوا أنها تعنى توحيد العبادة ، والمتكلمون أضلهم كلامهم عن معرفة الإله فقالوا إنه القادر على الاختراع وأن الألوهية هى القدرة فإذا أقررنا بذلك فهو معنى قوله لا إله إلا الله ، ثم استحوز عليهم الشيطان فظنوا أن التوحيد لا يتأتى إلا بنفي الصفات فنفوها وسموا من أثبتها مجسما ورد عليهم أهل السنة بأدلة كثيرة منها أن التوحيد لا يتم إلا بإثبات الصفات وأن معنى الإله هو المعبود فإذا كان هو سبحانه

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١٨ ص ١٢١ .

(٢) المرجع السابق رقم ٢١ ص ١٤٥ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ، رقم ٧ ص ٤٢ .

متفردا به عن جميع المخلوقات وكان هذا وصفا صحيحا لم يكذب الواصف به فهذا يدل على الصفات فيدل على العلم العظيم والقدرة العظيمة وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات^(١).

«فمن أنكر الصفات فهو معطل والمعطل شر من المشرك ولهذا كان السلف يسمون التصانيف في إثبات الصفات كتب التوحيد وختم البخارى صحيحه بذلك قال كتاب التوحيد ثم ذكر الصفات بابا بابا . فنكتة المسألة أن المتكلمين يقولون التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات فقال أهل السنة لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات وتوحيدكم هو التعطيل ولهذا آل القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى»^(٢).

ومن المعلوم لدى المسلمين أن الله تعالى أعلم بنفسه من غيره فاذا سمي نفسه ووصفها فذلك هو الفيصل في المسألة، وكذلك رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ أعلم بالله الذى أرسله من غيره فيصار إلى ما بينه من أسماء الله وصفاته ولا يعدل عنه، هذا مع شهادة العقل الصريح لما ثبت بالنقل الصحيح عن الرسول ﷺ ، فان العقل الصريح هو الموافق للرسول ﷺ وهذا هو الميزان مع الكتاب^(٣).

وبناء على ما قدمنا فان الشيخ يعتقد أن مما دل عليه القرآن الكريم من الأسماء الحسنى التى سمي الله بها نفسه في كتابه وتعرف بها إلى خلقه ما يلى : هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور ، إلى آخر ما ورد في القرآن منها وله الأسماء الحسنى سبحانه وتعالى عما يشركون^(٤).

وأن الله أمرنا بأن ندعوه بها ونترك من عارض من الجاهلين الملحدون - كما قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف : ١٨٠).

(١) الدرر السنية ط ٢ ج ١ ص ٧٠ .

(٢) الدرر السنية ط ٢ ج ١ ص ٧٠ .

(٣) الدرر السنية ط ٢ ج ٢ ص ٨ .

(٤) انظر: الدرر السنية ط ٢ ج ٣ ص ٢٢٠ - ومؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، مطالع الخطب يستفتحها بالأسماء الحسنى، ويختم بها.

والاحاد فيها هو الاشراك حيث سمو اللات من الاله ، والعزى من العزيز ، وأدخلوا فيها ما ليس منها ، كما ورد عن ابن عباس وعن الأعمش^(١) .

ومن بيان الله سبحانه وتعالى في كتابه أن وصف نفسه فذكر من صفاته الألوهية والربوبية والملك في أول سورة في المصحف الفاتحة كما ذكرها في آخر سورة في المصحف ﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس ﴾ فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن ، ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخرها يطرق سمعك من القرآن ، فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتنى بهذا الموضوع ويبدل جهده في البحث عنه ، ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في آخره إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفة الله بها وأنه إلههم الذي لا إله إلا هو ، وربهم الذي لا رب سواه ، وأنه ملكهم المتصرف فيهم وهم عبيده المدبر لهم كما يشاء ، الذي له القدرة والسلطان يخفض ويرفع ويصل ويقطع ويعطي ويمنع لا شريك له ولا لهم ملك من دونه يهربون إليه إذا دهمهم أمره ولكن إليه المصير فهو ﴿ ملك الناس ﴾^(٢) .

وفي سورة الفاتحة معرفة الله على التمام ونفى النقائص عنه تبارك وتعالى . وفيها معرفة الإنسان ربه ومعرفة نفسه ، فإنه إذا كان هنا رب فلا بد من مربوب ، وإذا كان هنا راحم فلا بد من مرحوم ، وإذا كان هنا مالك فلا بد من مملوك ، وإذا كان عبد فلا بد من معبود ، وإذا كان هنا هاد فلا بد من مهدي ، وإذا كان هنا منعم فلا بد من منعم عليه ، وإذا كان هنا مغضوب عليه فلا بد من غاضب ، وإذا كان هنا ضال فلا بد من مضل - فهذه السورة تضمنت الألوهية والربوبية ونفى النقائص عن الله عز وجل^(٣) .

وفي مقارنة يعقدها الشيخ بين أول سورتي اقرأ والمدثر فيقول :

في أول سورة اقرأ : معرفتك بنفسك وبربك - وأول المدثر : فيه العمل المختص والمتعدى .

(١) المرجع السابق باب قول الله تعالى : ﴿ والله الأسماء الحسنى ﴾ ص ١٢٤ والقسم الخامس ، الشخصية رقم ٣٣ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، ص - ص ١١-١٥ ، ص ٣٨٧ ، مختصر زاد المعاد ص ٣٠٦ وملحق المصنفات الخطب المنبرية ، ص ٥٨-٦٠ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، الرسالة الثامنة ص ٣٨٤ .

وفي أول سورة اقرأ : الربوبية العامة – وأول المدثر : الربوبية الخاصة .
 وفي أول اقرأ : فضل الله عليك – وأول المدثر : حقه عليك .
 وفي أول اقرأ : ذكر بدء الخلق – وأول المدثر : ذكر الحكمة فيه .
 وفي أول اقرأ : فيه أصل الأسماء والصفات وهى العلم والقدرة – وأول المدثر
 فيه أصل الأمر والنهى وهو الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك^(١) .

وفي سورة هود ذكر الله في صدرها من العلوم علم معرفة الله بأنه حكيم خبير
 وأنه قدير، ثم ذكر الله شيئاً من تفصيل العلم بأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم
 بذات الصدور وان ثنوا صدورهم ليستخفوا منه واستغشوا ثيابهم، وذكر شيئاً من
 تفصيل القدرة في قوله ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها
 ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ .

ومن معرفة الله ذكر خلق السموات والأرض في ستة أيام وكون عرشه على
 الماء . ومن بيان حكمته سبحانه قوله : ﴿ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾^(٢) .

ومن ذلك قوله ﷺ في حديث عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله
 ﷺ : « الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض
 فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد
 أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذه بخطامها فقال من شدة
 الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » أخرجه (يعنى البخارى
 ومسلم) .

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله تبارك وتعالى قال من عادى لي ولياً
 فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه ،
 وما يزال عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به
 وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى
 لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيزنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض
 نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله
 عنه .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، مقارنة ص ص ٣٦٦، ٣٦٧ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ١١٥-١١٦ .

وغير ذلك من نصوص صفات الله تبارك وتعالى التي وردت في السنة المطهرة وأورد الشيخ كثيرا منها في مؤلفه أصول الإيمان ، ولم يضمها بتفسير ولا استنتاج ، بل أورد النصوص معزوة إلى مصادرها وبوب واختار وقسم ، واكتفى بذلك لوضوحها فيمرها كما جاءت على ظاهرها من غير تحريف ولا تكييف ومن غير تعطيل ولا تمثيل^(١).

ويرى الشيخ أنه لا بد في معرفة الله وأسمائه وصفاته من الاثبات والنفي معا كما جاء في القرآن وعن سيد المرسلين ﷺ وعن المرسلين قبله عليهم الصلاة والسلام ، وهذا شأن أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبتته الرسل وينفون ما نفتته الرسل فلا يتبعون الهوى والظن ولا يعرضون عما جاءت به الرسل بل يأخذون به ويعملون به يهدون ويعدلون^(٢).

ويرى الشيخ أن أسماء الله الحسنى دالة على صفاته وأنه يستدل بها على لازمها وهو عبادته كما قال تعالى : ﴿ واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾ (الحجرات : ١) .

ففي هذه الآية : أمر بتقوى الله وهي المسألة المطلوبة والقضية المستدعاة ثم استدل على هذه القضية بأن الله سميع عليم فهذا دليل من أسماء الله يقتضى تقواه .

وكما قال تعالى : ﴿ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (الحشر : ١٨) .

وكذا الاستدلال بالأسماء والصفات على الأفعال وتعليل الأفعال بها كقوله : ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ﴾ (الزمر : ٥٣) .

وفي قوله : ﴿ حتى يأتي الله بأمره ، إن الله على كل شيء قدير ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

والاستدلال بالقدرة على ما يستشكل وما لا يظن وقوعه أيضا وتنزيه الله عن

(١) انظر : مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ص ٢٣٢-٢٤٢ ، والقسم الثالث ، الفتاوى ص ٤٤ . والدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٣ ص ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، وص ١٨٥ ، ١٨٦ . ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٠ ص ص ١٣٠-١٣٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الأنعام ص ١٠٦ ، الأعراف ص ص ٧٧ ، ٧٨ ، والنحل ص ٢٠٩ ، وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ٩٣ ص ٨٢ ، والقسم الأول ، العقيدة ، مسائل الجاهلية ص ٣٣٩ .

مضاد الحكمة في جميع أفعاله كما قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾^(١) (الحجر: ٨٥) .

وإذا نظرنا إلى مطالع خطب الشيخ يتضح استدلاله بالأسماء الحسنی والصفات العلية والأفعال الحكيمة لله تبارك وتعالى على ما تدل عليه من المعاني الشريفة الكثيرة^(٢) .

مثل قوله : (الحمد لله الكريم الذي أسبغ نعمه علينا باطنة وظاهرة ، الرحيم الذي لم تزل ألطافه على عباده متوالية متظاهرة ، العزيز الذي خضعت لعزته رقاب الجبابرة ، والقوي المتين الذي أباد من كذب رسله من الأمم الطاغية الكافرة)^(٣) .

وقوله : (الحمد لله اللطيف ، الذي بلطفه تنكشف الشدائد ، الرؤوف الذي برأفته تتواصل النعم والفوائد وبحسن الظن به تجري الظنون على أحسن العوائد وبالتوكل عليه يندفع كيد كل كائد)^(٤) .

وقوله : (الحمد لله الكريم المنان ، العزيز ذی السلطان خلق الإنسان من تراب ثم قال له كن فكان يعطى ويمنع ، ويخفف ويرفع ، ويصل ويقطع ، ويشت ويجمع . كل يوم هوفى شأن . يجيب المضطر إذا دعاه . ويغفر للمسيء إذا تاب مما أتاه ويجبر المنكسر إذا لاذ بحماه ، ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فينادى هل من سائل فيعطى سؤله ، هل من تائب فيتاب عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ما جنه)^(٥) وهكذا .

وليس استدلاله هذا مقصوراً على خطبه بل هو يستدل بأسماء الله وصفاته وأفعاله وأحكامه في عقيدته السلفية وعلومه النافعة وأعماله الاصلاحية كلها .

يقول الشيخ حمد بن ناصر بن معمر في جوابه لما سئل عن عقيدة الشيخ : إن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات ، فيكون ردها من باب تحريف

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الحجرات ص ٣٥٠ والبقرة ص ٢٧ ، والزمر ص ٣١٩ ، ٣٣٦ ، والحجر ص ١٩٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية .

(٣) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ص ١٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٦ .

(٥) المرجع السابق .

الكلم عن مواضعه، فلا يقال: هي ألفاظ لا تعقل معانيها، ولا يعرف المراد منها فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى بل هي آيات بينات، دالة على أشرف المعانى وأجلها، قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان اثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك، فكان الباب عندهم بابا واحدا قد اطمأنت به قلوبهم وسكنت إليه نفوسهم^(١).

فهو يثبت لله تعالى الأسماء الحسنى، وصفات الكمال المطلق، الذى لا يشاركه فيه مشارك، وينزهه عن النقص والعيب والسوء والمسبة، وينفى أن يكون له شبيه أو مثيل أو نظير، وينفى خصائصه عما سواه، كما ينفى عنه ما لا يجوز عليه، ولا يلحد في صفات الله ولا في أسمائه بل يثبت ما أثبت الله لنفسه، وأثبت له رسوله ﷺ، وينفى ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ كما ورد في القرآن والسنة، ويرى أن الاختصار على الوحي هو البصيرة في الاعتقاد والعمل والندارة^(٢).

ويرى أن كل ما ورد في القرآن والسنة من الأسماء والصفات كله حق، وفي غاية الحسن والكمال. وأن اثبات ذلك كله توحيد وإيمان، وأن جحد شىء منه هلاك كما ورد عن ابن عباس وعدم للإيمان، وأن احترام أسماء الله وصفاته وتغيير الاسم لأجل ذلك كما ورد عن أبى شريح وترك التحديث بما لا يفهم السامع حتى لا يفضى إلى تكذيب الله ورسوله ﷺ كل ذلك من تحقيق التوحيد.

أما الاستهزاء بشىء منها فهو كفر ونفاق كما قال تعالى: ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ (التوبة: ٦٥).

(١) الدرر السنية، ط ٢ ج ٣ ص ٢٠٨.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ٨ ورقم ٢٠ ص ١٣٠-١٣٥ ورقم ٣٣ ص ٢٢٢-٢٢٣ والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد ص ١٤، وباب قول الله تعالى: ﴿ حتى إذا فرغ عن قلوبهم ﴾ ص ٥٠، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ٢٠ وباب قول الله تعالى: ﴿ والله الأسماء الحسنى ﴾ ص ١٢٤ وباب لا يستشفع بالله على خلقه ص ١٤٥ ورسالة رقم ١ مسائل الجاهلية ص ٣٣٩، ٣٤٣ ورسالة رقم ٨ ص ٣٨٤ والقسم الرابع، التفسير، الأنعام ص ٥٦، ٥٧، الأعراف ص ٨٨، ٧٧، الحجر ص ١٩٥ والتحلل ص ٢٠٩ والقصص ص ٢٩١ والزمر ص ٣١٨ والحجرات ص ٣٥٤، ومختصر زاد المعاد ص ٣٦، ٣٥ وملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٩٣ ص ٨٢ ورقم ١٠٣، ١٠٢ ص ٩٦، ٩٥ ورقم ١٠٩ ص ١٠٤ ورقم ١١٦ ص ١١٩-١٢١.

وكما ورد عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة أن سبب نزولها مقولة رجل في غزوة تبوك^(١).

وأما الألفاظ التي لم يرد اثباتها ولا نفيها في الكتاب والسنة كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك فهذه الألفاظ - يرى الشيخ - أنه لا يطلق اثباتها ولا نفيها وينقل الشيخ عن ابن تيمية قوله ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين قال: وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره لما ذكر لهم أهل البدع الألفاظ المجملة كلفظ الجسم والجوهر والتحيز لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي .
فالصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت عما سكوت الله وسكت رسوله ﷺ عنه ، من أثبت بدعوه ومن نفى بدعوه.

وينقل الشيخ كلام أبي الوفاء بن عقيل قال أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ما عرفا الجوهر والعرض فإن رأيت أن طريقة أبي علي الجبائي وأبي هاشم خير لك من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت^(٢).

ويعتقد الشيخ - رحمه الله تعالى - في باب توحيد المعرفة والاثبات بأن الله هو الإله الذي لا إله إلا هو رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، رب الناس ملك الناس إله الناس . الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كما في سورة الاخلاص ، قل هو الله أحد ، وهو معبود الرسول محمد ﷺ ومن تبعه ، وليس معبود الكافرين المخالفين كما في سورة (قل يا أيها الكافرون) .

ف (الله) : علم على ربنا تبارك وتعالى ، والإله المعبود بحق كما في قوله تعالى : ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض ﴾ (الأنعام : ٣) أي المعبود في السموات والمعبود

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات ص ١٠٦، ١٠٧ وباب التسمي بقاضى القضاة ونحوه ص ١١٥ وباب احترام أسماء الله ص ١١٦، وباب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ ص ١١٧، ١١٨، والقسم الرابع، التفسير، الحجرات ص ٣٥٤، والدرر السنية ط ٢ ج ٣ ص ١٨٥، ١٨٦، وص ص ٢٠٧، ٢٠٨، وج ١ ص ١٢٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٠ ص ١٣١، ١٣٢.

في الأرض مثل قوله: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ والالهية هي الجامعة لصفات الكمال كلها.

و (الرب) هو المعبود، الخالق الرازق، المالك المدبر للأمر والمتصرف فيه، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

و (العالمين) اسم لكل ما سوى الله، تبارك وتعالى، فكل ما سوى الله من ملك ونبي وأنسى وجنى وغير ذلك مربوب مقهور يتصرف فيه، فقير محتاج إليه.

(الرحمن الرحيم) اسمان لله تعالى مشتقان من الرحمة أحدهما أبلغ من الآخر مثل العلام والعليم، قال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أى أكثر من الآخر رحمة.

و (مالك يوم الدين) وفي قراءة أخرى (ملك يوم الدين)، خصص الملك بذلك اليوم مع أنه سبحانه مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره لأن ذلك اليوم هو يوم الجزاء والحساب والدينونة ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾، فالتخصيص لهذه المسألة الكبيرة، ففي الدنيا عمل بالتوحيد أو عمل بضده وفي الآخرة لا عمل ولكن جزاء كل يجازيه مالك يوم الدين بعمله، ويدينه به إن خيرا فخير وإن شرا فشر^(١).

(رب الناس) أى الذى خلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم برؤيته.

(ملك الناس) أى الذى قهرهم وأمرهم ونهاهم وصرفهم كما يشاء بملكوته.

(إله الناس) أى الذى استعبدهم بالالهية الجامعة لصفات الكمال كلها^(٢).

و (الأحد) الذى لا نظير له فقلوه (أحد) نفى النظير والأمثال.

و (الصمد) الذى تصمد الخلائق كلها إليه في جميع الحاجات، وهو الكامل فى السؤدد. فقلوه: (الصمد) فيه اثبات صفات الكمال.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثانى، الفقه، المجلد الثانى ص ٨٧، والقسم الرابع، التفسير، الفاتحة ص ١٥-١١ والناس ص ٣٨٧، ٣٨٨ والقسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٦-١٨٧، ٣٧٠، ومعنى الطاغوت ص ٣٧٦ والقسم الثالث، الفتاوى، المسألة ١٣ ص ٥٦ وملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ٦٠، والقسم الخامس، الشخصية رقم ٧ ص ٤٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الناس ص ٣٨٧، ٣٨٨.

وفي قوله : (لم يلد ولم يولد) نفى الصاحبة والعيال .
وفي قوله : (ولم يكن له كفوا أحد) نفى الشركاء لذى الجلال (١) .

ومعنى أنه (معبود الرسول ﷺ) وليس معبود المشركين كما قال تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ فنفى عنهم عبادة معبوده ، لأنهم إذا أشركوا لم يكونوا عابدين معبوده ، وأيضا لو عينا الله بها ليس هو وقصدوا عبادة الله معتقدين أنه هو كأصحاب العجل ، والذين عبدوا عيسى والدجال ، والذين يعبدون أهواءهم ، ومن عبد من هذه الأمة غير الله فهم عند أنفسهم إنما يعبدون الله ، لكن هذا المعبود ليس هو الله ، وإن قصد العابد الله ، وأيضا إذا وصفوه بما هو برىء منه كالصاحبة والولد وعبدوه كذلك فهو برىء من هذا المعبود ، فانه ليس هو الله وتنصرف عبادتهم إلى غير الله كما ينصرف سب قریش عن الرسول ﷺ : « ألا ترون كيف يصرف الله عنى سب قریش يسبون مذمما ؟ . ورسول الله ليس مذمما ولكن هو محمد ﷺ .

كذلك عبادة أمثالهم واقعة على موصوفهم ، أيضا ومن لم يؤمن بها وصف به الرسول ﷺ ربه فهو في الحقيقة لم يعبد ما عبده الرسول ، وقس على هذا (٢) .
وثبت الشيخ أن الله تعالى سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، وقد أحاط سمعه بجميع المسموعات .
ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، وقد أحاط بصره بجميع المبصرات (٣) .

وثبت الشيخ أن الله تعالى الوصف بأنه عالم الغيب والشهادة (٤) ، له غيب السموات والأرض (٥) ، قد تفرد بعلم الغيب (٦) ، وسع علمه بكل شيء ، وأحاط

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الاخلاص ص ٣٨٣ ومختصر زاد المعاد ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة عن ابن تيمية مسألة رقم ٨٢ ص ٥٧ .

(٣) تاريخ نجد للألوسي ص ٤٢ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، العلق ص ٣٧٢ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ص ٢١ ، ٢٢ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الكهف ص ٢٤٨ .

(٦) المصدر السابق ، النحل ص ٢٢٠ .

علمه بكل شيء^(١)، أحاط علمه بالجزئيات والكلديات^(٢)، وبالسر والجمهور^(٣)، وبالحد والمحدود^(٤)، يعلم خفيات السرائر^(٥)، ويحصى خطرات الفكر^(٦)، لا ينسى ولا يضل^(٧)، وهو معلم كل علم وواهبه^(٨)، فتح على عباده من حقائق المعارف ولطائف العلوم ما هداهم به إلى صراطه المستقيم^(٩) وهو الأعلم سبحانه على الإطلاق^(١٠).
يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ولا متحرك ولا ساكن إلا وهو يعلمه على حقيقته، يعلم السر وأخفى، إنه حكيم عليم^(١١).

والشيخ يعتقد أن العلم والقدرة هما أصل الأسماء والصفات لله تعالى^(١٢)، ويثبت الشيخ لله تعالى القدرة التامة^(١٣) المطلقة العظيمة على كل شيء، فلا يستبعد الإنسان معها شيئاً^(١٤)، ويقول الشيخ: إن في قوله تعالى: ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم﴾، ان الله على كل شيء قدير ﴿(آل عمران: ١٦٥)﴾. فيه اعلام بعموم قدرته سبحانه مع عدله^(١٥).

-
- (١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ٥٣، ٥٤ والقسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٢٥ والكهف ص ٢٥٢ والبقرة ص ٢٢.
(٢) المصدر السابق، القسم الرابع، التفسير، الأعراف ص ٧٠، والدرر السنية ط ٢ ج ٢ ص ٣.
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، النحل ص ٢٠٤.
(٤) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ٦٣-٦٤.
(٥) المرجع السابق ص ٦٤-٦٦.
(٦) المرجع السابق ص ٣٠-٣٢.
(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، قصة موسى وفرعون ص ٢٩٩.
(٨) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١٣٥ ص ١٩٦، ١٩٧ ورقم ١٣٣ ص ١٨٣، ١٨٤.
(٩) المصدر السابق، الخطب المنبرية ص ٢٥-٢٧. ومسائل ملخصة رقم ٧٩ ص ٥٥، والقسم الأول، التوحيد ص ٥٥ والقسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٢٧.
(١٠) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة ص ١٥١، ١٨١، ١٩٦، ٣٢٩، ٣٥٢، ٣٦٩، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٩، ٣٩٢.

- (١١) تاريخ نجد للألوسي ص ٤٢، ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الحجر ص ١٨٧.
(١٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٦٦، ٣٦٧.
(١٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٢٥، والفتاحة ص ١٨، والأنعام ص ٥٨.
(١٤) المصدر السابق، النحل ص ٢٢م والقصص ص ٢٨٢.
(١٥) المصدر السابق، مختصر زاد المعاد ص ٢٤٣، ٢٤٤.

وفي كتاب التوحيد للشيخ - باب ما جاء في المصورين - أورد الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة) أخرجاه (يعنى البخارى ومسلم) - قال الشيخ: فيه التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله: (فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة) (١).

ويعتقد أن الله سبحانه هو القادر على تنفيذ ما قدره وأراد (٢)، وأن الله فعال لما يريد ولا يكون شيء إلا بأمره، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور (٣)، وأن أول ما خلق الله القلم، وأنه جرى بالمقادير في تلك الساعة بما هو كائن إلى قيام الساعة (٤).

قال الشيخ: وفي ذلك دليل على كمال علم الرب (٥) وقدرته وحكمته وزيادة تعريفه الملائكة وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه.

وقال الشيخ: قال ابن القيم: فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق (٦) لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت بأشد اجتهادا مني الآن وقال أبو عثمان النهدي لسلیمان لأنا بأول الأمر أشد فرحاً مني بآخره، وذلك لأنه إذا كان قد سبق له من الله سابقة وهياً ويسره للوصول إليها كان فرحه بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالأسباب التي تأتي بها (٧).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ٢١، ٢٢.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١ ص ٩.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب ما جاء في منكري القدر ص

١٣٥-١٣٦، وباب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ٢٣ وأصول الإتيان باب الإتيان بالقدر ص ٢٤٧.

والقسم الرابع، التفسير، البقرة ص ٢٢ والأعراف ص ٧٣، ٧٨ وص ٨٤، ٨٥ والزمر ص ٣٢٥ وص ٣٢٧، والحجر ص ١٨٥.

(٥) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى، المسألة السادسة عشر ص ٧٥.

(٦) انظر: مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٢٩ ص ٢٥.

(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإتيان ص ٢٤٦، ٢٤٧.

ولا يجوز أن يظن بقدر الله ما لا يليق بالله ولا يليق بحكمته وحمده ووعدته الصادق وعدله الكامل، فمن أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد وزعم أن ذلك لمشيئة مجردة وأنه يضع الأشياء في غير مواضعها ويصيب بأقداره من لا يستحقها وليس لها بأهل فذلك ظن الذين كفروا.

قال الشيخ: «وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماء وصفاته، وموجب حكمته وحمده وعرف نفسه فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر. وفتش نفسك هل أنت سالم؟ فان تنج منها من ذى عزيمة والا فانى لا اخالك ناجيا^(١).

ولذا لا يجوز أن يعترض بلو على قدر الله، كما فعل الذين قال الله عنهم: ﴿يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا﴾ (آل عمران: ١٥٤). وقال الله تعالى: ﴿الذين قالوا لآخوانهم - وقعدوا - لو أطاعونا ما قتلوا﴾ (آل عمران: ١٦٨).

ولأن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك نهيا صريحا كما في الحديث الذى رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن. وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فان لو تفتح عمل الشيطان»^(٢).

قال الشيخ: فى كتاب التوحيد وكتاب مختصر زاد المعاد: فيه النهى الصريح عن قوله: «لو» إذا أصابك شيء لأن ذلك يفتح عمل الشيطان، وأرشدته إلى ما هو أنفع منها، وهو أن يقول: «قدر الله وما شاء فعل» وذلك لأن قوله: لو فعلت كذا لم يفتنى ما فاتنى أو لم أقع فيما وقعت فيه كلام لا يجدى عليه فائدة، فانه غير مستقبل لما استدبر، وغير مستقيل عشرته بلو، وفي ضمنها أن الأمر لو كان كما قدره فى نفسه لكان غير ما

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يظنون بالله غير الحق﴾ ص ١٣٣-١٣٤. وملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ١٠٥، ٦٠، ٦١.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء فى اللوص ١٣٠. وأصول الإيمان باب الإيمان بالقدر ص ٢٤٧. وانظر: صحيح مسلم، القدر، ج ٤/٢٠٥٢.

قضاه الله، ووقوع خلاف المقدر محال فقد تضمن كلامه كذبا وجهلا ومحالا وان سلم من التكذيب بالقدر، لم يسلم من معارضته بلو. فان قيل فتلك الأسباب التي تمنها من القدر أيضا؟ قيل هذا حق، ولكن هذا ينفع قبل وقوع القدر المكروه فإذا وقع، فلا سبيل إلى دفعه أو تخفيفه، بل وظيفته في هذه الحال أن يستقبل الفعل الذي يدفع به أو يخفف، ولا يتمنى ما لا مطمع في وقوعه، فانه عجز محض والله يلوم على العجز، ويحب الكيس، وهو مباشرة الأسباب فهي تفتح عمل الخير، وأما العجز، فيفتح عمل الشيطان، فانه إذا عجز عما ينفعه صار إلى الأمانى الباطلة ولهذا استعاذ النبي ﷺ من العجز والكسل، وهما مفتاح كل شر، ويصدر عنهما الهم والحزن، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال، فمصدرها كلها عن العجز والكسل، وعنوانها «لو» فان المتمنى من أعجز الناس وأفلسهم وأصل المعاصي كلها العجز فان العبد يعجز عن أسباب الطاعات وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي وتحول بينه وبينها، فجمع في هذا الحديث الشريف أصول الشر وفروعه، ومبادئه وغاياته، وموارده ومصادره، وهو مشتمل على ثمان خصال، كل خصلتين قرينتان، فقال: «أعوذ بك من الهم والحزن» وهما قرينتان.

فان المكروه الوارد على القلب إما أن يكون سببه أمرا ماضيا، فهو يحدث الحزن، وإما توقع مستقبل، فهو يورث الهم - وكلاهما من العجز، فإن ما مضى لا يدفع بالحزن بل بالرضى والحمد، والصبر والإيمان بالقدر وقول العبد: «قدر الله وما شاء فعل» وما يستقبل لا يدفع بالهم، بل إما أن يكون له حيلة في دفعه، فلا يعجز عنه، وإما أن لا يكون له حيلة، فلا يجزع منه، ويلبس له لباسه من التوحيد والتوكل والرضى بالله ربا فيما يحب ويكره، والهم والحزن يضعفان العزم، ويوهنان القلب، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه، فهما حمل ثقل على ظهر السائر. انتهى بتصرف قليل^(١).

ويعتقد أن ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله، ومن يؤمن بالله يهد قلبه، والله بكل شيء عليم.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في اللوص ص ١٣٠، ١٣١، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ١٢٤-١٢٥.

ويقول: قال علقمة بن قيس النخعي في معنى: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم^(١)، وهذا الأثر قال عنه مؤلف تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد للشيخ: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علقمة وهو صحيح^(٢).

ويعتقد أن رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: «اثنان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت».

وللبخاري ومسلم عن ابن مسعود مرفوعا: «ليس منا من ضرب الحدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»^(٣).

ويعتقد أن الله تعالى إذا أراد بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة، وأن عظم الجزاء مع عظم البلاء وأن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط^(٤).

ويفرق الشيخ بين إرادة الله القدرية وإرادته الشرعية والجعل القدرى والجعل الشرعى فيقول: قوله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (القصص: ٥-٦). هذه الإرادة القدرية.

وقوله: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ (القصص: ٣٩-٤٠) هذا الجعل القدرى أيضا.

أما الإرادة الشرعية فهي قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ (الأحزاب: ٢٣) وأمثالها.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ٩٦.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٣.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٩٦.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٩٦، ٩٧ وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٧، ٤٦٠.

وقوله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ﴾ (المائد: ١٠٣) وأمثالها - فهذا الجعل الشرعى^(١).

ويعتقد أن الاحتجاج بالقدر على إبطال الشرع وارتكاب المعاصى هو من هدي الكفار، قال تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا : لو شاء الله ما عبدنا من دونه شىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾^(٢) (النحل: ٣٥) وهو من طريقة إبليس والعياذ بالله - حيث قال محتجا على ربه : (فبنا أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم) وليس له فى ذلك حجة ولا لأتباعه وإنما الحق هو قول آدم : (ربنا ظلمنا أنفسنا)^(٣)

قال الله تعالى : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمتنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تحرصون ، قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ (الأنعام : ١٤٨ ، ١٤٩) .
قال ابن كثير : قال الضحاك : « لا حجة لأحد عصى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده »^(٤) .

وهؤلاء فى هذه الآية يزعمون أن الله لما لم يحل - وهو القادر - بينهم وبين الكفر والشرك دل على أن هذا الكفر والشرك بإرادته الشرعية ورضاه ، وهى حجة داحضة باطلة .

ومما استنبطه الشيخ من قصة آدم وإبليس فى هذا المعنى قوله : « انها تفيد المعنى العظيم المذكور فى قوله تعالى : (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) وما فى معناه من النصوص ، وذلك مستفاد من صنع اللعين ، فانه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه ، وأنه لا محيص له عنه ، ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم ، ومع ذلك لم

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، القصص ص ٢٨٢ وص ٢٩٤ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، النحل ص ٢٠٨ .

(٣) المصدر السابق، الأعراف ص ٧٣ وص ٨٥ ، وانظر: مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٥٠ ص ص ٣٤، ٣٥ .

(٤) تفسير ابن كثير، ط الاستقامة ١٣٧٣هـ، ج ٢ ص ص ١٨٦، ١٨٧ .

يتب ولم يرجع ، بل أصرو وعاند ، وطلب النظرة لأجل المعصية مع علمه بعقابه وعدم مصلحته من فعله ، وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته ، وتقليبه القلوب كيف يشاء ، وتيسيره كل عبد لما خلق له فيفعله باختياره^(١) .

والله لا يرضى كفرهم وشركهم وإن كان سبحانه قادر على الحيلولة بينهم وبينه ، وقادر على هدايتهم أجمعين ، فليس لهم في قدرته سبحانه حجة . وإنما الحجة البالغة له على من عصى بسبب عصيانه ، ومخالفته ما أَرَادَهُ الله منه شرعا ، وقد عصى وخالف بهواه ورضاه وعلمه بأن عاقبة عصيانه العذاب الأليم ، كما أن عاقبة الطاعة المغفرة والرحمة والرضى .

ومع أنه سبحانه غنى عن طاعة المطيع ، فهو يرضاه لعبده ويسخط عليه معصيته وهي لا تضر إلا العاصي^(٢) .

والله غنى بذاته لا تزيده طاعة المطيع ، ولا ينقصه العطاء على سعة جوده ولا تضره المعاصي ، يطعم ولا يطعم ولا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو القدوس السلام ، المبرأ عن كل عيب وآفة ونقص^(٣) .

وهو العدل الحكيم لا يصلح عمل المفسدين ، ولا يهدى كيد الخائنين ، ولا يحب المسرفين ، ولا يحب كل مختال فخور ، ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون ، وهو لا يظلم ولا يريد الظلم بل يتنزه عن أن يظلم عبده أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب أخذه لأنه منزّه عن الفقر والحاجة والجهل والخساسة لكونه الغنى القوى الحكيم ويستجيب دعوة المظلوم ، وليس بينه وبينها حجاب^(٤) .

ومعنى مكر الله بالعبد هو أن العبد إذا عصاه وأغضبه ، أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه^(٥) ، وهذا عدل يحمل عباده على سعة النظر ومراقبة العواقب في

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٩٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ٣٢٠ - وانظر : ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ، مسألة رقم ٥ ص ٣٩-٣٤ ، والقسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ص ٦٥ ، ١١٨ ، ١٤٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الكهف ص ٢٥٠ والزمر ص ٣٢٥ ، وتاريخ نجد للألوسى ص ٤٢ ، ٤١ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الأنعام ص ٧٩ ويوسف ص ١٥٤ ، وقصة موسى وفرعون ص ٣٠٩ ، والكهف ص ٢٥٠ ، وآل عمران ص ٥١ ، والقسم الأول ، التوحيد ص ٢٠ ، وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ص ٣٤ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ، مسألة رقم ١٢ ص ص ٥٤ ، ٥٢ .

اعطاء الله النعم من الدنيا كالمال والولد والبيت الرفيع وعدم الاغترار بالرتبة وغزارة العلم وصلاح العمل ، والكرامات واجابة الدعوات ، فلا يأمن العارف مكر الله ان هو اغتر بذلك كما فعل أبو لهب ، والذي آتاه الله آياته فانسلخ منها^(١) .

وأنه سبحانه لا يعجل لعجلة أحد حتى ولو كان رسولا ، فكيف يستعجله من يرعم أنه متبع ، وهو سبحانه يمهل ولا يهمل ، ولا يضيع أجر المحسنين^(٢) ، وهو سبحانه جميل يحب الجمال ، وطيب يحب الطيب ولا يقبل من العمل إلا الطيب^(٣) .

والله رحيم لا يقنط من رحمته إلا القوم الخاسرون ومن ذلك رحمته سبحانه بعبدده فيما حجره عليه ، وجعله العقوبات من رحمته بعباده ، وقد يغفر للرجل بسبب يهيئه له وهو من أكره الأمور إليه ، ذلك أن طبع الإنسان الطغيان إذا استغنى ولا يخرج عن طبعه إلا بفضل الله ورحمته^(٤) .

فانه هو الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم^(٥) ، وحجب الإيهان إلى المؤمنين وزينه في قلوبهم ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان^(٦) ، ووعد الذين اتقوا ربهم بأن لهم غرفا من فوقها غرف مبنية ، تجري من تحتها الأنهار ، وعد الله ، لا يخلف الله الميعاد فهذا وعد لا نظير له في القرآن^(٧) ، وهو الغفور الرحيم^(٨) ، رؤوف بالعباد^(٩) ، انما يدخلون الجنة برحمته^(١٠) ، لطيف بهم^(١١) ، رفيق يحب الرفق^(١٢) ،

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، تبت ص ٣٨٢ والأعراف ص ص ٨٦ ، ١١١ ، ١١٢ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، يوسف ص ١٨٠ والبقرة ص ٢٧ ، ٣٠ ، يوسف ص ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) المرجع السابق ، مختصر زاد المعاد ص ١٠ وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ص ص ١٢١ ، ١٦٠ ، ١٦٣ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الأعراف ص ٧٥ ، وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ١١٨ ص ١٢٤ ، والتفسير ، العلق ص ٣٧١ ، والقسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ٩٥ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، العلق ص ٣٦٩ .

(٦) المرجع السابق ، الحجرات ص ٣٥٣ .

(٧) المرجع السابق ، الزمر ص ٣٢٥ .

(٨) المرجع السابق ، الزمر ص ٣٣٦ .

(٩) المرجع السابق ، الحجرات ص ٣٥١ .

(١٠) المرجع السابق ، الزمر ص ص ٣٢٢ ، ٣٤٣ .

(١١) المرجع السابق ، آل عمران ص ٤٩ .

(١٢) المرجع السابق ، قصة موسى وفرعون ص ٢٩٧ .

بلطفه تنكشف الشدائد وبرأفته تتواصل النعم والفوائد، وبحسن الظن به تجرى
الظنون على أحسن العوائد^(١).

ويثبت لله الحكمة التامة فهو الحكيم وجميع أفعاله وثوابه وعقابه على قانون
العدل والاحسان^(٢) كما قال تعالى: ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما
باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ﴾^(٣) (ص : ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ .
ومعنى أنه سبحانه حكيم أى لا يضع الأشياء إلا فى مواضعها . فمن ذلك أنه
ما جعل إبراهيم إماما إلا بعد ما أتم ما ابتلاه به .

قال الشيخ : وسئل بعضهم أيما الابتلاء أو التمكين؟ فقال : الابتلاء ثم
التمكين - وإذا كان يتلى الأنبياء هل يفعلونه أولا؟ فكيف بغيرهم؟^(٤) .
وكان فى تحويل القبلة حكم عظيمة ومحنة للمسلمين والمشركون واليهود
والمنافيق : فأما المسلمون ، فقالوا : «أما به كل من عند ربنا» وهم الذين هدى الله ،
ولم تكن كبيرة عليهم .

وأما المشركون ، فقالوا : كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا .
وأما اليهود ، فقالوا : خالف قبلة الأنبياء قبله .

وأما المنافقون ، فقالوا : ما يدري أين يتوجه؟ ان كانت الأولى حقا فقد تركها
وان كانت الثانية هى الحق ، فقد كان على الباطل . وكثرت أقاويل السفهاء من
الناس ، ولما كان شأن القبلة عظيما وطأ قبلها سبحانه بأمر النسخ وقدرته عليه وأنه يأتى
بخير من المنسوخ أو مثله ، ثم عقبه بالتوبيخ لمن تعنت على الرسول ﷺ ولم ينقد له ثم
أخبر أن له المشرق والمغرب وهو الواسع العليم فلعظمته وسعته واحاطته فأينما ولى
عباده وجوههم فثم وجه الله وغير ذلك من الموطئات .

(١) المرجع السابق ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ، رقم ٥١ ص ٣٥ وص ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ، القسم الأول ، مسائل الجاهلية ص ٣٤٤ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، البقرة ص ٣٠ والأعراف ص ١١٢ . وانظر : مختصر زاد

المعاد ص ٢٩٧ .

وبين سبحانه أن تحويل القبلة إلى البيت الذي بناه امام الناس فكذلك البيت
إمام لهم وهو أفضل القبل وهم أفضل الأمم كما اختار لهم أفضل الرسل وأفضل
الكتب، وخصهم بأفضل الشرائع والله ذو الفضل العظيم، وأخبر سبحانه أنه فعل
ذلك لئلا يكون للناس عليهم حجة وليتم نعمته عليهم وليهديهم، وليرى من يتبع
الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه^(١).

ومن حكمته سبحانه في تزيين ما على الأرض ليلو عباده أيهم أحسن
عملاً^(٢). والمبتلي هو أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين لم يبتل عبده ليهلكه، بل
ليمتحن إيمانه وليسمع تضرعه، وليراه طريقاً باباه، وليمنع الأدواء المهلكة كالكبر
والعجب والقسوة^(٣). ومن حكمة العزيز الحكيم في تسليطه الهم والحزن على القلوب
المعرضة عنه ليردها عن كثير من معاصيها، ولا تزال هذه القلوب في هذا السجن
حتى تخلص إلى فضاء التوحيد والاقبال على الله ولا سبيل إلى خلاص القلب إلا
بذلك، ولا بلاغ إلا بالله وحده، فانه لا يصل إليه إلا هو ولا يدل عليه إلا هو. وإذا
قام العبد في أى مقام كان، فبحمده وحكمته أقامه فيه، ولم يمنع العبد حقاً هوله، بل
منعه ليتوسل إليه بمحابه فيعطيه، وليرده إليه، وليعزه بالتدلل له وليغنيه بالافتقار
إليه، ولجبره بالانكسار بين يديه وليوليّه بعزله أشرف الولايات، وليشهده حكمته في
قدرته، ورحمته في عزته، وأن منعه عطاء، وعقوبته تأديب، وتسليط أعدائه عليه سائق
يسوق إليه والله يعلم حيث يجعل مواقع عطائه، وأعلم حيث يجعل رسالته،
﴿ وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا : أليس الله
بأعلم بالشاكرين ﴾ (الأنعام: ٥٣) فهو سبحانه أعلم بمحال التخصيص، فمن رده
المنع إليه، انقلب عطاء، ومن شغله عطاؤه عنه، انقلب منعا، وهو سبحانه وتعالى
أراد منا الاستقامة واتخاذ السبيل إليه وأخبرنا أن هذا المراد لا يقع حتى يريد من نفسه
اعانتنا ومشيتنا له، كما قال تعالى: ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ فان
كان مع العبد روح أخرى نسبتها إلى روحه كنسبة روحه إلى جسده يستدعى بها
إرادة الله من نفسه أن يفعل به ما يكون به العبد فاعلا، وإلا فمحله غير قابل

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ١٩٣-١٩٥ باختصار.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الكهف ص ٢٤١، والأنعام ص ٥٨، ٥٥.

(٣) المرجع السابق، مختصر زاد المعاد ص ٣٠٧.

للعطاء ، وليس معه اناء يوضع فيه العطاء فمن جاء بغير اناء ، رجع بالحرمان ، فلا يلومن إلا نفسه^(١) .

ومن حكمة الادالة على المسلمين - في غزوة أحد - تعريف الله للصحابة عاقبة المعصية والفشل والتنازع ليستيقظوا ويحذروا من أسباب الخذلان وأن حكمة الله جرت بأن الرسل يدلون مرة ، ويدال عليهم أخرى ، لكن يكون لهم العاقبة ، فلو انتصروا دائما ، دخل معهم المؤمن وغيره ولم يتميزوا ، ولو انتصر غيرهم دائما لم يحصل المقصود .

قال الله تعالى : ﴿ ما كان الله ليجزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ (آل عمران : ١٧٩) .

أى ما كان الله ليذركم على هذا من التباس المؤمنين بالمنافقين حتى يميزهم ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ الذى يميزه بينهم بل يريد سبحانه أن يميزهم تمييزا مشهودا . وقوله : ﴿ ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ استدراك لما نفى من اطلاعهم على الغيب ، أى : سوى الرسل ، فانه يطلعهم على ما يشاء كما فى سورة الجن ، فسعادتهم بالإيمان بالغيب الذى يطلع عليه رسله ، فان آمنتم به واتقيتم فلکم أعظم الأجر .

ومنها استخراج عبودية الأولياء فى السراء والضراء ، فإذا ثبتوا على الطاعة فيما أحبوا وكرهوا ، فهم ليسوا كمن يعبد على حرف .

ومنها أنه لو بسط لهم النصر دائما لكانوا كما يكونون لو بسط لهم الرزق ، فهو المدير لهم ، كما يليق بحكمته ، انه بهم خير بصير .

ومنها أنهم اذا انكسروا له استوجبوا النصر فان خلعة النصر مع ولاية الذل كما قال تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾ (آل عمران : ١٢٣) . وفى مقابل ذلك قال : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ (التوبة : ٢٦) .

ومنها أنه هيا لعباده منازل لا تبلغها أعمالهم ، ولا يبلغونها إلا بالبلاء ، فقيضه لهم ، كما وفقهم للأعمال الصالحة .

ومنها أن العافية الدائمة ، والنصر والغنى يورث ركونا إلى العاجلة ويشبط

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

النفوس، ويعوقها عن السير إلى الله، فإذا أَرَادَ الله كرامة عبد قيض له من البلاء ما يكون دواء لهذا.

ومنها أن الشهادة عنده من أعلى المراتب، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من أوليائه شهداء.

ومنها أنه سبحانه إذا أراد هلاك أعدائه قيض أسبابا يستوجبون بها الهلاك مثل بغيهم ومبالغتهم في أذى أوليائه، فيمحض به أوليائه من ذنوبهم ويكون من أسباب محق أعداء الله، وذكر سبحانه ذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَيُمَحِّقُ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٩-١٤٢).

ومنها أن هذه الواقعة (أحد) مقدمة بين يدي موته ﷺ وهذه عادته سبحانه شرعا وقدرًا أن يوطئ بين يدي الأمور العظام بمقدمات، والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حين مات رسول الله ﷺ، فجعل لهم العاقبة ثم أخبر أنه جعل لكل نفس أجلا، ثم أخبر أن كثيرا من الأنبياء قتلوا وقتل معهم أتباع لهم كثيرون، فما وهن من بقي منهم أو ما وهنوا عند القتل، والصحيح أنها تتناول الفريقين.

ثم أخبر سبحانه عما استنصر به الأنبياء وأممهم من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم، وسؤالهم التثبيت لأقدامهم والنصر على أعدائهم، فقال: ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ (آل عمران: ١٤٧).

علموا أنه سبحانه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يقدرُوا، وعلموا أنه إنما يدال عليهم بذنوبهم، من تقصير في حق، أو تجاوز في حد، فوفوا المقامين حقهما المقام المقتضى وهو التوحيد والالتجاء إليه ومقام إزالة المانع من النصر وهو الذنوب والاسراف.

وأشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران إلى أمهات هذه الحكم من قوله: ﴿ وإذ غدوت من أهلك ﴾ إلى تمام الستين آية من آية ١٢١ إلى آية ١٨٠.

ففي هذه الآيات ذكرهم الله في هذه المحنة بما هو من أعظم نعمه عليهم، التي إن قابلوا بها كل محنة تلاشت، وهي إرسال رسول من أنفسهم، فكل بلية بعد هذا الخير العظيم أمر يسير جداً، فأعلمهم أن المصيبة من أنفسهم ليحذروا، وأنها بقدره

ليوحدوا ويتكلموا، وأخبرهم بما له من الحكم لثلاثتهم في قدره وليتعارف إليهم بأنواع أسمائه وصفاته، وذكرهم بما هو أعظم من النصر والغنيمة، وعزاهم عن قتالهم لينافسهم، ولا يحزنوا عليهم، فله الحمد كما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله^(١).

وابن آدم يؤذى الله إذا سب الدهر لأن الدهر هو قلب الليل والنهار بأمر الله تعالى فهو سبحانه بيده الأمر يقلب الليل والنهار يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر وبحي ويميت ويفنى قوما ويأتي بآخرين بخلاف الضرر فقد أخبر سبحانه أن العباد لا يضرونه كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾. قال الشيخ: والأذى في اللغة هو لما خف أمره وضعف أثره من الشر والمكروه ذكره الخطابي قال شيخ الإسلام وهو كما قال. أ- هـ. ويعنى شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد عقد الشيخ في كتاب التوحيد باب من سب الدهر فقد آذى الله وساق قوله تعالى ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم بذلك من علم، إن هم إلا يظنون﴾ (الجاثية: ٢٤).

ومافى صحيح البخارى عن النبى ﷺ قال: (قال الله تعالى: يؤذنى ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار) وفي رواية لمسلم وغيره «لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر».

قال الشيخ فيه مسائل:

الأولى: النهى عن سب الدهر.

والثانية: تسميته أذى لله.

والثالثة: التأمل فى قوله «فان الله هو الدهر».

والرابعة: أنه قد يكون سباباً، ولو لم يقصده بقلبه^(٢).

وأنه ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافهم

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ٢٣٤-٢٤٤ وص ٢٥٦، ٢٦٤ وص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١١٤ وأصول الإيمان ص ٢٤٢ - وانظر: تيسير العزيز الحميد ص ص ٥٤٢-٥٤٧.

ويرزقهم^(١). ويثبت الشيخ المثل الأعلى لله سبحانه وهو العزيز الحكيم^(٢)، فهو الذى ليس كمثله شىء لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله وثبوتها على وجه الكمال الذى لا يماثله فيه شىء، فالمثبت هو الذى يصفه بأنه ليس كمثله شىء وقد وصف نفسه بأن له المثل الأعلى المتضمن إثبات الكمال كله له وبهذا كان المثل أعلى وهو أفعل تفضيل، ومثل السوء لعدم صفات الكمال ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوحيده لأنهم فقدوا الصفات التى من اتصف بها كان كاملاً وهى الإيمان والعلم والمعرفة واليقين والاخلاص والتوكل والانابة وغير ذلك التى من اتصف بها كان آمن بالآخرة.

ومثل السوء هو العدم وما يستلزمه وضده المثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعانى الثبوتية، ولما كان الرب هو الأعلى ووجهه هو الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وسائر صفاته هى العليا كان له المثل الأعلى وهو أحق به من كل ما سواه.

ويستحيل أن يشترك فى المثل الأعلى اثنان لأنها إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر وإن لم يتكافأ فالموصوف بالأعلى أحدهما وحده فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير. وهذا برهان قاطع من إثبات المثل الأعلى على استحالة التمثيل.

والمثل الأعلى متضمن أربعة أمور :

- ١ - ثبوت الصفة العليا لله سبحانه فى نفس الأمر.
 - ٢ - وجودها فى العلم والتصور.
 - ٣ - الخبر عنها وذكرها وتنزيهاها عن النقائص.
 - ٤ - محبة الموصوف بها وتوحيده والاخلاص له والتوكل عليه.
- وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والاخلاص أقوى. وعبارات السلف تدور حول هذه المعانى الأربعة لا تتجاوزها^(٣).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٣٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، النحل ص ٢١٥.

(٣) ملخص من آخر مجلد لمصورة عن مخطوطة بعنوان: مبحث الاجتهاد والخلاف للشيخ محمد بن عبد الوهاب رقمها فى المكتبة السعودية بالرياض ٨٦/٧٧٢.

ويعتقد الشيخ أن عظمة الله أجل من أن يحيط بها عقل^(١)، كما قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾^(٢).

وكما بين ﷺ في تصديقه للحبر الذي قال له : «يا محمد انا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والشجر على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر . ثم قرأ : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ﴾^(٣) . وأن رسول الله ﷺ قرأها على المنبر وقال : « ان الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه » ، ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه وأنه يقول أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم - قال ابن عمر فرجف برسول الله ﷺ حتى قلنا ليخرن به^(٤) .

وقد عقد الشيخ بابا في هذا الموضوع في كتاب التوحيد هو باب قول الله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ وأورد تحته أحاديث وآثاراً عن السلف الصالح تناسبه وكذلك في كتاب أصول الإيمان إلا أنه زاد ونقص عما أورد في كتاب التوحيد وكلها دلائل مناسبة ونصوص دالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه ومجده وجلاله وعلوه وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه^(٥).

ويستنتج من عظمة مخلوقات الله أنها دلائل على عظمة الله ، فالسموات على سعتها في اليد اليمنى مطوية ، والأرضون جميعا في اليد الأخرى وأنها جميعا في كف الرحمن كخردلة في كف أحدنا ، وأن الكرسي عظيم بالنسبة إلى السماء ، فالسموات في الكرسي كسبعة دراهم ألقيت في ترس ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ ، وكذلك العرش أعظم بالنسبة للكرسي ، فالكرسي في العرش كحلقة من حديد

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، هود ص ١٢٥ ، والزمر ص ٣٤٦ ، ٣٤٦ .

(٢) والقسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٨ وانظر : صحيح البخاري كتاب التوحيد ص ١٧٤ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ص ٣٤٦ ، ٣٤٥ والحديث في صحيح البخاري ج ٨ / كتاب التوحيد ص ١٧٣ . ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ص ص ٢١٤٧-٢١٤٩ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٤٨-١٥٠ . وأصول الإيمان ص ص ٢٤٠-٢٤٢ . وانظر : القول السديد للشيخ ابن سعدى آخره .

ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض ، وأن العرش غير الكرسي والماء ، وأن بين السماء والأرض خمسمائة عام وكثف كل سماء خمسمائة سنة وأن البحر الذي فوق السموات أسفله وأعلاه خمسمائة سنة وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام ، وكذلك بين السماء السابعة والكرسي وبين الكرسي والماء ، وأن العرش فوق الماء ، وأن الله فوق العرش . وهذا خلاصة أحاديث أوردها الشيخ - رحمه الله - في آخر باب من أبواب كتابه - كتاب التوحيد - وهو باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ﴾ . أوردها الشيخ :

عن ابن عباس موقوفاً وعن ابن زيد عن أبيه مرفوعاً ، وعن أبي ذر مرفوعاً ، وعن ابن مسعود موقوفاً - قال الشيخ في حديث ابن مسعود : « أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله ، قاله : الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى - قال : وله طرق . وهو عن العباس بن عبد المطلب أخرجه أبو داود وغيره - قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرها ، مع ما يدل عليه صريح القرآن ، فلا عبرة بقول من ضعفه ^(١) .

واعتماد الشيخ أن الله عز وجل أعظم من كل عظيم وأكبر ، وهورب العرش العظيم وفوقه بائن من خلقه ، لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده ، ولا يحل بشيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها ، بل هو بائن عن خلقه بذاته ، والخلق بائون عنه ، وأنه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء ، وفوق كل شيء ، وعال على كل شيء البتة ، ولا يعجزه شيء يريد ، بل هو فعال لما يريد ^(٢) .

الشاهد الذي لا يغيب ، ولا يستخلف أحداً على ملكه ولا يحتاج من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه أو يستعطفه عليهم أو يسترحمه لهم فلا له وزير ولا مشير ولا ظهير ، ولا شافع إلا من بعد إذنه ، ولا ند ولا ضد ، ولا شريك ، بل الكل عبيده وتحت تصرفه وتديره وهو العزيز الحكيم ، العلي العظيم ^(٣) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٤٨-١٥١ ، وانظر : قرة عيون

الموحدين للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٣١٤ ،

(٢) تاريخ نجد للألوسي ص ٤٢ .

(٣) انظر : تاريخ نجد للألوسي ص ٤١ ، ٤٢ .

وقال الشيخ في واحدة من خطبه يعظم الرب بصفاته العظيمة : « الحمد لله فاطر الأرض والسموات ، عالم الأسرار والخفيات ، المطلع على الضمائر والنيات ، أحاط بكل شيء علما ، ووسع كل شيء رحمة وحلما ، وقهر كل مخلوق عزة وحكما ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ، لا تدركه الأبصار ، ولا تغيره الدهور والأعصار ولا تنوهم الظنون والأفكار ، وكل شيء عنده بمقدار ، أتقن ما صنعه وحكمه ، وأحصى كل شيء وعلمه ، وخلق الإنسان وعلمه .

ويقول في خطبة أخرى : « الحمد لله المتوحد في الجلال بكمال الجمال تعظيما وتكبيرا ، المتفرد بتصريف الأحوال على التفصيل والاحمال تقديرا وتدبيرا ، المتعالى بعظمته ومجده ، الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، أطلع شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجا منيرا ، ومن بها على أهل الأرض ، فيا لها نعمة لا يستطيعون لها شكورا ، فجر ينابيع الهداية في قلوب من سبقت لهم منه الحسنى تفجيراً(*) .

ويقول الشيخ ان ما ذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل ، وهو قدر ما تحتمله العقول ، والا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل^(١) .

ويقول الشيخ فمن هذا بعض عظمته وجلاله ، كيف يجعل في رتبة مخلوق^(٢) ، وبين الشيخ أنه من أجل عظمته لا يستشفع به على خلقه^(٣) ، وأنه يعاذ من استعاذ به فانه هو المستعاذ به وحده .

فهو رب الفلق ، ورب الناس ، وملك الناس ، وإله الناس ، لا يستعاذ إلا به ، وقد أخبر الله عن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقا ، وهو الطغيان فقال : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ ، أما من عاذ به فقد عاذ بمعاذ^(٤) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ٣٤٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٦٥ .

(٣) والقسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ١٤٥ .

(*) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ص ، ص ١٤ ، ٤٨ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الفلق ، الناس ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٧ .

ويعطى من سأل به^(١) لعظمته ، وتعظم الرغبة فيها عنده^(٢) ، والخوف من عقابه والهيبة من عظمته^(٣) .

وبالجملة يجب تعظيمه علما وعملا^(٤) ، فما عرفنا من عظمته لا يباثله فيها شيء كيف بما لم نعرف منها تعالى وجل ؟ ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ .

والله تعالى يملك ما فى السموات وما فى الأرض^(٥) ، والعبد وما له ملك الله جعله الله عنده عاديه^(٦) ، والمخلوق ليس له من الأمر شيء ولو كان نبيا مرسلا ، فهذا نوح عليه السلام لم يملك هداية ابنه ، بل هو المتفرد بالهداية والاضلال^(٧) .

وقد نفى الله أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة فبين الله أن الشفاعة جميعا له ، ولا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وما لهم فيها من شرك ، وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾^(٨) (سبأ : ٢٢) .

وخزائن كل شيء عنده سبحانه ولا تنفذ على كثرة الانفاق^(٩) ، له مباليد السموات والأرض فهو على كل شيء وكيل^(١٠) ، ولكمال ملكه وكمال علمه وكمال

(١) المصدر السابق ص ١٢٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٥ والقسم الرابع ، التفسير ، الأعراف ص ٨٤ ، ٩٦ ، وهود ص ١٢٤ ويوسف ص ١٣٧ .

(٤) المصدر السابق ، المذثر ص ٣٦٥ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، آل عمران ص ٥١ .

(٦) المصدر السابق ، مختصر زاد المعاد ص ٣٠٦ .

(٧) المصدر السابق ، الأعراف ص ١١٠ ، هود ص ١٢٤ ، والزمر ص ٣٢٦ ، ٣٣٠ . والقسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ﴾ ص ٥٤ .

(٨) المصدر السابق ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب الشفاعة والذى قبله ص ص ٥٣-٤٨ ، وكشف الشبهات ص ١٦٥ ، ومسائل الجاهلية ص ٣٥١ ، والقسم الخامس ، الشخصية رقم ١٧ ص ص ١١٢ ، ١١٣ ، والقسم الرابع ، التفسير ، الكهف ص ٢٤٨ .

(٩) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الحجر ص ١٨٧ ، ملحق المصنفات ، الخطب المنبرية ص ٥٧ .

(١٠) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ٣٣٩ .

قدرته فهو يحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون^(١)، ويخلق ما يشاء ويختار، وهو المتفرد بذلك لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: ٦٨)^(٢).

وهو الملك الحق، ملك الناس، مالك يوم الدين، مالك الملك، تفرد بالاحياء والامانة وتفرد بأنه الوارث، وتفرد بحشر الجميع^(٣)، وتفرد بالنفع والضرر^(٤)، وتفرد بالعزة والمجد^(٥).

ويعتقد الشيخ أن من صفات الله الثابتة صفة الكلام^(٦) وليس تكليمه سبحانه وتعالى تكليم أحد^(٧).

قال أبناء الشيخ وحمد بن ناصر بن معمر: «واعلم أن صفة الكلام لله تعالى قديمة أزلية لا ابتداء لها كسائر صفات الله تعالى، من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وسائر الصفات لأنه تبارك وتعالى هو الأول فليس قبله شيء بجميع صفاته لم تتجدد بوصفه كما يقوله بعض أهل الأهواء والبدع من الكرامية ومن سلك سبيلهم، وأما أهل السنة والجماعة فمجمعون على ما ذكرنا من أن الله تعالى قديم بجميع صفاته الكلام وغيره، قال الإمام أحمد - رحمه الله - في كتاب الرد على الزنادقة لم يزل الله تعالى متكلمًا إذا شاء ومتى شاء، ولا نقول انه كان لا يتكلم حتى خلقه. . الخ، وهذا الذي قال إمام السنة والجماعة هو الصواب الذي لا يجوز غيره، والقرآن تكلم به سبحانه بمشيئته وقدرته وذلك أن أهل السنة والجماعة يثبتون الأفعال الاختيارية من الكلام وغيره من الصفات، كما أنه سبحانه كلم موسى بمشيئته وقدرته ويكلم من شاء من خلقه بمشيئته وقدرته إذا شاء ومتى شاء بلا كيف^(٨).

(١) المصدر السابق، الزمر ص ٣٣٤.

(٢) المصدر السابق، مختصر زاد المعاد ص ٨٠٧.

(٣) المصدر السابق، التفسير، الحجر ص ١٨٧.

(٤) المصدر السابق، التفسير، النحل ص ٢٠٠.

(٥) المصدر السابق، التفسير، الزمر ص ٣٣٠.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٢٥.

(٧) الدرر السنية، ط ٢، ج ٣ ص ٢٠٩.

(٨) الدرر السنية، ط ٢، ج ٣ ص ١٨٧.

ويعتقد الشيخ: أن كلام الله يتفاضل، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١) (الزمر: ٥٥).

وأن تكليم الله للعباد على ثلاثة أوجه :

١ - من وراء حجاب كموسى .

٢ - وبارسال رسول كما أرسل الملائكة إلى الأنبياء .

٣ - وبالالقاء وهذا للأولياء فيه نصيب .

والمرتبتان الأوليتان للأنبياء خاصة^(٢). والرؤيا قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام^(٣).

وأن الله تعالى كلم موسى تكليما، وناداه تعالى من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من جانب الطور ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الآيات (القصص: ٣١-٥٣) وقربه نجيا فناده ونجاه^(٤).

وفى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ الآية (يوسف: ١٠٢)، الرد على مخالفى الرسل فى قولهم: ﴿لَوْلا يَكْلَمُنَا اللَّهُ﴾ أو نحو ذلك، لأن الرسل ما أتوا الأمم إلا بالوحي^(٥).

وإذا أراد الله تعالى أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة شديدة، خوفا من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخبروا الله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بها أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بساء سألها ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل قال الحق، وهو العلى الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهى جبريل بالوحي إلى حيث أمر الله عز وجل.

وأن الملائكة تضرب بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العلى

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٣٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٨ ص ٢٩.

(٣) المصدر السابق، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١١٣.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، القصص ص ص ٢٩١، والدر السنية ج ٣ ص ٢٠٩،

ومؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٨٩ ص ص ٩٢-٩٥.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، يوسف ص ١٧٧ وص ١٧٩.

الكبير . فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه ، فحرفها وبددين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة ألف كذبة . فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا؟ فيصدّق ! بتلك الكلمة التي سمعت من السوء ! وقال الله تعالى : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير ﴾ (١) (سبأ : ٢٣) .

ويثبت الشيخ لله تعالى صفة الوجه الكريم . وانه لا يسأل بوجهه إلا غاية المطالب وأن حجاببه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . وأنه ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن (٢) .

ويعتقد الشيخ أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته (٣) ، بلا كيف ولا احاطة (٤) .

وأن الرؤية تكون عامة وخاصة :

أما العامة : فيراه عموم الخلق .

وأما الخاصة : التي يفهم منها الكرامة : فيراه المؤمنون خاصة (٥) .

وقال أبناء الشيخ وحمد بن ناصر :

وأما رؤية الله تعالى يوم القيامة فهي ثابتة عندنا وأجمع عليها أهل السنة والجماعة والدليل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ - وقال المفسرون : معنى أنها تنظر إلى الله عز وجل

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ص ٤٨-٥٠ ، أصول الإيمان ص ص ٢٣٨-٢٣٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ص ١٢٩ ، وأصول الإيمان ص ٢٣٢ ، ٢٣٧ وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ص ٢٨ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١ ص ١٠ والقسم الأول ، العقيدة ، أصول الإيمان ص ٢٣٦ .

(٤) الدرر السنية ط ٢ ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ٢٢ ص ص ٢٠-٢١ .

كرامة لهم من الله ، وهى أعظم ما يتنعم به أهل الجنة يوم القيامة ، كما ورد ذلك فى الأحاديث عن رسول الله ﷺ (١) .

وأما قوله : ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ أى لا تحيط به .

وأما قوله تبارك وتعالى لموسى : ﴿ لن ترانى ﴾ الآية . فذكر العلماء أن المراد لن ترانى فى الدنيا ، وأيضاً الآية دليل واضح على جوازها وامكانها لأن موسى عليه السلام أعلم بالله من أن يسأله ما لا يجوز عليه أو يستحيل خصوصاً ما يقتضى الجهل ولذلك رد بقوله تعالى : ﴿ لن ترانى ﴾ دون لن أرى ولن أريك ولن تنظر إلي فبذلك تبين أنها دالة على مذهب أهل السنة والجماعة القائلين باثبات رؤية الله يوم القيامة (٢) .

كما يثبت أن لله يدين - كما ورد فى القرآن والسنة على ما يليق بجلاله - كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ فله يدان وليس كيديه يدا مخلوق ، قال تعالى : ﴿ بل يده مبسوطتان ﴾ وقال تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ فقوله : ﴿ خلقت بيدي ﴾ يدل على إثبات اليمين لله تعالى كما يليق به ، ولو كان المراد منه مجرد الفعل ، لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى ، فكيف وقد دخلت الباء ، فالفعل قد يضاف إلى يد ذى اليد ، والمراد الاضافة إليه كقوله : ﴿ بما كسبت أيديكم ﴾ وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عدى بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو ما باشرته يده .

ولو كانت اليد هى القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لأدم فضيلة بذلك على شىء مما خلق بالقدرة (٣) .

ولفظ اليد فى القرآن جاء على ثلاثة أنواع مفرد كقوله : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ وكقوله : ﴿ بيده الملك ﴾ وجاء مثنى كقوله : ﴿ بل يده مبسوطتان ﴾ وكقوله : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ .

• وجاء مجموعاً كقوله : ﴿ عملت أيدينا ﴾ فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الافراد وعدى الفعل بالباء إليها فقال : ﴿ خلقت بيدي ﴾ وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يعد الفعل بالباء فلا يحتمل (ما خلقت بيدي)

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٣ ص ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٢) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

من المجاز ما يحتمل (عملت أيدينا) فإن كل أحد يفهم من قوله عملت أيدينا ما يفهمه من قوله "تعلمنا وخلقنا كما يفهم من قوله : ﴿ بما كسبت أيديكم ﴾ (١).

ولو كان قوله خلقت بيدي مثل قوله عملت أيدينا لكان آدم والأنعام سواء ، وأهل الموقف لما يقولون له : «أنت أبو البشر خلقتك الله بيده» يعلمون لآدم تخصيصاً وتفضيلاً بكونه مخلوقاً باليدين ؛ وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ «يقبض الله سمواته بيده اليمنى والأرض بيده الأخرى» ثم ذكر أحاديث كثيرة في إثبات اليدين لله تعالى . بالتثنية والافراد وإثبات الأصابع بالجمع. والتثنية والافراد، وإثبات الكف، والقبض واليمين والشمال، والامساك والبسط، وغير ذلك مما لا يحتمل تأويلاً عن ظاهرة الدال على إثبات يدي الله حقيقة كما يليق بجلاله ليس كمثل يدي أحد (٢).

وفي جواب للشيخ حمد بن ناصر بن معمر لما سئل عن اعتقاد الشيخ في قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وغيره . نجد أن الشيخ رحمه الله تعالى يعتقد : أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه (٣) بائن من خلقه ، والعرش وما سواه فقير إليه ، وهو غنى عن كل شيء لا يحتاج إلى العرش ولا إلى غيره (٤).

قال الشيخ حمد بن ناصر :

«وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وهذه سنة رسول الله ﷺ وهذا كلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة .

قد دل ذلك بما هونص أو ظاهر في أن الله سبحانه فوق العرش مستوعب على عرشه ونحن نذكر من ذلك بعضه - قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ - وقال تعالى : ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ وقد أخبر سبحانه باستوائه على عرشه في سبعة مواضع من

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ٣، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) انظر: الدرر السنية، ط ٢، ج ٣، ص ٢٠٧، ٢٢١-٢٢٢. ومؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٦ ص ٢٨، مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ الآية، ص ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠. وأصول الإيمان ص ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ١٤٩-١٥١.

(٤) الدرر السنية، ط ٢، ج ٣، ص ٢١٠.

كتابه ، فذكر في سورة الأعراف ويونس والرعد وطه والفرقان وتنزيل السجدة والحديد إلى غير ذلك من الآيات الدالة على علو الله سبحانه وتعالى كقوله : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَؤُلَاءِ وَارْفَعْكُمَا إِلَيَّ ۚ وَقَوْلُهُ : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَخَبَرَهُ عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ يَا هَامَانَ ابْنِي صِرْ حَا لَعْلَى أَبْلُغِ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ كَافِرًا ۚ فِرْعَوْنَ كَذَبَ مُوسَى فِي قَوْلِهِ : إِنْ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ وَقَوْلُهُ : ﴿ تَنْزِيلَ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۚ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ^(١) .

قال الشيخ حمد بن ناصر :

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَتَضَمَّنُ إِبْطَالَ قَوْلِ الْمُعْطَلَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ سِوَى الْعَدَمِ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ وَلَا تَرْفَعُ إِلَيْهِ الْأَيْدِي حَيْثُ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا - ثُمَّ قَالَ - ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ ۚ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ بِعِلْمِهِ ، وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ ۚ أَنَّهُ مُخْتَلَطٌ بِالْخَلْقِ فَانْ هَذَا لَا تَوَجُّهُ اللُّغَةِ ، وَهُوَ خِلَافٌ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَثْمَتُهَا وَخِلَافٌ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ .

وهو سبحانه فوق العرش ، رقيب على خلقه ، مهيمن عليهم ، مطلع عليهم ، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته .

وأخبر أنه ذو المعارج ، تعرج الملائكة والروح إليه ، وأنه القاهر فوق عباده ، وأن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم ، فكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق عباده على عرشه ، وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يَصَانُ عَنْ الظَّنِّ الْكَاذِبَةِ ، وهو سبحانه قد أخبر أنه قريب من خلقه ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۚ الْآيَةُ - وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوهُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۚ ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « إِنْ الَّذِي تَدْعُوهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ » ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ، أَيْنَا كَانُوا ۚ .

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١٠ .

(٢) صحيح البخاري ، التوحيد ، ٣٧٢/١٣ .

وكما في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربهِ ومعيتِهِ لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته - فإنه سبحانه علي في دنوه، قريب في علوه، وقد أجمع سلف الأمة على أن الله سبحانه وتعالى فوق سمواته على عرشه وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، وقال حنبل بن إسحاق: قيل لأبي عبد الله: ما معنى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾؟ قال علمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة.

قال الشيخ حمد بن ناصر:

وأما الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب، فكثيرة جدا منها ما رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وغيرهم، عن معاوية بن الحكم السلمي قال: لطمت جارية لي فأخبرت رسول الله ﷺ، فعظم ذلك علي، فقلت يا رسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: «بلى أعتني بها» فجئت بها إلى رسول الله ﷺ، فقال لها أين الله؟ فقالت: في السماء، فقال: «فمن أنا؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ، فقال: أعتقها فإنها مؤمنة» وفي الحديث مسألتان - أحدهما - قول الرجل لغيره أين الله؟. وثانيهما - قول المسؤول: في السماء فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على الرسول ﷺ (١).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال - قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي» وفي لفظ: «فهو مكتوب عنده فوق العرش» وهذه الألفاظ كلها في صحيح البخاري (٢).

قال الشيخ حمد بن ناصر:

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابهُ النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» (٣).

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ٣ ص ٢٢١، ٢٢٢، وحديث الجارية رواه مسلم في المساجد، ج ١/

ص ٣٨٢.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٣٤، وانظر: صحيح البخاري

ج ٨/ ١٧١، كتاب التوحيد، باب ١٥.

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٣٢ والحديث في صحيح =

قال الشيخ حمد بن ناصر :

وفي الصحيحين في قصة المعراج وهي متواترة وتجاوز النبي ﷺ السموات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه وأدناه وفرض عليه خمسين صلاة، فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه، ينزل من عند ربه إلى موسى، فيسأله كم فرض عليك؟ فيخبره فيقول: ارجع إلى ربك فسله التخفيف.

ثم ذكر الشيخ حمد بن ناصر بن معمر أحاديث كثيرة في استواء الله على عرشه وعلوه على مخلوقاته إلى أن قال: «والمقصود أن نصوص الكتاب والسنة قد نطقت، بل تواترت بآثبات علو الله على خلقه وأنه فوق سجاواته مستوعلي عرشه استواء يليق بجلاله، لا يعلم كيفيته إلا هو، كما لا يعلم كيفية ذاته إلا هو وذاته المقدسة تبارك وتعالى حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء، وكذا استواؤه ونزوله وكلامه ثابت في نفس الأمر، لا يشابهه فيها استواء المخلوقين وكلامهم ونزولهم، فانه ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات، فإن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات. إلى أن قال: وبالجملية فمن قال إن الله في السماء وأراد أنه في جوف السماء بحيث تحصره وتحيط به فقد أخطأ وضل ضلالا بعيدا وإن أراد بذلك أن الله فوق سمواته، على عرشه بائن من خلقه، فقد أصاب، وهذا اعتقاد شيخ الإسلام (محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى)، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، ومن لم يعتقد ذلك كان مكذبا للرسل، متبعا غير سبيل المؤمنين^(١).

ويثبت الشيخ إتيان الرب ومجيئه واشراق الأرض بنوره يوم النسخ في الصور كما في القرآن الكريم^(٢)، ويثبت النزول كما وردت بذلك السنة الصحيحة، ومن ذلك أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث

= مسلم، الإيمان ج ١ / ص ١٦١. وانظر: مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة، مسألة رقم ٣٥ ص ٢٨.

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ٣، ص ٢١٤-٢١٧ بتصرف قليل.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣٤١.

الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» متفق عليه عن أبي هريرة رضى الله عنه^(١).

والشيخ يثبت النزول كما يثبت غيره من الصفات الواردة في الكتاب والسنة على قاعدة الإمام مالك فيقول في النزول أيضا: النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن كيفية بدعة، ونحن لا نعلم كيفية نزوله ولكن نزوله ثابت في نفس الأمر لا يشابهه نزول المخلوقين ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(٢).

وهكذا يقر الشيخ جميع آيات الصفات وأحاديثها مع اعتقاد حقائقها وإثبات العلم بها وما دلت عليه من صفات الرب تبارك وتعالى وأسمائه من غير تكييف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تحريف، بل كما قال ربعة ومالك: «الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»^(٣).

وعلى هذا اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جميع الأسماء والصفات^(٤).

وقال أبناء الشيخ والشيخ حمد بن ناصر: بعد ذكرهم لكلام الإمام مالك: (وهذا الجواب من مالك في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد والوجه، وغيرها، فيقال في النزول: النزول معلوم والكيف مجهول

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، أصول الإيمان ص ٢٣٣، ٢٣٦-٢٣٧. الدرر السنية ط ٢ ج ٣ ص ١٩٢، ١٩٨، وص ٢١٥.

(٢) الدرر السنية ط ٢ ج ٣ ص ١٨٥ وص ص ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧.

(٣) قال الحافظ الذهبي في كتابه العلو: هذا ثابت عن مالك وتقدم نحوه عن ربعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة، أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيا ولا إثباتا، بل نسكت ونقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وامراره والسكوت عنه، ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه، ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. انتهى كلام الحافظ الذهبي.

مختصر العلو، للذهبي، اختصار الألباني ص ص ١٤٢، ١٤٣.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٤٤، والدرر السنية، ط ٢ ج ٣ ص ٣، ج ٣ ص ص ٢٠٧-٢٦٢، وص ١٩١، ١٩٢. ومؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية، ص ص ١١-٨، ٢٧، ٢٨.

والإيـان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وهذا يقال في سائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة^(١).

وكتب بعض تلامذة الشيخ عبد الرحمن بن حسن إليه يهنيه بقدم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر وتوسل إلى الله في دعائه بصفاته الكاملة التي لا يعلمها إلا هو فكتب إليه وفيها كتب قال : « قلت : وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت ، فاعلم أن الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة ، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، ففرق هذا الإمام بين ما يعلم منه معنى الصفة على ما يليق بالله فيقال استواء لا يشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه ، وأما الكيف فلا يعلمه إلا الله ، فتنبه لهذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف^(٢) .

كان الشيخ حمد بن ناصر بن معمر قد سئل عن اعتقاد الشيخ فيما قد يتوهم بعض الناس التشبيه في ظاهرة من نصوص الوحي من الكتاب والسنة والواردة في صفات الرب تبارك وتعالى - مثل قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ومثل قوله : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ - وقول النبي ﷺ : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » - وقوله ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » . . ونحو ذلك . وقال السائل أفيدونا عن اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في ذلك؟ وكيف مذهبه ومذهبكم من بعده؟ هل تمرون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه؟ أم تؤولون؟ وبسطوا الكلام على ذلك ، وأجيبوا جوابا شافيا ، تغتتموا أجرا وافيا ، فأجاب بما نصه :

الحمد لله رب العالمين ، قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك ما قاله الله ورسوله وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ، والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء المسلمين فنصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل تؤمن بأن الله سبحانه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ فلا ننفي عنه ما وصف به

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٣ ص ١٩٨ .

(٢) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٣ ص ٢٩٩ . وانظر: عنوان المجد ج ٢ / ص ص ٢٢ ، ٢٣ ، والذي كتب

إليه هو ابن بشر .

نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسماء الله وآياته، ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفوله، ولا ند له ولا يقاس بخلقه (سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا) فهو سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، بل يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل خلافا للمشبهة، ومن غير تحريف ولا تعطيل خلافا للمعطلة، فمذهبنا مذهب السلف اثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام، كمالك والشافعي والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، والإمام أحمد واسحق بن راهويه، وهو اعتقاد المشائخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري، وغيرهم فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة رضى الله عنه فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة قال الإمام أحمد رحمه الله لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث وهكذا مذهب سائرهم كما سننقل عباراتهم بألفاظها إن شاء الله تعالى، ومذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون، فإنه يصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه رسوله ﷺ، ولا يتجاوز القرآن والحديث ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضيين الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن نفيا وإثباتا وهم أشد تعظيما لله وتنزيها له، عما لا يليق بجلاله. انتهى^(١).

ثم إن الشيخ حمد بن ناصر رحمه الله أطال في هذا الموضوع إطالة وافية ونقل عبارات السلف بألفاظها وأفاض في نقل الأدلة وشرحها عن السلف الصالح، وفي كل ذلك يقول: هذا اعتقاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(٢)، ويقع جوابه في خمس وخمسين صفحة من القطع الوسط وبالحرف المعتاد^(٣). وهو جواب مفيد، وفي غاية الأهمية على طوله وبسطه - أسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته أن ييسر أفرادَه بالطبع والنشر مع الدراسة والتخريج ليتنفع به المسلمون عاجلا غير آجل.

— والخلاصة — أن الشيخ رحمه الله يعتقد أن الله تعالى واحد في ذاته وأسمائه

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ٣، ص ص ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) انظر: الدرر السنية، ط ٢، ج ٣، ص ص ٢٠٨، ٢١٧، ٢٣٥.

(٣) يقع في: الدرر السنية، ط ٢، ج ٣، من ص ص ٢٠٧-٢٦٢.

وصفاته، له الأسماء الحسنى وصفات الكمال، لا سمي له ولا مثيل، الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير فعال لما يريد وهو رب العالمين لا شريك له ولا معين، ولا ظهير ولا شفيع، لا يشفع عنده أحد إلا من أذن له وارتضى شفاعته.

وبهذا القدر يتم هذا الجانب من عقيدة الشيخ فيما يثبت لله تعالى من الأسماء والصفات وما ينزه الله عنه من العيوب والنقص ومماثلة المخلوقات، وهذا هو المقام الخبري العلمي، أحد مقامى الكلام على التوحيد، وهو البرهان والدليل والمستلزم للمقام الثانى، مقام الانشاء العملي الطلبى والذى هو افراد الله بالعبادة بجميع أنواعها.

وفيما يلى بيان ذلك من عقيدة الشيخ - رحمه الله تعالى - فى التوحيد الذى هو حق الله على العبيد.

توحيد الالهية والعبادة :

الكلام فى توحيد الالهية من باب الطلب والارادة الدائرين المحبة والكراهة نفيا وإثباتاً^(١).

وفى هذا الباب يعتقد الشيخ - رحمه الله - أن التوحيد ينبىء على أن الله واحد فى ألوهيته لا إله حق إلا هو، وألوهية الله تعالى هى مجموع عبادته على مراده نفياً وإثباتاً علماً وعملاً، جملة وتفصيلاً^(٢).

وحاصل ما يقول الشيخ فى تعريف هذا التوحيد : ان التوحيد اسم لفعل العبد المأمور به، فإن كانت أعماله التعبدية كلها لله وحده فهو موحد، وإن كان فيها شرك للمخلوق فهو مشرك^(٣).

فالتوحيد هو افراد الله بجميع أنواع العبادة لا يشركه فيها أحد، ولا يستحق العبادة أحد إلا الله، فعبادة الله خالصة له، لا يستحق شيئاً منها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

(١) انظر: أول التدمرية، الصفحة الأولى.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٥ ص ١٧٤.

(٣) الدرر السنية، ط ٢، ج ١ ص ٩٧، ج ٢، ص ٤٣، ٤٢.

ويقول الشيخ في تلخيصه عن ابن تيمية - رحمه الله - :

إذا كان الكلام في سياق التوحيد، ونفى خصائص الرب عما سواه لم يجز أن يقال، هذا سوء عبارة في حق من دون الله من الأنبياء، والملائكة، فإن المقام أجل من ذلك، وكل ما سوى الله يتلاشى عند تجريد توحيد، والنبى ﷺ كان من أعظم الناس تقريراً لما يقال على هذا الوجه، وإن كان هو المسلوب، كما قالت عائشة لما أخبرها ببراءتها: والله لا أقوم إليه ولا أحده، ولا أحمد إلا الله وفي لفظ بحمد الله لا بحمدك، فأقرها ﷺ وأبوها على ذلك، لأن الله سبحانه الذى أنزل براءتها بغير فعل أحد، قال حيان قلت لابن المبارك: انى لأستعظم هذا القول قال: ولت الحمد أهله، وفي الحديث الذى رواه الإمام أحمد: قول الأسير اللهم إني أتوب إليك، ولا أتوب إلى محمد، قال عرف الحق لأهله، وكان يعلم أصحابه تجريد التوحيد، فقال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد، وقال له رجل ما شاء الله وشئت فقال: أجعلتنى لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده، وما أحدثه الله بغير فعل منه اضافة إلى الله وحده، كما قال لكعب بن مالك: لما قاله له: أمن عندك أم من عند الله؟ قال بل من عند الله ومعلوم أنه لو كان من عند النبى ﷺ لكان من عند الله بمعنى أنه خلقه فجميع الحادثات من عنده بهذا الاعتبار، ولكن المقصود أنه ﷺ لم يصدر عنه فعل في هذه التوبة إلا أنه بلغ الرسالة^(١).

ويعتقد الشيخ أن الله أمر جميع الناس بتوحيد الله في العبادة والالهية بجميع أنواعها، ونهاهم عن ضد هذا التوحيد، والدليل قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ (النساء: ٣٦)^(٢).

وقال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ (الاسراء: ٢٣، ٢٤). وهو أعظم ما أمر الله به وفرض وأوجب - كما أن أعظم ما حرم الله ونهى عنه هو ضده الشرك. قال تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً﴾ (الأنعام: ١٥١).

قال ابن مسعود: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التى عليها خاتمه،

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١٠٩ ص ١٠٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ١١٧، وثلاثة الأصول ص ص

١٨٦-١٨٧، ثلاث مسائل ص ٣٧٤.

فليقرأ قوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ﴾ إلى قوله : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما ﴾ الآية . وهذا الأثر رواه الترمذى وحسنه ابن المنذر ، وابن أبى حاتم والطبرانى بنحوه .

قال الشيخ : فيه عظم شأن الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف^(١) . وكذلك الآيات المحكمات في سورة الاسراء ، وفيها اثنتا عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : ﴿ لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ (الاسراء : ٢٢) . وفيها قوله : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ (نفس السورة : ٢٣) - وختمها بقوله : ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ﴾ (نفس السورة : ٣٩) . ونبها الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ (نفس السورة : ٣٩) .

ولحديث معاذ ، كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال لى يامعاذ أتدرى ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت : الله ورسوله أعلم - قال : حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله : أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا . قلت يارسول الله ، أفلا أبشر الناس؟ قال : لا تبشروهم فيتكلوا . أخرجاه في الصحيحين .

قال الشيخ : وفي هذا أن العبادة هي التوحيد ، وأن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ (الكافرون : ٣ ، ٥) .

ويقرر الشيخ إن إفراد الله بالعبادة هو التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، وهو أصل الدين ، وهو الذى خلق الله الثقلين الجن والإنس من أجله ، كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٦) . وهو الذى أرسل الله به الرسل ، وأنزل من أجله الكتب ، وفرض من أجله الجهاد ، وشرع له شريعة الإسلام ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (النحل : ٣٦)^(٢) . ويقول - رحمه الله - : أعلم رحمك الله أن الله سبحانه

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ٨ ، ٩ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ٧-٩ ، ١٤ ، ٢٠-٢٢ ، ثلاثة الأصول ص ١٨٦ ، ومفيد المستفيد ص ٢٩٢ ، وستة أصول ص ٣٩٣ ، وكشف الشبهات ص ١٧٢ وص ٣٨١ ، ومعنى الطاغوت ص ٣٧٦ ، ٣٥٣-٣٥٥ ، والقسم الثالث ، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٣٠ والفتاوى رقم ١٢

إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لأجل التوحيد، فإذا لم يفعله الإنسان ويجتنب الشرك فهو كافر وكل أعماله حابطة، ولو كان من أعبد هذه الأمة يقوم الليل ويصوم النهار قال الله تعالى في الأنبياء: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾، وتصير عبادته كلها كمن صلى ولم يغتسل من الجنابة أو كمن يصوم في شدة الحر وهو يزني في أيام الصوم^(١).

أما فضله: فهو فضل عظيم، وثواب كثير، ويكفر الذنوب كما روى الترمذي وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) وكما في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أخرجه البخاري ومسلم.

قال الشيخ: إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله» أنه ترك الشرك ليس قولها باللسان^(٢).

ويقول الشيخ في تلخيصه مسائل عن ابن تيمية - رحمه الله - :
تواترت الأحاديث بخروج من قال: لا إله إلا الله من النار إذا كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة أو خردلة أو ذرة، وكثير منهم أو أكثرهم يدخلها، وتواترت أنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله، لكن جاءت مقيدة بالاخلاص، واليقين، ويموت عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الاخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت، وغالبهم أنها يقولها تقليدا أو عادة، وغالب ما يفتن عند الموت أو في القبر أمثال هؤلاء، كما في الحديث سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، وغالب أعمال هؤلاء أنها هو تقليد أو اقتداء بأمثالهم، وهو أقرب الناس من قوله: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ الآية

= ص ص ٥٢، ٥٣ والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢٨ ص ١٨٩.
(١) الدرر السنية ط ٢ ج ١ ص ص ٦٩-٧١ وص ٩٢، ٩٣ ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٩، ٧ وص ١٨٦ وص ٣٧٠، ٣٧١ وص ٣٧٤، ٣٧٥ والقسم الخامس، الشخصية رقم ٢ ص ١٦ ورقم ٥ ص ٣٦ ورقم ٢٢ ص ص ١٥٠-١٥٦.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٤.

(الزخرف: ٢٢). فلا منافاة بين الأحاديث، فانه اذا قالها باخلاص و يقين ومات عليها امتنع أن ترجح سيئاته، فان كان قالها على الكمال المانع من الشرك الأصغر والأكبر فهو غير مصر على ذنب، وان كان على وجه خلص به من الأكبر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فترجح بها الحسنات كما في حديث البطاقة، وهذا خلاف من رجحت سيئاته، لأن معه الشرك الأصغر وأتى بعد ذلك بسيئات تنضم إلى ذلك الشرك فترجح سيئاته، فان السيئات تضعف الإيمان، واليقين، فيضعف قول لا إله إلا الله، فيمتنع الاخلاص في القلب فيصير المتكلم بها كالهاذي، أو النائم، أو من يحسن صوته بآية من القرآن من غير ذوق طعم ولا حلاوة فالذى قالها بيقين وصدق تام اما ألا يكون مصرا على سيئته، أو يكون توحيد المتضمن لصدقه و يقينه رجح حسناته، والذين دخلوا النار فاتهم أحد الشرطين^(١).

وعلى هذا فمن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب كما قال تعالى: ﴿ان إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾ (النحل: ١٢٠). وقال تعالى: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ (المؤمنون: ٥٩).

وكما في حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في عرض الأمم على النبي ﷺ ومنهم أمته، وفي أمته سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين حققوا التوحيد بتركهم الاسترقاء والاكثواء والتطير متوكلين على الله تعالى. والحديث رواه البخارى مطولا ومختصرا، ومسلم والنسائي والترمذي^(٢).

ولهذا يبين الشيخ أهمية هذا التوحيد، وأن معرفته أهم من معرفة العبادات كلها حتى الصلاة^(٣)، وهو متضمن للتوحيد كله.

فمن أتى بهذا التوحيد، فوحد الله في ألوهيته وعبادته فقد وحد الله في ذاته

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٨٧ ص - ص ٧٠-٧١.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد وباب فضل التوحيد، وباب من حقق التوحيد ص ٧-١٧ والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٧٨، والقسم الرابع، التفسير، آخر الكهف ص ٢٦٠ والأنعام ص ٥٨، ومختصر زاد المعاد ص ٧٦، ٧٧، ص ٣٧٧ والقسم الثالث، الفتاوى ص ٥٠.

(٣) الدرر السنية، ج ١ ص ٩٣.

وأسمائه وصفاته وأفعاله وربوبيته ، لأن الله استعبد خلقه بالألوهية الجامعة لصفات الكمال فمن شهد أن لا إله إلا الله بصدق فقد وحد الله تعالى التوحيد كله ، أما من أقر بوحداية الله تعالى في ربوبيته وعبد الله وتألّه ، لكن لم يوحد الله في التأله والعبادة ، أى أنه يعبد الله ويعبد معه غيره . فهو لم يأت بتوحيد الألوهية ، ولم يشهد أن لا إله إلا الله ، فهو وان ادعاها وتلفظ بها فهو كاذب ، بدليل شركه في العبادة والألوهية .

يقول الشيخ في تفسير قول الله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا اذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ﴾ (الكهف : ١٣-١٦) . فيه مسائل : ثم ذكرها ومنها الثامنة والتاسعة قال : « الثامنة : المسألة الكبرى أن من ذبح لغير الله أودعا غيره فقد كذب بقول : لا إله إلا الله ، وقد دعا إلهين اثنين واتخذ ربين . التاسعة : المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس أنه اذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا حقا كارها لموافقهم فقد كذب في قول : لا إله إلا الله ، واتخذ إلهين اثنين وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها» (١) .

وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله للحديث الذى رواه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار » - قال الشيخ : فيه تفسير « لا إله إلا الله » كما ذكره البخارى (٢) .

فان هذه الكلمة « لا إله إلا الله » نفى وإثبات : نفى الألوهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المخلوقات ، حتى من المرسلين البشر وخاتمهم محمد ﷺ وحتى من الملائكة وجبريل « عليهم وعلى جميع المرسلين الصلاة والسلام » فضلا عن غيرهم ، من الأنبياء والصالحين وسائر المخلوقات ، وإثباتها بجميع أنواعها كلها لله عز وجل وحده لا شريك له (٣) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الكهف ص ٢٤٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٨-١٩ ، وص ٢٢ ، والدرر السنية ، ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ومعنى الطاغوت ص ٣٧٨ ، والدرر السنية ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٤٥ وص ٥٣ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، =

فان « لا » في قولك « لا إله إلا الله » هي النافية للجنس تنفي جميع الآلهة .
و « إلا » حرف استثناء يفيد حصر جميع العبادة على الله عز وجل ، كما أنه لا
شريك له في ملكه .

و « الله » هو المعبود - هذا هو تفسير هذه اللفظة باجماع أهل العلم - وهو
المقصود المدعو المرجو المخوف .

ف « الاله » اسم صفة لكل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق وهو
الله تعالى الذي لا تصلح العبادة إلا له .

ومعنى « التآله » : التعبد . « والالهية » : العبودية .

والهية الله : هي مجموع عبادته على مراده نفيا وإثباتا علما وعملا جملة
وتفصيلا^(١) .

وتوحيد الالهية : هو اخلاص جميع العبادة لله من المحبة والخوف والرجاء
والتوكل والدعاء وجميع العبادات ، ظاهرها وباطنها لله تعالى وحده لا شريك له ، وأن
لا يجعل شيء من العبادات لغير الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن
غيرهما^(٢) .

قال الشيخ : « اعلم رحمك الله أن معنى لا إله إلا الله نفى وإثبات ، لا إله
نفى ، إلا الله إثبات . تنفي أربعة أنواع وثبت أربعة أنواع ، المنفي : الآلهة
والطواغيت ، والأنداد ، والأرباب - فالاله ما قصده بشيء من جلب خير أو دفع
ضرر ، وما قصده كذلك فأنت متخذه إلهًا . والطواغيت من عبْد وهوراض أو ترشح
للعبادة . والأنداد ما جذبك عن دين الإسلام من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال ،
فهو ند لقله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾
- والأرباب من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته ، لقله تعالى : ﴿ اتخذوا أجباهم

= الشخصية رقم ٢٨ ص ١٨٧ ، مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، تلقين أصول العقيدة للعامة
ص ٣٧١ .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٥ ، ١٠٦ ورقم ١٩ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
والقسم الرابع ، التفسير ، ص ١٢ ، والقسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٥ ص ١٧٤ ورقم ٢٨
ص ١٨٧ ورقم ٢٤ ص ١٦٧ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ، ص ١٥٧ ، وثلاثة
الأصول ص ١٩٠ ، والدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٢ ص ٥٣ .

(٢) انظر : إبطال التنديد ، باختصار شرح التوحيد تأليف الشيخ حمد بن عتيق ، ط ٣ ، ص ٧ .

ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴿١﴾ .

وتثبت أربعة أنواع : (القصد) كونك ما تقصد إلا الله ، والتعظيم والمحبة لقوله عز وجل ﴿٢﴾ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴿٣﴾ والخوف والرجاء لقوله تعالى : ﴿٤﴾ وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴿٥﴾ ، والبراءة من الشرك وأهله كما فعل إبراهيم كسر الأصنام وتبرء من عبادها . قال الله تعالى : ﴿٦﴾ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم . . . ﴿٧﴾ الآية (الممتحنة : ٤) .
هذا ما تنفيه وتثبته كلمة لا إله إلا الله (١) .

فلا إله إلا الله تجمع الدين كله ، والأعمال الصالحة الخالصة كلها من لا إله إلا الله (٢) . ولذا كانت : « لا إله إلا الله » كلمة التوحيد ، وكلمة الفرقان ، الفارقة بين الكفر والإيمان ، وكلمة التقوى ، والعروة الوثقى ، وشعار الحنيفية ملة إبراهيم ، وهى الكلمة التى جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ، التى خلقت لأجلها المخلوقات وبها قامت الأرض والسماوات ، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب .

فمن قالها لا بد أن يأتى بحقها ، وهو العمل بمقتضاها ، ومعبادات من خالفها وان كانوا من القرابة ، فان أبا طالب لم يمتنع من قول « لا إله إلا الله » إلا من أجل ملة عبد المطلب ، لأنه لو قالها ، لكان معنى ذلك البراءة من آبائه . ولذا يقول الشيخ فى المسائل من باب قول الله تعالى : ﴿٣﴾ إنك لا تهدى من أحببت . . . » من كتاب التوحيد ، فيه « المسألة الكبرى : وهى تفسير قوله : (قل لا إله إلا الله) بخلاف ما عليه من يدعى العلم » (٣) يشير بذلك إلى أن من يدعى العلم وهو ليس عالما يرى أن قول

(١) الدرر السنية ط ٢ ج ٢ ص ٦٢ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١٩ ص ١٢٤ ورقم ٧ ص ٤٤ ، ٤٦ ، والقسم الأول ، التوحيد ص ٣٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١٨ ص ١٢٢ ورقم ٢٢ ص ١٥٤ . والقسم الرابع ، التفسير ، الحجر ص ١٩٦ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿٤﴾ انك لا تهدى من أحببت ﴿٥﴾ ص ٥٥ .

لا إله إلا الله ، ولاء من غير براء وهذا خلاف مراد النبي ﷺ منها وفهم أبى طالب لها .
ولذا كان أصل ديننا وأوله وآخره وأسه ورأسه هو «شهادة أن لا إله إلا الله»
ومعرفة معناها ومحبة أهلها وجعلهم إخوانا ولو كانوا بعيدين ، والكفر بالطواغيت (وهم
الذين يناقضونها) ومعاداتهم وبغضهم ، وبغض من أحبهم ، -اوجادل عنهم ، أولم
يكفرهم ، أوقال ما علي منهم ، أوقال ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله
وافترى ، لأن الله تعالى كلفه بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ، ولو
كانوا إخوانهم وأولادهم^(١) .

نعم . فليس المراد من قوله : (لا إله إلا الله) قولها باللسان مع الجهل بمعناها ،
فالمناقضون يقولونها ، وهم تحت الكفار ، في الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلون
ويتصدقون ، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبة أهلها وبغض من خالفها
ومعاداته ، كما قال النبي ﷺ : «من قال لا إله إلا الله مخلصا»^(٢) وفي رواية «خالصا من
قلبه»^(٣) وفي رواية «صادقا من قلبه»^(٤) وفي حديث آخر «من قال لا إله إلا الله وكفر بها
يعبد من دون الله»^(٥) .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على المراد منها رغم جهالة أكثر الناس
بذلك^(٦) .

والعجب أن الكفار الجهال على زمن رسول الله ﷺ يعلمون أن مراد النبي ﷺ
بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالتعلق ، والكفر بها يعبد من دون الله والبراءة منه

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، والدرر السنية
ط ٢ ج ٢ ص ٥٢-٥٣ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١٤ ص ٩٦ ورقم ٢٣ ص ١٦٣ ،
والقسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ص ١٥٧ ومسائل الجاهلية ص ، ٣٤٢ ، ٣٥١ .
(٢) رواية مخلصا هي في مسند الإمام أحمد ج ٢ / ٣٠٧ ، ٥١٨ . وج ٤ / ٤٤ وج ٥ / ٢٣٦ .
(٣) رواية خالصا من قلبه أو نفسه هي في صحيح البخارى ، ج ١ ك العلم باب ٣٣ ، ص ٣٣ .
(٤) رواية صادقا من قلبه ، هي في مسند أحمد ، بلفظ «صادقا بها» ج ٤ / ٤٠٢ ، ٤١١ .
(٥) رواية من قال «لا إله إلا الله وكفر بها يعبد من دون الله» هي في صحيح مسلم كتاب الايمان
ج ١ / ص ٥٣ .

(٦) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٣ . وانظر : كتاب التوحيد ،
باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ص ١٢-١٤ وباب الدعاء إلى شهادة «أن لا إله إلا الله»
ص ٢٠-٢٣ ، باب تفسير التوحيد وشهادة «أن لا إله إلا الله» ص ٢٤-٢٦ ، وباب ما جاء ص ٩٨ ، وباب
من الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا ص ١٠٠ ، وباب من حقق التوحيد ص ١٥-١٧ ، والقسم الخامس ،
الشخصية رقم ٢٣ ص ١٦٢ .

واتباع رسول الله ﷺ بذلك فانه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله - قالوا : ﴿ اجعل الآلهة
إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾ (ص: ٥) .

والإله عندهم هو الذى يقصد لأجل الدعاء أو النذر أو الذبح أو الاستغاثة ، أو
غير ذلك من أنواع العبادة يريدون بذلك شفاعاة المقصود والتقرب إلى الله بهذا العمل
التعبدى ، فالإله عند هؤلاء العرب هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا
أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا ، ولم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فانهم
يعلمون أن ذلك لله وحده كما تقدم .

وأعجب العجب ممن يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما
عرفه جهال الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء
من المعانى والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا
الله فلا خير فى رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى « لا إله إلا الله »^(١) وتقدم قبل قليل
إشارة إلى هذا .

يقول الشيخ بعد أن ذكر قصة موت أبى طالب على ملة عبد المطلب وحضور
أبى جهل ذلك : أن أباه جهل ومن معه يعرفون مراد النبى ﷺ اذ قال للرجل : « قل :
لا إله إلا الله » فقبح الله من أبوجهل أعلم منه بأصل الإسلام^(٢) .

ويعقد الشيخ بابا كبيرا فى كتاب التوحيد ترجمته : « باب تفسير التوحيد وشهادة
أن لا إله إلا الله » أورد تحته نصوصا من الوحي يفسر بها ترجمة الباب ثم قال وشرح
هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب ، فجعل ما بعده من أبواب وتبلغ واحدا وستين بابا
هى فى بيان شيء من افراد التوحيد ، وبيان ضده ، وشيء من افراد ضده أو ضد
كماله ، وبراهين بطلان الشرك وامكان وقوعه وأسبابه . شرحا لهذه الترجمة .

ومن النصوص المفسرة للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله التى أوردها الشيخ
تحت هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ص ص ١٥٧ ، ١٥٨ . والدرر السنية

ط ٢ ، ج ١ ص ص ٦٩-٧١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿ إنك لا تهدى من

أحببت ﴾ ص ٥٥ .

أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴿ (الاسراء: ٥٧) .

وفي هذه الآية بين الله تعالى فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين بأن دعاءهم إياهم هذا هو الشرك الأكبر حيث قال سبحانه قبلها: ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ الآية . (الاسراء: ٥٦ ، ٥٧) .

وأورد الشيخ تحت ذلك الباب قوله تعالى: ﴿ واذا قال إبراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون ، الا الذى فطرنى فانه سيهدين . وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾ (الزخرف: ٢٦-٢٨) .

وقال الشيخ: قول الخليل للكفار: اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى - فيه أنه استثنى من المعبودين الله ربه وذكر الله سبحانه أن هذه البراءة ، وهذه الموالاتة هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال: ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾ .

وأورد الشيخ تحت الباب أيضا قوله تعالى: ﴿ اتخذوا أحابارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ﴾ (التوبة: ٣١) .

ثم يقول: فى هذه الآية: «بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحابارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا مع أن تفسيرها الذى لا اشكال فيه: طاعة العلماء والعباد فى المعصية، لا دعاؤهم إياهم .

وكذلك أورد الشيخ فى تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله قول الله تعالى: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ (البقرة: ١٦٥) .

قال الشيخ: ان هذه فى الكفار الذين قال الله فيهم ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله . فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم فى الإسلام ، فكيف بمن أحب الله أكبر من حب الله ؟ فكيف بمن لم يحب إلا الله وحده ولم يحب الله ؟

وأورد الشيخ من نصوص تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ما فى صحيح مسلم عن النبى ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم

ماله ودمه . وحسابه على الله عز وجل» صحيح مسلم، كتاب الإيمان ج ١، ص ٥٣ .

قال الشيخ قوله ﷺ : «من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله» هذا من أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله» فانه لم يجعل التلفظ بها عاصيا للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله . فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه ، فياها من مسألة ما أعظمها وأجلها ، وباله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع»^(١) . انتهى .

وفي ثلاثة الأصول أصناف في تفسير «لا إله إلا الله» قوله تعالى : ﴿ قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾^(٢) (آل عمران : ٦٤) .

ومن عبد شيئا غير الله فقد اتخذ إلهها من دون الله .

فان بنى إسرائيل ، لما اعتقدوا في عيسى بن مريم وأمه - قال الله تعالى : ﴿ واذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾ ففى هذا دليل على أن من اعتقد فى مخلوق جلب منفعة أو دفع مضرة فقد اتخذ إلهها ، فاذا كان الاعتقاد فى الأنبياء هذا حكمه فما دونهم أولى ، وأيضا فان من تبرك بحجر أو شجرة أو مسح على قبر أو قبة يتبرك بأصحابها أو بالحجر والشجر ، فقد اتخذها آلهة والدليل على ذلك أن الصحابة لما قالوا للنبي ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط يريدون بذلك التبرك قال : «الله أكبر إنما السنن قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ص ٢٤-٢٦ ، والقسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٢ ص ١٥٤ : والدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، «هذه كلمات فى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» . ومؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٩٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ص ١٩ .

﴿ اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ﴾ قال انكم قوم تجهلون، ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون، قال أغير الله أبغىكم إلهًا وهو فضلكم على العالمين ﴿

فمثل قول الصحابة في ذات أنواط بقول بنى إسرائيل وسياه إلهًا، ففي هذا دليل على أن من فعل شيئًا مما ذكر فقد اتخذ إلهًا، وجميع ذلك باطل إلا إله واحد وهو الله وحده تبارك وتعالى علوا كبيرا كما هو معنى لا إله إلا الله^(١).

وقال الشيخ: «إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية التي أثبتها الله لنفسه ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال ذرة من خردل فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السروالولاية، والإله معناه الولي الذي فيه السر، وهو الذي يسمونه الفقير والشيخ تسميه العامة السيد وأشباه هذا. وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله، فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم هم الذين يسميهم الأولون الآلهة - والواسطة هو الإله، فقول الرجل: لا إله إلا الله، إبطال للوسائط.

إذا عرفت هذا عرفت معنى: «لا إله إلا الله» وعرفت أن من دعا نبيا أو ملكا أو جنيا أو ند به أو استغاث به أو نذر له أو ذبح فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه الرسول ﷺ»^(٢).

ويفسر الشيخ قوله: والإله معناه الولي الذي فيه السر، فيقول في جواب له عن سؤال وجه إليه رحمه الله تعالى: «ان الإله الذي فيه السر فمعلوم أن اللغات تختلف فالمعبود عند العرب والإله الذي يسميه عوامنا السر لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضرر، وكونه يصلح أن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه، فإذا قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وسأل بعض العامة ما فاتحة الكتاب؟ ما فسرت له إلا بلغة بلده، فتارة تقول هي فاتحة الكتاب وتارة تقول هي أم القرآن، وتارة

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ٢، ص ٦٣-٦٥ بتصرف قليل وتقديم وتأخير. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ١٢.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٤-٣٦٦، والقسم الخامس، الشخصية رقم ١٩ ص ١٢٥ ورقم ٧ ص ٤٤، ٤٦. والدرر السنية ط ٢، ج ٢، ص ٦١، وفرض معرفة الشهادة ص ٦٣، ٦٤، «اعلم أرشدك الله».

تقول هي الحمد، وأشباه هذه العبارات التي معناها واحد، ولكن ان كان السرفى لغة عوامنا ليس هذا، وأن هذا ليس هو الإله فى كلام أهل العلم فهذا وجه الانكار فيبينوا لنا^(١).

ويقول - رحمه الله - : «ومن أفرض عبادته عليك معرفة (لا إله إلا الله) علماً وقولاً وعملاً والجامع لذلك قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وقوله : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً وألذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ - فاعلم أن وصية الله لعباده هي كلمة التوحيد الفارقة بين الكفر والإسلام ، فعند ذلك افترق الناس سواء جهلاً أو بغياً أو عناداً، والجامع لذلك اجتماع الأمة على وفق قول الله ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ وقوله : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

فالواجب على كل أحد إذا عرف التوحيد وأقر به أن يحبه بقلبه ، وينصره بيده ولسانه وينصر من نصره ووالاه - وإذا عرف الشرك وأقر به أن يبغضه بقلبه ، ويخذله بلسانه ويخذل من نصره ووالاه ، باليد واللسان والقلب ، هذه حقيقة الأمرين ، فعند ذلك يدخل فى سلك من قال الله فيهم : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ . وفيما قدمنا يتبين أن المراد من قول « لا إله إلا الله » هو قولها باللسان وبالقلب وبالأركان تطبيقاً لمعناها ، وعملاً بمقتضاها ، وهذا ما يقرره الشيخ^(٢) .

ويقرر الشيخ أن الخلاف بين الرسل وأعدائهم ليس فى أصل العبادة ولكن فى توحيد العبادة وذلك فى مثل قولهم : ﴿ أجنثنا لنعبد الله وحده ونذرم ما كان يعبد آباؤنا ﴾^(٣) ولذلك عادى المشركون رسول الله ﷺ كما هى سنة الله تعالى الحكيمة .

قال الشيخ : « اعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١١ ص ٧٦ .

(٢) انظر : الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، قصة موسى وفرعون ص ٢٩٥ ، والقسم الأول ، مسائل الجاهلية ص ٣٤١ . والقسم الخامس ، الشخصية رقم ١٩ ص ١٢٤ ورقم ٢٠ ص ، ص ٣٦-١٣٩ . والدرر السنية ج ٢ ، ص ٤٤-٤٥ ، وص ٥٣ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الأعراف ص ١٠٤ .

والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴿ (الأنعام: ١١٢) . وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج كما قال الله تعالى: ﴿ فلما جاءهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ (غافر: ٨٣) .

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج . فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقا تل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ (الأعراف: ١٦-١٧) .

ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن: ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ (النساء: ٧٥) .

والعامى من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين . كما قال تعالى: ﴿ وان جندنا لهم الغالبون ﴾ (الصفات: ١٧٣) . فجدد الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان .

وإنما الخوف على الموحّد الذى يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذى جعله: ﴿ تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (النحل: ٨٩) . فلا يأتى صاحب باطل بحجة إلا وفى القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ (الفرقان: ٣٣) . قال بعض المفسرين هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل إلى يوم القيامة^(١) .

ويقرر الشيخ أن هذا التوحيد لا يدرك إلا بالتعلم والتفقه فى الدين عن طريق الرسول محمد بن عبد الله ﷺ المتصل بالتواتر أو بالرواية الصحيحة والحجة، فهو من العلم الذى لا يدرك إلا بالوحى من الله تعالى إلى رسوله ﷺ، والبصيرة فى ذلك من أعظم الفرائض، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (يوسف: ١٠٨)^(٢) .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كشف الشبهات ص، ص ١٥٩-١٦٠ .

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٢٠-٢١ .

ولابد من التحرز العظيم من ضده لأن فائدة ذلك تصحيح التوحيد، ولذا فإن رسول الله ﷺ كان يحقق التوحيد ويعلمه أمته، وجاء بحماية جناب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك بالأدب والعلم والتحفظ في الأقوال والأعمال والاعتقاد حتى أبعد أمته عن هذا الحمى غاية البعد، ونهاهم عن كل قول يفضي إلى الغلو كما في حديث عبد الله بن الشخير رضى الله عنه، قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى. قلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال: قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم، ولا يستجربنكم الشيطان» رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رضى الله عنه: «أن ناسا قالوا: يا رسول الله، ياخيرنا، وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا. فقال: ياأيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» رواه النسائي بسند جيد^(١).

ونهى ﷺ أن يقول قائل: عبدى وأمتى - كما في الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضىء ربك. وليقل سيدى ومولاي، ولا يقل أحدكم عبدى وأمتى وليقل فتاى وفتاتى وغلामى» وهذا من تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ^(٢).

وقال ﷺ لرجل قال له: ما شاء الله وشئت،: «أجعلتنى لله ندا» بل ما شاء الله وحده. رواه النسائي.

وقد أمر النبى ﷺ من أراد أن يحلف أن يقول ورب الكعبة بدلا من الحلف بها وأن يقول ما شاء الله ثم شئت بدلا من أن يقول: ما شاء الله وشئت - رواه النسائي وصححه.

ونهى عن الحلف بغير الله.

وقال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذى وحسنه، وصححه الحاكم^(٣).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ٢١. وباب ما جاء في حماية النبى ﷺ حمى التوحيد ص ص ١٤٦-١٤٧، ومفيد المستفيد ص ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) المرجع السابق، باب لا يقول عبدى وأمتى ص ١٢٧، والقسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ص ١٢٤-١٢٥ و ص ص ١٥٦، ١٥٧.

(٣) القسم الأول، العقيدة، باب قول ما شاء الله وشئت ص ص ١١٢-١١٣، وباب قول الله =

ونهى رسول الله ﷺ عن الأعمال التى تفضى إلى الشرك مثل ما رواه أبو داود
باسناد حسن - قال الشيخ: ورواته ثقات - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورا؛ ولا تجعلوا قبرا عبدا، وصلوا علي فان
صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

وهذا من تحقيق التوحيد فى الأعمال.

وقال ﷺ فى مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم
مساجد»، يحذر ما صنعوا، وقال: «اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد».

وقال الشيخ فيما ينقله عن ابن تيمية:

«ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح
بحجرته ولا يقبلها لأنه انما يكون ذلك لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت
الخالق، كل هذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين ورأسه الذى لا يقبل الله عملا
إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال الله تعالى: ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ الآية. ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام
وأعظمه، وأعظم آية فى القرآن آية الكرسي ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم...﴾
وقال ﷺ من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة - والإله هو الذى تأله
القلوب عبادة له واستغاثة به ورجاء له وخشية واجلالا^(١).

ويقرر الشيخ أن من عرف أحوال المشركين القدامى^(٢) والأمر الذى صاروا به
مشركين وهودعائهم غير الله طلبا للزلفى والشفاعة عند الله، وعرف حالة أكثر
الناس تبين له صفة الإسلام الذى دعا إليه نبينا محمد ﷺ وتبين له أن كثيرا من الناس
عنه بمعزل، وتبين معنى قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ».

لذلك كان تعلم هذه المسألة العظيمة، كيف لا؟ وهى حق الله على العبيد،
أهم الأمور، والصحابة رضى الله عنهم لم يعرفوها إلا بعد التعلم، ومن الشرك أشياء
ما عرفوها إلا بعد سنين.

= تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ ص ١٠٩، ص ١١٠، ومفيد المستفيد ص ٢٩٢.
(١) المرجع السابق، باب ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك
ص ص ٦٦، ٦٧، ومفيد المستفيد ص ٢٩٢ وص ٢٩٣. وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع
ابن قاسم ج ٣/ ص ص ٣٩٧-٤٠٠.
(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٧.

بل ان الأنبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى - قال الله تعالى
لأعلم الخلق محمد ﷺ (فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين) - وقال
تعالى : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ فإذا كان هذا نبينا ﷺ -
فكيف بمن دونه؟

وما بال الخليل صاحب الملة الحنيفية ، وما كان من المشركين يخاف على نفسه
وعلى بنيه وهم أنبياء حيث قال : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد
الأصنام ﴾ .

وها هو يوصي أولاده وهم أنبياء - قال الله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه
يعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) .

وهذا موسى عليه السلام لما قال يارب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال : قل
ياموسى «لا إله إلا الله» قال : يارب كل عبادك يقولون هذا . - قال : ياموسى - لو أن
السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع فى كفة - ولا إله إلا الله فى كفة ،
مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه .

قال الشيخ : فيه أن الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله والتنبيه
لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانها» (٢) . لأنه لم يعمل
بمقتضاها ، وعمل بنقيضها .

وهؤلاء أهل الكتاب يدعون أول ما يدعون إلى أن يوحدوا الله - وفى زواية إلى
شهادة أن لا إله إلا الله - كما فى الصحيحين عن ابن عباس وسهل بن سعد رضى الله
عنهم - وهذا يدل على أنهم أهل الكتاب لا يعرفونها أو يعرفونها ولا يعملون
بها (٣) .

(١) الدرر السنية، ط ٢، ج ٢ ص ٥٦، ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد،
ص ١٠، والقسم الرابع، التفسير ص ٣٤٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب
ص ١٢-١٤ .

(٣) المرجع السابق، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله ص ٢٠-٢٣ وباب قول الله تعالى :
﴿ أئشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ﴾ ص ٤٧ ، والقسم الرابع، التفسير، آيات من الزمر ص ٣٤٥ =

كل هذا يؤكد أهمية تعلم التوحيد لاسيما وأن التوحيد له أعداء من الشياطين يصدون عنه ويجادلون كما تقدم بيناه . وهذا كله يؤكد أهمية تعلم التوحيد وضده والعمل بالتوحيد وتركه ضده ، أهمية بالغة وبالنسبة لكل إنسان مهما كان ، ويؤكد عدم الالتفات لقول من يقول التوحيد عرفناه وفهمناه وأمره سهل وليس للشرك وجود ولا خطر^(١) .

بل إذا عرف الإنسان أن الله أمر بهذا التوحيد ونهى عن ضده . . وجب عليه أن يعلم المأمور به ويسأل إلى أن يعرفه ، وأن يعلم المنهى عليه ويسأل إلى أن يعرفه وأن يحبه ويعزم ويعمل ، ولو تغيرت دنياه أو عارضه أحد من المعظمين ، وأن يخلص ذلك لله وأن يجعله صوابا على سنة رسول الله ﷺ وأن يخشى من محبطات عمله وأن يثبت عليه ويخاف من سوء الخاتمة^(٢) .

وبعد أن بينا تفسير التوحيد عند الشيخ والمراد من قوله « لا إله إلا الله » وفرضه ومكانته وأهميته وفضله نبين :

أن الشيخ رحمه الله يستدل على التوحيد وتفسيره وعلى أن هذا التوحيد هو المطلوب الذي يرضاه الله ولا يرضى ضده بالبراهين العظيمة التي احتج الله بها على خلقه واستدل بها رسل الله ومن تبعهم على الأمم المخالفة ، فاستدل بربوبية الله العامة للعالمين ، وبآثار صفات الوحدانية لله تعالى بالقدرة والغنى والعلم على وجه الكمال في مخلوقاته واستدل بنبوة محمد ﷺ ورسالاته وبالوحي المنزل عليه المعجز ، وبسنته الصحيحة من أقواله وأفعاله وتقريره . واستدل بمخلوقات الله تعالى وعبوديتها له وفقرها وحاجتها إليه طوعا وكرها .

ويقرر الشيخ تقريب الله التوحيد بالعقل ، والنقل ، والأئمة ، والأدلة المصرفة

= والقسم الخامس ، الشخصية رقم ١١ ص ٦٧ ، وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة ، مسألة رقم ٩٢ ص ص ٨٢-٧٩ .

(١) الدرر السنية ط ٢ ج ٢ ص ٥٦ ، ومؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب الخوف من الشرك ص ص ١٨-١٩ . وكشف الشبهات ص ١٥٨-١٦٠ والقسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٢ ص ص ١٥٦-١٥٧ . والقسم الرابع ، التفسير ، البقرة ص ٢٨-٢٩ ، وص ٤٠-٤٤ ، والأنعام ص ٥٣-٥٤ وص ص ٥٩-٦٣ ، وص ص ٦٣-٦٨ .

(٢) الدرر السنية ط ٢ ج ٢ ص ٣٨-٣٩ بتصرف قليل . ومؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٣ ص ١٦٢ .

يقول الشيخ: «فأما العقل فكون الإنسان الذى فى عقله : أنك تلجأ إلى الحى ولا تلجأ إلى الميت ، وتطلب الحاضر ولا تطلب الغائب ، وتطلب الغنى ولا تطلب الفقير =

وأما النقل ففى القرآن أكثر من أربعين مثلاً .
وأما الأئمة فمثل ما يعرف أن الناس متعلقة قلوبهم بالعلماء ، ويقال من أكبر الأئمة؟

ومعلوم أنه محمد وإبراهيم عليهما السلام .
فأما إبراهيم فكما قال تعالى : ﴿ إِنِّى جاعلك للناس إماما ﴾ (البقرة : ١٢٤) .
ولما جعله الله إماما معلوم أنه فى التوحيد ، وما جرى عليه من قومه أوقدوا له نارا إذا مر الطير من فوقها سقط فيها .

ومحمد ﷺ ، فأى شىء هو مرسل به دعوة الصالحين هو مرسل يهدمها أو يقيمها؟ أو ساكت عنها لا قال شينه ولا زينته؟ ومعلوم أنه ما تفارق هو وقومه إلا عندها .

وأما الأدلة المصرفة فبحر لا ساحل له كل ما رأيت فهو يدل على الوجدانية^(١) .
وكم كان استدلال الشيخ بربوبية الله تعالى وصفاته على التوحيد ، فلقد قرر وأكد الاستدلال بالآيات والبراهين الكثيرة فى مواضع شتى من آثاره ومؤلفاته - رحمه الله - ولا أدل على ذلك من المبحث المتقدم فى الربوبية والأسماء والصفات الذى هو توحيد المعرفة والاثبات فهو توحيد العلم وقدمناه لأنه برهان توحيد الطلب فليراجع .

ونزيد ذلك إيضاحا بما نذكره هنا من الإشارة إلى وجه الاستدلال فنقول : إن الشيخ رحمه الله يرى أن توحيد الربوبية هو الاقرار بربوبية الله والاقرار بصفاته صفات الكمال دليل عظيم وبرهان ساطع على توحيد الالهية .

فربوبية الله للعالمين من أخص صفاته سبحانه وتعالى ، وهذا أمر مسلم به حتى من الكفار ، فإن الكفار الذين كانوا على زمن رسول الله ﷺ يقرون بتوحيد الربوبية .

قال الشيخ : «توحيد الربوبية هو الذى أقرببه الكفار كما فى قوله تعالى : ﴿ قل

(١) الدرر السنية ، ج ٢ ص ٤٠ .

من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلاتتقون ﴿٣١﴾ (يونس : ٣١) . هذا الاقرار بتوحيد الربوبية يلزم منه أن يقروا بتوحيد الالهية وأن لا يعبدوا إلا الله تعالى ولكنهم لم يقروا باللازم بل نازعوا فيه وأعلنوا استنكارهم له فقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا لشيء عجاب﴾ - يعنون رسول الله ﷺ حين قال لهم قولوا : «لا إله إلا الله» .

لأن الإله في كلام العرب هو الذي يقصد للعبادة ، وكانوا يقولون : ان الله سبحانه هو إله الآلهة ، لكن يجعلون معه آلهة أخرى ، مثل الصالحين والملائكة وغيرهم يقولون ان الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده ، فكذبوا رسول الله ﷺ بأن الله سبحانه يستدل عليهم باقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم هذا ، لأنه إذا كان هو المدبر وحده وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة - فكيف يدعون معه غيره مع إقرارهم بهذا؟^(١) .

وكذلك المنازعون للشيخ في التوحيد هم يقرون بتوحيد الربوبية لكنهم قد أضافوا على اقتصارهم في التوحيد على الربوبية دون الالهية دعوى أنهم إذا قالوا لا يخلق ولا يرزق ولا يضر ولا ينفع إلا الله فقد قالوا بمقتضى لا إله إلا الله كما يقولونها بألسنتهم . ومن هنا صار الشيخ يبين التوحيد ، والفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وأنه لا نزاع في توحيد الربوبية .

قال الشيخ مستدلا على منازعيه بما أقروا به : «فاذا قيل لا خالق إلا الله لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وإذا قيل لا يرزق إلا الله فكذلك فاذا قيل لا إله إلا الله فكذلك» ، ثم قال الشيخ يخاطب بعض من يرأسلهم : «فتفكر رحمك الله في هذا وأسأل عن معنى الإله كما تسأل عن معنى الخالق والرازق ، واعلم أن معنى الإله هو المعبود ، وهذا هو تفسير هذه اللفظة باجماع أهل العلم فمن عبد شيئا فقد اتخذ إلهه من دون الله ، وجميع ذلك باطل إلا إله واحد ، وهو الله تبارك وتعالى علوا كبيرا»^(٢) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى رقم ٧ ص ٤٢ . ومؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، القواعد الأربع ص ص ٢٠٠-٢٠٢ .
(٢) الدرر السنية ط ٢ ج ٢ ص ٥٤ ، ٥٣ .

ويقول الشيخ في تفسير قول الله تعالى : ﴿ اذ قال له ربه أسلم - قال : أسلمت لرب العالمين ﴾ (البقرة: ١٣١) - فيه أن إبراهيم استجاب لله فيما أمره به وهو الإسلام ، الذى هو سبب الكلام والخصومة ، وأن إبراهيم وصف ربه سبحانه بما يوضح المسألة ، وهو الربوبية للعالم كله ، فانظر رحمك الله تعالى إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام^(١).

وقال الشيخ في ذكر بعض ما في قوله تعالى : ﴿ قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ﴾ إلى قوله : ﴿ يعملون ﴾^(٢) من بيان الحق وإبطال الباطل .

الأولى : إذا كانت الحاجة في الله سبحانه من أقرب ما يكون إليه من المختلفين في مسألة التوحيد ، فإذا كان الله رب الجميع وأنه عدل لا يظلم باقرار الجميع ثم افترقنا في كوننا قاصدينه مخلصين له الدين وأنتم قصدتم غيره فكيف يساوى بيننا وبينكم أو يخص بكرامته من أعرض عنه دون من قصده؟ هذا لا يدخل عقل عاقل .

وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه ، ومعرفة حالنا وحالكم في المسألة ، وذلك أنا مجمعون على استوائنا وإياكم في العبودية ، بخلاف ملوك الدنيا فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها ، ونحن مجمعون أيضا أنه لا يظلم أحدا من عبيده ، بل كل نفس ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ (البقرة: ٢٨٦) ، بخلاف ملوك الدنيا فانهم يأخذون مال هذا ويعطون هذا ، فإذا كان الأمر كذلك فكيف تدعون أنكم أولى بالله منا ، ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون؟ وكيف يظن به أنه يساوى بين من قصده وحده لا شريك له ، ومن قصد غيره وأعرض عنه؟ وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بنى آدم خصوصا إذا كان كريها ، أن من قصده وضاف عنده يكرهه ولا يضيفه ، ويخص بالرضا والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره مع استواء الجميع في القرب منه والبعد؟ هذا لا يظن في الآدمي فكيف يظن برب العالمين؟ فتبين بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الاخلاص

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٥ .

(٢) قال تعالى : ﴿ قل : أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . أم تقولون ان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسياط كانوا هودا أو نصارى . قل : أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كنتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ سورة البقرة : ١٣٩-١٤١ .

هو الموافق للعقل، وما فعل المشركون هو العجائب المخالف للعقل، فيالها من حجة ما أعظمها وأبينها، لكن لمن فهمها كما ينبغي^(١).

ويستدل الشيخ بمفهوم الإله عند العرب وعند أهل العلم وأنه المعبود وأن صفة الله بالإله صفة يختص بها لا يشركه فيها غيره ولذا كان قول: لا إله إلا الله والعمل بمقتضاها هو الدخول في التوحيد المطلوب والتحقق به. لأن الله تعالى هو الإله الحق الذى لا إله حقيقة إلا هو، ومعنى أنه الإله أى المألوه، والمألوه هو أعلى الغايات عند المسلم والكافر، إلا أن الكافر يزعم أن الله هو الإله الأكبر لكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، والمتكلم ممن يدعى الإسلام جنى عليه اعراضه عن السجى واقباله على معقولات البشر فضل عن معرفة معنى الإله فظن أن معنى الإله هو القدرة على الخلق. ثم قال التوحيد لا يتم إلا بنفى الصفات فنفاها فصار الكافر أعقل منه، أما المسلمون حقا فأجمعوا مع الأنبياء فى إجماعهم على أن الإله وصف يختص الله به وهو الجامع لصفات الكمال فانه يدل على العلم العظيم والقدرة العظيمة وهاتان الصفتان أصل جميع الصفات - كما قال الله تعالى: ﴿الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما﴾ (الطلاق: آخرها).

وقال الشيخ: «فمن أنكر الصفات فهو معطل والمعطل شر من المشرك ولهذا كان السلف يسمون التصانيف فى إثبات الصفات كتب التوحيد وختم البخارى صحيحه بذلك - قال: كتاب التوحيد ثم ذكر الصفات بابا بابا.

فبين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله عن جميع المخلوقات فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال فتبين أن منكر الصفات منكر لحقيقة الألوهية لكن لا يدري وتبين لك أن من شهد أن لا إله إلا الله صدقا من قلبه لا بد أن يثبت الصفات والأفعال»^(٢).

فنكتة المسألة أن المتكلمين يقولون: التوحيد لا يتم إلا بإنكار الصفات - فقال أهل السنة لا يتم التوحيد إلا بإثبات الصفات وتوحيدكم هو التعطيل ولهذا آل هذا

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ٢٨-٢٩، وانظر: ص ص ٤٠، ٤١.

(٢) الدرر السنية، ط ٢ ج ١ ص ص ٧٠-٧١.

القول ببعضهم إلى إنكار الرب تبارك وتعالى ، ثم يقرر الشيخ : أن أكابر أهل العلم قد يغلطون في مفهوم الإله ومن ثم يغلطون في مسمى التوحيد ، وينقل عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية قوله : قد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام ومن أهل الإرادة والعبادة ، حتى قلبوا حقيقته ، فطائفة ظنت أنه نفى الصفات وسموا أنفسهم أهل التوحيد ، وطائفة ظنت أنه ليس إلا الإقرار بتوحيد الربوبية ، وأطالوا الكلام في تقرير هذا الموضع ، إما بدليل أن الاشتراك يوجب نقص القدرة ، واستقلال كل من الفاعلين بالفعل محال ، وإما بغير ذلك ولم يعلموا أن مشركي العرب مقرون بهذا التوحيد - قال الله تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾ (الآيات من سورة المؤمنين من آية ٨٤ إلى آية ٨٩) . وهذا من التوحيد الواجب لكن لا يخلص من الشرك بالله الذي لا يغفره الله ، بل لابد أن يخلص الله الدين فيكون دينه لله ، والإله هو المألوه وكونه يستحق ذلك مستلزما لصفات الكمال ، فلا يستحق أن يكون معبودا ومحبوبا لذاته إلا هو ، فكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) وقد بينا أن الآية لم يقصد بها دليل التمانع فانه يمنع وجود المفعول لفساده بعد وجوده^(١) .

ويستدل الشيخ - رحمه الله - على التوحيد بثبوت محمد ﷺ أيضا فيقول : «ولما أراد الله سبحانه اظهار توحيده واكمال دينه ، وأن تكون كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، بعث محمدا ﷺ خاتم النبيين وحبيب رب العالمين^(٢) إلى الناس كافة فاتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي : «لا إله إلا الله» .

والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها^(٣) - كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾^(٤) (الأنبياء : ٢٥) - ففي هذه الآية دليل على أن الله أوحى إلى رسله جميعا أنه مختص بالالهية . وفي هذه الآية كما في غيرها من الآيات الخبر عن أكبر المسائل على الإطلاق وهي تفرد الله

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ١١ ص ٦٧ وملحق المصنفات ، مسائل ملخصة مسألة رقم ٩٢ ص ص ٨٢-٧٩ .

(٢) الدرر السنية ، ط ٢ ج ٢ ص ٤٦ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ص ١٥٧ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الأنعام ص ٦٤ .

بالإلهية وهذا هو التوحيد^(١)، وفي الآية التعقيب المباشر بالأمر بلازم التوحيد، وهو أفراد الله بالعبادة، وذلك مثل قوله لموسى عليه وعلى محمد الصلاة والسلام ﴿وَأَنَا اخترتك فاستمع لما يوحى : إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى﴾ (طه : ١٤) .

ذكر الشيخ أن فيه : أمره بالاستماع لما يوحى وأن أول ذلك أكبر المسائل على الإطلاق وهو تفرده بالإلهية، وأمره بلازم التوحيد وهو أفراده بالعبادة^(٢) . ومثله قول الله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (الكهف : آخرها) .

وربنا الشيخ إلى طريقة القرآن في الاستدلال والبرهنة على التوحيد وهى الطريقة العقلية الشرعية فهى عقلية حيث أن العقل يشهد بصحتها وشرعية حيث أن الشرع جاء بها ومن ذلك ما قاله الشيخ في قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملائكة من قومه إنما لنراك في ضلال مبين . قال : يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين . ابلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون . أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون . فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عَمِينَ ﴾ (الأعراف : ٥٩-٦٤) .

قال الشيخ فيه : «تعريفهم أن هذا الذى استغربوا ونسبوا من قاله إلى الجهالة والجنون هو الواجب فى العقل وهو أيضاً حظهم ونصيبهم من الله ، لأنه سبب الرحمة ففى هذا الكلام من أوله إلى آخره من تحقيق الحق وذكر أدلته العقلية على تحقيقه وإبطال الباطل وذكر الأدلة العظيمة على بطلانه ما لا يخفى على من له بصيرة^(٣) . ومن ذلك ما نبه إليه الشيخ فى قوله تعالى فى سورة الأنعام عن محاجة إبراهيم لقومه .

(١) الدرر السنية ط ٢ ج ١ من كلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ص ٦٩-٧١ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٢٩٥ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الأعراف ص ص ١٠١، ١٠٢ .

قال الشيخ - رحمه الله - في تفسيره ومن قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر - إلى قوله - ان هو إلا ذكرى للعالمين ﴾^(١) - فيه مسائل - :

الأولى : قوله : ﴿ أتتخذ أصناما آلهة ﴾ السؤال عن معنى الآلهة فانها جمع إله وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر فكيف يتخذ جمادا ، وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضيا ، لأن الحيوان أكمل من الجهاد فاذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص الله ، فكيف بمن اتخذ فاسقا إلهام مثل نمرود وفرعون ، فإن كان اتخذ بعد موته فأعجب وأعجب .

الثانية : القدح في حجتهم لأن السواد الأعظم ليس لهم حجة إلا هي ، فيدل على الرسوخ في مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله : ﴿ إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ .

الثالثة : قوله تعالى : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل ، لأن من رأى نخلا كثيرا لا يتخالجه شك أن المدبر له ليس نخلة واحدة منه . فكيف بملكوت السموات والأرض ؟

(١) أورد كامل الآيات بنصها من المصحف الكريم لتبين اشارات الشيخ في استنباطاته فهو رحمه الله - يشير اشارات موجزة لا تفهم إلا بعد قراءة الآيات التي اشار إليها وذلك لأن المفروض هو استحضار الآيات عن ظهر قلب - قال تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر اتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب إلاقين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدينى ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برىء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أمحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فإى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وإيسوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ﴾ (الأنعام : ٧٤-٩٠) .

الرابعة : ان هذا النفى إنما نفى لأجل الاثبات .
الخامسة : ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ فلم يكمل غيره حتى كمل .
السادسة : عظم مرتبة اليقين عند الله لجعله التعليم علة لا يصاله إليه .
السابعة : براءته من شركهم نفى أولاً كونها : تستحق . ونفى ثانياً عن نفسه الالتفات إليها .

الثامنة : نفى النقائص عن ربه .
التاسعة : ذكر توجهه الذى هو العمل .
العاشرة : ذكر الدليل الذى دله على النفى والاثبات .
الحادية عشرة : تحقيقه ذلك بكونه حنيفاً ، وهذه المسألة التى قال الله فى ضدها ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ﴾ (يوسف : ١٠٦) .
الثانية عشرة : تصريحه لهم بما ذكر ولم يدار مع كثرتهم ووحدته .
الثالثة عشرة : تصريحه بالبراءة منهم بقوله : ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ .
الرابعة عشرة : ﴿ وحاجه قومه ﴾ ولم يذكر حجّتهم ، لأن كلامه كاف عن كل ما يقولون .

الخامسة عشرة : أنهم لما خصموا رجعوا إلى التخويف كفعل أمثالهم ، فذكر أنه لا يخاف إلا الله ، لتفرده بالضر والنفع بخلاف آلهتهم فذكر النفى والاثبات .
السادسة عشرة : سعة العلم وما قبله سعة القدرة ، وهاتان هما اللتان خلق العالم العلوى والسفلى لأجل معرفتنا بهما .
السابعة عشرة : أن من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجب ، ولذلك قال : ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ .
الثامنة عشرة : قوله : ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ؟ ﴾ إلى آخره يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم .
التاسعة عشرة : قوله : ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ يدل على أن من أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم .
العشرون : البشارة العظيمة والخوف الكثير فى فصل الله هذه الخصومة ، إذا عرف ما جرى للصحابه ، وما فسرهما لهم به النبى ﷺ .

الحادية والعشرون : تعظيمه سبحانه هذه الحجة باضافتها إلى نفسه ، وأنه الذى أعطاه إبراهيم عليه السلام عليهم .

الثانية والعشرون : أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله به المؤمن درجات .

الثالثة والعشرون : معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء فى مواضعها .

الرابعة والعشرون : كونه عليم بمن هو أهل لها كما قال تعالى : ﴿ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ (الفتح : ٢٦) .

الخامسة والعشرون : ذكر نعمته على إبراهيم بذريته التى أنعم عليهم بالهداية .

السادسة والعشرون : أن العلم والهداية أفضل النعم لقوله : ﴿ ونوحا هدينا من قبل ﴾ .

السابعة والعشرون : هداية المذكورين أصولهم وفروعهم ومن فى درجاتهم .
الثامنة والعشرون : ذكره الذى هداهم الله إليه . وهو الصراط المستقيم ، وهو المقصود من القصة .

التاسعة والعشرون : التنبيه على الاستقامة .
الثلاثون : القاعدة الكلية أن هذا الطريق هو هدى الله يهdy به من يشاء من عباده ليس للجنة طريق إلا هو .

الحادية والثلاثون : التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته ليظهر العجب وتشكر النعمة .

الثانية والثلاثون : العظيمة التى لم يعرفها أكثر من يدعى الدين ، وهى مسألة تكفير من أشرك وحبط عمله ، ولو كان أعبد الناس وأزهدهم .

الثالثة والثلاثون : ذكره أنه أعطاهم ثلاثة أشياء : الكتاب ، والحكم ، والنبوة ، فلا يرغب عن طريقهم إلا من سفه نفسه .

الرابعة والثلاثون : ما فى قوله ﴿ فان يكفر بها هؤلاء ﴾ إلى آخره من العبر والتحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم وما فيه من النور من الجهل وتقسيمة .

الخامسة والثلاثون : قوله : ﴿ فبهذا هم اقتده ﴾ أن دينهم واحد وأن شرعهم شرع لنا .

السادسة والثلاثون : النہی عن البدع فان فی التحریض علیہ نہی عن ضده .
السابعة والثلاثون : كون النذیر البشیر مع مقاساة الشدائد فی ذلك لم یطلب منا اجرا علیہ .

الثامنة والثلاثون : كونه ذكری ، ففيه الرد علی من یقرأ بلا تدبر .
التاسعة والثلاثون : قوله : ﴿ للعالمین ﴾ فیہ تكذیب من قال : لا یعرفہ إلا المجتهد .

الأربعون : الحصر فیما ذكر ، والله سبحانه أعلم ^(١) .

ومن ذلك ما قرره من مسائل علی آیات من سورة یوسف - قال تعالى : ﴿ قال : لا یأتیکما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأویله قبل أن یأتیکما ذلكما مما علمنی ربی إننی ترکت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم کافرون . واتبع ملة آبائی إبراهیم واسحق یعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شیء ذلك من فضل الله علینا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا یشکرون . یاصحابی السجن أرباب متفرقون خیر أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سُمیتموها أنتم وآباؤکم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم إلا الله أمر ألا تعبدوا إلا إیاه ذلك الدین القيم ولكن أكثر الناس لا یعلمون ﴾ (الآیات : ٣٧-٤٠) .

یقول علیہ السلام إنی علیم بتعبیر الرؤیا هذه وغيرها ﴿ فلا یأتیکما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأویله ﴾ قبل اتیانہ فكیف بغير ذلك ؟ ففيه مسائل :

الأولی : ذکر العالم أنه من أهل العلم عند الحاجة ولا یكون من تزکیة النفس .
الثانية : اضافة هذه النعمة العظيمة إلى معطیها سبحانه لا إلى فهم الانسان واجتهاده .

الثالثة : ذکر سبب اکرام الله له بهذا الفضل وهو الترك والفعل فترك الشرك الذی هو مسلك الجاهلین واتبع التوحید الذی هو سبیل أهل العلم من الأنبياء وأتباعهم .

(١) مؤلفات الشیخ ، القسم الرابع ، التفسیر ، الأنعام ص ٦٣-٦٨ .

الرابعة : ذكره أنه من هؤلاء الأكرمين فانتسب إلى البيت الذي هو أشرف بيوت أهل الأرض ، وهذا جائر على غير سبيل الافتخار خصوصا عند الحاجة .
الخامسة : أنه صرح لهم بأنهم إبراهيم وإسحق ويعقوب .
السادسة : أن الجدد يسمى أبا كما ذكر ابن عباس واحتج بالآية على زيد بن ثابت .

السابعة : قوله : ﴿ ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ﴾ قيل معناه أن الله عصمنا ، وهذه الفائدة من أكبر الفوائد وأنفعها لمن عقلها ، والجهل بها أضر الأشياء وأخطرها .

الثامنة : قوله : ﴿ من شيء ﴾ عام كل ما سوى الله ، وهذه المسألة هي التي غلط فيها أذكى العالم وعقلاء بني آدم ، كما قال تعالى : ﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ (الشورى : ١٣) .

التاسعة : ذكر سبب معرفتهم بالمسألة وعلمهم بها وثباتهم عليها ، وهو مجرد فضل الله فقط عليهم .

العاشرة : أن فضله سبحانه ليس مخصوصا بنا بل عام للناس كلهم لكن منهم من قبله ومنهم من رده ، وذلك أنه أعطى الفطرة ثم العقول ، ثم بعث الرسل وأنزل الكتب .

الحادية عشرة : إزالة الشبهة عن المسألة التي هي أكبر الشبه ، وذلك أن الله إذا تفضل بهذا كله خصوصا البيان فما بال الأكثر لم يفهم ولم يتبع فما أكثر الجاهلين بهذا وما أكثر الشاكين فيه ، فقد ذكر تعالى أن السبب أن جمهور الناس لم يشكروا فاما من عرف النعمة فلم يلتفت إليها فلا اشكال فيه . وأما من لم يعرف فذلك لاعراضه ومن أعرض فلم يطلب معرفة دينه فلم يشكر .

الثانية عشرة : دعوته إياهما عليه السلام إلى التوحيد في تلك الحال ، فلم تشغله عن النصيحة والدعوة إلى الله فدعاها أولا بالعقل ، ثم بالنقل : وهي الثالثة عشرة .

الرابعة عشرة : قوله : ﴿ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ فهذه حجة عقلية شرحها في قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ﴾ (الزمر : ٢٩) .

الخامسة عشرة : أن الذى فى الجانب الآخر هو الذى جبلت القلوب وأقرت الفطر أنه ليس له كفو.

السادسة عشرة : أنه هو القهار مع كونه واحدا ، وما سواه لا يحصيهم إلا هو فهذا قوله ، وهذا عجزهم فكيف يعدل به واحد منهم ، أو عشرة أو مائة .

السابعة عشرة : بيان بطلان ما عبدوا من دونه بأنها أسماء لا حقيقة لها .

الثامنة عشرة : التنبيه على بطلانها بكونها بدعة ابتدعتها من قبلكم فتبعموهم .

التاسعة عشرة : بيان الواجب على العبد فى الأديان السؤال عما أمر الله به ونهى عنه ، وهو السلطان المنزل من السماء ، لا يعبد بالظن وما تهوى الأنفس .

العشرون : القاعدة الكلية التى تفرع عنها تلك الجزئية وهى أن أحكام الدين والدنيا إلى الله لا إلى آراء الرجال - كما قال تعالى : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ (الشورى : ١٠) .

الحادية والعشرون : إذا ثبت أن الحكم له وحده دون الظن وما تهوى الأنفس فانه سبحانه حكم بأن العبادة كلها محصورة عليه ليس لأحد من أهل السماء وأهل الأرض منها شيء .

الثانية والعشرون : أن هذه المسألة هى الدين القيم وكلما خالفها أوليس منها فليس بقيم بل أعوج ، فعلمة الحق أن العقول السليمة تعرف اعوجاج غيره بالفطرة ، ومع هذا أنزل الله السلطان من السماء بتحقيق هذا والالزام به ، وتبطل ذلك وتغليظ الوعيد عليه .

الثالثة والعشرون : المسألة الكبيرة العظيمة التى لو تجعلها نصب عينيك ليلا ونهارا لم يكن كثيرا ، وأيضا تبين لك كثيرا من المسائل التى أشكلت على الناس وهى أن الله بين لنا بيانا واضحا أن الأكثر والجمهور الذى يضيّقون الديار ويغلون الأسعار من أهل الكتاب والأميين لا يعلمون هذه المسألة : مع ايضاحها بالعقل والنقل والفطرة ، والآيات النفسية والأفقية^(١) .

وفى استنباطات الشيخ من سورة النحل يشير إلى الأدلة والمدلول عليه - قال الله تعالى : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ، ينزل

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ص ١٤٤-١٤٧ .

الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا انه لا إله إلا أنا فاتقون ، خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، والأنعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ، هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ، وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وألقى فى الأرض رواسى أن تمد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم ، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون . والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون . إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴿ .

قال الشيخ : فيها ذكر الحكمة فى إنزال الروح وهو إنذار الخلق عن الشرك ، وفيها الاستدلال بخلق السموات والأرض وأنه بالحق ، والاستدلال بخلق الإنسان ، فذكر أولا : الخلق العام ثم الخاص وفيها الاستدلال بخلق الأنعام على اختلافها وأن ذلك لنا ، وذكر الخيل والبغال والحمير فى الاستدلال ، والتنبية على خلق ما لا نعلم ، وفيها الاستدلال بانزال المطر والاستدلال بخلق الليل والنهار والعلويات وتسخيرها لنا بأمره وأنها آيات مخصصة بالذين يعقلون ، وفيها الاستدلال بخلق ما فى الأرض لنا على اختلافه وكثرته والآيات فى ذلك وتخصيص المتفكرين بفهمها ، وتسخير الله البحر وأنه الذى فعله لا غيره ، والاستدلال بخلق الجبال وفى قوله تعالى : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ؟ ﴾ الدليل القاطع البديهي الفطرى الضرورى ، وأن الذين يدعون من دون الله ليس لهم قدرة ولا لهم علم فلا يخلقون شيئا ولا يدرون متى يبعثون ، وأنهم أموات غير أحياء وذكر المدلول عليه وهو توحيد الالهية وأنه مع

تكاشر هذه الأدلة ووضوحها أنكرته قلوب هؤلاء وسببه عدم الإيمان بالآخرة لاختفاء الأدلة وأن الشرك وعدم الإيمان بالآخرة متلازمان^(١).

ومن ذلك أيضا ما ورد في سورة الزمر - قال الله تعالى : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ، لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ، خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ، خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور ، واذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيبا إليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل : تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار ﴾ (الزمر: ١-٨) .

قال الشيخ في مسأله المستنبطة من هذه السورة :

الآية الأولى : فيها منته بالكتاب .

الثانية : انزاله من السماء .

الثالثة : منه سبحانه .

الرابعة : ذكر عزته في هذا الموضع .

الخامسة : ذكر حكمته فيه .

والآية الثانية : فيها الأولى والثانية (يعنى منته بالكتاب ، وانزاله الكتاب) .

الثالثة : انزاله بالحق ، فيفيد الرد على أكثر الناس في مسائل كثيرة .

الرابعة : تخصيصه الرسول ﷺ بانزاله فالنعمه عليه أكبر ، وعليه من الشكر أكثر ، وكذلك من خص بها يشابه ذلك .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، ص ص ١٩٩-٢٠٥ .

الخامسة : نتيجة انزاله بالحق ونتيجة الأنعام به وهى عبادة الله بالاخلاص - وهذه الخامسة هى الدين كله ، وجعلها بين الرابعة والسادسة وهى أن الدين الخالص لله ، وغير الخالص ليس له وهما قاعدتان عظيمتان .

الآية الثالثة : فيها ابطال اتخاذ الأولياء من دونه .
والثانية : ابطال ما غرهم به الشيطان أن قصدهم وجه الله لا غير ، وما أجلها من مسألة .

الثالثة : الوعيد الشديد على ذلك .
الرابعة : ذكره تكفير من فعل ذلك .
الخامسة : تكذيبه .
السادسة : ذكره أنه لا يهدى هذا ، وهى من مسائل الصفات .
الآية الرابعة : فيها نفي اتخاذ الولد على سبيل الاصطفاء .
الثانية : ذكر خطئهم فى القياس لأنه لو يفعله لم يكن مما قالوا .
الثالثة : أنه مسبة لله بقوله سبحانه .
الرابعة : ذكره الوجدانية فى هذا .
الخامسة : ذكره القهر فيه .
السادسة : الاستدلال بالأسماء والصفات على النفى والاثبات ، وهى مسائل كبيرة عظيمة .

الآية الخامسة : فيها ذكر البراهين على ما تقدم من الدين الحق وضده وهذه البراهين هى :

الأولى : خلق السموات والأرض .
الثانية : أنه بالحق .
الثالثة : تكوير المكورين .
الرابعة : تسخير النيرين .
الخامسة : ذكر عزته فى هذا .
السادسة : ذكر مغفرته .
الآية السادسة : فى البراهين أيضا :
الأولى : خلقنا من نفس واحدة مع هذه الكثرة .

الثانية : خلقه منها زوجها .
 الثالثة : انزاله لنا من الأنعام هذه النعم العظيمة .
 الرابعة : خلقنا في البطون .
 الخامسة : أنه خلق من بعد خلق .
 السادسة : أنه في الظلمات الثلاث .
 السابعة : كلمة الاخلاص .
 الثامنة : التعجب من الغلط في هذا مع كثرة هذه البراهين ووضوحها .
 الآية السابعة : فيها سبع جمل كل واحدة مستقلة .
 الآية الثامنة : فيها ذكر حال الإنسان مع ربه .
 والثانية : هذه المسألة العجيبة من حاله .
 الثالثة : برهان التوحيد .
 الرابعة : حلمه سبحانه .
 الخامسة : أن الكافر مقر بتوحيد الربوبية .
 السادسة : أنه يخلص لله وينيب في الضرر .
 السابعة : أن الاجابة في هذا لا تدل على المحبة .
 الثامنة : تدل على أن الحق عليه أكبر .
 التاسعة : ومعرفة قدر الدنيا .
 العاشرة : شدة الوعيد على هذا .
 الحادية عشرة : أن الحججة عليه أكبر .
 الثانية عشرة : ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها .
 الثالثة عشرة : ما كفاه النسيان حتى جَعَلَ الشكر جَعَلَ الأنداد .
 الرابعة عشرة : أمر المؤمنين أن يعظ الفاعل^(١) .
 ويستدل الشيخ بعبودية ما سوى الله طوعا وكرها وفقر المخلوقات مهما كانت
 إلى الله تعالى - ويبين أن كل ما سوى الله عبد مربوب مخلوق محتاج للإله الحق وليس
 له في الألوهية حق .
 كما قال تعالى : ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتٍ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ،

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الزمر ص ٣١٧-٣٢١ وص ٣٢٥-٣٢٦ .

لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتية يوم القيامة فردا ﴿ .
وقال تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له
الرحمن وقال ضووبا ﴿ .
وقال تعالى : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴿ ^(١) الآية
(النحل: ١١١) .

وإذا كان الله قد أنكر عبادة من لا يملك لعباده نفعا ولا ضرا كما قال تعالى :
﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿
(يونس: ١٨) .

وقال تعالى : ﴿ أمن يحيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الأرض أإله مع الله ﴿ .

فمعلوم أن هذا يستلزم علمه بحاجة العباد ناطقها وبهيماها ، ويستلزم القدرة
على قضاء حوائجهم ، ويستلزم الرحمة الكاملة واللفظ الكامل وغير ذلك من
صفات الكمال ونعوت الجلال ^(٢) .

وهذا معنى الإله ، والإله هو الجامع لصفات الكمال ، فهو أعلى الغايات المعبود
المحبوب المطلوب لهذه المخلوقات .

ويرى الشيخ أن مخلوقات الله من أظهر الآيات الدالة على التوحيد ^(٣)
- ويقول : إذا قيل لك : من ربك ؟ - فقل ربى الله الذى ربانى وربى جميع العالمين
بنعمه وهو معبودى ليس لى معبود سواه والدليل قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب
العالمين ﴿ وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم . فإذا قيل لك : بم عرفت
ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته ^(٤) ، ومن آياته أن خلق وصور وشق السمع والبصر ووهب

(١) الدرر السنية ط ٢ ج ٢ ص ٥٣ .

(٢) انظر: الدرر السنية، ط ٢، ج ١ ص ٦٩-٧١ . ومؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد
ص ٤٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٦٩ .

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٧ .

جميع الحواس^(١). والخلق أظهر آياته سبحانه، خاصة خلقه للإنسان، ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق﴾^(٢).

ومن آياته المخلوقة التى خلقها وسخرها وهى دالة عليه الليل والنهار والشمس والقمر والسموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما^(٣). والدليل قوله تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم إياه تعبدون﴾ (فصلت: ٣٧).

وقوله تعالى: ﴿ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾^(٤) (الأعراف: ٥٤).

ويستدل الشيخ بمثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ (البقرة: ٢١، ٢٢).

قال ابن كثير - رحمه الله - الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة^(٥).

ويقول الله تعالى: ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾.

يقول الشيخ: بعد أن أورد هذه الآية - ثم ذكر الدليل فقال: ﴿ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ، ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب﴾^(٦) (البقرة: ١٦٣-١٦٥).

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، الخطب المنبرية ص ٥٨-٦٠، ٤٧، ٤٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٦٩، والنحل مسألة ١٥ ص ٢٠٤ وقصة موسى وفرعون ص ٢٩٩، ٣٠٥ والزمزم ص ٣٣٩. والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب ١٤ ص ٤٥.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الحجر ص ١٨٦-١٨٩.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٦، ١٨٧ وص ٣٧٠.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٧.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٦.

هذا وقد عقد الشيخ بابا في كتاب التوحيد ترجم له بقوله : باب قول الله تعالى : ﴿ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾ ﴿ أورد فيه من براهين التوحيد بيان عجز المخلوقات وكل ما سوى الله عن الخلق ، وفقر العالمين جميعا إلى الله تعالى بالعقل والشرع - كما وردت في النصوص الموحى بها إلى رسول الله ﷺ مثل قول الله تعالى : ﴿ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ، وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ (الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢) .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْبُثُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ .

وفي الصحيح عن أنس ، قال : « شج النبي ﷺ يوم أحد ، وكسرت رباعيته فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (آل عمران : ١٢٨) .

وفيه عن ابن عمر رضی الله عنهما : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : « اللهم العن فلانا وفلانا ، بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد » فأنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية .

وفي رواية : « يدعوا على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ :

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء : ٢١٤) فقال : يا معشر قريش (أو كلمة نحوها) اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله (ﷺ) لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئا » .

قال الشيخ في مسألة : قوله للأبعد والأقرب « لا أغني عنك من الله شيئا » فإذا صرح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الإنسان أنه

ﷺ لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له التوحيد وغربة الدين^(١).

قال الشيخ ابن سعدى - رحمه الله - في القول السديد الذى علق به على كتاب التوحيد تحت هذه الترجمة باب قول الله تعالى : ﴿ أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾ - هذا شروع في براهين التوحيد وأدلته فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره ، فتقدم أن التوحيدين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات من أكبر براهينه وأضخمها ، فالتفرد بالخلق والتدبير ، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذى لا يستحق العبادة سواه .

وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله فان جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة ، ولا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق وهو الرازق لكل مرزوق المدبر للأمور كلها الضار النافع المعطى المانع الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع كل شيء وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء . فأى برهان أعظم من هذا البرهان الذى أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، فهو دليل عقلى فطرى كما أنه دليل سمعى نقلى على وجوب توحيد الله وأنه الحق وعلى بطلان الشرك .

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسهم به رحماً فكيف بغيره ؟ فتباً لمن أشرك بالله وسأوى به أحداً من المخلوقين ، لقد سلب عقله بعد ما سلب دينه فنعوت البارى تعالى وصفات عظمتة وتوحده في الكمال المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو .

وكذلك صفات المخلوقات كلها ، وما هى عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها في كل شئ ونها ، وأنه ليس لها من الكمال إلا ما أعطاها ربها من أعظم البراهين على بطلان إلهية شئ منها . فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرت هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده وإخلاص الدين له والثناء عليه ، وحده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه ،

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ص ٤٥-٤٧ .

وانصرفه عن التعلق بالخلقين خوفا ورجاء وطمعا^(١). أ - هـ بتصرف قليل .

والشيخ رحمه الله كثيرا ما يورد النصوص من الوحي الدالة على التوحيد مثل قول الله تعالى : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين ، وان يمسسك الله بضر ، فلا كاشف له إلا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴾ (يونس : ١٠٦ ، ١٠٧) .

وقوله تعالى : ﴿ ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق ، واعبدوه واشكروا له ، إليه ترجعون ﴾ (العنكبوت : ١٧) .

وقوله : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ (الأحقاف : ٥ ، ٦) .

وقوله : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله ؟ ﴾ (النمل : ٦٢)^(٢) .

هذا ومن الأبواب التي عقدها الشيخ وتعد بيانا لبراهين التوحيد في كتاب التوحيد هي :

١ - باب قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، وهو العلى الكبير ﴾^(٣) (سبأ : ٢٣) .

٢ - باب الشفاعة^(٤) وفي قوله تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وما لهم فيها من شرك ، وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العلى الكبير ﴾ (سبأ : ٢٢ ، ٢٣) .

قال الشيخ فيها الحجة على ابطال الشرك خصوصا ما تعلق على الصالحين وهي الآية التي قيل : إنها تقطع عروق الشرك من القلب .

(١) القول السديد بهامش كتاب التوحيد، ص ص ٦١-٦٤ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ٤٢-٤٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ص ٤٨-٥٠ .

(٤) المصدر السابق، ص ص ٥١-٥٣ .

٣ - باب : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (القصص : ٥٦) ^(١).

٤ - باب : (لا يستشفع بالله على خلقه) ^(٢).

٥ - باب : في (حماية النبي ﷺ حمى التوحيد) ^(٣).

٦ - باب قول الله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ ^(٤).

٧ - باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ^(٥) وغير ذلك من الأبواب التي يطرقها الشيخ في مؤلفاته : للدلالة على التوحيد.

ومن أدلة الشيخ التاريخية على معنى التوحيد استعراضه لما جرى بين رسول الله ﷺ وبين قومه - فمن ذلك يقول الشيخ : « وجرى بينه وبينهم ما يطول وصفه . وقص الله سبحانه بعضه في كتابه .

ومن أشهر ذلك : قصة عمه أبى طالب لما حماه بنفسه وماله وعياله وعشيرته . وقاسى في ذلك الشدائد العظيمة . وصبر عليها ، ومع ذلك كان مصداق له ، مادحا لدينه محبا لمن اتبعه ، معاديا لمن عاداه ، لكن لم يدخل فيه ، ولم يتبرأ من دين آبائه واعتذر عن ذلك بأنه لا يرضى بمسبة آبائه . ولولا ذلك لا تبعه . ولما مات - وأراد النبي ﷺ الاستغفار له - أنزل الله عليه : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى ، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ ^(٦) (براءة : ١١٣).

ويذكر الشيخ عن أبى محمد بن قدامة أن أبا طالب كان يقر بنبوة النبي ﷺ وله في ذلك أشعار منها :

لا أبلغا عنى على ذات بيننا	لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب
بأننا وجدنا في الكتاب محمدا	نبيا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة	ولا خير ^(٧) ممن خصه الله بالحب

(١) المصدر السابق، ص ٥٤-٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٦-٦٧، ١٤٦-١٤٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٥) المصدر السابق، ص ١٤٨-١٥١.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، مختصر السيرة ص ٣٠-٣١.

(٧) ولا خير : أى لا خير.

ومنها :

تعلم خيار الناس أن محمدا وزيرا لموسى والمسيح ابن مريم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم

ولكنه أبى أن يدين بذلك خشية العار. ولما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبوجهل، وعبد الله بن أبى أمية - فقال : «ياعم قل : لا إله إلا الله ، كلمة : أحاج لك بها عند الله» فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل ﷺ يرددها عليه ، وهما يرددان عليه حتى كان آخر كلمة قالها : «هو على ملة عبد المطلب» فقال رسول الله ﷺ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم : أنهم أصحاب الجحيم ﴾ (التوبة : ١١٣) ، ونزل قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (القصص : ٥٦) .

وقصة وفاة أبى طالب أخرجها البخارى ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه ، ورواها أحمد ومسلم والترمذى من حديث أبى هريرة^(١) .

وقصة أبى طالب يتضمنها الحديث الثانى من عشرين حديثا من صحيح مسلم قام بدراسة اسانيدھا وشرح متونها الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد^(٢) .
ويعلق الشيخ على هذه القصة فيقول : فيالها من عبرة ما أبينها ، ومن عظة ما أبلغها . ومن بيان ما أوضحه^(٣) .

ومن أدلة الشيخ على التوحيد أيضا ما وقع فى التاريخ الإسلامى من ذلك قصة الردة المشهورة ، وموقف أبى بكر منها ، وقصة أناس من بنى حنيفة وموقف ابن مسعود منهم فى الكوفة ، وموقف علي بن أبى طالب رضى الله عنه ممن اعتقد فيه الالهية ،

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ص ٦١ ، ٦٢ ، والقسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ص ص ٥٤-٥٥ .

(٢) «عشرون حديثا من صحيح مسلم ، دراسة اسانيدھا وشرح متونها» ص ص ٤٤-٥٧ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، مختصر السيرة ص ٣١ ، والقسم الأول ، العقيدة ، شرح سنة مواضع من السيرة ، الموضع الرابع ص ص ٣٥٧-٣٥٨ .

وقصة المختار بن أبي عبيد الثقفي لما زعم أنه يوحى إليه ، وموقف عبد الله بن الزبير منه ومن امرأته لما لم تتبرأ منه . وقصة الجعد بن درهم وكان من أشهر الناس بالعلم والعبادة وموقف خالد بن عبد الله القسري منه حين قتله وإجماع العلماء على استحسان قتله كما ذكر ابن القيم . وقصة بنى عبيد القداح وقد كانوا مظهرين لشرائع الإسلام فلما أظهروا كفرهم ، أجمع أهل العلم أنهم كفار وأن دارهم دار حرب مع أظهارهم شعائر الإسلام وقصة التتار لما أسلموا ولم يعملوا بما يجب عليهم من شرائعه ومع هذا كفرهم العلماء وغزوهم حتى أزالهم الله عن بلدان المسلمين .

قال الشيخ : « وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله ، وأما من أراد الله فتنته : فلو تناطحت الجبال بين يديه لم ينفعه ذلك . ولو ذكرنا ما جرى من السلاطين والقضاة من قتل من أتى بأموير يكفر بها ولو كان يظهر شعائر الإسلام وقامت عليه البينة باستحقاقه للقتل ، مع أن في هؤلاء المقتولين من كان أعلم الناس وأزهدهم وأعبدتهم في الظاهر مثل الحلاج وأمثاله . ويكتفى الشيخ بذكر هذه الأمثلة ويقول : فلو ذكرنا قصص هؤلاء لاحتمل مجلدات ولا نعرف رجلاً واحداً بلغ كفره كفر البدو الذين يقول عنهم من يزعم إسلامهم - انه ليس معهم من الإسلام شعرة إلا قول : « لا إله إلا الله » . أى باللسان فقط مع أظهارهم نقيضها فهم لم يقولوها في الحقيقة ولم يعتقدوا التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، ولم يعملوا بمقتضاها بل أظهروا كما يقول الشيخ إنكارهم للإسلام واستهزأوا به على عمد ، وأظهروا كفرهم بالقرآن ودين الرسول ﷺ كله وكذبوا بالبعث وأنكروا الشرع الذى شرعه الله وزعموا أن شرعهم الباطل الذى أحدثه لهم آباؤهم هو حق الله .

ويتعجب الشيخ من بعض من يدعى العلم والكتب بأيديهم والنبي يزعمون أنهم يعرفونها ويعملون بها وفيها مسائل الردة يفتون بمحاربة التوحيد الذى أقروا أنه دين الله ورسوله ﷺ وبمناصرة الشرك وهم يقولون بأنه الشرك ولكن يقول انها من أكبر آيات الله^(١) .

ولا يقتصر استدلال الشيخ - رحمه الله - على التوحيد بما ذكرنا ، بل انه يستدل بكلام أهل العلم من جميع المذاهب الأربعة فيقول :

«وها أنا أذكر مستندى في ذلك ، من كلام أهل العلم من جميع الطوائف فرحم

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٣٦-٥٠ .

الله من تدبرها بعين البصيرة ، ثم نصر الله ورسوله وكتابه ودينه ، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم .

فأما كلام الحنابلة فقال الشيخ تقي الدين - رحمه الله - لما ذكر حديث الخوارج : فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن قد انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة ، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضا وذلك بأمور منها : الغلو الذي ذمه الله تعالى كالغلو في بعض المشائخ كالشيخ عدى بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح ونحوه ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح ، وجعل فيه نوعا من الالهية ، مثل أن يدعوه من دون الله بأن يقول : ياسيدى فلان أغثنى ، أو أجرنى ، أو أنت حسبي ، أو أنا في حسبك ، فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه فإن تاب والا قتل ، فإن الله أرسل الرسل ليعبد وحده ، لا يجعل معه إله آخر ، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة أو المسيح أو العزيز أو الصالحين أو غيرهم ، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق وترزق ، وإنما كانوا يدعونهم ، يقولون : «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» فبعث الله الرسل تنهى أن يدعى أحد من دون الله ، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة انتهى ، وقال في الاقناع أول باب حكم المرتد : ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر اجماعا .

وأما كلام الحنفية فقال الشيخ قاسم : في شرح (درر البحار) النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي قبر بعض الصالحاء قائلا : ياسيدى ان رد غائبى أو عوفى مريضى ، أو قضيت حاجتى فلك من الذهب أو الطعام أو الشمع كذا وكذا باطل اجماعا بوجوه منها : أن النذر للمخلوق لا يجوز ومنها : أنه ظن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر إلى أن قال : وقد ابتلى الناس بذلك ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوى ، وقال الإمام البزازى في (فتاويه) : اذا رأى رقص صوفية زماننا هذا في المساجد مختلطا بهم جهال العوام ، الذين لا يعرفون القرآن والحلال والحرام بل لا يعرفون الإسلام والإيمان ، لهم نهيق يشبه نهيق الحمير ، يقول : هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ، فويل للقضاة والحكام حيث لا يغيرون هذا مع قدرتهم .

وأما كلام الشافعية : فقال الإمام محدث الشام أبو شامة (أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم) : في كتاب (الباعث على انكار البدع والحوادث) : لكن نبين من هذا ما وقع فيه جماعة من جهال العوام ، النابذين لشريعة الإسلام ، وهو ما يفعله الطوائف من المنتسبين إلى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيذان من مؤاخات النساء

والأجانب واعتقادهم في مشائخهم، وأطال - رحمه الله الكلام - إلى أن قال : - وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها، ومن هذا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعمامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحدا من شهر بالصالح ثم يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها وهي ما بين عيون وشجر وحائط، وفي مدينة دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة ثم ذكر رحمه الله الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لما قال له بعض من معه اجعل لنا ذات أنواط قال : «الله أكبر قلتُم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة» انتهى كلامه رحمه الله، ويعلق الشيخ بقوله:

وقال: أي شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» إذا كان هذا كلامه ﷺ في مجرد قصد شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها فكيف بما هو أعظم منها الشرك بعينه بالقبور ونحوها؟

وأما كلام المالكية : فقال أبو بكر (الطرطوشي) في كتاب (الحوادث والبده) لما ذكر حديث الشجرة ذات أنواط فانظروا رحمكم الله أين ما وجدتم سدرة أو شجرة، يقصدها الناس ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء لمرضاهم من قبلها، فهي ذات أنواط فاقطعوها، وذكر حديث العرباض بن سارية الصحيح، وفيه قوله ﷺ : «انه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة» قال في البخاري: عن أبي الدرداء أنه قال: والله ما أعرف من أمر محمد شيئا إلا أنهم يصلون جميعا، وروى مالك في الموطأ عن بعض الصحابة أنه قال: ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة، قال الزهري: دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي . . . فقال: ما أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت، قال الطرطوشي رحمه الله: فانظروا رحمكم الله إذا كان في ذلك الزمن طمس الحق، وظهور الباطل، حتى ما يعرف من الأمر القديم إلا القبلة فما ظنك بزمانك هذا والله المستعان.

قال الشيخ: «وليعلم الواقف على هذا الكلام من أهل العلم أعزهم الله أن الكلام في مسألتين:

الأولى : أن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ لاختلاص الدين لله لا يجعل معه أحد

في العبادة والتأله، لا ملك ولا نبي ولا قبر ولا حجر ولا شجر ولا غير ذلك وأن من عظم الصالحين بالشرك بالله فهو يشبه النصارى، وعيسى عليه السلام برىء منهم .
الثانية : وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ وترك البدع ، وإن اشتهرت بين أكثر العوام ، وليعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل ، ونقل كلام العلماء ، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه ولم تأخذه في الله لومة لائم^(١) .

وهكذا فالشيخ رحمه الله ينقل كلام العلماء من أهل المذاهب الأربعة مما يدل على أن الشيخ في كل أمره خصوصاً مسألة التوحيد، لم يخرج عن إجماعهم فضلاً عن أن يخرج عن مذهب أي أحد منهم، وهي التي اعتبره الناس فيها مبتدعاً مذهباً خامساً فاعجب لذلك أن تعجب والله المستعان .

والمقصود بيان أن الشيخ رحمه الله سلك مسالك متعددة في البرهنة على التوحيد والاستدلال عليه يمكن أن نجمل بعضها فيما يلي :

١ — أنه يستدل بالدليل ويورده ثم يعقب على ذلك بذكر المدلول عليه كالدليل الذي أورده من سورة النمل^(٢) : ﴿ أَمِنْ يَجِبُ الْمَضْطَرُ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ ، وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؟ أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ ﴾ (النمل: ٦٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٣) . ونحو ذلك من الأدلة . ومن هذا الباب استدلال الشيخ برؤية الله وأسمائه وصفاته على التوحيد فانظر مثلاً تفسير سورة الفاتحة^(٤) ، وانظر مبحث توحيد المعرفة والاثبات^(٥) .

٢ — أنه يذكر المدلول عليه ثم يعقب بذكر دليله كالدليل الذي أورده من سورة البقرة وهو قول الله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٢٦ ص ١٧٧-١٨٠ ورقم ١١ ص ٦٨-٧٠ وانظر: رقم ٢٨ ص ١٨٩-١٩٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، التوحيد ص ٤٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد ص ٧ .

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الفاتحة ص - ص ١١-١٣ .

(٥) انظر: ص ٣٧٨ من هذا المبحث .

دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴿١﴾ (البقرة: ١٦٣-١٦٤).

٣ - الاكتفاء بذكر عجز وفقر العالمين وهم كل ما سوى الله وأنه ليس من صفاتهم شيء من الألوهية ولا لهم شيء من الملك ولا النفع ولا الضر كالدليل الذي أورده الشيخ في باب قوله تعالى: ﴿أشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ﴾ (الأعراف: ١٩١، ١٩٢) (٢).

والحاصل أن الشيخ طرق المسالك الثلاثة التي وردت في القرآن للدلالة على التوحيد ولم يقتصر الشيخ على واحد منها.

وهكذا يقرر الشيخ التوحيد ويبين لازمه ويستدل عليه بما استدل به الله ورسله وأتباع رسله من البراهين اليقينية الظاهرة الجلية، بمثل ربوبية الله للعالمين، واختصاصه بها سبحانه، وبصفات الكمال، والتي تجمعها صفة الألوهية، وبمثل عبودية جميع من سوى الله من العالمين، وفقرها وحاجتها عبودية عامة وخاصة طوعا وكرها.

وبمثل نبوة رسول الله ﷺ والوحي المنزل عليه الذي أعجز الله به من خاصم وفجر، إلى يوم القيامة.

بكل ذلك وبنحوه يستدل الشيخ على أن حق الله على العبيد أن يفردوه بجميع أنواع العبادة وأن يوحدوه بها فهي حقه الخاص لا شريك له على الإطلاق ولو غلط في ذلك من غلط، وأعرض عن تعلمه من أعرض.

فتبين من هذه الأدلة والبراهين أن التوحيد هو أفراد الله بالعبادة، وأن العبادة هي التوحيد فمن لم يأت بالتوحيد لم يعبد الله كما قال تعالى ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾.

العبادة وأنواعها :

والعبادة اسم جنس لها أنواع (٣)، وهي ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٦.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد، ص ٤٥.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٦.

اقتضاء عقلي^(١)، ومعنى التوحيد أن تصرف جميع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده لا يجعل فيها شيء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل^(٢).

والعبادة لا تسمى عبادة لله إلا مع توحيده بجميع أنواع العبادة، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة^(٣)، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا كما قال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين ألا الله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ (الزمر: ٢، ٣).

فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصا لوجهه وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم فقال: ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾^(٤).

وقال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وذلك دين القيمة﴾.

يقول الشيخ: «فلم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغى للعاقل أن يلتزمه ولا يبتغى به بديلا لحسنه وسهولته ومن حسنه أنه تنزيه لله على المسبة، كما أن من قبح ضده أنه مسبة لله تعالى»^(٥).

وما من شك أن معنى «لا إله إلا الله» هو إخلاص القصد والنية والارادة في العبادة المشروعة لوجه الله تعالى، وأن المألوه هو المقصود المعتمد عليه^(٦)، ولذا كان الإخلاص شرطاً في صلاح التعبد وقبوله، وقد عقد الشيخ - رحمه الله - في كتاب

(١) المرجع السابق رقم ١٣ ص ٩٠.

(٢) المرجع السابق رقم ١٣ ص ٨٨.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع ص ١٩٩.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٧ ص ١١١، ١١٢، والقسم الرابع،

التفسير، الزمر ص ٣١٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٦، ٣٨١ والقسم الأول، العقيدة، كتاب

التوحيد، باب الدعاء إليه ص ٢١.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٩ ص ١٢٤.

التوحيد بابين هما : (باب ما جاء في الرياء) و (باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا) يوضح فيها هذا الجانب الهام .

ووفى هذين البابين بما يناسبهما من أدلة الكتاب والسنة لأنه يعالج بهما القصد والنية والارادة لتستقيم على اخلاصها لله تعالى وما من شك أن اخلاص القصد والنية والارادة في العبادة المشروعة هو شرط صلاحها . وأورد تحت الباب الأول قول الله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (الكهف : ١١٠) .
وعن أبى هريرة مرفوعا : قال تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه) رواه مسلم .

وعن أبى سعيد مرفوعا : «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الشرك الخفى ، يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد .

قال الشيخ فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شىء لغير الله .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب : أنه تعالى خير الشركاء^(١) .

الخامسة : خوف النبى ﷺ على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلى المرء لله ، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل

إليه^(١) .

وأورد الشيخ تحت الباب الثانى : قول الله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون ﴾ (هود : ١٥ ، ١٦) .
ومافى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
«تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الحميلة ،

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ص ٩٨-٩٩ .

ان اعطى رضى ، وان لم يعط سخط ، تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، ان كان في الحراسة كان في الحراسة ، وان كان في الساقاة كان في الساقاة ، ان استأذن لم يؤذن له ، وان شفيع لم يشفع»^(١) .

وقال الشيخ : فيه مسائل :

الأولى : ارادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الإنسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه ان أعطى رضى ، وان لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : «تعس وانتكس» .

السادسة : قوله : «وإذا شيك فلا انتقش»^(٢) .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات^(٣) .

وقال الشيخ في قوله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ (هود: ١٥، ١٦) .

وقد ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعل الناس اليوم ولا يعرفون معناه :

الأول : من ذلك العمل الصالح الذى يفعل كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة واحسان إلى الناس ونحو ذلك ، وكذلك ترك ظلم أو كلام فى عرض ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله ، لكنه لا يريد ثوابه فى الآخرة إنما يريد أن يجازيه بحفظ ماله وتنميته ، وحفظ أهله وعياله وإدامة النعمة عليهم ونحو ذلك ، ولا همة له فى طلب الجنة ولا الهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله فى الدنيا ، وليس له فى الآخرة نصيب ، وهذا النوع ذكر عن ابن عباس فى تفسير الآية .

(١) رواه البخارى فى الجهاد ج ٢٢٣/٣ وفى الرقاق ج ١٧٥/٧ .

(٢) قال الحافظ ابن حجر قوله : «تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» فى شرح الطيبى قال فيه الترقى فى الدعاء عليه لأنه إذا تعس انكب على وجهه فإذا انتكس انقلب على رأسه - فتح البارى ج ١١/٢٥٤ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، التوحيد ص ص ١٠٠-١٠١ - وانظر : الدرر السنية ج ٢ ص ص

٤٢-٤٣ .

وقد غلط بعض مشائخنا بسبب عبارة في شرح الاقناع في أول باب النية لما قسم الاخلاص مراتب وذكر هذا منها ظن أنه يسميه اخلاصا مدحاله وليس كذلك، وإنما أراد أنه لا يسمى رياء وإلا فهو عمل حابط في الآخرة.

والنوع الثاني : وهو أكبر من الأول وأخوف وهو الذي ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيتة رثاء الناس لا طلب ثواب الآخرة، وهو يظهر أنه أراد وجه الله وإنها صلى أو صام أو تصدق أو طلب العلم لأجل أن الناس يمدحونه ويحجل في أعينهم، فإن الجاهل من أعظم أنواع الدنيا، ولما ذكر لمعاوية حديث أبي هريرة^(١) في الثلاثة الذين هم أول من تسعربهم النار وهم : الذي تعلم العلم ليقال له عالم حتى قيل، وتصدق ليقال جواد، وجاهد ليقال شجاع، بكى معاوية بكاء شديدا ثم قرأ هذه الآية.

النوع الثالث : أن يعمل الأعمال الصالحة ومقصده بها مالا مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، أو يجاهد لأجل المغمم فقد ذكر هذا النوع أيضا في تفسير هذه الآية كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال : «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة»^(٢). الخ. وكما يتعلم العلم لأجل مدارس أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يقرأ القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير العظيم وهو الجنة ولم يهربوا من الشر العظيم وهو العذاب في الآخرة.

النوع الرابع : أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه على عمل يكفره كفرا يخرجهم عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله وتصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر أو كفر أكبر يخرجهم عن الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام، وتمنع

(١) رواه مسلم (كتاب الامارة) والنسائي (كتاب الجهاد) وأحمد في مسنده جـ ٢ ص ٣٢٢.

(٢) رواه البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا.

قبول أعمالهم، فهذا النوع أيضا قد ذكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منه كما قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧) - فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمال ما حمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثره فصارت الدنيا أكبر قصده، فلذلك قيل قصد الدنيا وصار ذلك القليل كأنه لم يكن كقوله ﷺ: «صل فانك لم تصل»^(١).

والأول أطاع الله ابتغاء وجهه لكن أراد من الله الثواب في الدنيا، وخاف على الحظ والعيال مثل ما يقول الفسقة فصح أن يقال: قصد الدنيا والثاني والثالث واضح.

لكن بقي أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالا كثيرة أو قليلة قاصدا بها الدنيا مثل أن يحج فرضه لله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو الواقع كثيرا فالجواب أن هذا عمل للدنيا والآخرة ولا ندرى ما يفعل الله في خلقه، والظاهر أن الحسنات والسيئات تدافعا وهو لما غلب عليه منها. وقد قال بعضهم: إن القرآن كثيرا ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص، ويسكت عن صاحب الشائبين، وهو هذا وأمثاله، ولهذا خاف السلف من خبط الأعمال^(٢).

فلا بد من الاخلاص، اخلاص القصد والارادة والنية لله تعالى وفق ما شرعه الله من شريعة رسوله محمد بن عبد الله ﷺ بجميع القربات التي بينها رسول الله ﷺ كلها ولم يترك منها قربة تقرب إلى الله وإلى ما عنده من الخير إلا ووضحها، كما لم يترك شيئا يبعد عن الله ويوقع في الشر إلا وبينها وحذر منها حتى تركنا على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك. ولذا كانت المتابعة لرسول الله ﷺ في العبادة وعدم عبادة الله بغير ما شرع رسوله ﷺ شرط في قبول الأعمال - قال الشيخ - رحمه الله - إذا كان عملك صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، وإذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم

(١) الحديث رواه البخاري في كتب الإيمان والأذان والاستئذان ومسلم في كتابي الصلاة وأبو داود في كتاب الصلاة والترمذي كتاب المواقيت والنسائي كتاب الافتتاح والدارمي كتاب الصلاة كما رواه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٤٣٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، هود ص ٢٠-١٢٣، والقسم الثالث، الفتاوى رقم ١

يقبل ، فلا بد أن يكون خالصا صوابا على شريعة محمد ﷺ . ولذا قال سبحانه في علماء أهل الكتاب وعبادهم وقرائهم ﴿ هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية ﴾ وهذه الآيات ليست في أهل الكتاب خاصة بل كل من اجتهد في علم أو عمل أو قراءة وليس موافقا لشريعة محمد ﷺ فهو من الاخسرين أعمالا الذين ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه العزيز وان كان له ذكاء وفطنة ، وفيه زهد وأخلاق فهذا العذر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا باتباع الكتاب والسنة ، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الارادة فالذى يؤتى فضائل علمية واردة قوية وليس موافقا للشريعة بمنزلة من يؤتى قوة في جسمه وبدنه . وفي صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعلمكم مع علمهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » الحديث .

وساق الشيخ أحاديث في شأن الخوارج وعبادتهم وجداهم ، وأحاديث في قيام طائفة على الحق - إلى أن قال : « وقد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك كما كان عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم ، فكلما يحتاج إليه الناس فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا كافيا فكيف أصول التوحيد والإيمان ، ثم إذا عرف ما بينه الرسول نظري أقوال الناس وما أرادوا بها فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح الذى هو موافق للرسول ﷺ فإنه في الميزان مع الكتاب فهذا سبيل الهدى »

ثم بين الشيخ - سبيل الضلال والبدع والجهل والأدلة على أنها تكون في هذه الأمة كما كانت في الأمم السابقة ، وأحاديث في التحذير من التشدد والتعمق ومجاورة السنة واتباع المتشابه وأحاديث في الحث على التمسك بالسنة وترك الاختلاف وأحاديث في فضل الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة إلى أن قال :

« وإذا كانت سعادة الأولين والآخرين هى باتباع المرسلين فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين ، وأتبعهم لذلك فالعاملون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان ، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة ، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة ، والرسول عليهم البلاغ المبين ، وقد

بلغوا البلاغ المبين، وخاتم الرسل محمد ﷺ أنزل الله عليه كتابه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه، فهو المهيمن على جميع الكتب، وقد بين أبين بلاغ وأتمه وأكملته، وكان أنصح الخلق لعباد الله، وكان بالمؤمنين رؤفا رحيمًا، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين، فأسعد الخلق وأعظمهم نعيما وأعلاهم درجة أعظمهم اتباعا له، وموافقةً علما وعملا^(١).

يقول الشيخ: فإن قيل فما الجامع لعبادة الله وحده؟ قلت: طاعته بامثال أوامره واجتناب نواهيه^(٢)، مع كمال المحبة وكمال الخضوع والخوف والذل^(٣) والجمع بين الخوف والرجاء في العبادة^(٤).

وجميع العبادة بكل أنواعها مبناها على الأمر^(٥)، الشرعى الذى هو أمر رسول الله ﷺ وسنته - قال تعالى: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب: ٢١). وقال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (الشورى: ١٣).

وللبخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا، وقال الآخر أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر، وقال الآخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء النبى ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى^(٦).

(١) السدر السنية، ط ٢ ج ٢ ص ٧-١٢، ومؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ص ١٠٤-١٠٧. ورقم ٢٦ ص ١٨٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٧٩.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الفاتحة ص ١٦.

(٤) المرجع السابق، الزمر ص ٣٢٧.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد، باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما ص ٣٤، وكشف الشبهات ص ١٦٤.

(٦) انظر: صحيح البخارى ج ٦/ كتاب النكاح، باب ١ ص ١١٦.

وفي حديث العرباض ابن سارية قال عليه السلام : «فعلیکم بستی وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياکم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» رواه أبو داود والترمذی وصححه . وابن ماجه وفي رواية له «ترکتکم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك من يعش منكم فسیرى اختلافا كثيرا»، ثم ذكره بمعناه، ولمسلم عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أما بعد : فخير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» .

وللبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ، قيل : ومن أبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى» .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» رواه البغوى فى شرح السنة وصححه النووى^(١) .

وعن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه مرفوعا : «أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره .

وفي الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله أن رسول الله ﷺ قال : «ما نهيتكم عنه فاجتنبوا، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فانما هلك من كان قبلکم بكثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»^(٢) .

وهذا ما توضحه سورة الفاتحة فانها قد اشتملت على أركان العبادة، والاخلاص فيها والمتابعة والرد على المبتدعين .

وأركان العبادة ثلاثة هى : المحبة والرجاء والخوف ، فمن زعم أنه يعبد الله تعالى بالمحبة وحدها فهو لم يعبد . كما هو شأن منحرفى الصوفية . ومن عبد الله بالرجاء

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، أصول الإيمان ص ٢٦٢-٢٦٤ وفضل الإسلام ص ٢٠٧، ٢٢٦ . وانظر: الدرر السنية، ط ٢، ج ٢ ص ١٢-٧ .

(٢) المرجع السابق، أصول الإيمان ص ٢٦٧-٢٦٨، وانظر: الدرر السنية، ط ٢ ج ٢ ص ١٢-٧ .

وحده على زعمه فهو لم يعبد الله كما هو شأن المرتبة . ومن عبد الله بالخوف وحده على وهمه فهو لم يعبد الله كما هو شأن الخوارج .

وذلك في أولها : ﴿ الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ﴾ هذه الأركان الثلاثة :

فآية الأولى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فيها المحبة - لأن الله منعم ، والمنعم يحب على قدر انعامه .

والآية الثانية : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ فيها الرجاء - لأن الله (الرحمن الرحيم) . والآية الثالثة : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ فيها الخوف ، لأن الله مالك يوم الدين ، يوم الجزاء والحساب وحده لا شريك له ، ولا شفيع ، ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾ .

وقول : ﴿ إياك نعبد ﴾ أى أعبدك يارب هذه الثلاثة بمحبتك ورجائك وخوفك وهذا هو توحيد الألوهية ، أو العبادة بأركانه .

ومعنى : ﴿ إياك نعبد ﴾ انك تعاهد ربك أن لا تشرك به في عبادته أحدا ، لا ملكا ولا نبيا ولا غيرهما .

﴿ وإياك نستعين ﴾ فيها توحيد الربوبية وفيها توحيد طلب الاعانة مع التوكل والتبرى من الحول والقوة إلا بالله .

وقدم المفعول ، وهو إياك وكرر ، ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ للاهتمام والحرص أى لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة ، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين :

فالأول : التبرء من الشرك ، والثانى : التبرء من الحول والقوة .

وقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ هو الدعاء الصريح الذى هو حظ العبد من الله ، وهو التضريح والالحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم ، الذى لم يعط أحد في الدنيا والآخرة أفضل منه ، فليتأمل العبد ضرورته له والهداية المطلوبة هنا التوفيق والارشاد ، وتتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة والكمال والثبات على ذلك إلى أن يلقى الله تعالى .

والصراط : الطريق الواضح المستقيم : الذى لا عوج فيه والمراد بذلك الدين الذى أنزله الله على رسوله ﷺ وهو صراط الذين أنعم الله عليهم وهم رسول الله ﷺ

وأصحابه وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة، فليس بمستقيم بل معوج. وفي ذلك الرد على المبتدعين. وهذه أول الواجبات من هذه الآية وهو اعتقاد ذلك بالقلب اجمالاً وتفصيلاً والحذر من خداع الشيطان، وهو اعتقاد ذلك مجملًا، وتركه مفصلاً، فإن أكفر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله ﷺ على الحق وأن ما خالفه باطل، لكن كذبوا وبغوا بها لا تهوى أنفسهم مما جاء به كما قال تعالى: ﴿فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾ (الفتح: ٢).

وقوله: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ المغضوب عليهم: العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم، والضالون: العاملون بلا علم، فالأول: صفة اليهود. والثاني: صفة النصارى. ومعنى هذا الدعاء هو الاقرار بفرضيته دائماً في الصلاة حذراً من طريقى أهل هذه الصفات على الداعى.

وكل هذا مع استصحاب أركان العبادة والدين وهى: الحب والرجاء والخوف^(١) فى كل نوع من العبادة.

ويرى الشيخ أن المحبة لله مدار الولاء والبراء لأنها أعظم أعمال القلب، بل هى أصل أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها. وقد عقد الشيخ لها باباً فى كتاب التوحيد هو باب قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ الآيات (البقرة: ١٦٥). وأورد الشيخ تحت هذا الباب قول الله تعالى: ﴿قل إن كان آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره﴾ (التوبة: ٢٤).

وما رواه البخارى ومسلم عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وللبخارى ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الرسالة الثامنة، بعض فوائد سورة الفاتحة ص ٣٨٢-٣٨٤. والقسم الرابع، التفسير، سورة الفاتحة ص ٧-١٩. والقسم الثانى، الفقه، المجلد الثانى ص ٧-٩.

الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار . وفي رواية « لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى » إلى آخره .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « من أحب في الله ، وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك . ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك . وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى على أهله شيئا » رواه ابن جرير .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ قال : « المودة » .

قال الشيخ : فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته ﷺ وتقديمها على النفس والأهل والمال .

الرابعة : نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام .

الخامسة : أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها .

السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحد

طعم الإيمان إلا بها .

السابعة : فهم الصحابي للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ .

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حبا شديدا .

العاشرة : الوعيد على من كان الثانية أحب إليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذ ندا يساوى محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر^(١) .

وهكذا يستدل الشيخ على أن المحبة من العبادة بقول الله تعالى : ﴿ ومن

الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ الآية (من سورة البقرة)^(٢) .

ولأن المنعم يجب على قدر انعامه والله سبحانه وتعالى هو المنعم على الإطلاق

فيجب أن يحب على الإطلاق ولا يعادل حبه شيء آخر .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ص ٨٨-٩٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، الأصل الجامع ص ص ٣٨٠-٣٨١ .

كما في الآية الأولى من سورة الفاتحة ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ فيها أن الله رب العالمين وفيها استغراق الحمد له لأنه رب العالمين^(١).

ومما يزرع حب الله في القلب مع معرفة صفاته معرفة نعمه على الإنسان ومن هذه النعم وهي أعظمها على الإطلاق ما جرى ذكره من قصة آدم وإبليس ، وذلك من صنعه سبحانه بالإنسان وتشريفه ، وتفضيله إياه على الملائكة وفعله بإبليس ما فعل لما أبى أن يسجد له ، وخلقه إياه بيده ونفخه فيه من روحه ، واسكانه جنته وقد خاطب الله سبحانه بنى إسرائيل الموجودين في زمن النبي ﷺ بما فعل مع آبائهم وذكرهم بذلك واستدعاهم به وذكرهم أنه فعله لهم كقوله : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ (البقرة : ٥٠) - وغير ذلك ، وذكر النعم التي هي أصل الشكر الذي هو الدين ، لأن شكرها مبنى على معرفتها وذكرها فمعرفة النعم من الشكر بل هي أم الشكر كما في الحديث «من أسدى إليه معروف فذكره فقد شكره فان كنتم فقد كفره» - هذا في الأشياء التي تصدر من بنى آدم فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال؟

واجتمع الصحابة يوما في دار يتذكرون ما من الله عليهم به من بعثة محمد

ﷺ .

وقوله في الحديث : (من أسدى إليه معروف . . . الخ) روى بمعناه عن ابن عباس ورواه أحمد في مسنده بمعناه عن عائشة^(٢).

ويرى الشيخ أن برهان محبة الله الصحيحة هي اتباع رسول الله ﷺ وشرعه كما قال الله تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ (آل عمران : ٣١) . كما قدمنا قبل قليل^(٤).

ويقسم الشيخ المحبة فيقول :

«والمحبة تنقسم إلى أربعة أنواع : محبة شركية وهم الذين قال الله فيهم :

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، بعض فوائد سورة الفاتحة ص ٨٢ . وانظر : القسم الرابع ، تفسير الفاتحة ص ١٠ ، ١١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٩١-٩٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مسائل الجاهلية ص ٣٤٧ .

(٤) انظر : ص ٣٩١ وما بعدها من هذا البحث .

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ إلى قوله : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ .

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله وبغض الحق وأهله ، وهذه صفة المنافقين .
المحبة الثالثة : محبة طبيعية وهى محبة المال والولد وإذا لم تشغل عن طاعة الله ولم تعن على محارم الله فهى مباحة .

المحبة الرابعة : حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك وهى أوثق عرى الإيمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه^(١) .

وأما ذكر الله تعالى فهو من أفضل العبادات والقرب ، والمحبة يديم ذكر محبوبه ولله عز وجل من المحبة أعلاها وهى حب العادة الذى يصحبه ذل العابد وانقياده له وعدم نسيانه ، وأن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده^(٢) .

وللذكر ودوامه تأثير عجيب فى انشراح الصدر^(٣) .

ولكن الشيخ يقتفى فى ذلك هدى رسول الله ﷺ ويقول فى ذلك : كان النبى ﷺ أكمل الناس ذكرا لله عز وجل ، بل كان كلامه كله فى ذكر الله وما والاها ، وكان أمره ونهيه وتشريعه ذكرا منه لله ، واخباره عن أسماء الرب وصفاته ، وأحكامه وأفعاله ، ووعدته ووعدته ذكرا منه له ، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وتسبيحه وتحميده ذكرا منه له ، وسكوته ذكرا منه له بقلبه ، فكان ذكره لله يجرى مع أنفاسه قائما وقاعدا وعلى جنبه ، وفى مشيه وركوبه ، وسيره ونزوله ، وظعنه واقامته^(٤) . ويحث الشيخ على الاعتبار بأيام الله مثل قصة الفيل^(٥) ، وما فى قصة موسى وفرعون فى سورة القمر والمزمل لهذه الأمة من عبرة^(٦) والاعتبار بأبى لهب ، وأن المال والولد وشرف البيت والسيادة يعطاه من هو

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، بعض فوائد سورة الفاتحة ص ٣٨٢ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٧٠ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ٧٧ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ١٢٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٨٠ .

(٦) المرجع السابق ص ٣١٦ . ويشير الشيخ إلى الآيات فى سورتي القمر والمزمل قال الله تعالى فى سورة القمر : ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ، كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر . أكفركم خير من أولئكم ؟ أم لكم براءة فى الزبر ؟ أم يقولون نحن جميع منتصر ؟ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ الآيات . وقال تعالى : فى سورة المزمل : ﴿ أنا أرسلنا إليك رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا ، فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ﴾ الآيات .

أكفر الناس وأن العامة أشربوا حب دينهم، وصبروا على المشقة فيه مع أنهم لا يعرفون جنة ولا ناراً^(١). والاعتبار بالبيت الحرام وآيات الله فيه وكيف ابتدع أهل الأهواء مقامات تضاهيه، وكيف ترك أهل الكتاب تعظيمه، مع أن الذي بناه إبراهيم^(٢)، وانظر استدلال الشيخ على التوحيد^(٣).

هذا وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء والتوكل، والرغبة والرهبة، والخشوع والخشية، والإنابة والاستعانة، والاستعاذة والاستغاثة، والذبح والنذر^(٤). ومن أنواع العبادة أيضاً الاستعاذة والاستغاثة والخوف، والتأله والركوع والسجود، والهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام^(٥) والجهاد في سبيل الله تعالى والتدلل والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية^(٦). وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها وأمر رسوله ﷺ بها كلها لله تعالى وحده لا شريك له.

أما الإسلام فهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام. وهذه هي أركانه الخمسة.

ودليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨)^(٧).

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)^(٨).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٣٧٩، وص ٣٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ٣١، ٣٢.

(٣) ص ٣٨١ من هذا البحث.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٧-١٨٨.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٧-١٨٩. والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٧٩-٣٨١.

(٦) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ١٩٤-١٩٦. والقسم الرابع، التفسير ص ٩٥، ومختصر زاد المعاد ص ١٩٦-٢٢٥.

(٧) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٩-١٩٠.

(٨) المرجع السابق، ص ١٩٠.

ودليل الصلاة والزكاة قوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ﴾ (البينة : ٥) .

ودليل الصيام قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣) ^(١) .

ودليل الحج قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ (آل عمران : ٩٧) ^(٢) .

وأما الإيمان فهو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان . وهو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . وهذه هي أركانه الستة والدليل عليها قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ﴾ ^(٣) .

ودليل القدر - قوله تعالى : ﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (القمر : ٤٩) .

وأما الاحسان فهو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك - والدليل قوله تعالى : ﴿ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (النحل : ١٢٨) . وقوله تعالى : ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم . الذى يراك حين تقوم ، وتقلبك فى الساجدين . انه هو السميع العليم ﴾ (الشعراء : ٢١٧-٢٢٠) . وقوله تعالى : ﴿ وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾ (يونس : ٦١) .

والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضى الله عنه قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد - حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ؟ قال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » فقال : صدقت . فعجبنا له يسأله

(١) المرجع السابق، ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٩١ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ١٩١ .

ويصدق، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربته، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» قال: «فمضى فلبثنا مليا، فقال: يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»^(١).

أما الدعاء فيعرفه الشيخ فيقول: «وهو الطلب بقاء النداء لأنه ينادى به القريب والبعيد وقد يستعمل في الاستغاثة، أو يأخذ أخواتها من حروف النداء، فإن العبادة اسم جنس، فأمر الله تعالى عباده أن يدعوه، ولا يدعوا معه غيره فقال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (غافر: ٦٠).

ومن أدوية الهم والغم والحزن، التوسل في الدعاء بأحب الأشياء إلى الله، وهو أسماؤه وصفاته ومن أجمعها لمعاني الأسماء والصفات (الحى القيوم)^(٢). وقال تعالى في النهي عن دعاء غيره: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ (الجن: ١٨).

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنها حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون﴾ (المؤمنون: ١١٧).

وقوله تعالى: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ إلى قوله: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (الرعد: ١٤).

وقال تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ (الأحقاف: ٥، ٦).

وقال تعالى: ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ (الشعراء: ٢١٣).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ص ١٩١-١٩٢.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٣١٠، والتفسير، البقرة ص ص

٣٢، ٣٣، ٣٤، والأعراف ص ٧٨، ٩٨، ١٠٠.

وقال تعالى : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين ، وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴾ (يونس : ١٠٦-١٠٧) .

وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الحديث عن الإمام أحمد : « وهكذا رواه أصحاب السنن الترمذى والنسائى وابن ماجة وابن أبى حاتم وابن جرير كلهم من حديث الأعمش به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والأعمش كلاهما عن زر (به) وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام حدثنا سفيان الثورى عن منصور عن زر : به ، ورواه ابن حبان والحاكم فى صحيحهما وقال الحاكم صحيح الاسناد^(١) .

وقد روى الترمذى عن أنس أن النبى ﷺ قال : « الدعاء مخ العبادة » .
قال الشيخ - قال العلقمى فى شرح الجامع الصغير^(٢) حديث « الدعاء مخ العبادة » قال شيخنا : قال فى النهاية مخ الشىء خالصه ، وإنما كان مخها لأمرين : أحدهما : أنه امتثال أمر الله تعالى حيث يقول : ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ فهو محض العبادة وهو خالصها .
الثانى : أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٤ ص ٨٥ .

(٢) العلقمى (٨٩٧-٩٦٩هـ) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبى بكر العلقمى القاهرى الشافعى فقيه محدث تتلمذ لجلال الدين السيوطى ودرس بالأزهر ومن آثاره الكوكب المنير لشرح الجامع الصغير ، المشار إليه فى ثلاثة مجلدات طبع منها المجلد الأول - انظر : معجم المؤلفين ج ١ / ١٤٤ - كشف الظنون : ٤٤٥ ، ٥٦٠ ، والأعلام للزركلى ١٩٥/٦ ، ١٩٦ ، شذرات الذهب ٣٣٨/٨ والكواكب السائرة ٤١/٢ وفهرس الفهارس . ٢٠٦ .

وهذا هو أصل العبادة ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها وهو المطلوب بالدعاء^(١).

وقوله: الدعاء هو العبادة - قال شيخنا - قال: الطيبي - أتى بالخبر المعرف باللام ليبدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء - انتهى كلام العلقمي^(٢).

قال الشيخ: إذا تقرر هذا، فنحن نعلم بالضرورة، أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها وأن ذلك من الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله ﷺ « وأورد الشيخ بعض الأدلة المتقدمة من القرآن ثم قال: وهذا من معنى: «لا إله إلا الله»^(٣).

ومن ذلك طلب الشفاعة، فلا تطلب الشفاعة من غير الله تعالى، لأن الشفاعة كلها له سبحانه - قال تعالى: ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ (الزمر: ٤٤) - ولا يشفع أحد في أحد إلا من بعد أن يأذن الله تعالى كما قال: ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وكما قال: ﴿ ولا يشفعون إلا لمن أرتضى ﴾ (الأنبياء: ٢٨)، والله لا يرتضى غير التوحيد لله بالعبادة.

وحقيقة الشفاعة: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود^(٤).

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾.

وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله»^(٥).

ومعنى الاستعانة في قوله: ﴿ وإياك نستعين ﴾ هو سؤال الاعانة من الله وهو التوكل والتبرى من الحول والقوة فهي من نصف العبد، لأن الفاتحة سبع آيات ثلاث ونصف لله، وثلاث ونصف للعبد، كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال

(١) انظر: نص كلام ابن الأثير في النهاية في الجزء الرابع، باب الميم مع الخاء.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٨. والرسالة السابقة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٧٩. والقسم الخامس، الشخصية رقم ١٦ ص ١٠٤-١٠٥.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، باب الشفاعة ص ٥٢، ٥٣.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، ص ١٨٨-١٨٩. والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨٠.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الله: حمدني عبدي - فإذا قال: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله: أثني علي عبدي - فإذا قال: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبد ولعبدى ما سأل، فإذا قال: ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال الله: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل - انتهى الحديث (١).

وفعل السبب مع الاستعانة بالله من أكبر الأسباب في حصول المقصود ففي البسملة إذا قلت بسم الله فمعناها أدخل في هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك باسم الله لا بحولى ولا بقوتى بل أفعل هذا الأمر مستعينا بالله متبركا باسمه تبارك وتعالى، هذا في كل أمر تسمي في أوله من أمر الدين أو أمر الدنيا، فإذا أحضرت في نفسك أن دخولك في القراءة بالله مستعينا به متبرعا من الحول والقوة كان هذا أكبر الأسباب في حضور القلب، وطرد الموانع من كل خير ولذا كان أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه العبادة (٢). والاستعانة بالله من أدوية الكرب والهجم والحزن (٣).

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ (المائدة: ٢٣)

وقال تعالى: ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (الطلاق: ٣).
وقوله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (الأنفال: ٢).
وقوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ (الأنفال: ٦٤).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، الفاتحة ص ١٦، ص ٨، والقسم الأول، العقيدة، بعض فوائده سورة الفاتحة ص ٣٨٤.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ٩ وص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق، مختصر زاد المعاد ص ٣٠٨-٣١١.

فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿ آل عمران : ١٧٣ ﴾ -
رواه البخارى والنسائى .

وهذه الأدلة قد عقد لها الشيخ باباً فى كتاب التوحيد - وقال فيه مسائل :
الأولى : أن التوكل من الفرائض .
الثانية : أنه من شروط الإيمان .
الثالثة : تفسير آية الأنفال .
الرابعة : تفسير الآية فى آخرها .
الخامسة : تفسير آية الطلاق .
السادسة : عظم شأن هذه الكلمة أنها قول إبراهيم ومحمد ﷺ فى الشدائد (١) .

والله حقيق أن يتوكل عليه كل عاقل والتوكل لا يستقيم إلا خالصاً (٢) ، والتوكل
واليقين لا ينافي السبب وفعله ، وقد غلط طائفتان فى التوكل :
أحدهما : زعمت أن التوكل سبب مستقل ، فعطلت الأسباب التى اقتضتها
حكمة الله تعالى .

الثانية : قامت بالأسباب وأعرضت عن التوكل (٣) .
ودليل الاستعاذة قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ إلى آخر السورة
﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ إلى آخر السورة .
وعن خولة بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من نزل منزلاً ،
فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . لم يضره شيء حتى يرحل من منزله
ذلك) رواه مسلم .

قال الشيخ : ان العلماء يستدلون بالحديث على أن كلمات الله غير مخلوقة لأن
الاستعاذة بالمخلوق شرك (٤) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ٩٣ ، ٩٤ وانظر : ص ٣٨٠ . وانظر : القسم
الرابع ، التفسير ص ٣٠٩ ، ص ٣٣١ وص ٣٦٧ وص ٣٦٩ ، ومختصر زاد المعاد ص ٣٠٨-٣١١ .
(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، الزمر ص ٣٣١ ، وانظر : القسم الأول ، العقيدة ، مسائل
الجاهلية ص ٣٥٢ .
(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ، يوسف ص ١٦٣ والقصاص ٢٨٣ ، مختصر زاد المعاد
ص ١٢٧ .
(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٨٩ وص ٣٨٠ وكتاب التوحيد =

ودليل الاستغاثة - قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩) (١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٧).
وقوله تعالى: ﴿أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ﴾ (النمل: ٦٢).

يقول الشيخ: إن الدعاء عام والاستغاثة خاصة (٢) - أى أن الاستغاثة دعاء لكن عند الاضطرار والشدة.

وفعل السبب مع الاستغاثة بالله كما فعل موسى فيما ذكر الله عنه - فقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٣) (القصص: ٢١).

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَى وَحْيَاىَ وَمَاتَىَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (الأنعام: ١٦٣).

وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

ومن السنة: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» (٤).

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٧) (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ (البقرة: ٢٧٠).

= باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ص ٤١. ومؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٩ وص ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٥.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٩، والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨٠.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ص ٤٢-٤٤.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، القصص ص ٢٨٧.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول. كتاب التوحيد، باب ما جاء في الذبح لغير الله ص ٣٨، ٣٥ وص ١٨٩ وص ٣٨٠. رواه مسلم ١٥٦٧/٣ والإمام أحمد والنسائي.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٩، والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨٠.

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » .

قال الشيخ: فيه وجوب الوفاء بالنذر، وإذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك وقد ثبت أنه عبادة بمقتضى مشروعية الوفاء به - وقد بوب الشيخ لهذا بقوله: (باب من الشرك النذر لغير الله)^(١).

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿ فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ﴾^(٢) (آل عمران: ١٧٥). فاخلاص الخوف لله من الفرائض، ومن فعله له ثواب عظيم، ومن تركه له عقاب كبير - كما في حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس» رواه ابن حبان فى صحيحه .

ذكر الشيخ هذا الحديث تحت باب قوله تعالى: ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ﴾^(٣) لكن هناك خوف غير مذموم مثل ما حكاه الله عن موسى: ﴿ فأصبح فى المدينة خائفا يترقب ﴾ .
وان مما يخاف منه على المؤمن الاتكال على سعة رحمة الله من قوله ﷺ لمعاذ: «لا تبشروهم فيتكلموا» متفق عليه^(٤).

ولابد من لزوم الخوف من الله وعدم الأمن حتى البشرى عند الموت من الملائكة^(٥). فان إبراهيم وإسماعيل طلبا من الله أن يرزقهما الإسلام فى قوله تعالى عنهما: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ﴾ (البقرة: ١٢٨)، والغفلة عن هذا من العجائب، وطلبا من الله أن يتوب عليهما وهما هما فى ذلك خوفهما من الذنوب^(٦).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كتاب التوحيد، باب من الشرك النذر لغير الله ص ٤٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، ثلاثة الأصول ص ١٨٩، والأصل الجامع ص ٣٨٠-٣٨١ .

(٣) المصدر السابق، كتاب التوحيد ص ٩١، ٩٢ .

(٤) المصدر السابق، القسم الأول ص ٩، ١٠ .

(٥) المصدر السابق، القسم الرابع، التفسير ص ٨٤، ٨٥ وص ١١ وص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٦) المصدر السابق، ص ٣٢، ٣٣ .

ودليل الرجاء - قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (الكهف : ١١٠) (١).

ومن أنواع العبادة الهجرة والتوبة (٢).

والدليل على أن الهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وأنها باقية إلى أن تقوم الساعة - قوله تعالى : ﴿ ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ﴾ (النساء : ٩٧-٩٩).

وقوله تعالى : ﴿ يا عبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فإياى فاعبدون ﴾ (العنكبوت : ٥٦).

يقول الشيخ : قال البغوى - رحمه الله تعالى - سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيـان .

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » (٣).

والجهاد فى سبيل الله من أفضل العبادة ، وذروة سنام الإسلام وفق منهج رسول الله ﷺ قال الله تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ (البقرة : ٢١٨) (٤).

ومن أنواع العبادة زيارة قبر النبى ﷺ - قال ما معناه : « زيارة قبر النبى ﷺ حسب المشروع من أفضل الأعمال » (٥).

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، ثلاثة الأصول ص ١٨٩ والأصل الجامع ص ص ٣٨٠-٣٨١ والقسم الرابع ، التفسير ص ٣٧٠ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ص ٣٠٨-٣١٠ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٩٣ وص ٣٥٨ ، ٣٥٩ والقسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ٢١١ ، والقسم الثالث ، مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٣٥ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، ثلاثة الأصول ص ١٩٦ ، التوحيد ص ١٠١ ، ١٤٢-١٤٣ ، مفيد المستفيد ص ٢٨٤ ، والقسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ص ١٥٨-٢٨٤ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ٦٧ .

وعلى العموم فالشيخ يرى أن زيارة القبور مستحبة ويعنى بها الزيارة المشروعة ومن غير شد رحل لذلك وهى : التى شرعها رسول الله ﷺ وفعلها فكان رسول الله ﷺ يزور قبور أصحابه للدعاء لهم والاستغفار لهم وهذه هى الزيارة التى سنّها رسول الله ﷺ وأمرهم إذا زاروها أن يقولوا : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية» ، وكان يقول ﷺ ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت وأمر بزيارة القبور من أجل تذكر الآخرة ودعاء للميت وهذا هدى رسول الله ﷺ هدى توحيد وإيمان وإحسان إلى الميت ، فأبى المشركون إلا دعاء الميت والاشراك به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه إليه تحرياً للإجابة عنده مما هو عكس هديه ﷺ^(١).

ودليل الانابة قوله تعالى : ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ ﴾^(٢) (الزمر: ٥٤).

ودليل الرغبة والرغبة والخشوع قوله تعالى : ﴿ إِنْهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (الأنبياء: ٩٠). وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (آل عمران: ١٩٩).

ودليل الخشية قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ (البقرة: ١٥٠). وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي ﴾ (المائدة: ٤٤)^(٣) - وخشية الله جامعة للدين كله^(٤).

ودليل التأله قوله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٦٣).

ودليل الركوع والسجود - قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٥) (الحج: ٧٧).

وغير ذلك من أنواع العبادة التى شرع الله ورسوله ﷺ . وهى كثيرة لكن

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، مختصر زاد المعاد ص ٦٨.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨٠.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، الأصل الجامع، ص ص ٣٨١-٣٨٠.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٧٧.

(٥) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، الأصل الجامع، ص ص ٣٨٠-٣٨١ وثلاثة الأصول

ص ١٨٩.

يجمعها شرع الله لرسوله ﷺ فشرع الله جامع مانع جامع : لكل أنواع العبادة الموصلة إلى رضوان الله تعالى . مانع : من دخول شيء خارج عن الشريعة مما يحبه الله ويرضاه فالعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين في تعريف العبادة في الشرع اختلفت عباراتهم والمعنى واحد ، فعرفها طائفة - بقولهم : هي ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي ، وعرفها طائفة بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع . وقال أبو العباس - رحمه الله تعالى : «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين والاحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والالتزام إليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمته والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك فالدين كله داخل في العبادة . انتهى^(١) .

— والخلاصة —

أن جميع أنواع العبادة وأفرادها موضحة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ لا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان ، كما قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع ، أو مدحه الشارع أو أننى على من قام به فهو عبادة وقربة ، وكل أمر ثبت النهى عنه من الشارع ، أو ذمه الشارع أو ذم من قام به فإن الانتهاء عنه وتركه ، والبعد عنه عبادة أيضا وقربة ، وطاعة الله في جميع ذلك هي توحيد وإيمان وعبادة واخلاص ، وصرفه أو صرف نوع منه أو فرد

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٢ ص ١٣٨-١٣٩ .

من أفراده لغير الله شرك وكفر^(١)، فإن الجامع لعبادة الله وحده طاعته بامتثال أوامره واجتناب مناهيه وهى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة وهى حق الله تعالى على عباده يختص بها دون غيره ولا يجوز أن يشاركه فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما.

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اتخذ ربا وإلها وأشرك مع الله غيره، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها، لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العبادة ما لم يكن خالصا له - كما قال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا الله الدين الخالص ﴾ .

وبذلك ينتهى هذا الفصل ، الذى هو تفصيل للركن الأول ، وهو الإيمان بالله تعالى ، من أركان الإيمان الستة . وقد ذكرنا مجمل اعتقاد الشيخ فى تلك الأركان فى الفصل الذى قبله .

ويلاحظ أن كثرة ما كتبناه من عقيدة الشيخ هو فى التوحيد لاسيما توحيد الألوهية حتى أننا نرى فى كل آثار الشيخ وإن تطرقت إلى سائر فنون العلم ترابطا ينظمه توحيد الألوهية وتنبت هذه الآثار من توحيد الألوهية ، المبني على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح .

وذلك أن الشيخ قد تفاعل مع حاجة أهل عصره ، ولبى ما يقتضيه الواجب الإلهي نحو مجتمعه ، فهو عالم رباني ، وطبيب داء الجهل الذى أصيب به الناس فى زمانه فسارع بمهارة فى تشخيص دائه وتركيب دوائه ، وأجاد - رحمه الله فى ذلك وحاز مقام الرباني - كما قال الإمام ابن قيم الجوزية :

شاف لداء جهالة الإنسان	فألوحى كاف للذى يعنى به
للوحى فوق تفاوت الأبدان	وتفاوت العلماء فى أفهامهم
أمران فى التركيب متفقان	والجهل داء قاتل وشفاءه
وطبيب ذاك العالم الرباني ^(٢)	نص من القرآن أو من سنة

(١) انظر: قول الشيخ عبد الرحمن بن سعدى فى حد الشرك فى تعليقه على كتاب التوحيد المسمى القول السديد ص ٥٢، ٥٣ .

(٢) القصيدة النونية للإمام ابن قيم الجوزية ، فصل فى بيان الاستغناء بالوحى المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء ص ١٨٩ .

ولذا فقد وجدنا تفصيلا من عقيدته في التوحيد خصوصا توحيد الألوهية ، وهو داخل في الإيمان بالله ، الركن الأول من أركان الإيمان ، أما بقية أركان الإيمان ومباحثه ، فلم نجد للشيخ تفصيلا فيه كما وجدناه له في التوحيد ، ولذلك نكتفى بما تقدم ذكره في مجمل عقيدته في ذلك .

وننتقل من عرض العقيدة إلى جانب الدفاع عنها والتحذير من نواقضها وهو ما يتضمنه الفصل التالي : في التحذير من نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كما لها فإلى ذلك وبالله التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا به .

الفصل الرابع

في التحذير من نقيض عقيدة السلف الصالح أو نقيض كمالاتها

لما كانت الفصول المقدمة ، هي في عقيدة الشيخ ، التي هي عقيدة السلف الصالح ، ناسب أن تتبعها بفصل يتضمن التحذير من ما يناقض عقيدتهم ، أو يناقض كمالاتها وينقصه ، ببيان ذلك المناقض .

وهذا أمر عظيم يستحق الاهتمام ، ولذا كان جانباً ببناء من عقيدة الشيخ - رحمه الله تعالى - كيف لا ؟ . وهو بيان ما ينقض البنيان من أساسه للحذر منه والتحرز عنه قال الله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا . . ﴾ الآية (النحل : ٩٢) .

وما من شك أن بيان النواقض للإيمان أو لكمالاته للحذر منها من الأمور البناءة لأنها حماية للبناء أن ينهدم ، قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى »^(١) .
ولذا فالشيخ يحذر من نواقض الإيمان ومبطلاته ويبينها ويبعدها عن المسلمين ويبعد المسلمين عنها بكل ما استطاع .

ولقد اهتم بذلك أيما اهتمام ، حتى كاد أن يستأثر هذا الجانب بكل همته ، كما كاد أن يستأثر بالواقع ، في بداية الاصلاح ، ولأن مشكلة العالم الإسلامى تكمن في

(١) صحيح البخارى ، ج ٨ كتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

هذه الناحية، وكيد الشيطان يتركز على هذا الجانب، حيث يكيد للمسلم، ويزين له ما يحبط عمله ويفسده، ثم بعد ذلك يصل الشيطان إلى غرضه، فلا يضره كثرة عمل المسلم وضخامته مادام أنه على شيء يناقضه ويفسده، ولذا فالشيخ رحمه الله كرس جهودا عظيمة في بيان هذه النقطة التي هي مفرق الطريق، ومنها يتميز المسلم المستقيم الثابت من الذي ينقض دينه، سواء علم أو لم يعلم.

ولئن كان أبو حيان قد أصاب في مدحه ابن تيمية بقوله :

لما أتانا تقى الدين لاح لنا داع إلى الله فرد ما له وزر
على محياه من سيما الألى صحبوا خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعنا مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره اندرست وأخذ الشر إذ طارت له شرر^(١)

فان من يصف الشيخ محمد بن عبد الوهاب بهذا الوصف، يصيب أيما إصابة حيث انه رحمه الله قد أظهر الحق، اذ اندرست آثاره، وأخذ الشر بعد أن طار شره، وقام مقام سيد تيم، أبي بكر رضى الله عنه لما ارتد غالب العرب، وعصوا من بعد ما سمعوا، ونقضوا غزلهم، وأفسدوا صلاحهم وأبطلوا أعمالهم، ففسدت قوتهم العلمية والعملية. كما سبق أن بينا ذلك في وصف البيئة التي ظهر عليها الشيخ رحمه الله^(٢).

فكان الشيخ يركز دفاعه على الاحتراز من افساد هاتين القوتين، القوة العلمية والقوة العملية. يقول - رحمه الله - في استنباطه من قول الله تعالى : ﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون، وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (يوسف: ١٠٦، ١٠٧) - يقول :

فيها : أن الذى أتاهم من الآيات ليست هذه وحدها (يعنى قصة يوسف) بل كم وكمن آية من الآيات السماوية والأرضية يمرون عليها، ويعرضون عن الانتفاع بها، وليس هذا قصورا في البيان، فانه مشاهد، بل القلوب غير قابلة.

وفيها : المسألة العظيمة، وهى اخباره تبارك وتعالى أن أكثر هذا الخلق، لو

(١) عن الدرر الكامنة، في أعيان المئة الثامنة، تأليف الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ج ١ ص ١٥٢.

(٢) انظر: ص ٢٤ وما بعدها من هذا البحث.

آمن أفسد إيمانه بالشرك، فهذه فساد القوة العملية، والتي قبلها فساد القوة العلمية .
وفيها : التنبيه على الاحتراز من اجتماع الإيمان مع الشرك المفسد له خصوصا
لما ذكر أن هذا حال الجمهور^(١).

هذا وقد بلغت آيات القرآن الكريم التي فيها لفظة الشرك وما تصرف منها في
الحكم على الشرك وأهله حسب استقراي ما يقارب مائة وخمسة وستين آية ما عدا
الآيات الأخرى التي فيها ذم له بغير لفظه، أما الأحاديث الصحيحة من سنة رسول
الله ﷺ فكثيرة جدا . إذا فلا غرابة إذا كثرت ألفاظ الشرك في التحذير عنه وذمه وذم
أهله، والبراءة منه ومن أهله في أعمال الشيخ ومؤلفاته^(٢).

ذلك أن الشرك أعظم مفسد للعلم والعمل المبتغى بهما رضوان الله والسعادة
وليس أضر على الإنسان من افساد عمله وعلمه، ولذا كان من أشد الناس خسرانا
من اتصف بالناصية الكاذبة الخاطئة.

ويقول الشيخ: قوله تعالى: ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ فيه الجمع بين الكذب
والخطأ في وصف هذه الناصية فدل على وصفه بفساد القول والعمل^(٣).
فما من شك أن الاهتمام بهذا الجانب لاجتناب الفساد حق . فلنبدا بنواقض
الإسلام نبينا لتعرف فتجنب.

يقول الشيخ : اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض :
الأول : الشرك في عبادة الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن
يشرك به ويفغر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (النساء رقم ٤٨ ورقم ١١٦).
وقال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما
للظالمين من أنصار ﴾ (المائدة : ٧٢) .
ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، ص ص ١٧٧-١٧٨ .
(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول، كشف الشبهات، ومفيد المستفيد،
القواعد الأربع، والأصل الجامع وغيرهما .
(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٧٢ .

وفي كتاب التوحيد عقد الشيخ بابا في ذلك : هو باب ما جاء في الذبح لغير الله تعالى وأورد تحته أدلة منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَيْ وَحِبَّائِي وَمَعَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦٢-١٦٣) وقوله : ﴿ فَصَلْ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (الكوثر: ٢) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من أوى محدثا ، لعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم من طرق بمعنى ما ذكره المصنف وفيه قصة ، ورواه الإمام أحمد كذلك^(١) .

وقال الشيخ فيه تفسير : ﴿ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَيْ ﴾ وتفسير ﴿ فَصَلْ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ والبداء بلعنة من ذبح لغير الله^(٢) .

ويقول الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد * «قال النووي : المراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى ، كمن يذبح للصنم أو للصليب أو للموسى أو لعيسى صلى الله عليهما وسلم أو للكعبة ونحو ذلك ، فكل هذا حرام ، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا ، نص عليه الشافعي ، واتفق عليه أصحابنا ، فان قصد مع ذلك تعظيم المذبح له غير الله تعالى والعبادة له ، كان ذلك كفرا ، فإن كان الذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا . ذكره في «شرح مسلم»^(٣) ونقله غير واحد من الشافعية وغيرهم^(٤) .

قال الشيخ :

وقال أبو العباس رحمه الله في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلُ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ﴾ ظاهره : أنه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه النصراني للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه ، كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى مما ذبحناه للحم

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ١٥٦، ١٥٧ .

وأنظر : صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٦٧ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ١٤١ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٥٧ .

وقلنا عليه بسم الله فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور. والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله. فلو ذبح لغير الله متقربا به إليه لحرم، وإن قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبائحهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن^(١) انتهى.

قال الشيخ معلقا :

فانظر أرشدك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة وتصريحه أن المنافق يصير مرتدا بذلك، وهذا في المعين، إذ لا يتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين^(٢).

ويذكر الشيخ في جوابه لمن سأل عن الذبح للجن، أن العلماء صرحوا أن الذبح للجن ردة تخرج من الملة، وقالوا: الذبيحة حرام ولوسمى عليها، قالوا: لأنها يجتمع فيها مانعان: الأول: أنها مما أهل به لغير الله. والثاني: أنها ذبيحة مرتد، والمرتد لا تحل ذبيحته وإن ذبحها للأكل وسمى الله عليها، وقول العلماء انه منهي عنها أو حرام أو مكروهة أو لا تنبغي، ألفاظ عامة، تستعمل في المكفرات والمحرمات التي هي دون الكفر وفي المكروهات كراهة التنزيه التي هي دون الحرام، ومثال استعمالها في المكفرات - قوله: ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ وقولهم: «لا تنبغي العبادة إلا لله وحده»، وقوله تعالى: ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا ﴾.

قال الشيخ :

«وكلام العلماء لا ينحصر في قولهم: «يحرم كذا» لما صرحوا في مواضع أخرى أنه كفر، وقولهم: «يكره» لما هو كفر كقوله تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ إلى قوله: ﴿ كل ذلك سيئه عند ربك مكروها ﴾ (الأسراء: ٢٣).

وأما كلام الإمام أحمد في قوله: «أكره كذا» فهو عند أصحابه على التحريم. والمقصود من هذا هو إزالة شبهة أوردها السائل وهي أن قول العلماء: الذبح للجن منهي عنه أو محرم هل يفهم من قولهم هذا أنه دون الكفر والشرك الأكبر لأن هذا القول

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٢٥٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٢٨٥، ٢٨٦.

ليس صريحاً بأنه شرك؟ . وقد جادل بهذه الشبهة على أقوال العلماء تلك مجادلون رد عليهم الشيخ بمثل ما قدمت عنه وكشف الشبهة وبين حكم الذبح لغير الله وانه شرك أكبر .

الثانى : من نواقض الإسلام :

من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً .

وسئل الشيخ عن قوله فى الاقتناع باب حكم المرتد : «أوجعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً»^(١) .

فأجاب بقوله : وكذلك أى يكفر من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم إجماعاً ، وذكروا أن هذا بعينه هو الذى يفعله أهل زمانهم عند القبور ، فكيف بزماننا؟ يبينه لك قول الشارح ، لما ذكر هذا وذكر بعده أنواعاً من الكفر المخرج عن الملة ، قال : وقد عمت البلوى بهذه الفرق ، وأفسدوا كثيراً من عقائد أهل التوحيد ، نسأل الله العفو والعافية . . انتهى كلامه فى شرح الاقتناع^(٢)،^(٣) .

الثالث : من نواقض الإسلام :

من لم يكفر المشركين أو شك فى كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

الرابع : من نواقض الإسلام :

من اعتقد أن غير هدى النبى ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذى يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر .

الخامس : من نواقض الإسلام :

من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعاً والدليل - قوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ .

(١) الاقتناع فى فقه الإمام أحمد لأبى النجا موسى الحجاوى ، ج ٤ ص ٢٩٧ .

(٢) كشف القناع عن متن الاقتناع للبهوتى ، ج ٦ ص ١٧٠ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى رقم ١٤ ص ٦٢ ، ٦٣ .

وقد سئل الشيخ عن معنى قوله في باب حكم المرتد من كتاب الاقناع، في الفقه الحنبلي: «أو كان مبغضاً لما جاء به الرسول اتفاقاً»^(١).

فأجاب الشيخ: إن معناه إذا كان مبغضاً لما جاء به الرسول ﷺ وإن لم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدعى العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله ﷺ، ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعادون من ألفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحكام.

وكذلك يقولون أن الرسول ﷺ أتى بالإنذار عن الشرك، بل هو أول من أُنذر عنه وأعظم ما أُنذر عنه، ثم يقولون: «خَلَقَ اللهُ ما يَتيهون، وينصرون الشرك بالقلب واللسان واليد».

والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النبی عن الشرك وأبغض الأمر بمعادة أهله، ولو لم يتكلم ولم ينصر، فكيف إذا فعل ما فعل^(٢).

السادس: من نواقض الإسلام:

من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله، أو عقابه، كفر - والدليل - قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كُفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (التوبة: ٦٦).

وقال الشيخ في كتاب التوحيد، باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ. وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ : إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ، قُلْ أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (التوبة: ٦٥).

وعن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء. فقال عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه. فجاء ذلك الرجل

(١) انظر: الاقناع في فقه الإمام أحمد، لأبي النجا موسى الحجاوي، ط، مصطفى محمد، ج ٤

ص ٢٩٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ١٤ ص ٦٢.

إلى رسول الله ﷺ ، وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال يارسول الله ، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب ، نقطع به عنا الطريق . قال ابن عمر : كأني أنظر إليه ، متعلقاً بنسعة ناقية رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة تنكب رجله ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله ﷺ : ﴿ أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ ما يلتفت إليه ، وما يزيده عليه .

يقول الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : « هذا الأثر ذكره المصنف مجموعاً من رواية ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة وقد ذكره قبله كذلك شيخ الإسلام . فأما أثر ابن عمر فرواه ابن جرير^(١) ، وابن أبي حاتم ، وغيرهما بنحو ما ذكر المصنف . وأما أثر محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم وقتادة فهي معروفة لكن بغير هذا اللفظ »^(٢) .

قال الشيخ : فيه مسائل :

الأولى : وهي العظيمة - أن من هزل بهذا : انه كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان^(٣) .

وقد سئل الشيخ عن قول مؤلف الاقتناع في الفقه الحنبلي في باب حكم المرتد «أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين . . كفر»^(٤) ما وصف هذا الاستهزاء المكفر؟ فأجاب : بأن العلماء استدلوا عليها بقوله تعالى في حق بعض الناس في غزوة تبوك ﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ (التوبة : ٦٥) .

قال الشيخ : فذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول ﷺ .

وصفة كلامهم : أنهم قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء . يعنون بذلك رسول الله والعلما من أصحابه ، فلما نقل الكلام عوف بن مالك ، أتى القائل يعتذر ، أنه قاله على وجه اللعب كما يفعل

(١) ج ١٠ ص ١٧٢ ، ١٧٣ . من تفسير ابن جرير .

(٢) تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٥٥-٥٥٦ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، ص ١١٧-١١٨ .

(٤) الاقتناع في فقه الإمام أحمد لأبي النجا موسى الحجاوي ، ج ٤ ص ٢٩٧ .

المسافرون فنزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان ، ولو كان على وجه المزح . والذي يعتذريظن أن الكفر إذا قاله جادا لا لاعبا .

وهذا قول صريح في الاستهزاء بالدين . إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء فكثير من الناس يتكلم في الله عز وجل ، بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب ، على وجه الجدل وأنه لا يستحق هذا ، وأنه ليس بأكبر الناس ذنبا . وكذلك من يدعى العلم والفقه - إذ استدللنا عليه بآيات الله - أظهر الاستهزاء^(١)

وأما صفة الاستهزاء الفعلية فمثل مد الشفة وإخراج اللسان أو رمز العين ، مما يفعله كثير من الناس ، عندما يؤمر بالصلاة والزكاة ، فكيف بالتوحيد^(٢) .

ويقول الشيخ في ملخصه عن ابن تيمية في الآية : ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾ (التوبة: ٦٥) :

«الآية تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وبآياته كفر، وبالرسول كفر، من جهة الاستهزاء بالله وحده كفر بالضرورة فلم يكن ذكر الآيات والرسول شرطا، فعلم أن الاستهزاء بالرسول كفر، والا لم يكن لذكره فائدة، وكذلك الآيات، وأيضا فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم»^(٣) .

السابع : من نواقض الإسلام :

السحر، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به كفر . والدليل قوله تعالى : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر ﴾ (البقرة: ١٠٢) .

الثامن : من نواقض الإسلام :

مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين - والدليل - قوله تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (المائدة: ٥١) .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٦١، ٦٢، ٦٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٣) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١١٠ ص ص ١٠٤-١٠٦ .

التاسع : من نواقض الإسلام :

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر : من نواقض الإسلام :

الاعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به - والدليل - قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ﴾ (السجدة: ٢٢) .

وهذه النواقض التي ذكرها الشيخ هي مسألة التكفير لخصها الشيخ من كلام العلماء ، قال الشيخ : «وذكر (أى الشيخ أبو النجا مؤلف الاقناع) فى الاقناع إجماع المذاهب كلها على ذلك»^(١) . ثم قال : «فإن كان عند أحد كلمة يخالف ما ذكره فى مذهب من المذاهب فيذكرها وجزاه الله خيرا»^(٢) والغالب أنه ليس عند أحد علم يخالف ما ذكره وإنما العناد . فيقول الشيخ : «وإن كان ينبغي يعاند كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ ، وكلام العلماء ، ولا يصغى لهذا أبدا فاعرفوا أن هذا الرجل معاند ما هو بطالب حق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ (آل عمران : ٨٠) .

ثم يبين الشيخ أن هؤلاء الذين يعتذرون بالتكفير ليس لأنه مشكل عليهم تكفير اناس بأعيانهم قد اشتبه أمرهم - بل إذا تأمل المتأمل أحوالهم يجد أن هؤلاء أعداء للموحدين ، يبغضونهم ويستقلونهم ، والمشركين والمنافقين هم ربهم الذين يستأنسون إليهم كما جرى من رجال فى الدرعية وفى العيينة الذين ارتدوا وأبغضوا الدين^(٣) .

ثم يقول الشيخ بعد أن أورد النواقض العشرة :

«ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المكره . وكلها

(١) انظر : الاقناع باب حكم المرتد ، ج ٤ ص ٢٩٧-٣٠٨ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٣٢ ص ٢١٢ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٣٢ ص ٢١٢ .

من أعظم ما يكون خطرا، ومن أكثر ما يكون وقوعا . فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويحاف منها على نفسه»^(١).

ويقرر الشيخ أنها تقع من المعينين ويمكن أن يرتد المسلم ويكفر بعد إسلامه والعياذ بالله من ذلك، فقد عرف المرتد في باب حكم المرتد بأنه المسلم الذي يكفر بعد إسلامه^(٢)، فهذا يفيد الحذر والخوف والاستعاذة بالله .

وقد بين الشيخ لرجل من أهل الأحساء استشكل تكفير المعين لأنه يقول لا إله إلا الله وإن عبد الأوثان مع هذا عبادة أكبر من عبادة اللات والعزى وسب دين الرسول ﷺ بعدما شهد به مثل سب أبي جهل . فالشيخ يبين له أحكام هذه المسألة من كلام أهل العلم المتقدمين والمتأخرين فيقول مخاطبا هذا المستشكل :

«فأول ما أنصحك به أنك تفكر هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظهر نبيك ﷺ ينهى عنه أهل مكة، أو شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه أم هذا أغلظ؟ فإذا أحكمت المسألة، وعرفت أن غالب من عندكم سمع الآيات، وسمع كلام أهل العلم، من المتقدمين والمتأخرين، وأقربه، وقال أشهد أن هذا هو الحق ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب، ثم بعد ذلك يصرح بمسبة ما شهد أنه الحق، ويصرح بحسن الشرك واتباعه وعدم البراءة من أهله، فتفكر هل هذه المسألة الا مسألة الردة الصريحة التي ذكرها أهل العلم في الردة؟ ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت كأنها أتت ممن لا يسمع ولا يبصر.

أما استدلالك بترك النبي ﷺ ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم فقد عرفه الخاص والعام ببديهة العقل أنهم لو يظهرون كلمة واحدة أو فعلا واحدا من عبادة الأوثان أو مسبة التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ أنهم يقتلون شرقتلة، فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذي تشهد أنه دين الرسول ﷺ، وتبرؤا من الشرك بالقول والفعل، ولم يبق إلا أشياء خفية تظهر على صفحات الوجه أو فلتة لسان في السر، وقد تابوا من دينهم الأول، وقتلوا الطواغيت وهدموا البيوت المعبودة فقل لي، وإن كنت تزعم أن الشرك الذي خرج عليه الرسول ﷺ أكبر من هذا فقل

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، نواقض الإسلام، ص ٣٨٥-٣٨٧. والقسم الخامس، الشخصية رقم ٣٢ ص ٢١٢-٢١٤، والدرر السنية، ج ٨ ص ٨٩، ٩٠.
(٢) الاقتناع ج ٤ ص ٢٩٧.

لي؟ وان كنت تزعم أن الإنسان إذا أظهر الإسلام لا يكفر إذا أظهر عبادة الأوثان ، وزعم أنها الدين وأظهر سب دين الأنبياء وسباه دين أهل العارض وأفتى بقتل من أخلص لله الدين وأحرقه وحل ماله فهذه مسألتك ، وقد قررتا وذكرت أن من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحدا ولم يكفروه من أهل الملة ، أما ذكرت قول الله تعالى : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾ (الأحزاب : ٦٠ ، ٦١) . وقوله : ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها . . . ﴾ الآية (النساء : ٩١) . واذكر قوله في الاعتقاد في الأنبياء : ﴿ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ (آل عمران : ٨٠) .

واذكر ما صح عن رسول الله ﷺ أنه أشخص رجلا معه الراية إلى من تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله فأى هذين أعظم؟

تزوج امرأة الأب أو سب دين الأنبياء بعد معرفته ، واذكر أنه هم بغزو بني المصطلق لما قيل انهم منعوا الزكاة حتى كذب الله من نقل ذلك . واذكر قوله في أعبد هذه الأمة وأشدهم اجتهدا (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة) .

واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم . واذكر اجماع الصحابة على قتل أهل مسجد الكوفة وكفرهم وردتهم لما قالوا كلمة في تقرير نبوة مسيلم ، ولكن الصحابة اختلفوا في قبول توبتهم لما تابوا والمسألة في صحيح البخاري وشرحه في الكفالة^(١) .

واذكر اجماع الصحابة لما استفتاهم عمر على أن من زعم أن الخمر تحل للخواص مستدلا بقوله تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ (المائدة : ٩٣) - مع كونه من أهل بدر ، وأجمع الصحابة على كفر من اعتقد في علي مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القادر وردتهم وقتلهم ، فأحرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم أحياء فخالفه ابن عباس في الإحراق وقال : يقتلون بالسيف ، مع كونهم من أهل القرن الأول أخذوا العلم عن الصحابة .

(١) صحيح البخاري ، ج ٣ ك / الكفالة ، ب ١ ص ٥٦ . وانظر فتح الباري ج ٤ ص ٤٧٠ .

واذكر اجماع أهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم، قال ابن القيم :

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان
قال الشيخ : ولو ذهبنا نعدد من كفره العلماء مع ادعائه الإسلام وأفتوا بردته وقتله لطال الكلام، لكن من آخر ما جرى قصة بنى عبید ملوك مصر، وطائفهم وهم يدعون أنهم من أهل البيت، ويصلون الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين، أجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتلهم وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم.

واذكر كلامه في الاقناع وشرحه في الردة كيف ذكروا أنواعا كثيرة موجودة عندكم، ثم قال منصور : وقد عمت البلوى بهذه الفرق وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية. هذا لفظه بحروفه، ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله^(١).

هل قال واحد من هؤلاء الصحابة (أو أحد من العلماء) إلى زمن منصور ان هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم ؟

ثم أخذ الشيخ يبين عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية في تكفير المعين فيقول : «وأما عبارة الشيخ التي لبسوا بها عليك فهي أغلظ من هذا كله ولو نقول بها لكفرنا كثيرا من المشاهير بأعيانهم فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة. ثم أخذ الشيخ يقرر معنى قيام الحجة وأن معناها أن المعين إن عرف الحق وخالف كفر بعينه، والا لم يكفر. ثم أخذ الشيخ يذكر له من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ما يصدق هذا من اقتضاء الصراط المستقيم وغيره^(٢).

وكما بينا في منهج الشيخ أنه يعتبر قيام الحجة وبلوغها فمن لم تبلغه الحجة وتقوم عليه فإنه لا يكفره^(٣).

وقد سئل الشيخ عن قوله في الاقناع : «أو نطق بكلمة كفر ولم يعلم معناها فلا يكفر بذلك»^(٤).

(١) انظر: الاقناع ج ٤ ص ٢٩٧-٣٠٨ وكشاف القناع عن متن الاقناع لمنصور البهوتي فرغ من تأليفه سنة ١٠٤٦ والمتوفى سنة ١٠٥١ هـ ج ٦ ص ١٦٧-١٨٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٣ ص ٢١٦-٢٢٤.

(٣) انظر: ص ٢٦٤ من هذا البحث.

(٤) انظر الاقناع ج ٤ / ص ٢٩٧.

هل المعنى : نطق بها ولم يعرف شرحها أو نطق بها ولم يعلم أنها تكفره ؟ .
فأجاب الشيخ : بأنه إذا نطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها صريح واضح أنه
يكون نطق بها لا يعرف معناه، أى فلا يكفر - وأما كونه لا يعرف أنها تكفره يعنى إذا
نطق بكلمة الكفر التي يعرف أنها كفر، لكن يظن أنه إذا نطق بالكفر، هازلا أو مازحا
أو يريد مصلحة من المصالح الدنيوية أن هذا لا يكفره . قال الشيخ : فيكفي فيه
قوله : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ ، فهم يعتذرون للنبي ﷺ ظانين أنهم
حين يقولونها على وجه اللعب أنها لا تكفرهم - ثم أورد الشيخ أدلة توضح هذه النقطة
وهي قوله تعالى : ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (الكهف : ١٠٤) . وقوله
تعالى : ﴿ انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾
(الأعراف : ٣٠) . وقوله تعالى : ﴿ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم
مهتدون ﴾ (الزخرف : ٣٧) ^(١) .

وهؤلاء الذين ذكرهم الله في هذه الآيات الكريمة كفار مع أنهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا ويحسبون أنهم مهتدون .

وكما ذكرنا في منهج الشيخ - أن الشيخ يفرق بين الكفر المخرج من الملة والكفر
الذى لا يخرج من الملة . وقد سئل الشيخ عن قولهم : «ومن أطلق الشارع كفره
كدعواهم لغير أبيهم إلى آخره، فللعلماء فيه أقوال أيها أقرب إلى الصواب ؟
فأجاب : أن من أطلق الشارع كفره بالذنوب فالراجح فيها قولان :
أحدهما : ما عليه الجمهور أنه لا يخرج من الملة .

والثانى : الوقف كما قال الإمام أحمد : أمرها كما جاءت يعنى لا يقال يخرج
ولا ما يخرج وما سوى هذين القولين غير صحيح ^(٢) .

وإذا تأملنا هذه النواقض نجد أنها تدور على الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وأن من ارتكب ناقضا منها فهو إما لأنه جنى على الألوهية فأشرك
بالله تعالى وإما لأنه جنى على النبوة ، وإما لأنه جنى عليهما معا غير أن المشكلة التي

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ٥٨ وص ٦٥، ٦٦ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى ص ص ٥٨، ٦٦ .

واجهها الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي الجناية على الألوهية بالشرك، لذا فسيكون بيان الشرك أهم ما في هذا الفصل وأوسع.

أما تعريف الشرك ما هو؟

فيعرفه الشيخ رحمه الله بقوله: «هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها.

فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى أو قصد غير الله بشيء من أنواع العبادة فقد اتخذ هذا الغير ربا وإلهاً من دون الله تعالى وأشرك مع الله غيره الشرك الأكبر الذي نهى عنه وأنكره على المشركين وأخبر أنه لا يغفره فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦). وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢)^(١).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في قرة عيون الموحدين ما مضمونه. ان صرف القصد بالعبادة لغير الله شرك بالله لا لتفاته في التعبد إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته (لا إله إلا الله) وعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التوحيد^(٢).

فصرف أي نوع من أنواع العبادة التي أمر الله بها عن طريق رسوله محمد ﷺ يعتبر شركاً بالله تعالى.

وصرف شيء من العبادة لغير الله كصرف مجموعها لأن الله سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً - كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾، ألا الله الدين الخالص، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ (الزمر: ٢، ٣).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد، ثلاثة الأصول ص ١٨٦ والأصل الجامع لعبادة الله وحده ص ٣٨١.

(٢) قرة عيون الموحدين، باب من الشرك: النذر لغير الله، ص ٦٧ ط السلفية بمصر، ضمن مجموعة التوحيد.

أما صفة اشراك المشركين فيقول عنها الشيخ^(١) : واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ صفة اشراكهم أنهم يدعون الله ويدعون معه الأصنام والصالحين ، مثل عيسى وأمه والملائكة ، يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهم يقولون أن الله سبحانه هو النافع الضار المدبر ، كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ (يونس : ٣١) .

فإذا عرفت هذا - وعرفت أن دعوتهم الصالحين وتعلقهم عليهم أنهم يقولون ما نريد إلا الشفاعة .

وأن النبي ﷺ قاتلهم ليخلصوا الدعوة لله ويكون الدين كله لله . وعرفت أن ذلك هو الشرك بالله الذي لا يغفر لمن فعله ، وهو عند الله أعظم من الزنا وقتل النفس ، مع أن صاحبه يريد به التقرب من الله ، ثم مع هذا عرفت أمرا آخر وهو أن أكثر الناس ما عرف هذا ، منهم الذين يسمونهم العلماء في سدير والوشم وغيرهم إذا قالوا نحن موحدون الله نعرف ما ينفع ولا يضر إلا الله ، وأن الصالحين لا ينفعون ولا يضررون ، وعرفت أنهم لا يعرفون إلا توحيد الكفار ، توحيد الربوبية ، عرفت كبر نعمة الله عليك ، خصوصا إذا عرفت أن الذي يواجهه الله وهو لا يعرف التوحيد أو عرفه ولم يعمل به أنه خالد في النار ولو كان من أعبد الناس - كما قال تعالى : ﴿ انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار ﴾^(٢) (المائدة : ٧٢) .

وقال الشيخ في تلخيصه عن ابن تيمية : والمشركون يزعمون أن عبادتهم إما واجبة وإما مستحبة ، ثم منهم من عبد غير الله فيتقرب به إلى الله ، ومنهم من ابتدع ديناً عبد به الله كما أحدثه النصاري من العبادات ، وأصل الضلال في الأرض إنما نشأ من هذين إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم ما لم يحرمه ، ولهذا كان الأصل الذي بنى عليه أحمد وغيره مذهبهم أن الأعمال عبادات وعادات فالأصل في العبادات أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله ، والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله ، وهذه المواسم المحدثثة إنما نهى عنها لما أحدث فيها من الدين الذي يتقرب به إلى الله^(٣) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣١٨ ، والقسم الخامس ، الشخصية رقم ١٧ ص ص ١١٢ ، ١١١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، الرسالة الثالثة عشرة ص ٣٩٩ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ١٠٠ ص ص ٩٤ ، ٩٣ .

ويذكر الشيخ من مسائل الجاهلية : أنهم يتعبدون بأشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك وأن الصالحين يحبونه - كما قال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ . وقال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى ﴾ - وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ (١).

ويقرر الشيخ في القواعد الأربع الأمر الذى صار به الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مشركين مع أنهم مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر، ولكن ذلك لم يدخلهم في الإسلام لجحدهم توحيد الله بالألوهية - ويستدل بقول الله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ (يونس : ٣١).

وأن هؤلاء المشركين يقولون : ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القرية والشفاعة والدليل على قولهم هذا - قوله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ (الزمر : ٣) - هذا دليل القرية ، أما دليل الشفاعة فقوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ (يونس : ١٨).

ثم إن هؤلاء المشركين متفرقون في عبادتهم منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر . وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم - والدليل قوله تعالى : ﴿ قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ﴾ (الأنفال : ٩).

والدليل على عبادتهم الشمس والقمر قوله تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (فصلت : ٣٧).

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مسائل الجاهلية ص ٣٣٤ .

والدليل على عبادتهم الملائكة قوله تعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾ (آل عمران : ٨٠) .

ودليل عبادتهم الأنبياء - قوله تعالى : ﴿ وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانك ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾ (المائدة : ١١٦) .

ودليل عبادتهم الصالحين - قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ (الأسراء : ٥٧) .

ودليل عبادتهم الأشجار والأحجار - قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ .

وحديث أبى واقد الليثى رضى الله عنه قال : «خرجنا مع النبى ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» الحديث ، قال الشيخ : رواه الترمذى وصححه وهو كما قال (١) .

ويقول الشيخ فى تفسير كلمة التوحيد : «ولنختم الكلام بآية ذكرها الله تعالى فى كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله ﷺ» ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴾ (الأسراء : ٦٧) .

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشائخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به ، بل يخلصون لله وحده لا شريك له ويستغيثون به وحده فإذا جاء الزخاء أشركوا وأنت ترى المشركين من أهل زماننا - ولعل بعضهم - يدعى أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة - إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلانى وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير وأجل من هؤلاء مثل رسول الله ﷺ فالله المستعان ، وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة (٢) .

(١) انظر : تصحيح الترمذى فى أعلا صحائف تحفة الأحوذى ج ٦ ص ٤٠٧-٤٠٨ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، التفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٧-٣٦٩ .

وبعد مقارنة أحوال مشركى زمان الشيخ بأحوال مشركى الجاهلية الأولى يقول الشيخ : «إن مشركى زماننا أغلظ شركا من الأولين ، لأن الأولين يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة ، ومشركو زماننا شركهم دائم فى الرخاء والشدة» .

ويدلل أيضا على أن شرك الأولين أخف - بقوله تعالى : ﴿ فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ (العنكبوت : ٦٥) أما المشركون فى زمان الشيخ فشركهم يكون دائما فى الرخاء والشدة ودليله الواقع المشهود^(١) . والذين قاتلهم الرسول ﷺ أصبح عقولا وأخف شركا من هؤلاء^(٢) .

— وخلاصة ما تقدم من تعريف للشرك هو :

أن يُصرف شىء من أنواع العبادة لغير الله تعالى طلبا للزلفى عند الله . وهذه نظرة المشركين إلى شركهم أنه عبادة لله تعالى وقربة إليه ، ولذا كان أشبه بهم أهل البدع الذين يتعبدون لله بالبدع ، والشرك أكبر البدع فى العبادة .

أما حكم الشرك فإنه أعظم ما نهى الله عنه فى مثل قوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ (النساء : ٣٦) . وغير ذلك من الآيات الكثيرة .

والشرك أول المحرمات كما قال الله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ﴾ (الأنعام : ١٥١-١٥٣)^(٣) .

والله سبحانه يقرن بين الشرك والكذب كما يقرن بين الصدق والاخلاص ولهذا فى الصحيح عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثم قرأ قوله : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ﴾ (الحجر : ٣١) .

وقال : ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون ﴾ (القصص : ٧٤، ٧٥) إلى قوله : ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ .

وقوله : ﴿ أثفكا آلهة دون الله تريدون ﴾ (الصافات : ٨٧) .

وقوله : ﴿ إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار ﴾ (الزمر : ٣) .

وقوله : ﴿ إن الذين اتخذوا العجل ﴾ الآية (الاعراف : ١٥٢) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، القواعد الأربع ، ص ص ١٩٩-٢٠٢ .

(٢) المصدر السابق ، كشف الشبهات ص ١٧١ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ص ٨، ٩ .

قال أبو قلابه : هي لكل مبتدع من هذه الأمة إلى يوم القيامة ، وكل من كان أقرب إلى الشرك كان أقرب إلى الكذب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركاً^(١) .

وينقسم الشرك إلى : أكبر وأصغر . فالأكبر مخرج من الملة - والأصغر لا يخرج من الملة^(٢) .

وقد مثل الشيخ للشرك الأصغر فقال : كيسير الرياء والحلف بغير الله وقول هذا من الله ومنك وأنا بالله وبك وما لى إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا . قال الشيخ : وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده^(٣) .

ويمثل الشيخ للشرك الأكبر بطلب الحوائج من الموتى ودعائهم لذلك ، والنذر لهم ليشفعوا عند الله لداعيهم والناذر لهم .

ويقول الشيخ : عن هذا انه الشرك الأكبر الذى بعث الله النبی محمداً ﷺ بالنبى عنه فكفر من لم يتب منه وقاتله وعاداه ثم يشير إلى ما ذكر في الاقناع عن الشيخ تقى الدين أن من دعا علي بن أبى طالب فهو كافر ، وأن من شك في كفره فهو كافر . ويقول الشيخ : « فإذا كان هذا حال من شك في كفره مع عداوته له ومقتته له فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده ؟ فكيف بمن أحبه ؟ فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته وتعدر أنا لا نقدر على التجارة أو طلب الرزق إلا بذلك^(٤) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله تعالى - في كتابه « القول السديد على مقاصد التوحيد » : « حد الشرك الأكبر وتفسيره الذى يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله » فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغيره شرك وكفر ، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذى لا يشذ عنه شىء .

(١) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، مسائل ملخصة رقم ٩٩ ص ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ، ص ٢٨ وص ٣٣ وص ٨٦ وص ١١٠ وص ١١٣ وص ١٢٣ ومفيد المستفيد ص ٢٩٥ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مفيد المستفيد ص ٢٩٥ .

(٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مفيد المستفيد ص ص ٢٩٦ - ٢٩٧ . والدرر السننية ج ٢ ص ص ٥٤ - ٥٥ .

كما أن حد الشرك الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الارادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة، فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب^(١). «يعنى كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب».

وفي كتاب التوحيد عقد الشيخ أبوابا كثيرة في بيان أشياء من افراد الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر مما ينافي التوحيد أو ينافي كماله وهى كما يلي :

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه^(٢).

وباب ما جاء فى الرقى والتائم^(٣).

وباب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما^(٤).

وباب ما جاء فى الذبح لغير الله^(٥).

وباب من الشرك : النذر لغير الله^(٦).

وباب من الشرك : الاستعاذة بغير الله^(٧).

وباب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره^(٨).

وباب ما جاء فى السحر^(٩).

وباب بيان شئ من أنواع السحر^(١٠). ووجه ادخالهما فى ذلك أن كثيرا من أقسام السحر لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد الساحر. فالسحر يدخل فى الشرك من جهتين : من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون والشرك مما يحبون فيتقرب به إليهم ليقوموا بخدمته ومطلوبه، ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله فى

(١) القول السديد فى مقاصد التوحيد ص ٥٢، ٥٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٢٧-٢٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢٩-٣١.

(٤) المصدر السابق ص ٣٢-٣٤.

(٥) المصدر السابق ص ٣٥-٣٧.

(٦) المصدر السابق ص ٤٠.

(٧) المصدر السابق ص ٤١.

(٨) المصدر السابق ص ٤٢-٤٤.

(٩) المصدر السابق ص ٧٢-٧٣.

(١٠) المصدر السابق ص ٧٤-٧٥.

علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك وهذا من شعب الشرك^(١).
 وباب ما جاء في الكهان ونحوهم^(٢).
 وباب ما جاء في النشرة^(٣). وهى حل السحر بسحر مثله.
 وباب ما جاء في التطير^(٤)، وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها.
 وباب ما جاء في التنجيم^(٥)، وهو زعم تأثير الأحوال الفلكية في الحوادث الكونية.
 وباب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء^(٦). أى نسبة السقى ومجيء المطر إليها.
 وباب قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله﴾ (البقرة: ١٦٥)^(٧). فاتخاذ الأنداد التى تجذب بمحبتها عن محبة الله من الشرك.
 وباب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾، فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ﴿(آل عمران: ١٧٥)^(٨). فخوف العبادة من غير الله تعالى من الشرك.
 وباب قول الله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴿(الاعراف: ٩٩). وقوله: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ (الحجر: ٥٦). فالأمن من مكر الله أو القنوط من رحمة الله من شعب الشرك.
 وباب ما جاء في الرياء^(٩).

-
- (١) القول السديد فى مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن سعدى ص ٩٣-٩٥.
 (٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٧٦-٧٨.
 (٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٧٩-٨٠.
 (٤) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٨١-٨٣.
 (٥) المصدر السابق ص ٨٤.
 (٦) المصدر السابق ص ص ٨٥-٨٧.
 (٧) المصدر السابق ص ص ٨٨-٩٠.
 (٨) المصدر السابق ص ص ٩١-٩٢.
 (٩) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٨١-٨٣.
 (١٠) المصدر السابق ص ص ٩٨-٩٩.

وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا^(١) .
وباب من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله^(٢) .

وباب قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ الآية^(٣) . لأن الله تعالى له الحكم القدرى ، وله الحكم الشرعى ، وكذلك الحكم الجزائى له وحده لا شريك له ، فاذا قدم العبد طاعة الأمرء والعلماء على طاعة الله ورسوله ﷺ وتحاكم إلى الطاغوت وترك التحاكم إلى شريعة الله ، فهذا من شعب الشرك^(٤) .

ومن أفراد الشرك أو من أفراد أبوابه ووسائله التى عقد الشيخ لها أبواباً فى كتابه كتاب التوحيد ، باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات^(٥) . فذلك من شعب الكفر ونسبته إلى غير الله من الشرك كما قالوا : لا نعرف الرحمن الا رحمن اليبامة^(٦) .

وباب قول الله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُوهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٧) (النحل : ٨٣) . فانكار نعمة الله بعد معرفتها هو بنسبتها إلى غيره وهذا من الشرك .

وباب قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٨) (البقرة : ٢٢) . فجعل الأنداد من الشرك .

وباب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله وذكر تحته النهى عن الحلف بغير الله كالحلف بالأبء ونحو ذلك^(٩) .

(١) المصدر السابق ص ص ١٠٠-١٠١ .

(٢) المصدر السابق ص ص ١٠٢-١٠٣ .

(٣) المصدر السابق ص ص ١٠٤-١٠٥ .

(٤) انظر : القول السديد فى مقاصد التوحيد ص ص ١٣٠-١٣٤ .

(٥) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ص ١٠٦-١٠٧ .

(٦) انظر : تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان ص ص ٥١١ ، ٥١٢ .

(٧) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كتاب التوحيد ص ١٠٨ .

(٨) المصدر السابق ص ص ١٠٩-١١٠ .

(٩) المصدر السابق ص ١١١ .

وباب قول ما شاء الله وشئت^(١) .
 وباب من سب الدهر فقد آذى الله^(٢) ، لأن الله يقلب الليل والنهار .
 وباب التسمى بقاضى القضاة ونحوه^(٣) .
 وباب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ﷺ^(٤) .
 وباب قول الله تعالى : ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن : هذا لي ، وما أظن الساعة قائمة ﴾^(٥) أى فيمن يزعم أن ما أوتيته من النعم والرزق إنما هو بكدّه وحذقه وفطنته .
 وباب قول الله تعالى : ﴿ فلما آتاها صالحا جعلنا له شركاء فيها آتاها ، فتعالى الله عما يشركون ﴾^(٦) (الأعراف : ١٩٠) - أى يسمونه باسم معبد لغير الله تعالى .
 وباب قول الله تعالى : ﴿ والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ﴾ (الأعراف : ١٨٠) . والمقصود الذين يلحدون فى أسمائه أى يشركون^(٧) .
 وباب لا يقال السلام على الله^(٨) لأن الله هو السلام .
 وباب قول : اللهم اغفر لى إن شئت^(٩) ، لأن الله لا مكروه له .
 وباب لا يقول : عبدى وأمتى^(١٠) . للبعد عن الألفاظ التى فيها إيهاى التشرؤفك .
 وباب لا يرد من سأل بالله^(١١) .

-
- (١) المصدر السابق ص ص ١١٢-١١٣ .
 (٢) المصدر السابق ص ١١٤ .
 (٣) المصدر السابق ص ١١٥ .
 (٤) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ص ١١٧-١١٨ .
 (٥) المصدر السابق ص ص ١١٩-١٢١ .
 (٦) المصدر السابق ص ص ١٢٢-١٢٣ .
 (٧) المصدر السابق ص ١٢٤ .
 (٨) المصدر السابق ص ١٢٤ .
 (٩) المصدر السابق ص ١٢٦ .
 (١٠) المصدر السابق ص ١٢٧ .
 (١١) المصدر السابق ص ١٢٨ .

وباب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة^(١). فإن رد من سأل بالله والسؤال بوجه الله غير الجنة ترك لتعظيم الرب إلى تعظيم من سواه بغير اذنه .
 وباب ما جاء في اللو^(٢)، لأن لو تفتح عمل الشيطان .
 وباب النهى عن سب الريح^(٣)، لأنها مأمورة فيستعاذ بالله من شر ما أمرت به .
 وباب قول الله تعالى : ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء ﴾^(٤) الآية (آل عمران : ١٥٤) - لأنهم لم يوحدوا الله توحيد المعرفة والاثبات في الأسماء والصفات .
 وباب ما جاء في منكرى القدر^(٥) .
 وباب ما جاء في المصورين^(٦)، الذين يضاهئون بخلق الله .
 وباب ما جاء في كثرة الحلف^(٧)، لأن كثرتة من غير داع شرعى استخفاف بحق الله تعالى .
 وباب ما جاء في : « ذمة الله وذمة نبيه ﷺ »^(٨) لأن نقضها ترك لتعظيم الله من أجل غيره .

وباب ما جاء في الاقسام على الله^(٩) .
 وباب لا يستشفع بالله على خلقه^(١٠)، لأن في الاقسام والتألى على الله أن لا يغفر لفلان وفي الاستشفاع بالله على خلقه سوء أدب . فالأول : من العجب بالنفس - والثانى : من تعظيم غير الله - وهذان من شعب الشرك .

-
- (١) المصدر السابق ص ١٢٩ .
 (٢) المصدر السابق ص ص ١٣٠-١٣١ .
 (٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٣٢ .
 (٤) المصدر السابق ص ص ١٣٣-١٣٤ .
 (٥) المصدر السابق ص ص ١٣٥-١٣٧ .
 (٦) المصدر السابق ص ص ١٣٨-١٣٩ .
 (٧) المصدر السابق ص ص ١٤٠-١٤١ .
 (٨) المصدر السابق ص ص ١٤٢-١٤٣ .
 (٩) المصدر السابق ص ١٤٤ .
 (١٠) المصدر السابق ص ١٤٥ .

وباب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾^(١) ومن أشرك لم يقدر الله حق قدره .

ولهذا الشرك أسباب ووسائل يبينها الشيخ رحمه الله ويهتم ببيانها للتحذر منها وقد عقد في ذلك أبوابا في كتاب التوحيد أيضا وهي :

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين^(٢) .
وباب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله^(٣) .
وباب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ، فكيف اذا عبده؟^(٤) .

وباب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما^(٥) . (أى باب ما جاء فيمن تبرك) .
وباب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله^(٦) .
وباب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك^(٧) . ويقصد بهذا الباب حماية التوحيد من جانب الأعمال .
وباب آخر يشبهه في العنوان وهو : باب ما جاء في حماية النبي ﷺ التوحيد وسده طرق الشرك^(٨) ، ويقصد بهذا الباب حماية التوحيد من جانب الألفاظ والأقوال .

وعن أسباب الشرك أيضا فالشيخ يبينها في مثل استنباطه من قول الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (الزمر: ٦٧) .

قال الشيخ في هذه الآية : التنبيه على سبب الشرك وهو أن المشرك بان له شيء من جلاله الأنبياء والصالحين ، ولم يعرف الله سبحانه وتعالى ، والا لو عرفه لكفاه

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ص ١٤٨-١٥١ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ص ص ٥٦-٥٩ .

(٣) المصدر السابق ص ص ٦٤-٦٥ .

(٤) المصدر السابق ص ص ٦٠-٦٣ .

(٥) المصدر السابق ص ص ٣٢-٣٤ .

(٦) المصدر السابق ص ص ٣٨-٣٩ .

(٧) المصدر السابق ص ص ٦٦-٦٧ .

(٨) المصدر السابق ص ص ١٤٦-١٤٧ .

وشفاه عن المخلوق، وهذا معنى قوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية^(١).

ويقول الشيخ في بيانه سبب الشرك: «لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعائه فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك فتارة يسألونه وتارة يسألون الله عنده. وتارة يصلون ويدعون الله عند قبره، ولما كان هذا بدء الشرك سد النبي ﷺ هذا الباب. ففي الصحيحين أنه قال في مرض موته «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا^(٢) الخ.

وسياتى هذا الحديث للاستدلال به وبغيره من الأدلة على أن الرسول ﷺ قد سد أبواب الشرك. وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى:

«والغلو في الصالحين لاشك أنه هو الباب المفضى إلى الشرك قديما وحديثا. فالغلو فيهم هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء، فإن حق الله الذى لا يشاركه فيه مشارك، هو الكمال المطلق، والغنى المطلق، والتصرف المطلق، من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه.

فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبا من هذه الأشياء فقد ساوى به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك.

ومن رفع أحدا من الصالحين فوق منزلته التى أنزله الله بها فقد غلا فيه، وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين.

والناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

١ - أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ولا يقومون بحقوقهم من الحب والموالة لهم والتقير والتبجيل.

٢ - وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التى أنزلهم الله بها.

٣ - وأهل الحق الذين يحبونهم ويؤثرونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

والصالحون أيضا يتبرأون من أن يدعوا لأنفسهم حقا من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى ﷺ: ﴿سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) الدرر السنية، ط ٢، ج ٢ ص ٥.

واعلم أن الحقوق ثلاثة :

حق خاص لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له ،
والرغبة والالابة إليه حبا وخوفا ورجاء .

وحق خاص للرسول وهو توقيدهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة .
وحق مشترك وهو الإيثار بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله ، ومحبة الله ومحبة رسوله ،
ولكن هذه لله أصلا وللرسول تبعاً لحق الله .

فأهل الرسل يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة فيقومون بعبودية الله
واخلاص الدين له ويقومون بحق رسوله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم . .
والله أعلم^(١) .

وأورد الشيخ تحت باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في
الصالحين ، أدلة مناسبة من الكتاب والسنة ، مثل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ ، لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ (النساء : ١٧١) .

واختصر الشيخ ما في صحيح البخاري : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول
الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا : لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ ، وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا وَلَا سَوَاعَا ، وَلَا يَغُوثَ
ويعوق ونسرا ﴾ (نوح : ٢٣) . قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما
هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها
أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم
عبدت » .

ثم يقول الشيخ : وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : « لما ماتوا عكفوا
على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم » .

ويسوق الشيخ حديثا عن عمر : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت
النصارى ابن مريم . إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » أخرجه البخاري في
صحيحه^(٢) . ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى حديثا عن ابن عباس قال : قال رسول الله

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن سعدى ، المطبوع بهامش كتاب التوحيد .
ص ص ٧٥-٧٩ .

(٢) وهو الحديث الخامس عشر من عشرين حديثا من صحيح البخاري ، قام بدراسة أسانيد هذا الشيخ عبد
المحسن بن حمد العباد مع شرح متونها ، (عشرون حديثا . . . ص ١٦٩) .

ﷺ : «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو». رواه أحمد في المسند (ج ١ ص ٢١٥ وص ٣٤٧).

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون قالها ثلاثا». يقول الشيخ فيه: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ويعنى بهما باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟، وباب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله. قال الشيخ: من فهم هذه الأبواب الثلاثة تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله، وتقلبه للقلوب العجب. وفيه معرفة أول شرك حدث في الأرض: أنه بشبهة الصالحين. وأول شيء غير به دين الأنبياء، وسبب ذلك. مع معرفة أن الله أرسلهم.

وفيه قبول الناس البدع، مع كون الشرائع والفطر تردّها. وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين. والثاني: فعل أناس من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

وفيه تفسير الآية التي في سورة نوح وبيان جيلة آدمي، في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد.

وفيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب الكفر. وفيه بيان سبب محبة الشيطان للبدعة لمعرفته بما تؤول إليه، ولو حسن قصد الفاعل.

وفيه معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه. وفيه مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح. ومعرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها. ومعرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها. وفيه فائدة وهي أعجب وأعجب: قراءة بعض أهل الزمان هذه المسألة إياها في كتب التفسير والحديث، ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، واعتقدوا أن نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال.

وفيه التصريح بأن هؤلاء الذين دعوا صور الصالحين لم يريدوا إلا الشفاعة من الصالحين وظنهم أن الناس الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

وفيه: البيان العظيم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»

فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين . ونصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .
والتصريح بأنها لم تعبد حتى نسى العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ، ومضرة فقده .
وأن سبب فقد العلم موت العلماء^(١) .

وتحت باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله
أورد الشيخ أن مالكاً روى في الموطأ : أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لا تجعل قبري
وثنًا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .
ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد : « أفرأيتم السلات
والعزى » (النجم : ١٩) - قال : كان يلت لهم السوق فمات فعكفوا على قبره » .
وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس كان يلت السوق للحاج .

ويقول الشيخ في ملخصه عن ابن تيمية :

سبب عبادة السلات تعظيم قبر رجل صالح وهذه هي العلة في تغليظه ﷺ في
النهي عن اتخاذ قبور الصالحين مساجد ، ونهيه عن الصلاة في المقبرة وقد نبه عليها
بقوله : « اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد » وقد ذكر هذه العلة الشافعي ، وأبو بكر
الأثرم ، وغيرهما من العلماء ، وهي التي أوقعت كثيرا من الأمم أما في الشرك الأكبر أو
ما دونه ، فإن الشرك بقبر الذي يعتقد نبوته أو صلاحه أعظم من أن يشرك بخشبة أو
حجر على مثاله ، ولهذا نجد قوما كثيرا يتضرعون عندها ، ويتعبدون بقلوبهم عبادة لا
يعبدونها في المسجد ولا في السحر ، فهذه المفسدة هي التي حسم ﷺ مادتها حتى نهى
عن الصلاة في المقبرة مطلقا ، وإن لم يقصد بركة البقعة ، كما يقصد بركة المساجد
الثلاثة ، كما نهى عن الصلاة وقت الطلوع والغروب والاستواء ، لأنها الأوقات التي
يقصد المشركون بركة الصلاة للشمس فيها فنهى المسلم عن الصلاة حينئذ ، وإن لم
يقصد ذلك الوقت سدا للذريعة فأما إذا قصد الصلاة عند قبور الصالحين متبركا فهذا
عين المحادة لله ورسوله ، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله به ، فنهى ﷺ من
اتخاذها مساجد ، وعن الصلاة عندها ، وعن اتخاذها عيدا ، ودعى الله أن لا يجعل قبره
وثنًا يعبد واتخاذ المكان عيدا هو اعتياد اتيانه لعبادة أو غيرها ، وتقدم النهي الخاص عن

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ٥٦-٥٩ ، وانظر : تيسير العزيز
الحميد في شرح التوحيد ص ص ٢٧٠-٢٧٢-٢٧٥ .

الصلاة عندها وإليها، وذكرنا ما في دعاء المرء لنفسه من الفرق بين قصدها لأجل الدعاء والدعاء ضمنا وتبعاً^(١).

وينقل الشيخ عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله :
«وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة : اللات والعزى ومناة وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب فكانت اللات لأهل الطائف ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحاً يلت السوق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون . وأما مناة فكانت لأهل المدينة وكانت حذو قديد من ناحية الساحل .

ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادتهم الأوثان ويعرفه حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ وأحوال العرب في زمانه وما ذكره الأزرقى في أخبار مكة وغيره من العلماء ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمون بها ذات أنواط فقال بعض الناس يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال : الله أكبر إنها السنن لتركن سنن من كان قبلكم فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها أسلحتهم فكيف بها هو أطم من ذلك من الشرك بعينه إلى أن قال : «فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق» مثل مسجد يقال له مسجد الكف . فيه تمثال كف يقال إنه كف علي بن أبي طالب حتى هدم الله ذلك الوثن وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في البلاد وفي الحجاز منها مواضع ثم ذكر كلاماً طويلاً في نهيه ﷺ عن الصلاة عند القبور فقال : العلة لما يفضى إليه ذلك من الشرك ذكر ذلك الشافعي وغيره وكذلك الأئمة من أصحاب مالك وأحمد كأبي بكر الأثرم وعللوا بهذه العلة وقد قال تعالى : ﴿ وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ الآية .

ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم . ذكر هذا البخارى في صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره مما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد .

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ٩٨ ص ص ٩٠، ٩١.

ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون تراها نجسا وقال عن نفسه: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد» فعلم أن نبيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها سدا للذريعة لئلا يصلى في هذه الساعة وإن كان المصلى لا يصلى إلا لله ولا يدعو إلا الله لئلا يفضى ذلك إلى دعائها والصلاة لها . وكلا الأمرين قد وقع . فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية . وهذا من أعظم أسباب الشرك الذى ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام وصنف بعض المشهورين فيه كتابا على مذهب المشركين مثل أبى معشر البلخي وثابت بن قره وأمثالهما من دخل في الشرك وآمن بالطاغوت والجبث وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْثِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ انتهى كلام الشيخ رحمه الله (١) .

ويختار الشيخ تحليلات جيدة للأمور التى ضل منها من ضل من المشركين وأشباههم من المتفلسفة حيث جعلوا ما يجرى بين الخلق بعضهم مع بعض من الأسباب هو مثل ما بينهم وبين الخالق تعالى الله عن ذلك فيقول الشيخ في تلخيصه لهذه النقطة عن شيخ الإسلام ابن تيمية: ان ما بين الخلق من الأسباب الكسبية التى بها يتساءلون ويشفع بعضهم إلى بعض هي من جنس المشاركة، والسبب الآخر الولادة، فالأسباب والصلوات التى بينهم لا تخرج عن سبب خلقى وهو الولادة، أو كسبى من جنس المشاركة، والمعاوضة، ولهذا افتتح سورة النساء بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ الآية فذكر في السورة حكم الأسباب من هذا وهذا، فذكر ما يتعلق بالولادة من القرابة والرحم، وما يتعلق بذلك من الموارث والمناكح، وكذلك ما يحصل بينهم بالعقود من المناكح والموارث والوصايا على اليتامى فالنسب من الأول، والصهر من الثانى، كما قال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ (الفرقان: ٥٤) فافتتحها بقوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ثم قال: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴾ أى تتعاهدون وتتعاقدون والأرحام فدخل في الأول ما بينهم من التساؤل والتعاقد الذى يجمع

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٢٨٦-٢٨٨ . وقد نقل الشيخ هذا الكلام من اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية كما ذكر، وقد اختصره من مواضع من الكتاب . انظر: ص ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٤٠٤، ٤٠٥ .

المعاوضة والمشاركة وفي الثانى الولادة وفروعها، وقد نزه الله نفسه المقدسة عنهما، فقال: ﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا﴾ الآية (الاسراء: ١١١) وقال: ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده﴾ الآيتين (الفرقان: ١-٢) وقال: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ الآيتين (الأنعام: ١٠٠) وقال: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ إلى آخرها.

ومن هنا ضل من ضل من المشركين وأشباههم من المتفلسفة حيث جعلوا لله ما نسبوه إليه نسب الولادة، أو جعلوه كالشريك ولهذا كانوا يتخذون هؤلاء شفعاء فانهم يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى، ويتخذونهم وسيطا ووسائل كما يتخذون ذلك عند المخلوقين، فهذا أصل مادة هؤلاء الجهلة الضلال ونحوهم، والقرآن قد حسم هذه المادة، وجرّد التوحيد، وبين أنه لا نسبة بين المخلوق والخالق إلا نسبة العبودية المحضة، كما قال: ﴿بل عباد مكرمون﴾ (الأنبياء: ٢٦) وقال: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله﴾ (النساء: ١٧٢) وقال: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾^(١) (مريم: ٩٠). وفى قياس الصابئة المشركين طريقتهم فى اتخاذ النجوم وسائط معبودة على اتخاذ الحنفاء الرسل متبوعين ينقل الشيخ ما يفسد هذا القياس من كلام ابن تيمية أيضا فيقول: المشركون من الصابئة ونحوهم لما عبدوا الكواكب والملائكة، وجعلوها وسائط بين الله وبين خلقه، جادلوا الحنفاء الذين يتبعون الرسل ولا يعبدون إلا الله فقالوا: نحن نتخذ الروحانيين وسائط، وأنتم تتخذون البشر. فأخذ يعارضهم طائفة كالشهرستاني فى الملل والنحل وغيره، ويذكرون أن توسط البشر أولى من توسط الروحانيين فبنوا معارضتهم على أصل فاسد، وهو مقايضة وسائط أولئك بوسائط الحنفاء، وهذا جهل بدين الحنفاء، فإنه ليس بينهم وبين الله واسطة فى العبادة، وإنما الرسل بلغتهم أمر الله فهم وسائط فى التبليغ كدليل الحاج، وإمام الصلاة، وبعض من دخل دين الصابئة والمشركين ظنوا أن شفاعة الرسول لأمته لا تحتاج إلى دعاء منه، بل الرحمة التى تفيض على الرسول تفيض على المستشفع من غير شعور من الرسول ولا دعاء منه ومثلوا ذلك بانعكاس شعاع الشمس إذا وقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة فكذلك الفيض لا بد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة، وجعلوا الفائدة فى زيارة قبورهم من هذا الوجه، وقالوا: إن الأرواح المفارقة تجتمع هى والأرواح الزائرة

(١) مؤلفات الشيخ، ملحق المصنفات، مسائل ملخصة رقم ١٠٢ ص ص ٩٥، ٩٦.

فيقوى تأثيرها، وهذه المعاني ذكرها طائفة من الفلاسفة، ومن أخذ عنهم كابن سينا وأبى حامد وغيرهم، وهذه من أصول عباد الأصنام، وهى من المقاييس التى قال فيها بعض السلف: ما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس^(١).

وينقل الشيخ أيضا عن ابن تيمية أن أصل كل شرك فى العالم إنما حدث برأى أئمة هؤلاء المتكلمين أصحاب المقاييس المعارضة للوحى فيقول بعد أن ذكر بعض أحوالهم المخالفة: «كل شرك فى العالم إنما حدث برأى جنسهم فهم الأمرون بالشرك والفاعلون له، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينع عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء، وإن رجح الموحدون ترجيحا ما فقد يرجح فى غيره المشركين، وقد يعرض عن الأمرين جميعا فتدبر هذا فإنه نافع جدا. ولهذا كان رؤسهم المتقدمون والمتأخرون يأمررون بالشرك. وكذلك الذين كانوا فى ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك. ويوجبون التوحيد بل يسوغون الشرك أو يأمررون به أولا يوجبون التوحيد وقد رأيت من مصنفاتهم فى عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة. أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك، وهم إذا ادعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل، والتوحيد الذى جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد باخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شىء لا يعرفونه فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفى فى السعادة والنجاة بل لا بد من أن يعبد الله وحده ويتخذة إلها دون ما سواه وهذا هو معنى «لا إله إلا الله». انتهى كلام الشيخ ابن تيمية.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٢):

فتأمل رحمك الله هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فهو نافع جدا ومن أكبر ما فيه من الفوائد يبين حال من أقر بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل وقال بلسانه ما أريد منه ولكن لا يدين بذلك إما بغضا له أو عدم محبته كما هى حال المنافقين الذين بين أظهرنا. وإما إشاراً للعالمية مثل تجارة أو غيرها فيدخلون فى الإسلام ثم يخرجون منه كما قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره﴾ إلى قوله: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ فإذا قال هؤلاء بالسنتهم نشهد أن هذا دين الله ورسوله ونشهد

(١) المصدر السابق رقم ١٠٣ ص ٩٦، ٩٧.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٢٩٩-٣٠٠.

أن المخالف له باطل وأنه الشرك بالله غرّ هذا الكلام ضعيف البصيرة .

ويقول الشيخ سليمان في شرحه ، ولما كان عباد القبور إنما دُهِوا من حيث ظنوا أنهم محسنون ، فأروا أن أعمالهم القبيحة حسنة ، كما قال تعالى : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ﴾ (فاطر : ٨) نوع المصنف التحذير من الافتتان بالقبور وأخرجه في أبواب مختلفة ليكون أوقع في القلب وأحسن في التعليم ، وأعظم في الترهيب^(١) .

ويقول الشيخ في ملخصه عن ابن تيمية : ومما يبين حكمة الشريعة أنها كسفية نوح أن الذين خرجوا عن المشروع خرجوا إلى الشرك ، وطائفة منهم يصلون للميت ويدعوا أحدهم الميت ، فيقول اغفر لي وارحمني ، ومنهم من يستقبل القبر ويصلى لله مستديرا الكعبة ، ويقول القبر قبلة الخاصة والكعبة قبلة العامة^(٢) ، وهذا يقوله : من هو أكثر عبادة وزهدا ، وهو شيخ متبوع ، ولعله أمثل أصحاب شيوخه ، لقوله في شيوخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها وجهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع وحضور القلب ما لا يجدونه في المساجد ، وآخرون يحجون إلى القبور وطائفة صنفوا كتباً وسموها مناسك حج المشاهد ، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموه منسكا وحجا ، فالمعنى واحد وبعض الشيوخ المشهورين بالزهد والصلاح صنف كتاب الاستغاثة بالنبي ﷺ . . . وذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده ، ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة ، وجعل هذا من مناقبه وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض الشيوخ ممن يقصده القضاة والعلماء قيل عنه انه كان يقول : البيوت المحجوجة ثلاثة ، مكة وبيت المقدس ، والذي بالهند الذي للمشركين . لأنه يعتقد أن دين اليهود والنصارى حق وجاءه بعض اخواننا العارفين

(١) تيسير العزيز الحميد ، ص ٢٧٧ .

(٢) وقد سمعت عام ١٣٩٨ هـ نحو هذه العبارة بل أشد من رجل يتكلم العربية وأظنه من الهنود اللاجئين إلى باكستان جاء زائرا إلى المسجد النبوي ، وقد رأيته متجها نحو القبر يدعوا رافعا يديه من مسافة بعيدة عن القبر منحرفا إليه عن القبلة ، فلما نهته إلى القبلة قال لي مثل هذه العبارة وزاد بتكفير من يخالفه وقال يخاطبني : « وهابي كافر » !

وهذه الظاهرة نذير خطر من أخطار الشرك وقد كثرت في هذه الأيام وأقل ما فيها أنها بدعة منكرة نسأل الله السلامة والاستقامة والهداية إنه هو السميع العليم .

قبل أن يعرف حقيقته ، فقال له أريد أن أسلك على يدك فقال له على دين اليهود ، أو النصراني ، أو المسلمين؟ ، فقال له : اليهود والنصارى أليسوا كفارا؟ قال لا تشدد عليهم ولكن الإسلام أفضل ، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ كعرفات يسافرون إليها وقت الموسم ، فيعرفون بها كما يفعل بالمغرب والمشرق ، وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله فليسوا على ملة إبراهيم والاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته موجود في كلام بعض الناس ، مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان ، وهؤلاء لهم صلاح لكن ليسوا من أهل العلم بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه ، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم وله فضل وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطأ إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات واستغاث به وهذا يفعله كثير من الناس ، وهؤلاء مستندهم مع العادة قول طائفة : قبر معروف أو غيره ترياق مجرب ، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فأروه أتى في الهوى ، وقضى بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة أو الأنبياء أو الكواكب والأوثان فان الشيطان يتمثل لهم ، ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا من هذا لطال المقال ، وقد طاف هذا بجوابه يعنى الذى ذكر فيه جواز الاستغاثة بالنبي على علماء مصر لياافقه واحد منهم فما وافقوه ، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذى كتبه فما خالفوه مع أن قوما كان لهم غرض ، وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما ، واستعانوا بمن له غرض من ذوى السلطان مع فرط تعصبهم ، وكثرة جمعهم ، وقوة سلطانهم ومكائدهم شيطانهم^(١) .

ويورد الشيخ آثارا في سد ذرائع الشرك فيقول :

«وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج» . قال الشيخ رواه أهل السنن .

ويقول الشيخ : فيه تفسير الأوثان^(٢) ، وتفسير العبادة وأنه ﷺ لم يستعذ إلا بما يخاف وقوعه ، وقرنه ﷺ بدعائه أن لا يجعل الله قبره وثنا يعبد اخباره بوعيد اتخاذ قبور الأنبياء مساجد «وذكر شدة الغضب من الله على ذلك وفيه ما هو من أهم هذه المسائل وهو صفة معرفة اللات التى هى من أكبر الأوثان ومعرفة أنه قبر رجل صالح ، وأنه

(١) مؤلفات الشيخ ، ملحق المصنفات ، رقم ١٠٤ ص - ص ٩٧-٩٩ .

(٢) وقوله : تفسير الأوثان . أي في الحديث بيان معنى الوثن .

اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية ولعنه زوارات القبور، ولعنه من اسرجها^(١). قال الشيخ سليمان في شرحه تيسير العزيز الحميد لكتاب التوحيد: أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة أموراً: الأول: التحذير من الغلو في قبور الصالحين. الثاني: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها. الثالث: أنها إذا عبدت سميت أوثاناً ولو كانت قبور الصالحين. الرابع: التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد^(٢).

وتحت باب ما جاء من التغليب فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

أورد الشيخ أحاديث فقال في الصحيح ويعني في الصحيحين^(٣)، عن عائشة: أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأته بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله.

قال الشيخ: فهؤلاء جمعوا بين فتنين: فتنه القبور، وفتنة التماثيل.

قال الشيخ ولهما أي للبخاري ومسلم عنها أي عن عائشة قالت: «لما نزل برسول الله ﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال - وهو كذلك -: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً» أخرجاه أي البخاري ومسلم. ولسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لا تتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

قال الشيخ: فقد نهى عنه في آخر حياته.

ثم انه لعن - وهو في السياق - من فعله. والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبين

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٦٤-٦٥.

(٢) ص ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٢٧٧.

مسجد، وهو معنى قولها: «خشى أن يتخذ مسجدا»، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ: «جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا».

وقال الشيخ: ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا «ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم فى صحيحه.

وقال الشيخ فيه :

ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل. وفيه: النهى عن التماثيل فاذا اجتمع الأمران غلظ الأمر.

وفيه: العبرة فى مبالغته ﷺ فى ذلك. كيف بين لهم هذا أولا ثم قبل موته بخمس، قال: ما قال، ثم لما كان فى السياق لم يكتف بما تقدم.

وفيه: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر. وبيانه أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم. ولعنه إياهم على ذلك. وأن مراده تحذيره إيانا عن قبره. وفيه: بيان العلة فى عدم ابراز قبره. وبيان معنى اتخاذها مسجدا. وأنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليه الساعة فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته. وذكره فى خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شرار أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد^(١).

ومن أسباب الشرك ووسائله التى يجب القضاء عليها ومنعها: لمس القبر والتمسح به وبناء القباب على القبور والصلاة عندها وقصدها لأجل الدعاء عندها معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء فى غيره أو النذر لله فى هذا المكان ونحو ذلك فهذا ليس من دين المسلمين بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التى هى من شعب الشرك.

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٦٠-٦٢.

قال الشيخ :

أما بناء القباب على القبور فيجب هدمها ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر ، وكذلك الصلاة عنده أى القبر - وقصده لأجل الدعاء فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك ، ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك ، فيشتد نكير العلماء لذلك ، كما صح عنه عليه السلام أنه قال : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وذكر العلماء أنه يجب التغليظ على هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك ، كما أنه أول ما حدث في الأرض بسبب ود وسواع ويعوق ونسر ، لما عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة ، ثم بعد ذلك بقرون عبدوا ، فكذلك في هذه الأمة كما قال عليه السلام : «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القعدة بالقعدة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»^(١) فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها من غير شرك ، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك . وأول ما جرى من هذا أن بنى أمية لما بنوا مسجد الرسول عليه السلام وسعوه واشتروا بيوتا حوله ، ولم يمكنهم ادخال بيت النبي عليه السلام الذى فيه قبره وقبر صاحبيه ، ولكن أدخلوا البيت فى المسجد^(٢) لأجل توسيع المسجد ولم يقصدوا تعظيم الحجرة بذلك ، لكن قصدوا تعظيم المسجد ، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب انكاره ذلك ، فانظر إلى سد العلماء الذرائع . وأما النذر له «أى للقبر» أو صاحبه ودعائه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر ، فتأمل ما ذكره البغوي فى تفسير سورة نوح فى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ﴾ الآية (نوح : ٢٣) .

وما ذكره أيضا فى سورة النجم فى قوله : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ (النجم : ١٩) أن اللات قبر رجل صالح فتأمل الأصنام التى بعثت الرسل بتغييرها كيف تجد فيها قبور الصالحين^(٣) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى :

(١) انظر : تخریجه فى ص ص ٢١٥-٢١٦ من هذا البحث .

(٢) يعنى بيت النبي عليه السلام ، الحجرة التى ضمت قبره وقبر صاحبيه فهذه قد أحاطوها بثلاثة جدران على شكل مثلث قاعدته جنوبى الحجرة لأنه لا يمكنهم ادخالها فى المسجد ، أما بقية بيوت أزواجه فأدخلوها .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ، ص ٦٠ وص ٦٩-٧١ . وانظر : مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، مختصر زاد المعاد ، ص ص ٦٧-٦٨ . والقسم الأول ، مسائل الجاهلية ص ص ٣٤٧-٣٤٨ .

الممنوع مما يفعل عند القبور : نوعان :

أحدهما محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها وكاسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة. والنوع الثاني شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الخوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم.

ولافرق في هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون في تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فإن المشركين يقولون ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ و ﴿ يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر، وأن من اعتقد أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم لا يكفر.

من زعم ذلك فقد كذب ما جاء به الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة من أن من دعى غير الله فهو مشرك كافر في الحالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين. وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام. فعليك بهذا التفصيل الذي يحصل به الفرقان في هذا الباب المهم الذي حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل، ولم ينجم من فتنته إلا من عرف الحق واتبعه^(١).

وتحت باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله - يورد الشيخ قول الله تعالى : ﴿ لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ﴾ (التوبة: ١٠٨).

وعن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال : « نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانه ، فسأل النبي ﷺ ، فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا : لا - قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا : لا - فقال رسول الله ﷺ : أوف بنذرک ، فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » قال الشيخ : رواه أبو داود واسناده على شرطها.

قال الشيخ فيه : تفسير قوله ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ والمنع من تخصيص البقعة

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد، ص ٨٢-٨٤.

بالنذر إذا كان فيها وثن من أوثان الجاهلية، ولوبعد زواله أو كان فيه عيد من أعيادهم ولوبعد زواله والحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولولم يقصده^(١).

ويذكر الشيخ أن الشيطان والعياذ بالله منه أظهر لهؤلاء الغلاة، الذين غلوا في الصالحين وفي قبورهم أن دعاءهم أو اتخاذ قبورهم مساجد يدعون عندها ويصلون في صورة المحبة لهؤلاء الصالحين أو القيام بحقوقهم والتعظيم لهم، أما من يخلص الله الدين ولا يغلو في الأولياء والصالحين فقد أظهر الشيطان عمله هذا لهؤلاء الغلاة في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم^(٢).

وتحت باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما يورد الشيخ قول الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٩-٢٠).

وعن أبي واقد الليثي قال : «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة: فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، انها السنن قلتم والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال : انكم قوم تجهلون﴾ (الأعراف: ١٣٨). لتركن سنن من كان قبلكم».

قال الشيخ رواه الترمذي وصححه .

يقول الشيخ : فيه : تفسير آية النجم ومعرفة صورة الأمر الذي طلبوا، وكونهم لم يفعلوا، وكونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه، وأنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل، وأن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم، وأن النبي ﷺ لم يعذرهم بل رد عليهم بقوله : «الله أكبر انها السنن لتبتعن سنن من كان قبلكم» فغلظ الأمر بهذه الثلاث، وفيه الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بنى إسرائيل لما قالوا لموسى : ﴿اجعل لنا إلهًا﴾ وأن نفى جعل ذات الأنواط للتبرك والعكوف عندها من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك، ولذا حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة وفيه أن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرتدوا بهذا. وقولهم : «ونحن حدثاء عهد بكفر» فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك. وفيه

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، التوحيد ص ص ٣٨-٣٩.

(٢) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ستة أصول عظيمة مفيدة ص ٣٠٣، وانظر: مفيد

المستفيد ص ٢٩١.

سد الذرائع والنهي عن التشبه بالجاهلية وأن العبادات مبناهما على الأمر، وأن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين وما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن تحذير لنا أن نقع فيه وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، لقولهم: «ونحن حدثاء عهد بكفر»^(١).

ويقول الشيخ :

هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان.

وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتأب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ . وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر فانه يغلط عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله ﷺ^(٢). وفي بيان حرص الرسول ﷺ على ابطال أسباب الشرك العملى يورد الشيخ تحت باب : ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك :

قول الله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عتتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم . فان تولوا فقل : حسبي الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ (التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ ، فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » قال الشيخ : رواه أبو داود باسناد حسن ، رواه ثقات .

وعن علي بن الحسين : « أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدى عن رسول الله ﷺ قال : « لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا عليّ ، فإن

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، التوحيد ص ص ٣٢-٣٤ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ص ١٧٥ .

تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في المختارة^(١).

قال الشيخ فيه :

تفسير آية براءة . وابعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد . وذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته . ونبيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال ونبيه عن الاكثار من الزيارة . وحثه على النافلة في البيت . وأنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة . وتعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب . وكونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه^(٢).

أما بيان حرص الرسول ﷺ على ابطال أسباب الشرك حتى في الأقوال فيورد الشيخ تحت باب : ما جاء في حماية النبي ﷺ حتى التوحيد وسده طرق الشرك :

حديثاً عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال : « انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ ، فقلنا : أنت سيدنا . فقال : السيد الله تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً . فقال : قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجربنكم الشيطان » قال الشيخ : رواه أبو داود بسند جيد .

وعن أنس رضى الله عنه : « أن ناساً قالوا : يا رسول الله ، ياخيرنا ، وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : ياأيها الناس ، قولوا بقولكم ولا يستهويناكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » قال الشيخ : رواه النسائي بسند جيد .

قال الشيخ فيه :

تحذير الناس من الغلو . وما ينبغى أن يقول : من قيل له : أنت سيدنا . وقوله : « لا يستجربنكم الشيطان » مع أنهم لم يقولوا إلا الحق . وقوله : « ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي »^(٣).

(١) المختارة : كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين ، ومؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الخليلي أحد الأعلام ، توفي سنة ٦٤٣هـ .
(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كتاب التوحيد ص ١٤٦-١٤٧ .

وعن خطورة الشرك وقبحه وضرره فالشيخ يبين ذلك بيانا بليغا من القرآن والسنة وأن الحكمة في كون الله سبحانه يغفر الكبائر ولا يغفر الشرك هي لأنه أقبح المسبة لله تعالى ، وهو الذي لا يبرأ من السوء والنقص والعيب سواه ، ولا ينبغي الحمد والثناء مطلقا إلا له سبحانه لكماله ، فالشرك أعظم الظلم ، ولا تسعه المغفرة التي هي صفة كمال له سبحانه وتعالى عما يشركون^(١) .

ويقرر الشيخ أن الشرك إذا دخل في العبادة بطلت ولم تقبل وأن كل ذنب يرجى له العفو إلا الشرك ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ (الزمر: ٦٥) .

وقال تعالى : ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا ﴾ (النساء : ١١٥) .

وقال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾^(٢) (المائدة : ٧٥) .

ويقول الشيخ في موضع آخر : إن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة ، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت ، كالحديث إذا دخل في الطهارة ، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله تعالى^(٣) .

ويقرر الشيخ في موضع ثالث خطورة هذا الشرك ببيان أن الإنسان إذا لم يجتنب الشرك فهو كافر ولو كان من أعبد هذه الأمة يقوم الليل ويصوم النهار - قال الله تعالى في الأنبياء : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ (الأنعام : ٨٨) وتصير عبادته كلها كمن صلى ولم يغتسل من الجنابة أو كمن يصوم في شدة الحر وهو يزني في أيام الصوم .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٤٧، والقسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ص ٢٠، ٢١ .

(٢) الدرر السنية، ج ٢ ص ص ٤، ٣ .

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، القواعد الأربع ص ص ١٩٩-٢٠٢ .

ويبين الشيخ أهمية معرفة هذا الشرك قبل معرفة الزنا وغيره من المحرمات^(١). ولما كان الشرك ناقضا للعبادة ومفسدا لها وظلما عظيما وأقبح مسبة لله تعالى كان أعظم ذنب عصي الله به، ولهذا رتب الله عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواء من اباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه. ولما كان الشرك خطيرا مخوفا من وقوعه عقد الشيخ بابا في مؤلفه كتاب التوحيد أورد فيه ما جاء من التخويف منه والتحذير وبيان أنه يقع في الأمة ولذا يخاف منه المسلم فقال الشيخ باب الخوف من الشرك، ثم أورد تحت هذا الباب الأدلة من الكتاب والسنة مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨، ١١٦). وقول الله تعالى عن الخليل أنه قال يدعوربه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥). وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فستل عنه. فقال: الرياء» رواه أحمد والطبراني والبيهقي. وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار» رواه البخاري. ولمسلم عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار».

قال الشيخ فيه :

الخوف من الشرك وأن الرياء من الشرك الأصغر، وأنه أخوف ما يخاف على الصالحين وأن من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

وفيه المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام، واعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِيْمَنَ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ وفضيلة من سلم من الشرك^(٢).

(١) الدرر السنية ج ١ ص ٩٣.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ١٨-١٩، وانظر: ص ٢١، وانظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٨٩، ٩٠. والقول السديد في مقاصد التوحيد ص ٣١-٢٩.

إذا : فالشرك خطير ، ينافي التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إذا كان أكبر ولا تتحقق وتكمل السعادة إلا بالسلامة منه وكان حقا على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه ويسأل الله العفو والعافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق^(١).

ولأن عباد القبور، الذين يفعلون الشرك يقولون : انه لا يقع الشرك في هذه الأمة المحمدية وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولو ظهر منهم دعاء الأموات والذبح لهم والطواف حول قبورهم والنذر لهم والاعتقاد فيهم فهذا ليس شركا ، والشرك لا يقع فقد أراد الشيخ الرد عليهم بالباب الذي عقده في كتاب التوحيد وترجمته باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان وأورد تحته ما يناسب من أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بين فيها ما يدل على تنوع الشرك في هذه الأمة ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان ، وان كانت طائفة منها لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى^(٢).

وهذه الأدلة هي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ (النساء : ٥١).

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدِ الطَّاغُوتِ ﴾ (المائدة : ٦١).

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ (الكهف : ٢١).

عن أبي سعيد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «لَتَبْعَن سَنَنُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذُو الْقَذَى بِالْقَذَى^(٣)» حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : «فمن ؟» أخرجاه .

ولمسلم ، عن ثوبان رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقتها ومغارها . وإن أمتي سيبليغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت

(١) انظر : القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدى ص ص ٣٠ ، ٣١ .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٣١٥ .

(٣) القذة - بضم القاف - واحدة القذذ وهو ريش السهم .

الكنزين : الأحمر والأبيض . واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وأن ربي قال : يا محمد ، إذا قضيت قضاء فانه لا يرد . واني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ، ويسبى بعضهم بعضا « رواه البرقاني في صحيحه .

وزاد : « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين . وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركون ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان . وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين . لا نبي بعدى . ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ، تبارك وتعالى » (١) .

قال الشيخ فيه :

تفسير آية النساء . وتفسير آية المائدة . وتفسير آية الكهف .
وفيها : - وهى أهمها - ما معنى الإيمان بالجبوت والطاغوت : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟ .
يقصد الشيخ : أن الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وافقوا المشركين في الظاهر أما في قلوبهم فيعتقدون بطلانها ويعرفونه ومع ذلك قالوا : ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدي سبيلا من المؤمنين فبمجرد هذه الموافقة للمشركون في الظاهر فقد آمنوا بالجبوت والطاغوت (٢) .

(١) تقدم إيراد هذا الحديث وتخريجه ، وترجمة البرقاني أيضا (انظر : ص ٣٣٠ من هذا البحث) .
(٢) انظر : سبب نزولها في تفسير ابن جرير الطبري - قال ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش أنت خير أهل المدينة وسيدهم قال نعم قالوا الا ترى الى هذا الصنبور المنبر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير منه ، قال : فانزلت : ﴿ إن شائلك هو الأبر ﴾ ، ونزلت : ﴿ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبوت والطاغوت ﴾ الى قوله : ﴿ فلن نجد له نصيرا ﴾ ابن جرير ، التفسير ، ج ٥ ص ١٣٣ . والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره من رواية الإمام أحمد قال حدثنا محمد بن أبي عدي به . وذكر قريبا منه من رواية ابن أبي حاتم ثم قال ابن كثير وقد روى هذا من غير وجه عن ابن عباس وجماعة من السلف . (ابن كثير ، التفسير ج ١ ص ٥١٣) . وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمان في زوائد ابن حبان ص ٤٢٨ .

قال الشيخ وفيها مسألة : وهي المقصود بالترجمة - أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد .

وفيها : التصريح بوقوعها، أعنى عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة . وفيها : العجب العجيب : خروج من يدعى النبوة مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق .

وفيه : أن محمدا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فقام كثيرة، يعنى فلا يستبعد تصديق من يدعى أن الشرك الأكبر لا يكفر صاحبه إذا كان يقول «لا إله إلا الله» كما جرى من المختار .

وفيه : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية، كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة . والآية العظمى : أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم . وأن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

وفيها : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين . والتنبيه على معنى عبادة الأوثان^(١) .

ويعلق الشيخ عبد الرحمن بن سعدى في القول السديد على هذا الباب : «باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأصنام» فيقول :

«مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم أن من قال «لا إله إلا الله» وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينفيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم وسمى ذلك توسلا لا عبادة فإن هذا باطل .

فإن الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع وهو العبادة فإنها حق الله وحده فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذ وثنا وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر ومنافق، والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسماء والألفاظ التي لا حقيقة لها^(٢) .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٦٨-٧١، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ص ٣١٠-٣١١ وص ٣١١ .

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ٨٩-٩٢ .

وقد ذكر الشيخ معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه وصفة الكفر به ، فقال :
الطاغوت عام فكل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في
غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت ورؤوسهم خمسة : الشيطان الداعى إلى عبادة غير
الله تعالى ، والحاكم الجائر المغير لأحكام الله تعالى ، والذي يحكم بغير ما أنزل الله ،
والذى يدعى علم الغيب من دون الله ، والذي يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة .
وأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها
وتكفر أهلها وتعاديهم (١) .

وما ذكره الشيخ عن معنى الطاغوت هو ما ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره
- فقال ابن جرير الطبرى : « الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله
أو طاعة أو خضوع له ، كائنا ما كان ذلك المعظم ، من حجر أو إنسان أو شيطان ، وإذا
كان كذلك وكانت الأصنام التى كانت الجاهلية تعبدتها كانت معظمة بالعبادة من
دون الله فقد كانت جبوتا وطواغيت ، وكذلك الشياطين التى كانت الكفار تطيعها فى
معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولا منها ما قالوا فى أهل الشرك
بالله وكذلك حيي بن أخطب ، وكعب بن الأشرف ، لأنها كانا مطاعين فى أهل ملتتهما
من اليهود فى معصية الله والكفر به ورسوله ﷺ ، فكانا جبتين وطاغوتين (٢) .

وكذلك ابن القيم ذكر معنى الطاغوت فقال : الطاغوت كل ما تجاوز به العبد
حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله
ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما
لا يعلمون أنه طاعة لله .

فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس رأيت أكثرهم عدلوا عن
عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى
الطاغوت وعن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته ، وهؤلاء لم
يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة - وهم الصحابة ومن تبعهم - ولا
قصدوا قصدهم ، بل خالفوهم فى الطريق والقصد معا (٣) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، معنى الطاغوت ص ٣٧٦-٣٧٨ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ١٣٣/٥ .

(٣) اعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن قيم الجوزية ج ١ ص ٥٠ .

هذا وللمشركين شبه كثيرة وحجج ومعارضات يتوصلون بها إلى الشرك وإبطال التوحيد ، ولو قامت شبههم لقامت الفتنة وأصبح الدين مفرقا ليس كله لله تعالى ولكن الشيخ كشف شبههم واحدة واحدة ، ونقضها حتى أبطلها جميعا وحاصل هذه الشبه يمكن تصويره في سبع شبهات هي :

١ - أن الشرك لا يكون فيمن يشهد أن الله هو النافع الضار المدبر ولكنه يقصد أولياء الله والصالحين لأن لهم جاها وشفاعة عند الله تعالى وهو مذنب فيدعوهم ويستغيث بهم ويذبح لهم وينذر لهم ليشفعوا له عند الله تعالى لا غير .

٢ - والشرك إنما هو في من يعبد الأصنام . والأولياء والصالحون ليسوا مثل الأصنام فمن يدعوهم ليس مثل من يدعو الأصنام .

٣ - أن من يقصد الصالحين والأولياء بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك ليس مشركا وليست هذه الأمور شركا لأنه وهو يفعل ذلك لا يريد منهم وإنما يطلب من الله شفاعتهم فهذا ليس عبادة لهم ولا شركا بالله تعالى بل توسل بهم .

٤ - أنه وهو يقصدهم بهذا الفعل إنما يطلبهم مما أعطاهم الله تعالى وقد أعطاهم الشفاعة والجاه والقرب لديه ولا سيما رسول الله ﷺ .

٥ - قالوا وقد ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ، ثم إبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ ، وكذلك في قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار أن جبريل عرض عليه الاغاثة . قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا .

٦ - ويقولون : ان المشركين هم الذين نزل فيهم القرآن أولا وهم لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك المشركين لأننا قصدنا أولياء الله ليشفعوا لنا فحسب .

٧ - ويقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله . وقال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وأحاديث أخرى بهذا المعنى في الكف عمن قالها ، فمن قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل .

هذا هو حاصل الشبه التي يشبه بها المشركون من يدعى الإسلام ، ويريد قلب

الحقائق فيجعل التوحيد إلهادا، والإلحاد توحيدا - وقد كشف الشيخ هذه الشبهة ونقضها فبطلت بكتاب الله المحكم وسنة رسوله ﷺ الحاكمة، والحق القائم الذي أحقه الله بكلماته الكونية كما أحقه بكلماته الشرعية .

ونورد كيف بين الشيخ كشفه لهذه الشبهات فقال بمعناه :

ان الشبهة الأولى وهى قولهم ان الشرك لا يكون فيمن يشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، ولودعا غيره واستغاث به وذبح له ونذر له ليشفع له ويقربه عند الله أن هذه مقالة المشركين الأوائل سواء بسواء وهم الذين كفرهم الله ورسوله ﷺ وقتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم وسبى نساءهم وذرائعهم مع اقرارهم بأن الله هو النافع الضار الخالق المدبر بدليل قول الله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ (يونس : ٣١) .

وغير هذه الآية من الآيات الكثيرة وأن هؤلاء المشركين يقولون ما دعوناهم وتسوجهنا إليهم إلا لطلب القربى والشفاعة بدليل قوله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (الزمر : ٣) .

وقوله تعالى : ﴿ ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ (يونس : ١٨) .

وكشف الشيخ الشبهة الثانية وهى قولهم ان الشرك إنما هو فيمن يعبد الأصنام والأولياء، والصالحون ليسوا مثل الأصنام فمن يدعوهم ليس مثل من يدعو الأصنام بما ذكر الله ورسوله ﷺ في الكتاب والسنة من الحكم بكفر جميع من يدعو غير الله تعالى مهما كان هذا الغير، سواء كان نبيا أو ملكا أو من دونها أو دعا طاغوتا أو صنما فالحكم على من دعا غير الله واحد، ولم يفرق الله ولا رسوله ﷺ بين من يعبد الأصنام وبين من يعبد الصالحين في الحكم بل الجميع يحكم عليهم بأنهم مشركون بالله .

ويقول الشيخ في قوله تعالى : ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (الزمر : ٦٤-٦٧) .
فيه مسائل : فيها أنواج من بطلان الشرك وتقبيحه :

الأولى : الجواب عن المشركين : هذا في الأصنام وأما الصالحون فلا .

قوله : ﴿ قل أفغير الله ﴾ عام فيما سوى الله .

الثانية : أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كفر، ولو كان باطنه يعتقد الإيمان، فانهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام في اظهار الموافقة للمشركين خوفا منهم، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارها له .

الثالثة : أن الجهل وسخافة العقل هو موافقتهم في الظاهر، وأن العقل والفهم والذكاء هو التصريح بمخالفتهم ولو ذهب مالك، خلافا لما عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل، وذلك في آخر الآية : ﴿ أياها الجاهلون ﴾^(١) .

ويقول الشيخ : فان قال قائل من المشركين : نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحين مقربون، ونحن ندعوهم وننذرهم وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الجاهة والشفاعة والا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر. فقل : كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله، فانهم يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال الله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ (الزمر: ٣) .

وقال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ (يونس : ١٨) .

وكشف الشيخ الثالثة وهى قولهم أن من يقصد الصالحين بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك ليس مشركا وليست هذه الأمور شركا بل هى توسل هؤلاء الأولياء . فأجاب الشيخ : بأن الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحوهما مما أمر الله أن يتقرب العبد به إليه فهو عبادة وكل أنواع العبادة لا يجوز صرف شىء منها لغير الله تعالى ، والشرك إنما هو فى العبادة وفى أنواعها، وصرف شىء من أنواعها كصرف مجموعها لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك، فمن أشرك معه غيره تركه وشركه وقولهم ان التوجه بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر ونحوها إلى غير الله لا يريد منه وإنما يريد من الله بشفاعته ليس عبادة قد أبطله الله بأنه سباه عبادة كما تقدم من قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾^(٢) (يونس : ١٨) .

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير ص ٣٤٤ .

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، كشف الشبهات، ص ص ١٦٠ وما بعدها .

وقال الشيخ - رحمه الله - في كشف تسميتهم دعاء الأموات والأولياء بالتوسل ليتوصلوا إلى جوازه: «الدعاء الذي يفعل في هذا الزمان أنواع :

النوع الأول : دعاء الله وحده لا شريك له الذي بعث الله به رسوله ﷺ .

النوع الثاني : أن يدعو الله ويدعومعه نبيا أو وليا ، ويقول أريد شفاعته وإلا فأنا أعلم ما ينفع ولا يضر إلا الله ، لكن أنا مذنب ، وأدعوا هذا الصالح لعله يشفع لى فهذا الذي فعله المشركون وقتلهم رسول الله ﷺ حتى يتركوه ولا يدعومع الله أحدا لا لطلب شفع ولا نفع .

النوع الثالث : أن يقول : اللهم إني أتوسل إليك بنبيك أو بالأنبياء أو الصالحين فهذا ليس شركا ولا نهينا الناس عنه (على انه شرك) ولكن المذكور عن أبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهم أنهم كرهوه لكن ليس مما نختلف نحن وغيرنا فيه^(١) .

وسئل الشيخ رحمه الله عن قول بعض الفقهاء في الاستسقاء : لا بأس بالتوسل بالشيوخ والعلماء المتقين ، وقولهم : يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح ، وقيل يستحب ، وقول أحمد : إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه والفرق بين هذا القول وقول أحمد وغيره في قوله عليه الصلاة والسلام «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» الاستعاذة لا تكون بمخلوق ، فما معنى هذا ؟ وما العمل عليه منها ؟

فأجاب بقوله : قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين . وقول أحمد : يتوسل بالنبي ﷺ خاصة ، مع قولهم أنه لا يستغاث بمخلوق فالفرق ظاهر جدا ، وليس الكلام مما نحن فيه فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه ، فهذه المسألة من مسائل الفقه ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور أنه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا انكار في مسائل الاجتهاد لكن انكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ، واعطاء الرغبات ، فأين هذا ؟ ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعومع الله أحدا ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده ، ولكن لا يدعو إلا الله مخلصا له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه ؟^(٢) .

(١) الدرر السنية ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الثالث ، الفتاوى ص ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٦٩ .

وهكذا يكشف الشيخ تلبسهم حيث جعلوا دعاء غير الله تموسلا ببيان ما هو التوسل الحقيقي في الدعاء والفرق بينه وبين دعاء غير الله تعالى وأن التوسل مسألة خارجة عن موضوع النزاع وهو دعاء غير الله تعالى .

وكشف الشيخ الرابعة وهي قولهم : إنهم يطلبون الأنبياء والأولياء مما أعطاهم الله تعالى وقد أعطاهم الشفاعة والجاه والقرب لديه ولا سيما رسول الله ﷺ بأن الله تعالى وإن أعطاهم ما أعطاهم فقد نهى أن يطلب منهم الشفاعة والزلفى عند الله ، وأمر بأن يطلب ذلك منه وحده لا شريك له فيقول : « اللهم شفّع فيّ نبيك » مثلاً ، ذلك أن الشفاعة لله جميعاً ولا يشفع عند الله أحد إلا من بعد إذنه ، والله سبحانه لم يأذن بأن نطلب من الميت ذلك ، وأما الحي فالذي يطلب منه دعاؤه وهذا عام في جميع الصالحين الأحياء القادرين على الدعاء .

والمقصود أن الدعاء والذبح والنذر والاستغاثة ونحوها مما أمر الله أن يعبد به ، لا بد من أن تؤدى لله خالصة لا يشركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ وغير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التي بينها الشيخ للدلالة على الإخلاص في جميع أنواع العبادة ومن أنواعها طلب الشفاعة من الله لديه فيتوجه بذلك الطلب والرغبة والقصد إلى الله مباشرة وبدون واسطة كما قال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ (البقرة: ١٨٦) .

فلا تطلب الشفاعة من غير الله تعالى لأن الشفاعة كلها له سبحانه ، قال تعالى : ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ (الزمر: ٤٤) . ولا يشفع أحد في أحد إلا من بعد أن يأذن الله تعالى . كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ (البقرة: ٢٥٥) . وكما قال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ (الأنبياء: ٢٨) . والله لا يرتضى أن تطلب الشفاعة من أحد إلا بإذنه ، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد . قال تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا ، قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ، قل إني لن يجرى مني الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ (النساء: ٤٧) . وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعتم من دونه لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك ، وما له منهم من

ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴿ (سبأ: ٢٢، ٢٣) .

قال الشيخ : قال أبو العباس : «نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله . ولم يبق إلا الشفاعة . فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب . كما قال : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة ، كما نفاه القرآن وأخبر النبي ﷺ «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولاً» ثم يقال له : «ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع» وقال أبو هريرة «من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود .
فالشفاعة التي نفاه القرآن ما كان فيها من شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والاخلاص» أ - هـ كلام ابن تيمية .

قال الشيخ :

«فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد . تبين لك أن الشفاعة كلها لله فاطلبها منه وقل : اللهم لا تحرمنى شفاعة نبيك محمد ﷺ ، اللهم شفعه في وأمثال هذا» .

وأيضاً فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ ، فصح أن الملائكة يشفعون ، والأولياء يشفعون ، والافراط يشفعون أتقول : ان الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم فان قلت هذا : رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه وإن قلت : لا - بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله^(١) .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد : «وأما الاستشفاع بالرسول

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، كشف الشبهات ص ص ١٦٥-١٦٦ ، وكتاب التوحيد باب الشفاعة ص ص ٥١-٥٣ ، ومسائل الجاهلية ص ٣٥١ ، والقسم الخامس ، الشخصية رقم ١٧ ، ص ص ١١٢ ، ١١٣ ، ورقم ٨ ، ص ص ٥٢ ، ٥٤ .

ﷺ في حياته، فالمراد به استجلاب دعائه وليس خاصا به ﷺ بل كل حي صالح يرجي أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعمامة، كما قال النبي ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك»^(١).

والحديث رواه الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمر «أن عمر استأذن النبي ﷺ في العمرة فأذن له فقال: يا أخي أشركنا في صالح دعائك، ولا تنسنا» قال عبد الرزاق في حديثه. فقال عمر: «ما أحب أن لى بها ما طلعت عليه الشمس لقوله: يا أخي»^(٢).

وكشف الشيخ الخامسة وهي قولهم: يسألون على جواز الاستغاثة بالرسول ﷺ بعد وفاته ودعائه كذلك: بأن النبي ﷺ ذكر أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

ويستدلون كذلك بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى في النار عرض جبريل الاغاثة فلو كانت شركا لم يعرضها جبريل عليه السلام - فكشفها الشيخ ببيان أن المنكر هو استغاثة العبادة التي تفعل عند القبر وسائر القبور، أو تفعل في غيبة المستغاث به والتي يطلب بها ما لا يقدر عليه إلا الله وحده من غير الله تعالى.

أما استغاثة الناس يوم القيامة بالأنبياء ليدعوا لهم فهذا جائز بل يجوز في الدنيا والآخرة أن يطلب الشخص من حي صالح حاضر يسمع قوله ويقدر أن يدعو الله له. وكذلك استغاثة إبراهيم بجبريل لو وقعت فهي في أمر يقدر عليه جبريل عليه السلام فهو كما وصفه الله شديد القوى ففي مقدوره أن يغيث إبراهيم مثل قوى في مقدوره أن يغيث عاجزا بقوته كما فعل موسى بالقبطي اغاثة للذى من شيعته.

وكشف الشيخ السادسة - وهي أنهم يقولون: ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن: (لا إله إلا الله) ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث. ونصلي، ونصوم. فكيف تجعلوننا مثل أولئك. فكشفها

(١) فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد ص ٥١٥ طبعة راجعها الشيخ عبد العزيز بن باز.

(٢) انظر: المسند ج ١ / ص ٢٩، ج ٢ / ص ٥٩.

الشيخ بيان نواقض الإسلام وبيان أحكام المرتد وأنه الذى يكفر بعد إسلامه ، وبيان أن النواقض للإسلام لا يصح معها إسلام ولا عمل كما لا تصح الصلاة مع ناقض من نواقض الوضوء - فالشرك مثلا يفسد العبادة ويفسد قول « لا إله إلا الله » مهما كانت العبادة كثيرة ولو أمثال الجبال فالشرك يفسدها ومحبطها ويجعلها هباءً منثوراً ، لأن الإسلام والشرك لا يجتمعان فمن ادعى بقاء إسلامه مع ممارسته الشرك فهو كاذب . قال الله تعالى : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ (الزخرف : ٦٥) .

قال الشيخ فيها : المسألة الكبرى وهى كشف شبهة علماء المشركين الذين يقولون : هذا شرك ولكن لا يكفر من فعله لكونه يؤدى الأركان الخمسة فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا فكيف بغيرهم ؟

وأن الذى يكفر به المسلم ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فان هذا الذى ذكرهم الله لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة ، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو ببلده أو أهله مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم فهذا كافر إلا من أكره^(١) . وقال تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ (الأنعام : ٨٨) .

ويقول الشيخ انه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ فى شىء وكذبه فى شىء أنه كافر لم يدخل فى الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه . كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة ، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج .

ولما لم ينقد أناس فى زمن النبى ﷺ للحج ، أنزل الله فى حقهم ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ (آل عمران : ٩٧) .

ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع ، وحل دمه وماله كما قال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، ويقولون نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ (النساء : ١٥٠ ، ١٥١) .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الرابع ، التفسير ص ٣٤٥ .

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا وأنه يستحق ما ذكرت زالت الشبهة .

وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا .

ويقال أيضا إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء وجحد وجوب الصلاة انه كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث . وكذلك لو جحد وجوب صيام رمضان وصدق بذلك كله لا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل .

ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بنى حنيفة ، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويؤذنون ويصلون .

فإن قال إنهم يقولون : إن مسيلمة نبي ، فقل هذا هو المطلوب ، إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيا أو نبيا إلى مرتبة جبار السموات والأرض ، سبحان الله ما أعظم شأنه ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ (الروم : ٥٩) .

ويقال أيضا : الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام ، وهم من أصحاب علي ، وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يُكفر .

ويقال أيضا : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بنى العباس كلهم يشهدون أن « لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » ويدعون الإسلام ، ويصلون الجمعة والجماعة ، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء

على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وانكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذى ذكر العلماء فى كل مذهب: «باب حكم المرتد». وهو المسلم الذى يكفر بعد إسلامه.

ثم ذكروا أنواعا كثيرة لكل نوع منها يكفروا ويحل دم الرجل وماله حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضا: الذين قال الله فيهم: ﴿يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ (التوبة: ٧٤). أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم فى زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون. وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ (التوبة: ٦٥، ٦٦).

فهؤلاء الذين صرح الله فيهم انهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهى قولهم: تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون أن «لا إله إلا الله» ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها فانه من أنفع ما فى هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله عن بنى إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحتهم، أنهم قالوا لموسى: ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة﴾ (الأعراف: ١٣٨).

وقول أناس من الصحابة (اجعل لنا ذات أنواط) فحلف النبى ﷺ أن هذا نظير قول بنى إسرائيل اجعل لنا إلهًا.

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة: وهى أنهم يقولون: ان بنى إسرائيل لم يكفروا بذلك. وكذلك الذين قالوا للنبى ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا.

فالجواب أن تقول ان بنى إسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبى ﷺ لم يفعلوا ذلك. ولا خلاف أن بنى إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا.

وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لولم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيهم لكفروا ، وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه) أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان .

وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري . فنبه على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل ، والذين سألوا النبي ﷺ . وتفيد أيضا أنه لولم يكفر فانه يغلط عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله ﷺ . . انتهى .

ويقول الشيخ ان هذه الشبهة هي من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها^(١) . لذا نقلت جوابه بنصه ، وأشير إلى أن الشيخ ألف رسالة أخرى في هذه المسألة وهي (مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد)^(٢) .

وكشف الشيخ الشبهة السابعة وهي قولهم ان النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال : (لا إله إلا الله) ، وكذلك قوله : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل ، فكشف الشيخ هذه الشبهة ببيان أن من قالها وجب الكف عنه إلا أن تبين منه ما يناقض ذلك كدعاء الأولياء وقصدهم فيما هو من حق الله تعالى ، فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله .

والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك . وأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ (النساء : ٩٤) . أى فتبينوا فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى : ﴿ فتبينوا ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى .

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله . معناه ما ذكر أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك . والدليل على هذا أن رسول الله

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ص ص ١٧١-١٧٥ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد ص ص ٢٧٩-٣٢٩ .

ﷺ قال : « أقتلته بعدما قال : (لا إله إلا الله)؟ وقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا (لا إله إلا الله) » هو الذى قال فى الخوارج : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم لأن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسييحاً ، حتى ان الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم (لا إله إلا الله) ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة . وكذلك ما ذكر فى جوابه فى السادسة وكشفها من قتال اليهود وهم يقولونها وقاتل الصحابة بنى حنيفة ، وكذلك أراد النبى ﷺ أن يغزو بنى المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل الله ﷻ يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴿ الحجرات : ٦) - وكان الرجل كاذباً عليهم .

قال الشيخ : وكل هذا يدل على أن مراد النبى ﷺ فى الأحاديث التى احتجوا بها وجوب الكف عمن قامها حتى يتبين منه مخالفتها^(١) .

وبهذا انتهى هذا الفصل وبنهايته ينتهى الباب الأول وهو ما يخص عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وحيث قد أتينا على ذكر عقيدة الشيخ من جانبيها جانب عرضها من خلال بيان منهجه وجملة عقيدته فى الإيمان وأركانه وفى التوحيد من مقاميه المقام الخبرى والمقام الطلبى ، وفى نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كمالها للتحذير من ذلك فى هذا الباب الأول .

بقى علينا أن نتعرف على أثرها وذلك ما يتضمنه الباب الثانى وهو ما يلى .

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، كشف الشبهات ص ص ١٥٥-١٨١ .

الباب الثاني

أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لسلفية في العالم الإسلامي

الفصل الأول في ظهور دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح وأسباب ومبادئ تأثيرها

لقد اتضح لنا بما سبق بيانه عن الشيخ وعقيدته أنها عقيدة السلف الصالح عقيدة سليمة، تعتمد على الكتاب والسنة غاية ووسيلة، وعلماء وعملًا ومضمونًا ومنهجًا، ونزيد هنا شيئًا من التوضيح فنقول: أما الغاية فإنها تتضح من مواقف الإيثار التي وقفها الشيخ بقوة، وكم نراه فيما قدمنا من سيرته وفيما سنذكر إن شاء الله من مواقفه الجهادية وجهوده المرضية في سبيل الله مثالا للرجل المؤمن بالغيب القوى في إيمانه بذلك. البعيد عن البدع والمحدثات في دين الله.

ولقد اعتقد الشيخ عقيدة السلف الصالح في حين غربتها وضعف تأثير أصحابها في المجتمع كما بينا ذلك في مبحث البيئة التي كانت سائدة في عصر الشيخ، ثم لما قام الشيخ بالدعوة إلى عقيدة السلف الصالح أصبح أثرها ينتشر شيئًا فشيئًا لا في الجزيرة العربية فحسب بل في العالم الإسلامي كله، ولا أحد ينكر صحوة نشطة في المسلمين تنشد سنة الرسول ﷺ والعمل على نشرها ونشر ما كان عليه سلفهم الصالح.

وهذا المسلك السلفي الصالح قد اشتهر كأنه طابع خاص بالشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه - رحمهم الله تعالى - على الرغم من أنه لا يخص الشيخ وليس من عنده وإنما هو ميراث رسول الله ﷺ.

حتى إن الشيخ ملا عمران بن رضوان صاحب لنجة لما تبين له حقيقة معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنه التمسك باتباع النبي محمد بن عبد الله ﷺ قام بتأييده فلقبوه بالوهابي يشنعون عليه ومقصدهم لترك اتباع النبي ﷺ ولا ذنب

للوهابي عندهم إلا أنه لم تأخذه في اتباع رسول الله ﷺ لومة لائم - فقال الشيخ ملا عمران في الرد على هؤلاء الشائنين منظومة منها :

ان كان تابع أحمد متوهبا فأنا المقر باننى وهابى
أنفي الشريك عن الإله فليس لى رب سوى المتفرد الوهاب
لا قبة ترجى ولا وثن ولا قبر له سبب من الأسباب
كلا ولا شجر ولا حجر ولا عين ولا نصب من الأنصاب
أيضا ولست معلقا لتميمة أو حلقة أو ودعة أو ناب
لرجاء نفع أو لدفع بلية الله ينفعنى ويدفع ما بي
والابتداع وكل أمر محدث فى الدين ينكره أولوا الأبواب^(١)

وما من شك أن تأثير العقيدة واستمرارها يتم إذا توفر لها أسباب هي :

أولا : وقبل كل شيء : توفيق الله تعالى ومنته بالفضل والهداية .

ثانيا : صلاح النية وسمو الغاية وحسن القصد بالأعمال الصالحة ، التى هى من لوازم العقيدة .

ثالثا : كون العقيدة حقا ثابتا فى نفس الأمر والواقع لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

رابعا : علم صاحب العقيدة وبصيرته .

خامسا : سلامة منهج صاحب العقيدة .

سادسا : الإمارة الراشدة والسلطان الوازع .

سابعا : استمرار وجودها بوجود حملتها من عالم وارث للميراث النبوى وسلطان مناصر قوى .

وفىما يلى توضيح لذلك :

أما توفيق الله تعالى ومنته بالفضل والهداية فهو أمر ظاهر من منته سبحانه على أهل هذه الجزيرة العربية خصوصا وأهل الأرض عموما بآخر الرسالات النبوية بالقرآن العظيم المبين والرسول العربى الخاتم ، وبيت الله الحرام ، وضمانته سبحانه لحفظ دينه ونصرته إلى قيام الساعة ودليله القرآن الذى هو كلام الله محفوظا فى الصدور ومتلوا

(١) نقلا عن الهدية السنية جمع الشيخ سليمان بن سحان ص ص ١١٩-١٢٠ ط المنار سنة ١٣٤٤هـ والهدية السنية ط مكة عام ١٣٩٣هـ ص ص ١٤٨-١٤٩ .

بالألسن ومكتوباً بالمصاحف لا يوجد له نظير من الكلام في جلب الخير ودفع الشر، كما أن رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ بشخصه لا نظير له في الأشخاص وسنته موجودة ودينه باق وهديه خير الهدى وهو مستمر إلى قيام الساعة ولا نظير له في الهدى وبيت الله الحرام فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولا نظير له في بيوت الله في الأرض.

وكل هذه الخصوصيات التي امتن الله بها على أهل هذه الجزيرة، ووفق من شاء منهم للقيام بحقوقها، كل ذلك له دور كبير في التأثير، وما من شك أن من وفقه الله للقيام بحقوقها فقد حاز نفوذاً وتأثيراً قوياً لا نظير له، وللشيخ وأنصاره نصيب من هذا كبير، فبناء عقيدته السلفية إنما هو على كلام الله الذي هو خير الكلام، وهدى رسول الله ﷺ الذي هو خير الهدى، وعلى نهج سلف هذه الأمة الذين هم خير هذه الأمة.

وأما سمو الغاية من العقيدة، وكون العقيدة حق ومثانة علم صاحبها وقوة بصيرته وسلامة منهجه فقد بيناه فيما سبق من بيان عقيدته ومنهجه وشيء من سيرته ولا مانع من زيادة توضيح هنا لهذه الجوانب المؤثرة. وفيما يلي أنقل بعضاً من كلمات الشيخ تبين سمو الغاية، وتجردها من الحظوظ الدنيوية الزائلة.

يقول الشيخ في مخاطبته لعبد الوهاب بن عيسى :
«إن كنت تظن في خاطرك إنا نبغى أن ندهنك في دين الله، ولو كنت أجل عندنا مما كنت فأنت مخالف، فإن كنت تتهمنى بشيء من أمور الدنيا فللك الشبهة»^(١).

وفي مخاطبته لعبد الوهاب المذكور ولأبيه مرة أخرى يقول :
«أشوف^(٢) غايتمكم قريبة وتحملون الأمر على غير محمله»^(٣).
ويقول الشيخ لبعض من توجس منهم غاية قريبة :
«إن الخطر عظيم فإن الخلود في النار جزاء الردة الصريحة ما تسوى بضبعة تربح

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٤٠ ص ٢٨٠.
(٢) أشوف : أى «أرى» وفي مختار الصحاح : شاف الشيء جلاه وبابه قال ودينار مشوف أى مجلو. إلى أن قال : «وتشوف إلى الشيء تطلع».
(٣) المصدر السابق رقم ٤٩ ص ٣١٥.

توماناً أو نصف تومان^(١)، ويحيل في هذه المسألة على الإيمان بالله ويستدل بقول الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رَزْقَهَا، اللَّهُ يَرْزُقُهَا إِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (العنكبوت: ٦٠).

ويقول الشيخ في مخاطبة بعض من أحس منه خولاً عن الموافقة:

«ان كان جارياً منى شيء تنقده فتراني أحب أن تنبهني عليه، لا تترك بيان شيء في خاطرك من قبلي، وإن كنتم متجرفين على التغير، أوجتكم^(٢) الفتنة وودكم ببرد الأرض^(٣) فهذا شيء آخر» إلى أن قال يذكره بالإيمان والغاية: «فهذا لا ينبغي منك، ولا يطاع أحد في معصية الله، فإن وافقتمونا على الجهاد في سبيل الله واعلاء كلمة الله فلکم الحظ الأوفر والا لم تضروا الله شيئاً، وقد ذكر النبي ﷺ: أن الطائفة المنصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار» وقد ذم الله الذي لا يثبت على دينه الا عند ما يهواه فقال: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية (الحج: ١١) - وينبغي لكم إذا عجزتم أو جبتكم انكم ما تلوموننا، ونحمد الله الذي يسر لنا هذا، وجعلنا من أهله، وقد أخبر أنه عند وجود المرتدين، فلا بد من وجود المحبين المحبوبين، فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين﴾ الآية (المائدة: ٥٤) - جعلنا الله وإياكم من الذين لا تأخذهم في هذا لومة لائم^(٤).

ولقد كانت هذه الغاية ووسيلتها واضحة تمام الوضوح لدى الشيخ فقد ذكر في الإيمان بالله والإيمان بالرسول ان هاهنا غاية ووسيلة، فأما الغاية فهي الإيمان بالله وأما الوسيلة فهي الإيمان بالرسول. وقال الشيخ: الإيمان بالله مثل الماء والإيمان بالرسول مثل الدلو والرشاء^(٥).

ولقد صدق الشيخ ما يقول، وطبق ما كان ينادى به ويقرره ويدعو إليه لانه عقيدته فلما بين ان من اطاع الرسول ﷺ ووحده الله لا يجوز له موالاته من حاد الله

(١) التومان عملة نقدية. مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٣٤ ص ٢٢٤.

(٢) «جتكم الفتنة»: أي «جاءتكم» وقد عبر الشيخ باللهجة التي يفهمونها ليكون أبلغ في نفوسهم.

(٣) «ودكم ببرد الأرض»: أي «تودون التناقل إلى الأرض والتخلي عن القيام بأعباء الدعوة والجهاد لنصرة دين الله ورسوله زهداً منكم بأجر ذلك في الآخرة وإثارة للحياة الدنيا.

(٤) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ٥٠ ص ٣١٩-٣٢٠.

(٥) الدرر السنية، ط ٢، ج ١ ص ١٠٧.

ورسوله ولو كان أقرب قريب بدليل قوله تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ﴾ ^(١) (المجادلة : ٢٢) .

وابتلى الشيخ نفسه ولكنه صبر وثبت حتى جاوز الامتحان والابتلاء وما ذلك إلا تأييد الله له بروح منه وتقويته لإيمانه ، وأمثلة ذلك في حياته كثيرة - ولنأخذ مثلاً من أحوال الشيخ التي وقعت . ففي حالة اخراجه من العينة طريداً منها قد افتقد كل حظ من حظوظه الدنيوية المباحة افتقد ثقة الأمير وثقة الناس من حوله به ، وبما يدعو إليه من عقيدة السلف الصالح ، وافتقد المسكن ، والمكانة والجاه والنفوذ ، وجميع الحظوظ النفسية ، والغايات الدنيوية ، ومشى وحيداً أعزل من أي سلاح ليس بيده إلا مروحة من خوص النخل ، ولا يأمن مثله على نفسه أن يقتل بأهون قتلة لمن أراد ذلك ولن يأبه له أحد ، فيما يظهر من طبائع الأمور المعتادة ، لكن كان على ثقة من ربه والله قد قوى إيمانه حتى صغرى ميزانه أمر صاحب الأحساء وخذلان ابن معمر له وفراق الوطن والمال والأهل والزوجة والمسكن ، وما بقي لديه سوى الإيمان القوى بصحة عقيدة السلف الصالح وحسن الظن بالله تعالى والثقة به سبحانه وأنه سيجعل له فرجاً ومخرجاً وإن الله سينصر دينه ويعلى كلمته . وكأني بالشيخ في حالته تلك قد ترك الناس وهو محتاج أحوج ما يكون من أجل الله ليس لديه منعة من اتباع وجنود ، ولا حمية من عشيرة أو حلف ، ولا غيرهم من أصدقاء وأصحاب ونحوهم ، ومع هذا كله مضى ثابتاً على عقيدته وإيمانه بأن الله تعالى سوف يجعل له وللمؤمنين فرجاً ومخرجاً وإن غاب عنه ذلك ، ولم يفكر في استرضاء الأمير ، والابقاء على أى حظ من حظوظ النفس البشرية بالتنازل عن هذه العقيدة ، أو المهادنة فيها طلباً للراحة والابقاء على شيء من حظوظ النفس ورغباتها ، ولو إلى أن تحين الفرصة كما يتحين المتر بصون ، بل مضى في سبيل الله عليه من الله الرحمة والإيمان زاده ، الإيمان القوى بعزيمة الواثق بموعد الله وحده في الغيب ، وبصيرة من ميراث رسول الله ﷺ ، يتأسى برسول الله ﷺ ، وما جرى عليه من أذى قومه وطرد ثقيف له من الطوائف وغير ذلك ، لا يطلب

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الأول ، العقيدة ، ثلاثة الأصول ص ١٨٦ .

غايته العظيمة ، وعوض ما فقده في سبيل الله الا من الله تعالى وحده ، وهو الله الأحد الصمد الذى لا يخب من رجاء لقد سار من العينة إلى الدرعية يمشى راجلا ليس معه إلا مروحة من خوص النخيل في غاية الحر في فصل الصيف ، لا يلتفت عن طريقه ، ويلهج بقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ، ويلهج بالتسبيح : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولما وصل الدرعية قصد بيت ابن سويلم العرينى فلما دخل عليه ضاقت عليه داره ، وخاف على نفسه من محمد بن سعود فوعظه الشيخ وأسكن جأشه ، وقال سيجعل الله لنا ولك فرجا ومخرجا^(١) .

ما أقوى هذا الإيـان ، والاتكال على الله تعالى في قلب هذا الشيخ رحمه الله في تلك الأحوال المزلزلة والأهوال التى بلغت معها القلوب الخناجر وتواردت من أجلها الظنون الفواقر ، وإيمان الشيخ ثابت في نفسه ، قادر على طمأنة الآخرين المتزلزلين وتثبيتهم أيضا . هذا هو الشيخ المؤمن القوى ، القوى بالإيمان لا بالحديد والنار ، والدولة والمال ، فقد ذهب عن هذا كله ، ولم يتبعه منها شىء ، ولم يبق معه سوى مهفة من خوص النخل ، لا رغبة لأحد بها ، وأصبح غريبا ، يستوحش منه فهذا أقرب تلامذته إليه في ملفاه إلى الدرعية يضيق به وينزوله عليه ذرعا ، قد خشى عاقبة أداء الحق في ضيافة الشيخ ، وهى أدنى الحقوق ، وما ذاك إلا لشدة غربة الشيخ وهوان دعوته على الناس ، وطمعهم في الباطل ، واعجابهم بمنافاة الحق أعظم ما يكون ، وتسلسل الملوك والأمراء على دعاة الخير وأهله تسلطا ملأ الأفئدة رعبا وزلزل القلوب عن بصيرتها واستنارتها . ولكن الشيخ مازال قاعدة صلبة في ثباته على الحق وقوة إيمانه ، ومضاء عزمته على المسير فيما دعا إليه من دين الإسلام بالطريقة التى سار عليها رسول الله ﷺ .

يقول الشيخ محمد بن أحمد الحفظى (١١٧٨-١٢٣٧هـ)^(٢) :

دعا إلى الله وبالتهليلة	يصرخ بين أظهر القبيلة
مستضعفا وما له مناصر	ولا له معاون مُوازر
في ذلة وقلة وفي يده	مهفة تغنيه عن مهنده

(١) ابن بشر، عنوان المجد ١١/١ .

(٢) الاعلام للزركلى ، ١٧/٦ .

وألحق يعلو بجنود الرب	كأنها ريح الصبا في الرعب
وضرب موسى بالعصا للحجر	قد اذكرتني درة لعمر
ليس إلى نفس دعا أو مذهب	ولم يزل يدعو إلى دين النبي
أن لا إليه غير فرد يعبد	يعلم الناس معاني أشهد
رسوله إليكم وقصده	محمد نبيه وعبده
شيئا به والابتداع فاتركوا ^(١)	أن تعبدوه وحده لا تشركوا

ما أعظمها من عقيدة، وما أسمى غايتها، لقد تطهرت عقيدته بل وتجردت غايته حتى صارت خالصة لله وحده وبقي إيمانه قويا لم يهن، ثابتا لم يتزعزع، ماضيا لم يتراجع حتى كانت له العاقبة، وحتى لقي الله وهو على عقيدته لم يتغير بالنصر والظفر والغنيمة، وتلك سنة رسول الله ﷺ في ثباته وصموده كما قال الله تعالى: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (يوسف: ١٠٨).

قال الشيخ: فيها: إن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ والتنبيه على الإخلاص، لأن كثيرا لودعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه، وأن البصيرة من الفرائض، وأن من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله تعالى عن المسبة وأن من قبح الشرك كونه مسبة لله تعالى، وإبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك وهي من أهم ما فيها^(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم عنه رحمه الله:

«وفيه مشابهة لنبينا ﷺ فيما ناله من الرؤساء والأخبار في ابتداء دعوته، فانه رحمه الله لما أظهر الدعوة إلى توحيد الله وأفراده بالعبادة استصرخوا بأهل الحرمين، والنجرانيين وبنى خالد وغيرهم عليه وألبت تلك الطوائف فثبته الله ومن آواه ونصره على قلة منهم وضعف، وصبروا على مخالفة الناس وتحملوا عداوة كل من عادى هذا الدين، بل أشبه أمر الشيخ ما جرى لخاتم النبيين حتى في مهاجره وأنصاره وكثرة من

(١) الهدية السنية للشيخ سليمان بن سحيان ص ١٢٤ - وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . لأحمد بن حجر آل بوطامي ص ص ٨٢، ٨٣، وتاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني ص ٣٢٧، وتذكرة أولى العرفان لأبراهيم بن عبيد، ج ١/ ٢٩.

(٢) مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، كتاب التوحيد ص ٢١.

عاداه ونساؤه في حال الابتداء كما هو حال الحق ، في المبادئ يرده الكثر ونينكرونه
ويقبله القليل وينصرونه ، ثم تكون الغلبة له»^(١) أ - هـ .

ولا شك أن رسول الله ﷺ هو القدوة المثلى والإمام الأعلى لجميع المسلمين ،
وكل من كان في محبته واتباعه اتم كان في أحواله إليه أقرب ﷺ .

وقد أفصح عن هذا الاتباع في هذه الحالة في منشوره إلى علماء الإسلام ، أنس
الله بهم غربة الدين ، وأحياهم سنة إمام المتقين ، ورسول رب العالمين ﷺ ، ففي
هذا المنشور شكى إلى علماء الإسلام ما جرى من الفتنة بسبب نهيه العوام عن
عاداتهم الشركية التي نشؤوا عليها ، وعظمت في نفوسهم أن تنقطع عاداتهم تلك ،
وساعدتهم بعض ادعاء العلم وهم من أبعد الناس عنه إذ العالم من يخشى الله
- فتوهموا أن النهي عن الشرك تنقص للأنبياء والصالحين وهذا بعينه هو الذي جرى
على رسول الله ﷺ - لما ذكر أن عيسى عليه السلام عبد مربوب ليس له من الأمر
شيء ، قالت النصارى : انه سب المسيح وأمه ، وهكذا قالت الرافضة لمن عرف حقوق
أصحاب رسول الله ﷺ وأحبهم ولم يغفل فيهم ، رموه ببغض أهل بيت رسول الله
ﷺ ، وهكذا هؤلاء ، لما ذكرهم ما ذكره الله ورسوله ﷺ وما ذكره أهل العلم من جميع
الطوائف من الأمر باخلاص الدين لله ، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا في
اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله قالوا له تنقصتم الأنبياء والصالحين
والأولياء^(٢) ، والله تعالى ناصر لدينه ولو كره المشركون^(٣) .

فكان هذا من أعظم ما ساعد على انتشار الغلولان بقايا أهل الحق كانوا يرون
أنهم إذا أنكروا على الغلاة نسبوا إلى ما هم أشد الناس كراهية له من بغض عيسى
وتحقيره ، ومقتهم الجمهور واودوا ، فثبطهم هذا عن الإنكار ، وخلا الجول للشیطان
وقريب من هذا حال الغلاة الروافض ، وحال القبوريين ، وحال غلاة المقلدين^(٤) .

(١) الدور السنية ٧/١٢ .

(٢) ولقد أحسن الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي في كتابه : «التنكيل بما في تأنيب الكوثرى من
الأباطيل» حيث قال : «من أوسع أودية الباطل الغلوفى الأفاضل ، ومن أمضى اسلحته ان يرمى الغالى كل من
يحاول رده إلى الحق ببغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم ، يرى بعض أهل العلم ان النصارى أول ما غلوا في عيسى
عليه السلام كان الغلاة يرمون كل من أنكر عليهم بانه يبغض عيسى ويحقره ونحو ذلك» جـ ٦/١ .

(٣) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٢٦ ص ١٧٦-١٧٧ .

(٤) التنكيل بما في تأنيب الكوثرى من الأباطيل ، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، جـ ٦/١ .

ويقول حافظ وهبه : «إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الحق، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة، ولا آراء خاصة وكل ما يطبق في نجد من الفروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح، ويخالفون من عداهم، وتكاد تكون عقائدهم وعباداتهم مطابقة تمام المطابقة لما كتبه ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم، وإن كانوا يخالفونهم في مسائل معدودة من فروع الدين. وهم يرون فوق ذلك أن ما عليه أكثر المسلمين من العقائد والعبادات لا ينطبق على أساس الدين الإسلامي الصحيح.

إلى أن قال عن الشيخ واتباعه :

«وبالجملة : فانهم يحرصون على العبادات الشرعية ان تكون على السنة التي وردت عن النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقص»^(١).

هذا وقد شهد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بأنه متبع وغير مبتدع وأنه إمام مجدد وداع إلى الله على بصيرة كثيرون من الكتاب والعلماء لا يحصون كثرة من الشرق والغرب، من الموالين وغير الموالين، من المسلمين وغير المسلمين.

وقد سبقنا إلى جمع هذه الآراء والشهادات جمع من العلماء والباحثين ونذكر منهم الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي في كتابه : «الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه» فقد قال ان العلماء السلفيين والمؤرخين المحققين قد أكثروا من الثناء على الشيخ والتنويه بدعوته القائمة على دعائم الكتاب والسنة. ثم نقل عن اثنين وأربعين عالما وكاتبا وباحثا ومفكرا من المسلمين وغيرهم ومن الموالين وغير الموالين ومن مستشرقين وغيرهم، في أزمنة مختلفة وأمكنة متعددة ومن مصادر مختلفة. واستغرق ما نقله من ذلك احدى وأربعين صفحة من ص - ص ٨٠ - ١٢١.

ومن هؤلاء المشائخ الذين سبقونا في جمع هذه الشهادات وتدوينها، الشيخ عبد الله بن سعد الرويشد في كتابه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ فقد عقد في الجزء الثاني من كتابه فصلا هو الفصل العاشر في آراء العلماء والباحثين والمفكرين من الشرق والغرب، وذكر من ذلك نقولا عن أربعة وأربعين شخصا تزيد وتنقص عما

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين، تأليف حافظ وهبه ص ص ٣٢٢-٣٢٣.

أورده الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ، وهي آراء من أناس كثيرين مختلفي المشارب والمذاهب والأزمنة والأمكنة وكلها تجمع على ان الشيخ يعتقد عقيدة السلف الصالح ويذهب مذهبهم ، وما خرج عنهم قيد شعرة ، واستغرق ما نقله من ص - ص ٢٧٧ - ٣٦٠ ، وأورد أيضا الدكتور عبد الله عبد الماجد إبراهيم كثيرا من هذه النقول في بحثه الذي قدمه لمؤتمر اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تضمنت كثيرا من كلام العلماء والباحثين من مسلمين وغيرهم ، واستغرق ما نقله وجمعه ص - ص ١٣٩ - ١٦٢ .

وقد نقلوا شهادات كثيرة حتى من الأعداء ، تجعلنا نتمثل بقول القائل :
مناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

والمقصود ان نشير إلى ما توصل إليه من سبقونا في جمع هذه الشهادات المختلفة زمانا ومكانا وعقيدة ، الا وهو ان جميع هذه الشهادات تتفق من غير تواطىء وتواعد بين أصحابها على حقيقة واقعية رأوها جميعا على اختلاف رؤيتهم وهي ان عقيدة الشيخ ومنهجه هو ما يقتضيه الإسلام الخالص الذي أتى به رسول الله ﷺ وان أعداء عقيدة الشيخ ومنهجه هم اعداء الإسلام في الحقيقة .

وقد أوردنا فيما تقدم شيئا من هذه الشهادات وسنورد ان شاء الله تعالى بعضا من هذه الشهادات والآراء الصحيحة والأقوال السديدة التي تبين أثر عقيدة الشيخ الحسن وانتشارها الواسع سيما فيما خرج عن سلطان أنصارها^(١)

أما في هذا الفصل فمن اجل استكشاف أسباب ومبادئ تأثير عقيدة الشيخ نستعرض جهود الشيخ وجهاده قبل مناصرة آل سعود له ، وقبل ذلك اجيب عن سؤال ملح هو : كيف أثر الشيخ في البيئة من حوله دون سائر مشائخه ، والمشائخ في عصره؟ وكيف اختص بذلك دون غيره منهم؟

والجواب هو : مع ما سبق أن بينا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ العلم عن اجل علماء نجد في بلده كما أخذ العلم عن اجل علماء الحرمين والبصرة والتقى بعلماء الأحساء وغيرهم من علماء الأقطار التي زارها وفيهم عدول زمانهم اتصل بهم سند الشيخ إلى من قبلهم ممن اتصل سنده بالسلف الصالح وجميع العلماء الذين أخذ عنهم قد أجازوه وقرروا له التوحيد . واستحسنوا اتجاهه وأقروه على معرفته النيرة

(١) انظر: ص - ص ٨٤٦ - ٩١٧ . من هذا البحث .

لحقيقة الإسلام الذى بعث الله رسوله محمدا ﷺ به وحرروا له المعتقد السليم ، عقيدة السلف الصالح وشاركوه فى مقت الأعمال المنكرة الشائعة فى بلاد المسلمين وان بعضها قد وصل إلى الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله ولا يصح معه إسلام ولكن عذرهم عدم المساعد لهم فى تحقيق ما تضمنه الكتاب والسنة من اقامة الدين واخلاصه لرب العالمين ، والا فهم يدينون لله بأنه لا يستحق العبادة سواه فى أنفسهم وأهليهم وما يقدرون عليه اما ازالة هذه البدع ونهى الناس عما اعتقدوه وعملوه من منافاة الدين فيحتاج إلى سيف قائم وإمام عادل وكان ذلك متعذرا فى وقتهم^(١) .

أما علماء السوء الذين أثروا الحظ الأدنى على الحظ الأعلى ، واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ فقد جانب الشيخ محمد بن عبد الوهاب طريقهم وتركهم وترك مناهجهم .

قال ابن غنام عن الشيخ : انه رحمه الله «رفض منهج الغلول والخيانة ، وأدى من العلم الأمانة ، وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون ، وفى قعره العميق راكسون»^(٢) .

ثم قبض الله للشيخ أميرا راشدا ينصر دعوته إلى عقيدة السلف الصالح وينشر دين الله ورسوله بسلطانه وسيفه فالشيخ يبين العلم والأمير يقوم بتنفيذه بل ان كلا من الشيخ والأمير قد توحدت جهودهما وتكاملت فحصل لكلام الشيخ بالحق نفاذا لم يحصل لمشائخه وغيرهم وهذا فضل من الله تعالى أكرمه به والله يؤتى فضله من يشاء ، وتصديق لما أخبر الله به من نصرة من ينصر دين رسول الله ﷺ ، وكما هى القاعدة فى كرامات الأولياء حسب ما حققه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية من أن الكرامة الخارقة للعادة عند اشتداد الحاجة إلى اقامة الحجة وتكون على يد اتباع رسول الله ﷺ امتدادا لآيات نبوته ﷺ ومعجزاته وهى فى نفس الوقت كرامة من الله لهم على قدر اتباعهم ، والكرامة فعل الله تعالى وليست فعلا لمن وقعت له فله الحمد والشكر^(٣) . . والله أعلم .

(١) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٩ ، وانظر: مقالة الشيخ ابن حميد ص ٩٠ المطبوعة ضمن تحفة الناسك ورسائل أخرى ط ٧ .

(٢) روضة ابن غنام ج ١ / ٢٨ .

(٣) انظر: قاعدة فى المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات . . من قواعد شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٦-٢ ، ط ١ ، ١٣٤٩ مطبعة المنار .

جهود الشيخ المؤثرة في نشر عقيدة السلف الصالح واستعداده :

عاد الشيخ من رحلاته العلمية المباركة إلى حريملاء ، وكان أبوه قد انتقل إليها من العيينة ، ولما استقر الشيخ في هذه البلدة مع أبيه وأسرتة أخذ يدرس على أبيه وإن كان مستواه العلمي لا يقل عن مستوى أبيه إن لم يزد عليه ، لكنه من باب أدبه وتواضعه مع والده وشيخه الأول وموجهه^(١) ، ومع ذلك أخذ ينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال .

قال ابن بشر : « وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات حتى وقع بينه وبين أبيه كلام وكذلك وقع بينه وبين أناس في البلد فاقام على ذلك مدة سنين حتى توفي أبوه عبد الوهاب في سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف ، ثم أعلن بالدعوة والإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبعه أناس من أهل البلد مالوا معه واشتهر بذلك »^(٢) .

ويقول ابن غنام يصف دعوته وجهوده بعد عودته من رحلته إلى حريملاء ما معناه :

وانتظم في سلكه رجال فحول ، قرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير ، وحقق لهم منهج الدعوة إلى الله أتم التحقيق وكان رحمه الله يعلن بالتوحيد ويدعو إليه وينادي بابطال دعاء غير الله وينكر على من يمارسه جهارا إذا لم يكف الأسرار ، وينصح من عدل عن الحق بأسلوب سديد ، ويزجر الناس عموما عن الشرك والفساد ، وجد واجتهد في تعليم الواجب وبذل المناصحة للخاص والعام ونشر شرائع الإسلام واقامة سنة محمد ﷺ وكشف الشبه ودحض المفتريات وتحذير الناس - ان داموا على ما هم فيه - وقوع النعمة والعذاب ، وكل ذلك قياما بأمانة العلم رغبة فيما عند الله وما أعده تعالى للقائمين بذلك وخشية من الوقوع في الوعيد الوارد في القرآن المجيد ﴿ ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ (البقرة: ١٥٩)^(٣) .

يقول حافظ وهبه : عندما رجع الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وطنه . . .

(١) ابن بشر، عنوان المجد ٨/١ ، وانظر مبحث عودة الشيخ من رحلاته العلمية ص ١١٣ من هذا البحث ، ومبحث نتيجة رحلاته العلمية ص ١١٢ من هذا البحث أيضا .

(٢) ابن بشر، عنوان المجد ٨/١ ، ٩ .

(٣) روضة ابن غنام ج ١ - ٢٨ ، ٢٩ .

جذبه العزم ان ينقذ نجدا مما حل بها فبدأ يدعو الناس أن يعودوا إلى دين الله الصحيح ويتركوا ما جد من البدع وغيرها مما يتنافى مع نصوص الكتاب والسنة .

وفي الوقت نفسه طلب إلى الأمراء ذوى الشأن أن يطبقوا أحكام الشرع ، وقد قام بدعوته مسالما لا يدعو إلى شدة أو عنف وراسل علماء عصره في البلاد الإسلامية الأخرى وأظهر ألمه لما أصاب المسلمين . وحضهم على أن يكونوا من زمرة المصلحين الدينيين فكان ذلك سببا طبيعيا لغضب خصومه ، أولئك الذين خافوا على سلطانهم من دعوته^(١) .

ويصف ابن غنام استعداد الشيخ في دعوته إلى عقيدة السلف الصالح فيقول : ما معناه «وكان الشيخ رحمه الله قد أعطاه الله استعدادا قويا فلم يخف في الله لومة لائم ، وصار له توكل على ربه واعتصام به فلم يبال بجحافل الأعداء وجهامة الباطل^(٢) وكيد شياطين الجن والإنس ووحى بعضهم إلى بعض بزخرف القول وغرروه وما رموه به من القوادح والمفتريات وما صوبوا له من سهام البغى والحسد والتكبر والتجبر ، وأقام رحمه الله كما يذكر ابن غنام في بلد حريملاء على هذه الصفة سنين ، ولم يحددها ابن غنام ولا ابن بشر بعدد لكنها ذكرها بصيغة الجمع . وكان الشيخ على ما يصفه ابن غنام في تلك المدة يروع كل معاند ومعارض فاشتهر حاله في جميع بلدان المعارض في حريملاء والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة وجعل الله لدعوته قبولا في هذه البلدان وهو لا يزال في حريملاء ، فكان له في كل بلد من هذه البلدان اتباع كما ان له معارضين وأعداء حسب سنة الله تعالى فقد جعل لمن يقوم بالحق معارضين وأعداء حتى الأنبياء فكيف باتباعهم ولكن الله يجعل العقابة للمتقين ، ولقد قبل دعوة الشيخ أناس لهم مكانتهم في بلدانهم كالأمير عثمان بن معمر ، وكان يفتد إليه الناس من جميع ما حوله ممن سمع به وهو مقيم في حريملاء ويسمعون بيانه ودروسه حتى كثر محبوه وتابعوه وانضم لدعوته جم غفير ، وكلما زاد شأن الدعوة كلما تباين الناس فيه حتى انقسموا إلى فريقين - فريق فرح بالشيخ وأحبه وأحب دعوته وعاهده على ذلك وبايعه على نشر الإسلام والقيام به وفريق أنكر عليه وأبغضه وكره دعوته وقام وقعد في الصد عن الإسلام والقاء الشبه على القائمين بها

(١) جزيرة العرب في القرن العشرين ، تأليف حافظ وهبه ، ص ٣٢٠ .

(٢) قال في مختار الصحاح : (الجهام) بالفتح السحاب الذي لا ماء فيه .

ليصدوهم ويثنوا سيرهم الحميد وفي هؤلاء الفريق المعارض كثير من ذوى العلم والافهام ولكن انسلخوا من علمهم واتبعوا أهواءهم وركضوا مع الرؤساء الظلمة والجهلة واستهوتهم الشياطين فقلدهم العوام والطغام وهم الأكثر فاشتدت المحنة ولكن اتباع الشيخ على بصيرة من الأمر يعلمون ان هذه سنة الله تعالى في الذين خلوا من قبل وهى جارية لا تبدل لها ولا تحويل فمن سنة الله تعالى أن الناس إذا جاءهم بيان الهدى فمنهم من يقبله وهو من سبقت لهم السعادة، ومنهم من يرفضه وهو من كتب عليه الشقاء قال الله تعالى: ﴿ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (البقرة: ٢١٣).

ولذا كان فريق الشيخ مع قلتهم مصممين على المضي معه في بيان الواجب حتى لا يخسروا دينهم مهما كانت النتائج فأثابهم الله تعالى لما علم صدق نيتهم بأن جعل شأنهم يرتفع وكفتهم ترجح وكل يوم يمر كان في زيادتهم ونقصان معارضيهم فكان شأن المعارضين بعد ان بلغ نهايته في البغي ينخفض ويخف، أما اتباع الشيخ فهم يزيدون في قوتهم وعددهم وبصيرتهم وعلومهم ويقينهم بوضوح رشد طريقتهم وهدايتهم كما قال تعالى: ﴿ والسذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ﴾ العنكبوت: ٦٩^(١).

ولكن حريملاء كانت غير صالحة لأن تكون منطلقا للدعوة إلى الله تعالى فقد كان رؤساؤها منقسمين إلى قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة، وكل منهم يدعى أن القول له وليس للآخرى على الثانية قول وما كان لحريملاء رئيس يزع الجميع ويمنعهم هذا الاختلاف وكان في البلد عبيد لحدى القبيلتين كثير تعديهم وفسقهم فأراد الشيخ أن يمنعوا عن الفساد وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يحصل ذلك لعدم وجود الرئيس الوازع بل ان هؤلاء العبيد المفسدين في الأرض هموا أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سرا، فلما تسوروا عليه الجدار علم بهم أناس فصاحوا بهم فهربوا فانتقل الشيخ بعدها من حريملاء إلى العيينة^(٢).

والمصادر الأولى كما قال الدكتور العثيمين لا تشير إلى سنة انتقال الشيخ من

(١) انظر: روضة ابن غنام ٢٨/١-٣٠.

(٢) ابن بشر، عنوان المجد ٩/١.

حريملاء إلى العيينة^(١) ويميل الدكتور منير العجلاني إلى ان المدة التي قضها الشيخ في حريملاء لا تتجاوز أربعة أعوام سنتين قبل وفاة أبيه ثم سنتين بعد وفاته^(٢)، وإذا علمنا ان والده توفي سنة ١١٥٣ هـ^(٣) فيكون عام ارتحاله هو ما يقارب ١١٥٥ هـ. والله أعلم.

تحليل أسباب انتقال الشيخ بدعوته من حريملاء إلى العيينة :

وبالرغم من القبول الذي جعله الله لدعوة الشيخ إلى الإسلام وهو لا يزال في حريملاء إلا أن حريملاء كما ذكرنا ما كانت تنعم برئيس مطاع يزع جميع سكانها إلى الحق والدعوة إلى الإسلام وان كان الإسلام حقا فانه لا بد لها من أمير مطاع يزع الله به الناس جميعا فيكون بمثابة المرجع للجميع يجد فيه المحق تأييدا وتشجيعا وضمانا لحقه ورعاية لجهوده كما يجد فيه المبطل رادعا قويا يمنعه من الفوضوية والتعدي وتخريب أمن مجتمعه وحياة مواطنيه. قال الله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ (البقرة: ٢٥١).

وقال تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ﴾ (الحج: ٤٠).

ولذا يقول العالم الاجتماعي ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان : « ضرورة العمران البشري إلى السلطان الوازع بعضهم عن بعض » :

« ان الاجتماع الإنساني ضروري . . . ثم ان هذا الاجتماع إذا حصل للبشر . . . وتم عمران العالم بهم ، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم . . . فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك ، وقد تبين لك بهذا ان للإنسان خاصية طبيعية ولا بد لهم منها ، وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في الجراد والنحل لما استقرىء فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنهم في خلقه وجثثانه إلا أن

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للدكتور العثيمين ص ٤٢ .

(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٢١١ .

(٣) انظر ص ٤٨١ من هذا البحث.

ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية، لا بمقتضى الفكرة والسياسة
﴿ اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾^(١).

لذلك بعد مواجهة الشيخ للوضع السياسى فى حريملاء أدرك رحمه الله انه لا بد
للبناء والعمران الإسلامى من سلطان يحميه من هدم الآخرين وأن البناء لا يبلغ تمامه
إذا كان يوجد بجانب من يبنى أحد غيره يهدم، وأدرك رحمه الله ان السلطان مختل فى
تلك البلدة وإذا كان مختلا فلا تصلح لأن تكون مقرا للدعوة لما فى طباع البشر من
العدوان عند فقد السياسة الشرعية أو السلطة الوازعة. عندئذ تعين لدى الشيخ أن
السياسة الشرعية فى بناء البيئة الإسلامية وهدم البيئة الجاهلية تقتضى البحث عن
أمير قوى لا ينازع وليس مجرد أمير قوى لا ينازع فحسب بل مع ما أعطاه الله من
السيادة وحسن السياسة وتدبير الملك والرعية وجودة الرأى والفكرة مع هذا يكون
بصيرا فى الدين يدين بالإسلام ويقتنع بصحة الدعوة إليه والقيام بنصرته.

وحريملاء ليس فيها من هذه صفته، وكان عثمان بن معمر أمير العيينة ممن توفر
فيهم صفة الأمير، وكان الشيخ قد ابلغه الدعوة إلى الإسلام فقبل فكان المرشح من
قبل الشيخ لسد الحاجة إلى أمير يحمى منجزات الدعوة بسيفه، وينشرها بقيادته
وجهاد ونصرته فانتقل إلى العيينة، واختارها منطلقا للدعوة.

قال ابن غنام : «ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها (يعنى حريملاء) والارتحال
والاقامة بالعيينة فجد فى الرحيل والانتقال، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن
معمر لقبول هذا الدين الذى أحياء ذو القلب المنور فدخل منه شىء فى قلبه»^(٢).

هذا هو حقيقة سبب انتقال الشيخ من حريملاء إلى العيينة الذى هو كما نرى
سعى فى مصلحة الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح التى هى الإسلام، وليس شوقا
إلى مسقط رأسه ومرتع صباه العيينة ولكن هو ما ظهر له من أن العيينة أصلح بلد
تنطلق منه الدعوة إلى الله تعالى على نهج السلف الصالح واعتقادهم السليم ولذلك
لما جفاه أميرها وخذله على ما سنبينه نحول الله هاجر من العيينة وهجر مرتع صباه
ومسكنه يبحث عن ضالته فى غيرها.

(١) مقدمة ابن خلدون، ط مصطفى محمد المصرية، ص ٤١.

(٢) روضة ابن غنام ٣٠/١.

أثر إقامة الشيخ في حريملاء :

لقد كان لإقامة الشيخ في حريملاء تلك المدة أثر كبير في ما يعود على دعوته إلى الله بالفائدة فكانت إقامته وجهوده خصوصا بعد وفاة أبيه المرحلة الأولى التأسيسية وهي مرحلة البيان والنشر، فإن الشيخ بعد أن توفي والده أصبح أكبر شخصية علمية في البلدة والتفتت الأنظار إليه وإلى ما يقول من بيان للتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، مما لا عهد لأكثر الناس به حيث كانوا في غفلة عن تقرير التوحيد ونقد المجتمع والبيئة في بعدهم عنه والبراءة من الشرك وأهله حتى ولو كان أهل الشرك من الأقرباء والمعارف والأصحاب، وهذا زاد من انتشار سمعته في المناطق الأخرى، وجعل بعض الأفراد من بلدان العارض المختلفة يقدون إليه في حريملاء ليستمعوا ما يقول وما يدعو إليه، وهذه الوسيلة التي هيأها الله له جعل يوضح حقيقة الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ من عند الله تعالى، ويبين ما يصاده وينقضه من أنواع الشرك والكفر ثم يقارنه بالواقع من هذه الأمور في البيئة من حوله فانتشرت عقيدة السلف الصالح وبدأ الناس ينتبهون لما كانوا في غفلة عنه وبدأ الإحساس يقوى واليقظة تزيد، ولقيت دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح قبولا وأنصارا في بعض المدن كالعيننة والدرعية وقدم عليه طائفة من أهل العارض إلى حريملاء وكان أعظم رجل كسبه إلى الدعوة إلى الله خلال هذه المرحلة هو أمير العيننة عثمان بن معمر، والذي كان على يديه بداية تطبيق الدعوة عمليا^(١).

أثر عقيدة الشيخ في العيننة :

انتقل الشيخ إلى العيننة، وكان أميرها هو عثمان بن حمد بن عبد الله بن معمر بعد أخيه محمد بن حمد الملقب «خرفاش»، وقد هداه الله تعالى فافتنع بدعوة الشيخ، وأعلن ذلك بين رجاله المقربين، وتلقى الشيخ بالقبول وأكرمه، وتزوج الشيخ عمتة الجوهرة بنت عبد الله بن معمر، وكانت ذات مكانة عالية فقد ذكر المؤرخون أن محمد بن سعود ورفاقه لم ينزلوا من موضع تحصنهم عقب قتل محمد بن حمد بن عبد الله بن

(١) انظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني، ص ٢١١، والشيخ محمد بن عبد الوهاب... للدكتور العثيمين، ص ٤١، ٤٢.

معمر الملقب خرفاش لزيد بن مرخان إلا بعد أن أعطتهم الأمان سنة ١١٣٩ هـ^(١) ولعل الشيخ يترسم بذلك الزواج منها خطى رسول الله ﷺ من خديجة ذات المكانة العالية رضى الله عنها، وما من شك أن العلاقة بالمصاهرة تزداد متانة سببا وإن الشيخ يرجو نصرة هذا الأمير، لانه رأى بعد ما وجده في حريملاء أن المتعين اتخاذ سياسة راشدة لحماية منجزات الدعوة ومكاسبها، والقيام بنصرتها لأنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بالسمع والطاعة والسمع والطاعة إنما تكون للأمير الذى توفرت فيه ملكات الامارة مع صحة دينه وكان عثمان هذا من المرجوين لهذا المقام الجليل على حد قول الشاعر :

قد هيؤوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل
لذا فان الشيخ جاء إلى العيينة وعرض على عثمان هذه الرغبة وبين خطورة هذا الشأن وأهميته وقيمته العظمى ورشحه لمقام الإمامة فيه فقال له بعد أن استعرض ما قام به ودعا إليه من التوحيد ورغب إليه في نصرة دين الله : «إني أرجو أن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله، ان يظهر الله تعالى وتملك نجدا واعرابها»^(٢).

ثم بعد ذلك الذى عرضه الشيخ على ابن معمر ورغبه فيه من أمل الخير لمن ينصر الإسلام في الدنيا ثم الآخرة قام عثمان وساعد الشيخ فأعلن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبعه أناس من أهل العيينة^(٣).

قال المؤرخ ابن غنم : «قام معه عثمان وقعد وساعده على ذلك واجتهد وأمر الناس بالاتباع، وعدم المشاققة له والنزاع والزم الخاصة والعامة ان يمثلوا أمره وكلامه ويسلكوا سبل الاستقامة ويظهروا توقيره واکرامه فكان بعد ذلك الأمر والالزام، وصدور ذلك الاعتناء التام وشدة الرغبة والاهتمام وأبداء التعظيم له والاحتشام تسمع أقواله وتطاع وتملأ الصدور والاسماع فصار للزيغ ارتداع وقمع وإقلاع وللحق والهدى اتباع، ففشى الدين في بلدان العارض المعروفة وأكثرهم قلوبهم عن ذلك النور مصروفة، وعلى ما كانوا عليه من الأمور المألوفة ملازمة محبوسة موقوفة، ولكن لم يصبر على الإقامة بذلك المكان مع مشاهدته فيه الأوثان فعند ذلك أمر الشيخ محمد، الأمير

(١) عنوان المجد، ابن بشر، سابقة سنة ١١٣٩ هـ ج ١/٢٣٤، ٢٣٥، وانظر: الدكتور العثيمين، في كتابه الشيخ محمد... ص ٤٣.
(٢)، (٣) عنوان المجد... لابن بشر ٩/١.

عثمان بهدم القبة والمساجد المبنية في الجبيلة على قبور الصحابة وقطع الأشجار التي كانت الخلق لها في كل ساعة متتابة فبادر عثمان لذلك وامتلأ وخرج الشيخ معه وجماعتهم على عجل وخرجوا بالمعاول، والكل للأجر آمل فهدموا تلك المساجد وأزالوا رفيع المشاهد وأزالوا جميع المحظور عن جميع تلك القبور، وعدلت على السنن المشروع واندرس الأمر الممنوع وهدم رفيع ذلك البناء، وبطل ذلك التعظيم لها والاعتناء، وخر شامخ الأحجار وخر ما في العارض من معبدات الأشجار كشجرة قريوة وأبى دجانة والذبيب فلم يكن أحد إلى التبرك بهما ينب، ولم تسألها من لم تتزوج مثل العادات زوجا حبيب^(١)، وليس في تلك الأزمان بغريب وليس وقوع أقبح منه بعجيب، وكان الشيخ رحمه الله تعالى هو الذي بأشرف قطع شجرة الذبيب بيده مع بعض أصحابه فنال من ربه جزيل أجره وثوابه، وقطع شجرة قريوة ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وأحمد بن نبويلم وجماعة سواهم فأدركوا من الفوز مناهم، فلم يبق وثن في البلدان التي كانت تحت يد عثمان، وشاع ذلك واستبان ونعم بذلك أهل الإيمان وصلحوا حالا من ذلك المكان وانتشر الحق من ذلك الأوان واشتهر الأمر وبان وسارت بذلك الركبان^(٢) انتهى .

وقد نقلته بنصه من تاريخ ابن غنام لأنه تضمن وصفا واضحا لحماسة الأمير عثمان بن معمر في مناصرة الشيخ ودقيقا في ذكره ما تم من تنفيذ أمور العقيدة السلفية وما كان لها من أثر في انتشار توحيد الله بالعبادة، وزوال الشرك وعقده من أعمال الناس وقلوبهم، فانهم إذا كانوا يعتقدون مثلا ان قبر الولي يحميهم، وان الولي فيه سر النفع والضرر ثم وجدوا هذا الولي غير قادر على حماية مقامه وعظمته في النفوس ولا حماية القبة المبنية على قبره والثأر من هدمها وأهانته عرفوا بأنهم كانوا على خطأ في الاعتقاد بقدرته على النفع والضرر ومن ثم خشيته ورجائه وتقريب النذور والقرايين إليه وبذلك تكون الأعمال امضي في اقناع الناس من الأقوال وأنفع من كلام لا نفاذ له فرحم الله الشيخ رحمة واسعة .

ونستخلص وصفا للحالة النفسية والمقاومة العملية من خلال ما يذكره المؤرخ ابن بشر من قصة هدم القبة المبنية على قبر الصحابي زيد بن الخطاب رضي الله عنه

(١) الصحيح (حبيبا) وإنما جرى على السجع .

(٢) روضة ابن غنام ج ١ / ٣٠-٣١ .

التي عند الجبيلة . قال الشيخ لعثمان دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وفضل بها الناس عن الهدى . فقال : دونكها فاهدمها ، فقال الشيخ : أخاف من أهل الجبيلة ان يوقعوا بنا ، ولا استطيع هدمها إلا وأنت معي ، فسار معه عثمان بنحو ستمائة رجل ، فلما قربوا منها ظهر عليهم أهل الجبيلة يريدون أن يمنعوها ، فلما رآهم عثمان علم ما هموا به . فتأهب لحرهم وأمر جموعه أن تتعزل للحرب فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها ، وقال ابن بشر ذكر لي أن عثمان لما أتاها قال للشيخ : نحن لا نتعرضها . فقال الشيخ أعطوني الفأس فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها . ثم رجعوا فانظر تلك الليلة جهال البدو وسفهاؤهم ما يحدث على الشيخ بسبب هدمها فأصبح في أحسن حال»^(١) انتهى .

لا شك أن هذه الأعمال التنفيذية لعقيدة السلف الصالح حين تأتي في مناسبتها من أعظم وسائل التطهير واقناع الناس بصحة ما يقوله الداعية من بيان لسانی ، وإيقاظ الضمائر المتبلدة وحياء القلوب المريضة وتصحيح العقائد السقيمة ولا أدل على ذلك التيقظ والاحساس بالحياة من قصة امرأة من أهل العيينة استيقظ قلبها بالشعور الغامر بفحش الزنا والرغبة في الطهارة منه على ضوء شرع الله الذي طهر به الشيخ محمد بن عبد الوهاب العيينة من مظاهر الوثنية بهدمها واهانتها واقامة توحيد الله بالخشية والرغبة والمراقبة والتقوى ، فما كان من هذه المرأة الا ان تندفع بصدقها في التوبة وتأتي إلى الشيخ فتعترف عنده بالزنا والاحصان ترغب في تطهير نفسها من هذه الفاحشة لتنال ثواب المطهرات عند الله فأعرض الشيخ عنها وتكرر منها الاقرار ، فأراد الشيخ تطبيق سنة الرسول ﷺ وكذلك فعل فلقد التمس هل لها من عذر؟ وسأل عن عقلها فإذا هي صحيحة العقل وقال لعلك مغصوبة؟ وأمهلها الشيخ أياما فلم تزل مستمرة على اقرارها بذلك فكانت أقرت أربع مرات في أيام متواليات بما يوجب اقامة الحد الشرعي الذي هو الرجم ، فلم يكن للشيخ مندوحة عن الأمر برفعها لاقامة حد من حدود الله تعالى . . «فخرج الوالي عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت ، وكان أول من رجمها عثمان المذكور ، فلما ماتت أمر الشيخ أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها»^(٢) كما جرى من سنة رسول الله ﷺ في مثل هذه الواقعة .

(١) ابن بشر، عنوان المجد ١/٩، ١٠ .

(٢) انظر: روضة ابن غنام ٢/٢ وابن بشر في عنوان المجد ١/ص ١٠ .

وهكذا كان الشيخ - رحمه الله - يطبق عقيدة السلف الصالح في بلد العيينة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعلم الناس دينهم ويميت ما قدر عليه من البدع ويقيم الحدود ويأمر الوالي بإقامتها، ويراسل العلماء والزعماء من غير بلدة العيينة يدعواهم إلى إقامة دين الله، ويرسل الدعاة إلى البلدان النائية لبيان الدين وارشاد الناس إليه ومن بين تلك البلدان الدرعية فقد راسل قاضيها عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وراسل ثيان بن سعود وعبد العزيز بن محمد بن سعود وأحمد بن سويلم وراسل أهل الرياض وابن عبد اللطيف من أهل الأحساء وغيرهم من أهل البلدان الأخرى.

نهاية معارضة علماء السوء أمام جهاد الشيخ :

إن جهود الشيخ ودعوته إلى عقيدة السلف الصالح قد لقيت معارضة حتى من علماء! علماء السوء، عارضوا دعوة الشيخ وهي نشر لميراث رسول الله ﷺ وأحياء لسنته واتباع ملته، ولكل قوم وارث فكما أن الشيخ رحمه الله وأتباعه يرثون سنة رسول الله ﷺ فلا بد أن يكون للشيخ أعداء من شياطين الإنس والجن، الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، وكلما كان الإتياع لرسول الله ﷺ أتم كلما كانت المشابهة في تطور الأحوال أشد، ولقد بدأ أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ من علماء السوء في مقاومة الشيخ والكيد له ولدعوته منذ كان في حريملاء. ففي إحدى الرسائل التي بعثها الشيخ من العيينة إلى عبد الوهاب بن عبد الله ذكر الشيخ أن عبد الوهاب هذا منذ خمس سنوات وهو يجاهد جهادا كبيرا في رد دين الإسلام فإذا جاءه مساعد أو ابن راجح أو صالح بن سليم وأشباه هؤلاء الذين يلقنهم الشيخ شهادة أن لا إله إلا الله وأن عبادة المخلوقات كفر وإن الكفر بالطاغوت فرض قام عبد الوهاب يجاهد ويبالغ في نقض ذلك ويستهزئ به^(١).

وقال ابن غنام ما حاصله: «وأشر الناس والعلماء انكارا عليه واعظمهم تشنيعا وسعيا بالشر إليه سليمان بن سحيم وأبوه محمد فقد اتهم في ذلك وأنجد، وجد في التحريش عليه والتحريض، وأرسل بذلك إلى الأحساء والحرمين والبصرة وحشر علماء السوء ونادى وكذب عليه وبهت وزور، وبعث الطروس مترعة بالباطل والمين

(١) انظر: روضة ابن غنام ١/١٥٧، ١٥٨ وقارن بها في كتاب: الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للدكتور العثيمين ص ٤٥.

إلى علماء السوء من تلك الأقطار فقاموا معه فوراً بالإنكار وافتوا للحكام والسلاطين والأشرار بأن القائم بدعوة التوحيد خارجي وأصحابه خوارج، وليس له تثبت في الحق، وجزم كثير من علماء الأمصار وهم علماء السوء بأن هذا المبین لأثار السلف الصالح من أقبح الضلال وأشر الخوارج وحسبوا انهم إذا حرشوا عليه الحكام يفوزون بقتله وطمس دعوته مع ان بعضهم قد عرف ان الذى جاء به الحق . ولكنهم لذلك كانوا يكتمون : ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ فصنفوا المصنفات في تبديعه وتضليله وزعمهم تغييره للشرع النبوى وتبديله وعدم معرفته بأسرار العلوم وتجهيله وسطروا فيها الجزم بكفره وبطلان حجته ودليله وحكموا بأن الشيخ ساحر وكذاب ومفتري وكافر حلال الدم والمال وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح تلك الأقوال وأرهفوا أسنة المقال والكل خاض في الافك ونال، والذى تولى منهم هذا الأمر الكبير واقتحم لجح موجه الخطير وشمر فيه أعظم التشمير وتنادى عليه مع أعوانه لاجل التغيير حسدا وبغيا بالاضافة إلى سليمان بن سحيم وأبيه محمد من مطاوعة أهل الرياض كما تقدم عبد الله بن عيسى المشهور بالمويس ولد في بلد حرمه من بلدان وادى سدير وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف، ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق من الأحناء^(١).

ولقد عارض الشيخ غير هؤلاء ممن يدعى الرفعة والشأن والقدم الراسخة في العلم والعرفان مع ان أكثرهم يقر على نفسه ويعترف بأن ما أتى به محمد بن عبد الوهاب هو الحق والصواب وان هذا هو التوحيد المطلوب، ومن لم يتحقق به لم يفرق بين الرب والمربوب لكن انفت قلوبهم واستنكفوا وخشوا ان يكون اقرارهم وموافقتهم سببا في ان تسلب منهم رئاستهم ودنياهم وجاههم بين الناس فأنكروا بعد المعرفة وأصبحت ألسنتهم في ذلك مسرفة ووجوههم عن الحق منصرفة حتى أنكروا من الشرع الأمور المعروفة.

قال ابن غنام : « فذكر لنا عن تحقيق وبقين انهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة في جماعة المسلمين وتأديبهم من لم يصل جملة وجبايته الزكاة وغير ذلك من أمور الدين . وكان كثير من علماء السوء في نجد يأتون إلى رؤساء البدو

(١) روضة ابن غنام ٣١/١-٣٢ بتصرف واختصار.

ويحذرونهم وقوع الصلاة في حيهم وسماع الأذان، ويحثونهم على التمسك بقييح تلك الأديان، وما كانوا عليه من الفسق والعصيان^(١)، وقد أنكروا على الشيخ أمره الوالى باقامة الحدود فزعموا ان الشيخ لا صفة له تحوله الحكم والأمر برجم من استوجبه مثلاً، وقد رد عليهم الشيخ وبين لهم ان ما فعله هو حكم الله المؤيد بالسنة والجماعة ومما قاله الشيخ أن الأئمة من كل مذهب مجتمعون على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرف ان أحدا من العلماء ذكر ان شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم، إلى أن يقول: «ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في رد ما لا يقدرّون على جحدّه، كما إنى لما أمرت برجم الزانية، قالوا لا بد من إذن الإمام».

قال الشيخ: «فإن صح كلامهم لم تصح ولايتهم القضاء، ولا الإمامة ولا غيرها»^(٢).

هذا وقد مر بنا في مبحث البيئة من حول الشيخ أن نجدا لم يدخلها السلطان العثماني تحت نفوذه قبيل ظهور الشيخ، وإنما كانت مجزأة بين أمراء متعددين، وكل أمير مستقل بها تحت يده^(٣).

ومن أسباب مقاومة هؤلاء المخالفين أن الشيخ جاءهم بشيء استغربوه وخالف ما اعتادوه وألفوه وأشربوه في قلوبهم، ألا وهو اعلان الشيخ رحمه الله تعالى وجوب التمسك والاعتصام بالكتاب والسنة والعمل بما جاء من هدى الأصحاب وبما اختاره الأئمة الأربعة الذين شاعت مذاهبهم في الأمة، فهو وان كان يختار مذهب الحنابلة فإنه لا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب له بل يختار من المذاهب الأخرى مذهب من هو أقرب إلى الدليل والصواب الموافق للشرية، وقد أسفر كلام الشيخ عن هذا الاتجاه وظهور وشاع، فلذا طارت قلوب متعصبة المذاهب والمقلدة في العمى فرقا من هذا النور، والذي مداره على اتباع ما أمر الله به من الرد في حال التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ^(٤).

(١) روضة ابن غنام ٣٧/١-٣٨ بتصرف واختصار.

(٢) المصدر السابق: ٢٠٧/١.

(٣) انظر: ص (٢٧) من هذا البحث.

(٤) روضة ابن غنام ٣٨/١، ٣٩، ٤٠.

مع أن الرد إلى الكتاب والسنة هو الصواب المتعين والحق المطلوب من دين الإسلام بالضرورة . وفيه من أسباب الالفة والاجتماع والتوحيد بين المسلمين ، ودحر الشر والتفرق ما يغض تجار الحروب ، ومستغلى فرص التفريق والمنازعات ليسودوا ويثروا على انقراض الدمار والفساد وعبادة الأوثان والأنداد .

وكذلك قد اعتبروا الرد إلى الكتاب والسنة بدعة والحادا وخروجا عن الدين وقد زين لهم الشيطان شبهة أنهم لا يقدرّون على فهم كلام الله ورسوله ﷺ وكلام السلف الصالح وأن الأخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر^(١) .

ويمكن أن نحصر نقطة الخلاف بين الشيخ وخصومه من علماء سوء وغيرهم من أنه يقول :

كل ما يعبد الله به بجميع أنواعه يجب أن يكون خالصا لله وحده فلا يصرف منه شيء لغيره كالدعاء والذبح والنذر والتوكل والاستغاثة والاستعاذة والاستعانة وغير ذلك مما ورد به شرع رسول الله ﷺ فبين للناس ذلك وأمرهم باخلاصه لله وحده ونهاهم عن الشرك بذلك وبين لهم أن من الشرك ما هو واقع من أكثر الناس حين يدعون الأنبياء والأولياء والصالحين بل وغيرهم من الفسقة والطواغيت والمجانين من أهل القبور والمقامات والمشاهد وغيرهم من الأموات والأحياء يتعلقون بهم ويدبحون لهم وينذرون ويتقربون إليهم بأشياء إنما هي من حقوق الله التي شرعها تعالى لرسوله ﷺ وأمته ليتعبد له بها ، وبين الشيخ أن أول من ادخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة الذين يدعون عليا وغيره ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات . لذلك لم يستطع العلماء المكابرون الصمود للشيخ في ميدان الحجة والبرهان ، وغلبهم بيان الحق وأسكتهم برهانه عن الرد عليه ومناظرته ودحضت حججهم وكشفت شبهاتهم وهم قد أشربوا محبة ما اعتادوه ووجدوا عليه مجتمعهم وكبراءهم وأسلافهم من الآباء والأجداد من الشرك والفسوق وأكل الربا والسحت فلجأوا إلى الافتراء والكذب والمكر والحيل والاستعانة بتخويف الملوك والحكام وأصحاب المناصب من فوات حظهم بظهوره فكتبوا إلى رئيس الأحساء وبنى خالد «سليمان بن محمد» لأن هؤلاء الشياطين والعياذ بالله عرفوا كيف يدخلون على أمير

(١) انظر: رسالة الشيخ إلى عبد الله بن عبد اللطيف في روضة ابن غنام ج ١/ ٥٣-٥٧ ، وانظر: تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي ص ١١ .

العينة من جهته فهو يدور في فلكه وله عنده خراج ومصالح، وينقاد إلى أمره. فقالوا لأمر الأحساء - فيما قالوه من الأكاذيب: ان عثمان بن معمر قد آوى مطوعاً^(١)، يريد اخراجكم من ملككم، واثارة الناس عليكم، وأقل ما يقوله للامة ان المكوس والعشور التي يأخذها الأمراء باطلة لا يقرها الدين، وها هو يرحم امرأة من أجل الزنا بغير إذن منكم . . . إلى غير هذا من التحريش والبهتان. واثارة الملوك بما يثيرهم ويخوفهم مهما كان.

ويذكر ابن غنام انه لما جرت قضية اقامة حد الرجم في العينة كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال وطارت قلوبهم خوفاً وداخلهم من حصول تلك القضية ما لم يعاينوا قبله مثله ولم يسمعوا به منذ زمن، وذلك لما ألفوه من الفواحش مقارناً لما كانوا عليه من الشرك، ثم لما أعياهم أن يردوا الحكم المشروع بالسنة والاجماع أمام الشيخ وأنصاره، لجأوا إلى ردها بالمكر والحيلة فشكوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بنى خالد والحسا، وكان قبحه الله مغرماً بالزنا مجاهراً به غير مختف بذلك، وحكايته في ذلك مشهورة وقصصه فيه غير محصورة، فأغروه به وصاحوا عنده وقالوا ان هذا يريد أن يخرجكم من ملككم، ويسعى في قطع ما أنتم عليه من الأمور والامكاس والعشور^(٢)، فلما خوفوه بزوال محبوه وتقويت مطلوبه كتب إلى عثمان يأمره بقتله أو اجلائه عن وطنه والزم عليه وشدد وهدد.

وكذلك ابن بشر في تاريخه يذكر ان قضية الرجم كانت من الأمور التي أستغلها أعداء الشيخ في التحريش عليه، قال ابن بشر: «فلما صدرت منه هذه أعنى رجم المرأة اشتهر أمره في الآفاق. فبلغ خبره سليمان بن محمد غرير الحميدى قائد الأحساء والقطيف وما حوله من العربان وقيل له ان في بلد العينة عالماً فعل كذا وكذا وقال كذا وكذا، فأرسل سليمان إلى عثمان كتاب وقال: ان هذا المطوع الذي عندك فعل وفعل. وتهدد عثمان وقال اقتله فان لم تفعل قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء وخراجة عندهم كثير»^(٣).

(١) المطوع : اصطلاح في نجد أنه الذى يصلى بالناس ويكون عنده شئ من المعرفة.

(٢) روضة ابن غنام ٢/٣، ٣.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد ١٠/١ وانظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلانى ص ٢١٧، وتاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ تآليف حسين خلف الشيخ خزعل ص ١٤١.

أما ابن معمر فانه انهزم أمام تهديد ابن غرير ولم يثبت على المبدأ والعهد، فخذل الشيخ واستجاب لداعي الشيطان.

مواصلة الشيخ جهوده رغم خذلان ابن معمر له :

قال ابن غنم ان ابن معمر «آثر الدنيا على الدين وسلك منهج المبطلين وأمر الشيخ بالخروج ولم يكن إلى قتله سلم ولا عروج ، وذلك لما اقتضته الحكمة الالهية والعناية الصمدانية من احياء دارس السنة المحمدية والآثار السلفية فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية»^(١).

ويفصل ابن بشر وصف حالة ابن معمر لما ورد عليه كتاب صاحب الأحساء بقوله «فلما ورد عليه كتابه ، ما وسع مخالفته ، واستعظم أمره في صدره ، لأنه لم يعلم قدر التوحيد ، ولا لمن نصره وقام به من العز والتمكين ، في الدنيا ودخول الجنة في الآخرة ، فأرسل إلى الشيخ وقال له : انه أتانا خط من سليمان قائد الأحساء وليس لنا طاقة بحربه ولا اغضابه . فقال له الشيخ : ان هذا الذي أنا قمت به ودعوت إليه كلمة لا إله إلا الله وأركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أنت تمسكت به ونصرته فان الله سبحانه يظهره على أعدائك فلا يزعجك سليمان ولا يفرعك ، فاني ارجو ان ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك به بلاده وما وراءها وما دونها» فاستحيا عثمان واعرض عنه ثم تعاظم في صدره أمر صاحب الأحساء وباع بالآجل العاجل . وذلك لما علم الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى يعز من يشاء وبذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ان نصر هذا الدين والظهور والغلبة والتمكين يكون لغيره ، وعلى يد غيره ، فأرسل إلى الشيخ ثانيا وقال : ان سليمان أمرنا بقتلك ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلادنا فشأنك ونفسك وخل بلادنا»^(٢) أ - هـ .

مما نقلناه عن ابن غنم وابن بشر نتبين ان ابن معمر آثر الدنيا على الدين وباع العاجل بالآجل لما تعارض في صدره أمر صاحب الأحساء وأمر الله تعالى فأمر الشيخ بالخروج ، وقد كان الشيخ يهيء ابن معمر لأمر عظيم ، ويرجوه لمكان جليل ، وملك عريض ولكن خاب الظن فيه ، ولم ينفذ القتل الذي أمر به لأن الله تعالى أراد ظهور

(١) روضة ابن غنم ٣/٢ .

(٢) ابن بشر ، عنوان المجد ١/١٠ ، ١١ .

هذا الدين على يد غيره، وهو العليم الحكيم، يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٤٥). أما الشيخ فانه كان رغم ما جرى له من خذلان ابن معمر له على ثقة من ربه، وقد قوى الله إيمانه حتى صغرى نفسه وفي ميزان إيمانه بعقيدة السلف الصالح أمر صاحب الأحساء وخذلان ابن معمر له، وإخراجه من الوطن والمال والأهل والمسكن وبقي لديه إيمانه بصحة عقيدة السلف الصالح وإن الله ناصر دينه، وبقي حسن الظن بالله تعالى والثقة به وحده لا شريك له.

قال الشيخ حسين بن غنام :

فقد جاءنا يدعو إلى الدين بعدما عفى رسمه والأرض من نوره قفر
فجادله الأحبار فيما أتى به من الحق والبرهان يكشفه السبر
ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه وصار إليه الفلج والورد والصدر
فعودى بغيا واهتظاما ونصرة لملة آباء عليها مضى العمر
وهما بما لم يدركوا من وقية فما ناله مما أرادوا به ضر
نفته العدا لما جفته أقارب فآواه بل ساواه من خصه البر
فجاهد حتى أطلع الله بده بآل سعود حين شد له ازرا^(١)
والآن إلى الفصل الثاني. وهو: «بحث أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من
أدوار دولة أنصارها آل سعود».

(١) روضة ابن غنام ج ٢/ ص ٢٤٠، وانظر: عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، ط المعارف ج ١

ص ١٤٥، ١٤٦.

الفصل الثاني أثرها في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها آل سعود

الشيخ في الدرعية :

فيما يلي أسوق خلاصة خبر وصول الشيخ إليها وما جرى له : « لما وصل الشيخ بلد الدرعية دخلها من أعلاها وقت العصر فنزل على عبدالله بن سويلم تلك الليلة فأقام عنده ذلك اليوم ولعله هو الذي تبرم بوجود الشيخ عنده خوفاً على نفسه من محمد بن سعود^(١) ثم ان الشيخ انتقل من عنده إلى بيت تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم ، فعلم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خفية ورأوه لا يزال على سبيل الرسول ﷺ ثابتاً يدعو إلى الله على بصيرة ويقرر لهم التوحيد الذي هو أساس الدين والذي وقعت فيه الخصومة فاستقر التوحيد في قلوب هؤلاء الخصائص فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنصرتهم فهابوه فأتوا إلى زوجته (موضى بنت أبي وهطان من آل كثير)^(٢) وأخيه ثنيان الضيرير ، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة فأخبرتهما بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه فوفاً في قلوبهما معرفة التوحيد ، وقذف الله في قلوبهما محبة الشيخ^(٣) .

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . للدكتور العثيمين ص ٥٤ .

(٢) في الأصل من تاريخ بن بشر بياض والزيادة من بحث حمد الجاسر : المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد

الوهاب ص ٤ ، ٣ .

(٣) انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ج ١ / ١١ ، ١٢ وط ٣ ص ٢٤ . وروضة ابن غنام ج ١ / ٣ .

اللقاء التاريخي بالأمير الراشد :

وهذه خلاصة أيضا أنقلها عن ابن بشر وابن غنام :

دخل محمد بن سعود على زوجته فأخبرته بمكان الشيخ، وقالت له : إن هذا الرجل ساقه الله إليك ، وهو غنيمة ، فاغتنم ما خصك الله به فقبل قولها ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشارى وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته ، وألقى الله سبحانه في قلبه للشيخ المحبة ، فأراد أن يرسل إليه فقالوا سر إليه برجلك في مكانه وأظهر تعظيمه والاحتفال به لعل الناس أن يكرموا ويعظموا ، فقام محمد بن سعود من فوره وسار إليه ومعه أخواه ثنيان ومشارى ، فدخلوا عليه في بيت أحمد بن سويلم فسلم عليه ورحب به وأبدى غاية الاكرام والتبجيل ، وأخبره انه يمنعه بما يمنعه به نساء وأولاده ، وقال أبشر ببلاد خير من بلادك ، وأبشر بالعز والمنعة ، فقال الشيخ : وأنا أبشرك بالعز والتمكين ، وهذه كلمة (لا إله إلا الله) من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وهي كلمة التوحيد ، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وأنت ترى نجدا وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم لبعض ، فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك .^(١) وهكذا تم اللقاء التاريخي ، وحصلت البيعة المباركة على ذلك كما سيأتى إن شاء الله .

وأما ما يقال عن اختلاف ابن بشر عن ابن غنام في تفضيلات ما حدث للشيخ محمد منذ وصوله إلى الدرعية حتى اتفاه مع أميرها محمد بن سعود^(٢) . فهو ليس اختلافا ينقض بعضه بعضا ولكن غايته أن ابن بشر انفرد بذكر أمور فيها زيادة بيان مثل ذكره خوف ابن سويلم من نتائج حلول الشيخ في بيته ، وزيارة بعض كبار أهل البلد له سرا ، واخبارهم زوجة الأمير بالقضية واشترائها باقناع زوجها بان يستقبله استقبالا حسنا وهذه الزيادات التي انفرد بها ابن بشر لا تتعارض مع ما اتفقا فيه مثل كون الأمير محمد بن سعود سار إلى الشيخ في بيت ابن سويلم ورحب به ، ووعدته النصر والحماية وكون الأمير محمد بن سعود اشترط على الشيخ مقابل تأييده له ، عدم

(١) انظر: ابن بشر، عنوان المجد ج ١/ ١١، ١٢، وطبع وزارة المعارف ج ١/ ٢٤، وروضة ابن غنام

ج ١/ ٣.

(٢) انظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني ٩٠-٩١ فقد جعل هذا الاختلاف سببا

في تضعيف رواية ابن بشر وتبعه على ذلك الدكتور العثيمين (الشيخ محمد . . حياته وفكره) ص ٥٤-٥٥.

مغادرته بلذته ، وأن الشيخ وافقه على ذلك ، وكذلك ما انفرد بذكره ابن بشر وهو شرط آخر اشترطه محمد بن سعود على الشيخ وهو أن يقره على ما اعتاد أن يأخذه من أهل الدرعية ، أقول أن هذه الأمور التي زادها ابن بشر على ما ورد في تاريخ ابن غنام ليست معارضة مع ما اتفقنا على ذكره ، فلا يسوغ تضعيفها بمجرد أنفراد ابن بشر بها عن ابن غنام فإن ابن بشر موثوق ، ولا محل لترجيح ما ذكره أحدهما لعدم التعرض بينهما .

وكون أمر الشيخ معروفا لدى خصائص من أهل الدرعية لا ينفي ما ذكره ابن بشر ، ولا يضعفه^(١) .

ولا شك أن أمر الشيخ ودعوته إلى عقيدة السلف الصالح منذ ابتدأ به في حريملاء والعيينة من قبل ليس مجهولاً في الدرعية ، بل كان فيها من يعرفه معرفة جيدة وكان له فيها اتباع وتلاميذ كانوا يترددون عليه في العيينة ويحضرّون حلقات دروسه ويأخذون عنه ويكاتبونه ويحييهم من هؤلاء الذين يعرفونه ثنيان ومشاري أخوا الأمير محمد بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم وجماعة سواهم^(٢) وعبد العزيز بن محمد بن سعود فقد كان يكاتب الشيخ ويكتب له الشيخ تفسير سورة الفاتحة^(٣) وبين له من خلال تفسيره الأمر العظيم الذي خلق الله لأجله الجن والإنس وهو عبادة الله وحده وعدم الاشرار به في العبادة وفي ثانياً تفسيره كأن الشيخ يرمز لعبد العزيز بمقام من يقوم بالتوحيد فيستشهد له ببيت الشعر المعروف والذي هو :

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الحمل^(٤)
ولقد كان اتباع الشيخ في الدرعية يتبعون أخباره ويتشوفون إلى نصرته .

البيعة المباركة :

بعد أن تم لقاء الأمير محمد بن سعود بالشيخ محمد بن عبد الوهاب كما أسلفت في بيت ابن سويلم وسلامه على الشيخ وذكر الشيخ ما كان عليه رسول الله ﷺ وما

(١) انظر : تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني ٩٠-٩١ ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٥٥-٥٤ .

(٢) روضة ابن غنام ٣١/١ ، وانظر : تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور العجلاني ص ٩٧ .

(٣) روضة ابن غنام ٢٢٢/١ .

(٤) المصدر السابق ٢٢٣/١ .

دعا إليه وما عليه أصحابه وما أعزهم الله به من الجهاد في سبيله وأغناهم به وجعلهم إخواناً، ثم ذكر ما عليه أهل نجد في زمانهم من مخالفتهم بالشرك والبدع والاختلاف والجور والظلم، فتحقق محمد بن سعود معرفة التوحيد وفضله ورأى بعد الناس في الواقع عنه فقال للشيخ ياشيخ: إن هذا دين الله ورسوله، الذي لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به، والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكن أريد أن أشرط عليك اثنتين:

الأولى: نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا.

الثانية: إن لى على أهل الدرعية قانوناً آخذة منهم في وقت الثمار، وأخاف أن تقول: «لا تأخذ منهم شيئاً».

فقال الشيخ:

أما الأولى: فابسط يدك. الدم بالدم والهدم بالهدم.

وأما الثانية: فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها^(١).

ويقول الدكتور الغنيمين^(٢) إن إجابة الشيخ عن الشرط الثانى غير حاسمة ولكن من الواضح ان الشيخ قارن بين المصلحة العامة لدعوته وبين مسألة جزئية كان واثقاً من حلها مستقبلاً بسهولة، وهو كما قال^(٣) ثم ان محمداً بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله واقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده. ووقع تحقيق ظن الشيخ فإنه أتى إليهم غنيمة، فقال الشيخ للأمير: هذا أكثر مما أنت أخذته على أهل بلدك فتركها بعد ذلك^(٤).

(١) ابن بشر، عنوان المجد ١/١٢.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب... ص ٥٥.

(٣) علق الدكتور صالح الفوزان على ذلك بقوله: «الذي أراه أن جواب الشيخ كان حاسماً بالمنع حيث قال: يعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها» وهذا «واضح في المنع لكن بعبارة حكيمة وبشارة بالغنائم بما أباح الله عن الحرام على حد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أ - هـ.

(٤) ابن بشر، عنوان المجد ١/١٢.

ولا أدل على بركة الإسلام ولله الحمد مما أولاه الله من نعم على هذه البلاد من المال والأمن منذ العهد المبارك والبيعة الصادقة إلى يومنا هذا وما تخلف شيء من ذلك إلا بسبب المخالفة وكلما راجع القوم عهدهم عاد الله عليهم بعائده ولله الحمد والمنة .

ومعنى قول الشيخ : الدم بالدم والهدم بالهدم أى أقبر حيث تقبرون ومنزلكم منزلي ، وان طلب دمكم فقد طلب دمي وان هدر دمكم فقد هدر دمي^(١) وهذا فيه إشارة إلى ما ورد في سيرة ابن هشام ان أبا الهيثم بن التيهان قال يارسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا وانا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله ان ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال : بل الدم بالدم ، والهدم بالهدم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالتهم . قال ابن هشام . ويقال : الهدم الهدم أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم^(٢) .

أثر العقيدة السلفية ينشط في الدرعية :

ولما استقر الشيخ في الدرعية ومنع ونصر وجهه بالدعوة إلى الله تعالى معززا ، ينشر الإسلام وساعده على ذلك الأمير محمد بن سعود بكل ما لديه بلا فتور ولا ضجر وقام مع الأمير وزراؤه وأعدائه وأنصاره من أهل الدرعية وإخوانه ومن مشاهيرهم ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وفرحان بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغيشر وسليمان الوشيقرى ومحمد بن حسين وأخوه محمد وغيرهم فجردوا للدعوة همهم وعزائمهم وقاموا بها من غير كسل ولا تهاون وكانت بداية هذه القومة في سنة سبع وخمسين ومائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ^(٣) .

وبقي الشيخ - رحمه الله - على مناصحة الناس وعرض الحق وبيانه وكشف الشبه عنه قريبا من سنتين ، وخلال ذلك كان قد تسلل إليه أنصاره الذين في العينة ومن ينتسب إلى السدين ومعهم أناس من رؤساء المعامرة منهم عبد الله بن محسن وأخوه زيد وسلطان المعامرة معاكسين لعثمان بن معمر على ما يقول ابن بشر^(٤) وعبد

(١) انظر : لسان العرب ١٨٥ .

(٢) الروض الانف ٢/ ١٨٩ ، ٢١٤ .

(٣) عنوان المجد ١/ ١٢ . روضة ابن غنام ٤/ ٢ . والمقصود بالمعامرة - آل معمر .

(٤) عنوان المجد ٢/ ٤٣ .

الله بن غنام وأخوه موسى وهاجر مع هؤلاء خلق كثير كما أخذ كثير من أنصار الشيخ وتلامذته في مختلف بلدان نجد يقدمون عليه ويهاجرون إليه^(١)، حتى ان عثمان بن معمر نفسه على ما يقول ابن بشر لما علم ان محمد بن سعود آوى الشيخ ونصره وان أهل الدرعية فرحوا به والذين كانوا عنده في بلده هاجروا وتركوه وان أمر الشيخ قوى وصار إلى زيادة، ندم ابن معمر على ما فعل من اخراجه وعدم نصرته، وخاف منه أمور تفاقم عليه، فركب في عدة رجال من أهل العيينة ورؤ سائها فقدم على الشيخ في الدرعية، وحاوله على الرجوع معه ووعدته نصره ومنعه - فقال الشيخ : ليس هذا إلي إنما هو إلى محمد بن سعود، فان أراد أن أذهب معك ذهبت، وان أراد أن أقيم عنده أقمت ولا استبدل برجل تلقاني بالقبول غيره، إلا ان يأذن لي فأتى عثمان إلى محمد، فأبى عليه ولم يجد إلى ما أتى إليه سبيلا فرجع إلى بلده^(٢)، وكان أهل الدرعية في غاية الجهالة وقد وقعوا فيها وقعوا فيه الشرك الأكبر والأصغر والتهاون بالصلاة والزكاة ورفض شعائر الإسلام^(٣) وهم يومئذ في غاية الضعف وضيق المؤونة^(٤)، فتخولهم الشيخ بتعليمهم وتلقينهم التوحيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمر بتعلم معنى (لا إله إلا الله) وانها نفي وإثبات.

(فلا إله) تنفي جميع المعبودات - (وإلا الله) تثبت العبادة لله وحده لا شريك له. ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الأصول: وهى معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته وإلهيته، كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والأرض وما عليها من الأدلة من القرآن. ومعرفة الإسلام وانه تسليم الأمر لله وهو الانقياد لأمر الله والانزجار عن مناهيه. ومعرفة أركانه التى بنى عليها وما عليها من الأدلة من القرآن ومعرفة النبى ﷺ واسمه ونسبه ومبعثه وهجرته ومعرفة أول ما دعا إليه وهى (لا إله إلا الله) ثم معرفة البعث وأن من أنكره أو شك فيه فهو كافر. وما على ذلك من الأدلة من القرآن والسنة، ومعرفة دين محمد ﷺ وأصحابه وهو التوحيد ودين أبى جهل واتباعه وهو الشرك بالله تعالى.

(١) المصدر السابق.

(٢) عنوان المجد ١٣/١. وروضة ابن غنام ٤/٢.

(٣) المصدر السابق ١٤/١.

(٤) المصدر السابق ١٣/١.

فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد بعد الجهالة أشرب في قلوبهم محبة الشيخ وأحبوا المهاجرين وآوؤهم^(١).

وكان المهاجرون في أضيق عيش وأشد حاجة وابتلوا بلاء شديداً، وكان الشيخ ينفق عليهم ما استطاع ويستدين لذلك وكانوا في الليل يأخذون الأجرة ويحترفون، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة^(٢).

انطلاق الدعوة وبدء الجهاد :

ثم ان الشيخ كاتب أهل البلدان ورؤ ساءهم وقضاتهم ومدعي العلم منهم فمنهم من قبل واتبع الحق، ومنهم من اتخذ سخرى واستهزأ به ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة ومنهم من نسبته إلى السحر، ومنهم من رماه بأشياء هوبرى منها^(٣)، واستمر الشيخ على المناصحة والدعوة والمكاتبة مدة سنتين حتى عام ١١٥٩ هـ من غير غزو ولا مقاتلة ومن قام الشيخ والأمير محمد بن سعود بمناصحته دهام بن دواس رئيس بلد الرياض فاجتهدا في مناصحته غاية الاجتهاد ولكن دهاما لم يقبل الحق واعرض عنه واشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فحمله ذلك على البغى والحسد فأبطن عداوة أهل الدين رغم اقراره بانه دين الحق واطهر موالاة المبطلين. وكان قد فشا الإسلام والسنة في بلده ودخل في ذلك كثير منهم فصار إذا رأى من جماعته من يجب هذا الدين ويفشيئه أخذ يصادره ويتعرض له بصنوف الأذى، وإذا رأى عدواً قربه وآواه وجعل يتزايد في العداوة ويتظاهر بقمع الحق ويعلن القبائح الشنيعة وقد كانت أخلاقه القديمة وأفعاله السابقة غير محمودة ولما جاءه الحق زاد في طغيانه وشره، وحاكى بأفعاله الفاجرة نمرود وفرعون فأخاف أهل منفوحة لأنهم دخلوا في دعوة الشيخ وتبعوا الإمام محمد بن سعود فعدا عليهم صباحاً ومعه بعض البوادي من آل ظفير على غرة وغفلة لانهم ما كانوا يتوقعون ذلك منه وهو صديق لمحمد بن سعود فيما يتظاهرون به لان محمد بن سعود سبق ان اعانه على ثورة من أهل الرياض ضده ولكنه فجأهم واحتل قصر الامارة وقهرهم ساعة ثم ان الله سبحانه اعقب أهل منفوحة بالنصر والفرج فكانت الدائرة على دهام وحزبه وقتل من أشراهم ورؤ سائهم أحد عشر رجلاً تقريباً

(١) المصدر السابق ١٤/١.

(٢) المصدر السابق ١٣/١.

(٣) المصدر السابق ١٤/١.

وجرح دهام نفسه وعقر حصانه فهرب هو ومن معه وقد باء بالفشل ، ولكنه قد افتضح باظهاره عداوة أهل الدين فزاده ذلك تماديا وأعلن محاربة محمد بن سعود لاجل ذلك ونذر جزوراً لتاج بن شمسان ان تغلب على ابن سعود^(١).

عند ذلك أمر الشيخ بالجهاد وحض عليه^(٢) ، وكان هذا في سنة ١١٥٩ هـ بعد مضي سنتين من اتفاق الأمير محمد بن سعود مع الشيخ على القيام بالإسلام لأن وقت الجهاد قد حان وهو من واجبات الدين والخطر أصبح وشيكا على النفس والحرمة والفتنة كائنة على أهل السنة وليس من ذنب ينقمه العدو إلا الإيثار بالله واقامة سنة رسوله ﷺ وقد قامت عليه الحجة .

والأمر كما قال أبو تمام :

وما هو إلا السوحى أوحد مرهف تميل ضباه أخذعني كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عاقل وهذا دواء الداء من كل جاهل
هو الحق ان تستيقظوا فيه تغنموا وان تغفلوا فالسيف ليس بغافل^(٣)

وكما قال شوقي يعنى رسول الله ﷺ :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا لقتل نفس ولا جاؤا السفك دم
جهل وتضليل وأحلام وسفسطة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما اتى لك عفوا كل ذى حسب تكفل السيف بالجهال والعمم^(٤)

وكما قال شاعر :

وما الدين إلا أن تقام شريعة وتأمين سبل بيننا وشعاب^(٥)
وأبلغ من ذلك قوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ (البقرة: ١٩٣) .

وقد قال الشيخ في رسالته إلى السويدي : « وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى

(١) روضة ابن غنام ٧، ٦/٢ .

(٢) ابن بشر، عنوان المجد ١٤/١ .

(٣) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ٨٤ ، وابن بشر، عنوان المجد من تعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف ١/ص ٢٦ .

(٤) الشوقيات ج ١/٢٤٢ .

(٥) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ٨٤ .

اليوم إلا دون النفس والحرمة وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا^(١) ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقاتلة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ﷺ بعدما عرفه والسلام»^(٢).

ومنذ بلغ ابن سعود وإخوانه من المسلمين غدر دهم بن دواس واعتادوه على أهل الدين حدثوا نفوسهم بالجهاد في سبيل الله تعالى وحين رآه الشيخ متعينا لمثل غدرات ابن دواس وغيره بأصحاب السنة المحمدية، أمر به وحض عليه فتعاهدوا على أن تكون أول عدوة يعدونها مبتدئين بها جهاد أعداء الدين على دهم بن دواس في قصره، فكان ذلك ووفوا بعهدهم^(٣).

فأقاموا علم الجهاد في سبيل الله، لأن الجهاد في سبيل الله من الواجبات الدينية وهو ذروة سنام أمر الدين^(٤).

وما زالوا على ذلك يجاهدون في سبيل الله وينشرون دين الله تعالى ومحمد بن سعود إمامهم صابر على عداوة الأدنى والأقصى من أهل نجد ومن الملوك المجاورين من كل جهة، وقتل أولاده فيصل بن محمد، وسعود بن محمد، فما زاده إلا قوة وصلابة في دينه على ضعف منه وقلة في العدد والعدة، وكثرة من عدوهم وفاء بعهد والتزاما بوعده، واحتسابا لموعد ربه لمن نصر دينه، وفيها جرى منه شبه بما جرى من الأنصار في بيعة العقبة^(٥).

وليس الأمر كما يزعمه بعض الباحثين في عصرنا هذا حتى مائل بعض المستشرقين من غير قصد أن الحروب الإسلامية كان يدفعها جور المسلمين ومشكلات دنيوية فزعم هذا الباحث أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يخطط لدعوته مراحل، وأنه أمر بالجهاد «لتنقل دعوته إلى مرحلة جديدة ينال فيها بالقوة ما عجز عنه بطريقة الاقتناع والاغراء»^(٦) وإن الأمير محمد بن سعود كان مستعدا للقتال من أجل الدعوة خاصة أنها وسيلة من وسائل توسيع نفوذه، وإمكان تحقيق كثير من

(١) المعنى : لم يبقوا شيئا ممكنا من اذاننا إلا فعلوه.

(٢) روضة ابن غنام ١/١٥٤.

(٣) روضة ابن غنام ٧/٢، عنوان المجد... لابن بشر ١٨١٧/١.

(٤) انظر: آخر رسالة الأصول الثلاثة للشيخ.

(٥) انظر: الدرر السنية ج ١١ / ص ٦١، ٦٢.

(٦) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٨٥.

النجاح العسكري في بداية الأمر دون تدخل خارجي ، وأن امكانيات الدرعية الاقتصادية محدودة وكان على قادتها ان يجدوا حلا لمشكلة ازدياد الوافدين إليها من أنصارهم الفقراء ، وان هؤلاء الوافدين مؤهلون لأن يلعبوا دورا كبيرا في تأسيس جيش قوى^(١).

فكل هذه الالتواءات والتعليلات مكشوفة يراد منها ان الشيخ وابن سعود واتباعهم إنما قاتلوا للظفر والنفوذ وحل المشكلة الاقتصادية . وهذا غير صحيح . أما ان الشيخ رحمه الله أمر بالجهاد فنعم أمر به حين رأى أن وقت الجهاد قد حان تعبدا لله تعالى وجهادا في سبيله بكل أنواع الجهاد وأحواله التي تحدث لهم بحول الله وتديره والشيخ يرصد حاله وأحوال من معه وما يجري لها من تغيرات ويستلهم من شريعة الله أحكام تلك الأحوال المتغيرة فيقوم بتنفيذها تعبدا لله وقياما بالواجب الذي فقهه من دين الله تعالى ، وكذلك من كان معه على شيء من فقه الإسلام والتحدث عن مقاصد الشيخ ومقاصد أمثاله وأعوانه على ضوء قياسها بمقاصد أهل السياسة الدنيوية والخطط الماكرة في سبيل الدنيا يعتبر ظلما وتعديا عليه وقصورا عن مستوى حسن الظن بالمسلم ولكن الواجب إذا تحدثنا عن مقاصد الشيخ ونواياه أن نتحدث عنها على ضوء ما يظهره ويدعو إليه ، أما السرائر وما لا نعلمه فنكله إلى الله تعالى مع وجوب حسن الظن فيمن يظهر منه الخير والرشد والصلاح . وكذلك محمد بن سعود لا نظن به انه قام بنصرة الإسلام لانه وسيلة لتوسيع نفوذه أو استقلاله عن سيادة الأتراك كما يقوله صاحب كتاب الفكر السامي^(٢) . فانه إنما قام بنصرته لانه دين الله ورسوله ﷺ بالدرجة الأولى - كما قال ذلك عند لقائه بالشيخ رحمه الله ، وما كانت ظروف الدرعية المشكلة من ناحية الاقتصاد هي الدافع للقتال فان أولئك القوم تركوا تنمية اقتصادهم مختارين ليقوموا بتنمية دينهم وعلمهم به فكيف ينحرفون لحل مشكلاتهم الاقتصادية بالقتال وسفك الدماء ليأخذوا أموال الناس ويستولوا على أملاك الغير ، بطريقة جاهلية الا يمكن حل مشكلتهم الاقتصادية بالتجارة ومزاولة أسباب المعيشة ولو في خارج البلدة لو كانوا إنما أرادوا حل المشكلة الاقتصادية؟ لكنهم بالجهاد أرادوا

(١) المصدر السابق ، نفس الموضع .

(٢) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ج ٢ ص ٣٧٤ .

اعلاء كلمة الله ونشر الإسلام وما جاءهم من الغنائم من غير أن يقصد ، قبلوه
وتعاملوا به على ما يرضى الله تعالى .

وليس صحيحاً ما يزعمه مؤلف كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي
محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي من أن ابن سعود توصل بنشر دعوة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب لامنيته وهي الاستقلال والتملص من سيادة الأتراك^(١) .
والواقع أن ابن سعود ونجداً كلها لم تكن تحت سيادة الأتراك كما أثبتناه فيما سبق^(٢) ،
وابن سعود كان مستقلاً ليس لأحد عليه ولاية من الأمراء والسلطين حتى أن العداء
كان قائماً بينه وبين سليمان بن محمد زعيم بني خالد ورئيس الأحساء^(٣) .

محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود :

يتفق الدكتور العجلاني والدكتور العثيمين على استقرار إمارة الدرعية عشرين
سنة في يد محمد بن سعود قبل مبايعته للشيخ مما يدل على حكمة الرجل وحسن
سياسته وقضائه على دسائس المنافسين في الداخل والدفاع ضد الأعداء والطامعين
من الخارج ويبذوانه على صلات حسنة مع أمير العيينة لأن ابنه عبد العزيز تزوج
بنت عثمان بن معمر ، وأما أمير الرياض دهام بن دواس فإنه كان مديناً لمحمد بن
سعود ببقائه في الإمارة لأنه أنجده بعدد من الجنود حين ثار عليه أهل الرياض فاستقر
له الحكم^(٤) .

وعلى أية حال فإذا كان ليس أحد يصلح للسياسة والحكم والإمارة^(٥) فإن محمد
بن سعود قد امتاز على غيره بما وهبه الله من ملكات الإمارة والحكم وأنه كما يقول
المؤرخ حسين بن غنام : « كان في جاهليته يحسن السيرة معروفًا وبالفاء وحسن
المعاملة موصوفًا ، مشهوراً بذلك دون من هنالك وكان من وفائه أن وفي بكفاله لزيد

(١) الفكر السامي ... ٣٧٤/٢ .

(٢) انظر ص (٢٧) من هذا البحث .

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب ... للدكتور العثيمين ص ٥٣ .

(٤) روضة ابن غنام ٦٠٥/٢ ، وانظر: تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور العجلاني ص ٦٤ ، ٦٣ .

- وانظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور العثيمين ص ٥٣ .

(٥) انظر: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، رسالة ماجستير ، أعدها صالح العبود ص ص

١٢٥-١٢٦ .

بن مرخان وفاء كلفه ثمنا باهظا أدى إلى قتل عمه مقرر بن محمد لما خفر الأخير ذمة ابن أخيه بقتله زيد بن مرخان غدرا^(١)، ثم ان الأمير محمد بن سعود^(٢) قد أدرك بصفاء بصيرته وسلامة تفكيره انه لا مطمع للشيخ في الامارة ولا في الرئاسة ولا في أى علو في الأرض ولا فساد من دعوته بل ان دعوته إلى صلاح الدين والدنيا معا، إلى عقيدة السلف الصالح وتيقن من خلال ما سمعه من الشيخ ورآه ان نصيحته صادقة وعرضه صحيح وأن القيام بنصر دين الله ورسوله ﷺ سبب للنصر والعز والتمكين وحصول الملك، وزاد يقين الأمير رسوخا ما بينه الشيخ له من ان الله سيمكن من يقوم بنصر (لا إله إلا الله) ويعزه ويورثه الملك، وان الأمة بحاجة إلى اقامة الدين، واصلاح ما أفسد الناس، وأن هذا واجب عليه .

فقبل محمد بن سعود وأصبح هو المؤسس لدولة آل سعود وهو الذى سن سنة حسنة لبنيه بمناصرة دين الله واکرام علماء السنة وهذا ما يحققه الدكتور العجلانى أيضا حيث يقرر ان مؤسس دولة آل سعود هو محمد بن سعود بمبايعته للشيخ محمد بن عبد الوهاب على اخلاص العبادة لله وحده واتباع حكم الإسلام الصحيح فى سياسة البلاد^(٣) واقامة علم الجهاد فى سبيل الله تعالى .

وأقول ان مبايعته للشيخ على ذلك لدليل على عظيم عقله ، وبعد همته وطموحه وتوفيق الله له .

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم :

«وكفى برهانا على شجاعته وثبات جأشه وشهامته وارادته الحديدية ، وعزمه البات ، وقوة إيمانه وسائر خصاله الحميدة ايواؤه للشيخ ، وقيامه بنصرته ، وقد رأى وعلم ما وراء ذلك من الأخطار ، وتأليب الملوك والأمراء ، وعامة الناس عليه ، ولولا انه هو الأوحد ، فرد زمانه ، لما نجح فى توطيد دعائم ملكه ونشر سلطته على البلدان وتوحيد كلمة التوحيد تحت لوائه بين خطوط سود ، ونضراء أقوياء ، وتكالب من جميع أطراف جزيرة العرب ، فلهو القائد الباسل ، والأوحد الحلال فلما قام بنصرة هذا

(١) روضة ابن غنام ٣/٢ .

(٤) انظر: عنوان المجلد لابن بشر سابقة سنة ١١٣٩ ج ١/٢٣٤-٢٣٥ .

(٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ص ٤٦ ، ٤٧ .

الشيخ والأخذ بساعده إلا عن اعتقاد راسخ وإيمان قوى^(١).

ونستطيع ان ندرك من خلال حديث اللقاء والبيعة بينه وبين الشيخ أنه مدرك لحقيقة الإسلام ومميز لما هو من دين الله ورسوله من غيره بما آتاه الله من صفاء الفطرة ونفوذ البصيرة وما بلغه من الحجة على يد الشيخ وغيره فكان من صدقه ووفائه استجابته وعدم استنكافه عن قبول الحق لما جاءه وإن كان قد جاءه من مستضعف ثم ادرك شيئاً بعيداً فاشترط على الشيخ ان نصرهم الله ان لا يرتحل عنهم إلى غيرهم لانه رحمه الله ذو فراسة وذكاء ومن أعظم العقلاء، وانه حين لقي الشيخ ورآه عرف الصدق في وجهه وبديته وتحقق في قوله وحاله حلية أولياء الله وكل عاقل يرغب في أولياء الله وفي قريهم وفعلاً وقع ما كان يتوجسه محمد بن سعود من مجيء ابن معمر نادماً يطلب عودة الشيخ إليه^(٢).

وحيث كان شأن العاقل ان ينقاد لأولياء الله فقد انقاد الأمير محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبد الوهاب لأن الأمير من أعظم عقلاء زمانه والشيخ من أعظم أولياء زمانه.

قال أبو نعيم في حلية الأولياء : «واعلم ان لأولياء الله تعالى نعوتاً ظاهرة وأعلاماً شاهرة، ينقاد لمواالاتهم العقلاء والصالحون، وذكر من نعوت هؤلاء الأولياء ما رواه بسنده عن رسول الله ﷺ : «رب أشعث ذى طمرين تنبوعه أعين الناس لو اقسم على الله عز وجل لا برة»^(٣).

وكان الشيخ في تلك الآونة ضعيفاً مستضعفاً أشعث من السفر قد نبت عنه أعين الناس، أهل الدنيا والبأس إلا أنه من أولياء الله ومن العلماء بشريعة محمد ﷺ الأمناء، فلا ينقاد له ويوافقه إلا ذو عقل صريح كما هو الشأن من موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح فكان بتوفيق الله ومعونته وفضله على أهل الجزيرة ان وفق لأمر عظيم الفراسة كبير القلب راجع العقل حيث اغتنم أعظم فرصة وغنيمة سبقت إليه وكانت سبب ارتفاعه وارتفاع ذكره وذكر نسله من بعده وعزه في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى فرحة الله عليه وعلى خلفه من اسلاف صالحين وبارك في المعاصرين

(١) الدرر السنية ٢٩/١٢.

(٢) انظر: ص ٦٦٥ من هذا البحث.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم ٧-٥/١.

من خلفه وثبتهم على أسباب رضى رب العالمين، الذى هو عزهم وسبب نصرهم آمين. هذا وما زال الإمام محمد بن سعود وفيما بالعهود حتى لقي ربه.

وبعد وفاة الإمام محمد بن سعود سنة ١١٧٩ هـ بويع لابنه عبد العزيز بن محمد إماما للمسلمين، بايعه الخاص والعام، والشيخ محمد هو رأس ذلك النظام^(١).

وللإمام عبد العزيز مكانة خاصة من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية فمنذ ان كان صغير السن كان له اهتمام بعلم الشيخ فلقد كتب للشيخ والشيخ إذ ذاك فى العينة عند ابن معمريأله ان يكتب له تفسير الفاتحة، فكتب الشيخ ذلك، وقد ضمن تفسير سورة الفاتحة عقيدة السلف الصالح، وأرسلها إلى الأمير عبد العزيز وقد ناهز الاحتلام^(٢)، وما من شك ان تلقي العلم فى هذه الفترة من العمر له كبير الأثر والرسوخ.

ولذا فقد اجتمع فى الإمام عبد العزيز مؤهلات الامارة وملكانتها ومواهبها مع رسوخه فى العلم وسلامة العقيدة منذ نعومة اظفاره فهو ليس أميرا يناصر الحق بقوة السلطان فحسب بل مع ذلك عالم ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان.

ولهذا الإمام رسالة جليلة القدر، لها أثر كبير وواسع فى نشر عقيدة السلف الصالح افتتحها بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله - ثم قال: من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من العلماء والقضاة فى الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب ثم أخذ يشرح عقيدة السلف الصالح بالبيان الواضح والأدلة القويمة والبراهين العظيمة فتكلم عن الحكمة من ايجاد الله الخلق، ومعنى كلمة التوحيد والشفاعة والوساطة وحق الله وحق رسوله ﷺ وأوليائه، وعن خصوم أنصار العقيدة السلفية خصوصا أنصار الشيخ الإمام، وعن ارادة الله القدريّة الكونية وارادته الشرعية، وأن المشروع للموتى وللنبي ﷺ الدعاء لهم لا دعاؤهم، وبيان ما يفعل عند قبره ﷺ والمآثور من نهيه عن اتخاذ قبره ﷺ عيدا وحديث شد الرحال، والنهى عن اتخاذ القبور مساجد، وانكار عبادة القبور بالدعاء وغيره وبيان كونها شركا، وأن حقيقة التوحيد تقتضى الإيـمان بالله وعبادته وحده وعدم الشرك به

(١) روضة ابن غنام ٧٤/٢.

(٢) انظر: روضة ابن غنام، ج ١ ص ٢٢٢ وما بعدها. وانظر: ص ٤٩٩ من هذا البحث.

ووصف دين المشركين وبيان الشرك الأصغر والأكبر وبيان التوسل الصحيح، والنهي عن الاقسام على الله بمخلوق. ثم يُبين ما هي الوسيلة؟ ويُكمل وجوه الرد على المشبهين بالحديث لتجوز دعاء غير الله تعالى، ويبين ان العادة هي عداوة القبوريين لأهل التوحيد ورميهم إياهم بالعظائم والجرائم، ونسبة كل قبيح إليهم وتغيير الناس عن الموحدين بانهم يتنقصون الصالحين، ثم ختام هذه الرسالة بالتوجيه إلى القرآن الكريم وإلى حديث الرسول ﷺ والعمل بهما والاستغناء بالسنة النبوية عن البدع والشرك والتخرصات والشطحات التي هي وساوس الشيطان والنفوس المتبعة للهوى. وقد استغرقت هذه الرسالة ما يقارب من (٣٤) صفحة كبيرة^(١).

وله رسالة إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم أرسلها مع رجل منهم اسمه محمد خلفا للنواب وفد عليهم واقام عندهم مدة طويلة واشرف على ما هم عليه من الدين الحق وما يدعون إليه الناس ويقاثلونهم عليه ويأمرونهم به وينهونهم عنه ويقول في تلك الرسالة ان حقائق ما عندنا يخبركم بها اخونا محمد من الرأس وذكر لهم جملة ما هم عليه من عقيدة السلف الصالح^(٢).

وكتب أيضا إلى أهل المخلاف السليمانى بناء على طلب واحد منهم اسمه الشريف أحمد قدم عليهم ورأى ما هم عليه وتحقق صحة ذلك لديه ثم التمس من الإمام عبد العزيز ان يكتب له ما يزيل الاشتباه ليعرف أهل هذا المخلاف دين الإسلام وعقيدة السلف الصالح فضمنها ذلك رحمه الله ومما قال: «فلما من الله علينا بمعرفة ذلك وعرفنا انه دين الرسل اتبعناه، ودعونا الناس إليه، والا فنحن قبل ذلك على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله من عبادة أهل القبور والاستغاثة بهم والتقرب إلى الله بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب الأمور المحرمات وترك الصلوات وترك شعائر الإسلام حتى أظهر الله تعالى الحق بعد خفائه واحيى أثره بعد عفائه على يد شيخ الإسلام فهدى الله تعالى به من شاء من الأنام وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب - احسن الله له في آخرته المآب فأبرز لنا ما هو الحق والصواب من كتاب الله المجيد وسنة رسوله ﷺ وكلام الأئمة الأعلام الذين أجمعت الأمة على درايتهم. ثم مضى يبين ما هم عليه من التزام عقيدة السلف الصالح.

(١) الهدية السنية لابن سحمان. أولها.

(٢) الدرر السنية ج ١ ص ١٤٣-١٤٦.

وله رسائل أخرى ونصائح رحمه الله موزعة في الدرر السنية وغيرها^(١).

وطلب الإمام عبد العزيز من الشيخ محمد، أن يكتب رسالة موجزة في أصول الإسلام ليتعلمها الناس، فكتب الشيخ ثلاثة الأصول، وهى معرفة الرب المعبود، والرسول ﷺ، ودين الإسلام بالأدلة، مبنية على مسائل القبر الثلاث من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وأرسلها الإمام عبد العزيز إلى جميع النواحي وأمر الناس أن يتعلموها في المساجد على يد أئمتها وطلبة العلم، وإن يعملوا بها جميعاً بدون استثناء، فصاروا يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشائين عن معرفة ثلاثة الأصول.

وقد كتب بصيغ مختلفة مطولة ومختصرة وباللغة الفصحى وبالعامة على حسب طبقات الناس، وعلى مستوى كل طبقة وما يناسبها وكان الشيخ يعلمها الناس في الدرعية ويأمرهم بتعلمها^(٢)، والحق بها شروط الصلاة وأركانها ونحو ذلك من أمور الدين التى لا يسع أحداً من المسلمين جهله.

وأرسل الإمام عبد العزيز برسائل للشيخ منها كتاب التوحيد إلى الوزير سليمان باشا في بغداد نصيحة له^(٣)، فأحاله الباشا إلى عبد الله أفندى الراوى البغدادى خطيب المسجد المنسوب للوزير سليمان باشا، فقام الراوى بالرد عليها برسالة مضمونها ان التوحيد مختص بمعنى الربوبية فالإله اسم مختص بالخالق الرازق الضار النافع فحسب^(٤). فرد عليه محمد بن علي بن غريب بالكتاب المسمى: «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق» وفند شبهه، وكسر تحدياته وأرسل إليهم في العراق ووجد مخطوطاً في بغداد عند رجل يقال له الملا دليم - ليس له عنوان، وليس عليه اسم مؤلفه. ثم طبع عام ١٣١٩ هـ بالمطبعة الشرقية بمصر وجعل اسمه: «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق» ونسب تأليفه للشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وليس له، وإنما هو لشيخه محمد بن غريب المذكور، ذلك أن في الكتاب مسائل يبعد أن تصدر من الشيخ سليمان في علمه وتحقيقه، مثل قوله: «فالله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو تعالى كما كان

(١) الدرر السنية ج ١ ص ١٤٦-١٤٨، وانظر: ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) عنوان المجلد لابن بشر ج ١ ص ١٤ وص ٩٠، ٩١.

(٣) الدولة السعودية الأولى، للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ص ١٩٢.

(٤) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق ص ص ١٠، ١٧.

قبل أن يخلق المكان»^(١) وبثل هذه العبارة ليست على طريقة السلف في العقيدة فإن المعطلة يقصدون بها: نفي استواء الرب على عرشه استواء حقيقيا يليق بجلاله^(٢) بالإضافة إلى أن صاحب السحب الوابلة ذكر أن ابن غريب هو الذى رد على أهل العراق.

ويوجد لكتاب التوضيح هذا نسخة خطية في المكتبة السعودية بالرياض ناقصة من الآخر قليلا بخط حسن، وعليها تملك الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ عام ١٣١٩ هـ ثم انتقلت منه إلى أخيه الشيخ محمد بن عبد اللطيف^(٣). وبغض النظر عن الغلط الموجود في الكتاب كما ذكرنا فهو ذو أثر بالغ في نشر عقيدة السلف الصالح خصوصا في بيان معنى التوحيد.

ويقول ابن بشر:

وكان عبد العزيز كثير الخوف من الله والذكر. أمر بالمعروف ناهيا عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم. ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته لا يتعاضم عظيما إذا ظلم فيقمعه عن الظلم، وينفذ الحق فيه، ولا يتصاغر حقيرا ظلم فيأخذ له الحق ولو كان بعيد الوطن. وكان لا يكثر ث في لباسه ولا سلاحه، بحيث أن بنيه وبنى بنيه محلاة سيوفهم بالذهب والفضة ولم يكن في سيفه شيء من ذلك إلا قليلا. وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، ويصلى فيه صلاة الضحى. وكان كثير الرأفة والرحمة بالريعية، وخصوصا أهل البلدان باعطائهم الأموال وبث الصدقة لفقرائهم والدعاء لهم، والتفحص عن أحوالهم، يقول ابن بشر: وقد ذكرلى بعض من أثق به أنه يكثر الدعاء لهم في ورده. قال وسمعتة يقول: اللهم ابق فيهم كلمة لا إله إلا الله حتى يستقيموا عليها ولا يجيدوا عنها. وكانت الأقطار والريعية في زمنه آمنة مطمئنة في عيشة هنيئة. وهو حقيق بأن يلقب مهدي زمانه. لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة أى وقت شاء، شتاء وصيفا، يمنا وشاما، شرقا وغربا في نجد والحجاز واليمن وتهامة وعمان وغير ذلك، لا يخشى أحدا إلا الله، لا سارقا ولا

(١) انظر: التوضيح ... ص ٤٣.

(٢) حاشية، بقلم محمد بن مانع على كتاب تحفة المستفيد، قسم ٢ ص ١٠٤ حاشية رقم ١. وعلماء نجد خلال ستة قرون للباسام ٩١٥/٣، ٩١٦.

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون ٩١٥/٣، ٩١٦.

مكابرا، وكانت جميع بلدان نجد من العارض والخرج والقصيم والوشم والجنوب وغير ذلك من النواحي، في أيام الربيع يسيبون جميع مواشيهم في البرارى والمقالى (١) من الابل والخييل والحياد، والبقر والأغنام، ليس لها راعى ولا مراعى بل إذا عطشت وردت على البلدان ثم تصدر إلى مفاليتها حتى ينقضى الربيع، أو يحتاجون لها أهلها لسقى زروعهم ونخيلهم. وربما تلقح وتلد، ولا يدرى أهلها إلا إذا جاءت وولدها معها، إلا الخييل الجياد فإن لها من يتعاهدها في مفاليتها لسقيها وحدها بالحديد. وكانت ابل أهل سدير ونجائبهم وخیلهم مسيات أيام الربيع في الحمادة وفي أراط والعبلة، ومعها رجل واحد يتعاهدها ويسقيها ويزور أهلها ويرجع إليها وهي في مواضعها فيصلح أربطها وقيودها ثم يغيب عنها. وكذلك خيل أهل الوشم ونجائبهم في الحمادة وفي روضة محرقه وغيرهما. وهكذا يفعلون بها. وكذلك خيل عبد العزيز وبنيه وعشيرته في النقة، الموضع المعروف قرب بلد ضرمي، وفي الشعب المعروف بقرى عبيد من وادى حنيفة، وليس عندها إلا من يتعاهدها لمثل ما ذكرنا، وكذلك جميع النواحي تفعل ذلك. وكان رحمه الله تعالى مع رأفته بالرعية شديدا على من جنى جناية من الاعراب أو قطع سبلا أو سرق شيئا من مسافر أو غيره بحيث من فعل شيئا من ذلك أخذ ماله نكالا أو بعض ماله أو شيئا منه على حسب جنايته وأدبه غير ذلك أدبا بليغا (٢).

ويذكر ابن بشر: ان السبل والطرق تأمنت كثيرا في عهد الإمام عبد العزيز فكان أهل الأسفار يسافرون ويرجعون إلى أوطانهم لا يخشون أحدا من جميع البوادي مما احتوت عليه هذه المملكة لا بحرب ولا سرق، وليس يؤخذ منهم شيء من الاخاوات والقوانين والجوائز التي يأخذها الاعراب على الدروب يحبون بها سنن الجاهلية فبطلت جميعها والله الحمد، وصار بعض العمال إذا جاءوا بالاحماس والزكاة من أقاصى البلاد يجعلون مزاول الدراهم أطنابا لخيמתهم وربطها لخييلهم بالليل لا يخشون سارقا ولا غيره ونمت المواشى والثمار وساد الأمن جميع البلاد وهذا من أثر عقيدة السلف الصالح التي أظهرها الشيخ. قال الله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾.

(١) والمقالى: جمع مفلى أى مراعى بلغة أهل نجد العامية.

(٢) عنوان المجلد لابن بشر ج ١ / ص ص ١٢٤، ١٢٥.

وكان الإمام عبد العزيز يوصي عماله بتقوى الله وأخذ الزكاة على الوجه المشروع واعطاء الضعفاء والمساكين ويزجرهم عن الظلم وأخذ كرائم الأموال، ويكثر العطاء والصدقات للرعية من الوفود والأمراء والقضاة وأهل العلم وطلبته ومعلمة القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد، حتى أئمة مساجد نخيل البلدان ومؤذنيهم.

وإذا أراد من الناس الغزو معه أومع ابنه سعود، بعث رسله إلى رؤساء القبائل من العربان وواعد جميعهم يوما معلوما على ماء معلوم، فلا يتخلف أحد عن ذلك الموعد لا حقير ولا جليل، لا من بوادي الحجاز ولا العراق ولا الجنوب ولا غير ذلك فمن ذكر متخلفا ممن تعين عليه الأمر من راجل أو فارس، أدب أدبا بليغا وأخذ من ماله نكالا، والرجل الواحد أو الاثنان إذا أرسلهم عبد العزيز وابنه سعود إلى البوادي من جميع أقطار جزيرة نجد أخذوا منهم النكال من الأموال والخيل والابل وغير ذلك، ويضربون الرجال ويعذبون المجرم بأنواع العذاب، ولا يتجاسر أحد أن يقول لهم شيئا، أو يشفع فيه، بل كلهم طائعون مذعنون.

قال ابن بشر : وهذا الذي ذكرت من جهة الأمن وطاعة الحاضر والباد وغير ذلك اتفق في زمنه وزمن ابنه سعود وصدر من ولاية عبد الله - ثم مضى ابن بشر يذكر أمراء عبد العزيز وقضاته^(١)، ومن هؤلاء القضاة :

الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي أخذ عن أبيه واستكمل فنون العلم وفاق بالمعرفة أقرانه حتى صار الخليفة بعد أبيه والقاضي في بلد الدرعية^(٢)، وكان له دور كبير في نشر عقيدة السلف الصالح وتأثره بها وتأثيره في الناس لحملها ونشرها وتطبيقها. وله عدة بنين طلبة علم وقضاة.

قال ابن بشر : «ومعرفتي منهم بعلي وحمد وحسن وعبد الرحمن وعبد الملك . فأما علي فهو الشيخ الفاضل وحاوي الفضائل العلامة في الأصول والفروع الجامع بين المعقول والمشروع كشاف المشكلات، مفتاح خزائن أسرار الآيات، قاضي الدرعية بوجود أعيامه، وخليفتهم فيها إذا غابوا زمن سعود وابنه عبد الله، ثم ولي القضاء لتركي بن عبد الله رحمه الله تعالى في حوطة بنى تميم، ثم كان قاضيا في بلد الرياض

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، ج ١ ص ١٢٦-١٢٩، وفي طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩٤هـ ص ١٦٨-١٧٨.

(٢) الدرر السنية ١٢/٤٦ ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٢٨.

عند الإمام فيصل بن تركي أسعده الله تعالى» أ - هـ^(١).

وذكر ابن بشران له اليد الطولى في معرفة الحديث ورجاله ، وانه علق شرحا على كتاب التوحيد تأليف جده محمد بن عبد الوهاب^(٢) ، لكن عبد الرحمن بن عبد اللطيف المعلق على عنوان المجد ينكر وجود هذا الشرح^(٣) ، ولا وجه لانكاره فقد يكون في زمن مبكر ، وله رسائل وفتاوى نشرت مفرقة في الدرر السنية التي جمعها عبد الرحمن بن قاسم وفي الرسائل والمسائل النجدية طبع محمد رشيد رضا^(٤).

ومن هؤلاء القضاة أيضا الشيخ الزاهد السورع عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصين - الذي طبق بركة علمه الافاق ، وشهد له بالفضل أهل الافاق القاضى في ناحية الوشم زمن عبد العزيز وابنه سعود وابنه عبد الله^(٥).

أخذ الفقه في صغره عن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إسماعيل ثم أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابنه الشيخ عبد الله ، والشيخ حسين ، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر وخلق غيرهم ، له مجالس في التدريس مشهورة ، وأوقاته بالعبادة معمورة ، وله رسالة في معنى التوحيد وفتاوى ، ولي القضاء في الوشم في ولاية الإمام عبد العزيز بن محمد وأول ولاية الإمام سعود وأخذ عنه عدة من العلماء منهم الشيخ عبد الله أبا بطين والشيخ إبراهيم بن سيف والشيخ غنيم بن مسفر والشيخ عبد الله بن سيف والشيخ محمد بن عبد الله الحصين والشيخ عثمان بن منصور والشيخ علي بن يحيى بن مساعد والشيخ عبد الله بن سليمان بن عبيد والشيخ محمد بن سيف والشيخ إبراهيم بن حجى والشيخ عثمان بن عبد المحسن أبا حسين والشيخ محمد بن نشوان والشيخ عبد الله القضيبى ولم يل القضاء ، والشيخ عبد الكريم بن معقل وغيرهم ممن لم يل القضاء الجمل الغفير^(٦).

وكان للشيخ عبد العزيز الحصين جهود خاصة في نشر عقيدة السلف الصالح لدى شريف مكة وعلمائها حيث كان الذى وقع عليه الاختيار من قبل الشيخ والإمام

(١) ابن بشر ، عنوان المجد . . . ٩٣/١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) هامش ص ٨٧ رقم (١) من جزء (١) من عنوان المجد ، طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٨٧ هـ .

(٤) الدرر السنية ٤٥/١٢ ومشاهير علماء نجد ص ٤٩ .

(٥) ابن بشر ، عنوان المجد . . . ٩٤/١ ، والدرر السنية ٤٩/١٢ ، ٥٠ .

(٦) ابن بشر ، عنوان المجد . . . ١/٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، والدرر السنية ١٢/٥٠ .

عبد العزيز ليكون مفوضاً عنها في شرح المعتقد وبيان حقيقة الدعوة بناء على طلب شريف مكة .

يقول السباعي : « في سنة ١١٨٥ هـ طلب الشريف أحمد بن سعيد من الإمام عبد العزيز بن محمد ومن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يرسلوا إليه فقيها منهم ، يبين له حقيقة الدعوة بمحضر من علماء مكة ، فأرسلوا الشيخ عبد العزيز الحصين ، ووقعت المناظرة مع بعض علماء مكة منهم مفتى السلطان في مكة بحضور الشريف أحمد في ثلاث مسائل :

١ - في التهمة المفتراة على الشيخ وهي : التكفير بالعموم .

٢ - هدم القباب التي على القبور .

٣ - طلب الشفاعة عند الله من الأموات^(١) .

ويذكر ابن غنام أن الإمام عبد العزيز والشيخ محمد كتبوا مع الشيخ عبد العزيز الحصين رسالة إلى الشريف أحمد بن سعيد ، يبييان به أن ينصر الشريعة المحمدية ومن تبعها وأن يعادى من خرج عنها ، كما هو الواجب على ولاية الأمور ، ويذكر أن انهما تجابوا مع طلبه أن يرسلوا إليه طالب علم يشرح له ولعلماء مكة عقيدة السلف الصالح التي قاما بنصرتها ، فأرسلوا إليه الشيخ الحصين للحضور مع علماء الحرم في مجلس الشريف فان اجتمعوا فالحمد لله ، وان اختلفوا احضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة ، مع قصد وجه الله ونصرة رسوله ﷺ وقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء أن ادركوا محمدا ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه فكيف بأئمة فلا بد من الإيثار به ونصرته ، لا يكفي احدهما عن الآخر ، وأحق الناس وأولاهم بذلك أهل البيت الذين بعثه الله منهم ، وأحق أهل البيت بذلك ، من كان من ذريته ﷺ^(٢) .

وقال ابن غنام : فذكر لهم الشيخ عبد العزيز الحصين أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا ، وأما هدم القباب ، فهو الحق والصواب كما هو مقرر بالأدلة في كتب كثيرة ، وليس لدى العلماء فيه شك . وأما دعاء الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل فقد نص عليه الأئمة أنه من الشرك الذي فعله الأولون ولا يجادل فيه إلا جاهل ظالم .

(١) تاريخ مكة للسباعي ج ٢ ص ٧٧ ، ١٢٤ .

(٢) روضة ابن غنام ، ج ٢ ص ٨٠ ، ٨١ .

ثم احضروا من كتب الحنابلة الاقناع فأروا عبارته في الوسائط وحكايته الاجماع فاقننوا وأقروا وتفوهوا بأن هذا دين الله ، وانتشر فيما بينهم وشاع ، وقالوا هذا مذهب الإمام أحمد ، وانصرف عبد العزيز مبجلا ومكرما^(١) .

ويبدو أن الشريف قد اقتنع بصحة العقيدة وانها عقيدة السلف الصالح ، ولكن ثار آل مساعد على عمهم أحمد بن سعيد هذا ، وانتزعوا من يده ولاية مكة بالقوة فأخرجوه منها ، ووضعوا مكانه شريفا آخر هو ابن أخيه سرور بن مساعد سنة ١١٨٦ هـ فمنع أهل نجد من الحج إلا بضريبة ثم تولى أخوه غالب .

وفي سنة أربع ومائتين وألف للهجرة أرسل غالب الشريف إلى الإمام عبد العزيز كتابا ، وذكر في اثنا أنه يريد إنسانا عارفا من أهل الدين حتى يعرف حقيقة الأمر ، فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز الحصين ، وكتب معه الشيخ رسالة يبين فيها عقيدة السلف الصالح التي يدعو إليها ونصها : بعد البسملة من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام نصر الله بهم سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابعي الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم ، وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين ، ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين ، وأمرناهم باخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء الذي على القبور ، كبر على العامة وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب ما نخفى على مثلكم ، أعظمها اتباع الهوى مع أسباب آخر فاشاعوا عنا إنا نسب الصالحين ، وإنا على غير جادة العلماء ، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء ، يستحى العاقل من ذكرها ، وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب ان مثلكم ما يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم ، عند الخاص والعام ، فنحن والله الحمد متبعون لا مبتدعون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وتعلمون أعزكم الله ، ان المطاع في كثير من البلدان ، لو يتبين^(٢) بالعمل بهاتين المسألتين انها تكبر على العامة ، الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك وأنتم تعلمون رحمكم الله ان في ولاية الشريف أحمد بن سعيد ، وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ، وأشرفتم على ما عندنا ، بعدما احضروا كتب

(١) روضة ابن غنام ٨١/٢ .

(٢) يتبين بالعمل - معناه : يظهر العمل .

الحنابلة التي عندنا عمدة كالتحفة والنهاية عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره امتثلنا وهو إليكم واصل، فان كانت المسألة إجماعاً فلا كلام، وان كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم انه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه، وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم إنني على دين الله ورسوله وإنني متبع لأهل العلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم ذكر ابن غنام ان غالباً أكرم عبد العزيز الحصين لما قدم عليه مكة المشرفة بهذه الرسالة واجتمع معه مرات عديدة وعرض عليه رسالة الشيخ المفيدة فعرف ما بها من الحق والهدى وما نفتته من الباطل والردى فأذعن بذلك وأقر ثم بعد مدة تنكر وتمسك بقديم سنته وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه فيقف على كلامهم ويسمعه وينظرهم في أصول التوحيد، فأبوا عن الحضور وقالوا هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك، فطارلبه وارتعش قلبه^(١). فصاريقاتل أهل التوحيد ثم لم يربح، بل خسر حيث عاند الحجة التي أقامها عليه الشيخ عبد العزيز الحصين^(٢).

ومن هؤلاء القضاة في عهد الإمام عبد العزيز الشيخ العالم حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر - ولد في الدرعية وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حتى كان فقيهاً محدثاً زاهداً عابداً كثير الخير، له قدم راسخ في الفتوى وله رسائل وأجوبة تبلغ مجلداً فرققها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في مواضع من الدرر السنية حسب ترتيبه لها^(٣).

ومن هذه الرسائل رسالة جيدة ألفها الشيخ حمد بعنوان: النبذة الشريفة في الرد على القبوريين، جواباً لأسئلة أوردتها بعض المجادلين على الشيخ محمد بن أحمد الحفظي اليمني في جمادى الثانية من شهور سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة فطلب جوابها واستغرقت ستاً وستين صفحة وله أيضاً في مجموعة الرسائل والمسائل رسالة له في معرفة الدليل والتقليد واستغرقت ثلاثين صفحة، وعدة رسائل

(١) روضة ابن غنام ج ٢ ص ١٤٤، ١٤٥.

(٢) انظر: تاريخ مكة للسباعي ٧٧/٢، ٨٠، ٩٢-٩٤، ١٢٣، ١٢٤، وعنوان المجد... لابن بشر

١٢٢/١، وروضة ابن غنام ج ٢ ص ١٤٥-١٥٠.

(٣) ابن بشر، عنوان المجد... ٩٤/١ والدرر السنية ١٢/٤٧. وتوجد في مجموعة الرسائل والمسائل

النجدية ج ٤ ص - ص ٥٩١-٦٦٢.

آخر في مسائل فقهية واستغرقت اثنتين وستين صفحة^(١). وكان قاضيا في الدرعية، وغيرها. ثم أرسله الإمام سعود قاضيا ومعلما في مكة المكرمة وأقام فيها مدة وتوفي فيها سنة ١٢٢٥هـ^(٢).

ويذكر الشيخ حسين بن غنام في حوادث سنة ١٢١١هـ من تاريخه الجزء الثاني انه في هذه السنة أرسل غالب الشريف رسلا إلى عبد العزيز يطلب منه علماء من أهل الدين والتوحيد ويزعم انه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر، ولينجلي له في مناظرتهم ما كان خافيا عليه، وكان من حسن سيرة عبد العزيز وعظيم فضل الله عليه انه يدعو إلى الله تعالى بالتى هي أحسن وأحكم ويرشد العباد للتى هي أقوم، فرأى اجابة الشريف غالب إلى ما طلب، فعسى أن يكون له سببا للسعادة، وأرسل إليه جماعة من أهل الدين والعلم، المشهورين بحسن المحاضرة في المناظرة بالبراهين وكبيرهم حمد بن ناصر بن معمرو رئيسهم وأميرهم، فلما وصلوا دخلوا مكة معتمرين ومعهم جزر مهدة من سعود تذبج في الحرم فنحروها في المروة من شعائر الله، فقابلهم الشريف بالاكرام وأحضرهم لديه مع علمائهم ليال وعقدوا للمناظرة مجالس فكانت الغلبة بالحجة للشيخ حمد بن معمرو وأصحابه على علماء الشريف غالب، لكن علماء الشريف غالب اجمعوا على المغالطة في الألفاظ فابرموا ذلك ولكنهم لم يعثروا في حجج الشيخ وما سرده من صحيح السنة القائمة على شىء فيه لبس لدى العلماء المنصفين سوى لفظة جرى اللسان فيها على اللحن في الاعراب فارتفع من بعضهم عند ذلك التخطئة في الجواب مبادرين ومعاجلين، رغم ان الحجة فالجة وقاطعة وملزمة، لكنهم جحدوا وشوشوا وصفة ما جرى انهم حضروا ببيت الشريف تجاه بيت الله الحرام وجرت المناظرة بينهم في مسألتين : مسألة قتال الموحدين الناس ما وجهها ؟

فطلب من حمد بيان الحجة والدليل والبرهان فأتى لهم بالنصوص القاطعة، وأصل لهم الأصول الواضحة، وأسمعهم من نصوص الآيات والأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة الواضحة، وأوقفهم على المنصوص في الكتب المعتمدة عندهم، وكانوا من قبل ينكرون وجودها في الكتب أصلا، وتفوهوا بذلك بحضرة الشريف. فلما أوقفهم حمد عليها خجلوا وخافوا فأقرؤا وسلموا لتلك النصوص، ثم تفاوضوا بعد

(١) انظرها في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٢ تحت عنوان رسائل وفتاوى للشيخ حمد بن ناصر بن معمرو.

(٢) الدرر السنية . . . ٤٧/١٢ .

ذلك في مجالس عديدة في دعوة الأموات فأبدي لهم حمد من النصوص الصحيحة والآثار الراجحة والأقوال السديدة ما أدهش العقول مما لا يسع المنصف إنكاره، ولكنهم جحدوا أن يقع ذلك في الوجود وأنكروا وجوده في الأقطار رغم وجوده عندهم واقعا مشهودا يشهده الخلق عيانا عندهم وجهارا.

ثم يقول ابن غنام : لا بدع فيما جرى منهم فقد قال كبيرهم أول ما قال وتأهب للمناظرة، وجرذبول المفاخرة: اعلم إنى لا أناظرك بالدليل من الكتاب والسنة، ولا أطالبك بما قاله علماء المذاهب سوى ما قال به إمامى أبو حنيفة لأنى مقلد له فيما قال فلا أسلم لغير قوله، ولو قلت قال رسول الله ﷺ أوقال الله تعالى، لأنه اعلم منى ومنك، والأخذ بغير قول الأئمة مهلك.

ويقول ابن غنام : فلما انقضت تلك الأيام والليالى وانتهت ساعات الجدل والمناظرة، طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر تأصيل ما برهن به واحتج به وقرره، وكتابة ما سجله عليهم أثناء المناظرة، فانتدب لذلك، فحرر من الكتب التى عندهم ما أرادوه رسالة أوجز فيها ما فيه حجة ودلالة، تكفى المنصف العاقل للشهادة بفضل محررها وصحة وصدق مضمونها، ثم أورد الشيخ ابن غنام نصها وشغلت ما يقارب ثلاثين صفحة، من الجزء الثانى من تاريخ ابن غنام^(١) وهى فى الهدية السنوية التى جمعها الشيخ سليمان بن سحمان وشغلت خمسا وثلاثين صفحة^(٢). واستغرقت فى الدرر السنوية ثمانيا وعشرين صفحة^(٣).

وقد أشار إلى هذه المناظرة الشيخ محمد بن علي الشوكانى حيث قال فى ترجمة الشريف غالب : «وبلغنا انه وصل إلى مكة، بعض علماء نجد، لقصد المناظرة فناظر علماء مكة بحضرة الشريف فى مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه فى الدين»^(٤). وطبعت فى رسالة مستقلة بمؤسسة النور بالرياض ويذكر ناشرها انه سمى أجوبة الشيخ حمد المذكورة «الفواكه العذاب فى الرد على من لم يحكم السنة والكتاب»^(٥).

(١) روضة ابن غنام ج ٢ / ص ٢٠٣-٢٣٢.

(٢) الهدية السنوية، ط. المنار، ص - ص ٨٧-٥١.

(٣) الدرر السنوية ج ٢ ص ١٧٦-٢٠٤.

(٤) البدر الطالع ج ٢ ص ٧.

(٥) المقدمة ص - ص ٣-٢.

ومن هؤلاء القضاة في زمن الإمام عبد العزيز، الشيخ سعيد بن حجي، رحل إلى الدرعية فقرأ على الشيخ وأخذ عن ابني الشيخ حسين وعبد الله وقرأ على الشيخ حمد بن ناصر بن معمر وعلى غير هؤلاء من علماء الدرعية وكان قاضيا في حوطة بني تميم زمن عبد العزيز وابنه سعود، وله رسائل في كلمة الاخلاص وفي أجوبة فقهية محررة سديدة نشرت في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية^(١).

ومن هؤلاء القضاة : الشيخ حمد بن راشد العريني القاضي في ناحية سدير زمن عبد العزيز^(٢).

ومنهم الشيخ : عبد الرحمن بن خميس الذي صار عالما وإماما في قصر آل سعود وقاضيا في الدرعية زمن عبد العزيز وابنه سعود^(٣).

ومنهم : الشيخ حسين بن عبد الله بن عيدان الذي صار قاضيا في بلد حريملاء زمن عبد العزيز ودرس وأفتى في مقر عمله^(٤).

ومنهم : الشيخ محمد بن سويلم الذي صار بسبب الأخذ عن الشيخ محمد عالما وقاضيا في بلد الدلم وناحية الخرج زمن عبد العزيز^(٥).

ومنهم الشيخ عبد العزيز بن سويلم العريني الذي صار عالما قاضيا في ناحية القصيم زمن عبد العزيز وابنه سعود وابنه عبد الله، وكان مقره مدينة بريدة وما حولها فاستمر في القضاء مدة طويلة ودرس وأفتى فانتفع بعلمه جماعة منهم الشيخ عبد الله بن صقيه، وبقي بعد خراب الدرعية وهولا يزال القاضي والمدرس في القصيم حتى توفي فتولى القضاء بعده تلميذه عبد الله بن صقيه^(٦).
وغير هؤلاء من القضاة عدد كبير .

وكان القضاة لا يعينون إلا بمشورة من الشيخ محمد لأن منصب القضاء منصب مهم له تأثير كبير، فبالإضافة إلى القضاء يتولون الإمامة والخطابة والتدريس

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٤ ص ص ٨٤٠-٨٧٦ وجـ ١ ص ص ٦٠١-٧٢٥. وانظر: عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ٩٤/١، وعلماء نجد خلال ستة قرون ٢٧٣/١.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ٩٤/١، وعلماء نجد خلال ستة قرون ٢٢٣/١.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ٩٤/١، ١٦٩، ١٧٥.

(٤) عنوان المجد... لابن بشر ٩٤/١، وعلماء نجد... ٢١٤/١.

(٥) ابن بشر، عنوان المجد... ٩٤/١.

(٦) ابن بشر: عنوان المجد... ٩٤/١، وعلماء نجد... ٥٥٩، ٤٦٣/٢.

والفتوى والارشاد ويكونون أصحاب الكلمة الفاصلة في البلد الذي يتولون القضاء فيه ، ولا يخفى ما يكون لهم من أثر كبير وعظيم في نشر عقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

وقد كان لخلق كثير ، وجم غفير أثر في عقيدة السلف الصالح التي تلقوها عن الشيخ محمد زمن الإمام عبد العزيز وبعد زمنه ومن ولي القضاء ومن له يله من العلماء والأعيان ومن دونهم^(١) .

ومن هؤلاء ابن الشيخ : الشيخ علي .

قال ابن بشر : « كان عالما جليلا ورعا كثير الخوف من الله وكان يضرب به المثل في بلد الدرعية بالورع والديانة وله معرفة في الفقه والتفسير وغير ذلك ، وراودوه على القضاء فأبى عنه ، وأبناؤه صغار ماتوا قبل التحصيل إلا محمدا فانه طالب علم وله معرفة » أ - هـ^(٢) .

ومنهم أيضا ابن الشيخ : الشيخ إبراهيم .

قال ابن بشر : « رأيت عنده حلقة في التدريس وله معرفة في العلم ولكنه لم يل القضاء قرأت عليه في صغرى في كتاب التوحيد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف^(٣) .

وأبناء الشيخ على العموم ممن حمل ميراث أبيهم ونشره بصفة خاصة كيف لا وهو عقيدة السلف الصالح وميراث العلماء الصالحين رحمهم الله ورضى عنهم .

قال ابن بشر عنهم : « ولقد رأيت هؤلاء الأربعة العلماء حسين وعبد الله وعلي وإبراهيم مجالس ومحافل في التدريس في الدرعية عندهم من طلبة العلم من أهل الدرعية وأهل الآفاق الغرباء ما يفضى لمن حكاه إلى التكذيب ، ول هؤلاء الأربعة المذكورين من المعرفة ما فاقوا به أقرانهم ، وكل واحد منهم قرب بيته مدرسة فيها طلبة العلم الغرباء ونفقتهم من بيت المال ، ويأخذون عنهم العلم في كل وقت »^(٤) .

قال محمد الحفظي بعد ثنائه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أولاد الشيخ :

(١) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٥، ٩٤/١ ومجلة الدارة ع ٢ / رجب / ١٣٩٨ هـ صورة اللوحة من

كتاب رفع النقاب رقم ٧٥، ٧٤ ص ٩٧ .

(٢) عنوان المجد . . . ٩٣/١ .

(٣) عنوان المجد . . . ٩٣/١ .

(٤) عنوان المجد . . . ٩٣/١ .

أولاده مشائخ التحقيق وسدرة في منتهى الطريق^(١)

ومن هؤلاء غير أبناء الشيخ : الشيخ أحمد بن مانع الوهبي التميمي .
انتقل من اشيقر إلى الدرعية في أول عهد الدعوة السلفية فقرأ على الشيخ
محمد بن عبد الوهاب وأدرك حظه من العلوم الشرعية ، وكان من الموالين لدعوة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب المدافعين عنها - قال ابن بسام : «وقد اطلعت له على رسالة يرد
بها على عبد الله المويس أحد علماء نجد المعادين لدعوة الشيخ محمد» في ترخيصه
للناس في التخلف عن صلاة الجماعة وتهوين أمرها بحجة ان الإمام من اتباع ابن عبد
الوهاب فبين ان ابن عبد الوهاب إنما يدعو الناس إلى التوحيد والتبرئ من الشرك
وأهله وهذا دين النبي ﷺ فلا يسع المسلم غيره وبين الأدلة الشرعية على وجوب
صلاة الجماعة على الأعيان ، وقد توفي في الدرعية في شهر رمضان عام ١١٨٦هـ^(٢) .
وقد كان لبعض المشائخ الكبار الذين ليسوا من تلاميذ الشيخ المتخرجين على
يديه جهود طيبة في نشر عقيدة السلف الصالح متأثرين بعقيدة الشيخ محمد بن عبد
الوهاب . ومنهم :

١ - الشيخ المؤرخ حسين بن غنام - قد التقى بالشيخ محمد بن عبد الوهاب
واستفاد منه ، ودون كثيرا من علم الشيخ ورسائله ، وأرخ للشيخ وأنصاره ولإمام من
آل سعود تاريخا مباشرا من أشمل التواريخ ، ودون كثيرا من أخبارهم فتاريخه من أوثق
التواريخ التي كتبت في هذا الشأن ، وسبق أن طلب العلم على علماء بلده (الأحساء)
ولذا لما وصل الدرعية كان أهلا لأن يجلس للتدريس .

قال عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ : «نزع من الأحساء إلى مدينة
الدرعية فقدمها على الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد
الوهاب فأكرمناه وأنزلناه المنزلة الرفيعة . فاستقر في الدرعية وجلس فيها لطلبة العلم
يقرأون عليه في علم النحو والعروض فقط ، فأخذ عنه جملة من علماء الدرعية وذكر من
فضلائهم سليمان بن عبد الله بن الشيخ ، وعبد العزيز بن حمد بن معمر ، وعبد الرحمن
بن حسن بن الشيخ»^(٣) .

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي (١١٧٨-١٢٣٧هـ) من أهل عسير . الدرر السنية ٤٧/١٢ .

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ١٨٣/١ .

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٤٧ .

ويعتبر الشيخ حسين بن غنام ممن شهد بالحق لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن الذين ناصروها بالقلم وبيان الحق والعلم فمن ذلك ست قصائد قالها وهي :

- ١ - قصيدة في رثاء الشيخ وذكر محاسنه وسبق أن ذكرناها^(١).
- ٢ - قصيدة بمناسبة جلاء دهام بن دواس ومطلعها :
كشف الحق ظلمة الاغلاس ومحا الدين جملة الارجاس^(٢)
- ٣ - وموعظة لبعض من تزعزع عن لزوم الحق ومطلعها :
نفوس الوري الا القليل ركونها إلى الغي لا يلغى لدين حنينها^(٣)
- ٤ - والرابعة رد على قصيدة محمد بن عبد الله بن فير وز ومطلعها :
على وجهها الموسوم بالشؤم قد خطا عروس هوى ممقوتة زارت الشطا^(٤)
- ٥ - والخامسة بمناسبة قتل ثويني وتهنئة الأمير سعود ووالده الإمام عبد العزيز بن محمد حين فتح الأحساء ومطلعها :
تلا لأ نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الظهر^(٥)
- ٦ - والسادسة بمناسبة تهنئة سعود بن عبد العزيز بالحج وذكر في أولها مدح الشيخ محمد ومطلعها :
غياهب ليل الشرك مزقه الفجر فأصبح دين الحق طالعه الغفر^(٦)

وله تقاريرات حسنة، وكشف شبهات يبين بها عن الحق الذي دعا إليه الشيخ محمد ويشهد له، وقد ألف كتاباً سماه: «العقد الثمين في شرح أصول الدين» بإشارة من الإمام عبد العزيز كما يقول^(٧) بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا يزال الكتاب مخطوطاً، وهو كتاب مفيد ولكن في مسألة القرآن سلك فيها مسلك

(١) انظر: ص ١٤٧-١٥٢ من هذا البحث.

(٢) روضة ابن غنام ج ٢ / ص - ص ٨٦-٨٨.

(٣) روضة ابن غنام ج ٢ / ص - ص ٧١-٧٢.

(٤) المصدر السابق، ص - ص ١٩٠-١٩٢.

(٥) المصدر السابق، ص - ص ٢٣٧-٢٤٢، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، ط وزاره معارف،

ج ١ ص ١٤٥ وما بعدها.

(٦) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد ط وزارة المعارف ج ١ ص - ص ١٢٣-١٢٥.

(٧) انظر: كتاب العقد الثمين في شرح أصول الدين مخطوطة في المكتبة السعودية بالرياض تحت

رقم ٥٧/٨٦، الغلاف ولوحة رقم ١٣.

الأشعرية، وقد نبه على ذلك تلميذه الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ^(١)، وكذلك الشيخ محمد بن مانع^(٢).

ومن آثار عقيدة الشيخ في عهد الإمام عبد العزيز أن بعض معارضيه كأخيه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب بعد أن كان معارضا يؤلف كتباً ضدها اتضح له الحق وتاب إلى الله، ووفد على أخيه الشيخ محمد في الدرعية واستقر بها إلى أن توفي، ذكر ذلك الشيخ عبد العزيز بن باز في تعليقه على كتاب: «الشيخ محمد بن عبد الوهاب...» للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي^(٣)، ونص هذا الخبر في عنوان المجلد في تاريخ نجد لابن بشر في حوادث ١١٩٠ هـ^(٤)، وفي روضة ابن غنام كذلك وقال ابن غنام: «وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاءة فدفتر حاله حينئذ واراشه، ووسع عليه قوته ومعاشه، فكان ذلك سبباً لانقاذ سليمان وصدقه مع أهل الإيمان وتحقيقه بهذا الشأن، فقام في هذا الدين بتحقيق وجزم ويقين، وأقر على نفسه واعترف، بما قدمه قبل وأسف، ووفى بما عاهد عليه وما أخلف ومات والله الحمد على حالة رضى، بعدما جرى منه ومضى، فلم يوافه القضا إلا بعدما رفض ما كان عليه وانقضى»^(٥) وتوفي سنة ١٢٠٨ هـ^(٦).

وفي مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن نص رسالة من سليمان بن عبد الوهاب فيها رجوعه^(٧)، وكذلك في كتاب الضياء الشارق، تأليف سليمان بن سحمان^(٨)، وفي كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان^(٩). وفي هذا رد على الشيخ عبد الله بن بسام في قوله: أن سليمان بقي مصرًا على مباينة الدعوة السلفية وأصحابها إلا أنه رضخ لسلطانها وقوتها...»

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ١ ص ١٥٧ ط ٢.

(٢) انظر: حاشية مخطوطة كتاب العقد الثمين في شرح أصول الدين، المحفوظة بالمكتبة السعودية بالرياض تحت رقم ٥٧/٨٦، لوحة رقم ٢٨.

(٣) هامش ص ٧٤.

(٤) عنوان المجلد... ص ٦٥.

(٥) روضة ابن غنام ج ٢ ص ٩٦.

(٦) علماء نجد خلال ستة قرون ١/٣٠٤.

(٧) مصباح الظلام، تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ص ص ٩٦، ١٠٣.

(٨) الضياء الشارق، تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ص - ص ٢٢-٢٥، ط ١، المنار ١٣٤٤.

(٩) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص - ص ٤٦٨-٤٧٣.

وقال : ان الرسالة المذكورة يرجح انها نسبت إليه لغرض حسن الظن به ،
وابعاد المسبة عن أنبائه العلماء الصالحين ، أولغرض الرد على أعداء الدعوة الذين
نفروا عنها بحجة ان أقرب الناس إلى صاحبها باينه فيها أولغير ذلك من المقاصد .
وأمر الترجيح هذا لدى البسام هي باختصار : لأنه قام وقعد بمحاربة الدعوة
السلفية مع علماء وقته - وقال : ولم نر أحدا من هؤلاء رجع ، وكل اتباعها هم تلاميذ
الشيخ محمد .

ولذكر ابن لعبون في تاريخه المخطوط انه لم ينزل الدرعية إلا كرها .

ولأن ابن بسام لم ير له نشاطاً في الدعوة غير هذه الرسالة .

ولأن ابن بسام اطلع على جواب تلك الرسالة وفيها الترحم على الشيخ محمد
مما يدل على انها كتبت بعد وفاة الشيخ محمد فلو كانت حقيقة لكان جواب في عهد
الشيخ محمد لا بعده . انتهى ملخصاً^(١) .

ولا يخفى أن الشيخ البسام عارض رواية الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن
حسن والشيخ سليمان بن سحمان ودليلهما وهو الرسالة المذكورة من سليمان . ولم يذكر
البسام رواية ابن بشر وابن غنام ، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز قد ذكر رجوعه بناء
على ما ذكره ابن بشر والبسام عارض هذا كله بظنون . والظن لا يبنى عليه شيء
فكيف يعارض به روايات الثقات ، ويرجع هذا الظن عليها بأمر لا تقوم ولا تتم
- فأما الأمر الأول فما يدريه عن رجوع من رجع وتاب ثم انه يجوز ويمكن ان من قام
وقعد في محاربة الحق ان يتضح له الحق ويرجع ويتوب ، يجوز ذلك في العقل والواقع
والشرع ، وكونه لم ير له نشاطاً ، فالنشاط ليس بلازم ، وربما كان له نشاط غير ظاهر ،
مع ان ابن غنام حكى ذلك عنه ، وكون ابن لعبون ذكر في مخطوطته التي عند البسام
أن سليمان قدم كرها فهذا معارض برواية ابن بشر وابن غنام .

الثانية : ثم لو كان الأمر صحيحاً فلا مانع من كون العقوبة رجوعه إلى الحق .
أنسي أن من أهل اللجنة من يقاد إليها بالسلاسل ؟

وكون ابن بسام اطلع على رسالة يذكر كاتبها انها من هؤلاء الثلاثة الذين
كتب لهم سليمان تلك الرسالة المذكورة وانها جواب له وان تاريخها متأخر بعد موت
الشيخ محمد لا بعد موت الشيخ سليمان بل هي في حياته فتأخر تاريخها هذا ان صح

(١) علماء نجد خلال ستة قرون ج ١ ص - ٣٠٤-٣٠٦ .

ليس فيه ما يبرر انها مزيفة أيضا، مادام ان هذه الرسالة حصلت في حياة الشيخ سليمان والتي استمرت سنتين بعد وفاة أخيه الشيخ محمد واستنتاج البسام من هذه الرسالة ان سليمان كان ساكتا في حياة أخيه على معتقده الأول ثم بعد وفاة أخيه يعلن رجوعه وموافقته لأخيه وان هذا الأمر من البعيد جدا. فلو صح الاستنتاج لكان من القريب جدا ان سليمان كان في حياة أخيه يجد في نفسه، ثم لما مات زال ذلك الوجد المانع من قبول الحق فأعلنه وكم أسلم من أسلم، بعد وفاة من كان يدعوه إلى الإسلام ويأبى في حياته، وقد قال الإمام أحمد: «قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز»^(١). وزعمه ان كل اتباع عقيدة الشيخ هم تلاميذه يردو الواقع السلفي.

وعلى كل فعقيدة الشيخ محمد السلفية رحمه الله مؤثرة بعد مماته، كما كانت في حياته وربما أكثر لأنها تكشف عنها الشبهات، وتجردت من كل ما يخالف عقيدة السلف الصالح، وأثمرت اتحاد الكلمة، واجتماع الشمل، وائتلاف القلوب والأمن والهدى سيما في عهد الإمام عبد العزيز، فلعمري الله قد أصبحت سلفية خالصة لا يشوبها شائبة، فما للقلوب النافرة عنها أدنى عذر ولا حجة.. والله أعلم.

وأذكر ما يقول ابن بشر معقبا على ما وصف في عهد الإمام عبد العزيز من اتساع دولة أنصار العقيدة وقوتها وما أنعم الله به عليها من الأمن وطاعة الرعية وانتظام ولا يتهم فيقول:

وهذا الأمر في هذه المملكة شيء وضعه الله تعالى في قلوب العباد من البادى والحاضر في كل ما احتوت عليه هذه المملكة مع الرعب العظيم في قلوب من عادى أهلها وذلك والله أعلم من سببين:

أحدهما: ان الراعى إذا عف عفت رعيته، فإذا عمل الإمام بطاعة الله وبذل العدل في الرعية، وصار القريب والبعيد، والغني والفقير والجليل والحقير في الحق سواء، وكان متواضعا يحب العلماء وطلبة العلم وحملة القرآن، ويعظمهم ويحب الفقراء والمساكين ويعطيهم حقهم ويضع في المسلمين فيهم جعل الله له الهبة في القلوب وتداعى له كل مطلوب.

والسبب الثانى: ان الله جعل لكل شيء ضدا مخالفا له منافيا أو معاديا، فجعل الشرك ضد التوحيد والعلم ضد الجهل إلى غير ذلك من الأضداد المنافية

(١) انظر: تخریج هذه الرواية في ص ١٤٦ من هذا البحث.

بعضها لبعض ، وأما الأضداد المعادية بعضها لبعض كعداوة الحية لبني آدم وعداوة إبليس لهم ، وعداوة السباع لأضدادها وعداوة البادية لأهل القرى عداوات قديمة طبيعية فلا يصلح هذه العداوة بين أهل القرى وبينهم بذل المال ، فانه إذا بذل لهم أصلح عداوتهم الظاهرة نحو أسبوع أو شهر ، وأما عداوتهم الباطنة كالسرق ونحوه (كالخيانة) فانه لا يصلحها ويصلح الظاهرة معها إلا السيف ، ولما عرف عبد العزيز رحمه الله . هذا الداء عرف الدواء فاستعمل لمن عاداه منهم السيف ولمن والاه منهم قوة الجانب والغلبة والشدة فكان يأخذ منهم الأموال الكثيرة على السرقة وقطع السبل ، ويجعل رؤساءهم في السجن واغلال الحديد حتى انه جعل الحميدى بن هذال رئيساً بوادى عنزه ورجلاً هتيميا في حديد واحد ، وربط وطبان الدويش وابن هذال في حديد واحد ويأخذ النكال الكثير من أموالهم على من تخلف منهم عن المغزى مع المسلمين من فرس أو ذلول معروفة أو رجل معروف حتى ذكر لى انه لم يوجد عند مطير إلا فرس أو فرسان وذلك لأن البوادي هذه الجزيرة لم يحتاجوا لها لأنهم لم يخافوا من أحد ولا يخاف منهم أحد ولا يطمعون في أحد ، قد حجز عبد العزيز جميع القبائل ويأخذ منهم هذه الأموال مع زكواتهم ويفرقها على أهل النواحي والبلدان» . . . إلى أن قال ابن بشر : «فصار البلد الواحد من قرايا نجد بهذا السبب يركب من هذا الغزو معه ومع ابنه سعود سبعون أو ستون مطية أو أقل أو أكثر ، وإذا أرسل عماله لقبض الزكاة من الاعراب أمرهم أن لا يأخذوا من الزكاة عقالا حتى يأخذوا لصاحب الدين حقه ولن سرق له شيء . قيمة ما له والنكال فقويت البلدان واشتدت وطأتهم على عدوهم فصار الأعرابي يرفع يده ولا يخفضها على شيء من مال أهل القرى ولا من مال البوادي ، بعضهم من بعض في مفازة خالية فضلا عن غيرها ، وصار هذا مطردا سائغا في زمنه وزمن ابنه سعود ، وصدر من ولاية عبد الله^(١) .

ولما توفي الإمام عبد العزيز بن محمد شهيدا سنة ١١٢٨ هـ ، تولى بعده ابنه سعود فصار هو الإمام ، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أمر أهل بلدان نجد وغيرهم أن يبايعوه وأن يكون ولي العهد بعد أبيه ، وذلك في السنة الثانية بعد المائتين والألف (١٢٠٢ هـ) بناء على أمر الإمام عبد العزيز ، فبايعه جميعهم^(٢) . وهو صاحب السيرة الحسنة في السلم والحرب يتتبع سيرة السلف الصالح في كل ذلك ويطبق

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ، طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩٤ هـ ، ج ١ / ص ١٧٠-١٧١ .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ج ١ ص ٨٣ .

مقتضى عقيدتهم السليمة وكان كثيرا ما يُذكر رعيته خصوصا جيوش المسلمين بها
أنعم الله عليهم من الاجتماع على كلمة الإسلام، وإن سببه العمل بطاعة الله والصبر
في مواطن اللقاء وإن النصر لا ينال إلا بالصبر.

يقول ابن بشر : «وكان متيقظا بعيد المهمة، يسر الله له من الهيبة عند الأعداء
والخشمة في قلوب الرعايا ما لم يره أحد، وكانت له المعرفة التامة في تفسير القرآن.
أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أقام مدة سنتين يقرأ عليه ثم كان يلزم
على مجالس الدرس عنده وله معرفة في الحديث والفقه وغير ذلك، بحيث أنه إذا كتب
نصيحة لجميع رعاياه من المسلمين أتى فيها بالعجب العجائب وبهرت عقول أولى
الآلباب. وكان أول ما يصدر النصيحة بالوصية بتقوى الله تعالى ومعرفة نعمة
الإسلام ومعرفة التوحيد والاجتماع بعد الفرقة، ثم الخض على الجهاد في سبيل الله،
ثم الزجر عن جميع المحظورات من الزنى والغيبة والنميمة وقول الزور والمعاملات
الربوية وغير ذلك، وكل نوع من ذلك يأتي عليه بالأدلة من الكتاب والسنة وكلام
العلماء. فممن وقف على شيء من مراسلاته ونصائحه عرف بلاغته ووفور علمه، وإذا
تكلم في المحافل بنصيحة أو مذاكرة بهر عقل من لم يكن قد سمعه، وخال في نفسه أنه
لم يسمع مثل قوله وحسن منطقته، وعليه الهيبة العظيمة التي ما سمعنا بها في الملوك
السالفة، بحيث أن ملوك الأقطار لا تتجاسر على مراجعته الكلام، ولا ترمقه
بأبصارها إعظاما له وهو مع ذلك في الغاية من التواضع للمساكين وذوى الحاجة وكثير
المداعبة والانبساط لخواصه وأصحابه» الخ ما وصفه به من صفات كريمة، هي من أثر
التمسك بعقيدة السلف الصالح^(١).

وقال الشيخ راشد بن علي الحنبلي في كتابه مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك
نجد : عن الإمام سعود بن عبد العزيز «تولى ملك نجد وجند منها جنودا تزيد على
أربعمائة ألف ما بين فارس وراجل، واخضع جزيرة العرب، وحاول مناهضة ملوك
الدنيا وانتزاع الممالك. وكان مدة حياته لم تهزم له راية، وكان عالما ذكيا يحسن الخط
والقراءة، وعليه من الأبهة والهيبة والجلال ما يبهر العقول. وكان فصيحاً، إذا تكلم
انصت له كل سامع^(٢).

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١/ ١٦٥-١٧٦.

(٢) مثير الوجد ... ص ٤٢.

وعلى الجملة فهو شجاع فارس صادق في الحديث وعالم راسخ في العلم ، وتقني دين ، سلم لأولياء الله حرب على أعدائه ، اجتمعت فيه ملكات الحكم والامارة ومواهب العلم والامامة رحمه الله تعالى وقد تم على يديه دخول الحجاز في ولاية الدولة السعودية الأولى . وكان انتشار عقيدة السلف الصالح في عهده انتشارا مستمرا وواسعا حتى شمل الحرمين وساد في أرجاء الجزيرة وما حولها .

وقد قام الإمام سعود بن عبد العزيز بتقديم كتاب كان موجهها إلى سليمان باشا يشرح فيه عقيدة السلف الصالح والتي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود ومن خلفه من أبنائه وفند مطاعن الأعداء وكشف شبهاتهم وإن كل ما قالوه ضد عقيدة الشيخ وأنصاره باطل وليس لهم حجة إلا من جنس ما يحتاج به أعداء الرسل على الرسل وعلى اتباعهم إلى يوم القيامة فاطلع عليه أهل مكة وعلماءهم . ووقع عليه علماء مكة وقضاتها وأرباب الفتوى فيها من جميع المذاهب الأربعة ووقع الشريف غالب بن مساعد على ذلك وكذلك علماء المدينة المنورة ، وكلهم يقولون نشهد أن هذا الدين الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعانا إليه إمام المسلمين سعود بن عبد العزيز من توحيد الله عز وجل ونفي الشرك الذي ذكره انه هو الحق الذي لا شك فيه ولا ريب ، الذي جاء به النبي محمد ﷺ وأن ما وقع في مكة والمدينة سابقا ومصر والشام وغيرهما ، من البلاد إلى الآن ، من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب انه الكفر المبيح للدم والمال والموجب للخلود في النار ، ومن لم يدخل في هذا الدين ويعمل به ، ويوالي أهله ، ويعادي أعداءه فهو عندنا كافر بالله واليوم الآخر ، وواجب على إمام المسلمين والمسلمين جهاده وقتاله حتى يتوب إلى الله مما هو عليه ويعمل بهذا الدين .

ومن هؤلاء المشايخ الشيخ عبد الملك بن عبد المنعم القلعي الحنفي مفتي مكة المكرمة ، والشيخ محمد صالح بن إبراهيم مفتي الشافعية بمكة ، والشيخ محمد بن محمد عربي البناني مفتي المالكية بمكة المشرفة ، والشيخ محمد بن أحمد المالكي ، والشيخ محمد بن يحيى مفتي الحنابلة بمكة المكرمة وغيرهم^(١) .

وبهذا كسر الطاغوت وأرغم الشيطان ولله الحمد ، نصر من الله وفتح قريب ، وهذا النصر العزيز والفتح المبين هو من آثار عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وفوقه مدخل إلى الجنة كريم إن شاء الله تعالى .

(١) انظر: الدرر السنية، ج ١ ص ٣١٨-٣٢٠ .

ومن أشهر العلماء العاملين في زمن الإمام سعود ابن الشيخ ، الشيخ عبد الله العالم الجليل .

قال ابن بشر : «هو الخليفة بعد أخيه حسين والقاضي في بلد الدرعية زمن سعود فكان آية في العلم ومعرفته ومعرفة فنونه»^(١) .

وحصل علما كثيرا حيث أوقف حياته على تحصيل العلم وتعليمه ونشره وأخذ عنه خلق كثير من فطاحل العلماء ، وصار مرجع القضاة وله مؤلفات عديدة وفتاوى كثيرة منها رد على بعض علماء الزيدية فيما اعترض به على دعوة التوحيد السلفية ، ومختصرة السيرة النبوية ، والكلمات النافعة ، ورسالة طويلة كتبها حال دخوله مكة المكرمة مع الإمام سعود فاتحاً سنة ١٢١٨ هـ اشتملت على بيان عقيدة شيوخ الدعوة وما هم عليه ورد مفتريات أعداء الإسلام .

جاء في هذه الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين ، وبعد فانا معاشر الموحدين لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت في ثامن شهر المحرم الحرام سنة ١٢١٨ بعد أن طلب أشراف مكة وعلماءها وكافة العامة من أمير الغزو وسعود الأمان ، وقد كانوا تواطؤا مع أمراء الحجاج وأمير مكة على قتاله أو الإقامة في الحرم ليصدوه عن البيت فلما زحفت أجناد الموحدين القى الله الرعب في قلوبهم ، فتفرقوا شذروا كل واحد يعد الأياب غنيمة وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف ودخلنا وشعارنا التلبية آمين محلقي رؤوسنا ومقصرين غير خائفين من أحد من المخلوقين بل من مالك يوم الدين ، ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون لم يعضدوا به شجرا ، ولم ينفروا صيدا ولم يريقوا دما إلا دم الهدى أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد وعرض الأمير رحمه الله على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه وهو إخلاص التوحيد لله تعالى وعرفهم انه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع الا في أمرين : أحدهما إخلاص التوحيد لله تعالى ، ومعرفة أنواع العبادة وان الدعاء من جملتها ، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا

(١) عنوان المجلد ... ٩٣/١ .

محمد ﷺ ، واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد ، وترك
الاشراك قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة .

والثانى : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى لم يبق عندهم إلا اسمه
وانمحي أثره ورسمه . فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا وبايعوا
الأمير على الكتاب والسنة وقبل منهم وعفى عنهم كافة فلم يحصل على أحد منهم
أدنى مشقة ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق لا سيما العلماء . ونقرر لهم حال اجتماعهم
وحال انفرادهم لدينا أدلة ما نحن عليه ، ونطلب منهم المناصحة والمذاكرة وعرفناهم
بأن صرح لهم الأمير حال اجتماعهم باننا قابلون ما وضحو برهانه من كتاب أو سنة أو
أثر عن السلف الصالح كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم بقوله ﷺ « عليكم
بسننى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » أو عن الأئمة الأربعة المجتهدين ومن تلقى
العلم عنهم إلى آخر القرن الثالث لقوله ﷺ « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم » وعرفناهم انا دايمون مع الحق اينما دار وتابعون للدليل الجلى الواضح ولا
نبالى حينئذ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا ، فلم ينقموا علينا أمرا ، فألحينا عليهم فى
مسألة طلب الحاجات من الأموات ان بقى لديهم شبهة . فذكر بعضهم شبهة أو
شبهتين فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة حتى أذعنوا ولم يبق عند أحد
منهم شك ولا ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه انه الحق الجلى الذى لا غبار عليه .
وحلفوا لنا الأيمان المغلظة من دون استحلاف لهم على انشراح صدورهم وحزم
ضمايرهم انه لم يبق لديهم شك فى ان من قال : يا رسول الله ﷺ ، أو يا ابن عباس ، أو
يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين طالبا بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا
يقدر عليه إلا الله تعالى من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ونحو
ذلك انه مشرك شركا أكبر يهدر دمه ويبيع ماله وان كان يعتقد أن الفاعل المؤثر فى
تصريف الكون هو الله تعالى وحده لكنه قصد المخلوقين بالدعاء متشفعا بهم ومتقربا
بهم لتقضى حاجته من الله بسرهم وشفاعتهم له فيها أيام البرزخ ، وان ما وضع من
البناء على قبور الصالحين صارت فى هذه الأزمان أصناما تقصد لطلب الحاجات
ويتضرع عندها ويهتف بأهلها فى الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى ، وكان من
جملتهم مفتى الحنفية الشيخ عبد الملك القلعى وحسين المغربى مفتى المالكية ، وعقيل
بن يحيى العلوى فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه ويرجى
النفع والضرب بسببه من جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق فى تلك البقعة

المطهرة طاغوت يعبد فالحمد لله على ذلك ثم رفعت المكوس والرسوم ، وكسرت آلات التنباك ، ونودى بتحريمه وأحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور ونودى بالمواظبة على الصلوات في الجماعات ، وعدم التفرق في ذلك بأن يجتمعوا في كل صلاة على إمام واحد ، ويكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة رضوان الله عليهم ، واجتمعت الكلمة حينئذ ، وعبد الله وحده ، وحصلت الألفة وسقطت الكلفة ، وأمر عليهم ، واستتب الأمر من دون سفك دم ولا هتك عرض ولا مشقة على أحد والحمد لله رب العالمين ، ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد في التوحيد المتضمنة للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمات والأحاديث المتواترة مما يثلج الصدر واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام تنشر في مجالسهم وتدرس في محافلهم ويبين لهم العلماء معانيها ليعرفوا التوحيد فيتمسكوا بعروته الوثيقة فيتضح لهم الشرك فينفروا عنه وهم على بصيرة آمنين وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ما صار حسين بن محمد بن الحسين الأبريقى الحضرمي ثم الحيايني ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة ويسأل عن مسألة الشفاعة التي جرد السيف بسببها من دون حياء ولا خجل لعدم سابقة جرم له . فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم بل والأعلم والأحكم خلافا لمن قال طريق الخلف أعلم» - ومضى الشيخ يبين عقيدتهم السلفية في الأصول والفروع في رسالته هذه وهي طويلة ونقلت منها ما نقلت لتضمنه وصفا لأثر عقيدة الشيخ في نشر دين الله ورسوله ﷺ ، وقد أثنى عليها العلماء وصدقوها وزكوها وما علمت أن أحدا نفى ما جاء فيها من وصف ما جرى وما هو واقع ، يقول محمد كرد علي الدمشقي في كتابه «القديم والحديث» . عن هذه الرسالة : «ورسالة عبد الله بن عبد الوهاب التي كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهد عدل انه برىء من تلك الافتراءات التي افتروها على عقائده وعقائد أبيه ، وبنوا عليها تلك الزلازل والقلقل وأن مذهبه عين مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين»^(١).

والحق أن الشيخ أنصف ولم يترك لأحد مقالا ، وأحال إلى الواقع الذي لا يقدر أحد أن ينكره يقول في رسالته تلك :

(١) نقلا عن هامش عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشرتهميش عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ١٦٤ ط المعارف ١٣٩٤هـ.

«ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه وافتراه علينا أعداء الدين وأخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الأذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذى نص الله عليه بأن الله لا يغفره ويغفر ما دونه لمن يشاء». ويشير إلى ما كذب عليهم من أنهم مخالفون لعقيدة أهل السنة والجماعة فى أى مسألة من مسائل العقيدة^(١).

ومن هؤلاء القضاة فى زمن الامام سعود:

الشيخ عبد الرحمن بن نامى الذى صار قاضياً فى بلد العيينة، ثم صار قاضياً فى الاحساء زمن سعود وابنه عبد الله^(٢).

الشيخ محمد بن سلطان العوسجى قاضى المحمل صار قاضياً فى الاحساء زمن سعود^(٣) وقد حصل فى التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول هذه العلوم، وقام بنشر عقيدة السلف الصالح فى الاحساء^(٤).

والشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين الذى صار قاضياً فى حريملاء وبلد الزلفى وغيرهما زمن سعود وابنه عبد الله^(٥).

وعن الأثر العمرانى والحضارى لهذه العقيدة السلفية التى لا ينسى صاحبها نصيبه من الدنيا ويحسن كما أحسن الله إليه - يحدثنا المؤرخ ابن بشر عن مثال رآه وشاهده فيقول: «ولقد رأيت فى الدرعية بعد ذلك فى زمن سعود رحمه الله تعالى وما فيه أهلها من الاموال وكثرة الرجال والسلاح المحلى بالذهب والفضة الذى لا يوجد مثله، والخيل الجياد والنجايب العمانية والملابس الفاخرة وغير ذلك من الرفاهيات ما يعجز عن غده اللسان ويكل عن حصره الجنان والبنان ولقد نظرت إلى موسمها يوماً فى مكان مرتفع، وهو فى الموضع المعروف بالباطن، بين منازلها الغربية التى فيها آل سعود، والمعروفة بالطريف، ومنازلها الشرقية المعروفة بالبجبرى، التى فيها أبناء الشيخ، ورأيت موسم الرجال فى جانب وموسم النساء فى جانب وموسم اللحم فى جانب وما بين ذلك من الذهب والفضة والسلاح والابل والأغنام والبيع والشراء،

(١) انظر: نص رسالة الشيخ عبد الله كاملاً فى الدرر السنية ج ١ ص ١٢٣ - ١٣٤.

(٢) عنوان المجد فى تاريخ نجد ٩٤/١.

(٣) عنوان المجد فى تاريخ نجد ٩٤/١.

(٤) علماء نجد خلال ستة قرون ٨٠٩/٣.

(٥) عنوان المجد فى تاريخ نجد ٩٤/١.

والأخذ والعطاء وغير ذلك . وهو مد البصر ، لا تسمع فيه الا كدوى النحل من النجناج ، وقول : بعت وشريت ، والدكاكين على جانبيه الشرقى والغربى وفيها من الهدم والسلاح والقماش مالا يعرف ولا يوصف^(١) . وكان قوة هذه البلد وعظم مبانيتها ، وقوة أهلها وكثرة رجالها وأموالها لا يقدر الواصف صفتها . ولا يحيط العارف بمعرفتها . فلو ذهبت أعد رجالها وإقبالهم فيها وإدبارهم فى كتائب الخيل والنجائب العمانيات وما يدخل على أهلها من أحمال الأموال من سائر الاجناس التى لهم مع المسافرين من أهلها ، ومن أهل الأقطار لم يسعه كتاب ولرأيت العجب العجائب . وكان الداخلى فى موسمها لا يفقد أحدا من أهل الآفاق من اليمن وتهامه والحجاز ، وعمان والبحرين وبادية الشام ، ومصر وأناس من حاضرتهم ، إلى غير ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عددهم ، هذا داخلى فيها وهذا خارج منها ، وهذا مستوطن فيها . وكانت الدور لا تباع فيها الا نادرا وأثمانها سبعة آلاف ريال وخمسة آلاف ريال والدانى بألف ريال وأقل وأكثر وكل شىء بقدره ، على هذا التقدير ، وكروة الدكان الواحد فى الشهر خمسة وأربعون ريالاً وسائر الدكاكين الواحد برىال فى اليوم ، وشىء نصف ريال . وذكر لي أن القافلة من الهدم إذا أتت إليها ، بلغت كروة الدكان فى اليوم الواحد أربعة أريال ، وأراد رجل منهم أن يوسع بيته ويعمره ، فاشترى نخيلات تحت هذا البيت ، يريد قطعها وتعمير موضعها ، كل نخلة بأربعين ريالاً وخمسين ريالاً ، فقطع النخل وعمر البيت ، ولكنه وقع عليه الهدم^(٢) قبل تمامه . وذكر لي من أثق به أن رجلاً من أهل الدرعية قال له : إننى أردت ميزاباً فى بيتى فاشترت خشبة طولها ثلاثة أذرع بثلاثة أريال وأجرة نجره وبناءه ريال . وكان غلا الحطب فيها والخشب إلى حد الغاية حتى قيل إن حمل الحطب بلغ خمسة أريال وستة ، والذراع من الخشبة الغليظة برىال وكل بيوتها مقاصير وقصور . كأن ساكنيها لم يكونوا من أبناء ساكنى القبور . فإذا وقفت فى مكان مرتفع ونظرت موسمها وكثرة ما فيها من الخلائق وتزاييلهم فيه وإقبالهم وإدبارهم ثم سمعت رنتهم ونجناجهم فيه فكأنه دوي السيل القوي إذا صب من على جبل^(٣) . اهـ

لا شك أن هذا الوصف يصور تطوراً عمرانياً وحضارياً متفوقاً على جميع

(١) تاريخ نجد ١/١٣، ١٤ .

(٢) يعنى هدم الدرعية على يد إبراهيم باشا .

(٣) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر ج ١ ص ٢١٤ .

الأقطار من حولهم حيث كان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن وتهامة والحجاز، وعمان والبحرين، وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم، إلى غير ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عددهم الخ كلام ابن بشر الذي رأى ذلك زمن الامام سعود.

وأما الامام عبد الله بن سعود :

فيقول الشيخ راشد بن علي بن جريس في كتابه « مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد » بعد أن ذكر وفاة الامام سعود بن عبد العزيز سنة ١٢٢٩ هـ قال : لما توفي الامام سعود تولى الامامة بعده ابنه عبد الله بن سعود فسار سيرة والده إلا أن إخوته لا يوافقونه على إرادته وكان لا يخالفهم ونازعه أخوه فيصل بن سعود فكان يأمر وفيصل يأمر، ففرقت شوكتهم ونفر منهم فثام من العرب ، واتسع الخرق في قوتهم ، فحاربتهم الدولة المصرية ، وانحاز إلى المصريين أكثر العرب من نجد والحجاز واليمن والعراق والشام وكان عبد الله شجاعاً ديناً عفيفاً كريماً سخياً ، إلا أنه ليس له من الرأي والألمعية كما لوالده ، فلذلك أضاع من سياسة الرعية شيئاً عظيماً فوافاه القدر المحتوم فتوفي في مدينة قسطنطينية سنة ١٢٣٣ هـ (١).

وقال ابن بشر : « وهذا الذي ذكرت من جهة الأمن وطاعة الحاضر والباد وغير ذلك اتفق في زمن عبد العزيز وزمن ابنه سعود وصدر من ولاية عبد الله (٢) .

حاصل أثر عقيدة الشيخ في هذا الدور :

يمكننا تحصيل ابرز آثار عقيدة الشيخ في هذا الدور من أدوار دولة أنصارها في نقاط هي : اشراق نور الحق من نجد ، وإمامة الأئمة والملوك من آل سعود وتحقيق ان منهج السلف يأتي بالخلافة في الأرض وتحقيق ان عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية قامت عليها دولة عظيمة فاقت أهل زمانها وهي صالحة لأن تقوم عليها دولة عصرية تفوق أهل هذا الزمان بحول الله وقوته وهذه النقاط يمكن استعراضها بشكل موجز فيما يلي :

(١) ص ٤٢ .

(٢) عنوان المجلد . . . ١٢٨/١ .

اشراق نور الحق من نجد :

لقد أشرق نور الحق واضاء نور هدى رسول الله ﷺ بعد ما أثار طواغيت العالم حوله القتام من نجد هذه المرة كما قال حسين بن غنام :

تلاً نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الظهر
وشمس الأمانى أشرقت في سعودها ولاح بأفق السعد أنجمه الزهر
وجلا ظلام الخطب بيض صنائع كأن سناها في غياهبه بدر
وأسفر وجه الوقت بعد تعبس وحالت بصنع الله احواله الكدر
إلى أن قال :

تشعشع من خمسين عاما ضياؤه ولم تبق أرض ليس فيها له ذكر^(١)
ومن عادة المؤرخين أنهم لا يهتمون في تاريخهم بتدوين الحوادث في الأزمنة
والأمكنة ما لم تكن لها دولة ذات شأن، ولذا فإن الباحث في أية ناحية من نواحي
التاريخ المتعلقة ببلاد نجد وما جاورها في القرون التي تلت القرن الثالث الهجري
حتى زمن ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعوزه المصادر ولا يرى
اهتماما من المؤرخين بحوادثها، وكل من كتب من المؤرخين المحدثين يبنى تاريخه على
الشهرة القديمة في صدر الإسلام ويعول على ما ذكره متقدمو المؤرخين عنها^(٢).

أما بعد أن أنعم الله على هذه البلاد بظهور دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف
الصالح وإصلاح ما فسد وانحرف من عقائد الناس على أيدي الغر الميامين آل سعود
فقد عمت بركتها وشمل يمنها الجزيرة وما جاورها وبلغت أقصى أقطار المعمورة وكان
ذلك موضع اهتمام المؤرخين والعلماء فكان همهم الأكبر فهم حقيقة تلك النهضة التي
هي حقيقة الإسلام خالصا من كل شائبة، وكان أول من قام بتدوين تاريخ قيام هذه
النهضة المباركة وتصوير كفاح أولئك الأبطال الذين هموا حوزتها، ودافعوا عنها بالنفس
والنفيس عالم جليل من بلاد الأحساء هو الشيخ حسين بن غنام (ت ١٢٢٥ هـ)
فسجل حوادث ما يزيد على نصف قرن من الزمان، وجاء بعده عالم جليل آخر هو

(١) روضة الأفكار، ج ١ ص ٢٣٧، وص ٣٤٠.

(٢) انظر: حد الجاسر في كتابه: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ص ٤٥ - ٧٩، ٨٠ - ١٠٠،

ومقدمته لتاريخ بعض الحوادث لابن عيسى ص ٥ - ٦.

عثمان بن بشر (١٢١٠-١٢٩٠ هـ) فسجل أهم حوادث أكثر من قرن كامل من الزمان بطريق التسلسل، (من سنة ١١٥٨ إلى سنة ١٢٦٨ هـ)^(١) ويلاحظ أن ابن بشر قد خصص كتابه لتاريخ تلك النهضة المباركة والدولة الميمونة وما دونه من نتف قبلها اعتبرها سوابق سبقت تلك العصور الزاهرة وقال: إنما دونتها ليعرف من وقف عليها نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة ولا تعرف الأشياء إلا بأضدادها^(٢) ويرى الدكتور منير العجلاني أن مبدأ تاريخ نجد الحديث والجزيرة العربية والشرق الأدنى هو من السنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية قال: «ففيها بدأت نجد تكتشف نفسها، وتعي رسالتها، وتصنع وحدتها، وتبنى نهضتها، وقبل ذلك وحتى القرن الثاني عشر، كانت (نجد) تعبيراً تاريخياً أو (جغرافياً) في الكتب القديمة، وأما في الواقع فما كان شياً يذكر بوحدتها أو وجودها. . . وإنما كانت هناك مجموعة كبيرة من الإمارات والمشايخ تنفرد كل واحدة منها بسلطانها، وتعزّز باسمها ولا ترى شيئاً فوقه، وقد تتحالف أحياناً لقتال الآخرين واستباحة ديارهم وأموالهم، ولكنها متى فرغت من قتال عدوها عادت تتقاتل فيما بينها، ولما يحف مداد عهدا ودم جندها».

إلى أن قال: «فلما تأسست دولة الإسلام في الدرعية، أخذت الصفوف تتجمع والبلدان تتوحد، فنشأت وحدة في العارض، ثم وحدة في نجد، ثم توسع مدلول نجد نفسه، فنشأت دولة نجد الكبرى إن صح هذا التعبير»^(٣).

ولقد أيد الدكتور العجلاني هذا الرأي بنقول عن صحيفة «الخليج الفارسي» وعن الدكتور فيليب حتى في كتابه «تاريخ العرب»، وعن «دائرة المعارف الإسلامية النسخة الإنكليزية، الطبعة الجديدة»^(٤).

وإذا اعتبرنا - وهو اعتبار صحيح يؤيده الواقع التاريخي - أن وجود العلماء والمؤرخين إنما يكون بقيام الدول الإسلامية لأن من شأنها الاستقرار والعدل والقضاء على الظلم والجهل فإننا نستطيع القول بأن التاريخ أشرق مرة أخرى بقيام دولة آل

(١) إبراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث والعبر في آخر القرن الثالث عشر والرابع عشر عام ١٣٧٢ بإشراف عبد الله الحاتم ص ١٠١. وانظر: حمد الجاسر: مقدمته لتاريخ بعض الحوادث. . لابن عيسى ص - ص ٥-٧، وعلماء نجد. . . ٧٠٣، ٧٠٠/٣.

(٢) ابن بشر ١/١٥٧، ١٥٨.

(٣) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤١، ٤٢.

(٤) انظر: ص ٤٢ - ٤٥ من المرجع السابق.

سعود بنصر عقيدة السلف الصالح منذ عقد الإمامان المحمدان العهد بينهما على
نصرة دين الله ورسوله ﷺ عام ١١٥٨ هـ .

إمامة الأئمة والملوك من آل سعود وتاريخهم :

قال الله تعالى : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ﴾ .

فمن آتاه الله الملك وسار فيه على النهج السوي كانت له هبة مأثورة ومكانة
مرهوبة وأنساب محفوظة ، وتاريخ مجيد ، وآل سعود منذ آوا شيخ الإسلام محمد بن
عبد الوهاب ونصروه في دعوته إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ، قد جعل الله لهم ملكا
قائما وتاريخا مجيدا بالفضائل مشرقا ، ودونت أنسابهم وسلسلت اعلامهم في مشجرات
الأنساب ، وحفظت في تواريخ ومؤلفات ومن هذه المؤلفات كتاب : مثير الوجد في
معرفة أنساب ملوك نجد ، تأليف شيخ من أفاضل السلفيين هوراشد بن علي الحنبلي
من آل جريس من قرية نعام ومن أهل القرن الثالث عشر كان معاصرا لصديق حسن
خان وله ترجمة في «التاج المكلل» لصديق حسن خان^(١) .

ولعل الدكتور منير العجلاني لم يطلع على هذا الكتاب فانه في بحثه نسب آل
سعود ، قصر سلسلة نسبهم على مانع الجد السابع لمحمد بن سعود ، وقال : « هذه
هى سلسلة النسب التى نجدتها فى كل كتاب يبحث فى تاريخ الدولة السعودية لانها
قريبة العهد ، وأما ما فوق مانع من الآباء ، فبعض المؤلفين يهمله وبعضهم ينقص
منه ، وبعض يغلط فيه ، ولكن المؤلفين يجمعون على أن مانعاً يتجدر من ربعة بن
نزار بن معد بن عدنان»^(٢) .

ثم عدد الدكتور العجلاني المراجع التى اطلع عليها وناقش ماورد فيها من
معلومات ومشجرات لهذا النسب ولم يذكر «مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد»
هذا ، وهو لعالم من علماء النسب فى نجد الأثبات كما يبدو من ترجمته^(٣) . وقد ذكر فيه

(١) انظر : مقدمة محب الدين الخطيب ، لكتاب مثير الوجد ط السلفية بالقاهرة ١٣٧٩ هـ ص ٣ - ٨ .
وانظر : التاج المكلل ص ٥١٧ . ط . الهند عام ١٣٨٢ هـ .

(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٦٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٧ - ٧٩ ، وعلماء نجد خلال ستة قرون للشيخ البسام ٢٥٧/١ - ٢٦٠ ،
وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد لمحمد القاضى ١٠٤/١ - ١٠٥ . والتاج المكلل . . لصديق حسن
ص ٥١٧ .

مشجر ربيعة وتقيم الذى تضمن ذكر من فوق مانع حتى ربيعة^(١). وفى ظنى أنه مشجر صحيح. وعلى كل حال فإن ذلك الغموض فى تاريخ من فوق محمد بن سعود يؤكد بأن هذه الأسرة الكريمة لم يظهر صيتها، ولم يهتم بها المؤرخون حتى أتى الله آل سعود الملك ببركة إتفاق جدهم محمد بن سعود مع محمد بن عبد الوهاب على نصرة الاسلام.

يقول الدكتور العثيمين: «إن تاريخ الاسرة السعودية فى بلدة الدرعية يعود إلى منتصف القرن التاسع الهجرى وكان جد هذه الاسرة مانع المريدى، مقيماً فى مكان يقال له الدرعية ناحية القطيف. وكان ابن عمه، ابن درع، مستقراً فى حجر الياهمة، ونتيجة لمراسلات بينها إنتقل مانع إلى منطقة نفوذ ابن عمه سنة ٨٥٠هـ - ١هـ^(٢).

ويقول أيضاً: والمتأمل فى تاريخ هذه الاسرة خلال أكثر من قرنين ونصف القرن يجد أنه لا يختلف عن تاريخ كثير من الاسر التى كانت فى نجد آنذاك على العموم. كانت هذه الاسرة فى بدايتها ضعيفة، ثم قويت وتوسعت على حساب جيرانها آل يزيد - وكغيرها من الاسر قدام بين أفرادها صراع حول السلطة والنفوذ حتى ضعف مركزها، وانتقلت رئاسة بلدة الدرعية إلى رجل من خارج هذه الاسرة يسمى سلطان بن محمد القبس سنة ١١٠٧ هـ، وعلى أية حال فإن رئاسة البلدة عادت بالقوة إلى أصحابها السابقين بعد ثلاثة عشر عاماً وأصبح موسى بن ربيعة أميراً لكنه مالبث أن أبعد عن الامارة وحل محله سعود بن محمد بن مقرن، وحين توفى سعود سنة ١١٣٧ هـ لم يتول ابنه محمد الامارة بعده وإنما تولاها زيد بن مرخان على أن محمداً كان له تأثير قوي على سير الحوادث فى الامارة، وكان قد حل بالعينة وباء سنة ١١٣٨ هـ مات فيه أميرها عبد الله بن معمر وعدد كبير من رجالها وإستغلالاً لذلك أخذ زيد بن مرخان يعد العدة لمهاجمتها، لكن خطته فشلت حين إستدرجه أمير العينة الجديد محمد بن معمر وقتله غدرًا فى السنة التالية وحينها عاد بقية من كانوا معه إلى الدرعية بقيادة محمد بن سعود أصبح هذا الاخير أميراً لها^(٣).

ويقول الدكتور العجلانى: «وبقى محمد بن سعود رئيساً للدرعية قبل هجرة الشيخ إليها نحو عشرين سنة أى منذ عام ١١٣٩ هـ إلى عام ١١٥٧ هـ ولسنا نعرف

(١) مثير الوجد فى معرفة أنساب ملوك نجد ص ص ٣٠-٣٩.

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . ص ٥١.

(٣) المصدر السابق ص ٥٢، ٥٣.

شيئاً من أخبار هذه الفترة الطويلة، ولعله لم يكن فيها شيء يستحق الذكر» ١- هـ (١).

هذا هو تاريخ الاسرة السعودية فقبل قيامها بدين الله على منهج السلف الصالح نجده تاريخاً لا يختلف عن تاريخ أى أسرة من الأسر النجدية الأخرى التى كانت كل واحدة منها دولة وفى كل بلدة من بلدانها إمارة أو مشيخة .

تحقيق أن منهج السلف الصالح يأتى بالخلافة فى الأرض :

لما قام آل سعود بدين الله على منهج السلف الصالح وفازوا على غيرهم بايواء حامل لوائه ونصرته ووفوا بما عاهدوا عليه الله آتاهم الله الملك ، واستخلفهم فى الارض كما قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ﴾ [النور: ٥٥] .

فكانت لهم مكانة مرهوبة وهيبة مأثورة وأنساب وتاريخ محفوظ ولا غرو فى ذلك لأنهم نصرروا منهج السلف الصالح وامتازوا بذلك على غيرهم ، ومنهج السلف الصالح هو الأساس فى بناء الامة الاسلامية وهو قطب رحاها فكما أن الامة الاسلامية وسط بين الأمم فكذلك منهج السلف الصالح وسط بين المناهج والفرق الاسلامية ، والدين الراشد هو الأمر الوحيد الذى ينقاد له العرب وبالدين يأتىهم الملك كما قرر هذا عالم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته فقال : « إن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة . والسبب فى ذلك أنهم لخلق التوحش الذى فيهم أصعب الأمم إنقياداً بعضهم لبعض ، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرئاسة فقلما تجتمع أهواؤهم ، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم وإجتاعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة ، الوازع عن التحاسد والتنافس فإذا كان فيهم النبى أو الولى الذى يبعثهم على القيام بأمر الله يذهب منهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لاظهار الحق تم لإجتاعهم وحصل لهم الملك والتغلب» (٢) .

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ص ٦٣ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٥١ .

وقال أيضاً: «إن الدولة العامة الاستيلاء، العظيمة الملك أصلها الدين إما من نبوة أو دعوة حق، وذلك لأن الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية وإتفاق القلوب وتآليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، ولكن الله آلف بينهم ﴿وَسِرَّهُ أَن الْقُلُوبَ إِذَا تَدَاعَتْ إِلَى أَهْوَاءِ الْبَاطِلِ وَالْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا حَصَلَ التَّنَافُسُ وَفُشِيَ الْخِلَافُ، وَإِذَا انْصَرَفَتْ إِلَى الْحَقِّ وَرَفُضَتِ الدُّنْيَا وَالْبَاطِلَ وَأَقْبَلَتْ عَلَى اللَّهِ اتَّحَدَتْ وَجْهَتَهَا فَذَهَبَ التَّنَافُسُ وَقَلَّ الْخِلَافُ، وَحَسُنَ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُضُ وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْكَلِمَةِ لِذَلِكَ فَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ»^(١) - هـ .

وهكذا فإن دولة آل سعود التي عظمت إنما أصلها الدين، أصلها الدعوة إلى الاسلام والسنة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقبلوها وأقاموها خالصة من أى شئ يخالف عقيدة السلف الصالح ونهجهم السليم .

إن الشيخ وابن سعود وأتباعهم قصدوا إقامة دين الله ونشر الاسلام وإقرار السنة وإماتة البدعة فجعل الله سبحانه وتعالى لهم عاقبة حميدة ونصرهم في نهاية جهادهم وأوصلهم ما كانوا يأملون به رغم كثرة الخصوم وشراستهم، وعداوة الأمراء والملوك من حولهم لهم ولما قاموا به بالاضافة إلى إستمرار معارضة علماء السوء وما أكثرهم وإبتلاء الأمة بأشخاص عرفوا بالعلم والديانة ثم انسلخوا من أداء الأمانة وقول الصدق وشهادة الحق في شأن الشيخ وأنصاره وما دعوا إليه من الدين وراحوا يشبهون ويفترون على الاسلام والمسلمين، ولم تحل خشية الله بينهم وبين كتمان ما أنزل الله من البينات بل لم تحل بينهم وبين إفتراء الكذب ولبس الحق بالباطل ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى كتب لدعوة الشيخ النجاح ولناصريه العز والتمكين ولخاذه الذل والازالة فها هو عثمان بن معمر الذي طرد الشيخ مهابة من ملك الاحساء، يجد نفسه وقد ذهب عنه تلك المهابة وبطل عنه كل ما كان يجد من دون الله تعالى وما وجد غير أن يأتي إلى الدرعية نادماً تائباً يرجو من الشيخ أن يعود معه، ثم لما رأى بالبصرة أن إغتنام بقاء الشيخ قد فاتته وظفر به ابن سعود^(٢) لم يجد بداً من أن ينضوي تحت لواء ابن سعود يجاهد في سبيل الله، وهذا مقتضى العقل وعين الحق

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٥٧ .

(٢) روضة ابن غنام ٤/٢ .

الذى لا مفر منه ثم نلمح الوفاء والكرم من الشيخ ومحمد بن سعود يُكرمون هذا العزيز الذى ذل! ويجعلونه أمير الغزوكله بمثابة القائد العام للجيش التى هى عدد الأمة وعدتها يريدون بذلك إعادة إعتباره بين قومه والابقاء على مكانته وإشباع طموحه فى الزعامة والذى كان هو سبب ضعفه عن نصرة الاسلام عسى أن يجد فى الاسلام ما فقدته فى غيره وعسى أن يغتبط بهذا الفضل وينسى ما يطمح إليه وقد قصر عن مستواه^(١)، ولكنه ظل متأرجحاً بين الحق والباطل ثم أدركه حب الرياسة والاستقلال، وأعمته الأنفة عن طريقه الذى سلكه وهو الصواب، ولم يصبر على ما توهم أنه تبعية مذلة لابن سعود وابن عبد الوهاب فتزعت به نفسه إلى سلوك ما يريب منه ويشينه ويفتح عليه باب المؤاخذة والعقوبة فيقتله بعض جماعته من أهل العيينة بسبب ذلك^(٢)، والعيينة يحرسها الله بولائها للشيخ وابن سعود من إستثناء الفتن فيها وتمزيقها لها فما كان الا أن تداركها الله بسرعة مجيء الشيخ إليها وتعيين أمير يخلف الراحل وتستمر العيينة بأهلها فى مسيرتها تحت لواء الدعوة استمراراً يسحق ما يقف فى طريقها حتى ولو كان الواقف فى طريقها أميرهم عثمان^(٣) أو قصر آل معمر فيها^(٤).

وفشلت كل معارضات علماء السوء النجديين، وخططهم وسعياتهم، وانكشفت تشبيهااتهم وزهق باطلهم بانتشار دعوة الحق ودولتها حتى انهزم أمير الرياض وافتتحها عبد العزيز بن محمد بعد حروب استمرت حوالى ثمانية وعشرين عاماً تخللتها فترات صلح يلجأ إليها دهام بن دواس حين يحس بضعف موقفه فيظهر الطاعة ثم ينكث وأخيراً هرب منها فأدخلوها تحت حكمهم الراشد، وغنموا ما فيها من عائدات الدولة^(٥).

وخاضت دولة الدعوة معارك فى زمان محمد بن سعود كثيرة مع أعداء كثيرين وشرسين من أعظمهم فى زمان محمد بن سعود ثلاثة أمراء: أمير الرياض - وأمير نجران - وأمير الأحساء فكانا يشتركان بالهجوم على الدرعية وينضم معهم كثير من بلدان نجد وبواديها يرمونهم عن قوس واحدة، وكانت نهاية النجراني ومن تبعه

(١) ابن بشر، عنوان المجد... ٢١/١، وروضة ابن غنام ٩/٢، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤.

(٢) المرجع السابق ابن بشر ٢٣/١، ٢٤. وروضة ابن غنام ٩/٢، ١٠، ١١، ١٣، ١٤.

(٣) روضة ابن غنام ١٤/٢.

(٤) روضة ابن غنام ٥٧/٢. وابن بشر فى عنوان المجد... ٤٣/١.

(٥) روضة ابن غنام ٨٨-٨٣/٢.

الخذلان عام ٨٨ - ١١٨٩ في ولاية عبد العزيز خذلاناً عظيماً ويرجع إلى بلاده مقهوراً مدحوراً هالكاً^(١).

أما أمير الأحساء الذى كان يخشاه ابن معمر فقد هلك بعد أن أذله الله وقام خلفه عرعر بن دجين وجمع جموعاً من عشائر بنى خالد وعدداً كبيراً من بلدان نجد المناوئين من أهل سدير والوشم والرياض والخرج وغيرهم وبواكهم من عنزة والظفير وتحزبوا أحزاباً هائلة اشرب الباطل لها ونقضت عهود لأجلها ووقعت بينه وبين أهل الجبيلة والدرعية عدة وقائع وقتل من جنده عدة قتلى ولم يحصل على طائل فنكس على عقبه قد فشل وفشل من نقض العهد لأجله^(٢). ثم عاد مع النجراني وأتباعه ليحارب ابن سعود معه ولكن الله لم يوفق بينه وبين النجراني فلم يدرك شيئاً مما أرادته ورجع إلى الأحساء^(٣).

ثم إن سعدون بن عريعر الذى تولى أمر الأحساء بعده جاء ليحارب ابن سعود مساعداً لأعدائه ومعه المدافع ولم يفز ورجع إلى بلاده وترك مدافعه في اليأمة فغنمها أهل الاسلام وذلك في سنة خمس وتسعين ومائة وألف^(٤).

ثم في سنة مائتين والفر دب الخلاف والفتن بين بنى خالد بما كسبت أيديهم فصار ذلك لعز الاسلام مقدمة وأستولت دولة الدعوة على الأحساء وما حولها^(٥)، ثم تجمعت أحزاب ثوينى من بغداد وعلماء السوء لديه فهاجموا الحساء فهزمهم الله على يد آل سعود تحت راية التوحيد.

وهكذا تم القضاء على بقية الأمراء الذين وقفوا في وجه الاسلام وطما على بلدانهم ملك أنصاره كما جرى للسابقين الأولين - وكما قال الله تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً﴾ الآية [النور: ٥٥] . . . والحمد لله رب العالمين.

(١) روضة ابن غنام ٢/٨٨-٨٩، ٩١-٩٣.

(٢) روضة ابن غنام ٢/٦٨-٧٢.

(٣) روضة ابن غنام ٢/٦٦-٦٨.

(٤) روضة ابن غنام ٢/١١٠.

(٥) الدرر السنية ١١/٤٧. وانظر: عنوان المجد: . . لابن بشر ص ١٢٤-١٢٨.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في نصيحته للإمام عبد الله بن فيصل : « تفهم أن أول ما قام به جدك محمد وعبد الله وعمك عبد العزيز أنها خلافة نبوة يطلبون الحق ويعملون به ويقومون ويغضبون له ويرضون ويجاهدون ، وكفاهم الله أعداءهم على قوتهم ، إذا مشى العدو كسره الله قبل أن يصل لأنها خلافة نبوة ولا قاموا على الناس إلا بالقرآن والعمل به - كما قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ وأخذ عمك في الإسلام حتى جاوز الثمانين في العمر ، والإسلام في عز وظهور وأهله يزيدون وحصل لهم مضمون قوله « ليستخلفنهم في الأرض » وصار أهل الأمصار يخافونهم »^(١).

وما من شك أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية هي التي قامت عليها هذه الدولة العظيمة ، فإنه لم يتوف إلا ومنطقة الأحساء تكاد كلها تخضع لها^(٢) وقد استمرت هذه الدولة في تطور عظيم كلما قامت بنشر العقيدة السلفية وحماتها ولقد يسر الله من يقوم بنشرها من العلماء والأمرأ حتى بعد وفاة الشيخ محمد سنة ١٢٠٦ هـ كما كانوا في حياته على ما قدمنا ذكره حتى تمكنت دولة العقيدة السليمة من ضم الأحساء ومناطق كبيرة من الساحل الغربي للخليج العربي وعمان كما تمكنت من صد هملتين عسكريتين وجههما إليها باشا بغداد . واستطاعت أيضاً أن تستولى على الحجاز وما يقع إلى الجنوب منه حتى أواسط اليمن وتمكنوا من صد الحملة المصرية وهزيمتها ، في حياة سعود - وبذلك العقيدة في أقل من عشرين عاماً من وفاة الشيخ أصبحت مساحة دولة الدرعية تمتد من الشام والعراق شمالاً حتى أواسط اليمن جنوباً ومن البحر الأحمر غرباً حتى الخليج العربي وأوسط عمان شرقاً ، وبذلك تعدى نفوذ سلطانها خارج جزيرة العرب وأصبحت تشن الغارات داخل الأراضى العراقية والشامية حتى بات كثير من القبائل الموجودة هناك تدفع إليها الزكاة^(٣).

قال الشاعر :

وقد ملكوا نجدا وغورا واتهموا وشاماً إلى البصري بل الغرب والشرقاً
حنيفية في دينها سلفية وكانوا أولى بأس فسل كل من تلقى^(٤)

(١) الدرر السنية ١١/٤٧ وانظر : عنوان المجد . لابن بشر ص ١٢٤-١٢٨ .

(٢) عنوان المجد . . . ١/١٢٨ .

(٣) انظر الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٦٥ .

(٤) الدرر السنية لابن قاسم ١٢/٣٠ .

مجلد إصلاحات الشيخ السلفية :

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو الذى دعى إلى عقيدة السلف الصالح وقام معه أنصاره بهذا الدين على حين غربة فنشره الله فى الآفاق وبارك الله فى جهوده وجهاده فكل امرئ أخذ منه حظه وقسمه وبعثت العمال لقبض الزكاة بعد أن كانوا يسمون قبل ذلك عند الناس مكاسا وعشارا، ونشرت راية الجهاد بعد أن كانت فتنا وقتالا، وعرف الصغير والكبير التوحيد بعد أن كان لا يعرفه إلا الخواص، واجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن أصل الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها وتعلمها الصغير والكبير والقارى والأمى بعد أن كان لا يعرفها إلا الخصائص، وانتفع بعلمه أهل الآفاق لأنهم يسألون عما يأمر به وينهى عنه. فيقال لهم يأمر بالتوحيد وينهى عن المنكر، ويقال لهم أن أهل نجد يمقتونكم بذلك، فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه وهم المسلمون جميع القباب والمشاهد التى بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية فى أقاصى الأقطار من الحرمين واليمن وتهمان والأحساء ونجد وغير ذلك، حتى لا تجد فيمن شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلا عن غيره إلا الرياء الذى قال فيه النبى ﷺ : «إنه أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل» وأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحي يسألون الناس فى المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة الأصول : معرفة الله ومعرفة دين الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليها من الأدلة من القرآن ومعرفة محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه وهى : لا إله إلا الله، ومعرفة معناها، والبعث بعد الموت وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها وفروض الوضوء ونواقضه وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد من أنواع العبادة التى لا تنبغى إلا لله كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والرغبة والتوكل والإنابة وغير ذلك كما سبق ذكره. وذلك يسأل عنه الناس ويلزمون بتعلمه كل على قدر مستواه. وكان الشيخ هو المرجع فى أمور الدين وما يتعلق به من الأمور الأخرى، فهو المرجع فى شئون الافتاء، وكان هو الذى يختار القضاة ويعينهم، كما كان يرسل المرشدين إلى المناطق المختلفة ويبعث العلماء لمناقشة من يود أن يعرف ما كان يدعو إليه كما طلب الشريف فأرسل إليه الشيخ عبد العزيز الحصين وغيره وقد شرح لعلماء مكة حقيقة الدعوة، وللشيخ دور كبير فى

تدريس وتخريج كثير من أصبحوا قادة في ميادين العلوم الدينية المختلفة وقاموا بأدوار إصلاحية هامة^(١).

وكان رحمه الله تعالى هو الذى يجهز الجيوش وبعث السرايا ويكتب أهل البلدان ويكتبونه، والوفود إليه والضيوف عنده والداخل والخارج من عنده^(٢). ولم يزل الشيخ مجاهدا حتى اذعن أهل نجد وتابعوا، وعمل فيها بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبإيعوه، فعمرت نجد بعد خرابها وصلحت بعد فسادها ونال الفخر والمثل من آواه، وصاروا ملوكا بعد الذل والتفرق والقتال وهكذا كل من نصر الشريعة من قديم الزمان وحديثه فان الله يظهره على أعدائه ويجعله مالكا لمن عاداه، وما مات إلا وقد قرت عينه بنصر الله لدين الإسلام فكان كثيرا ما يتمثل شاكرا لربه بثلاثة أبيات هي :

بأى لسان أشكر الله انه · لذنو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالإسلام فضلا ونعمة علي وبالقُرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادى يوم كشف السرائر^(٣)

ويلهج دائما بقوله تعالى : ﴿ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علي وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذرىتى إني تبت إليك وإنى من المسلمين ﴾ وكان قد ثقل فى آخر عمره . فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين رجلين حتى يقام فى الصف . فكان لا يزال قدوة حتى وهو فى هذه الحال ، إلى أن توفى رحمه الله تعالى .

ويمكننا أن نتبين مجمل إصلاحات الشيخ السلفية حسبما ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن ذلك ، فقال رحمه الله :

«فأتاح الله بمنه فى هذه البلاد النجدية والجهات العربية من أحبار الإسلام وعلمائه الاعلام من يكشف الشبهة ، ويجلو الغمة وينصح الأمة ، ويدعو إلى محض الحق وصريح الدين ، الذى لا يخالطه ولا يمازجه دين الجاهلية المشركين فنافع عن دين الله ودعا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وصنف الكتب والرسائل وانتصب للرد على

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور العثيمين ص ٧١ بتصرف .

(٢) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩٠/١ . والدرر السنية ٣١/١١ .

(٣) ابن بشر، عنوان المجد . . . ٩١/١ .

كل مبطل ومما حل ، وعلم من لديه كيف يطلب العلم؟ وأين يطلب؟ ، وبأى شىء يقهر المشبه المجادل ويغلب؟ ، واجتمع له من عصاة الإسلام والإيثار طائفة يأخذون عنه ويتفعلون بعلمه ، وينصرون الله ورسوله حتى ظهر واستنار ما دعا إليه وأشرق شمس ما عنده من العلم وما لديه ، وعلت كلمة الله حتى أغشى اشراقها وضوءها كل مبطل ومما حل ، وذلل لها كل منافق مجادل ، وحقق الله وعده لأوليائه وجنده كما قال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ وقوله : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ﴾ الآية .

فزال بحمد الله ما كان بنجد وما يليها من القباب والمشاهد والمزارات والمغارات وقطع الأشجار التي يتبرك بها العامة ، وبعث السعاة لمحو آثار البدع الجاهلية من الأوتار والتعليق والشركيات ، وألزم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت وبسائر الواجبات ، وحث من لديه من القضاة والمفتين على تجريد المتابعة لما صح وثبت عن سيد المرسلين مع الاقتداء في ذلك بأئمة الدين والسلف الصالح المهديين ونهاهم عن ابتداع قول لم يسبقهم إليه إمام يقتدى به ، أو علمٌ يهتدى به وأنكر ما كان الناس عليه في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية التي لم ينزل في تعظيمها سلطان ، ولم يرد به حجة شرعية ولا برهان ، لأن ذلك فيه مشابهة للنصارى الضالين ، في أعيادهم الزمانية والمكانية وما هو باطل مردود في شرع سيد المرسلين .

وكذلك أنكر ما أحدثه جهلة المتصوفة وضلال المبتدعة من التدين والتعبد باللهم واللهم والمكاء والتصدية ، والأغاني التي صدهم بها الشيطان عن سماع آيات القرآن وصاروا بها من أشباه عباد الأوثان ، الذين قال الله فيهم : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ﴾ وكل من عرف ما جاء به الرسول تبين له أن هؤلاء من أضل الفرق وأخبثهم نحلة وطريقة ، والغالب على كثير منهم النفاق وكراهة سماع كلام الله .

وأنكر رحمه الله ما أحدثته العوام والطغام من اعتقاد البركة والصلاح في أناس من الفجار والطواغيت الذين يترشحون لتأله العباد بهم وصرف قلوبهم إليهم باسم

(١) المصدر السابق ص ٩٥ .

الولاية والصلاح وان لهم كرامات ومقامات ونحو هذا من الجهالات فإن هؤلاء من أضر الناس على أديان العامة .

وأنكر رحمه الله ما يعتقده العامة في البله والمجاذيب وأشباههم الذين أحسن أحوال أحدهم أن يرفع عنه القلم ويلحق بالمجانين .

وأرشد رحمه الله إلى ما دل عليه الكتاب وسنة رسول الله ﷺ من الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . وساق الأدلة الشرعية التي يتميز بها كل فريق ويعتمدها أهل الإيـان والتحقيق . فإن الله جل ذكره وصف الأبرار ونعتهم بما يمتازون به ويعرفون ، بحيث لا يخفى حالهم ولا يلتبس أمرهم وكذلك وصف تعالى أولياء الشيطان من الكفار والفجار ونعتهم بما لا يخفى معه حالهم ولا يلتبس أمرهم ، على من له أدنى نظر في العلم وحظ من الإيـان .

وكذلك قام بالنكير على أجلاف البوادي وأمراء القرى والنواحي فيما يتجاسرون عليه ويفعلونه ، من قطع السبيل وسفك الدماء ونهب الأموال المعصومة حتى ظهر العدل واستقر ، وفشا الدين واستمر ، والتزمه كل من كانت عليه الولاية من البلاد النجدية وغيرها ، والحمد لله على ذلك^(١) .

أسباب زوال الدولة وتسليط العدو :

ثم إنه حصلت ذنوب من الناس بعد ذلك وأمور من التقصير والاختلاف فكانت سببا في تسليط الأعداء على المسلمين ، ابتلاء وامتحانا وتمحيصا واختبارا كما هي سنة الله تعالى العزيز الحكيم .

وقد تنبه إليها أبناء الشيخ وهم حسين وإبراهيم وعبد الله وعلي منذ حدوثها واستنكروها ونصحوا كافة المسلمين بمنشورهم إليهم ، وحثوا على التوبة منها قبل أن تحل العقوبة وتنزل الكارثة فلا ينفع حينئذ ندم نادم .

ومن هذه الأمور المخالفة : ترك المحافظة على الصلوات الخمس ، وهي عمود الإسلام من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ومنها الغفلة عن التفقه في دين الإسلام ، حتى إن من الناس من ينشأ وهو ما يعرف دين الإسلام ومنهم من يدخل فيه وهو ما يعرفه ولا يفعله ظنا منه أن الإسلام هو العهد ،

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٤ ص ص ٤٤٠-٤٤١ .

ومعرفة الإسلام والعمل به واجب على كل أحد ولا ينفع فيه التقليد .
ومنها إن من الناس من يمنع الزكاة ، والذي ما يقدر على المنع يحبسها . والزكاة
ركن من أركان الإسلام . ومنها : ظهور عقوق الوالدين وقطيعة الرحم من كثير من
الناس .

ومنها ما يجري من بعض الأمراء والعامّة من الغلول من المغنم ، ومن لم يستطع
يتحيل على الغلول بالشراء ولا ينقد الثمن .

ومنها ظلم بعض الأمراء ، يأخذون من أموال الناس بصورة الجهاد ولا يصرفه
في الجهاد بل يأكله ، وبعض الأمراء يأخذ جميع الزكاة ولا يعطى المساكين منها شيئاً ،
وربما يجري من هؤلاء تحميل الناس ما لا يستطيعون .

ومنها اختلاط الجيد بالردى ، وصاحب الدين بالمنافق ، ولا يميز هذا من هذا ،
ووقع بسببه ظهور الكلام الباطل والذي لو يظهر من أحد في أول أمر هذه العقيدة أدب
أدباً بليغاً وعرف ان قائله منافق .

ومنها الظلم والوقوع فيما حرم الله من الدماء والأموال والأعراض ، والغيبة
والنميمة وقول الزور وبهت المسلم بما ليس فيه ، وصار هذا ما يستنكر فإذا بان كذبه
وتزويره ما سقط من العيون .

ومنها الجسرة على ذمة المسلم فإذا أعطى أحد من المسلمين أحداً من الكفار
ذمته خفر في دمه وأمواله ، والعجب ان بعض الجهال يفعل هذا ديانة ويظن انه معادة
للكفار ، واستحلال المحرم أعظم من ارتكابه مع معرفة تحريمه .

ومنها أن بعض الناس يغضب إذا أنكر على رجاله أو من له علاقة إذا فعل
المنكر وأنكر عليه ، وهذا أمر ما يحل .

ومنها التعاطى بمعاملات من الربا ، ويمحق الله الربا .

ومنها التشاقل عن الجهاد ومعصية الإمام في ذلك وغيره وقد فرض الله الجهاد
على المسلمين ، وبهذا الجهاد أعزهم الله بعد الذلة ، وقواهم بعد أن كانوا مهزومين .

ومنها ما يجري من تطليق على غير السنة ، يطلق الرجل زوجته بطريقة مخالفة
لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وغير ذلك من الأمور التي تجرى من الناس قبيل
نكبتهم على يد إبراهيم باشا ، والعلماء من آل الشيخ وغيرهم من حملة العقيدة
السلفية ينهون على ذلك وينصحون وينكرون وكذلك الإمام سعود وابنه عبد الله لهما

في ذلك نصائح ، وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم هذه النصائح وأوردها بنصوصها وتفصيلها^(١)، وقد اختصرت منها ما ذكرته من تلك الأمور التي كانت أسبابا في التغير قال الله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

وأهم هذه الأمور والتي كأنها نتيجة لتلك الأمور المنكرة المتقدمة ، وسراية لها ما يذكره الشيخ راشد بن علي الحنبلي في رسالته : « مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد » من تنازع على الإمارة والسلطة واختلاف بسبب ذلك بين القادة فقال ما نصه عن الإمام عبد الله بن سعود : « فسار سيرة والده إلا أن إخوته لا يوافقونه على إرادته ، وكان لا يخالفهم . ونازعه أخوه فيصل بن سعود ، فكان يأمر وفيصل يأمر فتفرقت شوكتهم ، ونفر منهم فئام من العرب واتسع الخرق في قوتهم ، فحاربتهم الدولة المصرية وانحاز إلى المصريين أكثر العرب من نجد والحجاز واليمن والعراق والشام »^(٢) .

ويجمل ابن بشر ذلك بقوله : ان الدولة المصرية سلطت على المسلمين بسبب الذنوب^(٣) .

والمقصود بيان أثر عقيدة الشيخ السلفية حين تقر وتطبق أما إذا جرى أمور تخالفها فيكون الأثر عكسيا ولا حول ولا قوة إلا بالله . ولقد أثر العدوان على القائمين بها وخذلأنهم دمارا رهيبا يصوره لنا ابن بشر رحمه الله في تاريخه فيقول في سنة حلول النكبة المصرية : « وكانت هذه السنة قد كثر فيها الاضطراب والاختلاف ونهب الأموال وقتل الرجال وتقدم أناس وتأخر آخرون وذلك بحكمة الله سبحانه وقدرته وقد أرخصها بعض الأخوان من أهل سدير وهو محمد بن عمر الفاخري فقال :

عام به الناس جالوا حسبما جالوا ونال منا الأعادى فيه ما نالوا
قال الاخلاء ارحه فقلت لهم ارحت قالوا بماذا قلت غربال^(٤)

(١) انظر: الدرر السنية، ج ١٢، كتاب النصائح ص ص ٢١-٣ .

(٢) مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد، للشيخ راشد بن علي الحنبلي، ط السلفية بالقاهرة ١٣٧٩ هـ

ص ٤٢ .

(٣) عنوان المجد . . . ١/ ١٢٨ .

(٤) عنوان المجد . . . ١/ ٢١٠ .

والشاهد كلمة غربال فإنها بحسب حروف الجمل تساوي ١٢٣٣ وهي السنة التي حصلت فيها النكبة .

ويقول ابن بشر: «انحل نظام الجماعة والسمع والطاعة وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يستطيع أحد أن ينهى عن منكر أو يأمر بطاعة . وعمل بالمحرمات والمكروهات جهرا . وليس للطاعات ومن عمل بها قدر .

وجر الرباب والغناء في المجالس ، وسفت الذواري على المجامع والمدارس . وعمرت المجالس بعد الأذان في الصلاة وندرس معرفة ثلاثة الأصول وأنواع العبادات وسل سيف الفتنة بين الأنام ، وصار الرجل في وسط بيته لا ينام . وتعدرت الأسفاريين البلدان ، وتطايير شرر الفتن في الأوطان ، وظهرت دعوى الجاهلية بين العباد وتنادوا بها على رؤس الأشهاد ، فلم تزل هذه المحن على الناس متتابعة وأجنحة ظلامها بينهم خاضعة^(١) .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر من قصيدة نظمها في رثاء أهل الدرعية وذكر ما جرى لهم وعليهم وأولها قوله :
إليك إله العرش اشكوتضرعا وادعوك في الضراء ربى لتسمعا
إلى أن قال :

وكم قتلوا من عصابة الحق فتية	هداة وضاة ساجدين وركعا
وكم دمروا من مربع كان أهلا	فقد تركوا الدار الأنيسة بلقعا
فأصبحت الأموال فيهم نهائبا	وأصبحت الأيتام غرثى وجوعا
وفر عن الأوطان من كان قاطنا	وفرق الف كان محتما معا

إلى أن قال :

عسى وعسى أن ينصر الله ديننا	ويجبر منا ما قد تصدعا
ويعمر للسمحار ربوعا تهدمت	ويفتح سبلا للهداية مهيعا
ويظهر نور الحق يعلو ضياؤه	فيضحي ظلام الشرك والشك مقشعا
الهي فحقق ذا الرجاء وكن بنا	رؤوفا رحيما مستجيبا لنا الدعا

إلى أن قال :

ألا أيها الأخوان صبرا فأننى أرى الصبر للمقدور خيرا وأنفعا

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر: ج ١ / ٢١٠-٢١١ .

ولا تيأسوا من كشف ما ناب انه وما قلت ذلك لا أشكو إلى الخلق نكبة فما كان هذا الأمر إلا بقدرة وذاك عن ذنب وعصيان خالق وقد آن أن نرجو رضاه وعفوه فيا محسنا قد كنت تحسن دائما نعوذ بك الله من سوء صنعنا اغثنا اغثنا وادفع الشدة التي فجد وتفضل بالذى أنت أهله

إذا شاء ربي كشف ذاك تمزعا ولا جزعا مما أصاب فأوجعا بها قهر الله الخلائق أجمعا أخذنا به حيناً فحيناً لنرجعا وأن نعرف التقصير منا فنقلعنا ويا واسعاً قد كان عفوك أوسعاً فان لنا في العفوم منك لمطمعاً اصابت وصابت واكشف الضر وارفعاً من العفو والغفران يا غيث من دعا^(١)

وبذلك نأتى إلى نهاية هذا الفصل ، وقد تضمن ذكر أثر عقيدة الشيخ السلفية في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها ، التي بحول الله وقوته لا تنقطع أبداً فإلى الفصل التالى وهو الفصل الثالث من الباب الثانى ، باب أثر عقيدة الشيخ السلفية ويتضمن أثرها فى الدور الثانى من أدوار دولة أنصارها .

(١) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر، ج ٢ ص ٣٤، ٣٥ وفى ط المعارف ص ٤٣-٤٥ .

الفصل الثالث أثرها في الدور الثاني

قال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف في قصيدة له :

واقسم قوم انها دولة مضت وليس لما قد قد فات عود ولا رد
وقلنا لهم : نصر الاله لحزبه به جاء في القرآن والسنة الوعد
فعادت كما كانت بفضل ورحمة من الله مولانا له الشكر والحمد
فهذا إمام المسلمين مؤيدا له النصر والاقبال والحل والعقد^(١)

إنه رغم حلول النكبة واصابة المصيبة فإن عقيدة الشيخ السلفية لم تمت ولم تنته ولم تزل والله الحمد . لقد اتاح الله لعقيدة السلف الصالح ، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد ذلك الذي جرى نورا ساطعا ، وسيفا لمن أثار الفتنة قاطعا ، فكشف الله بسببه المحن ، وشهره من غمده في رؤوس أهل الفتن ، الإمام الوافي بالعقود والمتم للعهود تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود . وذلك بعد سنوات من حلول النكبة تقارب خمس سنوات أوستا .

قال ابن بشر عن الإمام تركي : « أطفأ الله به نار الفتنة بعد اشتعال ضرامها وهان على كثير من الناس دينها وإسلامها كأنهم لم يكونوا حدثا بإسلام ، ولم يجتمعوا على إمام ، وتهاون كثير منهم بالصلاة ، وافطروا في البلدان في شهر رمضان ، وصار هذا الشهر العظيم عندهم كأنه جمادى أو شعبان وتعذرت بين البلدان الأسفار واتخذوا دعوى الجاهلية لهم شعارا ، فحارب البلدان وقاتل العربان ، ودعاهم إلى الجماعة والسمع والطاعة حتى ضرب الإسلام بجرائنه وسكنت الأمة في أمنه وأمانه^(٢) .

وكان من شأن الإمام تركي فيما يتعلق بنصره دين الله وعطفه على الرعاية وحزمه

(١) ديوان ابن مشرف ص ٤٧ .

(٢) انظر: تاريخ ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢ / ص ٨ .

مع أمرائه ما يذكره ابن بشر قال : « لما خرج من الدهناء نزل على غدير يقال له وثيلان فأمر على رؤساء النواحي أن يجتمعوا ، فلما حضروا قام فيهم وذكرهم نعمة الله عليهم بالاجتماع بعد الفرقة والأخوة بعد العداوة ، والغنى بعد العيلة ، واعترف عند ذلك بنعمة الله عليه وضعفه وعجزه وتقصيره وحقر نفسه ، ثم انه اغلظ الكلام على الأمراء وتهدهم وتوعدهم عن ظلم الرعايا والأخذ منهم غير الحق ثم قال : وإنكم إذا ورد أمرى عليكم بالمغزا حملتموهم زيادة لكم ، وإياكم وذلك فإنه ما منعنى أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب في غزوهم إلا الرفق بهم وإنى ما حملتهم إلا بعض ما حملهم الذين من قبلى والله تعالى يقول : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ وإنه إذا ورد عليكم أمرى فرحتم بذلك لتأكلوا فى ضمنه وصرتم كراصد النخل يفرح بشدة الريح ليكثر الساقطة عليه ، واعلموا إنى لا أبيحكم أن تأخذوا من الرعايا شيئا ومن حدث منه منكم ظلم على رعيته ، فليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه ، ثم قال للرعايا أيها أمير ظلمكم فأخبرونى ، فقام أمير بريدة عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال : يا إمام المسلمين خص بقولك ولا تعم به فإن كنت نقت على أحد منا فأخبره بفعله - فقال : إنما القول فيك وفى أمثالك تحسبون إنكم ملكتم البلدان بسيوفكم وإنما أخذها لكم وذللها سيف الإسلام والاجتماع على إمام»^(١).

وكان من توفيق الله للإمام تركى ان أتاح له شيخا من شيوخ العقيدة السلفية هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ قدم على الإمام تركى من مصر ففرح به الإمام وأكرمه ، ووضع به بالمكان الرفيع وقربه إليه فأحسب الله به مدارس العلم بعدما عطلت وتزينت بدروسه المساجد بعدما أقفرت وكان الشيخ من أعلام عقيدة السلف الصالح ومن علمائها العاملين ، كان قد أخذ عن جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب فى صغره ، وولى القضاء فى الدرعية زمن سعود وابنه عبد الله^(٢) . ثم أخذ مع من أخذ إلى مصر ، ولكن الله تعالى من عليه بالعودة سنة إحدى وأربعين ومائتين بعد الألف مع ما من به عليه من ثبات على العقيدة ، وإتاحة الناصر لها من آل محمد بن سعود وزاده الله فى العلم النافع بسطة فاغتبط بطلعته المسلمون خاصهم وعامهم ،

(١) تاريخ ابن بشر، عنوان المجد، ج ٢ ص ٤٤.

(٢) عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر، ج ١ ص ٩٤، ج ٢ ص ٢٠.

وبذل وقته لطالبي العلم وانتفع بعلمه كثير من المستفيدين^(١).

قال ابن بشر عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «فممن انتفع به وتفقه عليه حتى صار قاضيا يرجع في الفتوى إليه من ذريته وذرية جده محمد بن عبد الوهاب عدد كثير منهم العالم الفاضل ابنه الشيخ عبد اللطيف قدم من مصر سنة أربع وستين ومائتين وألف ومعه كتب كثيرة وانتفع الناس بعلمه وكان عنده حلقة في التدريس وكان أخذ العلم عن أبيه في مصر وأخذ أيضا عن غير أبيه واستعمله الإمام فيصل قاضيا في الأحساء، ثم كان قاضيا مع أبيه في الرياض، وتفقه على الشيخ عبد الرحمن بن حسن أيضا الشيخ العالم عبد الرحمن بن القاضي حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان قاضيا في ناحية الخرج وتفقه عليه أيضا الشيخ العالم الفقيه حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاضي الإمام تركي في الرياض ولم تطل مدته مات شابا سنة خمس وأربعين ومائتين وألف، وتفقه عليه أيضا الشيخ العالم عبد الملك ابن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في حوطة بني تميم للإمام فيصل، وتفقه عليه أيضا الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في الحريق للإمام فيصل، وتفقه عليه أيضا الشيخ حسين بن علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في الرياض للإمام فيصل، وتفقه عليه أيضا الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من ذرية الشيخ وهو الآن في طلب العلم يترقى حسن بن علي بن حسين: وأبناء الشيخ محمد بن علي بن الشيخ وهم: عبد الله وعبد العزيز وعلي وعبد الرحمن وأبناء القاضي علي بن حسين وهما: عبد الله وحسن»

وقد أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن من غير قرابته من علماء نجد عدد كثير وجم غفير ممن ولي القضاء وغيرهم، فمنهم العالم الشيخ عبد العزيز بن القاضي عثمان بن عبد الجبار بن شبانه قاضي بلدان منيخ^(٢)، والزلفي والعاظ للإمام تركي ثم لابنه فيصل وأخذ عنه أيضا العالم الشيخ عبد الله بن نصير القاضي في الرياض للإمام تركي ثم في ضرماء، وأخذ عنه الشيخ ناصر بن عيد القاضي للإمام تركي في بلد الحلوة وأخذ عنه أيضا الشيخ محمد بن سلطان قاضي بلد عرقه للإمام تركي ثم لابنه فيصل

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠.

(٢) يُنَبِّخ اسم كان يطلق على المجوعة وما حولها من واديا (معجم الياجمة ج ٢ / ص ٤٠٢).

وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن حمد الثميري القاضى فى سدير للإمام تركى ثم كان قاضيا فى الزلفى للإمام فيصل وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن جبر القاضى فى منفوحة وأخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف القاضى فى جبل شمر عند ابن رشيد وأخذ عنه العالم عبد العزيز بن حسن بن يحيى القاضى فى حريملاء والمحمل للإمام فيصل وأخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم بن عجلان القاضى فى الحريق وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن علي بن مرخان القاضى فى ضرما للإمام فيصل وأخذ عنه أيضا الشيخ حمد بن عبد العزيز بن القاضى محمد بن عبد العزيز قاضى بلد ثادق للإمام فيصل وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن عدوان .

وأما من أخذ عنه ممن لم يل القضاء فعدد كثير ونفع الله الطلبة بعلمه بحيث أن الطالب لا يلبث إلا يسيرا عنده حتى يكون فائقا بفهمه فضربت إليه اباط الإبل من أقطار نجد والأحساء وظهرت آثار بركات علمه وتعليمه^(١) وللشيخ عبد الرحمن بن حسن المؤلفات والفتاوى والرسائل المشهورة ، والتي عمرت بها المدارس من بعده مثل فتح المجيد فى شرح كتاب التوحيد وهو تهذيب واختصار لشرح التوحيد المسمى تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ وقرة عيون الموحدين وردود كثيرة على أهل الشبه وأعوان الباطل .

يقول ابن بشر: وقد صنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن مصنفات فى الأصول والفروع أكثرها رد على أهل المقالات ومن غالط منهم فى الصفات . وله مصنف فى محل ومحرم من الحرير فمن طالعه دله على علمه الغزير .

ويقول ابن بشر: « كتبت له مرة ودعوت له فى آخر الكتاب . وقلت فى ختام الدعاء إنه على ما يشاء قدير . فكتب إلي وقال فى اثناء جوابه ان هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد وهو قول الكثير إذا سأل الله تعالى قال وهو القادر على ما يشاء وهذه الكلمة يقصدون بها أهل البدع شرا وكل ما فى القرآن : وهو على كل شىء قدير ، وليس فى القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلا لأن القدرة شاملة كاملة وهى والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجبات والمعدومات وإنما قصد أهل البدع بقولهم وهو القادر على ما يشاء ، أى ان القدرة لا تتعلق إلا بما تعلق به المشيئة » انتهى .

وقال ابن بشر: « وكتبت إليه مرة أهنيه بقدم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر

(١) ابن بشر، عنوان المجد فى تاريخ نجد ٢/٢١، ٢٢ .

وتوسلت إلى الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لا يعلمها إلا هو فكتب إلي فقال :
وقد ذكرت وفقك الله في وسيلة دعوتك جزاك الله عنى أحسن الجزاء عن تلك
الدعوات قلت وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت . فاعلم أيها
الأريب الأديب ان الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة وأما الصفة فيعلمها أهل العلم
بالله كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول . ففرق هذا الإمام بين ما
يعلم من معنى الصفة على ما يليق بالله فيقال استواء لا يشبه استواء المخلوق ومعناه
ثابت لله كما وصف به نفسه وأما الكيف فلا يعلمه إلا الله فتنبه لمثل هذا فالإمام مالك
تكلم بلسان السلف .

يقول ابن بشر : فانظر إلى سعة علومه واطلاعاته . ومفهومه وما لديه من
التحقيق والتدقيق . وكان كثيرا ما يتعاهد أهل بلدان نجد بالمراسلات والنصائح
يعلمهم ما يجب عليهم من أمر دينهم ويذكرهم نعمة هذا الدين ، واجتماع شمل أهل
الإسلام عليه وما من الله به على أهل نجد في آخر هذا الزمان^(١) .

ويقول ابن بشر عن رسالة للشيخ عبد الرحمن بن حسن : وورد علينا منه رسالة
بعثها إلى بلدان نجد وأحببت أن أذكرها في ترجمته لأنه ذكر فيها بدأ أمر الشيخ جده
محمد بن عبد الوهاب وأول ظهور هذا الدين على يديه في نجد ، وأوردها كما أوردها
ابن بشر للغرض نفسه ولتأكيد وراثته الشيخ عبد الرحمن بن حسن لجده الشيخ محمد في
حمل عقيدة السلف الصالح ونشرها والتأثير على الناس في العودة إلى دين الله ورسوله
ﷺ كما فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكأنها بيان للخطة التي يسير عليها عالم
الدولة في دورها الثاني قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : «بسم الله الرحمن الرحيم .
الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين .
وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . ومن تبعهم بإحسان
إلى يوم الدين . وبعد : فالذي أوجب هذا الكتاب ذكر ما أنعم الله به عليكم من نعمة
الإسلام الذي عرفكم به وهداكم إليه وتسمون به فلا يعنى باسم المسلمين إلا أنتم
وما أعطاكم الله تعالى في هذا الدين من النعم أكثر من أن تحصر لكن منها نعم كل
واحدة منها حصولها نعمة عظيمة لأن المعارض لها قوي جدا أولها كون الدعوة إلى دين
الإسلام ما قام في بيانها والدعوة إليها إلا رجل واحد فلما شرح الله صدره واستنار قلبه

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر جـ ٢ ص ٢٢-٢٣ .

بنور الكتاب والسنة وتدبر الآيات وطالع كتب التفسير وأقوال السلف في المعنى والأحاديث الصحيحة سافر إلى البصرة ثم إلى الأحساء والحرمين لعله أن يجد من يساعده على ما عرف من دين الإسلام فلم يجد أحدا . كلهم قد استحسن العوائد وما كان عليه غالب الناس في هذه القرون المتأخرة إلى منتصف القرن الثاني عشر ولا يعرف أن أحدا دعى فيها إلى توحيد الله وأنكر الشرك المنافي له بل قد ظنوا جواز ذلك واستجابته وذلك قد عمت به البلوى من عبادة الطواغيت والقبور والجن والأشجار والأحجار في جميع القرى والأمصار والبوادي وغيرهم فما زالوا كذلك إلى القرن الثاني عشر فرحم الله كثيرا من هذه الأمة بظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكان قد عزم وهو بمكة أن يصل الشام مع الحاج فعاقه عائق فقدم المدينة وأقام بها ثم إن العليم الحكيم رده إلى نجد رحمة لمن أراد أن يرحمه بمن يؤويه وينصره وقدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حريملاء فبادأهم بالدعوة إلى التوحيد ونفى الشرك والبراءة منه ومن أهله وبين لهم الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وكلام السلف فقبل منه من قبل وهم الأقلون وأما الملأ والكبراء الظلمة الفسقة فكرهوا دعوته فخافهم على نفسه وأتى العيينة وأظهر الدعوة بها وقبل منه كثير منهم حتى رئيسهم عثمان بن حمد بن معمر ثم إن أهل الأحساء وهم خاصة العلماء أنكروا دعوته وكتبوا شبهات تبين جهلهم وضلالهم واغروا به شيخ بنى خالد فكتب لابن معمر أن يقتل هذا الشيخ أو يطرده فما تحمل مخالفته فنفاه من بلده الدرعية فتلحقه محمد بن سعود بالقبول وبإيعه على أن يمنعه مما يمنع منه أهله وولده وهذا أيضا نعمة عظيمة وكون الله أتاح له من ينصره ويؤويه والذي أقوى من ابن سعود لم يحصل منه ذلك وصبر محمد على عداوة الأقصى والأدنى من أهل نجد والملوك من كل جهة وبادأهم دهام بن دواس بالحرب فهجم على الدرعية على حين غفلة من أهلها وقتل أولاد محمد فيصل وسعودا فما زاد محمدا إلا قوة وصلابة في دينه على ضعف منه وقلة في العدد والعدة وكثرة من عدوهم وذلك من نعمة الله علينا وعليكم فرحم الله هذا الشيخ الذي أقامه الله مقام رسله وأنبيائه في الدعوة إلى دينه ورحم الله من آواه ونصره فله الحمد على ذلك .

وفيما جرى من ابن سعود شبه مما جرى من الأنصار في بيعة العقبة ثم إن بنى خالد وأهل نجد وأهل العراق والأشراف والبوادي وغيرهم تجردوا لعداوة هذا الشيخ ومن كان آواه ونصره وأقبلوا على حربهم بجدهم وجنودهم فابطل الله كيد من عاداهم وكل من رام من هؤلاء الملوك وأعوانهم أن يطفئوا هذا النور أطفأ الله ناره وجعلها

رمادا وجعل كثيرا من أموالهم فيئا للمسلمين . وهذه عبرة عظيمة ونعمة جسيمة ثم ان الله بفضلله وإحسانه أظهر هذا الدين في نجد وأذل من عاداه فعمت النعمة أهل نجد ومن والاهم شرقا وغربا وحفظ الله عليكم نعمة الإسلام التي رضيها سبحانه لعباده دينا فلم يقدر أحد أن يقدرها بقوته وقدرته فاشكروا ربكم واقبلوا على التوحيد تعلما وتعلما والأمر بها يحبه من طاعته والهي عما نهى الله عنه من المعاصي فالواجب علينا وعليكم التواصي بهذه النعمة العظيمة والتنافس في هذا الدين الذي من الله به عليكم وهو الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه وأكملة ورضيه لعباده كما قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ - الآية - وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ - الآيات - فأحذروا نسيان ربكم عما افترضه عليكم واقبلوا على توحيده وطاعته واطلبوا بذلك الجنة والنجاة من النار فكونوا أئمة في هذا الدين الذي هو معنى « لا إله إلا الله » وقد بين الله معناه في آيات كثيرة من كتابه فإنها دلت على نفي الشرك والبراءة منه ومن فعله وإخلاص العبادة لله وحده وذلك في آي كثير فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكون من المشركين ﴾ فقلوه فأقم وجهك ، فيه الاخلاص وحنيفا فيه نفي الشرك ولا تكون من المشركين فيه البراءة منهم ومن دينهم - قال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص ﴾ والآيات في معنى لا إله إلا الله أكثر من أن تحصر كقوله : ﴿ ان الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ والمراد فتح الباب لكم في معنى التوحيد الذي فيه الفلاح والنجاة وصلاح الدنيا والآخرة فلا تنسوا ربكم بالاعراض عن الهدى فينسيكم أنفسكم . ومن عقوبة الاعراض عمى البصر في الدنيا والآخرة ولا باق معكم إلا دينكم لمن الله عليه بحفظه والاقبال عليه والعمل به والا تفهمون أن الدنيا ما للإنسان منها إلا ما كان لله ، وغير ذلك زائل . هذا ما نوصيكم به وندلكم عليه عامة والعلماء والأمرء خاصة .

فيجب عليكم أن تكونوا صدرا في هذا الدين بالرغبة فيه والترغيب وأن تكونوا سندا وعونا لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ويتفقدون أهل بلدهم في صلاتهم وتعليمهم دينهم وكفهم عن السفاهة وما يحرم عليهم لأن الله سائلهم عنهم ومن أحب شيئا أكثر من ذكره . وبالله التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين^(١) .

(١) عنوان المجد جـ ٢ ص ٢٣-٢٦ .

وللشيخ عبد الرحمن بن حسن ردود ونصائح ورسائل وفتاوى كثيرة في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية والدرر السنية في الأجوبة النجدية التي جمعها ابن قاسم وكلها في شرح عقيدة السلف الصالح وبيانها والرد على من عارضها وألصق فيها التهم وشبه عليها .

وقد بارك الله في عمر الشيخ عبد الرحمن بن حسن كما بارك في علمه - قال عبد الرحمن بن عبد اللطيف في تعليقه على عنوان المجد : «عاصر الشيخ عبد الرحمن بن حسن ستة من ملوك آل سعود الذين تعاقبوا على الحكم وهم الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود بن عبد العزيز وابنه عبد الله بن سعود بن عبد العزيز ثم الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وابنه الإمام فيصل بن تركي وابنه عبد الله بن فيصل بن تركي ومات الشيخ عبد الرحمن في أول حكم عبد الله بن فيصل سنة (١٢٨٥ هـ) رحمه الله تعالى (١) .

وفي هذه المدة كلها كان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وريث جده وشيخه في العلم والعمل ، كما كان الإمام تركي وابنه فيصل وريثي جدهما محمد بن سعود وأبنائه الأئمة في مناصرة دين الله ورسوله ﷺ بعد أن خرب أهل البغي مدينة الدرعية وحضارتها الإسلامية وبعد أن ظن الناس كل الظن أن لا رجوع لهم فالحمد لله الذي لا إله إلا هو ، صدق وعده ، وجعل العاقبة للمتقين وصدق رسوله ﷺ ، فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يقاتل آخرهم الدجال ويأتي أمر الله فتنتهي الدنيا وتقوم الساعة وتأتي الآخرة والله المستعان .

هذا وقد ساعده على حمل راية العلم والسنة ابنه الشيخ عبد اللطيف فقد كتب رسائل كثيرة في بيان عقيدة السلف الصالح التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورد ما ألصق فيها من تهم باطلة وخصص جامع الرسائل والمسائل النجدية الجزء الثالث من مجموعة الرسائل والمسائل لبعضها فبلغت ستا وسبعين رسالة في أربعمائة وثلاث وخمسين صفحة (٤٥٣) وهي ليست كل رسائله ومؤلفاته وفتاويه فهي كثيرة موزعة في أجزاء مجموعة الرسائل والمسائل النجدية الأخرى وفي الهدية السنية جزء منها وفي الدرر السنية منها كثير .

(١) هامش ص ٢٦٦ من جزء (١) من عنوان المجد ، ط المعارف ١٣٨٧ هـ .

وعلى سبيل المثال أخلص فصلاً كتبه الشيخ عبد اللطيف في سيرة جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعقيدته فقال : « قد عرف وأشتهر وأستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة والمقروءة عليه ، وما ثبت بخطه ، وعرف وأشتهر من أمره ودعوته ، وما عليه الفضلاء والنبلاء من أصحابه وتلامذته ، إنه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين وأهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق بها الكتاب العزيز وصحت بها الأخبار النبوية وتلقاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم ، يثبتونها ويؤمنون بها ، ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والإيمان وسلف الأمة وأئمتها .

وفي توحيد العبادة والالهية فلا خلاف بين أهل الإسلام فيما قاله الشيخ وثبت عنه من المعتقد الذي دعا إليه ، فقد دعا إلى أصل الإسلام وقاعدته شهادة أن لا إله إلا الله ، وهي أصل الإيمان وأفضل شعبه في العلم والعمل والاقرار بإجماع المسلمين .

ثم أخذ الشيخ عبد اللطيف يفصل هذه الجملة ويستدل بالآيات الكريمة ويبين الأنواع التي تدخل في العبادة وضدها ، وبين أن مجرد الاتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلماً بل هو حجة على ابن آدم . وبين مسألة التكفير ، وإن الشيخ فيها على ما كان عليه العلماء قاطبة كما هو مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة بل إن الشيخ لم يكفر أحداً إلا بما أجمع عليه العلماء وهو ترك التوحيد . وبين مسائل القدر والجبر والإرجاء والإمامة والتشيع ونحو ذلك من المقالات والنحل وإن الشيخ فيها على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى والدين ، وبين عقيدة الشيخ في القرآن ، ورفض الشيخ للبدع الصوفية وغيرها . وبين تقرير الشيخ على شهادة أن محمداً رسول الله من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من تجريد المتابعة والقيام بحقوق النبي ﷺ من الحب والتوقير والنصرة والطاعة وتقديم سنته على كل سنة وقول ، والوقوف معها حيث وقفت في أصول الدين وفروعه باطنه وظاهره ، ثم صار يبين مآثر الشيخ ومناقبه ، ثم أورد الشيخ عبد اللطيف ما قاله أبو الحسن الأشعري من جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة من المعتقد^(١) . وقد لخصت هذا عن الشيخ عبد اللطيف في هذا

(١) انظر : الهدية السنية ، ط المنار ، الرسالة الرابعة ص ص ٨٨-١٠٠ . وانظر : مجموعة الرسائل والمسائل

النجدية ج ٣ ص ص ٣٦٧-٣٧٧ .

الموضع لبيان أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيهم وإلهم حملوها بقوة في العلم والحجة والسلطان - رحمهم الله تعالى .

وفي هذا المجال نذكر من قضية الإمامين تركي وفيصل - الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين، فله مكان كبير من أثر عقيدة الشيخ ونشرها والدفاع عنها تجاه أباطيل المغرضين والأعداء وله رسائل وفتاوى في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، وقد أفرد بعضها مثل الرد على داود بن سليمان بن جرجيس طبع بمطبعة الحلبي سنة ١٣٤٤ هـ - وقد توفي سنة ١٢٨٢ هـ - رحمه الله تعالى - وسبق أن عينه الإمام سعود بن عبد العزيز قاضياً على الطائف وملحقاته عام ١٢٢٠ هـ^(١) .

ولا ننسى عالماً من علماء عقيدة السلف الصالح ومن مشائخ الدعوة إليها وارثي الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن طريق سنده المتصل إليه، ذلك العالم هو الشيخ الإمام العلامة الثقة في العقيدة والهمة والشجاعة حمد بن علي بن محمد بن عتيق أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبد اللطيف والشيخ علي بن حسين وغيرهم، وبرع في العلوم وكان له حظ من المعرفة، وإقدام وشهامة وعبادة وتهجد وطول صلاة وهيج بالذكر، شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعة وتصنيفه والحث عليه^(٢) وهو الذي يعنيه الشاعر محمد بن عثيمين وهو يرثي ابنه الشيخ سعد بن حمد بقوله :

بنى لكم حمد يا للعتيق علا لم يينها لكم مال ولا خطر
لكنه العلم يسمو من يسود به على الجهول ولو من جده مضر^(٣)

ويقول فيه الشيخ سليمان بن سحمان :

يعز علينا أن نرى اليوم مثله لحل عويص المشكلات البوادر
وللشبهات العضلات وردّها إذا ما تبدت من كفور مقامر
فلله من حبر تصعد للعلى فحل على هام النجوم الزواهر
إلى أن قال :

ويقفول آثار النبي وصحبه يجدد من منهاجهم كل دائر
ويحيى علامات من العلم قد عفت ويعمر من بنيانه كل دامر

(١) علماء نجد خلال ستة قرون ج ٢ / ٥٦٧-٥٧٣ .

(٢) الدرر السنية . . . ج ١٢ / ص ٧٧-٧٩ .

(٣) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ٤٨٠ .

إمام تزييا بالعبادة فاستمها بها وارتقى مجدا سمي المظاهر إلى أن قال :

عليهم بفقته الأقدمين محقق وقد كان ذا علم بفقته الأواخر وقد حاز في علم الحديث محلة تسامى بها فوق النجوم الزواهر^(١) ولي مناصب القضاء في عهد حكم الإمام فيصل بن تركي في الخرج ثم في الحوطة ثم في الأفلاج . وأخذ عنه العلم ابنه الشيخ سعد وابنه الشيخ عبد العزيز وابنه الشيخ عبد اللطيف وأخذ عنه الشيخ الحبر عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ محمد بن عبد اللطيف ، والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، والشيخ سليمان بن سحمان وغيرهم خلق كثير^(٢) .

وله مؤلفات جيدة منها كتاب إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد وهو حاشية على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك والرد على ابن دعيج والفرقان المبين بين مذهب السلف وابن سبعين وله رسائل ونصائح ومكاتبات مع أعيان البلاد من حكام وعلماء من أجل الدعوة والاصلاح وتوفي على رأس القرن سنة ١٣٠١ هـ^(٣) ورثاه تلميذه الشيخ سليمان بن سحمان بقصيدة مطلعها :

على الحبر بحر العلم بدر المنابر وشمس الهدى فليبك أهل البضائر ومنها :

فما حمد في العلم إلا متوج حميد المساعي مشمعل المآثر^(٤) وبحسن أن نذكر في هذا الدور شيئا من الأحساء وشاعرا مجيدا قد تأثر أثرا طيبا وإيجابيا بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ، هو الشيخ الفقيه المحدث الأديب السلفي أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي ، ولد بالأحساء في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، ولما بلغ من النمو أشده وتلقى العلم في ذلك العهد المبارك ، عهد إشراق شمس التوحيد وعقيدة السلف الصالح بدعوة الشيخ محمد ونصرة آل سعود ، أدرك في سائر العلوم إدراكا طيبا ونظم مقدمة رسالة أبي زيد

(١) ديوان بن سحمان ص ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) الدرر السنية ج ١٢ ص ص ٧٨-٧٩ .

(٣) مقدمة الطبعة الثالثة لكتاب إبطال التنديد بقلم اسماعيل بن سعد آل عتيق ص ٤ .

(٤) ديوان بن سحمان ص ٢٨٧ .

القيرواني وهي مقدمة مختصرة مفيدة في عقيدة السلف الصالح نظمها نظماً طريفاً ليسهل حفظها على طالبها واختصر صحيح الإمام مسلم ثم توفي في بلدته الأحساء في سنة ١٢٨٥ هـ^(١).

وهو صاحب الديوان المسمى ديوان ابن مشرف في العقائد والتوحيد والفقه والأدب وطبع بمطبعة السنة المحمدية، ونشره إبراهيم المحمد الضبيعي ومحمد العبد الله الحواسي، عام ١٣٧٠ هـ، ونورد من ديوانه قطعة من قصيدة جيدة، وسببها أنه في السنة التاسعة والستين بعد المائتين والألف ان استولى عايض بن مرعي العسيري على اليمن وأرسل بهدية للإمام فيصل بن تركي ومعها قصيدة لقاضيهم علي بن الحسين الحفظي ومن هذه القصيدة قوله يوصي الرسول :

واشرف على وادى اليمامة قائلاً	ودمعك سفاحاً على الخد والشدى
سلام على عبد العزيز وشيخه	وتابع رشد للإمام الممجد
دعا الناس دهرًا للهدى فأجابه	فئام، فمنهم عالمون ومقتدى
وقفاهما حذوا سعود بسيفه	مُمِيزُ مَجُودَ النَقُودِ من الردى
وعرج بها ذات اليمين وقد هوت	على عرصات للرياض بمقصد
وناد بأعلا الصوت : بشرى ليفصل	ومن نسل سادات الملوك مسدد

إلى آخر القصيدة فأجابه عن الإمام فيصل الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بقصيدة كما ذكرت، ضمنها مدح آل سعود على ابوائهم الشيخ ونصرتهم للتوحيد، منها :

هموا نصروا التوحيد بالبيض والقنا	فنال المنى بالنصر كل موحد
وأووا إماماً قام لله داعياً	يسمى بشيخ المسلمين محمد
لقد أوضح الإسلام عند اغترابه	وقد جد في اخفائه كل ملحد
وجدد منهاج الشريعة إذ عفت	فأكرم به من عالم ومجدد
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها	كما قد أمابت الشرك بالقول واليد
وكم شبهة للمشركين ازاحها	بكل دليل كاشف للتردد
والف في التوحيد اوجز نبذة ^(٢)	بها قد هدى الرحمن للحق من هدى

(١) انظر: ترجمته بقلم محمد حامد الفقي - في أول ديوان ابن مشرف ص - ص د - و.

(٢) يعنى كتاب التوحيد الذى ألفه الشيخ.

نصوصاً من القرآن تشفى من العمى
فوازره عبد العزيز ورهطه
فما خاف في الرحمن لومة لائم
وقفى سعود إثره طول عمره
وقد جاهدوا في الله أعداء دينه
إلى أن قال :

وكم سنة أحيوا؟ وكم بدعة نفوا
إلى أن قال :

وكم لهم من وقفة شاع صيتها
وكم فتحوا من قرية ومدينة
وكم ملكوا ما بين ينبع بالقنا
ومن عدن حتى تنيخ بأيلة
وقد طهروا تلك الديار وطردها
بأمر بمعروف ونهي عن الردى
وقد هدموا الأوثان في كل قرية
إلى آخر القصيدة وهي طويلة جيدة^(٢)

ومما قال رحمه الله في قبة عين نجم بالأحساء بعد أن هدمت بأمر الإمام فيصل
رحمه الله سنة ١٢٧٧ هـ :

فغادروها كبنيان الذين بنوا
بأمر وال طبيب في رعيته
إذ قام يحمى من التوحيد جانبه
لكن اطاع هداة المسلمين بما
إلى قوله :

فقال : كم قبة للشرك قد هدمت
بسيوفنا في عمان والعراقين ؟

(١) جعلان : بلد في عمان في الجنوب منه ، ومريد : يقصد مرید البصرة وعدن في اليمن والجنوب ، وأيلة بالشام . والشيخ الشاعر يذكر حدود مملكة آل سعود من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال .
(٢) انظر : ديوان ابن مشرف ، ص - ص ٥٦-٥٩ .

فكيف نرضى بها تبني مشيدة في أرضنا وهي ما بين الخميسين
جزاه ربى بنصر الدين نصرته ونال من رحمة الرحمن كفلين^(١)

وقال في الإمام فيصل سنة ١٢٦٣ هـ قصيدة مطلعها :

إلى الله نشكو حادثات النوائب ودهرا دهانا صرفه بالعجائب
إلى أن قال :

وساءلت : هل في دهرنا من مساعد على جبر مطلوب واسعاف طالب؟
فلم أر إلا الألعى أخا النداء إمام الهدى نسل الكرام الأطياف
كريم المساعى فيصل من يراعه على طرسه يحكى هتون السحاب
فيممت من أرض هجر عشية وأعملت عيس اليعملات النجائب

إلى آخرها^(٢) ، وقد مدح الإمام فيصل بما هو أهل له من الكرم وتجديد معالم الدين على ضوء ما فعله أسلافه الميامين^(٣).

وكان عثمان بن سند البصرى قد أنشأ قصيدة ائذع فيها بسبب المسلمين وشمت بهم حين نزل إبراهيم باشا الدرعية - وقال يخاطب إبراهيم باشا :
لقد فُتحت للدين أعينه الرمء لدى لاح من بين السيوف له السعد
فأجابه الشيخ أحمد بن مشرف بقصيدة عصماء كَبَحَها وذلك في عهد الإمام فيصل ومطلعها :

أيل غشا الدنيا أم الأفق مسود أم الفتنة الظلماء قد اقبلت تعدو؟
إلى أن قال :

وقد ائذع البصرى في ذم شيخنا وأنصاره ، تبا لما قاله الوغد
أيهجو إماما هاديا أرشد الورى إلى منهج التوحيد فاتضح الرشد
وبصرهم نهج المحجة فاهتدوا وآبوا إلى الإسلام من بعد أن صدوا
إلى أن قال :

فلما مضت تلك العصابة لم يقم بعد لهم من ضمه الشام والسند
ولكن فشا فيها الزنى وبدا الخنا فلم تنكر الفحشا ولم يقم الحد

(١) ديوان ابن مشرف، ص - ص ٢٨-٢٩.

(٢) انظر: ديوان ابن مشرف ص ٣٩-٤٠.

(٣) انظر: الديوان، ص - ص ٣٩-٤٢. وص - ص ٤٧-٥٢. وص - ص ٥٩-٦٩، وص ٧٢.

فكم فتنة عمت؟ وكم ظل من دم حرام؟ وكم ضلت عصائب وارتدوا
وكم قطع السبل البوادي وافسدوا فصاروا بها مثل الذئباب التي تعدوا
فان كان هذا عنده الدين والهدى فقد فتحت للدين أعينه الرمد
السخ^(١).

أسباب نهاية الدور الثانى لدولة أنصار عقيدة الشيخ :

لقد حصل خلل فى التمسك بعقيدة السلف الصالح من الأمر بالاجتماع ونبد
الفرقة والاختلاف بسبب ما جرى من فتنة بين المسلمين وخروج بعضهم على بعض
قد جرت له بيعة وانعقدت له ولاية شرعية فى الجملة وقد وصف لنا الشيخ عبد
اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن كيف كان أول هذه الفتنة فى رسالته إلى الشيخ حمد
بن عتيق^(٢) وفى غيرها^(٣) وصفا دقيقا حكيما صادقا لأنه رحمه الله عايش تلك الأمور
واتفق أن وقعت الفتنة والشقاق فى زمنه وهو العالم الخبير ، وقد أدرك رحمه الله تعالى
ببعد فراسته وصدقها أن من وراء تلك الفتنة أصابع الدولة العثمانية ، لا بل أصابع
أعداء الإسلام المستترين بثياب الناصحين ، وكثيرا ما يجرى من الماكرين الاستحواذ
على السلطات بالمخادعة والنفاق ، وهم أعداء ألداء لعقيدة أصحاب السلطة ، فكان
الشيخ عبد اللطيف رحمه الله فى كثير من رسائله يقيم الحجج والبراهين على وجوب
معاداة العساكر التى أرسلت باسم الدولة التركية لابطال التوحيد ومستشارهم الذين
غايتهم بث الشبه والشكوك فى العقيدة ، فكان رحمه الله يبين وجوب البراءة من هؤلاء
الأعداء ومجاهدتهم وهجرهم ومقاطعتهم وتحريم موالاتهم ومساكنتهم ومساكنة
أنصارهم والاجتماع بهم فى كل ذلك يجاهد جهاد دفاع^(٤) وجهاد اتباع يجاهد الابتداء
ويهمنا فى هذه النقطة أن نبين أثر عقيدة الشيخ السلفية حين تستقر فى النفوس وأثر
مخالفتها . فيحسن أن نقتبس من قصيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن
أبياتا تصف لنا بدقة أثر مخالفة عقيدة السلف الصالح فى تلك الفترة - فقال :

ودارت على الإسلام أكبر فتنة وسلت نسيوف البغى من كل غادر

(١) انظر: الديوان، ص ص ٤٥-٤٧ .

(٢) مجموعة الرسائل . . . ج ٣ ص ٢٧٣-٢٧٦ .

(٣) المصدر السابق، ص ص ١٦٢-١٧٢ ، ص ٦٩-٧٢ .

(٤) المصدر السابق ص ص ١٧٩-١٨١ ، ص ص ٢٥٦-٢٦٢ .

وكانوا على الإسلام أهل تناصر
تزورهموا غرثى السباع الضوامر
بأيدي غواة من بواد وحاضر
لبيب ولا يحصيه نظم لشاعر

وذلت رقاب من رجال أعزة
وأضحى بنو الإسلام في كل مازق
وهتك سرّ للحرائر جهرة
وجاءوا من الفحشاء ما لا يعيد
إلى أن قال :

إمام هدى يبنى رفيع المفاخر
لسالكها حر اللظى والمساخر
عليها خيار الصحب من كل شاكر
أكابرهم كنز اللهى والدخائر
مشائخهم واستنصروا كل داغر
وجاءوا بهم من كل أفك^(١) وساحر
تهدم من ربع الهدى كل عامر
يبوء بها من دهره كل خاسر
وقام بهم سوق الردى والمناکر
معاهد يغدون نحوها كل فاجر
وصار مضاعفاً بين شر العساكر
ولم يرض بالتوحيد حزب المزامر
وبين طريد في القبائل صائر^(٢)

وقد جاءهم فيما مضى خير ناصح
وينقذهم من قعر ظلمة مضلة
ويخبرهم أن السلامة في التى
فلما أتاهم نصر ذى العرش واحتوى
سعوا جهدهم في هدم ما قد بنى لهم
وساروا لأهل الشرك واستسلموا لهم
ومذ أرسلوها أرسلوها ذميمة
وباءوا من الخسران بالصفقة التى
وصاروا لأهل الرفض والشرك صولة
وعاد لديهم للواط وللخنا
وشتت شمل الدين وانبت حبله
وأذن بالناقوس وانطبل أهلها
وأصبح أهل الحق بين معاقب

الخ قصيدته رحمه الله وانها تشخيص من شاهد الداء ، ويصف الدواء بقوله :
« وكلما حصل لهذه الطائفة قوة وسلطان في جهة أو بلد حصل من الملك والعز والظهور
لهم بقدر تمسكهم بما جاء به محمد ﷺ . ولذلك صار لشيخنا شيخ الإسلام محمد بن
عبد الوهاب ولطائفته وأنصاره من الملك والظهور والنصر بحسب نصيبهم وحظهم من
متابعة نبيهم ﷺ والتمسك بدينه فقهروا جمهور العرب من الشام إلى عمان ومن الحيرة
إلى اليمن . وكلما كان أتباعهم وأنصارهم أقوى تمسكوا كانوا أعز وأظهر وربما نال منهم
العدو وحصل عليهم من المصائب ما تقتضيه الذنوب والمخالفة والخروج عن متابعة

(١) أفك على وزن أشرأى كثير الافك .

(٢) الدرر السنية ، ج ٧ ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

نبيهم ﷺ وما يعفو الله عنه من ذلك أكثر وأعظم ، والمقصود أن كل خير ونصر حصل وعز وسرور اتصل ، فهو بسبب متابعة الرسول ﷺ وتقدير أمره في الفروع والأصول^(١) .

ومن المشائخ الذين لهم تأثير حسن رغم ضعف المناصر في شرح عقيدة السلف الصالح في الحجاز الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى المتوفى عام ١٣٢٨ هـ قاضى الجمعة في مطلع القرن الرابع عشر الهجرى وصاحب المؤلفات التالية :

١ - الرد على المدراسى والسندى والحلبى في مجموعة الرد الوافر .

٢ - شرح نونية ابن قيم الجوزية .

٣ - الرد على ما جاء في تاريخ خلاصة الكلام عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته لدحلان .

٤ - الرد على شبهات المستعنيين بغير الله تعالى . ألفه عام ١٢٩٤ هـ بمكة نشر محمد نصيف طبع دار مصر للطباعة بدون تاريخ ٦١ ص .

قال عنه الشيخ محمد نصيف في ترجمته له في أول مؤلفه «الرد على شبهات المستعنيين بغير الله تعالى» المذكور: كان رحمه الله - يشتغل إلى جانب عمله في القضاء بالتجارة ، وغالب تجارته في الأقمشة القطنية . جالس أمير مكة الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون المتوفى عام ١٣٢٣ هـ فاقنعه بهدم القباب المشيدة على قبور الصالحين في مكة وجدة والطائف إلا قبة القبر المزعوم انه قبر حواء ، أم البشر في جدة ، وقبة السيدة خديجة زوج النبي ﷺ ، وقبة قبر آمنة المزعوم انه في مكة ، وقبة قبر ابن عباس بالطائف ، فانه لم يهدمها خوفا من السلطان عبد الحميد العثمانى أن يعزله من الإمارة ، فالسلاطين والملوك يبنون القباب على قبور الصالحين وقبور أجدادهم ، وقد رأيتها في استانبول وبورصة ، والعلماء في كل عصر منهم الخائف من تهمة أنه وهابي ، وأما المتصوفة فجاءت على أهوائهم . وفي كل عصر للتهمة أنواع ، والمسلمون والعرب مظلومون من الأقوياء ، سلطهم الله بعضهم على بعض وجعل بأسهم بينهم شديدا .

وكان يتردد بين جدة ومكة لشراء الأقمشة من الشيخ عبد القادر بن مصطفى التلمساني أحد تجار جدة ، ومن ذوى الأملاك في القطر المصرى . كان يدفع له أربعمائة جنيهه ويشترى بألف ، ويسدد الباقي على أقساط بضمانة الشيخ مبارك

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٤٤٣-٤٤٤ وج ٣ ص ١٩٨ .

المساعد البسام من التجار ومن أهل عنيزة . وقد دام التعامل بينه وبين الشيخ التلمساني زمناً طويلاً وكان لصدقه وأمانته ووفائه بوعده أثر طيب في نفس الشيخ التلمساني ، حتى انه لم ير ضرورة للضامن وأخذ يبيعه ما يحتاج إليه بوثيقة تسدد فيما بعد على أقساط ، وقال له : «إني عاملت الناس أكثر من أربعين عاماً فما وجدت أحسن من التعامل معك يا وهابي ، يظهر ان ما يشاع عنكم بأهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين بسبب الحروب التي وقعت بينكم وبين أشراف مكة والمصريين والأتراك ، فقد اشاعوا عنكم أقوالاً منكراً» فسأله الشيخ أحمد أن يبينها له . فقال الشيخ التلمساني يقولون إنكم لا تصلون على النبي ﷺ ولا تحبونه . فأجابه المؤلف «سبحانك هذا بهتان عظيم كيف ومن لم يصل عليه في التشهد في الصلاة فصلاته باطلة ، ومن لا يحبه فكافر؟ ، وإنما نحن أهل نجد ننكر الاستغاثة والاستعانة بالأموال ولا نستغيث إلا بالله وحده ، ولا نستعين إلا به سبحانه ، كما كان على ذلك سلف الأمة» وقد استمر النقاش بينه وبين الشيخ التلمساني ثلاثة أيام . وأخيراً هدى الله الشيخ التلمساني للحق ، وصار موحداً ظاهراً وباطناً . ثم سأله الشيخ التلمساني أن يوضح له بعض أوجه الخلاف بينهم وبين خصومهم ، فقال : «إننا نعتقد أن الله فوق سماواته ، مستوعب على عرشه ، استواء يليق بجلاله ، من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تأويل ، وهكذا في جميع آيات الصفات والأحاديث كما هي عقيدة السلف الصالح وكما جاء عن الإمام أبي الحسن الأشعري في كتابيه : الإبانة في أصول الديانة ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . وقد دامت المناظرة بينهما خمسة عشر يوماً لأن الشيخ التلمساني كان أشعرياً درس في الجامع الأزهر كتب العقائد السنوسية وأم البراهين وشرح الجوهرة ، وغيرها ، وقد انتهت هذه المناقشات الطويلة باقتناع الشيخ التلمساني بأن عقيدة السلف هي الأسلم والأحكم والأعلم . ثم صار الشيخ التلمساني داعياً من دعاة العقيدة السلفية ، وطبع على نفقته كتباً كثيرة كان يوزعها بالمجان مثل : «الصارم المنكى في الرد على السبكي - لابن عبد الهادي» و«القصيدة النونية المسماة الشافية - لابن قيم الجوزية» و«الاستعاذة من الشيطان الرجيم - لابن مفلح» و«المؤمل في الرجوع إلى الأمر الأول - لابن أبي شامة المؤرخ الدمشقي» و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - لابن تيمية» و«الرد الوافر - لابن ناصر الدين الدمشقي ، مع رسائل أخرى ضمن الرد الوافر» و«غاية الأمانى في الرد على (شواهد النبهي) لمحمود شكرى الألوسى البغدادى» وشاركه في نفقات الطبع ،

واشترى نسخا من تفسير الطبرى ووزعها على بعض الناس رحمهم الله أجمعين .
وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد هدى الشيخ التلمسانى على يد الشيخ أحمد
بن عيسى ، فقد هدانى - أنا أيضا على يده . . . وكان له تلاميذ كثيرون ، ومن
أشهرهم : الشيخ عبد القادر التلمسانى المغربى ، والشيخ أبوبكر بن محمد عارف
خوقير المكى الكتبى ، وأما فى نجد فكثيرون^(١) أ - ه .

وقال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى فى كتابه هذا بعد حمد الله والثناء عليه ،
والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ :

أما بعد ، فقد وقفت على كراسة لبعض العصريين من أهل العراق ، سماها
«انموذج الحقائق» ، وضمنها كثيرا من الهذيان والشقاشق ، مضمونها الانتصار للشرك
بالله ، المسمى بالتوسل وتجويز دعوة الأموات والغائبين من دون الله تعالى واستجابته ،
والتشنيع على من يمنع من ذلك وسبابه ، فأحببت أن أبين بطلان ما تضمنته كراسته
من الشبهات الواهية ، والترهات المتناهية وأن أزيح شبهاته ببراهين التوحيد الساطعة
وأوضح ضلالاته بحجج الكتاب والسنة القاطعة ، وكلام علماء الإسلام ومضاييح
الاهتداء فى الظلام .

والرسالة المذكورة شبه لا شىء ، لكن ربما يخيل إلى بعض قاصرى الافهام ، أو
لعله يحصل عليهم بها إيهام ، ونحن نكتب على بعضها ما تنتقض به شبهاته ، وتبطل
به خيالاته وترهاته . . .

وقد تصدى للرد على رسائله التى مضمونها الدعوة إلى الشرك بالله ووسائله ،
وانتصب لقمع أباطيله ، وإيضاح تلبيسه وأضاليه ، جمع من العلماء ، وجل من الأئمة
الفهماء منهم : شيخنا العلامة فقيه زمانه وقدوة عصره وأوانه ، عبد الله بن عبد الرحمن
أبا بطين ، وشيخنا العلامة ، واللودعى الهيام ، ناصر الموحدين ، وقامع الملحدين عبد
الرحمن بن حسن ، ومنهم شيخنا العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، ومنهم العلامة
المحدث ، فخر الديار اليمنية ، الشريف محمد بن ناصر الحازمى ، والشيخ العلامة
المحقق نعمان بن محمود البغدادى . انتهى باختصار^(٢) .

ولقد كان لهؤلاء العلماء الصادقين مؤهلات عالية وأفكار صالحة فى رأب

(١) مقدمة الناشر محمد نصيف ، ص ٣-٥ .

(٢) الرد على شبهات المستعنيين بغير الله ، تأليف الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، ص - ص ٦-٧ .

الصدع وجمع الكلمة، واتحاد القوة، ودحض الفرقة ونبد الخلاف، فهذا الشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف الذى ستتحدث عنه وعن سطوع نجمه فى عهد الملك عبد العزيز له رسالة إلى المشائخ وكافة الإخوان من طلبة العلم نتين منها قوة أثر عقيدة السلف الصالح فى علمه وفكره، أولها بعد البسملة: من عبد الله بن عبد اللطيف إلى جناب الفضلاء والأعلام والمشائخ الكرام إبراهيم بن عبد الله وحمد بن حسين وزيد بن محمد وحمد بن عتيق وصالح الشثرى ومحمد بن علي وعلي بن إبراهيم الشثرى وإبراهيم بن عميقان وسعود بن مفلح وكافة الاخوان من طلبة العلم. الخ.

وفيه بين الشيخ وجوب النصيحة لله ولكتابه وللأئمة والعامة من المسلمين بالأدلة من الكتاب والسنة، وحث على التفكير المتزن على ضوء الكتاب والسنة ومن أجل رضى الله وابتغاء ما عنده يوم القيامة، وأنه لابد فى التوحيد من العلم به والعمل والدعوة إليه كما هى طريقة الرسول ﷺ واتباعه فى كل زمان ومكان، وهذا واجب على كل إنسان بحسبه وليس مقصورا على العالم لعلمه أو على الفاضل لفضله، بل كل بحسبه ومقداره، يجب عليه العلم بالتوحيد والعمل والدعوة، ومع ذلك فلاخوة الإسلامية باقية، لا يشوبها هوى ولا استكبار عن اتباع الحق مع من كان معه، فإن أشكل فالرد بينهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ عند موارد النزاع. والفتن كثيرا ما يلتبس فيها الحق بالباطل، ولكن يجب على المسلم معرفة الحق فى ذلك بالبحث والمذاكرة وإظهار ما يعتقده ويدين به، فإن كان حقا سأل ربه الثبات والاستقامة وشكره على التوفيق والاصابة، وإلا رده إلى من هو أعلم منه بحجة يجب المصير إليها ويقف المرشد عليها، والله عند لسان كل قائل وقصده، ومجازيه بعمله، فلا بد من زلة قلم، وعثرة قدم، ﴿ وفوق كل ذى علم عليم ﴾، ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾.

ثم ذكرهم بنعم الله وأعظمها بعثة رسول الله ﷺ بالإسلام وظهوره. ثم شخّص أسباب الكفر وبينها. وأهمها موانع فى النفوس من هوى وإرادات ورياسات لا يقوم ناموسها ولا يحصل مقصودها إلا بمخالفة الحق وترك الاستجابة له، وهذا هو المانع فى كل زمان ومكان ولولا ذلك ما اختلف من الناس اثنان، ولا اختصم فى الإيـان بالله وإسلام الوجه له خصمان.

ثم تطرق إلى تذكيرهم باختصاص الله إياهم بنعمة التوحيد من بين سائر الأمم وأصناف الناس فى هذه الأزمان، فأتاح لهم من أحبار الأمة وعلمائها حبرا جليلا

وعلمنا نبيلاً فقيها عارفاً بما كان عليه الصدر الأول، خبيراً بما انحل من عرى الإسلام، فتجرد للدعوة إلى الله ورد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح في باب العلم والإيمان وباب العمل الصالح والإحسان، وترك التعلق على غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم، والاعتقاد في الأحجار والأشجار، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في الأقوال والأفعال، وهجر ما أحدثه الخلف والأغيار، وأثنى الشيخ ابن عبد اللطيف على من وازر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تلك الدعوة من أسلاف آل سعود الماضيين وقال: إن الله أظهرهم من الدولة والصولة ما ظهروا به على كافة العرب، وغدت لهم الرياسة والإمامة رتبة بمجرد السابقة والعادة لا تزحمهم فيها العرب العرباء، ولا يتناول إليها بنو ماء السماء، وصالحهم يرجو فوق ذلك مظهرها، وجاهلهم يرتع في ثياب مجد لا يعرف من حاكمها ولا درى، فلم يزل الأمر في مزيد حتى توفي الله شيخ هذه الدعوة ووزيره العبد الصالح رحمهما الله رحمة واسعة، ثم حدث من فتنه الشهوات ما أفسد على الناس الأعمال والآراء، وجرى من الابتلاء والتطهير ما يعرفه الفطن الخبير، ثم أدرك سبحانه من رحمته والطافه أهل هذه الدعوة ما رد لهم به الكرة ونصرهم ببركته المرة بعد المرة، وبعضكم أدرك هذا ورآه، ومن لم يدركه بلغه كيف كثر الابتلاء والامتحان لأهل هذه الدعوة ثم تكون لهم العاقبة، وذلك سنة الله السابقة، في أنبيائه ورسله، أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يتلى الرجل على قدر دينه، وله في ذلك حكمة بالغة ثم أورد الشيخ ابن عبد اللطيف الأدلة على بعض أفراد هذه الحكمة.

ثم يصف تلك المحنة ويقول: «إنها فتنة عم شرها وطأ شرورها وتفرق الناس فيها أحزاباً وشيعاً ما بين ناكث لعهد، خالغ لبيعة إمامه بغير حجة ولا برهان، بغضا للجماعة ومحبة للفرقة والشناعة، وبين مجتهد لما رأى إمامه صدر مكاتبه للدولة، وبين واقف عند حده يلوح بين عينيه، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان، والرابع ضعيف العنان خوار الجنان، مع هؤلاء تارة ومع الآخرين تارة يتبع طمعه، وكل فرقة من هذه الفرق تضلل الأخرى وتفسقها أو تكفرها بل وتنسب إلى طالب علم تأتم به وتقلده وتحتج بقوله عياداً بالله، والمعصوم من عصمه الله، وحساب الجميع على الله، وهو أعلم بسرائرهم وسيحكم بينهم سبحانه بعلمه.

ويقول: «ثم اذهب الله ذلك بالعود إلى الجماعة وتجديد الأخوة الإسلامية وذهاب الشحناء وعاد الأمر إلى ما كان عليه من ثبوت الإمامة والدعوة إلى الجماعة

وتجديد العهود والمواثيق على ذلك فحمدنا الله تعالى وسألناه المزيد من فضله ورحمته وكنا مغتبطين واذهب الله عنا هباء الشبهات وأطفأ نار تلك الضلالات» .

ثم جعل الشيخ ابن عبد اللطيف يحذر هؤلاء العلماء خاصة وينصحهم من بوادر بدرت تريد المشاقة وفل جميع المسلمين - إلى أن قال محذرا: «فاستأنف النهار يا ابن جبير قبل أن تنفرج ذات البين بينكم معشر العلماء ويضلل بعضكم بعضا أو يفسقه أو يكفره فتكونوا بذلك فتنة لجاهل مغرور، أو ضحكة لذى دهاء وفجور تستباح بذلك أعراضكم، ولا ينتفع بعلمكم، فاعقدوا لكم محضرا، ولو طال منا ومن بعضكم لأجله سفر، للنظر فيما يصلح الإسلام، وتقوم به الحجة، ولو لم يعمل به عامل، تسدوا بذلك عنكم باب الفرقة، نصحا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإنني والله لا أخال الجرح يندمل، ولا الحية تموت، إلا أن يشاء ربي شيئا، وذلك لكثرة الطلاب لهذا الأمر، فقد وقع والله بكثرتهم البأس واعضل واحتاج العاقل للنظر فيما هو الأصلح لدينه، والارضى لربه، بالاجتماع على الاسد فالاسد، والاجد فالاجد^(١)، والأصلح فالأصلح، فإن الشيطان متكىء على شماله متحيل يمينه فاتح حصنه لأهله، يدأب بين الأمة بالشحناء والعدواة عنادا لله ولرسوله ولدينه تأليا وتأنيا يوسوس بالفجور، ويدلى بالغرور، ويزين بالزور، ويمنى أهل الفجور والشور، يوحى إلى أوليائه بالباطل دأبا له منذ كان، وعادة له منذ أهانه الله في سالف الأزمان، لا ينجومنه إلا من أحب الأجل وغض الطرف عن العاجل وقط هامة عدو الله وعدو الدين باتباع الحق والعمل به، رضى ذلك من رضيه وسخطه من سخطه^(٢) .

هذا هو الشيخ عبد الله ذوى الرأي السديد، والعقيدة السليمة، والعلم الرشيد وقد كان الملك عبد العزيز كما سيأتى الحديث عنه في الدور الثالث كان موقفا غاية التوفيق حيث اختاره وقربه إليه، واعتبره المرجع في بيان منهج السلف الصالح وعقيدتهم، التى صمم العزم على نصرتها واستعادة مكاسبها، كما صمم أسلافه عزمهم وارا دتهم التى تضعضعت أمامها الممالك والقوى من حولهم .

هذا وما زال مشائخ الدعوة في تلك الفترة بعد انتهاء الدور الثانى من أدوار دولة آل سعود مازال مشائخ الدعوة يحملون عقيدة السلف الصالح، ويثون العلم بها بين

(١) انظر: الدرر السنية، ففيها نص هذه الرسالة كاملا جـ ٧ ص ٢٦٥-٢٧٢ . والأجد فالأجد يعنى

الأكثر جدا .

الناس رغم ضعفهم وقتلتهم وهوانهم على الناس وغيبة الناصر لها لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ دينه، وكما أخبر رسول الله ﷺ من أنه لا تزال طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى قيام الساعة وقد أنعم الله سبحانه على هاتين الأسرتين الكريمتين. فمهما بقيت عداوة من يعاديهما من أجل عقيدة السلف الصالح والمحافظة عليها، فسوف يبقى الله هاتين الأسرتين ما يغيظ أعداءهم الذين ما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، وهذا هو أثر عقيدة السلف الصالح الذي لا يتخلف أبدا حتى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾. ولذا فقد قيض الله لأهل هذه العقيدة السلفية السليمة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

وبقيام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يبدأ الدور الثالث من أدوار دولة أنصار عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية - فإلى ذلك في الفصل التالي .

الفصل الرابع أثرها في الدور الثالث المحاضر

إن الله سبحانه وتعالى عاد بعائده، كما جرت به سنته للطائفة المنصورة فقيض الله لعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية إماما راشدا وسلطانا نصيرا وملكا حاميا. ألا وهو أبو الملوك، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمهم الله تعالى، الذي سار على سنة آبائه في نصرة عقيدة السلف الصالح واعزاز أهل الدين الحق واستعادة مكاسب آبائه من ذلك وتجديد مجدهم وأحياء سنتهم الراشدة.

يقول الشاعر الأديب العالم محمد بن عثيمين رحمه الله مخاطبه :

أرضيت آباءك الغر الكرام بما نبهت ذكرنا توارى منه حين علا فجئت بالسيف والقرآن معتزما حتى انجلي الظلم والإظلام وارتفعت دين ودنيا وبأس في الوغى وندى ويقول فيه أيضا :	جددت من مجدهم من بعد ما بانوا للمارقين ضباب فيه دخان تمضى بسيفك ما امضاه قرآن للدين في الأرض أعلام وأركان تفيض من كفه بالجوّد خلجان ^(١)
---	--

تلاأت بك للإسلام أنوار إن الذي قدر الأشياء بحكمته والعبد إن صلحت لله نيته إلى أن قال مخاطبه :	كما جرت بك للأسعاد أقدار لما يريد من الخيرات يختار لا بد يبدوها في الكون آثار
--	---

تألفت بك أهواء مفرقة فأصبحوا بعد توفيق الإله لهم إلى أن قال :	تأججت بينهم من قبلك النار بعد الشقا والجفا في الدين أخيار
---	--

كنا نمر على الأموات نغبطهم	من قبله إذ تولى الأمر أشرار
----------------------------	-----------------------------

(١) العقد الثمين، من شعر محمد بن عثيمين، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه سعد بن عبد العزيز بن رويشد

فالآن طابت به الأيام إذ أخذت به لأهل الهدى والدين أوتار^(١)

ويقول فيه أيضا :

إمام هدى للرشد يهدى وهتدى مُقيم سَواءٍ بالرعية يرفق
إلى أن قال :

فيا معشر الإخوان دعوة صارخ لكم ناصح بالطبع لا متخلق
يود لكم ما يمتنيه لنفسه ويعلم أن الحب في الله أوثق
تحاموا على دين الهدى مع إمامكم وكونوا له بالسمع جنداً توفقوا
وإياكم والافتراق فإنه هو المهلك في الدنيا وللدن يوبق
فو الله ثم الله لا رب غيره يمين امرئ لا مفتر يتملق
لما علمت نفسى على الأرض مثله إماما على الإسلام والخلق يشفق^(٢)

وصدق ابن عثيمين، فإن عبد العزيز، الإمام لما خرج من الكويت، خرج وهو يريد أن يسترد مكاسب العقيدة السلفية، التي اكتسبها آبؤه، حين تأثروا بعقيدة السلف الصالح، وطبقوها، وقد علم يقينا أن مفتاح استردادها هو العمل لنصرتها كما كان آبؤه وأجداده، ولن يصلح آخرهم إلا ما صلح أولهم ولا سبيل لبلوغ هذه الغاية إلا التمسك بالشرعية السمحاء وإقامة حدود الله والحكم بها أنزل الله وفي سبيل ذلك لا بد من نشر العلم والمعرفة بعقيدة سلفنا الصالح، وتعليم فرائض الدين وأحكام الشريعة كما كان هذا هو منهجهم أيضا.

وما أن أظهره الله بالاستيلاء على الرياض إلا وكان أول همته تقريبه العلماء، وتكريمه لآل الشيخ من أجل الشيخ وعهده مع جده، ولأجل ما يتصفون به من علم راسخ وعمل ثابت. وقد كان الملك يشارك العلماء في البيان والنصيحة وبيان منهج السلف الصالح في تطبيق العقيدة تطبيقا لرعيته حتى يجنبهم المخاطر ودروب الهلاك والفرقة مع كونه يجمعهم مع العلماء في مجالس يبينون لهم، ويكشفون عنهم الشبه ومن ذلك مجلس عقده وفيه جمع من العلماء وبعده وجه نداء عاما شرح فيه حقيقة ما هو عليه من العقيدة هذا نصه :

(١) المصدر السابق، ص، ١٠٨، ١٠٩-١١٠.

(٢) المصدر السابق، ص- ص ١٢٢-١٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود إلى الاخوان وفقنا الله وإياهم إلى فعل الخيرات وترك المنكرات آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ذلك : تفهمون ان الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بنعمة الإسلام ومنّ علينا بأن جعلنا من أهله . ولا يخفى عليكم ما مضى عليه أسلافكم من الأعراب من انحرافهم عن الدين والتقيد بشريعة سيد المرسلين ، بما يأتونه من ارتكاب الأمور التي تغضب الله ورسوله ، ومن استحلال الدماء ونهب الأموال وترك فرائض الإسلام ، فأنتم اليوم لما إن الله جل شأنه من عليكم بهدايته لكم على دينه القويم وجب عليكم أن تقيدوا تلك النعمة بالشكر المنع تبارك وتعالى . وأعظم الشكر لله هو اتباع أمره واجتناب نهيهِ ، على وفق ما جاء به نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإن لا تحيدوا عنه ذات اليمين وذات الشمال ، فتكونوا من الهالكين . إنني أريد أن أشرح لكم حقيقة ما نحن عليه من العقيدة في الدين ، التي أشار إليها العلماء في جوابهم السابق في هذا المجلس ، فاسمعوا واحفظوا عني ما أقوله لكم تنجوا من المهالك . إن أصل الدين كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه محمد ﷺ ، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان . فهم السلف الصالح ثم الأئمة الأربعة من بعدهم ، أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم ، وعن سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم إلى يوم القيامة ، فإن هؤلاء الأئمة المقتدى بهم عند جميع المسلمين من أهل الكتاب والسنة ، فإنه لا خلاف بينهم في أصل الدين ، من توحيد الله تعالى في ربوبيته وفي الوهيته وأسماؤه وصفاته وهذا الحمد لله ثابت في كتبهم الموجودة بين أيديكم ، وإن حصل بينهم اختلاف في الفروع ، فما ذاك إلا من شدة حرصهم وتمسكهم بكتاب ربهم ، وما صح عن نبيهم ﷺ واستخراج معانيها ، كل منهم على قدر ما آتاه الله من العلم والفهم في دينه ، وكلهم إن شاء الله تعالى على حق ، ومن سلك طريقهم وحذا حذوهم إلى يوم القيامة ، فهذا الذي ندين لله به ، وهو اعتقادنا نحن واعتقاد مشايخنا وأسلافنا وهو الصراط المستقيم ، والميزان العدل ، فمن استقام عليه فهو المتبع المهتدى ومن حاد عنه وهو جاهل فيجب عليه الرجوع والتوبة إلى الله تبارك وتعالى ، ومن خالفه معتقدا بطلانه فهذا ليس على شيء من الدين ، لا أصله ولا فرعه ، نعوذ بالله من ذلك ، ولا يقال عن هذا انه مكذب للمشايخ ، بل مكذب لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإن من

حضر منكم هذا المجلس المبارك ، وسمع كلام العلماء بغير واسطة ، فقد قامت عليه الحجة ، وليس هو بمعذور بما يأتيه من المخالفة وعلى الشاهد أن يبلغ الغائب ، وإنى أحذركم من التفرق في الدين وتتبع الخلافات فيه ، فإن هذا من أعظم أسباب الهلاك ، وإنكم في زمن قد تشعبت فيه الأمة الإسلامية وكثرت فيها الفرق وفشت فيها البدع ، ودنس وجه الدين بما ليس منه ، وكثرت فيه شبه الضالين المضلين ، غير إنه بحمد الله لم يخل زمان من قائم لله في أمر دينه ينفي عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين ، أولئك هم علماء الدين ، وهم ورثة الأنبياء وهم الحافظون لدين الله تعالى ، حيث أقامهم لذلك : ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وكل يدعى إنه القائم لله بحفظ دينه ، ولكن ميزان العدل في ذلك هو اتباع هذا النبي الكريم : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ إني أرشدكم إلى أعظم قائم لله تعالى في نصر دينه ، بعد الأئمة الأربعة رضى الله عنهم ، وذلك بعد أن كثرت الملل والنحل ، وتشعبت الأهواء ، وتفرق الناس شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ، ذلك : هو شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام محمد بن قيم الجوزية - رحمهما الله تعالى ، ومن هو على طريقتهم في الدعوة والتحقيق إلى يوم القيامة ، فقد قام هذان الشيخان بما أوجبه الله على العلماء من بيان الحق ، وعدم كتمانهم ، ولم تأخذهما في الله لومة لائم ، فقد توفى الشيخ ابن تيمية رحمه الله بينما كان محبوسا في قلعة دمشق ، وما ذنبه إلا بيان الحق والدعوة إليه وإبطال ما خالفه من العقائد الزائفة ، والطرائق الضالة الفاسدة ، فهذه كتب هذين الشيخين بحمد الله بين أيديكم قد سهل الله نشرها بعد أن كانت مدفونة في زوايا الترك والاهمال ، فعليكم بمطالعتها ، فإنها بادرة الكتاب والسنة تجلوعن القلوب صداها ، وبآثر الصحابة وهدىهم تميظ عن الأبصار غشاها ، وهذا شيخنا ذلك الإمام^(١) الوحيد في زمانه ، الجليل القدر رحمه الله تعالى ، قد قام بما قام به هذان الشيخان من الدعوة إلى تحقيق التوحيد لله تعالى في أسمائه وصفاته وتوحيده في الوهيته ، بافراده بالعبادة له ، وحده لا شريك له بجميع أنواعها ، وهذا التوحيد هو أصل بعثة الرسل من نوح إلى نبينا محمد ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ وهذا التوحيد هو أصل الأصول للدين ، السدى لا يجوز التقليد فيها . فعليكم بالتفقه في دينكم واتباع نبيكم ﷺ

(١) يعنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .

وسلفكم الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة ، وقد تقدم لكم البيتان بإننا في الأصل على القرآن ، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه . إن هذا المقام ليس مقام تفصيل وإطالة ، بل هو مقام نصيحة وتنبيه لكم فيما تأتون من أمور دينكم بأن تكونوا فيه على بصيرة . قال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقال تعالى : ﴿ فأسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ فمن كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر وقصده في هجره البداوة ، وانتسابه إلى الخير طلب رضا الله تعالى والتماس ما عنده من الثواب لمن تاب إليه وأتاب فلا يتمسك أحدكم بأمور دينه برأيه ، وليس الدين بالاستحسان ، فكل طريق إلى الحق غير طريق نبيه ﷺ فإنه مسدود ، وكل عمل على غير سنته فهو إلى صاحبه مردود فاتبعوا ولا تبتدعوا ، وقاربوا فمن سار على الدرب وصل ، وهذا ما يجب لكم علينا من النصيحة ، فمن خالف ما بيناه لكم بقول أو فعل فذمتنا وذمة المسلمين منه برئية ولا يأمن البطش بنفسه وبحلاله ومن أنذر فقد أعذر . نرجو الله أن يوفقنا وإياكم للخير وأن ينصر دينه ويعلى كلمته وأن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين»^(١) .

وفي موضع آخر يقول الملك عبد العزيز : «على انه في آخر الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ثم بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ونفع بهم الإسلام والمسلمين ، وخصوصا محمد بن عبد الوهاب ، عندما أندرست أعلام الإسلام ، وكثرت الشبهات والبدع ، فلما رأى أسلافنا موافقة أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلوا ذلك وقاموا بما أظهره الله على أيديهم . ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم ، نرجو أن يحيننا على ذلك ويميتنا عليه ، وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشائخ في الاعتقاد ، والعمدة على ما ذكروه» .

إلى أن قال : «ومن اشكل عليه شيء من الأمور فليرده إلى طالب العلم المنصوب عندكم بأمر الولاية ورضى المشائخ»^(٢) .

وله رسالة إلى من يراه من علماء المسلمين وإخوانهم المنتسبين في سنة ١٣٣٩ هـ

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، تأليف صلاح الدين المختار ، جـ ٢ ص ١٥٢-١٥٥ .
(٢) نجد وملحقاته ، وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها تأليف أمين الرحمانى ط ٣ ص ٤٣٥-٤٣٦ .

يقرر فيها ما كتبه إليهم المشائخ: حسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وسليمان بن سحمان وصالح بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن عبد اللطيف وعمر بن عبد اللطيف وعبد الله بن حسن ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف وكافة آل الشيخ حيث كتبوا يذكرون بما أظهر الله على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من دين الإسلام والعمل به، ثم ذريته من بعده سلكوا على منواله وأيدهم الله بولاة الأمر من آل سعود وآخر من قام بهذا الأمر في زمانهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف. ثم يبينون انه من المتعين على الجميع لزوم الاقتداء بهم والسلوك على منهاجهم، وانه لا ينبغي لأحد من الناس العدول عن طريقة آل الشيخ ومخالفة ما استمروا عليه من أصول الدين فانه الصراط المستقيم، الذي من حاد عنه فقد سلك طريق أصحاب الجحيم، وكذلك في مسائل الأحكام والفتوى لا ينبغي العدول عما استقاموا عليه، واستمرت عليه الفتوى منهم. لأن الاختلاف بين الناس خصوصاً في جهة نجد لا بد أن يكون سبب شر وفساد وفتنة وسد باب الشر والفتن والفساد أمر مطلوب في الشريعة، بل من أعظم مقاصدها كما لا يخفى. فقرر الملك على ذلك قائلاً: هذا كتاب إخوانكم المشائخ تشرفون عليه والعمل إن شاء الله على ما فيه، ثم بعد ذلك مهوب خافيكم أول منشأ هذا الأمر وتقويمه إنه من الله ثم أسباب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وأوائلنا رحمهم الله، وما جرى على المسلمين من اختلاف ولايتهم مراراً وكلما اختلف الأمر وشارف الناس لنقض دين الله واطفاء نوره أبى الله وأخرج من ها الحملتين من يقوم بذلك حتى ان آخرهم والدنا وشيخنا الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف. إلى أن قال الملك: «والحمد لله ما حنا^(١) في شك من أمر ديننا، وتفهمون انه من حين أظهر الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قرن أطيب من وقتنا ورجال أطيب من رجالنا وعلما أطيب من علمائنا، فسدد الله به، وقام بهذه الكلمة وجدد الله أمر هذا الأصل، وأنقذ الله بأسبابه الناس من الظلمات إلى النور، فبان أمره لأولى الأبصار وخفى ذلك على كثير من الناس، وعاند من أزاغ الله قلبه وأعمى بصيرته، وقبل هذا الحق ورضيه آباؤنا وأجدادنا وعلما المسلمين فيما أتى به من الأصل والفروع ويتعين علينا إن شاء الله أن نفتدى بما اقتدوا به.

إلى أن قال الملك: فالآن يكون الأمر على ما ذكر المشائخ أعلاه فمن أفتى أو

(١) الدرر السنية ج ١١ ص - ص ١٣١-١٣٤، ويلاحظ ان الملك يتكلم بلهجة عامة الرعية وذلك ابلغ في أنفسهم. ومعنى: (ماحنا): أى ما نحن.

تكلم بكلام مخالف لما عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده عبد الله وعبد الرحمن وعبد اللطيف وعبد الله بن عبد اللطيف فهو متعرض للخطر، لأننا نعرف انه ما يخالفهم إلا إنسان مراوز^(١) للشر والفتنة بين المسلمين».

إلى أن قال الملك مستثنيا: «الا ان كان هنا إنسان عنده في مخالفتهم دليل من الكتاب أو السنة» . . . الخ ما قاله رحمه الله .

ومن كلمات الملك عبد العزيز وخطبه قوله :

«إنى مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله ، إنى مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها ، فلن يكون بعد اليوم سلطان إلا للشرع ، ثم استطرد قائلا . . . الذى أبغيه من هذه الديار أن تعمل بما فى كتاب الله وسنة نبيه فى الأمور الأصلية أما فى الأمور الفرعية فاختلاف الأئمة رحمة^(٢) .

ومن خطبة له بمكة يقول :

«انا بدمتكم وأنتم بدمتى . إن الدين النصيحة . أنا منكم وأنتم منى . هذه عقيدتنا فى الكتب بين أيديكم فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله ، فردونا عنه وأسألونا عما يشكل عليكم فيها ، والحكم بيننا كتاب الله وما جاء فى كتب الحديث والسنة .

ويقول :

«ما كنا عربا إلا بعدما كنا مسلمين . كنا عبيدا للعجم . ولكن الإسلام جعلنا سادة . ليس لنا فضيلة إلا بالله وطاعته واتباع محمد . ويجب أن نعرف حقيقة ديننا وعريتنا ، ولا ننساها .

«كل حرية باطلة ، إلا حرية الإسلام . والإنسان لا ينفع إلا بالدين . ونحن لا نبغى محاربا أوربا ، وإنما نطلب حقوقنا باتحادنا فنعتصم بالله . والإسلام أكبر وسيلة وأكبر حصن . هو أكبر مزايا الحسب والنسب . فيجب على المسلم محبة دينه وشعبه ووطنه .

ويقول فى خطبة له بمكة أيضا :

«يسموننا بالوهابيين ، ويسمون مذهبنا بالوهابي . باعتبار انه مذهب خاص

(١) و(مراوز للشر) : هو من يريد موافقة الشر .

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية ، للصف الثالث المتوسط ، ط ١ عام ١٣٩٤ هـ ص ٢١٠ .

وهذا خطأ فاحش ، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يثبها أهل الأغراض .
«نحن لسنا أصحاب مذهب جديد ، أو عقيدة جديدة . ولم يأت محمد بن عبد
الوهاب بالجديد ، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة
رسوله وما كان عليه السلف الصالح» .
«ونحن نحترم الأئمة الأربعة . ولا فرق بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي
حنيفة . كلهم محترمون في نظرنا»^(١) .

ومن خطبتين له في مكة إحداهما عام ١٣٥٣ هـ يقول :
«هذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم ، فإن كان فيها ما ما يخالف كتاب الله
فردونا عنه . . . والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة .
إننا لم نطع (ابن عبد الوهاب) وغيره إلا في ما أيده بقول من كتاب الله وسنة
رسوله . وقد جعلنا الله ، أنا وأبائي وأجدادي مبشرين وبعلمين بالكتاب والسنة وما
كان عليه السلف الصالح ، ومتى وجدنا الدليل القوي في أى مذهب من المذاهب
الأربعة ، رجعنا إليه وتمسكنا به . وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً ، أخذنا بقول الإمام أحمد .
فهذا كتاب «الطحاوية» في العقيدة الذي نقرأه وشرحه للأحناف وهذا تفسير «ابن
كثير» وصاحبه الشافعي»^(٢) .

ويقول ينبه بعض المستعمرين :
«قد فاتكم أن الراعى مسئول عن رعيته وقد فاتكم أن صاحب السيادة لا
يستقيم أمره إلا بالعدل والإحسان وقد فاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ولا
يبالون إذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم»^(٣) .

ولما دخلت بلاد الحجاز في ولاية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
حصل اتفاق بين علماء مكة ونجد وقد نشرته رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء
والدعوة والارشاد بالملكة العربية السعودية بعنوان : «البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء
مكة ونجد من عقائد التوحيد» وقد اشتمل على بيان ما يجب على الأمة الإسلامية
اعتقاده من توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة وتحذيرها من كل ما يخالف كتاب الله

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، تأليف خير الدين الزركلى ص ٢١٧ .

(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية ، تأليف الدكتور منير العجلاني ص ٢٢٩ .

(٣) تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط ط ١ عام ١٣٩٤ هـ ص ٢١١ .

وسنة رسوله ﷺ كدعاء غير الله والاستغاثة والاستعانة بالأموات وطلب الشفاعة منهم ، والذبح والنذر لغير الله ، وكالحلف بغير الله وتعظيم القبور بغير ما شرع الله من البناء عليها واتخاذها مساجد وشد الرحال إليها والطواف حولها والتبرك بها مما عمت به البلوى ، وقد سبق نشرها في جريدة أم القرى في أجزاء متفرقة في سنة ١٣٤٣ هـ ثم جمعت في رسالة تحت عنوان :

«البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد» وطبعت عام ١٣٤٤ هـ ثم ضم اليها مناظرة في نفس الموضوع جرت بين علماء مكة ونجد نشرتها جريدة أم القرى يوم الجمعة ١٥/٥/١٣٤٣ هـ وطبعت بمطابع دار الثقافة بمكة عام ١٣٩٨ هـ طبعتها الثانية - وأولها نداء عام من علماء بلد الله الحرام الى امتنا الكريمة والى شعبنا النبيل ، بينوا فيه ذلك المضمون الذى ذكرناه ، ووقعه كل من الشيخ محمد المرزوقى قاضى مكة المكرمة والشيخ عبد الله بن ابراهيم حمدوه ، والشيخ سعد وقاص ، والشيخ حسين مكى الكتبى ، والشيخ عيسى دهان ، والشيخ عبد القادر ابو الخير مرداد والشيخ محمد سعيد ابو الخير والشيخ ابوبكر بن محمد خوقير ، والشيخ حسين عبد الغنى والشيخ محمد نور محمد الفطاني ، والشيخ محمد عرابى سجينى ، والشيخ عباس المالكى ، والشيخ محمد امين فوده ، والشيخ محمد جمال المالكى ، والشيخ محمد عبد الهادى كتبى ، والشيخ درويش عجمى .

ثم اعقبه خطاب رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن بليهد الذى ألقاه في الاجتماع الذى عقد بين علماء نجد وعلماء مكة المكرمة . ثم ذكر المناظرة التى وقعت بين علماء مكة وعلماء نجد وما توصلوا اليه واتفقوا عليه في بيان . نذكر نصه كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

من علماء حرم الله الشريف وأئمة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ عمر باجنيد ابى بكر ، والشيخ درويش عجمى ، والشيخ محمد مرزوقى ، والشيخ أحمد بن على النجار ، والشيخ جمال المالكى ، والشيخ عباس المالكى ، والشيخ حسين بن سعيد بن محمد بن سعيد عبد الغنى ، والشيخ حسين مفتى المالكية والشيخ عبد الله حمدوه ، والشيخ عبد الستار والشيخ سعد وقاص والشيخ عمر بن

صديق خان والشيخ عبد الرحمن الزواوى الى من يراه من علماء الحكومات الاسلامية وملوكهم وأمرائهم .

أما بعد : فقد اجتمعنا نحن المذكورين مع مشايخ نجد حين قدومهم الى الحرم الشريف مع الإمام عبد العزيز حفظه الله ، وهم : الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، والشيخ عبد الله بن حسن ، والشيخ عبد الله بن عبد الوهاب بن زاحم ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود ، والشيخ محمد بن عثمان الشاوى ، والشيخ مبارك بن عبد المحسن بن باز ، والشيخ ابراهيم بن ناصر بن حسين . فجرى بيننا وبين المذكورين والمحترمين مباحثة فعرضوا علينا عقيدة أهل نجد وعرضنا عليهم عقيدتنا ، فحصل الاجتماع بيننا وبينهم بعد البحث والمراجعة في مسائل اصولية ، منها أن من أقر بالشهادتين وعمل بأركان الاسلام الخمسة ثم أتى بمكفر ينقض اسلامه قولي أو فعلي أو اعتقادي إنه يكون كافراً بذلك يستتاب ثلاثاً ، فإن تاب وإلا قتل ، ومنها من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم في جلب نفع أو دفع ضرر ، أو يقربونه الى الله زلفى إنه كافر يحل دمه وماله ومن طلب الشفاعة من غير الله لا يقدر عليه إلا الله إن ذلك شرك ، فإن الشفاعة ملك لله ولا تطلب الا منه ، ولا يشفع احد الا بإذنه - كما قال تعالى : ﴿من ذا الذى يشفع عنده الا بإذنه﴾ وهو لا يأذن الا فيمن رضى قوله وعمله ، كما قال تعالى : ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾ وهو لا يرضى الا بالتوحيد والاخلاص . ومنها تحريم البناء على القبور ، واسراجها وتحرى الصلاة عندها إن ذلك بدعة محرمة فى الشريعة ، ومنها إن من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراما ومنها انه لا يجوز الحلف بغير الله لا الكعبة ولا الأمانة ولا النبى ولا غير ذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم «من حلف بغير الله فقد أشرك» .

فهذه المسائل كلها لما وقعت المباحثة فيها حصل الاتفاق بيننا وبين المذكورين ولم يحصل خلاف فى شىء ، فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين إخواننا علماء أهل نجد ، نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه آمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم» انتهى .

وهكذا يحصل الاتفاق على الحق ، ويحصل زهوق الباطل «إن الباطل كان زهوقا» .

وكتب الملك عبد العزيز الى الشيخ أبى يسار الدمشقى ، وناصر الدين الحجازى نزيل دمشق ، كتب اليهما فى الشام كتابا يعتبر منشوراً إعلامياً وبياناً لما عليه الملك عبد العزيز من عقيدة السلف الصالح ، ونورد نصه لانه وثيقة لا يقدر أحد ان ينكرها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل الى جناب الاخوين المكرمين الشيخ الفاضل ابويسار الدمشقى ، وناصر الدين الحجازى ، سلمهما الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته - «أما بعد» فانى أحمد اليكما الله الذى لا اله الا هو على نعمه التى من أجلها نعمة الاسلام ، ونشكره سبحانه اذ جعلنا من اهلها وانصارها والذابين عنها ، ونسأله أن يصلي على عبده ورسوله وحبيبه وخيرته من خلقه محمد وآله وصحبه وحزبه .

وغير ذلك ورد علينا ردكم على عبد القادر الاسكندراني فرأيناه رداً سديداً وجواباً صائباً مفيداً ، وافياً بالمقصود ، فحمدنا الله على ما من به عليكم من معرفة الحق والبصيرة فيه وعرضناه على مشائخ المسلمين فاستحسنوه وأجازوه .

فالحمد لله الذى جعل لأهل الحق بقية وعصاة تذب عن دين المرسلين وتحمى حماه عن زيغ الزائغين ، وشبه المارقين والملحدين ، فلربنا الحمد لا نحصى ثناء عليه ، بل هو كما اثنى على نفسه ، وفوق ما يثنى به عليه خلقه ، وهذهمنة عظيمة ، ومنحة جلية جسيمة ، حيث جعلكم الله فى هذه الأزمان التى غلب على أكثر أهلها الجهل والهوى والإعراض عن النور والهدى ، واستحسنوا عبادة الاصنام والاولئان ، وصرفوا لها خالص حق الملك الديان ، ورأوا ان ذلك قرينة ودينا يدينون به ، ولم يوجد من ازمان متطاوله من ينهى عن ذلك أو يغيره ، فعند ذلك اشتدت غربة الاسلام واستحكم الشر والبلاء ، وطمست اعلام الهدى ، وصار من ينكر ذلك ويحذر عنه خارجياً قد اتى بمذهب لا يعرف لأنهم لا يعرفون الا ما الفتة طباعهم وسكنت اليه قلوبهم ؛ وما وجدوا عليه اسلافهم وآبائهم من الكفر والشرك والبدع والمنكرات الفظيعة فالعالم بالحق والعارف له والمنكر للباطل والمغير له يعد بينهم وحيداً غريباً .

فاغتنموا رحمكم الله الدعوة الى الله والى دينه وشرعه ، ودحض حجج من خالف ما جاءت به رسله ونزلت به كتبه من البينات والهدى ، وان تكون الدعوة الى

الله بالحكمة والموعظة الحسنة بالحجة والبيان، حتى يمن الله عليكم بمن يساعدكم على هذا، فإن القيام في ذلك من أوجب الواجبات، وأهم المهمات وأفضل الأعمال الصالحات لا سيما في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر شره، قال صلى الله عليه وسلم «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء» وقال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه: «فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» ونحن إن شاء الله من أنصاركم وأعوانكم.

ومن حسن توفيق الله لكم أن أقامكم في آخر هذا الزمان دعاء إلى الحق وحجة على الخلق فاشكروه على ذلك، واعلموا أن من أقامه الله هذا المقام لا بد أن يتسلط عليه الأعداء بالأذى والامتحان، فليقتد بمن سلف من الأنبياء والمرسلين، ومن على طريقهم من الأئمة المهديين، ولا يثنيه ذلك عن الدعوة إلى الله، فإن الحق منصور ومتمحن، والعاقبة للمتقين في كل زمان ومكان، وهذه^(١) هدية نهدى إليكم من كلام علماء المسلمين وبيان ما نحن ومشائخنا عليه من الطريقة المحمدية والعقيدة السلفية ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه، نحن وسلفنا الماضون نسأل الله لنا ولكم التوفيق، والهداية لا قوم منهج وطريق، والسلام^(٢).

والهدية السنية التي أشار إليها الملك عبد العزيز وقال إنها تبين حقيقة ما نحن عليه وما ندعو إليه، نحن وسلفنا الماضون هي مجموعة رسائل خمس لكبار أئمة نجد وعلمائها جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان طبعت بأمر ملك الحجاز وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود، وقف على طبعها وعلق عليها بعض الفوائد والايضاحات محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية في سنة ١٣٤٤ هـ بمطبعة المنار بمصر وأعيد طبعها في مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة - على نفقة فهد بن قاسم بن علي آل ثاني عام ١٣٩٣ هـ وهي عبارة عن رسالة من الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب يشرح فيها حقيقة العبادة ويبين التوحيد والفرق بين حق الله وحق أنبيائه وأوليائه ويحذر من الشرك ويبينه ما هو ليجتنب.

وسبق ذكرها في أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها^(٣).

(١) إشارة إلى كتاب الهدية السنية للشيخ سليمان بن سحمان المطبوعة بمصر سنة ١٣٤٤ هـ.

(٢) الدرر السنية ج ١ ص ٣٠٣-٣٠٥.

(٣) انظر: الفصل الثاني من الباب الثاني ص ٥١٠ من هذا البحث.

والثانية من الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد . وسبق ذكرها في أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها^(١) . وفيها شرح مذهب الشيخ وأنصاره واتباعه وانه مذهب أهل السنة والجماعة وهي عبارة عن محضر سجل ما وقع بالفعل ووثيقة تاريخية لا يقدر أحد أن ينكرها .

والرسالة الثالثة هي الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب للشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، وهي كذلك وثيقة تاريخية سجلت مناظرة وقعت بين الشيخ حمد بن معمر وأصحابه وبين علماء مكة وأعيانها في دعاء غير الله وتمييز الشرك من التوحيد وفي حكم تارك الصلاة والزكاة وفي حكم البناء على القبور . وسبق ذكرها أيضا في أثر عقيدة الشيخ في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها^(٢) .

والرسالة الرابعة للشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ في نبذة من سيرة جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومجمل عقيدته واتباعه ، وهي نبذة أصيلة من مؤمن لا يشك في أمانته العلمية ، فتعتبر أصدق مرجع في زمانها يؤخذ منه حقيقة ما عليه الشيخ محمد واتباعه وأنصاره . وسبق ذكرها في الدور الثاني من أدوار دولة أنصارها^(٣) .

والرسالة الخامسة للشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ تتضمن سجلا بما عمله الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن من بعثه هذا الشيخ إلى اليمن وعسير وتهامة لينشر عقيدة السلف الصالح هناك ويبين التوحيد ليعمل به والشرك ليجنبته وهي وثيقة تاريخية جلية لا يقدر أحد أن ينكرها أو أن ينكر صلتها بالحاضر بالماضي وبيانها أن الحاضر لم ينحرف عن الماضي ، وإنما على سنته - كما قال الملك عبد العزيز : «هدية نهدىها إليكم من كلام علماء المسلمين ، وبيان ما نحن ومشائخنا عليه من الطريقة المحمدية ، والعقيدة السلفية ، ليتبين لكم حقيقة ما نحن عليه ، وما ندعو إليه ، نحن وسلفنا الماضون» .

ثم ختامها بقصيدة دالية للشيخ سليمان بن سحمان في جملة عقيدة الشيخ السلفية وقصيدة من صاحب لنجه في بيان طريقة الشيخ ، وأرجوزة للعلامة محمد بن

(١) انظر : الفصل الثالث من الباب الثاني ص ٥٣٦ من هذا البحث .

(٢) انظر : الفصل الثاني من الباب الثاني ص ٥٢٥ من هذا البحث .

(٣) انظر : الفصل الثالث من الباب الثاني ص ٥٦٦ من هذا البحث .

الشيخ أحمد الحفظي الحجازي اليمني في بيان عقيدة الشيخ وذكر مآثر آل سعود لما استجابوا لداعي الحق حتى ظهر دين الله وبان منهاج الشريعة المحمدية^(١).

ولا شك أن الملك عبد العزيز كان كأسلافه عقيدته سلفية وكان نصيرا لعقيدة السلف ويستشير العلماء في أمور الدين وينفذ أحكامهم ويعمل بنصائحهم وفتاويهم مع أنه ذو فكر سديد، وإدراك عميق، واعتقاد سليم، مبني على استقلال في الشخصية، وحرية في الاختيار، وقوة في الإرادة، ومضاء في العزيمة، وسعة في الافق، ويشاركهم في التوجيه والنصائح والارشاد والدعوة إلى عقيدة السلف الصالح كما ذكرنا^(٢) مما يدل على علمه ورسوخ قدمه في عقيدة السلف الصالح وان عليها اعتقاده رحمه الله تعالى.

لكنه مع ذلك يدرك أهمية العالم المتخصص، المعروف بالديانة والصدق ويضعه في مكانه، ويعلم أن ذلك هو منهج الصواب.

وكان من أبرز هؤلاء المشائخ الذين استعان بهم هو العلامة التقى الورع شيخ الإسلام الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ولد في الاحساء سنة ١٢٦٥ هـ وقدم بلد الرياض سنة ١٢٧٢ هـ وأخذ العلم عن أبيه وجده والشيخ حمد بن عتيق وغيرهم وبرع في جميع الفنون، الأصول والفروع والتفسير والنحو وغيرها، وصار رفيع القدر جم الفضائل، انتهت إليه الرئاسة في العلم والرأي والكرم، له اليد الطولى في التدريس ومجالسه المحفوفة بفحول العلماء والمدرسين وأهل الرأي، وله صدور المجالس والمحافل، وإلى قوله المنتهى في الفصل بين العشائر والقبائل، له رسائل وفتاوى ونصائح كثيرة مفيدة ورأى راجح في الحوادث المدهمة، وهيبة البسها بين الأمة وأخذ عنه العلم جم غفير ترعرعوا ونموا في مدرسته ونالوا من اكرام الملك ونصرته ما تمم نموهم وإدراكهم فكانوا خير عون له، وعلى رأس هؤلاء التلاميذ للشيخ عبد الله علامة الديار النجدية ومفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

وهذه قائمة بأسماء التلامذة الأوائل الذين ضمتهم مدرسة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخذوا عنه مباشرة، وقرهم الملك عبد العزيز واستعان بهم :

(١) انظر: الهدية السنية، والتحفة الوهابية النجدية، لجميع اخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية، والطريقة المحمدية، جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان النجدي، طبعت بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد عبد العزيز آل سعود، بمطبعة المنار، الطبعة الثانية سنة ١٣٤٤ هـ.

(٢) وانظر أيضا: الدرر السنية ج ١١ ص - ص ١٥٦-١٦٠، ص - ص ١٧١-١٧٤.

- ١ - الشيخ عبد الملك بن عبد الله .
- ٢ - الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله .
- ٣ - الشيخ محمد بن عبد الله .
- ٤ - الشيخ صالح بن عبد الله .
- ٥ - الشيخ اسحق بن عبد الرحمن بن حسن .
- ٦ - الشيخ محمد بن عبد اللطيف .
- ٧ - الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف .
- ٨ - الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف .
- ٩ - الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف .
- ١٠ - الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن .
- ١١ - الشيخ محمد بن إبراهيم .
- ١٢ - الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم .
- ١٣ - الشيخ عبد الرحمن بن اسحق .
- ١٤ - الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف .
- ١٥ - الشيخ عبد الملك بن إبراهيم بن عبد الملك .
- ١٦ - الشيخ عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن عبد الملك .
- ١٧ - الشيخ على بن عبد العزيز .
- ١٨ - الشيخ عمر بن حسن .
- ١٩ - الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد .
- ٢٠ - الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد .
- ٢١ - الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري .
- ٢٢ - الشيخ عبد الله بن فيصل .
- ٢٣ - الشيخ عبد العزيز بن بشر .
- ٢٤ - الشيخ عبد الرحمن بن سالم .
- ٢٥ - الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن داود .
- ٢٦ - الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق .
- ٢٧ - الشيخ عبد الله بن سليمان السيارى .
- ٢٨ - الشيخ عبد الله بن حمد الدوسرى .

- ٢٩ - الشيخ سالم الحناكي .
 ٣٠ - الشيخ محمد الحناكي .
 ٣١ - الشيخ عمر بن سليم .
 ٣٢ - الشيخ عبد الرحمن بن عودان .
 ٣٣ - الشيخ محمد بن عثمان الشاوي .
 ٣٤ - الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى .
 ٣٥ - الشيخ مبارك بن عبد المحسن .
 ٣٦ - الشيخ عبد الله بن زاحم .
 ٣٧ - الشيخ عبد الله بن بليهد .
 ٣٨ - الشيخ عبد العزيز بن عبد الله النمر .
 ٣٩ - الشيخ سعد بن سعود .
 ٤٠ - الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك .
 ٤١ - الشيخ ابراهيم بن سليمان بن راشد .
 ٤٢ - الشيخ عبد الله بن عتيق .
 ٤٣ - الشيخ عبد اللطيف بن عتيق .
 ٤٤ - الشيخ ابراهيم بن حسين .
 ٤٥ - الشيخ عبد الرحمن بن حسين .
 ٤٦ - الشيخ عبد الله بن رشيدان .
 ٤٧ - الشيخ سليمان بن حمدان .
 ٤٨ - الشيخ محمد بن علي البيز .
 ٤٩ - الشيخ فالح بن عثمان بن صغير .
 ٥٠ - الشيخ عبد العزيز الشثري .
 ٥١ - الشيخ عبد العزيز بن مرشد .
 ٥٢ - الشيخ حمد بن محمد بن موسى .
- وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وأخذ عن الشيخ عبد الله خلق لا يحصيهـم
 إلا الله تعالى^(١) .

(١) الدرر السنية ج ١٢ ص ٩٨، ٩٩ .

وقد أخذ عن هؤلاء أضعاف مضاعفة ممن صاروا علماء وقضاة ودعاة إلى عقيدة السلف الصالح^(١).

وتوفي الشيخ عبد الله سنة ١٣٣٩ هـ رحمه الله تعالى - ورثاه العلماء والشعراء ومن رثاه: الشيخ محمد بن إبراهيم بقصيدة مطلعها:

على الشيخ عبد الله بدر المحافل نريق كصوب الغاديات الهواطل
ورثاه غيره^(٢)، ومن الشعراء: الشاعر محمد بن عثيمين والذي من مرثيته قوله:

شيخ مضى طاهر الأخلاق متبعاً	طريقة المصطفى بالله معتصماً
بحر من العلم قد فاضت جداوله	لكنه سائغ في ذوق من طعماً
تنشق اصدافه في البحث عن درر	تهدى إلى الحق مفهوماً وملتزماً
فكم قواعد فقه قد أبان وكم	أشاد رسماً من العليا قد انشأ
نعى إلينا العلا والبر مصرعه	والعلم والفضل والاحسان والكرما
هذى الخصال التي كانت تفضله	على الرجال فاضحى فيهم علماً
فليت شعري من للمشكلات اذا	ما حل منها عوئص يبهم الفهما
وللعلم التي تخفى غوامضها	على الفحول من الأحبار والعلماء
إلى أن قال:	

لهفى عليه ولهف المسلمين معى	لوان لهفا شفى من لاهف سدماً
ولهف مدرسة بالذكر يعمرها	ومسجد كان فيه ينشر الحكماء ^(٣)

ولا ننسى في خضم هذا الأثر علماً بارزاً من تلاميذه هو الشيخ سليمان بن سحبان، العالم العلامة حسان زمانه وشاعر عقيدة السلف الصالح في وقته، المجاهد بنثره ونظمه والمنافع بجهد وبيانه عن عقيدة الشيخ السلفية، أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف وابنه عبد الله، وكان له دور في التدريس ونشر العلم النافع، وهو من العلماء الذين استعان بهم الملك عبد العزيز في الدعوة إلى

(١) انظر: تراجمهم في كتاب علماء نجد خلال ستة قرون لابن بسام ثلاثة أجزاء، ومشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف.

(٢) انظر: الدرر السنية ج ١٢ ص ٩٦-١٠٤، وروضة الناظرين عن آثار علماء نجد، لمحمد بن عثمان القاضي ج ١/٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص - ص ٤٦١-٤٦٥.

التمسك بالعقيدة السليمة ، وطلب العلم النافع والالتزام بالعمل الصالح وتخرج العلماء وتنشئتهم ، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء الذين نفع الله بهم ، وله المؤلفات النافعة منها :

- ١ - الضياء الشارق ، في رد شبهات الماذق المارق .
- ٢ - الهدية السنية . جمعها ورتبها وفي آخرها المنظومة الدالية له .
- ٣ - تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين .
- ٤ ، ٥ - منهاج أهل الحق والاتباع ، وارشاد الطالب . في مجلد واحد .
- ٦ - الصواعق المرسلة .
- ٧ - وديوان شعر ، ومؤلفات غيرها .

وهو القائل :

نعم نحن وهابية حنفية	حنيفية نسقى لمن غاضنا المرأ
ومن هاضنا أو غاضنا بمغضة	سنصعقه صعقا ونكسره كسرا
وكم من اخي جهل رمانا بجهله	فعاد حسيرا خاسئا نائلا شرا
بمحكم آيات وسنة أحمد	نصول على الأعداء فنأطرحهم اطرا

إلى أن قال :

والفت كتبنا نثرها ونظامها يؤيد أهل الحق ارجوها الاجرا^(١)
وله جهود في جمع وتحقيق رسائل علماء الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح
كمجموعة الرسائل والمسائل النجدية أربعة أجزاء في مجلدات كبار ، وقد طبعها الملك
عبد العزيز ونشرها ضمن ما اتفق عليه وعلى طبعه من كتب علماء العقيدة السلفية في
جميع فنون العلم .

وقال في الانتصار لها الشاعر محمد بن عثيمين سنة ١٣٤٦ هـ :

شموس من التحقيق في طالع السعد	تجلت فاجلت ظلمة الهزل والجحد
قواطع من آي الكتاب كأنها	باعناق أهل الزيغ مرهفة الحد

إلى أن قال :

كفاناهم من لم يزل متجردا	لنصر الهدى والدين أكرم به مهدي
سليمان من سارت فضائل مجده	مسير مهب الريح في الغور والنجد

(١) ديوان ابن سحان ، ص ٥٢ وص ٥٩ طبعة هندية قديمة ، وانظر: الدرر السنية ج ١٢ ص ٩٢ .

إلى أن قال :

تمسك بما في محكم النص ظاهرا وبالسنة الغبرا عن الصادق المهدي
وطالع تصانيف الإمام أحمد وأبنائه أهل الدراية والنقد
فإن بها ما يطفئ الغلة التي بها من أوار الجهل وقَدْ على وقد
هم قدوة في ذا الزمان وحجة وميزان عدل لا يميل عن القصد^(١)

وكانت وفاة الشيخ سليمان سنة ١٣٤٩ هـ في الرياض رحمه الله تعالى^(٢).

وقد رثاه حمد الجاسر، ورثى معه سعد بن عتيق - ومن ذلك قوله .

مضى عنها سليمان محثا يؤم امامه قد سار سعد
فاضحى العلم بعدهما يتيسر يحاربه كثير وهو فرد^(٣)

ومن هؤلاء العلماء الجهابذة الذين حملوا عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، وقرهم الملك عبد العزيز وصدر عن علمهم، العالم الحافظ الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق - أخذ العلم عن والده، ثم سافر لطلب العلم نحو تسع سنين فأخذ عن الشيخ نذير حسين الدهلوي، والشيخ شريف حسين، والشيخ محمد بشير السهسواني، والشيخ سلامة الله الهندي والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي، وكلهم أجازوه، وأخذ عن جماعة من علماء مكة منهم: الشيخ حسب الله الهندي، والشيخ عبد الله الزواوي، والشيخ أحمد أبو الخير، وجم غفير، ولما رجع من رحلته لطلب العلم من الهند ثم من مكة إلى بلده الأفلاج قال الشيخ سليمان بن سحمان فيه :

على بلد الأفلاج أشرق سعده فأبت لها اللطاف من كل جانب
هنيئا لكم أهل العمار^(٤) بمن له مآثر تزهو كالنجوم الشواقب
هنيئا لكم هذا القدوم بعالم سلاله حبر فاضل ذي مناقب^(٤)

(١) المعقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص - ص ٤٣٧-٤٤٢.

(٢) الدرر السنية ج ١٢ ص ٩٢.

(٣) المصدر السابق ص ٩٣.

(٤) ديوان ابن سحمان ص - ص ٢٤٧-٢٤٨، وانظر: الدرر السنية ج ١٢ / ص - ص ٩٣-٩٦. والعمار

من قرى الأفلاج جنوب الرياض.

ولما فتح الملك عبد العزيز الرياض عام ١٣١٩ واستولى على الأفلاج، نقله منها إلى الرياض قاضياً في جميع قضايا البادية وجميع الدماء من القتل فما دونه من أنواع الجراحات، كما عينه الملك عبد العزيز إماماً في جامع الرياض الكبير، وفي هذا المسجد الواسع عقد له حلقتين للتدريس إحداهما بعد طلوع الشمس حتى امتداد النهار، والثانية بعد صلاة الظهر، وكان حريصاً على ما يلقيه من الدروس، شديد التثبت لمعنى ما يقرأ عليه، فلا يلقي درسه، ولا يسمعه من الطالب، حتى يراجع عليه شروحه وحواشيه، وما قاله العلماء عليه، وضبطه لغة ونحواً وصرفاً حتى يجرى الدرس تحريراً بالغاً. وقد أوقع الله محبته في القلوب، وأمدّه بسعة العلم، وكان كثير الدعاء والابتغال، متواضعاً عند العامة، رفيع القدر عند الخاصة، مجالسه معمورة بالعلماء، مشحونة بالفقهاء والمحدثين، مشغلاً بنفسه، وبإلقاء الدروس المفيدة على أصحابها كما وصفنا، وأخذ العلم عنه الجمل الغفير، منهم أبناءه محمد وعبد العزيز ومحمد، وأخذ عنه إخوته الشيخ عبد العزيز والشيخ عبد اللطيف والشيخ عبد الله، ومحمد بن أخيه عبد العزيز، والشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ محمد، والشيخ عبد اللطيف، والشيخ عبد الملك أبناء الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ عبد الله والشيخ عمر أبناء الشيخ حسن بن حسين والشيخ سعد بن سعود بن رشود، والشيخ عبد الرحمن وإبراهيم ابنا حسين، وعبد الرحمن بن الشيخ اسحاق، والشيخ عبد اللطيف بن محمد بن عبد الرحمن آل الشيخ، والشيخ محمد بن عثمان الشاوي، والشيخ سليمان بن حمدان، والشيخ عبد الله بن حمد الدوسري، والشيخ إبراهيم بن سليمان، والشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك، والشيخ عبد العزيز بن مرشد، والشيخ عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن عبد الملك، والشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري، والشيخ عبد الله بن رشيدان، والشيخ عبد الرحمن بن عودان، والشيخ محمد بن رشيد، والأستاذ حمد الجاسر، وغيرهم خلق كثير^(١).

كما تصدى لنشر العلم بالكتابة والرسائل والنصائح، وحرر الفتاوى والأجوبة على الأسئلة فرققها الشيخ ابن قاسم في مجموعه، المسمى: الدرر السنية ونظم مختصر المقنع المسمى: زاد المستنقع حتى كاد أن يتمه، وأتمه الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز

(١) انظر: الدرر السنية جـ ١٢ / ص - ص ٩٣-٩٥، وعلماء نجد خلال ستة قرون جـ ١/ ٢٦٦-٢٦٩. وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد لمحمد بن عثمان القاضي جـ ١/ ١٠٦-١١١.

بن سحمان وطبع بعنوان: نيل المراد بنظم متن الزاد بمراجعة الشيخ اسماعيل بن سعد بن عتيق، وله رسالة سماها: «حجة التحريض في تحريم الذبح للمريض» في مكتبة جامعة الملك سعود برقم ٢١٥، ورسالة أخرى سماها: «عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية» وقد طبعت.

قال فيها بعد أن حمد الله وصلى وسلم على رسوله - اللهم صل وسلم على رسولك - «أما بعد : فقد سألتني بعض الأحباب أن أكتب ما اعتقده ويعتقده مشايخي من أهل بلدي فيمن يأتي إلى قبر النبي ﷺ ويقول يارسول الله أغثنى أو أشفع لي أو غير ذلك من أنواع السؤال، وكذلك ما نعتقده في شد الرحل إلى قبر النبي ﷺ، وما نعتقده في التوسل بالنبي ﷺ ثم أورد عقيدة السلف الصالح، أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية. إلى أن قال: «ونعوذ بالله من كل قول أو فعل يخالف ما شرعه الله ورسوله، ومن يعرف أحوالنا يعلم إنها ينسب إلينا أكثر الناس لا أصل له، بل هو من البهتان، وسبب ذلك أن الرجل المشهور الذي أقام الله به هذه الملة الخيفية ونفع بدعوته جمعا غفيرا من الأمة وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، لما دعا إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله والتخلي من الرسوم العادية والوسائل الشركية شرق بذلك أكثر الناس واستعظموه قائلين ما قال إخوانهم الأولون: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾ إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا الا اختلاق ﴿وجنوا عليه وعلى اتباعه بالسب والتكفير، واستحلوا دماءهم وأموالهم وسعوا لهم بالغوائل. كل ذلك عند قوله: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ كما قال رحمه الله تعالى في تفسير الفاتحة ومن عرف البردة ومن فتن بها عرف غربة الإسلام، وعرف أن العداوة واستحلال دمائنا وأبنائنا ونسائنا ليس عند التكفير والقتال، فإنهم الذين بدأونا بالقتال، بل عند قوله: ﴿لا تدعوا مع الله أحدا﴾ وعند قوله: ﴿له دعوة الحق، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾ وعند قوله: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ انتهى، وجعل أهل العداوة والحسد خصوصا بعض علماء السوء، يرمونه بالعظائم ويلفقون من الأكاذيب ما الله به عليم. ومرادهم بذلك تنفير الناس عنه وعن ما دعا إليه، يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، والكلام في هذه المادة على وجه الكمال لا تحتمله هذه الأوراق.

ومما يجب أن يعلم أن أكثر الناس في هذه الأزمان قد غرهم الشيطان ولبس عليهم حتى وقعوا في الشرك وغيروا اسمه وأسموه توسلاً فتجدهم يدعون الأنبياء والصالحين من الأموات والغائبين ويسألونهم ما لا يقدر عليه إلا الله ويسمون ذلك توسلاً فيخدعون الجاهل بهذه التسمية ويلبسون على خفافيش البصائر بقولهم هذا الذى نفعل توسلاً وليس بشرك، والله يعلم وملائكته وعباده المؤمنون أنه هو الشرك الذى قال الله فيه: ﴿ ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ (١) وعلى العموم فكتاباتهِ وفتاواه تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه وحسن تصوره، وهو في عداد كبار علماء نجد المقربين من الملك عبد العزيز ويعتمد عليه في مهام الأمور الدينية كما ذكرنا وهو معزز محترم عند علماء الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح يجلونه ويقدرونه ويعرفون له حقه ومكانته العلمية ونشاطه في الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح وموالاته أهلها، وما زال على أحواله الكريمة وسجاياه الحميدة، حتى توفي في الرياض في اليوم الثالث عشر من جمادى الأولى عام ١٣٤٩ هـ ودفن في مقبرة العود في الرياض وبكاه الناس ورثاه الشعراء (٢).

ومن رثاه الشاعر محمد بن عثيمين بالقصيدة التي مطلعها :

أهكذا البدر تخفى نوره الحفر ويفقد العلم لا عين ولا أثر
إلى أن قال :

وابك على العَلَمِ الفرد الذى حسنت بذكر أفعاله الاخبار والسير
من لم يبال بحق الله لائمة ولا يحابى امرءاً في خده صعر
بحر من العلم قد فاضت جداوله أضجى وقد ضمه في بطنه المدر
فليت شعري من للمشكلات اذا حارت بغامضها الافهام والفكر
من للمدارس بالتعليم يعمرها ينتابها زمر من بعدها زمر
هذى رسوم الدين تندبه ثكلى عليه ولكن عزها القدر
طوتك ياسعد أيام طوت أمما كانوا فبانوا وفي الماضين معتبر
ان كان شخصك قد واره ملحده فعلمك الجم في الآفاق منتشر
والاسوة المصطفى نفسي الفداء له بموته يتأسى البدو والحضر

(١) عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية تأليف الشيخ سعد بن عتيق ص ٥-٢١ .

(٢) انظر: علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ البسام ١/ ٢٦٨-٢٦٩ .

بنى لكم حمد ياللعتيق علا لم بينها لكم مال ولا خطر
لكنه العلم يسمو من يسود به على الجهول ولومن جده مضر^(١)

ورثاه الشيخ عبد الملك بن ابراهيم بن عبد اللطيف بمرثية مطلعها :
مصاب دهمى بالمعضلات النوازل ورزء عظيم قد اهاج بلابل
إلى أن قال :

لذن جاءنا الناعى مساء مخبرا بموت إمام العلم زاكى الشمائل
هو الشيخ سعد من غدا متفردا بكل فنون العلم بين القبائل
إمام لعمري ناسك متورع تقى نقى ما له من مماثل
إمام لعمري كان بالعلم عاملا يراقب ربا ليس عنه بغافل
إمام لعمري كان للعلم باذلا يقرر للتوحيد بين المحافل
إلى أن قال :

له مجلس بالعلم يزهر دائما تشد إليه مضمرات الرواحل
يأمنونه الطلاب من كل وجهة تراهم عكوبا بين قار وسائل
فيلقون حبرا للغوامض كاشفا يحل عويص مشكلات المسائل^(٢)
رحمه الله رحمة واسعة ورحم جميع العلماء وسائر المسلمين .

ومن هؤلاء العلماء المحققين المجاهدين ذوى العقول الكبيرة صاحب السباحة
ذو العقل الراجح ، الطود الثابت والعالم الراسخ الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد
اللطيف آل الشيخ مفتى المملكة العربية السعودية ، ورئيس قضائها ومرجع علمائها
ورئيس رابطة العالم الإسلامى ، والجامعة الإسلامية فى زمانه - رحمه الله تعالى رحمة
واسعة - حفظ القرآن عن ظهر قلب ثم أخذ فى تلقى العلم عن والده الشيخ ابراهيم
بن عبد اللطيف الذى كان قاضيا لمدينة الرياض فى مطلع القرن الرابع عشر
الهجرى ، وقد قرأ على والده فى مختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومبادئ النحو
والفرائض ثم أخذ العلم عن عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وقد مر ذكره قبل
قليل^(٣) . قرأ على عمه هذا ، كتاب التوحيد تأليف جده شيخ الإسلام محمد بن عبد

(١) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص - ص ٤٧٤-٤٨٢ .

(٢) الدرر السنية ، ج ٩٦/١٢ .

(٣) انظر : ص ٤٥٨ .

الوهاب وغيره من كتب عقيدة السلف الصالح كالواسطية والحموية وقرأ على عمه أيضاً في أصول التفسير والحديث ، وقرأ على الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق في الفقه ومصطلح الحديث ولازمه ملازمة تامة ، وقرأ على الشيخ حمد بن فارس في الألفية وغيرها من المؤلفات النحوية وفي الفقه ، وقرأ على الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود في الفرائض . ولم يزل مجداً في طلب العلم أن صار مرجع العلماء وأبرز الفقهاء ونادرة الأذكياء .

وكان عمه وشيخه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف كما ذكرنا من قبل ممن أعان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل بعلمه وعمله ومحض النصيحة والولاء والإخلاص ، فلما مرض مرض موته أوصى الملك عبد العزيز به خيراً وأخبره بكفاءته العلمية والدينية وإنه بموجب ذلك يصلح أن يكون خليفة بعده وتوفي سنة ١٣٣٩ هـ ، فعينه الملك عبد العزيز خلفاً لعمه في الفتيا وإمامة المسجد والتدريس فباشرك بذلك بكفاءة وإخلاص ، وعزيمة ومضاء وفي سنة ١٣٤٥ هـ أرسله جلالة الملك عبد العزيز إلى أهل الغطط لما شددوا تشديداً ينافي الشرع فمكث عندهم ستة شهور يبين لهم معاني الكتاب والسنة وعبارات رسائل علماء دعوة التوحيد السلفية ، ويحذروهم من الغلو ومجاوزة الحدود ثم رجع إلى الرياض واستمر في نشر العلم وتعليمه .

ويقول مؤلف كتاب مشاهير علماء نجد :

«وكان رحمه الله لا يدع طالب العلم المبتدئ يقرأ عليه في الفقه والمطولات حتى يقرأ في مختصرات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وهي شروط الصلاة وأركانها وأربع القواعد وثلاثة الأصول وكشف الشبهات ، وآداب المشي إلى الصلاة ، وكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، فإذا قرأ عليه هذه المختصرات عن ظهر قلب سمح له في القراءة عليه في مختصر المقنع وغيره من كتب الفقه ، وفي القراءة في بلوغ المرام وغيره من كتب أحاديث الأحكام وشروحها ، والروض المربع شرح زاد المستنقع وهذه قاعدته وقاعدته من تقدمه من علماء دعوة التوحيد السلفية - رحمه الله - (١) .

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٣٩ .

ومازال الشيخ مستمرا في إمامة مسجد عمه المعروف بمسجد الشيخ وتدريس الطلاب فيه من عام ١٣٣٩هـ إلى قبيل وفاته رحمه الله .
وقد تخرج على يديه أفواج من العلماء كثيرون شغلوا مناصب القضاء والتدريس والدعوة إلى الله والإرشاد والبحث العلمي .
واذكر اثنين هم أبرزهم :

١ - الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الذي كان نائبه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم اسندت إليه رئاسة الجامعة بعد وفاة شيخه ورئيسها ثم اسند إليه منصب رئيس إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد .

٢ - الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله - وكان آخر ما اسند إليه منصب رئيس المجلس الأعلى للقضاء . وقد قضى الشيخ محمد بن إبراهيم خمسين عاما من بعد وفاة عمه في الدعوة إلى عقيدة السلف الصالح والجهاد في سبيل الله ، والذب عن الإسلام بجذو وحزم وصبر .

هذا ومع أعماله الكثيرة التي قام بها وهي تشق على الجماعة من الرجال ، قد خلف وراءه من الفتاوى ما يبلغ المجلدات الكثيرة وقد جمع بعضها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وأكثرها في ملفات دار الافتاء ويجرى طبعها حاليا ، وطبع منها حتى الآن عدة مجلدات . وله نصائح توجيهية عامة وخاصة ، ورسائل قيمة كبيرة الفائدة قد طبع كثير منها^(١) .

وتوفي رحمه الله عام ١٣٨٩هـ - ورثي بمراثي كثيرة ما بين شعر ونثر ومنها قصيدة للشيخ عبد الله بن ادريس تبلغ أبياتها عشرين بيتا - ومطلعها :
ما عاش إلا للعلوم وشرعة الإنصاف وقضى الحياة مكرما الأوصاف
ومنها قصيدة للدكتور كامل الفقي تبلغ اثنين وثلاثين بيتا - ومطلعها :

دهى الجزيرة خطب ليس يحتمل فلتنظرمهيج ولتنهمر مقل^(٢)
وقد أصدرت صحيفة الدعوة التي تصدر بالرياض عددا خاصا عنه ، وذلك عددها ٢٣١ الصادر يوم الاثنين ١٣ شوال عام ١٣٨٩هـ يشتمل على سبع وعشرين مقالة نثرا وشعرا^(٣)

(١) عالم جهيز وملك فذ، ص - ص ١٢-١٣ .

(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٤٢ ، وعلماء نجد خلال ستة قرون ج ١ ص ٩٦ .

(٣) عالم جهيز وملك فذ ص - ص ١٨-٢٢ .

وقد عني بترجمته وتدوينها أتم ما يعنى بتراجم علماء الأمة الإسلامية ، الذين هم لأمتهم رواسى ، ترسيهم أن يجهلوا أو يميّدوا ، كما هى الجبان ، أوتاد ورواسى للأرض أن تميد أو تضطرب . أولئك حملة عقيدة السلف الصالح والمتأثرون بها والدعاة إليها ، وناشروها ومعلمو أمهم إياها - والذين وصفهم الشاعر المفلح محمد بن عثيمين بقوله : (١)

الثابتين على الايمان جهدهم والصادقين فما خانوا ولا ختروا
الصادعين بأمر الله لو سخطوا أهل البسيطة ما بالو ولو كثروا
والسالكين على نهج الرسول على ما قررت محكم الآيات والصور
والعادلين عن الدنيا وزهرتها والامرين بخير بعدما أثمروا
لم يجعلوا سلما للمال علمهم بل نزهوه فلم يعلق به وضر (٢)

إلى أن قال :

هذى المكارم لا تزويق أبنية ولا الشفوف التى تكسى بها الجدر (٣)
ولقد صدق الشاعر العثيمين فى وصفهم فإنهم قد سلكوا منهج الرسول ﷺ
وصدعوا بأمر الله غير مبالين ، ولا طامعين فى الدنيا بديلا عن الآخرة .

وذلك الذى ذكرته عن العلماء ونشرهم العقيدة السلفية هو من آثار قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة إلى عقيدة السلف الصالح . وقد كانوا فى عهد الملك عبد العزيز وعهد أبناؤه من بعده وما ذكرناه من ذلك أمثلة يسيرة ، ثم لا يعزب عن البال ان الحاضرة من الناس تبع لهؤلاء العلماء ويصدرون عنهم فى عقيدتهم وعبادة ربهم لاسيما تحت حزم الحكومة على ذلك .

أما ما يختص بالبادية الذين شملهم الله تعالى بنعمة الأمن والاستقرار تحت ولاية الملك عبد العزيز وقيادته وحزمه الموفق ، فقد شمل إكرامه جميع عشائر البدو

(١) انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ج ١ / ص - ص ٩٧-٨٨ ، ومشاهير علماء نجد وغيرهم ص - ص ١٣٤-١٤٦ ، وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ج ٢ ص - ص ٣٠٢-٣٠٨ ، وعالم جهيد وملك فذ ترجمتان موجزتان للشيخ محمد بن إبراهيم والملك فيصل رحمهما الله ص - ص ١٧-٧ .
(٢) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ص ٤٧٧ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٧٨ .

الرحل ، وسعى في تحضيرهم ولم شملهم وتشجيعهم على الاستقرار يعاونهم على بناء المدن والقرى وهى ما يسمى بالهجر وسكنها لأن حياة البداوة والغزو والسلب والتفرق وسفك الدماء لا تقوم معها حياة دينية ولا دنيوية صحيحة مستقرة فأخذ يسكنهم هذه الهجر ويشجعهم على التعلم وتلقى علوم دينهم وأصول عقيدة السلف الصالح ومختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى ذلك على أيدي المشايخ وأئمة المساجد وطلبة العلم وصار يبعث إليهم من يعلمهم ويرشدهم ويبث فيهم عقيدة السلف الصالح بكل عناية وحزم . وذلك ابتداء من سنة ١٣٣٠ هـ تقريبا ، حيث كانت هجرة الأرتاوية أول هجرة بنيت سنة ١٣٣٠ هـ^(١) .

ويقول حافظ وهبه : إن من أعظم المشروعات الإصلاحية التى قام بها الملك عبد العزيز : مشروع تحضير البادية واقطاعهم الأراضى للسكنى والزراعة ، وتعليم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق ، ولا شك انه حصل نجاح عظيم لإصلاحات الملك عبد العزيز وأقبال على دين الله خاصة من البدو الرحل فقد اقبلوا على الهجرين بنونها بمساعدة الملك عبد العزيز ، وبنى لهم المساجد ويبعث إليهم المشايخ والأئمة وطلبة العلم يعلمونهم دين الله ورسوله ﷺ ، حتى تم تهجيرهم وأقبل الناس على بناء حضارة إسلامية ، وأغدق الله عليهم من نعمه الكثيرة فى الدين والدنيا ، والعلم والقراءة ، والأمن والاستقرار ، وما لا يحصى من النعم .

ويذكر حافظ وهبه : انه فى سنة ١٣٤٧ هـ فى ثامن شهر جمادى الأولى أمر الملك بعقد المؤتمر النجدى أو الجمعية العمومية^(٢) ، وكان مؤتمرا عاما ، وفى هذا المؤتمر ، قال الملك علنا وبصراحة تامة : «إنى لم اطلب منكم ان تجتمعوا اليوم فى هذا المكان خشية منكم ، فإننى قد أسست هذه المملكة بقدرة الله وحده الذى عاضدنى وساعدنى والذى كتب لى الفوز وكتب لى التوفيق ، وان خوفي من الله وحده هو الذى حدا بى لأن أجمع شملكم اليوم لتباحث معا وقد فعلت ذلك حتى لا أقع فى نقیصة الاعجاب بالنفس والكبرياء» .

وقال الملك : «أيها الاخوان تعلمون عظم المنة التى من الله بها علينا بدين

(١) حافظ وهبه ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٢٨٩ .

(٢) جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٢٩٨ .

الإسلام إذ جمعنا به بعد الفرقة ، وأعزنا به بعد الذلة ، واذكروا قوله تعالى : ﴿ فسيرى الله عملكم ﴾ الآية ، ان شفقتى عليكم وعلى ما من الله به علينا وخوفي من تحذيره سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ كل هذا دعائي لأن أجمعكم في هذا المكان لتذكروا - أولا : ما أنعم الله به علينا فترى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة .

وثانيا : لأمر بدا في نفسي وهواننى خشيت أن يكون في صدر أحد شيء يشكوه منى أو من أحد نوابي وأمرائي بإساءة كانت عليه أو بمنعه حقا من حقوقه ، فاردت أن أعرف ذلك منكم لا أخرج أمام الله بمعذرة من ذلك وأكون قد أدبت ما علي من واجب .

وثالثا : لأسألكم عما في خواطركم وما لديكم من الآراء وما ترونه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم .»

وقال الملك : « ان القوة لله جميعا ، وكلكم يذكر إننى خرجت عليكم وكنتم فرقا وأحزابا يقتل بعضكم بعضا وينهب بعضكم بعضا وجميع من ولاه الله أمركم من عربى أو أجنبى كانوا يدسون لكم الدسائس لتفريق كلمتكم ، واضعاف قوتكم لذهاب أمركم ويوم خرجت كنت محل الضعف وليس لي من عضد وساعد إلا الله وحده ولا أملك من القوة إلا أربعين رجلا تعلمونهم ولا أريد أن أقص عليكم ما من الله به علي من فتوح ولا بما فعلت من أعمال معكم كانت لخيركم ، ان تاريخ ذلك منقوش في صدر كل واحد منكم وأنتم تعلمونه جميعا وكما قيل (السيرة تبين السيرة) إننى لم أجمعكم اليوم في هذا المكان خوفا أو رهبا من أحد منكم ، فقد كنت وحدي من قبل وليس لي مساعد إلا الله فما باليت الجموع والله هو الذى نصرنى ، وإنما جمعتمكم كما قلت لكم خوفا من ربي وخفاة من نفسي أن يصيبها زهو أو استكبار ، جمعتمكم هنا في هذا المكان لأمر واحد ولا أجزى لأحد أن يتكلم في غيره ، ذلك هو النظر في أمر شخصي وحدي فيجب أن تجتنبوا في هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع ، أما الأشياء الخارجة عن هذا فسأعين لكم اجتماعات خاصة وعامة ننظر فيها .

أريد منكم أن تنظروا أولا فيمن يتولى أمركم غيرى ، وهؤلاء أفراد الأسرة أمامكم فاختاروا واحدا منهم ومن اتفقت عليه فأننا أقره وأساعده وكونوا على يقين باننى لم أقل هذا استخبارا ، لأننى والله الحمد لا أرى لأحد منكم منة علي في مقامى هذا

بل المنة لله وحده، ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنزاع بقوة، ولا يحملني على القول إلا أمران :

الأول : محبة راحتي في ديني ودنياي .

والثاني : إنني أعوذ بالله من أن أتولى قوما وهم لي كارهون . فإن اجبتموني إلى هذا فذلك مطلبي ولكم أمان الله ، فإن من يتكلم في هذا فهو آمن ولا أعاتبه لا آجلا ولا عاجلا ، فإن قبلتم طلبي هذا فالحمد لله ، وإن لا تزالوا مصرين على ما كلمتموني به على إثر دعوتي لكم فإنني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرع وفي اتباع ما تجمعون عليه مما يؤيد شرع الله .

ثم قال : « ابحثوا في شخصي وأعمالي ، من كان له علي أنا عبد العزيز شكوى أوحق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا فليبينه ، ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاقه وأمانه إنه حرق في كل نقد يبينه ولا مسؤولية عليه ، وإنني لا أبيع لإنسان من العلماء ولا من غيرهم أن يكتم شيئا من النقد في صدره ، وكل من كان عنده شيء فليبينه ولكم علي أن كل نقد تذكرونه أسمعته فما كان واقعا أقررت . وبيئت سببه واحلت حكمه للشرع يحكم فيه ، وما كان غير بين وهو عندكم من قبيل الظنون فلکم علي عهد الله وميثاقه إنني أبينه ولا أكتم عليكم منه شيئا ، وأحكم في كل ما تقدم شرع الله فما أثبتته أثبتته وما نفاه نفيتة .

أنتم أيها الاخوان : ابدوا ما بدا لكم وتكلموا بما سمعتموه وبما يقوله الناس من نقد ولي أمركم أو من نقد موظفيه المسؤول عنهم . وأنتم أيها العلماء اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العرض وستسألون عما سئلتهم عنه اليوم ، وعما أمنكم عليه المسلمون ، فابدوا الحق في كل ما تسألون عنه ، ولا تبالوا بكبير ولا صغير ، وبينوا ما أوجب الله للرعية على الراعي ، وما أوجب للراعي على الرعية في أمر الدين والدنيا ، وما تجب فيه طاعة ولي الأمر ، وما تجب فيه معصيته ، وإياكم وكتان ما في صدوركم في أمر من الأمور التي تسألون عنها ولكل من تكلم الحق عهد الله وميثاقه أنني لا أعاتبه . إنني أكون مسرورا منه ، وإنني أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء ، والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه أيها العلماء ، فإنني أعمل فيه عمل السلف الصالح ، إذ أقبل ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أو قول أحد العلماء الأعلام ،

المعتمد عليهم ، عند أهل السنة والجماعة ، وإياكم أيها العلماء أن تكتموا شيئا من الحق تبتغون بذلك مرضاة وجهي ، فمن كتم أمرا يعتقد انه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة ، اظهروا الحق وبينوه وتكلموا بما عندكم»^(١).

وقد بين الملك لهم انه فاوض البريطانيين حول المخافر التي بنيت على حدود السعودية من جهة العراق ولكنهم أصروا على ذلك وتمسكوا بمبانيهم بسبب ما افتاته الدويش عليه حيث غزاهم بحجة الجهاد من غير إذن الإمام فقتلوا عمال المخفر وبعض شرطته وأخذوا أموالهم واستباحوها غير مرة وبدون إذن الإمام فالدويش هو المسؤول عن فشل المفاوضات التي لولا ما فعله الدويش لنجحت ، وعلى كل فالجهاد لا بد فيه من إذن الإمام فهو يرى ما فيه المصلحة وهونائب عن المسلمين ورأيه لهم خير من رأيهم لأنفسهم .

ولنعد إلى خطبة الملك نتأمل ما ورد فيها على ضوء عقيدتنا السلفية كما هو موضوعنا : فهذا الملك قد خرج من الكويت ممتشقا سيفه يقطع به رؤوس الفتن ويخضع به كل معاند مستكبر حتى ذلت له كل صعبة وانقاد له كل مستعص وأمسك بيده زمام الأمور حتى أصبح أعظم ملك في زمانه عندئذ قال كلمة العقيدة السلفية الخالصة قالها من مركز القوة ، مركز من يقول ويفعل ، لانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، وقالها من مركز التضحية والفداء ، لان بذل حظوظ النفس بسخاء هكذا ، دليل صدق القائل بقوله .

أما مكاسب عقيدة السلف الصالح التي نصرها واستردها من غاصبها فذلك أمر لا يتنازل عنه بحال ، كيف ؟ وقد كان يوم خروجه من الكويت يسترد مكاسب عقيدتهم السلفية على ما وصف من القلة والذلة ومع ذلك لم يبال بالجموع ولا من بأقطارها من الدول ثقة بالله وحده وطمعا في نصره سبحانه لهذه العقيدة المهضوم أهلها ، والمستباح بيضتهم من أنفسهم ، ولكنه كان مستعدا لتنازله عن مكاسبه الشخصية وحظوظه النفسية وهي وان كان يستحقها لكنه يتنازل عنها في سبيل ظهور العقيدة السلفية وانتصارها وعدم المساس بشيء من مكاسبها التي استردها ، فحين يحيل في خطابه المؤثرين إلى أحد أفراد الأسرة ليختاروا منها غيره هو دليل صدقه في تنازله عن حظوظه الشخصية مع عدم تفریطه بأي شيء من مكاسب عقيدة السلف

(١) انظر: تذكرة أولى النهى والعرفان ، للشيخ إبراهيم بن عبيد ، ج ٣ ص - ١٨٣ - ١٨٦ .

الصالح والأسرة السعودية هي من مكاسب عقيدة السلف الصالح التي دعا إليها الشيخ، فلم تنعم الجزيرة كما هو المعروف من التاريخ بأنصار لعقيدة السلف مثل هذه الأسرة المباركة كما ان هذه الأسرة لم يكن لها شأن يميزها بالأفضلية قبل أن تنصر عقيدة السلف الصالح، وكأن الكلام الذي جرى بين الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب «الدم بالدم والهدم بالهدم» هو ترجمان هذا الالتحام المصيري ومنذ تباعا وتعاهدا وتعاقدا على نصرته دين الله ورسوله كان قد تم ظهور عقيدة السلف الصالح بائتلاف علماء العقيدة السلفية مع أنصارها لأن هذا الائتلاف من ماهية هذه العقيدة ومن ذاتيتها لا يتخلف إلا إذا تخلفت قلوب الناس عنها.

ولذا فإن حملة العقيدة السلفية لا ينسون لهذه الأسرة تاريخها ولا يرتابون في صدق وفائها لعهودها وعقودها، ولا يمكن أن تطمئن نفوسهم من خلال تجاربهم التاريخية لغيرهم، وحملة عقيدة السلف الصالح هم أهل الحل والعقد، لأن هذه العقيدة هي مركز ثقل المسلمين وثقتهم وقد جربوا غياب هذه الأسرة عن الحكم فأروا في غيبتهم ضعف العقيدة والتفرق وعدم الأمن، وهذا ما يفهمه الملك عبد العزيز راسخا في نفوس المؤتمرين، بل انه يذهب إلى أبعد من ذلك في سبيل تحقيق مكاسب عقيدة السلف الصالح، انه لا يتأخر عن تقديم نفسه وأسرته ضحية في سبيل ذلك.

قال رحمه الله من خطبة له :

«أنا مبشر ادعولدين الإسلام، ولنشره بين الأقوام».

«أنا داعية لعقيدة السلف الصالح. وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين. أما ما كان غير موجود فيها، فأرجع بشأنه إلى أقوال الأئمة الأربعة، فأخذ منها ما فيه صلاح المسلمين».

«أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين. وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي. وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك»^(١).

ويقول : «ليس لهذا الملك وعظمته عندي من قيمة وإنما الذي أحبه وأريده هو رضا الله تعالى».

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، تأليف خير الدين الزركلي، ط ٢ ص ٢١٦.

ويقول : « ارجو الله أن يوفقنا للخير وافهموا إننا لا نعرز أحدا ولا نذل أحدا وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى ومن التجأ إليه نجا ومن اعتز بغيره هلك »^(١).

وقد بين العلماء ونصحوا كما أمرهم الملك الإمام وقد كانوا من أول الأمر ينصحون للراعي والرعية، وما زالوا يسايرون الأحداث ويدأوونها بعقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

وكم كان للشيخ عبد الله بن عبد اللطيف من مواقف حاسمة وإرشادات صحيحة تنبئ عنها مراسلاته للاخوان في عهد الملك عبد العزيز يحذرهم الضلال والفرقة ويبين الهدى والجماعة، وهذه المراسلات موجودة في الدرر السنية في الجزء ٧ من ص ٢٦٥-٢٧٨ - ومن ذلك قوله في بعضها : —————

« قد بلغني عن بعض من غره الغرور من الطعن في العلماء ورميهم بالمداينة وأشبه هذه الأقاويل التي صدت أكثر الخلق عن دين الله وزين لهم الشيطان بسبب ذلك الطعن في الولاية بأمر حقيقتها البهتان والطعن بالباطل »^(٢).

وقد كتب هو وعدد من العلماء للملك عبد العزيز رسالة سنة ١٣٣٨ هـ هذا أولها بعد البسملة : من عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق ومحمد بن عبد اللطيف، إلى جناب عالي الجناح الإمام المفخم والرئيس المقدم عبد العزيز بن الإمام عبد الرحمن آل فيصل .

ثم ذكروا السبب لتحريره وانه محض النصيحة وبينوا له نعمة الإسلام، ومن ذلك انه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بالسمع والطاعة « كما لا يخفى على الملك ولا على أحد له معرفة بالإسلام ومن ذلك منة الله تعالى في آخر هذا الزمان الذي اشتدت فيه غربة الإسلام بهداية غالب بادية أهل نجد خصوصاً رؤسائهم وما جعله الله من حظ وافر للملك عبد العزيز في اعانتهم ببناء مساجدهم ومدنهم، وفشو الإسلام في نجد جنوباً وشمالاً، وعناية الله بعباده، وحكمته لا يعلمها إلا هو، ولكن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف ومن معه رأوا أمراً يوجب الخلل على أهل الإسلام ويدخل التفرق في دولتهم وهو الاستبداد من دون إمامهم بزعمهم انه بنية الجهاد، ولم يعلموا أن حقيقة الجهاد ومصالحة العدو وبذل الذمة للعامة واقامة الحدود انها مختصة

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية، للصف الثالث المتوسط، ط ١ عام ١٣٩٤ هـ ص ٢١٠.

(٢) الدرر السنية ج ٧ ص ٢٧٦.

بالإمام ومتعلقة به ، ولا لأحد من الرعية دخل في ذلك إلا بولايته ، والذي يعقد له راية ويمضى في أمر من دون أذن الإمام ونيابته فلا هو من أهل الجهاد في سبيل الله ، إلى آخر ما دونوه في هذه الرسالة^(١) .

وفي رسائل أخرى ومناسبات متعددة كان جميع المشايخ من علماء الدعوة يبينون عقيدة السلف الصالح للناس ويحثونهم على الجماعة والسمع والطاعة ، ويبينون حقوق الراعي والرعية وما يجب لكل وما يجب عليه ويحذرون من خطر القول على الله وعلى رسوله ﷺ بلا علم ، والتحذير من أمور الشيطان التي يدخلها على أهل الدين من المسارعة في التكفير والتهاجر والتقاطع واتهام علماء المسلمين بالمداينة وإساءة الظن بهم وعدم الأخذ عنهم مما هو سبب للحرمان من العلم النافع وإساءة الظن بولي الأمر وعدم الطاعة له وعلى العموم فقد كانت للمشايخ فتاوى سديدة ومواقف حميدة ، تجاه كل حادثة وفي كل مناسبة وما قصروا في بيان عقيدة السلف الصالح واستقصاء ذلك بطول ، وحصره يصعب ، ومن أراد الاطلاع على شئ من ذلك فنحيله على مجموعة الدرر السنية ج ٧ ص ٢٧٧-٣٤٥ .

وهكذا كان أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية يخدم الفتن ويداوى الأمراض ويجمع الأمة تحت راية واحدة ، ويلم شعثها على إمام واحد ، وينبذ الفرقة والخلاف ولا يقر الشذوذ والاعتساف ، ويميت الهوى والبدعة ، ويدعو إلى الائتلاف وإقامة السنة ولا غرو فعقيدة الشيخ هي مذهب أهل السنة والجماعة وعقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالى .

وما زال أثر عقيدة الشيخ يحمله العلماء والزعماء وكلما مضى علماء وزعماء ورثتهم علماء وزعماء آخرون حتى وصل إلينا عن طريق علمائنا وزعمائنا المعاصرين واذكر منهم بالثناء طبقة الشيخ محمد بن إبراهيم وتلاميذه الذين كانت لهم حلقات علم في المساجد وغيرها .

وكذلك من تخرج من الكليات الشرعية في جامعات المملكة وتلقى عقيدة السلف الصالح بالقبول والرضى والعمل .

وأخص بالذكر الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية والتي تحولت إلى

(١) الدرر السنية ج ٧ ص ٢٧٧، ٢٧٨ .

جامعة باسم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وتعددت فروعها في أنحاء المملكة خصوصاً معاهدها العلمية، فقد كان لها أثر طيب في نشر عقيدة السلف الصالح. وأذكر بالثناء والولاء والعرفان الزعماء الذين عاصروا أولئك العلماء إلى يومنا هذا من آل سعود ومن أزارهم في نشر الإسلام، منذ الملك عبد العزيز رحمه الله، كما ذكرنا جانباً من أثر عقيدة الشيخ السلفية على يديه ويدي من بعده إلى يومنا هذا. وأنه بعد أن توفي الملك عبد العزيز تولى بعده الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله والذي تم على يديه فتح الجامعة الإسلامية، وكان في المناسبات يشكر الله على ما حبا به الشعب السعودي من نعمة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في السمع والطاعة ولزوم طريق أهل السنة والجماعة ويذكر أن أول ما يهتم الجميع هو الاعتصام بحبل الله المتين واتخاذ الوسائل التي تمكن روح التوحيد الخالص في قلوب أفراد الشعب كافة حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده، والسير في ذلك بهدى الكتاب والسنة في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في كل مجال وعلى الأخص في المدارس، ومراقبة ذلك وحث الناس على كل ما يأمر به الشرع الإسلامي ومنعهم من كل ما ينهى عنه، لأن في ذلك خيرى الدنيا والآخرة ولأنه ليس شيء من الخير، إلا أمر به الإسلام، وليس شيء من الشر إلا ينهى عنه الإسلام^(١).

ثم الملك فيصل بن عبد العزيز ذو الأفق الواسع والجهد الصادق في السير مع المسلمين والدول الإسلامية في ما يحقق للمسلمين جميعاً تضامنهم عملاً بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ومادام أن العالم الإسلامي يشكل كتلة واحدة تربط أجزاءه وشعوبه عقيدة واحدة، كما ورد ذلك في القرآن الكريم ﴿إِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (الأنبياء: ٩٢). ويتعرض العالم الإسلامي كله لهجمات سياسية وفكرية من أعدائهم فكل ذلك يحتم على المسلمين أن يتضامنوا لاسيما في مقابل تضامن أعدائهم عليهم من اليهود والصهيونية في كل أنحاء العالم، وإن جمع أكثر من ستائة مليون مسلم على الشعور بالرابطة الإسلامية وتوحيدهم بذلك كفيل بالوقوف دون أعدائهم أن يستبيحوا بيضتهم وأن يتسلطوا عليهم، ويحتلوا ديارهم كفلسطين وغيرها. ولهذا تبني الملك فيصل رحمه الله الدعوة إلى مؤتمر القمة الإسلامي بالرباط سنة ١٣٨٩ هـ، ثم تلتها مؤتمرات إسلامية أخرى.

(١) انظر: تاريخ الدولة السعودية، عهد سعود بن عبد العزيز، تأليف أمين سعيد، المجلد الثالث

ص - ص ١٧-١٨.

ومن خطاب له ألقاه في موسم الحج للدعوة إلى تضامن المسلمين :
«إخواني . . إننا اليوم في هذا العصر الذي يتعرض فيه الإسلام إلى امتحان واختبار، نتجه بأفئدتنا إلى العلي القدير ضارعين أن يثبتنا جميعاً وأن يهدينا سواء السبيل، وأن ينير لنا طريقنا القويم .

أيها الأخوة . . ان الإسلام هو دين المحبة دين الأخوة دين السلام، دين القوة، دين العلم، دين البناء، دين التقدم، دين الفضيلة . . لم يبق فضيلة ولا مكربة إلا دعا إليها، ولم يبق رذيلة إلا حذر منها، فحينما نقوم بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى اتباع ما جاء به في كتابه وسنة نبيه، فإنما تؤدون واجبا مفروضا عليكم تجاه ربكم ودينكم وتجاه أنفسكم، وان واجب المسلمين أن يتكاتفوا وأن يثبتوا لما يصيبهم من مكاره وما يعترض سبيلهم من صعاب، وعليهم أن يسعوا إلى ما يؤلف قلوبهم ويقرب بينهم، ويذروا بذور المحبة والأخوة والتعاون فيما يصلح دينهم ودنياهم^(١).

وقال رحمه الله في خطبته التي ألقاها في موسم الحج عام ١٣٨٨ هـ ، وهو يتحدث عن تحرير المسجد الأقصى :

«أيها الأخوة المسلمون : نريدها غضبة ونهضة إسلامية، لا تدخلها قومية ولا عنصرية ولا حزبية، إنما دعوة إسلامية دعوة إلى الجهاد في سبيل الله، في سبيل ديننا وعقيدتنا دفاعاً عن مقدساتنا وحرماننا، وارجوا الله سبحانه وتعالى انه إذا كتب لي الموت أن يكتب لي الموت شهيداً في سبيل الله» انتهى .
ونرجو أن يكون قد نال الشهادة التي تمناها^(١).

ومن كلمة له ارتجلها في الحفل الذي أقامته الجامعة الإسلامية بمناسبة زيارته لها قال :

«ليس غريباً أن أرى وأسمع وألمس في هذه الجامعة ما يثلج الصدر ويبهج الخاطر من انطلاقة إسلامية كبرى وارجوها النجاح وارجو أن تؤتي ثمارها في أقطار

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية، للصف الثالث المتوسط ط ١ عام ١٣٩٤ هـ ص ٢٩١ .

(٢) عالم جهيز وملك فذ، بقلم عبد المحسن العباد ص، ص ٢٦، ٢٧ .

العالم الإسلامي لخدمة هذه الدعوة المباركة والنهوض بها والسعى إلى نشرها بين أبناء
الملة الإسلامية والدعوة إليها بين أبناء الملل الأخرى وإننى لأرجو لها نجاحا باهرا
مادامت تركز على مثل هذه السواعد ومثل هذه الروح الوثابة المنطلقة بحول الله لنشر
هذا الدين والدعوة إليه والجهاد في سبيله .
أيها الأخوة :

ان المسئولية الملقاة على عواتقكم وعواتق الجميع مسئولية فاسعوا إلى التفقه في
دينكم ومعرفة كل ما يمكن معرفته لتكونوا مسلحين بسلاح العلم وسلاح الفقه
وبسلاح المعرفة حتى تكونوا مستعدين لما يجابهكم من صعاب ومن دعوات مضللة
ومن مجهودات يرغب ويأمل أصحابها أن يأخذوا من هذا الدين وان يحطوا من قدره
وأن يهاجموه بكل ما أوتوا من قوة ، وإننى لأرجو الله مخلصا أن يهبكم الصبر والشجاعة
والقوة لتكافحوا في سبيل هذا الدين ولتبصروا الناس بما يحتويه هذا الدين وما تحتويه
هذه الدعوة والشريعة من مزايا ومن مكارم ومن أسس هي أصلح ما يكون لبناء الذى
يهدف إلى صالح البشر وإلى خير الأمة ولا يهدف إلى التزوير وإلى البدع والمضلللات
وإلى هدم الكيانات البشرية وإلى هدم الأخلاق وكل ما هو كريم في بني الإنسان .

أيها الأخوة :

إن أمامكم طريقا شاقا وطريقا طويلا وصعبا جمة ، وارجو أن تتسلحوا لها
بالعلم والعرفان والنفس المطمئنة الصابرة الحكيمة في الدعوة إلى الله - وقد قال
سبحانه وتعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي
هي أحسن ﴾ وجادل الكفرة وجادل المشركين وجادل المرتدين والملحدين والمعاندين
حتى تلقمهم الحجة وتتغلب عليهم بالحكمة والعقل والصبر . فهذا هو السبيل إلى
الدعوة وهذا هو السبيل إلى تنوير أذهان الناس وتبصيرهم فيما تحتويه هذه الدعوة وما
يحتويه الشرع الإسلامى ، والدين الإسلامى من مزايا وخصائص لا يمكن أن تخطر
على قلب بشر ولا يمكن أن ينكرها أو يجحدها إلا جاحد أو مكذب .

إلى أن قال :

« ان ما نقوم به في سبيل نشر العلم والدعوة إلى الله ونشر الثقافة الإسلامية ما
هو إلا قليل مما يجب علينا ، ولكننا نسير حسب الامكانيات وحسبما يتحملة أو يقتدر
عليه مجهود البشر ، ولكن ثقوا بحول الله ، إننا سائرون بكل ما أوتينا من قوة لنصر ديننا

ولخدمة الإسلام وللدفاع عنه ولتبصير الناس به ، فمن أراد الحق ومن أراد الخير فسيله واضح ، ومن أراد غير ذلك استعنا عليه بالله سبحانه وتعالى ثم بقوة العقيدة والاصرار على التمسك بها ، فان أخشى ما يخشى على المسلمين هو إدخال الشك في نفوسهم من عقيدتهم ومن دينهم ، وهذا ما يخشى على المسلمين منه ، وإننى أرجو الله مخلصاً أن يجعلنا وإياكم من أنصار دينه وأن يحفظنا بالإسلام وأن يوفقنا لسبيل الحق والصواب^(١) .

ومن كلمات الملك فيصل رحمه الله :

«ان غيرنا من الحكام مقلدون وليسوا مبتكرين ونحن لسنا في حاجة إلى استيراد تقاليدنا من الخارج ، وقد كان لنا تاريخ مجيد وقُذنا العالم ، نحن لنا أجداد وأجداد وتاريخ وتراث ، فلماذا نتنصل من هذا ونلتفت يمينا وشمالا نتلمس الطريق ونتلمس المبادئ ، تراثنا أشرف تراث وتاريخنا أشرف تاريخ وأمتنا خير أمة أخرجت للناس ونحن لا نقبل أبدا أن يقال عن ديننا وعن شريعتنا إنه دين التأخر والجمود نحن نريد لأمتنا أن تكون قائدة لا مقودة وأن تكون في المقدمة لا في المؤخرة وبإمكاننا أن نتقدم ونمسك الأمر إذا اتبعنا كتاب الله وسنة نبيه»^(٢) .

ومن ضمن ما تدعوا إليه مفاوضات الملك فيصل مع رؤساء الدول الإسلامية هو التمسك برسالة الإسلام الخالدة نصاً وروحاً .

وقام الملك فيصل برحلات إلى الأقطار الأفريقية والآسيوية وبعض الدول الأوروبية لشرح وجهة نظر المملكة من منطلق إسلامي تجاه الخطر الصهيوني على العرب والمسلمين . وكان فيصل رحمه الله قد تربى في بيت جده لأمه العلامة الحبر الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ والذي تقدم ذكر شىء عنه . وتعهده منذ نعومة أظفاره بتلقيه أصول الدين الحنيف ومبادئ العلوم ، وحفظ في رحاب أبيه الملك عبد العزيز كثيراً من تجاربه . وقال : «ان والدى هو مدرستى الحقيقية»^(٣) .

(١) المرجع السابق ص - ص ٣٢-٣٨ .

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط ، ط ١ عام ١٣٩٤هـ ، ص - ص

٢٨٩-٢٩٠ .

(٣) انظر : تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط وفق المنهج الجديد ، ط ١ عام ١٣٩٤هـ

ص - ص ٢٢١-٢٩١ .

ثم الملك خالد - وكان رحمه الله رجلاً فاضلاً متواضعاً ذا سجايا حسنة وأخلاق فاضلة وزامل كبار تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم في الدراسة ، كالشيخ عبد الله بن حميد - وقد حدثني الشيخ ابن حميد رحمه الله ، وكان مما أعلنه الملك خالد في أول جلسة لمجلس الوزراء بعد توليه الملك شعوره بعظم المسؤولية ومشقتها التي تحملها هو وأعضاء حكومته وبين أن الواجب هو الاستعانة بالله وحده والحرص على بذل المجهود والاهتمام بكل ما من شأنه إسعاد هذه الأمة وحفظ دينها وإصلاح دنياها وبين أن البلاد السعودية ليست مثل بلاد العالم من الناحية الإسلامية لأن كل المسلمين يتطلعون إليها وإن أهل هذه البلاد مغبوطون بشريعة الله وسنة رسوله كما هم مغبوطون بثروتهم المادية .

وقد عاصده ولي عهده الملك فهد بن عبد العزيز وإخوانه في تحمل هذه المسؤولية وفي عهده عقد مؤتمر القمة الإسلامي في مكة والطائف وعن ذلك المؤتمر صدر بلاغ مكة للعالم الإسلامي .

ثم الملك فهد بن عبد العزيز أيده الله وأعزبه الإسلام ، وهو الرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية ، وكان في كل مناسبة يحث على التمسك بالعقيدة الإسلامية ويؤكد أن قوتنا مستمدة من العقيدة الإسلامية وتنفيذ العقيدة الإسلامية حرفياً ونفتخر بذلك .

ويقول :

«هذه الجامعة عندما أسست قصد بها شيء معين في الواقع هو المساهمة في بث روح العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من الشوائب» .

ويقول عن نشاط الجامعة في الخارج :

«نؤكد أن الأساس هو كيف يمكن أن تعطى المملكة مجالا بواسطة الجامعة الإسلامية وإن تبرز العقيدة الإسلامية في إطارها الصحيح الخالي من الشوائب وأظن الأخوان يدركون تماماً أنه فاتت مئات السنين وأدخلت على العقيدة الإسلامية أمور كثيرة والعقيدة الإسلامية براء منها ، وقد أدخل هذه الأمور من أراد أن يبرز العقيدة الإسلامية بأنها عقيدة غير صالحة وغير مفيدة وأن دورها انتهى ، والواقع أن دور العقيدة الإسلامية يتجدد دائماً كذلك أبانت الطريق وأنارتها لما فيه خير

المجتمع سواء كان من ناحية العبادات أو من ناحية التشريع وبهذا يكون البشر سعيدا إذا ألتزم بمبادئ العقيدة الإسلامية . هذا الباب طُرِقَ من مستشرقين غير مسلمين وأبانوا بشكل أو بآخر التنظيمات والتشريعات التي أنزلها رب العزة والجلال على نبيه ، على أنها صالحة في هذا العصر وفي هذا الوقت ، لأن العالم جرب مبادئ وعقائد مادية مختلفة ووجد أنها غير كافية ولا تستطيع أن تسعد البشر ووجد في العقيدة الإسلامية الرأفة والرحمة والمحبة والقوة التي تبني على الحق ، فلذلك نأمل أن نوفق ونؤدى واجبنا في هذا الإطار» .

إلى أن قال :

«الآن وهذا من فضل الله أصبحت البلاد الإسلامية وغير الإسلامية حرة تتمتع بالحرية التامة وقادة المسلمين فيها هم المسؤولون مسئولية مباشرة عن ان يجعلوا العقيدة الإسلامية هي الأساس في تكوينهم سواء في العبادات أو في أمورهم الخاصة والعقيدة الإسلامية والحمد لله صريحة وواضحة المعالم ومن سلك الطريق الإسلامي على الأسس الصحيحة ، لا بد أن يصل إلى فضيلتين : فضيلة ما ينعم به الله عليه في هذه الدنيا والرصيد الأكبر في الآخرة ، ربنا أبان لنا الطريق . . . إنها الدنيا كلها زائلة ولا يبقى إلا ما قدم الإنسان من عمل صالح .

ثم قال : «بقى شيء واحد وهو أن أوجه كلمة قصيرة لطلبة الجامعة الإسلامية هي أن يواصلوا هذا المجهود الخير ، سواء في ذلك إخواننا الذين قدموا من جميع البلدان الإسلامية أو من السعوديين الموجودين فيها ، ان يستبصروا العقيدة الإسلامية التبصر الصحيح . . العقيدة الإسلامية والحمد لله أبانت الأمور بشكل غير قابل للنقاش إلا من أراد أن يوهم بأشياء أخرى . . الدين الإسلامي وسط . . لا رهينة في الإسلام . . لانه يمكن الكثير يعتقد في ناحية التصوف أو النواحي الأخرى التي هي بعيدة عن منطق الإسلام . هذا هو الإسلام . بالعكس الإسلام فيه المرونة والمحبة والتقوى والعمل والجد والنشاط ، لم تأمر العقيدة الإسلامية بالكسل أو التكاثر أو التصوف على غير معنى . . لأن هذا البلد والحمد لله بلد إسلامي وكل ما أرجوه أن يكونوا رسل البلاد الإسلامية الذين شرفوا المملكة العربية السعودية ورحبت بهم أن يعودوا إلى أوطانهم دعاء للإسلام في الاطار الصحيح كلنا نعرف ما أدخل على العقيدة الإسلامية والسبب من المسلمين أنفسهم . . ليس من العقيدة الإسلامية . . العقيدة الإسلامية إلى أن تقوم الساعة وهي القمة فلذلك أرجو أن ندرك معنى

العقيدة الإسلامية، ولا نفع فيما وقع فيه الغير بواسطة من يريد أن يبعدنا عن مسار العقيدة الإسلامية الصحيح.

إلى أن قال :

«وسوف نسير في الخط المستقيم إن شاء الله، ونجعله دائماً الهدف الرئيسى . .
نتمسك بعقيدتنا الإسلامية وربنا وعدنا بالحق: ﴿ان تنصروا الله ينصركم﴾
(محمد: ٧) .»

وكل هذه الكلمات قد سمعناها من الملك فهد خلال لقائه مع منسوبي الجامعة الإسلامية وغيرهم بالمدينة المنورة يوم الثلاثاء ١٦ محرم ١٤٠٣ هـ^(١). وعلى العموم فؤالة الأمر قد فهموا ان من واجبهم واللازم عليهم أن يكونوا حماة لمهد الإسلام ومكاسب عقيدة السلف الصالح، والتي تحققت على أيديهم وأن يكونوا أمناء على خدمة الإسلام ونشره بالنفس والنفيس، وأن يكونوا قدوة في التمسك بعقيدة السلف الصالح والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية.

يقول حافظ وهبه في أثر التمسك بعقيدة السلف الصالح :

«ان العقيدة الراسخة عند النجديين - أمرائهم وعلماهم - أن الله مكنهم في جزيرة العرب، وأن سلطانهم في تلك الجزيرة لإحياء معالم الشريعة، وإظهار دين الله وجعل سلطان التوحيد في الجزيرة هو السلطان الأول. وإزالة كل أثر من آثار الشرك».

ولقد قال الإمام سعود في خطبته بعد دخول مكة سنة ١٢١٨ هـ :

«إنا كنا من أضعف العرب، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه، وكل يهزأ بنا ويقاثلنا» - وكان الملك عبد العزيز رحمه الله في كل مناسبة يشير إلى هذا ذاكرة فضل الله عليه وعلى أجداده من قبل وأن ما وقع على آل سعود في أيامهم الأولى لم يكن إلا عقوبة لهم من الله تعالى لتهاونهم في أمر المحافظة على الدين والانصراف إلى أمور الدنيا.

ولذا فإن المشايخ من وقت لآخر - مازالوا يقدمون النصيحة لإمامهم ويوصونه

(١) انظر: الكتيب الذى أصدرته وزارة الاعلام - الاعلام الداخلى، بعنوان الفهد في رحاب الجامعة الإسلامية ص، ص ١٠، ١٦-١٧، ٢٣-٣٤، ٣٩، ٤٠. وانظر الكتاب الذى أصدرته إدارة العلاقات العامة بالجامعة الإسلامية في ٣٠ صفر ١٤٠٣ هـ. عن لقاء الملك فهد بن عبد العزيز مع أبنائه طلاب الجامعة الإسلامية، وبلغت صفحاته (٢٣٩) ص.

بالمحافظة على الدين والأخذ على أيدي المتهاونين به، إذا رأوا شيئا من التراخي والتهاون من ذوى النفوذ والسلطان^(١).

وكما قال حافظ وهبه لا يزال العلماء وذوو الحجى فى كل عهد يقدمون النصيحة ولا يتوانون فى لفت نظرولى الأمر منهم إلى ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين ويذكرونه بعاقبة التفريط وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم^(٢).

وقد ثبت الله بهؤلاء جميعا الأمة، ونفع بعلم العلماء منهم الناس وقمع بهم بوادى الفتن بسلطان العلم وسلطان السيف - كما قال الشاعر فى الملك عبد العزيز :
فجئت بالسيف والقرآن معتزما تمضى بسيفك ما أمضاه قرآن
وابلغ من ذلك قول الله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز ﴾ (الحديد: ٢٥).

هذا ومن يتأمل عهد آل سعود وأثر عقيدة الشيخ السلفية فيه يجد متكاملا البناء متصل الحلقات، وكلهم من يد طولى فى نشر كتب السلف الصالح وطباعتها وبذل الأموال الطائلة على التعليم ونشر الإسلام فى الآفاق وهم بذلك أسبق أمم أهل الأرض فى هذا الزمان قاطبة وأسدهم منهاجا، وأسلمهم طريقا، فمنذ عهد الملك عبد العزيز وكتب السلف تطبع وتنشر وتوزع مجانا، هذه مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، والدرر السنية ومجموعة فتاوى ابن تيمية وكتب ابن القيم وكتب الفقه والتفسير والحديث فى ذلك بين أيدينا شاهدة بآثارهم، وبغيرها مما لا يحصى إلا الله تعالى وقد تمت طباعة ذلك ونشره فى هذا العهد المبارك، مما كان له أعظم سبب فى نشر عقيدة السلف الصالح ولولا فضل الله تعالى بهذا العهد الميمون ما وصل إلينا من ذلك عين ولا أثر، ونخص رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالذكر لما لها من اختصاص بهذه الناحية وأعمال جليلة ظاهرة من نشر لكتب السلف، ودعوة وإرشاد وافتاء فى عقيدة السلف الصالح رحمهم الله.

ويحسن هنا استعراض كيفية انتشار مؤلفات وأثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب بصفة خاصة لما لها من أثر فى نشر عقيدة السلف الصالح وإعادة الناس إليها غير أنه

(١) جزيرة العرب فى القرن العشرين، تأليف حافظ وهبه ص ٣٢٨.

(٢) المصدر السابق.

تمشيا مع ما تقتضيه طبيعة الدراسة الجامعية وهى الافادة من جهود السابقين إذا كانت جهودا علمية صادقة وعدم اهدارها أو اغفالها، لأن الدراسات العلمية متكاملة، وتهدف إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية، فسأكتفى في هذه النقطة بالاحالة على مجهود سبقنى قد أتى عليها وفرغ من بحثها صاحبه ألا وهو :

دليل بليوجرافى :

أصدره الدكتور أحمد الضبيب وهو عميد شؤون المكتبات بجامعة الرياض فى كتاب عنوانه : «آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سجل بليوجرافى لما نشر من مؤلفاته»^(١).

ومقصود مؤلفه أن يجد الباحث بغيته ميسرة، توخى فيه مؤلفه أن يكون كتابا جامعا للمتفرق من أعمال الشيخ ولجميع ما سطره مما وصل إلى علمه مطبوعا، يدل على مظانها وتواريخ طبعتها، وأماكن نشرها، وعدد هذه الطبعات وصورها المختلفة. وجعله فى ثلاثة أبواب خصص أولها وأضحخمها لما كتبه الشيخ فى العقيدة ذلك أن معظم ما كتبه الشيخ يتعلق بالعقيدة، والثانى لما كتبه الشيخ فى الفقه، والثالث لما كتبه الشيخ فى التفسير والحديث والسيرة النبوية.

وقسم الباب الأول إلى فصول ثلاثة :

- ١ - الكتب والرسائل والنبد، ويشتمل على ما كتبه مستقلا فى شكل كتاب، أو عاجله فى رسائل قصيرة أو مطولة، أو سطره فى هيئة نبذ قصيرة تتعلق بموضوعات معينة وقد طبع بعض ذلك مستقلا، وطبع بعضه ضمن مجموعات الدعوة السلفية.
- ٢ - المسائل والأجوبة، وأكثر هذه ردود على أسئلة موجهة للشيخ حول موضوعات معينة فى العقيدة، أجاب عنها أجابات تختلف طولا وقصرا.
- ٣ - المكاتبات، وتشمل رسائله الخاصة التى بعثها إلى أشخاص بأعيانهم أو منشوراته العامة التى يوجهها إلى أهالى القرى والمدن ومن يراها من المسلمين.

(١) طبع طبعة أولى فى الرياض، بالمطابع الأهلية للأؤفست فى ١٩٩ ص عام ١٣٩٧هـ.

والباب الثاني لما كتبه الشيخ في الفقه، وضمنه فصلين :
الأول : الكتب والرسائل والنبد.

الثاني : الفتاوى والأجوبة الفقهية.

والباب الثالث : لما كتبه الشيخ في تفسير القرآن الكريم والتعليق على بعض آياته، وما ألفه في الحديث والسيرة النبوية، وأشتمل هذا الباب على فصلين :
الأول : ما كتبه في تفسير القرآن الكريم والتعليق على بعض آياته واستمداد بعض المسائل من هذه الآيات.

والثاني : ما كتبه في الحديث والسيرة النبوية، وتعليقات الشيخ على بعض الأحاديث.

إلا أن الباحث في عقيدة الشيخ السلفية لا يستغنى بهذا القسم الذي سماه الدكتور قسم العقيدة عن ما كتبه الشيخ رحمه الله في التفسير والحديث والسيرة وفروع الدين مما له صلة وثيقة بالعقيدة، فإن الشيخ رحمه الله بين الوحدة الموضوعية الجامعة لهذا الدين برسالاته العظيمة الأصول الثلاثة، الرب، المعبود، والعبادة ودين الإسلام بمراتبه الثلاث وأدلته من الكتاب والسنة، والرسول بخصائصه وحقوقه ﷺ .
ولذا لا بد من الإمام بجميع ما أثر عن الشيخ بقدر الطاقة .

وقد ألحق الدكتور الضبيب بكتابه فصلاً مستقلاً يشتمل على بعض ما كتب من شروح على بعض مؤلفات الشيخ، وضم إلى ذلك قائمة ببعض الكتب التي تناولت شخصية الشيخ بالترجمة .

وهذا السجل لا يستوفي جميع ما سطره الإمام المجدد ونشر من بعده وللمؤلف عذره في هذا، لكن فاته مما توخى أشياء :

فانه مثلاً أغفل ذكر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، الأجزاء ١، ٢، ٣، وفي الأول منها آثار للشيخ ورسائل، بينما نجده ذكر الجزء الرابع من هذه المجموعة وذكر جميع أجزاء الدرر السنية حتى جزئى : ٩، ١١ رغم خلوهما من ما سطره الشيخ ولم يذكر نبذة كتبها الشيخ وهى موجودة في الجزء الثاني من الدرر السنية في صفحة ١٢، كما لم يذكر وجود النبذة التى أولها : «الواجب عليك أن تعرف إرسال الرسل في الدرر السنية ج ١ ص ٩٥ .

ولم يحقق نسبة بعض ما نسب للشيخ من مؤلفات وآثار كما وقع له في كتاب «نصيحة المسلمين بأحاديث سيد المرسلين» ونسبه للشيخ^(١). وهو ليس له كما حققناه في الكلام عن مؤلفاته في المدخل.

وانظر: المواد ٦٩-٧٤، ص ، ص ٣٢، ٣٣، ومادة ٨٨٩-٨٩١، ص ص ١٥٣-١٥٤ من كتابه المذكور.

وجعل لرسالة قواعد الدين الأربع عنوانين للمطولة عنوان وللمختصرة عنوان آخر وموضوعهما واحد، إلا أن الأولى مطولة، والثانية مختصرة ووقع خطأ في ترقيم الصفحات المحال عليها في المادة ٤٢٩ ص ٨٧ - وقد التزم أن يذكر طرفا من أول كل مادة^(٢)، في كتابه ولم يذكر أول المادة رقم ٣٤-٣٥ ص ٢٧.

وكرر مادة واحدة من غير فائدة فانظر: مادة ٢٩٧ هي مادة ٣١١، ومادة ٢٩٨ هي مادة ٣١٢.

وخلط في الاحالة على الصفحات مادة مع مادة، في المادة رقم ٢١٣ ص ٥٢ «كلمة لا إله إلا الله . . .» دمج معها رسالة أخرى أولها «اعلم أرشدك الله . . .» وكان قد ذكرها تحت المادة ٢١١ ص ٥١ بعنوان: كلمة التوحيد، ولم يذكر وجودها في الدرر السنية، ج ٢ ص ، ص ٦٢-٦٥.

وحصل خطأ في كتابه تعليق على مادة «٤٢٢» وهو إنها يصلح لمادة ٤١٦.

وعلى الرغم من ذلك فهو أول دليل يسجل معظم أعمال الشيخ محمد بن عبد الوهاب من مؤلفات وآثار حسب قواعد علم البليوجرافيا الحديثة وهو نافع في ذلك، ففيه مادة لا يستغنى عنها باحث جاد في آثار الشيخ، وقد استفدت منه ونسأل الله أن يجزيه خيرا والله الحمد والمنة.

سأكتفى بهذه الاحالة فيما يختص بهذه النقطة تفاديا للتكرار والاطالة بذلك. غير أني أذكر ما جد في هذا الموضوع وهو ما قامت به جامعة الإمام محمد بن سعود فقد طبعت جل مؤلفات الشيخ محققة ومقابلة على مخطوطات، وطبعت مؤلفات للشيخ لأول مرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند ذكر مؤلفات الشيخ في المدخل، ثم قامت

(١) المقدمة ص ٩.

(٢) المقدمة ص ٩.

بتوزيع هذه المؤلفات على كثير من الباحثين في البلدان الإسلامية، ووفرت لديهم ذلك، وهذا له قيمته الواضحة في تأثير عقيدة الشيخ أثرا صحيحا مباشرا من آثار الشيخ الصحيحة الموثوقة وفي تعريف طلاب العلم على حقيقة عقيدته والبحث الموضوعي العلمي في ذلك، وعلى أثر ذلك استكثبت الجامعة عددا كثيرا من العلماء والباحثين عن دعوة الشيخ وعقيدته ثم وصلتها بحوث في ذلك قامت بطبعها أيضا ولكن على الآلة الكاتبة وبلغت ما يقرب من ستة مجلدات ثم وزعتها على مجموعة كبيرة من طلبة العلم والكتاب والعلماء والمثقفين ومن ضمن ذلك مصورات جغرافية تبين أماكن انتشار أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي بلغت أربعاً وعشرين لوحة يمكن من أراد ذلك مراجعتها. وهذا عمل يبين مدى أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وما من شك أن هذا الاعتناء والنشر لمؤلفات الشيخ وآثاره، يوضح جانباً من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وما كان ليتم بهذا الشكل الجيد ولا يكون لعقيدة الشيخ هذا الأثر لولا ما أنعم الله به على أهل المملكة العربية السعودية رعاية ورعية وعلى الخصوص ورثة الشيخ في علمه وورثه أنصار الشيخ في قوتهم وسلطانهم.

هذا ومن أعظم ما قامت به حكومة المملكة العربية السعودية تجاه العالم الإسلامي لتعليم العلم النافع والدعوة إلى الخير هو إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ١٣٨١ هـ^(١)، وهي مؤسسة علمية، ذات فائدة ومنفعة كبيرة في الدين والدنيا، عامة وخاصة.

فهى منذ تأسيسها تؤتى ثمارها ويتخرج منها أفواج من أبنائها، ينتشرون في أنحاء المعمورة محققين بذلك بحول الله وقوته ما تهدف إليه الحكومة من تأسيسها، فخرجوا الله سبحانه أن يفتح بها آذاناً صمياً عن استماع الحق وقلوباً غلغلاً قد استحکم عليها غلافها حتى صارت بعيدة عن الحق، وأعيننا عمياً عن النظر في الأدلة والبراهين التي نصبها الله لتدل على وجوده وأنه المستحق للعبادة دون ما سواه.

وكذلك إنشاء رابطة العالم الإسلامي للقيام بمهمة الدعوة لدين الله الحق،

(١) الشيخ عبد المحسن العباد، عالم جهيز وملك فد ص ٥.

والعمل في سبيل الله، والدفاع عن الإسلام وحث المسلمين على احترام الأخوة الإسلامية والدعوة إلى التضامن الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة.

وان ما ينعم فيه أهل البلاد السعودية من نعمة لا مثيل لها في العالم كله في هذا الزمان من أمن في الأوطان وصحة في الأبدان، واتحاد تحت راية التوحيد تحت ولاية آل سعود ما هذا إلا من أثمرتلك العقيدة السلفية.

وإننا والله الحمد كما يشهد الواقع نمتاز في هذه المملكة عن جميع من حولنا ومن في أقطار المعمورة كلها بهذه الميزة، وكلما كنا متمسكين بعقيدة السلف الصالح كلما كانت آثارها من الأمن والهداية أرسخ وأقوى - كما قال الله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (الأنعام: ٨٢).

ومن يخالجه شك فليستقرىء الواقع في العالم الإسلامي بل وفي غيره وسيجده شاهداً بذلك، وهذا شأن عقيدة السلف الصالح لأنها قطب رحي المسلمين، ويوم يحققونها تكون لهم الإمامة والتمكين وعد الله لا يخلف الميعاد - قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور: ٥٥).

ونزل الوحي في الجزيرة العربية، ومن الجزيرة أضاء، والمسلمون جميعاً يستقبلون البيت الحرام ويأتون بأهل الحرم وحماته وولائه فهم في وحدة مدارها على عقيدة السلف الصالح، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكذلك تنتصر عقيدة السلف الصالح والله الحمد.

وعلى كل حال فالكلام عن أثر عقيدة الشيخ في داخل سلطانتها مهما بلغ من استيعاب ودقة لا يفى بوصف الواقع كما ان وصف الواقع يعجز عنه جهد الباحث ويخرج بنا عن حدود ما رسم لهذا البحث من حجم وجهه ووقت، ولكن حسبنا أن نبين صلة هذا الأثر الحاضر بالماضي ليعلم مشاهد هذا البناء الضخم المتناسك في وحدة المملكة العربية السعودية أن سنده وأساسه وأصله هو عقيدة السلف الصالح التي اعتقدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعا إليها ونصرها الإمام محمد بن سعود رحمه الله تعالى، فأظهرها الله بذلك على ما سواها وتوارثها بعدهم بنوهم إلى يومنا

هذا ونسأل الله بانه الأحد الصمد الذى لا إله إلا هو أن يثبتهم على عقيدة السلف
الصالح وأن يوفقهم لنشرها والقيام بحقوقها وهو المجيب القريب الجواد الكريم .
وصلّى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه .
ولعل فيما قدمته من نقول وبيان كفاية فى الدلالة على أثر عقيدة الشيخ محمد
بن عبد الوهاب السلفية فى داخل المملكة العربية السعودية . وحيث عرفنا أثر تلك
العقيدة السلفية فى بناء ذلك السلطان القوى ، والذى هو أصل أثرها فى خارج
سلطانها نتقل إلى تعرف أثرها فى الخارج وهو ما يشتمل عليه الفصل التالى .

الفصل الخامس أثرها في خارج سلطانها

تمهيد :

من الثابت في الحقيقة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لم يأت الناس بعقيدة جديدة، بل هو عالم عامل بين عقيدة السلف الصالح، وعمل على تطبيقها ووفق بأنصار أحرار ينصرون عقيدة السلف الصالح عن وعي وإدراك كما قال الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله بعد أن ذكر الإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب قال : (فلما رأى أسلافنا [يعنى آل سعود] موافقة أقوالهم وأفعالهم [يعنى هؤلاء الأئمة] لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبلوا ذلك وقاموا بها أظهره الله على أيديهم ، ونحن إن شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم ، نرجو الله أن يبيننا ويميتنا عليه)^(١).

والدليل على ذلك أننا نسمع دائما لزم المتمسك بالسنة والمجانِب للبدعة صوفية أو كلامية أو غيرها ليعمل بالسنة فهو وهابي وطريقته وهابية ، ولولم يكن قد أخذ عن الشيخ أولقيه أو عاصره أو أخذ عن أخذ عنه ، أودرس حتى كتبه . وهؤلاء الذين يحاولون لزم من يعمل على نشر سنة رسول الله ﷺ بالوهابية على حد قولهم إنما يريدون محاربة انتشار السنة والطريقة التي كان عليها السلف الصالح بذلك فيلمزون كل من عمل بالسنة وجانب البدعة انه ينشر الوهابية ، ويقصد توسيع نفوذ سلطانها ومد رقعتها فيحاربونه بهذه الفرية ويصمون به بأنه عميل يعيش على أموال السعوديين لينشر ما يسمونه بالوهابية وبأمثال هذه التشنيعات يحاربون سنة رسول الله ﷺ وطريقة السلف الصالح ومعلوم أن أصل مذهب السلف الصالح هو اتباع سنة رسول الله ﷺ

(١) نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز . . . أمين الرمحاني ص ٤٣٦ .

وسنة خلفائه الراشدين وسبيل المؤمنين ولم ينفرد به الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحده، ولم ينحصر في دعوته واعتقاده، بل حمله عدول عن عدول. في كل زمان وفي أمكنة متباعدة ليس في زمان عن زمان ولا مكان عن مكان.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله صار إماما كغيره من أئمة السنة وشرف ونبل بذلك وكذلك أتباعه وأنصاره شرفوا باتباعهم مذهب السلف الصالح، واتخاذ طريقهم في الوسيلة والغاية. لذلك فإنني في هذا البحث لا أزعم أن كل أثر من آثار عقيدة السلف الصالح هو من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، إلا إذا وجد ما يدل على ذلك، لأن السلفية كما ذكرنا ليست محصورة إلا من طريق الشيخ، فأتباع السلف الصالح لا يزالون في كل زمان ومكان يقومون لله بحجته على خلقه قياما يفيد العلم اليقيني إلى قيام الساعة والله الحمد والمنة.

كما أنني لا أزعم أيضا أن الدعوات الإصلاحية أو الحركات السياسية في العالم الإسلامي قد تأثرت بدعوة الشيخ وحركته وحركة أنصاره من أجلها ما لم أجد دليلا يفيد ذلك سيما وأن أكثر هذه الحركات والدعوات مشوبة بما يخالف عقيدة الشيخ السلفية إما في الوسيلة أو في الغاية وإن كان ينتسب هؤلاء الدعاة المصلحون والمتحركون السياسيون إلى الإسلام والسنة، فليس اجتماع حركة الشيخ وأنصاره مع غيرها من الحركات في قدر مشترك في الذهن يسوغ لنا أن نحكم بأن تلك الحركات متأثرة بحركة الشيخ، لأن الشيخ وأنصاره إنما قاموا بنصرة دين الله ليس لهم غرض سوى ذلك، لا يبتغون زعامة ولا دنيا، إلا أنهم يريدون رضوان الله وما وعدهم الله به، فإن جاءهم فضل من الله لا منة لأحد فيه، أو مكسب لا يمس عقيدتهم، وليس على حساب تنازل منهم عن شيء من عقيدة السلف الصالح فهم يقبلونه شاكرين، وليس من عقيدتهم تصدير الحركات السياسية والثورات والاضطرابات في بلدان العالم، ولا من شأنهم التفريق وتشيت الشمل والتحزبات والتشيع، على العكس من ذلك، انهم دعاة تأليف واجتماع واتحاد على الحق، دعاة إلى الله على طريق رسول الله ﷺ ويسرهم أن يجيب المدعوون داعي الله وأن يقبلوا هدى رسول الله ﷺ لينجي هؤلاء المدعوون أنفسهم من الهلاك ويهتدوا إلى الصراط المستقيم إلى سعادة من أنعم الله

عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: (نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأى مكان)، ولا يقول: (إن من تبع دين الله ورسوله ﷺ ما يكفيه حتى يجيء عندنا ويوالينا ولا يقول: (إن الذي ما يدخل تحت طاعتي فهو كافر) ولا يقول: (إنه مبطل مذاهب أهل السنة والجماعة، وإنه ليس لهم كتب إلا ما بيده، وليس لهم علماء إلا من شهد له بالعلم لا بقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا ولا غيره مما وصفه به أعداء الحق وليس من عقيدته ذلك بل مراده اتباع دين الله ورسوله ﷺ وإظهاره في أي أرض وطائفة كانت^(١)) ومن أي جهة.

وقد سئل أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، من لم تشمله دائرة إمامتكم ويتسم بسمة دولتكم هل داره دار كفر وحرب على العموم؟. فأجابوا: الذي نعتقده وندين الله به أن من دان بالاسلام وأطاع ربه فيما أمر وانتهى عما نهى عنه وزجر فهو المسلم حرام المال والدم كما دل على ذلك الكتاب والسنة واجماع الأمة ولم نكفر أحدا دان بدين الاسلام لكونه لم يدخل في دائرتنا ولم يتسم بسمة دولتنا بل لا نكفر إلا من كفر الله ورسوله، ومن زعم أننا نكفر الناس بالعموم أو نوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ببلده فقد كذب وافترى^(٢). وإذا كانت عقيدة الشيخ السلفية هكذا إنما هي تمسك بالكتاب والسنة ودعوة إلى الله وحده بهذا التمسك الراشد.

فكذلك هي ليست مصدر تزمت وترك للدنيا ورفض للمصالح فيها. وإنما هي عقيدة الصلاح والأصلح في الدنيا والآخرة، كيف لا وهي مبنية على أن صريح العقل يوافق صحيح النقل.

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٠ ص ٦٠ ورقم ٩ ص ٥٨ ورقم

ص ١٢ ورقم ١١ ص ٦٤.

(٢) الدرر السنية، ج ٧ ص ٣٥٥.

وعلى ضوء هذا التمهيد وضوء ما قدمت في الفصل الأول من الباب الثاني عن أسباب تأثير عقيدة الشيخ السلفية سأبحث عن أثر عقيدة الشيخ السلفية في خارج سلطانها في هذا الفصل . فأقول انه ما من شك أن تطهير البيت للطائفين والركع السجود وتطهير الحرمين عموما من عبادة القبور، وأنواع البدع والفجور والضرب على أيدي العابثين وتأمين الطرق إليهما من القطار والسراق مع تعظيم حرمتيهما، وخدمة حجاج بيت الله، والعمل على تيسير أدائهم فريضة الحج التي هي الركن الخامس من أركان الإسلام بكل وسائل الأمن والراحة والمعيشة أيضا . هو أثر من آثار عقيدة السلف الصالح رحمهم الله فهذا شأنهم في ولاية البيت، قال تعالى : ﴿ ان أولياؤه الا المتقون ﴾ (الأنفال : ٣٤) . وبالتالي فله من الأثر العظيم في انتشار عقيدة الشيخ السلفية في العالم الاسلامي ما لا يستطيع أحد جحدته وإنكاره، وكل ما يدرك بالبداهة أثر ولاية أنصار العقيدة السلفية الطيب المشكور غير أن تتبع ذلك الأثر ليس في وسع الباحث، وحسبنا بهذا اشارة إليه .

ونشير إلى سبب آخر وهو الرسائل التي كان يرسلها أئمة وعلماء عقيدة السلف الصالح من ورثة الشيخ وورثة أنصاره إلى عموم المسلمين في الخارج فلها أثر بالغ أيضا .

فمنذ ظهور الشيخ محمد رحمه الله ، وتلك الرسائل تتوالى فقد أرسل الشيخ نفسه إلى السويدي عالم من أهل العراق يجيبه على كتاب ورد إلى الشيخ منه فينب الشيوخ في جوابه أنه متبع وليس بمبتدع وأن عقيدته ودينه الذي يدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة^(١) .

ورسالة إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام ، بناء على ما ذكره راشد بن عربان للشيخ من كلام حسن عن فاضل وأنه طالب منه المكاتبه بسبب ما يجيئه من الكلام فذكر له الشيخ صفة الأمر وأنه الدعوة إلى الإسلام^(٢) . ورسالته إلى البكيلى

(١) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٥ ص ، ص ٣٦-٣٨ .

(٢) مؤلفات الشيخ ، القسم الخامس ، الشخصية رقم ٤ ص ، ص ٣٢-٣٣ .

صاحب اليمن^(١)، وإلى إسماعيل الجراعي^(٢)، وإلى عبد الله بن عبد الله الصنعاني^(٣)، ورسائله إلى أهل المغرب^(٤). وغير هذه الرسائل، من رسائل شخصية ورسائل عامة ومؤلفات شاملة تبعث في كل اتجاه حسب القدرة والطاقة كما فعل الإمام عبد العزيز بن محمد حين بعث كتاب التوحيد وغيره إلى والي بغداد^(٥)، كل ذلك لاشك أن له أثرا في انتشار عقيدة السلف الصالح وتأثيرها في تلك المواطن خارج سلطانها.

ومن بعد الشيخ محمد مازالت الرسائل ترسل فتلك الرسالة المهمة الجليلة رسالة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود التي أرسلها إلى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب يبين فيها حكمة خلق الله الخلق وأنها ليعبدوه فأمرهم بها وحذرهم مخالفته وأن الجزاء واقع لا محالة وأخذ يشرح ذلك ويدلل عليه من الكتاب والسنة وهي رسالة عظيمة التأثير.

والرسالة الأخرى التي أرسلها الإمام عبد العزيز بن محمد^(٦) إلى من يراه من بلدان العجم والروم وشرح فيها عقيدة السلف الصالح بعثها مع محمد خلف النواب الذي قدم الدرعية مع الحاج وجلس مدة يتعلم العقيدة فلما فقه أرسل معه تلك الرسالة وأحاطهم عليه ليبين لهم. ورسائله أيضا إلى من يراه من أهل المخلاف السليمان مع الشريف أحمد الذي قدم عليهم ورأى وحقق صحة ما هم عليه والتمس أن يرسل الإمام معه إلى قومه رسالة فكتبها^(٧). وسبق ذكر شيء من ذلك^(٨).

(١) مؤلفات الشيخ، القسم الخامس، الشخصية رقم ١٤ ص، ص ٩٤-٩٨.

(٢) المصدر السابق رقم ١٥ ص، ص ١٠٠-١٠١.

(٣) المصدر السابق رقم ١٦ ص، ص ١٠٣-١٠٧.

(٤) المصدر السابق رقم ١٧ ص، ص ١١٠-١١٥.

(٥) انظر : ص ٥١٦ من هذا البحث.

(٦) الدرر السنية ج ١ ط ٢ ص، ص ١٤٣-١٤٦.

(٧) المصدر السابق ج ١ ط ٢ ص، ص ١٤٦-١٤٨.

(٨) انظر : ص ٢ ط من هذا البحث.

ورسالة الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي كتبها لما مكنهم الله مع الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد من ولاية الحرمين وقد شرح فيها دعوة الشيخ محمد وبين عقيدتهم وأنها عقيدة السلف الصالح وشرح مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع ورد المفتريات عليهم بالقول والفعل وكل يشهد مصداق ذلك، وما من شك أنها تقدم للحجاج والعمار والوافدين من خارج الدولة فيكون لها تأثير بالغ عظيم وسبق ذكرها^(٤).

ومن الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد إلى سليمان باشا جواباً على خطاب من سليمان مبني على خطاب سابق من الإمام سعود إلى يوسف باشا، يبين فيها الإمام أنهم متبعون ما أمر الله به رسوله وعباده المؤمنين، ويرد عليه افتراءاته وتلبساته، ويبين له طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم بإحسان^(٥).

وللشيخ اسحق بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن رسالة جلييلة في بيان معتقد الشيخ وكان قد سافر للهند بطلب العلم على أهل الحديث وعلماء السنة هناك وينشر الحق باستطاعته ولعله كتبها لمواجهة بعض الاشاعات والترجيحات على الشيخ في الهند وغيره فنشرها بين طلبة العلم وجاء فيها بعد الثناء على الله سبحانه وبحمده والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، أما بعد فانه ابتلي من استحوذ عليه الشيطان بعداوة شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومسيبته وتحذير الناس عنه وعن مصنفاته لأجل ما قام بقلوبهم من الغلو في أهل القبور وما نشؤوا عليه من البدع التي ملأت الصدور، فأردت أن أذكر طرفاً من أخباره وأحواله ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره فلا يروج عليه الباطل، ولا يغتر بهائد عن الحق مائل مستنده ما ينقله أعداؤه الذين أشتهرت عداوتهم له في وقته وبالغوا في مسبته، إلى أن قال:

(١) انظر: ص ٥٣٦ من هذا البحث.

(٢) الدرر السنية ج ١ ص ٣١٨-٣٠٥.

والذى يقضى به العجب قلة انصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك أنهم لا يجدون زلة من المنتسبين إليه ، ولا عثرة إلا نسبوها إليه وجعلوا عارها راجعا عليه وهذا من تمام كرامته وعظم قدره وإمامته .

وقد عرف من جهالهم ، وأشتهر من أعمالهم أنه ما دعا إلى الله أحد ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر في أي قطر من الأقطار إلا سموه (وهايبا) وكتبوا فيه الرسائل إلى البلدان بكل قول هائل يحتوى على الزور والبهتان ومن أراد الانصاف وخشى مولاه وخاف ، نظر في مصنفات هذا الشيخ . أ - هـ .

ثم ذكر الشيخ بعض ما وقف عليه من كلامه وما عرف واشتهر واسفاه من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه وما ثبت بخطه وعرف واشتهر من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته أنه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى ثم سرد عقيدة الشيخ رحمه الله حسب ما ذكر^(١).

وهذا سنلاحظ أثره الواضح في تلك الديار التي سافر إليها في الهند وغيرها كما في صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي ، وغيره فيما يأتي من بحث أثر عقيدة الشيخ السلفية في الهند .

ثم في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ، كانت رسائل مثل رسالة محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن إلى من يراه من أهل القرى ورؤساء القبائل من أهل اليمن وعسير وتهامة وشهران وبنى شهر وقحطان وغامد وزهران وكافة أهل الحجاز .

يقول فيها :

إنه لما كان في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وألف من الهجرة : (بعثنا الإمام المقدم ،

(١) الدرر السنية ، ج ١ ص ٢٥٦-٢٦٨ .

والرئيس المفضل المفخم، صاحب السعادة والسيادة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، أعلا الله سعوده، وأدام للمسلمين وجوده، لأجل تعليمكم ما أوجبه الله عليكم وتعبدكم به من دين الإسلام، الذى معرفته والعمل به والبصيرة فيه سبب لدخول الجنة، والجهل به والاعراض عنه وعدم قبوله والانقياد له سبب لدخول النار. فلما قدمنا بعض جهاتكم رأينا أهلها قد جال بهم الشيطان والهوى، وتقادوا في الغي والطغيان والاعراض عن النور والهدى، وفرقوا أمرهم وكانوا شيعا، وغلب عليهم الجهل واشار الشهوات، واستجابوا لداعي الشبهات، فوقعوا في وادى جهل خطير، فهم على شفا حفرة من السعير، وغلب على أكثرهم الاعتقاد فى أهل القبور والأحجار والغيران، وتعظيم أهل الصلاح من المقبورين، وهذا هودين أهل الجاهلية الأولين. ثم أخذ يشرح عقيدة السلف الصالح ويدعو إليها بالحجج والبراهين^(١).

ورسالة أخرى من الشيخ محمد بن عبد اللطيف إلى من ذكرنا فى الرسالة التى قبلها من أهل تلك الجهات ومنها جهة اليمن، وفى هذه الرسالة يركز الشيخ محمد بن عبد اللطيف على أن عقيدتهم ودينهم هودين الإسلام، وهو عقيدة أهل الحق، أهل السنة والجماعة، وهم السلف الصالح^(٢).

وما من شك أن مثل تلك الجهود والرسائل كان لها أثر جيد فى جهات اليمن مما خرج عن سلطان أنصارها، على ما سنبينه قريبا فى مبحث أثرها فى اليمن ويضاف إلى ما تقدم من الأسباب تشجيع ولاية الأمور فى المملكة للوافدين من أجل طلب العلم وتوفير المنح الدراسية لهم من جميع أنحاء العالم الإسلامى لاسيما فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أول عاصمة للخلافة الإسلامية.

ويشكل الطلاب الوافدون إليها من خارج المملكة من غير السعوديين، من أبناء العالم الإسلامى فى شتى أقطار المعمورة ويتنمون إلى (٨٨) قطراً، يشكلون ٨٥٪ من طلاب الجامعة الإسلامية البالغ عددهم (٦٦٦٠) طالبا حسب احصائيات

(١) الدرر السنية، ج ١ ص ٢٨٣-٢٩٠.

(٢) الدرر السنية، ج ١ ص ٢٩٠-٢٩١.

شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠٣ هـ. وهؤلاء الطلاب الوافدون يتلقون العلم المستمد من الكتاب والسنة وفقا لما كان عليه سلف الأمة الإسلامية.

ولا ننسى ما تسهم به جامعة الإمام محمد بن سعود في هذا المجال لاسيما بالفروع التي تم فتحها في خارج المملكة وهي تابعة لها كمعهد تعليم اللغة العربية بآندونيسيا والمعهد العلمي برأس الخيمة، والمعهد العلمي في موريتانيا.

وكذلك رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في نشاطها خارج المملكة ومن ذلك مبتعثيها في سائر أنحاء العالم للدعوة والإرشاد. وهذا له أثر حسن في نشر عقيدة السلف الصالح، وكل ذلك من أثر عقيدة الشيخ السلفية.

أثرها في اليمن :

يذكر محمد رشيد رضا أن علماء السنة في اليمن قد بلغهم كل ما قيل في الشيخ محمد بن عبد الوهاب فبحثوا وتثبتوا وتبينوا كما أمر الله تعالى فظهر لهم أن الطاعين فيه مفترون لا أمانة لهم وأثنى عليه فحولهم في عصره وبعد عصره، وعدوه من الأئمة المصلحين المجددين للإسلام ومن فقهاء الحديث كما نراه في كتبهم^(١).

وإذا تذكرنا قصيدة الإمام الصنعاني التي يمدح فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويثني على طريقته ويؤيد عقيدته ومسلكه، بدا لنا كيف وصل تأثير عقيدة الشيخ إلى هناك، ودورها في نشر عقيدة السلف الصالح، يقول الأمير الصنعاني بين يدي قصيدته الدالية المشهورة التي مطلعها :

سلام على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدى
قال : لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له محمد بن عبد الوهاب
ووصل إلينا بعض تلاميذه وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة ١١٦٣ هـ.
وأرسلناها من طريق مكة المشرفة وهي : ثم أوردها في ديوانه ويقول فيها :

(١) مقدمة محمد رشيد رضا، لكتاب صيانة الإنسان تأليف محمد بشير السهسواني ص ١٤ ط ٥.

قفى وأسألى عن عالم سوحها
محمد الهادى لسنة أحمد
لقد أنكرت كل الطوائف قوله
وما كل قول بالقبول مقابل
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله
وأما أقاويل الرجال فانها
وقد جاءت الأخبار عنه بانه
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل
ويعمر أركان الشريعة هادما
أعادوا بها معنى سواع ومثله
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
وكم عقروا في سوحها من عقيرة
وكم طائف حول القبور مقبل
إلى أن قال يصف ما في دلائل الخيرات من غلو :

غلو نهي عنه الرسول وبدعة
أحاديث لا تعزى إلى عالم فلا
وصيرها الجهال للذكر ضرة
لقد سرنى ما جاء لي من طريقه
بلا مريّة فاتركه ان كنت تستهدى
تساوى فليسا ان رجعت إلى النقد^(١)
يرى درسها أركى لديهم من الحمد
وكنّت أرى هذى الطريقة لي وحدى

إلى آخر قصيدته الطويلة المفيدة، والتي تدل على أن الأرض لا تخلو من قائم
للّه بحجته غير أن الشيخ رحمه الله رزق بأنصار يبتغون وجه الله وحده، وهذا فضل من
الله تعالى، ويدل كلام الأمير الصنعاني في قصيدته هذه على أن أثر الشيخ في اظهار
مذهب أهل السنة والجماعة قد وصل إلى اليمن، وانظر الأمير يقول في قصيدته هذه
التي قالها في الشيخ ومن أجله واصلاحه :

سلام على أهل الحديث فانني
هم بذلوا في حفظ سنة أحمد
نشأت على حب الأحاديث من مهدى
وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد ص ٣١٠.

إلى أن قال :

إليك طوت عرض الفيافي وطولها فكم جاوزت غورا ونجدا إلى نجد
أنأخت بنجد واستراح ركاها وعاد خليا عن رحيل وعن شد
فأحسن قراها بالقراءة ناظما جوابا فقد أضحت لديك من الوفد
وصل على المختار والآل انها لحسن ختام النظم واسطة العقد^(١)
وكانت ولادة الصنعاني سنة ١٠٩٩ هـ. ووفاته سنة ١١٨٢ هـ^(٢).

ونجد في اليمن عالما جليلا من علمائه الأعلام هو الشيخ حسين بن مهدي
النعمي التهامي ثم الصنعاني، وفد من مدينة صيبا بتهامة إلى صنعاء لطلب العلم
فأخذ بها في العلوم النقلية والعقلية الفرعية والأصولية. فأقرأ في كتب السنة في صنعاء
وكثر الأخذون عنه من الخاصة والعامة، وعملوا بالسنن من رفع اليدين عند الركوع
والرفع، وقبضهما على الصدر، وتأمين الإمام والمأموم وغيرها من السنن في الصلاة
وهو معاصر للأمير الصنعاني، واستمر على الاقراء في كتب السنة، والعمل بها مجللا
محترما وقد أذن له المهدي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان المخالف من
خاصة المهدي. وتوفي في سنة ١١٨٧ هـ. وخلفه تلميذه يحيى بن حسن الكبسي،
وطريقته طريقة شيخه المذكور، انتهى ملخصا عما نقله سليمان بن عبد الرحمن الصنيع
من مخطوط كتاب (نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف)^(٣).

وقد عرضت عليه أجوبة علماء الحرم الشريف من مختلف المذاهب والتي
اتفقت أجوبتهم على ابقاء القباب والأضرحة والأبنية على القبور، بناء على سؤال
رفع إليهم بشأن هدم القباب وتسوية القبور، بسبب ظهور أمر الشيخ محمد بن عبد
الوهاب بذلك وسعيه في هدم تلك الأضرحة ومحاربة ما ترتب على وجودها من وثنية

(١) ديوان الأمير الصنعاني ص، ص ١٢٨-١٣٢. وانظر: بعضها في عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر،
ج ١ ص، ص ٥٤، ٥٥. وانظر: بيتا واحدا منها في مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، مفيد المستفيد
ص ٣١٠. وانظر: تبرئة الشيخين الامامين من تزوير أهل الكذب والمين للشيخ العلامة سليمان بن سحمان، طبع
بأمر الامام السلطان عبد العزيز آل سعود بمطبعة المنار سنة ١٣٤٣ هـ. وانظر: روضة ابن غنام، ج ١ ص، ص
٤٦-٤٩.

(٢) انظر: مقدمة الديوان، ص، ص ١٢، ٥.

(٣) انظر: ترجمته في أول كتاب: معارج الالباب في مناهج الحق والصواب ص - ص ١٣-١٥ ط ٢ سنة
١٣٩٣ هـ.

وعبادة لغير الله من دونه فتصدي هذا الشيخ النعمي للرد عليها وجعله كتاباً اسمه «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب»، وبامعان النظر فيه يتضح لنا ما وهبه الله من المقدرة وسعة الاطلاع وقوة اليقين مما حمله على اعلان الحق وعدم المبالاة بمخالفة الناس والمفتين وأرباب المناصب والجاه^(١). قال الشيخ النعمي في مقدمة كتابه هذا :
ويعد : فلما كان في شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبوية . وقفت على صورة سؤال ، وغير ما جواب في شأن ما يسر الله هدمه واقتاده من المشاهد والقباب ، وازالة ما أزيل منها بالتدمير والخراب لما تفاحشت خطوط مفاسدها في هذا الزمان ، وضاهت رسوم الجاهلية الجهلاء المنافية للتوحيد والإيمان . مع كون وضع القباب أمراً صادم المآثر الصحيح من النبي الصريح فهو بمجرد ممنوع شرعاً كما قد شرحت ما جاء فيه ضمن رسالة مستقلة وجيزة ، أسفرت ، عن وجهه الصحيح واسمها : (مدارج العبور ، على مفاسد القبور) . وكان قبل هذا التاريخ بمدة سيرة : ألقى إليّ بعض أعيان الزمن بمدينة صنعاء اليمن . . . كتاباً ورد عليه من مكة المشرفة ، ذكر فيه ما حاصله أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة وأنه أجاب فيه مفتوا الأربعة المذاهب . بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد ، وأشار بتخريب تلك المعاكل والمعاهد^(٢).

ثم ذكر أنه اطلع على الأجوبة وإذا هي أحققات حرية بالاطراح ، وأغاليط خليقة أن يتسلى عنها ويستراح ، وأن لا يرفع لبيب إليها رأساً ، ولا يتسنىم للرد عليها قرطاساً ، لأنها لم ترح رائحة التحقيق ، ولا تمسك من تحرى السداد بحبله الوثيق^(٣).
ثم قال : (ولولا وجوب النصح والارشاد ، ورفع اللبس : لاتجه في السكوت عن فتاويهم الخاق اليوم بالأمس)^(٤).

وذكر أن المجيبين أضاعوا عهود العلم والهدى وأهملوها ، وليس سبيل من هذا شأنه إلا التنبيه ، وازاحة الضرر عمن لم يعلم ما في مقاله من التمويه ، لأنه لم يسلك

(١) انظر: كلمة الافتتاح للطبعة الثانية لكتاب معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ، للشيخ عبد الله

بن عبد الرحمن بن جبرين ، ص ، ص ١٤ ، ٣ .

(٢) معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب ص ٢١ .

(٣) معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب ص ٢٢ .

(٤) معارج الألباب في مناهج أهل الحق والصواب ص ٢٠-٢٢ .

معك مسلك المحاورات بين أهل التحصيل ، بل سد عليك طريق أخذ الحكم من دليله ، فما الذى تبتغيه عنده بعد؟ وأي سفاهة علمت أقبح مما صنع هؤلاء الجماعة؟ ويقول: (إن طفقنا نقول لهم: هذا حرام لدلالة هذه الأحاديث الصحيحة على ذلك، أجابوا: بأنه صرح به في المنهاج وشرحه، وهو الذى فهمه ابن عبد الحق من عبارة الروضة بالجواز، قلنا ما هى الحجة على الآخر؟ قالوا: لا يحل لنا ولا لك. أن نقول: يحل كذا، يحرم كذا، لقول رسول الله ﷺ كذا، ومحال في زماننا هذا شيء من ذلك، فلم يبق حجة إلا ما ذكر سنان أفندى في كتاب «تبيين المحارم»، والشيخ زكريا في شرح المنهاج، وحواشيه لنور الدين الزيادي، وما ذكرته مطرح وأنت عاص بهذا الصنيع) إلى آخر ما ذكره عنهم من أصلهم الذى حرروه وهو امتناع أخذ الحكم من دليله، وتعد ذلك في هذه الأعصار مع أنهم نقضوه بشيء كثير من كلامهم. فأورد أمثلة من قولهم قال رسول الله ﷺ: كذا وكذا، مرارا كثيرة وهو من عجيب ما يستظرفه العقلاء، ودليل على بطلان أصلهم بديهية وطبعاً ووضعاً إلى آخر ما قال^(١). ثم حصر الكلام في ثلاثة أبواب: الأول في أبحاث متفرقة تتعلق بتلك الأجوبة^(٢).

والباب الثاني في ذكر جملة شافية من الأحاديث الصحيحة، والأخبار الصريحة الشاهدة بأن وضع القباب والبناء على القبور من أصله وتشريفها، والكتابة عليها وتخصيصها واتخاذها مساجد، وما يتصل بذلك: أمر تقرر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجازم بالنهي عنه، والكف عن ارتكابه، وثبتت القضية في ذلك، ومضت كلمة الحق بسد ذريعته، تحذيراً لنا أن نسلك سنن من قبلنا، مع قطع النظر عن المفاسد المترتبة على ذلك^(٣).

والباب الثالث في سوق ألفاظ من ذلك السؤال وتلك الأجوبة، مع الإشارة إلى ما فيها من فساد^(٤).

(١) انظر: معارج الالباب في مناهج أهل الحق والصواب، ص - ص ٢٨-٢٢.

(٢) من ص ٢٨ إلى ص ١٠٥.

(٣) من ص ١٠٥ إلى ص ١٣٧.

(٤) من ص ١٣٧ إلى ص ٢٥٥.

وهو كتاب عظيم النفع ، سديد في جوابه وبيانه رحم الله مؤلفه وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين . ومن بعد الأمير الصنعاني والشيخ حسين النعمي الإمام الشوكاني المولود سنة ١١٧٣هـ . والمتوفي سنة ١٢٥٠هـ^(١) .

وقد عايش الشوكاني أحداث باشا مصر وما حل من مصائبه ، وكان لهذه الأحداث وما يصحبها من اشاعات وبلبله في الأخبار وتضارب أثر في ما يكتبه إلا أنه لا يشك في الإمام سعود ومعتقده فقد قال : (وبعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج ، وما أظن ذلك صحيحا ، فان صاحب نجد وجميع أتباعه يعملون بما تعلموه من محمد بن عبد الوهاب وكان حنبليا ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة فعاد إلى نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة كابن تيمية وابن القيم وأضرابهما وهما من أشد الناس على معتقدي الأموات ، وقد رأيت كتابا من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات أجاب به على بعض أهل العلم وقد كاتبه وسأله بيان ما يعتقد فرأيت جوابه مشتملا على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة^(٢) . ويقول : وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين وفي سنة (١٢١٥هـ) وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام حفظه الله أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الارشاد إلى اخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور وهى رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ذكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وجماعة من الصحابة فأجاب عليهم جوابات محررة مقرررة محققة تدل على أن المجيب^(٣) من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة وقد هدم عليهم جميع ما بنوه وأبطل جميع ما دونوه لأنهم مقصرون متعصبون فصار ما فعلوه خزيا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه وأرسل صاحب نجد مع الكتابين المذكورين بمكاتبة منه إلى سيدى المولى الإمام فدفع حفظه الله جميع ذلك إلي فأجبت عن كتابه

(١) انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج ١ ص ٤٧٨ ، وج ٢ ص ٢١٤ .

(٢) البدر الطالع ج ٢ ص ٧٠٦ .

(٣) ويعني به الشيخ عبد الله الشيخ محمد في جوابه لهم المسمى : جواب أهل السنة في نقض كلام الشيعة والزيدية . انظره في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ص ٥٤٧-٢٢٢ .

الذي كتب إلى مولانا الإمام حفظه الله على لسانه بما معناه أن الجماعة الذين أرسلوا إليه بالذاكرة لا ندرى من هم وكلامهم يدل على أنهم جهال والأصل والجواب موجودان في مجموعي^(١).

ويقول الشوكاني عن الإمام سعود سمعنا أنه قد استولى على بلاد الحسا والقطيف وبلاد الدواسر وغالب بلاد الحجاز. ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إما رغبة وإما رهبة وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئا ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم بها من عوج. وبالجملية فكانوا جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها^(٢).

وقد صارت جيوش صاحب نجد في بلاد يام وفي بلاد السراة المجاورين لبلاد أبي عريش ومن تبعه من هذه الأجناس اغتبط بمتابعته وقاتل من يجاوره من الخارجين عن طاعته فبهذا السبب صار معظم تلك البلاد زاجعا إليه^(٣).

ويقول :

وفي سنة ١٢١٧ هـ. دخلت بلاد أبي عريش وأشرفها في طاعة صاحب نجد ثم تزلزلت الديار اليمنية بذلك واستولى أصحابه على بعض ديار تهامة وجرت أمور يطول شرحها وهي الآن في سريان وقد أفردت ما بلغنا من ذلك في مصنف مستقل لأن هذه الحادثة قد عمت وطمت وارتجفت لها أقطار الديار الشامية والمصرية والعراقية والرومية بل وسائر الديار لاسيما بعد دخول أصحاب النجدي مكة المشرفة وطرد أشرفها عنها ولله أمر هو بالغه. ثم في سنة (١٢٢٢) وصل إلينا جماعة من صاحب نجد سعود بن عبد العزيز لبعضهم معرفة في العلم ومعهم مكاتيب من سعود إلى الإمام المنصور بالله رحمه الله تعالى وإلى أيضا ثم وصل جماعة آخرون كذلك في سنة

(١) البدر الطالع، ج ٢ ص ٧.

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج ٢ ص ٥.

(٣) البدر الطالع ج ٢ ص ٦.

(١٢٢٧) ثم وصل جماعة آخرون كذلك في سنة (١٢٢٨) ودار مع هؤلاء الواردين ومع غيرهم من المكاتب ما لا يتسع المقام لبسطه^(١).

ويقول في ترجمة الإمام سعود بن عبد العزيز (وكان جده محمد بن سعود شيخا لقريته التي هو فيها فوصل إليه الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات). فأجابه وقام بنصره ومازال يجاهد من يخالفه وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريبا ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية وقام ولده عبد العزيز مقامه فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية والحسا والقطيف وجاوزها إلى فتح كثير من البلاد الحجازية ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب. وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود ثم قام بعده ولده سعود فتكاثر جنوده واتسعت فتوحه ووصلت جنوده إلى اليمن فافتتحوا بلاد أبي عريش وما يتصل بها، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبي عريش وقد تقدمت ترجمته وأمدوه بالجنود ففتح البلاد التهامية كاللحية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد وما يتصل بهذه البلاد ومازال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ويكتب إلي أيضا مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين. ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها^(٢).

ولنذكر قصيدته الجيدة التي رثى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما توفي ومطلعها :

مصاب دهي قلبي فاذكى غلائي وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلي

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج ٢ ص، ص ٨٧.

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج ١ ص، ص ٢٦٢-٢٦٣.

وانظر: الدرر السنية ١٢/ ٢٤-٢٥. وتذكرة أولى النهى والعرفان لابراهيم بن عبيد ١/ ٥٤-٥٥. وأثر الدعوة الوهابية لمحمد حامد الفقى ص ٧٨-٨٠. والشعريواكب الدعوة لابن خميس، بحث قدم إلى أسنوع الشيخ ص ٣-٢. والإمام الشوكاني مفسرا، رسالة دكتوراه إعداد محمد حسن بن أحمد الغامدي ص ٣٢ في جامعة أم القرى.

إلى أن قال :

إمام الهدى ماحي الردى، قامع العدى ومروى الصدى من فيض علم ونائل
وقال عنه :

إمام النورى علامة العصر قُدوتى وشيخ الشيوخ الحبر فرد الفضائل
محمد ذو المجد الذى عز دركه وجل مقاما عن لحوق المطاول
إلى عابد الوهاب يعزى أنه سلاله أنجاب زكي الفضائل
إلى أن قال :

لقد أشرقت نجد بنور ضيائه وقام مقامات الهدى بالدلائل
إلى آخر القصيدة وهي طويلة تنيف على المائة بيتا وأوردت منها شطرا في ترجمة
الشيخ فيمن رثاه رحمه الله ، وما أوردته هناك يناسب إirاده هنا ولكن تفاديا للتكرار
أحيل عليه .

وأما في العصر الحاضر ففي اليمن كثير من أهل السنة والجماعة وبعضهم كان
سبب هدايته إلى مذهب السلف هو ما تلقاه في جامعات المملكة ، وما سمعه من
مشايخ الدعوة وما توصل إليه من بحثه في ميراث الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه
الله فافتنع اقتناعا حرا بصحة عقيدة السلف الصالح ، وصار من الدعاة إليها وإلى
نشرها في بلاده .

أثرها في الشام :

وفي الشام كان لها أثر جيد وقد أطلعت على رسالتين صغيرتين أحدهما
بعنوان : النفخة على النفخة لمؤلفها الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري وقد
شغلت ٥٦ صفحة من الوسط ، والثانية بعنوان : نظرة في النفخة الزكية في الرد على
الوهابية مؤلفها أبو اليسار الدمشقي الميداني في ٣٤ صفحة من الوسط وكأنها ذيل
للأولى وتعليق عليها طبعتا في مجلد واحد سنة ١٣٤٠ هـ . بمطبعة الترقى بدمشق .

والأولى عبارة عن رد بليغ صدر من عالم محقق يتقي الله ، ويلتزم في رده الحكمة
والموعظة الحسنة والانصاف في الحاجة . جاء في أولها بعد البسملة والحمد لله ، والثناء
على الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أنه بينما كان سائرا في إحدى طرق
مدينة دمشق إذ بصر برجل عليه سيما العلم ويده رسائل يوزعها فأهداه رسالة وهو
يرتجف ويشير إلى أنه أبدع فيها كتب ، فذهب ناصر الدين إلى أحد مساجد البلد

ووجد أحد أهل العلم فيه فلما أبصره والرسالة بيده هز رأسه وقال ما هذه الرسالة؟ فأجابه بأنه رأى عنوانها وأن من حاكها أسماها (النفحة الزكية في الرد على شبه الفرق الوهابية) ومؤلفها يزعم أنه من أكابر علماء دمشق يقال له الشيخ عبد القادر الاسكندراني المنتحل لنفسه لقب الكيلاني، فأجابه ذلك العالم الذي في المسجد بأن مدعي هذه الرسالة إنما أغار على كتاب الفجر الطالع لجميل صدقي الزهاوي وعلى ما لفقه الشيخ دحلان فأخذ ما اختاره منها ولم يزد من عنده إلا أحرفا يسيرة فدهش ناصر الدين وأخذ الرسالة يتصفحها ثم رآها على غير قاعدة المحققين، وإنما هي تلفيقات فانتدب لنقضها بأسلوب العالم المتزن ومسلك المحقق الذي بينه كمنهج لرده. ويمكن تلخيصه، بنقاط هي :

- ١ - أن المحققين ينزهون أنفسهم عن السباب والشتم لمن يردون عليه.
 - ٢ - يجعلون نصب أعينهم قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ .
 - ٣ - وأن من يرد على أحد في كلامه يأخذ جملة من كلامه فيبين الغلط فيها ثم جملة وجملة حتى يستوفي الكلام بلا تحامل ولا اعتساف.
 - ٤ - وأن يتلو قوله تعالى : ﴿ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ .
- ولكن صاحب الرسالة كما قال ناصر الدين لم يسلك في رده ذلك المسلك فأراد ناصر الدين خدمة الحقيقة فقال إن صاحب النفحة صدر رسالته بما لفقه الشيخ أحمد دحلان في آخر تاريخ أمراء البيت الحرام وسلك موطىء قدمه حذو النعل بالنعل بلا تأمل ولا تدبر، ولا شك أن الله تعالى يجمع الكل يوم القيامة ثم ينبتهم بما كانوا يعملون.

قال ناصر الدين : وقبيح بمؤلف يملأ كتابه بالافتراء والتعدي وفي قصة الافك أعظم رادع لمن كان يؤمن بالله ورسوله، ويطلب النجاة لنفسه فيحاسبها خاليا، ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ . ومهما تملق المتملقون، واستتر المراؤون فإن الله لا تخفي عليه خافية، ولا بد أن يشف الباطل عن الحق، فيظهر ناصعا واضحا، وإليك جملا من كلام صاحب الرسالة تدل على افتراءه بما ادعاه.

إلى أن قال : «ومن طبعه الوقوع في أعراض الناس يرى لذلك لذة ولا يحلو في ذوقه إلا الغيبة والنميمة واتباع الهوى» ثم نقل عنه قوله عن محمد بن سعود . أمير الدرعية بلاد مسيلمة فقال ناصر الدين له : «هب أننا سلمنا أنها بلاد مسيلمة فما الذي

تراه من ذمها؟ أليست مصر كانت بلاد فرعون وهامان وقارون؟ وما الاسكندرية إلا من بعض بلاد مصر؟ أليست بابل كانت بلاد نمرود؟ أليست مكة كانت موطن أبي جهل وأبي لهب وأضرابهما؟ أليست فلسطين كانت بلاد قوم لوط؟ .

هل ضر هذه البلاد شيء من ذلك؟ أم هل تناقص قدرها؟ ألم تعلم أن أول من أسس هذا القياس من أخبر الله عنه أنه قال: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)؟ وما اخاك يربكك الله إلا أنك بعد هذا تتبع الحق وتحسن النظر في القضية .

وقال ناصر الدين عن صاحب الرسالة أنه قال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ومن أخذ عنهم الشيخ محمد حياة السندی والشيخ محمد بن سليمان الكردي وكانا يتفرسان فيه الالحاد ويحذران الناس من دسائسه» فقال ناصر الدين: أقول «لو أنصف لعلم أنه يطعن في هذين العالمين وذلك أن كلا منهما أجاز ابن عبد الوهاب باجازه مطولة، وأجاز له أيضا الشيخ عبد الله بن إبراهيم نزيل المدينة والمشهور بها كما ذكره صاحب كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق، وأخذ أيضا عن الشيخ اسماعيل العجلوني محدث الديار الشامية والشيخ علي أفندي الداغستاني وكلهم أجاز له . فكيف يتفرسان فيه الالحاد ويحذرانه ويمدحانه في أجازاتهم وهل هذا إلا مكابرة؟ إلى غير ذلك مما افتراه من غير دليل ولا ثبت، سوى سوء الظن بذلك الرجل فالله يلهمنا رشدنا ويهدينا سواء السبيل . وقال ناصر الدين: (ادعى ذلك الكاتب أنه يتعجب من شرذمة تروج في دمشق العقيدة الفاسدة والآراء المضللة الخ).

فقال ناصر الدين يا الله العجب . هل من يدعو إلى الله ورسوله ﷺ وإلى عقيدة السلف يعد ضالا مضلا؟ والذي يدعو إلى الترهات يعد صالحا؟ . على رسلك تمهل وانظر ما كان عليه السلف الصالح والأئمة المجتهدين من الاعتقاد، وتأمل مقالات أبي الحسن الأشعري في الإبانة وعقيدة الإمام الطحاوي، وما قاله الإمام البيهقي في كتاب الأسماء والصفات، وما قاله الإمام الذهبي وغيرهم من أساطين العلماء في التوحيد ثم ارجع إلى نفسك وقل ما شئت وتأمل أيضا ما قاله علماء المذاهب الأربعة الموثوق بهم فيما الناس عليه من البدع ثم احكم بما شئت (ألم يأتك والأنباء تنمى) ما قاله الإمام الشاطبي وابن الحاج في المدخل وأبو شامة في كتابه الباعث وابن وضاح وغيرهم من الأئمة، فإن كنت تعد أمثال هؤلاء وهابية فيا برد الذي قالت على كبدى .

وهكذا يمضى حتى أجهز على نفحته التى ليست بزكية بنفخة أطارتها .
وكذلك الرسالة الثانية والتى عنوانها : نظرة في رسالة النفحة الزكية في الرد على شبه
الفرقة الوهابية مؤلفها أبو اليسار الدمشقي الميداني .

قال إن صاحب هذه النفحة تناول في ذمه النجديين والشاميين ، وأذى في سبه
وشتمه الأحياء والأموات ، وجعل في طليعة نفحته ترجمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى ما أظن أن أحداً ممن رزق حظاً من التحقيق والمعرفة بحال المترجم
وجانباً من الانصاف يرضى عنها ، لاسيما إذا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .
وقال : لا أحب أن أخوض معه فيما كتبه عن الوهابيين ومن يتهمة بالانتساب
إليهم من الدمشقيين ، فإن السب لا يعمد إليه إلا عاجز أو صاحب هوى .

ثم نقل عنه قوله : فوا خجلتاه كيف يروق للشرذمة المنتسبة إليهم الموجودة في
دمشق المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعة لسكان البوادي وتفتتن بعقائدهم
البديهة البطلان ، مع أن فيهم من ينتسب إلى العلم ، ويدعي الفهم ؟ إلى أن قال :
كيف افتتنوا بتلك الترهات ، وانخدعوا بالمموهات ، ونهضوا يروجون تلك العقائد
الزائفة ، والأضاليل الباطلة ، ويبثون في أفكار العوام هذا المذهب الذى أطبقت عقلاء
الأمة على فسادهم . أ. هـ . قال أبو اليسار : أقول هذه جمل من عباراته العالية ، وآدابه
السامية ، في وصف إخوانه الدمشقيين — دع النجديين وما وصفهم به — عرضناها
على القارئ الكريم ليعرف بها مبلغه من الأدب ، ودرجته من الحرص على جمع
الكلمة والتأليف بين المسلمين في هذا اليوم الأيوم .

وقد نقل لنا غير واحد عن هذا الرجل أنه صار في درسه يذم بعض علماء دمشق
وغيرهم من أموات وأحياء ويصرح بأسائهم وأساء بعض محلاتهم وأحيائهم وينفر
ممن أخذ العلم عنهم ، أو سمع شيئاً منهم . إلى أن قال :

ثم ليت شعري كيف يتهم الفئة الدمشقية بالانتساب إلى الشيخ محمد بن عبد
الوهاب وجماعته ، ثم يقول بعد : وقد سألت رجلاً منهم (يعني الدمشقيين) عن مذهبه
يوماً : أشافعي أو حنفي ؟ فأجابني بأنه أثنى يعني لا ينتسب إلى أحد من المجتهدين
رضي الله عنهم . أ. هـ .

فإذا كنت تفسر قوله بأنه اثنى بعدم الانتساب إلى أحد من الأئمة المجتهدين
أنفسهم (رحمهم الله تعالى ورضي عنهم) فكيف تنسبه إلى رجل من أتباع أحمد بن

حنبل وهو محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى) وكيف يمكنك أن تطابق بين الدعوى والدليل؟ .

ثم كيف جاز لك أن تملأ رسالتك من دعوى أن الوهابين قاطبة يكفروننا ويزعمون أنا مشركون وها نحن أولاء نراهم في مساجدنا يصلون خلف أئمتنا مقتدين بهم ، ولا تكاد تدخل مسجدا من المساجد وقت الصلاة إلا وتجد بعضهم يؤدى الصلاة فيه مؤتما بإمامه؟ فإذا كانوا يرموننا بالشرك كما زعمت فكيف يقتدون بنا ويصلون معنا؟ وهب أنه كان التطرف والرمي بالشرك والكفر من بعض جهالهم وغلاتهم فهل يصح أن يؤخذ الكل بذنب البعض ، ألم يقل تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وهل يمكنك أن تبرئ جهالنا وغلاتنا من مثل هذا التطرف؟ ولم لا تنصح لعوامنا وتندد بهم وترجرهم عن تكفير غيرهم كما فعلت بأولئك؟

ثم ما معنى قوله : كيف يروق للشرذمة المنتسبة إليهم الموجودة في دمشق ، المتصفة بالتمدن والحضارة أن تكون تابعة لسكان البوادي؟ أي مدخل للتمدن والحضارة فيما نحن فيه؟ أليس الكلام في التوحيد وما دخله من البدع؟ أليست العقائد والعبادات من الدين الذى أكمله الله تعالى على يد رسوله ﷺ أليس مبنى الدين على الاتباع المحض؟ هل يجوز فيه التغيير والتبديل والزيادة والنقصان؟ ما معنى التمدن والحضارة في هذا المقام؟

ثم أي تمدن وحضارة تعني؟ إن كنت تعني مدنيتنا وحضارتنا في هذا الزمان فالجواب أنا لا نرى أثراً لهذه المدنية بيننا لا في اختراع ولا في صناعة ولا زراعة ولا تجارة وإن كنت تريد مدنية أسلافنا فلا يحق لنا أن نفتخر بها ونحن قد أضعناها . ولقد تذكرت أن أحد الأوربيين كان يذكر لأحد أفاضل المسلمين ما انتهت إليه أوربا من البسطة في العلم ، والسعة في الملك ، والاختراع في الفن وبياهي بذلك ، فقال له المسلم لنا الفخر لأن هذا الرقي قد أخذتموه عن أساتذتكم العرب وهم آباؤنا . فأجابه الأوربي : لا حق لكم بهذا الفخر ونحن أحق به منكم لأننا أخذنا علوم سلفكم ونشرناها فكنا بعلمهم عاملين ، أما أنتم فقد أضعتموها وكنتم لهم عاقين .

قال أبو اليسار : وإن كنت ترى المدنية في الافتتان باللباس والتفنن بالطعام والشراب والاستكثار من الوظائف والمرتبات من أجل ذلك ، فهذا أقبح ما سرى إلى صنف العلماء من الأمور الذميمة ، وصدهم عن تخريج الطلاب في العلوم والأدب وتصنيف الكتب وإحياء العلوم . إلى أن قال وإن عند كثير من علمائنا الأغنياء من

العلوم والمال ما يستطيعون أن يخدموا به كثيراً من الطلاب ، فلو كانت همهم متوجهة لآحياء العلوم الشرعية والعربية لقاموا بهذه الوظيفة المقدسة حق القيام ، وإذا لازدهرت هاتيك العلوم في هذه الديار أيما ازدهار . وإنك لتجد بعض الشبان والكهول من المشتغلين المجدين الذين قضوا شطرا كبيرا من حياتهم في الجمع بين المعقول والمنقول ، والتدقيق في الفروع والأصول ، يفتشون عن وظيفة علمية تسند إليهم لينفعوا بعلمهم ويستزيدوا منه ويتمرنوا على العمل ، وليستعينوا بالمرتب على أمر معيشتهم فلا يجدون إلى ذلك سبيلا ، ولا من أحد من أهل العلم مساعدة ، ولو بالتخلي عن وظيفة ومرتب زائدين عن حاجتهم ، فيضطرون هناك إلى الاشتغال بما يقيمهم ذل السؤال والأمر لله .

وقد كان الواجب يتقاضى من يزعم الغيرة على الدين وأهله ، ويدعي أنه من حماة ودعاته ، أن يساعدهم بكل ما يمكن رحمة بهم ، وبمئات الطلاب التي كان يمكن أن تحصيل عندهم وتخرج على أيديهم .

من ذا الذي يخدم الدين للدين ، والعلم للعلم خدمة خالصة من كل شائبة لا يتقاضى عليها أجرا أوليس له في مقابلها شيء ؟ ألا ليت أصحاب الوظائف الموكول إليهم أمرها يقومون بها ويوفونها حقها كيلا يأكلوا أجورها من دون عمل وهي لم توقف أو تخصص إلا لمن عمل . ثم يقارن أبو اليسار بين الفريقين فيقول :

(حالنا وحال النجديين)

«إذا أردنا أن نقابل بيننا معشر أهل التمدن والحضارة وبين سكان البوادي النجديين الذين تزعم ، وتوازن بين سخائنا على نشر العلم وسخائهم وغيرتنا على الدين وغيرتهم ، وكانت حالنا ما قدمنا - ورأينا كثيرا من كتب العلم الديني قد طبعها تجارهم ، وجعلوها وقفا لله تعالى ، ووزعوا الألوف منها على المسلمين في عامة الأقطار ، سواء في ذلك أهل البوادي وسكان المدن والأمصار ، ولا يزالون دائبين على طبع الكتب النفيسة ، حريصين على نشرها مجاناً يخرجون بها الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة ولم تكن تلك الكتب من تأليف أهل نجد فحسب ، بل معها كتب أئمتنا واجلائنا الدمشقيين وغيرهم كابن تيمية وابن القيم وابن قدامة ، وهم يطبعونها ويوزعونها على المسلمين لا يريدون منهم جزاء ولا شكورا ، فأبي المدنيّين قد عم خيرها ، وظهر أثرها ، وحق أن يفخر بها أهلها المدنية التي أفسدت

علينا ديننا ومروءتنا، وسلبتنا جل أوصافنا الحميدة، وأكسبتنا أخلاقا ذميمة كالبخل، والكذب، والكبر، والبذخ، والرياء، وتقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، أم تلك المدنية الفطرية التي لم تشبها تنائية الفساد؟ بربك انصف ثم احكم.

وهكذا حتى انتهى منها فوق الحق وبطل ما كانوا يأفكون. وقد نقلت ما نقلت من هاتين الرسالتين لأبين كيف يعاني أصحاب العقيدة السليمة عقيدة السلف الصالح وكيف يعاني من تأثر بالحق والتزمه حيث لا سلطان له، وكيف يتكلمون بالحق وليس معهم سيف ولكن الله يؤيدهم بلطفه ويسر لهم من ينصرهم كما نصر الذين من قبلهم ويستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم.

وقد كتب الإمام الملك عبد العزيز كما ذكرنا في الفصل الرابع لها كتابا يحمد الله فيه إلهما على ما من به عليهما من معرفة الحق والبصيرة فيه ومعه هدية هي مجموعة الهدية السنوية التي جمعها الشيخ سليمان بن سحمان ويوصيها بلزوم الحق والاستمرار والصبر عليه ويؤيدهما ويدعو لهما ويشكرهما على ذلك. وتقدم أيرادنا نص رسالته^(١).

وفي مقدمة هذه المجموعة التي كتبها الشيخ سليمان بن سحمان يقول بعد البسملة والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

(أما بعد) فقد وقفت على ما كتبه العالمان الجليلان التقيان المنصفان الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثرى نزيل دمشق والشيخ أبو اليسار الدمشقي الميداني على ما افتراه... الاسكندراني، مما لفته من الأكاذيب الشنيعة، والمفتريات الواهية الوضيعة، أو تلقاه عن جميل أفندي البغداد^(٢). وقد اعتمد هذا وغيره في كل ما

(١) انظر: ص ٥٩٣ من هذا البحث.

(٢) قال محمد رشيد رضا هو جميل الزهاوي المتفلسف الذي طعن في الشريعة بأشد ما طعن في المستمسكين بعروتها من أهل نجد وقد نشر طعنه وإنكاره لتعدد الزوجات وقسمة الميراث في الأسلام في جريدة المؤيد المصرية فكفر بها العلماء الكثيرون.

افتروه على ما لفقه إمام ضلالتهم أو بدعتهم أحمد بن زيني دحلان^(١). من الخرافات والخزعبلات، التي لا تصغى إليها إلا القلوب المغفلات ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾ (فاطر: ٨) وقوله تعالى: ﴿ ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون ﴾ (الأنعام: ١١٣).

فلما تصدر وانتصب هذا الرجل لعداوة أهل الإسلام أتباع الملة الحنيفية والطريقة المحمدية، وشرق بهذا الدين، الذي من الله به على إخواننا الدمشقيين لما تبين لهم حقيقة ما عليه أهل الإسلام الموحدين من أهل نجد المشهورين بالوهابية وأنهم كانوا على ما كان عليه سلف هذه الأمة وأئمتها من اخلاص العبادة لله رب العالمين وترك عبادة ما سواه مما كان عليه أهل الكفر والشرك برب العالمين، وإنكار البدع المحدث في الدين، وكتب ردا على الوهابية، المستمسكين بالطريقة المحمدية والملة الحنيفية، ورماهم بما هم برئون منه من هذه الأكاذيب والأوضاع، التي تمجها الطباع وتستك عند سماعها الأسباع، ويثس ما انتحله من الأكاذيب والأوضاع الوبية، وقد تبع فيها أقوال قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل.

رد عليه هذان العالمان الجليلان، وغارا لله وللمسلمين من تلفيق أهل الكذب والبهتان، فأزالا بما كتبا من الرد عن القلوب صداها، وأماطاه عن العيون قذاها. فجزاهما الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء، فلما قرأناها وتأملناها علمنا وتحققنا أن في الروايات خبايا، وأنه قد بقي من فحول الرجال بقايا فله الحمد وله الشكر والمِنَّة.

ثم اعلّموا أيها الإخوان، أنا على ما كان عليه أئمتنا أهل الإسلام، والعلماء الأئمة الأعلام، الذين ينفون عن كتاب الله وسنة رسوله تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، كشيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، وتلميذه شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) والحافظ الذهبي الشافعي والعماد ابن كثير الشافعي، ومحمد بن جرير الطبري، والحافظ الإمام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي^(٢)

(١) قال محمد رشيد: هو الذي كان مفتيا في مكة زمن ظهور الدعوة وكتب ما كلفه كتابته سادته وموظفوه من الأمراء والحكام، من غير تبين ولا تثبت فيما جاء به أولئك الفساق الطغام.

(٢) قال محمد رشيد: إنما خص هؤلاء بالذكر لما في كتبهم المتداولة من النصوص الواضحة.

وغيرهم من علماء أهل الإسلام الذين هم القدوة، وبهم الأسوة، وقد كان لهم قدم صدق في العالمين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرا. وقد سلك شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على طريقهم وسار على مناهجهم وأثرهم في الدعوة إلى الله وإقامة حججه وبياناته، وساعده على ذلك أئمة أهل الإسلام من آل سعود رحمهم الله. فنصروه وآووه وجاهدوا في الله حق جهاده، حتى ظهر دين الله وانتشر في البلاد والعباد فله الحمد وله الشكر.

ثم اننا لما تحققنا ما أنتمأ عليه من الحق والتحقيق، وسلوك طريقة أهل الهداية والتوفيق، أحببنا أن نهدي إليكما ونخبركما بما كنا عليه من المعتقد وما ندين الله به وما كان عليه أئمتنا من مشايخ أهل الإسلام، وما قالوه وما قلناه في ذلك نظما ونثرا، والله المسئول المرجو الاجابة، أن يسلك بنا وبكما وإخواننا الموحدين طريق الاصابة، وأن يجزل لنا ولكما الأجر والاثابة، انه ولي ذلك والقادر عليه وإليكما وإلى جميع إخواننا المسلمين، ما نهديه ونرفعه ليعلم حقيقة ما كنا عليه بعد علم اليقين عين اليقين. انتهى^(١).

فما من شك ولا ريب أن هذا النشر والبيان لعقيدة الشيخ وأنصاره له أثر كبير في نشر عقيدة السلف الصالح في الشام وتمكين الله أنصارها في الأرض، ونصرهم لما نصروا دين الله ورسوله ﷺ.

ونجد من علماء الشام الشيخ محمد بهجة البيطار الذي عينه الملك عبد العزيز رحمه الله مديرا لدار التوحيد بالطائف أول ما أنشئت ومن مؤلفاته «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، محاضرات ومقالات ودراسات، ونشره المكتب الإسلامي بدمشق عام ١٣٨٠هـ»:

ويرد في هذا الكتاب على (الفريد غيوم) في كتابه الإسلام، ترجمة محمد مصطفى هدارة، والدكتور شوقي اليماني السكري الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨م بالقاهرة ومن رده عليه رده ما جاء في ص ١٠٠ من كتابه، وهو قوله: (في المملكة الوهابية) (حيث يسود المذهب الوهابي) قال محمد بهجة البيطار: الجواب: ليس للوهابية، ولا للإمام محمد بن عبد الوهاب مذهب خاص، ولكنه رحمه الله كان مجددا

(١) الهداية السنية والتحفة الوهابية النجدية لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الخنيفية والطريقة المحمدية جمع الشيخ سليمان بن سحان ص، ص ٨٦.

لدعوة الإسلام، ومتبعا لمذهب أحمد بن محمد بن حنبل^(١).
هذا وللمكتب الإسلامي في دمشق وبيروت نشاط ملموس في طبع ونشر مؤلفات الشيخ وسائر مؤلفات السلف الصالح.
ومن تعليق للأمير شكيب أرسلان من أهل الشام على الوهابية على حد تعبيره نقتطف من قوله ما نصه: (ولكن المقرر أنها حركة انابة إلى العقيدة الحق وهدى السلف الصالح واقتفاء أثر رسول الله ﷺ والصحابة، وبند الخرافات والبدع وحظر الاستغاثة بغير الله ومنع التمسح بالقبور والتعبد عند مقامات الأولياء، ولذلك يسمونها عقيدة السلف، ويلقب الوهابيون أنفسهم سلفيين، وأكثر اعتمادهم في الاجتهاد على الإمام أحمد بن حنبل، والإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية^(٢). أ. هـ. وشكيب أرسلان عضو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، وكانت له صلة وثيقة بمحمد رشيد رضا، وقد قابل الملك عبد العزيز أثناء رحلته إلى الحجاز سنة ١٣٥٤هـ^(٣). وقال: (لله در الملك ابن سعود يقول: ما أخشى على المسلمين إلا من المسلمين ما أخشى من الأجانب كما أخشى من المسلمين، وهو كلام أصاب كبدا الصواب، فانه ما من فتح فتحه الأجانب من بلاد المسلمين إلا كان نصفه أوقسم منه على أيدي أناس من المسلمين، منهم من تجسس للأجانب على قومه، ومنهم من بث لهم الدعاية بين قومه، ومنهم من سل لهم السيف في وجه قومه، وأسأل في خدمتهم دم قومه).

وقال محمد رشيد رضا مضيفا إلى ما نقله شكيب أرسلان عن الملك عبد العزيز من كلام صائب انه في حفل حافل بحجاج الأقطار - وقد طالب مصرى أزهرى الملك عبد العزيز بمحاربة الأنكليز والفرنسيين المعتدين على المسلمين ذاكرا عداوتهم، لهم فقال الملك عبد العزيز: الأنكليز والفرنسيين معذورون إذا عادونا لأنه لا يجمعنا بهم جنس ولا دين ولا لغة ولا مصلحة. ولكن المصيبة التي لا عذر لأحد فيها أن المسلمين

(١) حياة شيخ الاسلام ابن تيمية، بقلم محمد بهجة البيطار ص ٢٠٠.

(٢) هامش حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٢٦٤.

(٣) انظر: الاعلام للزركلي، ج ٣ ص ١٧٣-١٧٥. وانظر كتابه: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم،

تأليف الأمير شكيب أرسلان مقدمة ص، ص ٢٥-٢٧.

أصبحوا أعداء أنفسهم ، وأنا والله لا أخاف الأجانب وإنما أخاف من المسلمين ، فلو حاربت الأنكليز لما حاربوني إلا بجيش من المسلمين^(١).

وهذا محمد كرد علي من أهل الشام في كتابه (القديم والحديث) منتقيات من مقالاته ، وهو عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق يقول :

وما ابن عبد الوهاب إلا داعية ، هداهم من الضلال ، وساقهم إلى الدين السمح وإذا بدت شدة من بعضهم ، فهي ناشئة من نشأة البادية ، وقلما رأينا شعبا من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والاخلاص ، مثل هؤلاء القوم .

وقد اخترنا عامتهم وخاصتهم ، سنين طويلة ، فلم نرهم حادوا عن الإسلام قيد غلوة ، وما يتهممهم به أعداؤهم ، فزور لا أصل له^(٢).

أثرها في بلدان الخليج العربي :

نجد في قطر أن حكامه آل ثاني كانوا يسهمون إسهاما كبيرا في طبع مؤلفات علماء السلف الصالح ولا تنكر صلتهم الوثيقة بأنصار عقيدة الشيخ من قديم وكان في قطر من العلماء الذين يحملون عقيدة سلفية سليمة ، ولهم دور لا ينكر في ذلك الأثر الحميد ، كالشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع الذي كان مديرا عاما للمعارف في المملكة العربية السعودية ثم طلبه أخيرا حكام قطر ، ليستفيدوا من علمه ، ويشير عليهم بما كانوا متقبلين له ، من نصر لعقيدة السلف الصالح ونشر لكتبهم كمجموعة التوحيد النجدية وكتب فقه الحنابلة وغيرها .

وأخيرا يخرج إلينا كتاب للشيخ أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي قاضي المحكمة الشرعية بقطر ، قدم له وصححه ساحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وأمر بطبعه الملك فيصل بن عبد العزيز ، عام ١٣٩٥ هـ . وهو عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه ، وهو كتاب علمي جيد ، من أجود ما كتب في هذا الموضوع ، قال في مقدمته : ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الداعي إلى توحيد الله تعالى من المجددين العدول والمصلحين

(١) انظر : كتاب : لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم ، تأليف الأمير شكيب أرسلان ص ٦٣ .

(٢) نقلا عن كتاب : الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ص ٩٦ . وانظر الاعلام للزركلي ج ٦ ص - ص ٢٠٢-٢٠٣ .

المخلصين قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين ﷺ، وقام بنبذ البدع والمعاصي وعبادة الأولياء والصلحاء والأشجار والغيران، ويأمر بإقامة شرائع الإسلام المتروكة وتعظيم حرمانه المنتهكة.

ومع ذلك فالناس لازالوا من عصره إلى اليوم بين ماذح وقادح. ثم يبين أن السبب في القدح هو دعاية الأتراك وأشراف مكة في ما مضى ضد ما قام به الشيخ وأنصاره والتي نالت رواجاً وانتشاراً في الأقطار الإسلامية وتأثر بها الأكثرون، بالإضافة إلى كتب ألفها بعض أدعياء العلم ينقدون عقيدة الشيخ وأنصاره بما لفق عليها من غير تثبت وراجت الدعاية لدى الجمهور وظنوا أنها صحيحة.

وقد جهل أولئك المؤلفون أو تجاهلوا: أن الواجب على الشخص ولاسيما من انتسب إلى العلم - أن لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب أو طائفة حتى يثبت لديه بأنه يسمع من ذلك المنسوب إليه ما أذيع عنه، أو يقرأ كتابه ويتأكد من صحة نسبة الكتاب إليه، وهكذا القول فيما سمعه عن مذهب أو طائفة.

ثم يقول الشيخ أحمد بن حجر: أما في هذا العصر، فقد خفت وطأة تلك الدعاية السيئة، وعرف كثير من العقلاء في سائر الأقطار والبلدان، حقيقة دعوة الشيخ وصحتها، وذلك بفضل انتشار العلم والوعي في العالم، وبفضل ما اتصفت وأشتهرت به الدولة السعودية من التوحيد، وتحكيم الشرع المبين، وإقامة شعائر الإسلام، وإقامة الحدود الشرعية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونشر العدل والأمان، وتمسكها بالسنة الصحيحة والقرآن ومحاربة أهل البدع، والاهتمام بالعلم والتعليم، ونشر المدارس والمعاهد والكلية في سائر أرجاء المملكة العربية السعودية، وفتح الأبواب للطلاب الوافدين من مختلف البلدان، وإعانتهم بالوسائل النافعة الكافية، كما اشتهرت بالكرم والبذل، لجميع الوافدين إليها من غير فرق بين مذهب وبلد وعنصر.

ثم قال الشيخ أحمد: وبالرغم مما قلنا من انتشار الوعي واتصاف الدولة العربية السعودية بتلك الصفات الكريمة، لازال كثير من المنتسبين إلى العلم، فضلاً عن العوام، يزعمون أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، لم يكن على الصواب، وأن الفئة الوهابية، تكفر المسلمين، ولا ترى للأنبياء مقاماً ولا احتراماً ولا شفاعة كما لا تحترم الأولياء والصالحين ولا ترى زيارة قبر الرسول ﷺ ولا غيره. إلى غير ذلك

من الأقاويل الزائفة التي لاتعتمد إلا على الوراثه والسماح عن الماضين الجاهلين ،
والاغترار ببعض كتب المخرفين .

قال : فمن أجل ذلك رأيت أن أكتب في سيرة الشيخ المجدد لما اندرس من
معالم الإيمان والإسلام ، وعقيدته ، ودعوته الاصلاحية مؤلفا وسطا ، اعتمدت فيه
على ما ذكر المؤرخون لنجد كابن غنام ، وابن بشر ، والآلوسي ، والريحاني وغيرهم ممن
ذكر الشيخ ودعوته في ثنايا كتبهم كما اعتمدت على بعض رسائل إمام الدعوة وأبنائه
وأحفاده ، وسأختمه - إن شاء الله - بثناء العلماء الراسخين ، وبعض المؤرخين
المحققين من المسلمين والغربيين ، على ذلك الإمام الجليل الذي شغل عصره ،
وبعده بعلومه وآرائه واصلاحه . ودعوته المقيدة بالكتاب والسنة والذي دوى صوته
بعلومه ودعوته في نجد وفي الخارج ، وجادل وناضل بقوة جنانة وفصاحة لسانه ،
وواضح برهانه^(١) .

وللشيخ محمد بن حسن المرزوقي القطري رد على النبهاني في تهجمه على شيخ
الإسلام ابن تيمية ومحمد رشيد رضا ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(٢) .

أما عن أثرها في البحرين :

فننقل قصة طريفة جرت ابان نكبة الدرعية والتجاء بعض علماء الدعوة إلى
البحرين وإلى عمان وغيرهما .

قال الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في مقدمة
الطبعة الثالثة لكتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، تأليف الشيخ
عبد العزيز بن حمد بن ناصرين عثمان بن معمر في قصة تأليف الكتاب المذكور ما
ملخصه (ان الأنكليز أرسلوا مندوبا إلى البحرين من القسس ، ليعمل على بث
الدعاية النصرانية وشكوكها ، لفتنة الناس في البحرين عن دينهم ، كما هي سياسة
أعداء الإسلام من الصليبيين في الشرق الإسلامي كله ، فقام ذلك القسيس بتأليف
كتاب ضمنه شبهاتهم حول الإسلام ، ودفعه إلى أمير البحرين عبد الله بن خليفه

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي ص، ص ١٠-١٣ .

(٢) ترجمة الآلوسي في أول كتابه غاية الأمان في الرد على النبهاني ، بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل

وطلب منه أن يعرضه على المشايخ ليقولوا رأيهم ، فرد عليه الشيخ عبد العزيز بن حمد آل-معمربكتابه: «منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب» ودفعه إلى أمير البحرين ففرح به الأمير أشد الفرح ودعا القنصل الأنكليزي القسيس وأعطاه الرد فأندهش جدا لأنه كان يظن عجز علماء البحرين ، ثم قال : (هذا الرد لا يكون من هنا ، وإنما هو من البحر النجدي)^(١)

ولعل ما نقلناه فيما تقدم بين لنا مدى أثر عقيدة الشيخ السلفية في نشر الحق والعمل به واتباع السلف الصالح في منهجهم الاصلاحى والحكم بعدل وانصاف على عقيدة الشيخ السلفية في تلك الربوع الخليجية وغيرها .

أثرها في العراق :

وإذا جاوزنا الخليج إلى العراق فلإننا نجد مدرسة أهل السنة والجماعة يتصدرها آل الألوسي أمثال العلامة نعمان خير الدين الألوسي ، والعلامة محمود شكري الألوسي .

أما نعمان خير الدين الألوسي الشهير بابن الألوسي البغدادي ولد سنة ١٢٥٢هـ . وولي القضاء في أماكن متعددة في العراق ثم ترك المناصب ، وزار مصر في طريقه إلى الحج ثم الاستانة ومكث سنين هناك ثم عاد يحمل لقب رئيس المدرسين فعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي ببغداد سنة ١٣١٧هـ . وله مؤلفات كثيرة ويعيننا منها مؤلفه : شقائق النعمان في رد شقائق ابن سليمان ويعنى داود بن سليمان بن جرجيس وسيأتى طرف من خبره . وكذلك مؤلفه الآخر المشهور جلاء العينين في محاكمة الأحمدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، وأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي وهودفاع عن شيخ الإسلام ابن تيمية ما اتهمه به وتهجم به عليه أحمد بن حجر وقد أقذع ابن حجر في السباب والتهتم والمهاترة تجاه شيخ الإسلام من غير دليل ولا حجة ولكن عمى البغي وصمم الهوى ، يدفعان صاحبهما إلى مجاوزة حدود أدنى العقول^(٢) .

(١) انظر : كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، ط ٣ منشورات دار تثقيف بالطائف ، ص ٥٣ .

(٢) انظر : جلاء العينين : ص ١٦-٣٧ ، وص ١١٩ وغيرها .

أما صاحبنا نعمان الألوسي فكما قال فيه بهجت الأثرى في كتاب أعلام العراق كان عقله أكبر من علمه، وعلمه أبلى من أنشائه وأنشأه أمتن من نظمه، وكان جوادا، وفيما، زاهدا، حلو المفاكهة سمح الخلق^(١).

وقد انتهج في انتصاره لشيخ الإسلام ابن تيمية في عقيدة السلف الصالح أسلوب المناقشة في هدوء واقامة الدليل، وتوضيح الحجة، وسطوع البرهان بروح العالم الراسخ، والعقل الثابت، وهذا منهج يرتضيه علماء السلف الصالح من أهل السنة والجماعة^(٢).

وأما العلامة محمود شكري الألوسي أبو المعالي فهو ابن أخي نعمان خير الدين الذي تقدم ذكره ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف من الهجرة أبوه عالم أديب وكاتب بارع اسمه عبد الله بهاء الدين، وأما جده فهو الإمام محمود شهاب الدين صاحب التصانيف المشهورة وأشهرها روح المعاني في التفسير وقد أخذ محمود شكري العلم عن أبيه وتأثر به في حسن السمات، وصفاء الطوية، وحب الأدب والعلم، ولما توفي أبوه عام ١٢٩١ هـ. كفله عمه العلامة نعمان خير الدين الألوسي الذي سبق ذكره آنفا ثم أخذ العلم من مشايخ بغداد وجد واجتهد في مواصلة الدرس ومتابعة البحث، وكلف بالتاريخ والسيرة واللغة، وزاول الكتابة، له الاطلاع الواسع، والمادة الغزيرة والتحقيق النادر، والرأي الصائب، وتصدر للتدريس في داره، وفي جامع عادل خاتون، وعين مدرسا رسميا في جامع الحيدرية، ثم في جامع السيد سلطان علي، ثم عين مدرسا في مدرسة مرجان، وجعل رئيس المدرسين، ونفع الله به وتخرج منها خلق كثير^(٣).

وله نشاط في إحياء الكتب الدينية، ونشر مذهب السلف وله اليد الطولى في اذاعتها ونشرها، وكان يرى أن مذهب السلف هو الوسيلة الوحيدة لتحرير العقول من رق التعصب الذميمة ولم يكن يحب الفخر والظهور، وإنما يرمي إلى حصول الغرض من أي طريق، مباشر أو غير مباشر، وكان يحمل على أهل البدع في درسه

(١) انظر الاعلام للزركلي، ط ٤ ج ٨ ص ٤٢ ومعجم المؤلفين العراقيين، كوركيس عواد ج ٣ ص ٣٩٩.

(٢) انظر مقدمة جلاء العينين للمدني، ص - ص ٦٢.

(٣) ترجمة مؤلف كتاب غاية الأمانى بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، ص، ص ٨٧.

وفي داره وفي المسجد ، ويرد عليهم برسائل فعاداه كثير من الناس ، وسعوا به لدى والي بغداد عبد الوهاب باشا ، فكتب عبد الوهاب إلى مرجعه السلطان عبد الحميد الثاني العثماني فصدر الأمر بنفيه إلى بلاد الأناضول ، فلما وصل إلى الموصل في سنة ١٣٢٠ هـ . قام أعيانها فمنعوه من تجاوزها ، وكتبوا للسلطان يحتجون ، فسمح له بالعودة إلى بغداد فعاد إليها ، وقد اتصل بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في نجد عام ١٣٣٣ هـ . وبحث مع الملك بعض الشؤون ثم عاد مكرما محترما . ولما كان في سنة ١٣٤٢ هـ . توفي في العراق رحمه الله^(١) .

ولأصالتهم في عقيدة السلف الصالح فإننا لنجد عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية لديهم يحكيها العلامة أبو المعالي . محمود شكري الألوسي في مؤلفه تاريخ نجد فقد قال رحمه الله أعلم أن أهل نجد كلهم مسلمون موحدون بل وجميع سكنة جزيرة العرب وقد دخلوا في الإسلام في العصر الأول عند ظهور أنوار الشريعة الغراء . وهم على عقائد السلف الصالح ثم ذكر اعتقادهم في الله تعالى وذكر اعتقادهم في الرسول ﷺ واعتقادهم في الآل والأصحاب إلى أن قال : (والحاصل أن مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وأن طريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم ، بل الأحكم) .

ثم ذكر : (وأنهم في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ولا ينكرون على من قلد أحدا من الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذهب الغير كالشيعة والزيدية والكرامية ونحوهم . إلى آخر ما حكاه في هذا الموضوع إلى أن قال :

وأما ما يكذب عليهم ستر الحق ، وتلبسوا على الخلق ، بأنهم يفسرون القرآن برأيهم ويأخذون من الحديث ما وافق فهمهم من دون مراجعة شرح ولا معول على شيخ وأنهم يضعون من رتبة النبي ﷺ وأنه ليس له شفاعاة وأن زيارته غير مندوبة وأنهم لا يعتمدون أقوال العلماء وأنهم يتلفون مؤلفات أهل المذاهب لكون الحق والباطل فيها وأنهم مجسمة ، وأنهم يكفرون الناس على الاطلاق من بعد الستائة إلى هذا الزمان إلا من كان على ما هم عليه ، وأنهم لا يقبلون بيعة أحد إلا إذا أقر عليه انه كان مشركا وإن أبويه ماتا على الشرك بالله وأنهم ينهون عن الصلاة على النبي صلى

(١) انظر: ترجمته في كتاب غاية الأمانى بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل ص ١٠-١١ .

الله تعالى عليه وسلم، وأنهم يحرمون زيارة القبور المشروعة مطلقا، وأنهم لا يرون حقا لأهل البيت، وأنهم يجبرونهم على تزويج غير الكفاء لهم - إلى غير ذلك من الافتراءات، فكل ذلك زور عليهم ويهتان وكذب محض من خصومهم أهل البدع والضلال بل أقوالهم وأفعالهم وكتبهم على خلاف ذلك كله. فمن روى عنهم شيئا من ذلك أو نسبته إليهم فقد كذب عليهم وافترى، ومن شاهد حالهم وحضر مجالسهم وتحقق ما عندهم علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه عليهم، وافتراه أعداء الدين، وإخوان الشياطين، تنفيرا للناس عن الازدعان لاخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص الله على أنه لا يغفره وأنه يغفر ما دون ذلك لمن يشاء. فانهم يعتقدون أن من فعل أنواعا من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق والزنى والربا وشرب الخمر وتكرره من ذلك لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الإسلام، ولا يخلد في دار الانتقام، إذا مات موحدا لله تعالى في جميع أنواع العبادة. . . والذي اعتقدوه في رتبة النبي ﷺ أن رتبته أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره حياة مستقرة أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل إذ هو ﷺ أفضل منهم بلا ريب. وأنه يسمع سلام من يسلم عليه، وأنه تسن زيارته غير أن لا تشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق أنفوس أوقاته بالصلاة عليه الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفي همه وغمه كما جاء في الحديث. وأنهم لا ينكرون كرامات الأولياء ويعترفون لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية، غير أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادة لا حال الحياة ولا بعد الممات. بل يطلبون من أحدهم الدعاء في حال الحياة بل ومن كل مسلم فقد جاء في الحديث «دعاء المرء مستجاب لأخيه» ويشبتون الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة حيثما ورد وكذا سائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حيثما ورد أيضا. ويسألونها من الله تعالى المالك لها والأذن فيها لمن شاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد فانهم يقولون متضرعين إلى الله تعالى: اللهم شفّع نبينا محمدا ﷺ فينا يوم القيامة أو عبادك الصالحين أو ملائكتك ونحو ذلك. ولا يلزم أن يكونوا مجسمة وإن قالوا بالجهة كما ورد الحديث بها. ويقولون فيمن مات تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون. ولا يقولون بكفر من صحت ديانتهم وأشتهر صلاحه وعلمه وورعه وزهده وحسنت سيرته وبالعالم في نصيح الأمة وإن كان مخطئا في هذه المسألة أو غيرها (كابن حجر

الهيتمي المكي) رحمه الله ، فانهم يعلمون كلامه في (الدر المنظم) ولا ينكرون سعة علمه ، ولهذا يعتبرون ما بقي من كتبه كشرح الأربعين والزواجر وغيرها ويعتمدون على نقله .

هذا ما هم عليه . وقد كتبوا في ذلك عدة رسائل خاطبوا بها من له عقل وعلم وهو متصف بالانصاف ، خال من الميل إلى التعصب والاعتساف ، ينظر إلى ما يقال ، لا إلى من قال .

وأما من شأنه لزوم مآلوفه وعاداته سواء كان حقاً أو غير حق مقلداً فهو من قال : ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ عاداته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال ، لا الرجال بالحق ، فلا يخاطب هذا وأمثاله فجنود التوحيد بحمد الله منصوره ، وراياتهم بالسعد والإقبال منشورة .

وما كتبناه في هذا الحاصل هو مضمون رسالة كتبها أحد فضلاء علماء نجد وهو الشيخ (عبد الله ابن العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) عليهم الرحمة ، وقد قرئت عند دخول الأمير (سعود بن عبد العزيز) في الحرمين الشريفين بمحضر علماء المذاهب الأربعة وبمسمع منهم . فمن الواجب على طالب معرفة الحق وإدراك الحقائق أن لا يبادر بالانكار قبل التبصر ، ولا يحكم على شيء قبل الوقوف على حقيقة الحال ، فالخطأ في ذلك عظيم .

فلا تحكم بأول ما تراه فأول ظالع فجر كذوبٌ

والقصص بما ذكرناه التنبيه على خطأ من نسب إلى القوم ما هم بريئون منه مما يخل بالديانة حتى أساء الظن بقسم عظيم من الأمة العربية وأنطوى على بغضهم الذي هو من أعظم أسباب النفاق .

وغالب من أشاع ذلك هم أهل البدع والأهواء الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعباً وكذبوا بأقوالهم وأفعالهم على الدين المبين الذي هو بعيد عنهم بمراحل . وهم الدجالون الجالبون على الإسلام كل عار ، وإلا فأهل الإيمان هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

ثم (ذكر مناظرة جرت بين عراقي ونجدي تحريراً) فقال :

هذه مناظرة اتفقت بين عالم عراقي من سكنة بغداد ، وبين فاضل كامل ، وعالم

عامل، من علماء نجد: كتب بها العراقي إلى العالم النجدي، فأجاب عنها بما سيأتي :

ولكونها تزيد الحق وضوحاً والواقع بياناً أدرجناها على سبيل التلخيص والاختصار ليتجلى بها الحق المستور، ويرد بها الباطل المشهور، رجاء الفوز بثواب ذلك إن شاء الله تعالى .

ثم ذكرها ويقصد بالعراقي داود بن سليمان بن جرجيس صاحب التلبس والذي زار عنيزة واتصل بالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين في أثناء عشرين ومائتين وألف وحصلت منه تشبهات لينصر دعواه : أن وقوع الشرك في الأمة المحمدية مستحيل ويزعم أن دعاء غير الله طلباً للزلفى عند الله ليس شركاً . ثم رد عليها الشيخ عبد الله المذكور بكتاب طبع سنة ١٣٤٤ هـ . بمطبعة الحلبي بعنوان : كتاب تأسيس التقديس في كشف تلبس داود بن سليمان بن جرجيس ، استوفى مائة وعشرين صفحة ثم طبع ملخصاً بعنوان الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين غنى بنشره الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ وكان طبعه بالمطبعة السلفية بالقاهرة واستوفى تسعاً وثلاثين صفحة : وقد رد عليه أيضاً شيخ المسلمين ومفتى نجد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ ، ولذلك ابنه الشيخ عبد اللطيف رد على داود هذا بمؤلف اسمه (منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس) .

والألوسي يعنى بالعالم النجدي الشيخ عبد اللطيف فان من مؤلفاته تنمة لمنهاج التأسيس الذي ألفه الشيخ عبد اللطيف ، وقد لخصها الشيخ الألوسي على شكل مناظرة فيقول :

قال السائل العراقي : ثم يورد قوله وبعد نهايته يقول : قال العالم النجدي : ثم يورد جوابه وبيانه حتى أتى على شبهات الخصوم أعداء التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، ثم ذكر الألوسي طرفاً من معتقد المغالين في القبور والصالحين وحقيقة ما هم عليه من الدين المخالف لدين المرسلين ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن ان كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والمن لئلا يلتبس الأمر بتسميتهم بكفرهم ومحالهم تشفعاً وتوسلاً واستظهاراً مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق ثم أخذ يبين ذلك .

ولما انتهى من البيان ، أخذ يقص شيئاً من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ويذكر طرفاً من أخباره، وأحواله ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره، فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان وأغواه وبأبلغ في كفره واستهواه ثم مضى في ذلك يقرر الحق ويبين الرشد ويقارن أقوال الشيخ بأقوال من سلف من علماء المسلمين وأئمتهم المهديين ونقل عبارة أبي الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين في نقله جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة، إلى نهايتها وهي قوله: «فهذه جملة ما يأمر به ويستعملونه ويروونه. وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وانتهى الألوسي من بحثه هذه المسألة عند ذلك^(١).

هذا ولالألوسي رحمه الله مؤلف جيد في نقض شبه المخالفين للرسول والسالكين غير منهج السلف الصالح من المسلمين والمؤمنين هذا المؤلف هو «غاية الأمانى في الرد على النبهاني» وكان قد ألفه ولم يصرح بذكر اسمه عليه، ولكنه كنى عنه: بأبى المعالى الحسينى وزاد عليها السلامي الشافعي لئلا يتضح اسمه خوفاً على نفسه، ويقول محمد رشيد رضا في تقريره: غاية الأمانى في الرد على النبهاني، كتاب مؤلف من سفرين كبيرين، لأحد علماء العراق الأعلام، المكنى بأبى المعالى الحسيني السلامي الشافعي، رد فيها ما جاء به النبهاني في كتابه شواهد الحق من الجهالات والنقول الكاذبة، والآراء السخيفة، والدلائل المقلوبة، في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى، وما تعدى به طوره في سب أئمة العلم وأنصار السنة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، إلى أن قال: وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية، في التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، والأدب، وما انفرد به بعض المشاهير فأنكره العلماء عليه، كالانكار على الغزالي وابن عربي الحاتمي وغيرهما. فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون إلينا في الشرق والغرب، يسألوننا أن نرد على النبهاني، وكذا من اغترأ بقوله ونقله وظنوا أن قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها أنه لا يوثق بعمله ولا نقله هو من قبيل السب، وحاشا لله ما هو إلا ما نعتقده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها، ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة والنقول المكذوبة، والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً وهو ينكر الاجتهاد،

(١) انظر: تاريخ نجد للألوسي ص - ص ٨٧-٤٠.

ويعترف بأنه ليس أهلاً له . انتهى كلام صاحب المنار^(١) . ولتأليفه هذا الكتاب دون أن يصرح باسمه عليه قصة ذكرها الشيخ محمد السبيل في ترجمته للألوسي فقال :

عندما عازمت على كتابة هذه الترجمة اتصلت بالعالم السلفي ، الشيخ محمد نصيف بجدة ، والذي كان له مساهمة فعالة في سبب تأليف الكتاب وطبعته الأولى ، فأفاد بما ملخصه : انه عندما ظهر كتاب النبهاني المسمى (شواهد الحق) وقرأه الشيخ محمد نصيف ، ورأى ما فيه من التلفيق والتحريف الواهي ، وتهجمه على المحققين من علماء السلف ، وتجويزه دعاء الأموات والاستغاثة بهم ، وغير ذلك ما يخالف صريح الكتاب وصحيح السنة ، عندما قرأه كتب للعالم العلامة الشيخ محمود شكري الألوسي ، يطلب منه أن يقوم بالرد على النبهاني ، ويدحض أباطيله ، وينتصر للحق وأهله ، فلم يمض سنة إلا وقد جاء الرد المسمى (غاية الأمانى في الرد على النبهاني) للشيخ محمود شكري الألوسي ، واتفق الشيخ محمد نصيف والشيخ عبد المقادر التلمساني - من تجار جدة المحسنين ، والعلماء السلفيين - على أن يقوموا بطبعه وتكاليف الطبع بينهما نصفين . وكان الشيخ التلمساني آنذاك في مصر ، فاتفقا أن يقوم بطبعه فرج زكى الكردي بمطبعته في مصر فقام بطبعته الأولى وقد وضع المؤلف على طرة الكتاب : تأليف أبي المعالي الحسيني ، إشارة إلى كنيته ونسبه الحسيني ، وزاد عليها السلامي الشافعي لئلا يتضح اسمه خوفاً على نفسه ، وذلك أن العلماء السلفيين في ذلك العصر يخافون على أنفسهم من معارضة أهل البدع والخرافيين - كالنبهاني وغيره - والسبب في ذلك أن السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية قد قرب المشايخ من أهل الطرق ، من الصوفية أنصار البدع ، فلذلك خاف السيد محمود شكري الألوسي من اظهار اسمه على طرة الكتاب ، وكذلك صاحب المطبعة فرج الله زكي خاف على نفسه ، ولم يذكر اسمه إلا رمزا (ف ، ج ، ز) ولا اسم مطبعته ، ولا البلد التي فيها المطبعة ، وكذلك الشيخ عبد القادر التلمساني والشيخ نصيف خافا على أنفسهما من نفس العلة ، لأن السلطان عبد الحميد في ذلك الوقت له النفوذ في بغداد ومصر والحجاز وهي البلدان التي فيها المؤلف والطابع والمطبعة ، ولهذه المضايقات والخوف عندما تم طبع الكتاب لم يتمكنوا من توزيعه إلا عندما أخذت حكومة اسطنبول بالقوانين الوضعية الأوروبية وأعلنت الدستور وكان الدستور

(١) المنار ١٢ ص ٧٨٥ نقلاً عن ترجمة مؤلف كتاب غاية الأمانى في الرد على النبهاني ، بقلم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل ، في نفس الكتاب ج ١ ص ١٠٩ .

يقضي بحرية العقائد والأديان ، فعند ذلك أرسلت حصة الشيخ محمد نصيف من الكتاب إليه في الحجاز ، ووزعها ، ووضع على كل نسخة وزعها اسم المؤلف بخط يده ، وكذلك الشيخ عبد القادر وزع نسخه في مصر وغيرها ، ثم ان الشيخ محمد نصيف عندما لم يخف من جراء اظهار الكتاب أعلن في جرائد بيروت في ذلك الحين أن لديه كتابا في الرد على النبهاني للشيخ الألوسي اسمه (غاية الأمان في الرد على النبهاني) ، ثم انبرى بعض تلامذة النبهاني وأعلن عن الرد ، وحاول أن يحط من قدر الكتاب ولكن كما قيل :

وقل للعيون الرمد للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع^(١)
وله مؤلفات كثيرة منها غير ما تقدم في خدمة السنة :

١ - الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى ، ألفه ردا على النبهاني لما شن الغارة في سب شيخ الإسلام ابن تيمية ، ورشيد رضا ، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

٢ - (فتح المنان) تتمة منهاج التأسيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

٣ - فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طبع بعنوان مسائل الجاهلية^(٢) .

وهذا في بغداد أحمد بن سعيد البغدادي قال في كتابه (نديم الأديب) :

كما نقله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز فقال : إليك أيها القارئ نص كلام أحمد سعيد منقولاً بتمامه من كتاب (نديم الأديب) ص ١١ (وأما) حقيقة هذه الطائفة فإنها حنبلية المذهب وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف وفيه تناقض كلي لمن اطلع عليه بتأمل لأن غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الأفرنجية فان كان المؤرخ المنقول عنه صاحب دراية وصادق الرواية تجد أن من يترجم كتابه يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الأصل وان كان المؤرخ غير صادق الرواية فمن باب أولى ومنهم من يقول ان هذه الطائفة تهى عن وصف النبي

(١) ترجمة مؤلف كتاب غاية الأمان ، في نفس الكتاب ج ١ ص - ص ٨-٩ .

(٢) انظر : ترجمة مؤلف كتاب غاية الأمان في الرد على النبهاني ، في أول الكتاب المذكور بقلم محمد بن عبد الله السبيل ص ١٠-١١ . ومعجم المؤلفين العراقيين تأليف كوكيس عواد ص ، ص ٢٧٤-٢٧٥ .

ﷺ بأوصاف المدح والتعظيم ويقول انها تؤمن بقدم القرآن^(١) وهذا يظهر بدهية التناقض لأن من يؤمن بقدم القرآن^(١) يؤمن بما فيه وفي القرآن الشريف مدح النبي عليه الصلاة والسلام قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وآيات غير هذه كثيرة أما ما نهى عنه محمد بن عبد الوهاب إنما هو الوصف بأوصاف الألوهية كالقدرة والارادة وعلم الغيب كما وصف النصارى عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام فقد قال عليه الصلاة والسلام : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » ومن أراد أن يعرف جلياً اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فانه مذهبهم وأما سبب حرب صاحب مصر لهذه الطائفة فقد ذكره المؤرخ الشهير الموسيو (سيديو) الفرنسي وكلامه هذا محذوف من ترجمة كتابه التي أمر بها المرحوم علي باشا مبارك وخلاصة معناه هي أن انكلترا وفرنسا حين علمتا بقيام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود وبانضمام جميع العرب إليهما لأن قيامهما كان لإحياء كلمة الدين، خافتا أن ينتبه المسلمون فينضمون إليهما وتذهب عنهم غفلتهم ويعود الإسلام كما كان في أيام عمر رضي الله عنه فيترتب على ذلك حروب دينية وفتوحات إسلامية ترجع أوروبا منها في خسران عظيم فحرضت الدولة العلية على حربهم وهي فوضت ذلك إلى محمد علي باشا وحصل ما حصل (ولكل أجل كتاب) وهذه الطائفة برئية مما ينسب إليها الجاهلون ومن سبها ياثم والله أعلم بغيبه وأحكم . انتهى ما كتبه المذكور في كتابه نديم الأديب بكماله^(٢) .

(١) القرآن كلام الله ، ونوع كلامه سبحانه قديم وأحاديثه محدثه وليس كل محدث مخلوق قال الله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنبياء : ٢) وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ (الشعراء : ٥) ويعنى بالذكر القرآن ، قال ابن كثير : أي جديد انزاله كما قال ابن عباس : « ما لكم تسألون أهل الكتب عما في أيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرأونه محضاً لم يشب » رواه البخاري ، انظر : تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٧٤ . وانظر : صحيح البخاري ، كتاب الشهادات باب ٢٩ ص ١٦٣ ، وكتاب الاعتصام باب ٣٥ ص ١٦٠ ، وكتاب التوحيد باب ٤٣ ص ٢٠٨ .

(٢) انظر : حاشية كتاب : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي رقم ١ ص ٩٧ .

أثرها في فارس والهند :

وإذا تجاوزنا العراق وعرجنا على فارس في طريقنا إلى الهند، فإننا نجد في «لنجة» بلد من البلدان الفارسية الشيخ مُلا عمران بن علي بن رضوان يرد على بعض قصائد الملحنين المعادين للشيخ ويثني خلال ذلك على الشيخ بقصيدة، هذا مطلعها :

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدى
في سب دين الهاشمي محمد
إلى أن قال :

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة
تاجاوشمسانا ومن ضاهاهما
يرجون منهم قربة وشفاعة
ورأى لِعُبَاد القبور تقربا
ما أنكر القراء والاشياخ ما
بل جوزوه وشاركوا في أكله
فأتاهم الشيخ المشار إليه بالنص
يدعوهم لله أن لا يعبدوا
لا يشركوا ملكا ولا من مرسل
فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا
ما قاله آباؤنا أيضا ولا
انا وجدنا جملة الآبا على
فالشيخ لما أن رأى ذا الشأن من
إلى أن قال :

لو أنصفوا لرأوا له فضلا على
ودعوا له بالخير بعد مماته
لكنهم قد عاندوا وتكبروا
ورموه بالبهتان والافك الذي
كمقالهم هو للمتابع قاطع
حاشا وكلا ليس هذا شأنه
أظهر ما قد ضيعوه من اليد
ليكافئوه على وفاق المرشد
ومشوا على منهاج قوم حسد
هم يعملون به ومنهم يتدى
بدخول جنات وحوار خرد
بل انه يرجو بها لموحد

إلى أن قال :

قالوا له يا كافرين يا فاجرا ما ضره قول العداة الحسد
قالت قریش قبلهم للمصطفى ذا ساحر، ذا كاهن، ذا معتدى

إلى أن قال :

هل قال إلا وحدوا رب السما وتنطعوا بزيادة وتردد
وتمسكوا بالسنة البيضاء، ولا بعثت به الرسل الكرام لمن هدى
هذا الذى جعلوه غشا وهو قد ترى إلى عهد النبي محمد
من عهد آدم ثم نوح هكذا والتابعون وكل خبر مهتدى
وكذلك الخلفاء بعد نبيهم من كان مستنابهم فليقتد
منهاجهم هذا عليه تمسكوا إلى آخر القصيدة وهي طويلة مفيدة^(١).

وقد أوردت في أول هذا الباب للشيخ ملا عمران هذا أبياتا سبعة من قصيدة له
أخرى مطلعها :

ان كاد تابع أحمد متوهباً فأنا المقر بأننى وهابي^(٢)
ومن فارس إلى الهند فنجد علماء السنة في الهند قد بلغهم ما يقوله دحلان
وأمثاله في الشيخ فبحثوا وتثبتوا وتبينوا كما أمر الله تعالى ، وكما هو منهج أهل السنة
والجماعة من سلفنا الصالح ، فظهر لهم أن الطاعنين في الشيخ مفترون لا أمانة لهم
فأثنى عليه فحولهم في عصره وبعد عصره وعدوه من أئمة المصلحين المجديدين
للإسلام ومن فقهاء الحديث كما نراه . في كتبهم وكما قال محمد رشيد رضا^(٣) .
ومن هذه الكتب : كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، تأليف

(١) انظر: كتاب كشف غيباب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام تأليف الشيخ سليمان بن سحيان
ص ١٣٨-١٤٣ . وكتاب الأسنة الحداد في رد شبهات علوى الحداد تأليف الشيخ سليمان بن سحيان
ص ٥٨-٦٢ . وانظر: كتاب الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ، تأليف عبد الله بن سعد الرويشد
ج ٢، ص ٣٥٧-٣٥٩ .
(٢) انظر : ص ٤٧٤ .
(٣) مقدمة محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية من صيانة الانسان ص ١٤ من الطبعة الخامسة عام

العلامة الكبير، المحدث الفقيه النحرير، محمد بشير السهسواني الهندي، يقول عنه مؤلف كتاب: «الياقوت والمرجان»، في ذكر علماء سهسوان ما ملخصه:

كان من المجددين وأحد المحققين المتأخرين ولد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وتعلم في لكنو، ثم ذهب إلى دهلي فأخذ عن سيد نذير حسين كتب الصحاح والسنن الستة وغيرها سماعاً وقراءة، واستجاز من الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليمني، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي تزيل مكة والشيخ محمد السهارنبوي المهاجر بمكة.

وبعد فراغه من الطلب اشتغل بالتدريس وكان وحيد عصره في سعة المعلومات والاطلاع على مذاهب السلف، يصرف أكثر أوقاته في التدريس والتصنيف والوعظ والارشاد وله من المؤلفات اتمام الحجة على من أوجب الزيارة كالحجة، وكان الشيخ محمد بشير على جانب عظيم من الورع والتقوى والعبادة وقيام الليل، وكان يغلب عليه في وعظه رقة القلب والخشية حتى تدمع عيناه، وفي ٥ المحرم سنة ١٢٩٥ هـ. استدعاه النواب صديق حسن خان بهادير من آكره إلى بهوبال وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال.

وقد أقر له أهل الهند كافة بقوة الاجتهاد والفضيلة العلمية واعترفوا له بها. تناظر الشيخ محمد بشير والشيخ أحمد دحلان مفتي مكة في مسألة التوحيد، فكتب الشيخ رداً عليه، كتابه المسمى (صيانة الإنسان، عن وسوسة الشيخ دحلان). وأشتهر الكتاب وطبعه علماء نجد ولم يرد عليه أحد من المخالفين. وناظر مرزا غلام أحمد القادياني في دلهي بأمر بيكم بهوبال زوجة صديق حسن خان حتى انقطع القادياني عن المناظرة.

وتوفي رحمه الله سنة ١٣٢٦ هـ عن عمر بلغ أربعاً وسبعين سنة^(١).

وفي مقدمة كتابه صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان قال الشيخ محمد بشير بعد البسملة والحمد لله والثناء على الله والشهادتين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

أما بعد فاني وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ أحمد بن زيني دحلان، أنفذه

(١) انظر: ترجمته في أول كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص - ١٨- ٢٣.

الله من دحلان الخذلان، وسماها (الدرر السنية، في الرد على الوهابية) ورأيت مؤلفها يدعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية، أنه جمع فيها ما تمسك به أهل السنة في زيارة النبي ﷺ والتوسل به من الدلائل والحجج القوية، من الآيات والأحاديث النبوية. فتعجبت منه التعجب الصراح، كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلا عن الصحيح. فتأملت فيها تأمل الناقد البصير، لكي أعلم أنه هل صدق في تلك الدعوى أم كذب كذب المجادل الضرير، فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين، محلاة بحلية الزور والكذب الباطل المهيمن، فانه ليس فيها من الأحاديث إلا ما أورده التقي السبكي (في شفاء الاسقام) وهي دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام: أما موضوعة عملتها أيدي الوضع اللثام، أضعاف واهية رواها من وسم بمثل كثرة الغلط والأوهام. أو شيء يسير من الصحيح والحسن في زعمه، قاصر عن افادة المرام، كما بين ذلك كله الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في (الصارم المنكى) وليس فيها من الآيات والأحاديث الصحيح والحسان ما يدل على المطلوب المحكى.

وكان حقا على المؤلف تعاطي واحد مما يذكر، لثلا يعد كلامه مما يهجر وينكر: أما ايراده لأحاديث صحيحة أو حسنة دالة على المطلوب غير ما أورد في الشفاء أو الاجابة عما تكلم به عليها صاحب الصارم وغيره من الأئمة الأذكياء. وإذ لم يفعل هذا ولا ذاك فليس لها فائدة ولا يؤول هذا الطول إلى منفعة وعائدة.

ومن عجائب صنيعة أن المؤلف مع زعمه أنه من جملة المقلدين، يستدل بالأدلة الشرعية وهو منصب المجتهدين. فعن لي أن أنبه على ما وقع فيه من مساوئ المفاهيم وزخارف الأقوال، وأراجيف الاستدلال، لثلا يغتر بها من يقف عليها عن لا خبرة له بحقائق علم السنة من المتون والرجال^(١).

ثم صار يورد جملة من كلامه وبعدها يقوم بردها وبيان زيفها. ولقد انتصر للشيخ المظلوم، وذب عن عرضه، ونصر التوحيد بحجته ومنطقه وآزر الحق بدلائل القرآن والسنة، وكل ذلك بأسلوب العالم المنصف، قال عنه محمد رشيد رضا: (ومن فضائل هذا الكتاب ومؤلفه علو أدبه في عباراته، وتحاميه المبالغة في ذم المذموم، ومدح

(١) صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ص، ص ٢٥، ٢٦.

المدح، فهو لا يطرى الامام المجدد الذي يدافع عنه، ولا يهجو المتجرم الذي يرد عليه هجوا شعريا يدخل في مفهوم السباب المذموم وان كان جزءا وفاقا، ومقابلة للسيئة بمثلهما فتراه يقول في كل فرية من مفترياته على الشيخ نفسه، أو نقوله غير المسندة: هذا قول لم تصح به رواية فليأتنا بروايته وما قيل في تعديل روايتها لنجيب عنها.

وجملة ما يقال في هذا الكتاب أنه ليس ردا على الشيخ دحلان وحده، ولا على من احتج بما نقله عنهم من الفقهاء مما لا حجة فيه كالشيخ تقي الدين السبكي والشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المكي بل رد على جميع القبوريين والمبتدعين حتى الذين جاءوا بعده إلى زماننا هذا^(١).

وفيما يلي أسوق مثالا من كلامه الذي ينصر به الحق وهو قوله حين يرد على دحلان في افتراءه على الشيخ أنه يكفر الأمة إلا من وافقه قال الشيخ السهسواني: وأما قوله (فسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها، وقاتلها على ذلك جملة إلا من وافقه على قوله) فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب، ووقاحة تامة، وفي الحديث (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

وصريح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع الأمة من المبعث النبوي^(٢) إلى قيام الساعة، إلا من وافقه على قوله الذي اختص به، وهل يتصور هذا عاقل عرف حال الشيخ، وما جاء به ودعا إليه، بل أهل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والخوارج لا يكفرون جميع من خالفهم، بل لهم أقوال وتفصيل يعرفها أهل العلم. والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة، ولا عن أهل السنة والجماعة منهم، وجميع أقواله في هذا الباب - أعني ما دعا إليه من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العمل والعبادات - مجمع عليه عند المسلمين، لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم، وعدل عن مناهجهم، كالجهمية والمعتزلة، وغلاة عباد القبور، بل قوله مما اجتمعت عليه البرسل، واتفقت عليه الكتب، كما يعلم ذلك بالضرورة من عرف ما

(١) مقدمة محمد رشيد رضا لكتاب: (صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان) ص، ص ١٦، ١٧.

(٢) قال محمد رشيد رضا في تعليقه: وزعم غير هذا المعترض أنه كفر الأمة منذ مئات من السنين، لا من أولها كما اقتضاه إطلاقه، بل منذ فشا فيها تشييد القبور، وبناء المساجد عليها، والطواف بها، ودعاء الموتى، فإن هذا لم يكن في القرون الأولى ولكن الحق الواقع أن الشيخ لم يكفر الأمة كلها في زمنه، فضلا عما قبله، وإنما كفر من أشرك بالله بغير عذر الجهل. وهو كما قال.

جاءوا به وتصوره، ولا يكفر إلا على هذا الأصل، بعد قيام الحجة المعتبرة، فهو في ذلك على صراط مستقيم متبع لا مبتدع وهذا كتاب الله، وسنة رسوله، وكلام أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور، مقرر في محله، في حكم من عدل بالله وأشرك به وتقسيمهم الشرك إلى أكبر وأصغر، والحكم على المشرك الأكبر بالكفر مشهور عند الأمة، لا يكابر فيه إلا جاهل لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل.

وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم، وحكى الاجماع عليها، وأنها من ضروريات الإسلام، كما ذكره تقي الدين ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن عقيل، وصاحب الفناوي البزازية، وصنع الله الحلبي والمقرزي والشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد بن اسماعيل الصنعاني ومحمد بن علي الشوكاني وغيرهم من أهل العلم^{(١) (٢)}.

ويظهر من مطالعة كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، أن مؤلفه الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي، قد وصلته رسائل كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب واطلع على كثير من مؤلفاته ومؤلفات من بعده فهو ينقل عن الشيخ نفسه من كتبه ورسائله وينقل عن المؤرخ ابن غنام من تاريخه روضة الأفهام وينقل عن ابن الشيخ عبد الله وينقل عن حفيد ابنه الشيخ عبد اللطيف^(٣).

ولا نغفل ذكر العلامة النواب أمير جهوبال صديق حسن خان، الذي أحيا بمصنفاته السنة، وانتشرت بسببه علومها المولود سنة ١٢٤٨ هـ.، ولما شب تلقى العلم عن شيوخ جهابذة كالشيخ أحمد بن عبد الرحيم المدعوب (شاه ولي الله المحدث الدهلوي، والشيخ حسين بن محسن السبعي الانصاري اليمنى تلميذ الشريف محمد بن ناصر الحازمي تلميذ الإمام الشوكاني. والشيخ عبد الحق بن فضل الهندي تلميذ الإمام الشوكاني أيضا^(٤))، وهو الذي استدعى الشيخ بشير السهسواني صاحب كتاب

(١) قال محمد رشيد رضا يعني أن هؤلاء وأمثالهم صرحوا بأن ما عليه كثير من المسلمين الجاهلين من عبادة القبور ودعاء الموتى شرك جلي، وأما أصل المسألة فقد أجمع عليها الفقهاء قبلهم.

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص - ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٣) انظر مثلاً: صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص - ص ٤٠٨-٤٢٢ وص - ص ٤٢٣-٤٣١،

وص - ص ٤٦٤-٤٨٧.

(٤) ترجمة صديق حسن خان في أول مؤلفه: الدين الخالص ج ١ ص - ص ز-ح.

صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان سنة ١٢٩٥ هـ. من أكره إلى بهوبال وفوض إليه رئاسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال^(١).

وكان معجبا بالإمام الشوكاني ومحصلا لمؤلفاته وله كتاب الدين الخالص في التوحيد والتحذير من ضده.

وجرت من بعض مشايخ الدعوة له مكاتبات كالشيخ حمد بن عتيق، فقد أرسل إليه الشيخ حمد رسالة أولها بعد البسملة: (من حمد بن عتيق إلى الإمام المعظم، والشریف المقدم محمد الملقب صديق زاده الله من التحقيق، . . .

وذكر الشيخ حمد أنه وصله تفسيره وأثنى عليه وبين له أموراً لاحظها وهي بسيطة بجانب ما أحسن فيه من تفسيره^(٢). ورحل إليه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عنه في الهند وعن غيره^(٣).

كما ارتحل الشيخ اسحق بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ إلى بهوبال وأخذ عن الشيخ محمد بشير السهسواني والشيخ حسين بن محسن الانصاري شيخ صديق حسن خان^(٤) وغيرهما في مدرسة بهوبال السلفية تحت رعاية عالمها صديق حسن خان رحمه الله تعالى. وكذلك الشيخ سعد بن الشيخ حمد بن عتيق رحل إليهم لطلب العلم ولما سألوه عن معتقد مشايخه من أهل بلده أجابهم سنة ١٣٠٢ هـ وكتب لهم في ذلك^(٥).

ومن ألف في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته من كلية ندوة العلماء بالهند الأستاذ مسعود عالم الندوي وهو من الأحناف في أول أمره وتلمذ على الدكتور محمد تقى الدين الهلالي من أول سنة ١٣٤٩ هـ إلى سنة ١٣٥٢ هـ. في الهند ثم في بغداد بعد ذلك التاريخ أقام عند الدكتور الهلالي مدة سنة وبصحبة الأستاذ عاصم الحداد، وكان أحد رؤساء الجماعة الإسلامية التي يرأسها الأستاذ المودودي فسجن معه في الباكستان وبقي سنين في السجن فلم يجد سبيلاً إلى التأليف فعكف على نيل

(١) صيانة الإنسان ص ٢٠ ط ٥ عام ١٣٩٥ هـ.

(٢) الدرر السنية ج ١٠ ص ١١.

(٣) الدرر السنية ج ١٢ ص ٩٣.

(٤) الدرر السنية ج ١٢ ص ٨٠.

(٥) طبع تحت عنوان: «عقيدة الطائفة النجديّة في توحيد الألوهية» انظر المقدمة ص ٣.

الأوطار للشوكاني فتبين له أن التعصب للمذهب الحنفي من غير حجة لا يرضاه الله ولا يرضاه السلف الصالح ومنهم الإمام أبو حنيفة نفسه فرجع عن التعصب والتزم اتباع الكتاب والسنة^(١).

وقد ألف هذا الأستاذ كتاباً عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما ذكرنا وعنوانه : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه باللغة الأردنية ، وترجمه منها إلى اللغة العربية الأستاذ عبد العليم بن عبد العظيم البستوي وقدم له الدكتور محمد تقي الدين الهلالي فقال فيه : (وإذا كان الفضل في اخراج هذه الدرة الثمينة يرجع إلى تلميذي مسعود عالم الندوي فإن الفضل في اخراجها من عالم العجمية إلى عالم العربية إلى تلميذي عبد العليم بن عبد العظيم البستوي المتخرج في الجامعة الإسلامية)^(٢).

ويقول المترجم وهوزميلنا عبد العليم عبد العظيم البستوي ما ملخصه : ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب من المجتهدين المجاهدين ، ولذا درست سيرته وتعرفت طريقته في كتب كثيرة ألفت في ذلك فرأيت كتاب الأستاذ مسعود عالم الندوي رحمه الله يمتاز بأنه ألف لنصرة الحق وأداء الواجب والتزم الانصاف في ما ناقشه من قضايا وبحوث مع الاطلاع على كثير من الكتب حول الشيخ من عربية وأعجمية ، وسيجد القارئ في هذا الكتاب سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته وأنها سيرة إسلامية ودعوة إسلامية خالصة وأنها دعوة تحاول أن تعود بالمسلمين إلى الرقي والمجد والازدهار كما كانوا في القرون الأولى . انها دعوة دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين وان محمد بن عبد الوهاب لم يبتدع شيئاً من عنده ولا خرج عن عقيدة المسلمين التي اتفق عليها أئمة الإسلام كلهم^(٣).

وفي الهند جهود مخلص في خدمة السنة المطهرة يتحدث عنها زميلنا عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي في كتابه بهذا العنوان الذي نشرته ادارة البحوث الإسلامية والدعوة والافتاء بالجامعة السلفية في بنارس بالهند.

(١) انظر: مقدمة الدكتور تقي الدين الهلالي على كتاب : محمد بن عبد الوهاب ، لمسعود الندوي

ص - ص ٨-٧.

(٢) مقدمة الدكتور تقي الدين الهلالي على كتاب محمد بن عبد الوهاب ، لمسعود الندوي ص ٨.

(٣) انظر: كتاب محمد بن عبد الوهاب ، لمسعود الندوي ، كلمة المترجم ، ص - ص ١١، ١٢.

وحركة الانطلاق الفكري بالهند وجهود الشاه ولي الله الدهلوي وغيرها من نشاطات إسلامية والجامعة السلفية بنارس بالهند التي أنشئت في سنة ١٣٨٣هـ. تحت إشراف جمعية أهل الحديث الهندية.

وهذه كلها وإن لم تكن قد أخذت عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية مباشرة فهي تلتقي معه في عقيدة السلف الصالح على الأغلب، وهذا ما تحرص على أن تؤكد كتاباتهم ففي كتاب بعنوان حركة الانطلاق الفكري بالهند وجهود الشاه ولي الله الدهلوي تأليف محمد اسماعيل السلفي وتعريب مقتدى حسن الأعظمي : يقولون أن تسمية ما هم عليه بالوهابية كذب محض وإفراء عظيم ، فالمرکز الرئيسي للوهابيين الحجاز ونجد . ويقولون : إنهم هم الذين أخذوا علم الحديث من الهند أو استفادوا من العلامة حياة السندي والحافظ الشوكاني في الحديث ، فكأن الوهابيين أيضا قد أخذوا السلفية من الهند أو اليمن والحجاز^(١).

وكانت تطبع بعض مؤلفات الشيخ بالهند وتاريخ ابن غنام ، وينتشر هناك ما ينتشر من ذلك ولهذا أثر كبير في بث الوعي الإسلامي السليم والعقيدة السلفية بالهند .

أثرها في مصر :

ونعود من الهند إلى مصر، وما أدراك ما مصر. إذا تذكرنا الحملة المصرية وما أعقبها من ترحيل من قدروا عليه من آل سعود وآل الشيخ من الدرعية إلى مصر بحريمهم وذرائعهم ومعهم علمهم وعقيدتهم السليمة ، التي لا تزول وإن زالت الدولة والرواسي فالعقيدة أمر ثابت يبقى ولا يزيله حتى الموت ومفارقة الروح الجسد سيما إذا كانت عقيدة صحيحة ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومع هذه الحال لا بد وأن يظهر أثر العقيدة وتلتبس مما كتبه المؤرخ المصري الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ما يبين أثر هذه العقيدة فنجد منتقدا محمد علي باشا وجميع من شاركه في محاربته ، وينتقد احتفالهم الهائل بوصول من قدروا على أسره من أنصار العقيدة السلفية وحملتها : ويقول عن احتفالهم : وكان ذلك من أغرب الأعمال التي لم يقع نظيرها بأرض مصر ، وما يقرب من ذلك).

(١) نقلا عن مجلة الجامعة السلفية (صوت الجامعة) السنة السادسة العدد الأول شعبان ١٣٩٤هـ . ص ٧٧-٧٨.

إلى أن قال: وقد ذهب في هاتين الملعبتين من الأموال ما لا يدخل تحت الحصر، وأهل الاستحقاق يتلظنون من الفشل والتفليس مع ما هم فيه من غلاء الأسعار في كل شيء وانعدام الأدهان.

إلى أن قال: وأعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن فيحجزونه لمطالب الدولة ومطابخهم ودورهم في هذه الولايم والجمعيات^(١).

وكان قد ذكر زينتهم ووصف اسرافهم وألح إلى أن معظمها كان حيث مساكن الافرنج والأرمن فانهم تفننوا في عمل التصاوير والتماثيل وأشكال السرج وغيرها، وذكر أنها ملاهي وأغاني وتسماعات وقيان وجنك رقاصات^(٢).

وتظهر العقيدة في مقابلة الباشا المزهوبغور النصر المؤقت للإمام عبد الله المصاب الصابر ومحدثنا عن ذلك الجبرتي فيقول:

وصل عبد الله الوهابي فذهبوا به إلى بيت اسماعيل باشا ابن الباشا فأقام يومه وذهبوا به في صبحها عند الباشا بشرا فلما دخل عليه قام له، وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه، وحادثه وقال له (ما هذه المطاولة؟) فقال: (الحرب سجال) قال: (وكيف رأيت إبراهيم باشا؟) قال: (ما قصر وبذل همته، ونحن كذلك.. حتى كان ما كان قدره المولى) فقال: (أنا إن شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان) فقال: (المقدر يكون..)^(٣).

ثم لما قتل الامام عبد الله شهيدا ومن معه قال الجبرتي: (فذهبوا مع الشهداء)^(٤) وهذا يعني تأثره بعقيدة السلف الصالح.

وذكر ان ابن الامام عبد الله هو وخواصه ومن معهم نحو أربعائة نسمة أسكنوا بدور بالقشلة، ولم يكن على ابن الامام هو وخواصه حرج يذهبون ويحيثون ويترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات.

(١) نقلا عن كتاب: من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي تلخيص محمد أديب غالب ص ١٩٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص، ص ١٩٤-١٩٥.

(٤) نقلا عن كتاب: من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، ص، ص ١٩٧، ١٩٩.

ونجد الجبرتي ينكري بيعهم بعض الأسرى ويقول (هم مسلمون أحرار)^(١). وهذا قديم في أمثالهم فقد باعوا يوسف عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام. ولعل هذا مما دس على الجبرتي، إذ الحوادث التي جرت أثناء تلك الحروب مشهورة وهذا ليس منها في الشهرة.

وما من شك أن مثل هذه الأمور تبين همجية أعداء السلف الصالح وبعدهم عن الشريعة الإسلامية. وتبين صفاء العقيدة لدى أصحابها ونقاءها حتى في الحالات التي قد ذهب عنهم كل شيء وفسدت دنياهم عليهم هم لا يزالون مشاعل خير وعلامات رشد تدعو إلى عقيدة السلف الصالح ان لم يكن بلسان مقالهم وسلطانهم فبلسان حالهم.

وقد ذكرت قبل قليل كلام أحمد سعيد البغدادي في بحث أثر عقيدة الشيخ السلفية في العراق ومن كلامه ذلك كلامه عن سبب حرب صاحب مصر لهذه الطائفة، وأنه كما ذكره (سيديو) الفرنسي وخلاصته أن انكلترا وفرنسا حين علمتا بقيام محمد بن عبد الوهاب وابن سعود وبانضمام جميع العرب إليهما لأن قيامهما كان لحياء كلمة الدين، خافتا أن ينتبه المسلمون فينضمون إليهما وتذهب عنهم غفلتهم ويعود الإسلام كما كان في أيام عمر رضي الله عنه فيترتب على ذلك حروب دينية وفتوحات إسلامية ترجع أوروبا منها في خسران عظيم فحرضت الدولة العلية على حرهم وهي فوضت ذلك إلى محمد علي باشا وحصل ما حصل (ولكل أجل كتاب)^(٢).

ويؤيد ما أفاده أحمد سعيد الكاتب الأمريكي لوثرروب ستودارد حيث يقول ويدافع من ولائه للصليبية عن محمد علي في حملته المشؤومة على المسلمين ما نصه: (وكان هذا المقدام الألباني سيد مصر وأميرها، واقفا حق الوقوف على قدرة أوربة وشدة بأسها وتفوقها، فدعا إليه ضباطاً من أهل الغرب فنظموا له جيشاً قوياً، ودربوه تدريباً على الطراز الغربي، وجهاز بمعدات الأسلحة الغربية، وكان غالب هذا الجيش مؤلفاً من المقاتلة الألبانيين الأشداء، فسرعان ما أجاب محمد علي نداء السلطان فأيقن حينئذ أن الوهابيين على شدة غيرتهم الدينية وهماستهم لن يستطيعوا

(١) نفس الهامش السابق: نقلا عن كتاب من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ص ١٩٧، ١٩٩.

(٢) انظر: ص ٦٦٠ من هذا البحث.

بعد الوقوف في وجه البنادق والمدافع الأوربية يطلق عيارها جنود مجربون^(١).

ويذكر الأستاذ مسعود الندوي : أن الحكومة البريطانية هنأت ابراهيم باشا على تدميره الدرعية وقضائه على حضارتها^(٢) وهذا تأكيد على أن عدو عقيدة الشيخ وأنصارها هم أعداء الإسلام والمسلمين .

وها هو الشيخ الجبرتي المؤرخ المصري المشهور يصف ابراهيم باشا بما هو متصف به من صفات يتصف بها كل أصداد السلف الصالح ذوى الإسلام الخالص . فيقول : (ورجع ابراهيم باشا من هذه الغيبة متعاطفا في نفسه جدا وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه حتى ان المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقدوم عليهم فلما أقبلوا عليه - وهو جالس في ديوانه - لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام فجلسوا وجعلوا يهثثونه بالسلام فلم يجبههم ولا بالاشارة بل جعل يحدث شخصا سخريه عنده . وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسرين^(٣) .

ولاشك أن مثل هذا يكون حافزا للمشايع وغيرهم من أهل مصر أن يعيدوا النظر في عقيدة السلف الصالح التي يحملها من أوفدوا عليهم ويعلموا أن ابراهيم باشا المتسلط إنما احتقرهم لأنه إنما كان قد انتصر على أمثالهم فكيف يهثثونه على ذلك لولا هوانهم عند أنفسهم وقد احتقرهم لأنهم كذلك ، وهذا دليل لهم صارخ على أن من حاربهم الباشا من أهل نجد ما حاربهم إلا لأنهم مسلمون من أتباع السلف الصالح من المسلمين وأن نظرتهم إلى جميع المنتسبين إلى الإسلام واحدة هي نظرة أزدراء

(١) حاضرم العالم الاسلامي ، ج ٢٦٢/١ . وأحب أن أوضح بأنه ليس سبب هزيمة المسلمين ، أمام محمد علي هو قدرة أوربة الصليبية وشدة بأسها وتفوقها كما يقول الكاتب الأمريكي لوثروب وغيره ولكنه كما ذكرنا في نهاية البحث في أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في الدور الأول للدولة أنصارها ، وخلاصته أنه التغير الذي حصل في نفوس المسلمين عن الاستمسك التام بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية كما كان عليه الشيخ وأئمة آل سعود وعلماءهم فأنهم لما كانوا على حالة مستقيمة على عقيدة السلف الصالح نصرهم الله وأعزهم وجعل لهم الغلبة والتمكين كما كان في عهدهم الأول ثم لما حصل ما حصل من التغير تغيرت الأحوال والدولة ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١٢) وانظر : آية ٥٤ من الأنفال . انظر : ص ص ٥٥٤ - ٥٥٨ من هذا البحث .

(٢) انظر : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه ، تأليف الأستاذ مسعود الندوي ص - ص

١٥٤-١٥٥ .

(٣) انظر : كتاب (من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي) تأليف محمد أديب غالب ص ٢٠٠ ، باشراف

دار اليمامة ط (١) عام ١٣٩٥ هـ .

واحتقار لهم ولما تسموا به من الإسلام فهو قد انتصر عليهم بزعمه وعلى دينهم فلم يبق في نفسه لهم احترام وإن كانوا من المشايخ العظام ، وأصحاب العلوم والفهوم . وهذا بلاشك يعطي ردود فعل متعاطفة مع أبناء الشيخ العلماء وسائر حملة عقيدة السلف الصالح خصوصاً الذين نقلهم الباشا إلى مصر، ويكون له دور كبير في التأثير، ومؤثره تأثر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي رحمه الله تعالى والذي ألحنا لطرف منه هنا .

ونورد ما ذكره عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ في تعليقه على عنوان المجد من أسماء آل الشيخ الذين نقلهم الباشا إلى مصر، فيقول ما خلاصته أن ابن بشر لم يذكر في تاريخه أسماءهم مع أنهم محدودو العدد ومشهورو الأسماء بل هم قادة الدعوة وزعماء الإصلاح في ذلك الوقت ولزيد الفائدة نذكر أسماءهم فهم : الشيخ عبد الله بن الشيخ وصحبته حرمه وابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد وصحبته حرمه وابنه الشيخ عبد اللطيف ، وكان عمر الشيخ عبد اللطيف ذلك الوقت لا يزيد عن ثمان سنوات . والشيخ علي بن الشيخ محمد، والشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد . هؤلاء هم الذين نقلهم الباشا إلى مصر، فأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن فمكث بمصر ثمان سنوات ثم رجع إلى الرياض بعد تولي الإمام تركي بن عبد الله الحكم بسنة أي سنة ١٢٤١هـ . وأما ابنه الشيخ عبد اللطيف فبقي بمصر واحداً وثلاثين عاماً ثم رجع إلى الرياض في ولاية الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٤هـ^(١) . وأما الشيخ عبد الله بن الشيخ فتوفي بمصر سنة ١٢٤٢هـ^(٢) .

ويقول ابن بشر: (وكان لعبد الله المذكور ابن اسمه عبد الرحمن جُلب معه إلى مصر وهو صغير وذكر لي أنه اليوم في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر وعنده طلبة علم وله معرفة تامة ودراية عظيمة^(٣) . ولعل ذلك من عوامل نشر عقيدة السلف الصالح وإقامة الحجة بها وكذا الشيخ علي بن الشيخ فقد توفي بمصر في سنة ١٢٤٥هـ . على أغلب الظن كما يقول عبد الرحمن بن عبد اللطيف^(٤) .

(١) هامش عنوان المجد في تاريخ نجد ، تأليف عثمان بن بشر، تحقيق وتعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩٤هـ . ص ٢٨٦ .

(٢) الدرر السنية ٤٥/١٢ ومشاهير علماء نجد ص ٤٩ .

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد ٩٣/١ ، وط المعارف سنة ١٣٩٤هـ . ص ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٥١ وانظر الدرر السنية ٤٧/١٢ .

وكذلك الشيخ ابراهيم بن الشيخ فانه توفي بمصر ولم يقف ابن قاسم على تاريخ وفاته لكنه كان موجودا سنة ١٢٥١ هـ. في مصر^(١). ووجود مثل هؤلاء المشايخ إلى هذا الزمن في مصر، واحتكاكهم بطلبة العلم والمشايخ والعلماء سيكون له أثر في نشر عقيدة السلف الصالح وهم أبناء الشيخ المشهود لهم بالعلم والتحقيق كما قال الحفظي :

أولاده مشايخ التحقيق وسدرة في منتهى الطريق^(٢) وعلى كل حال فالأثر لم يبد بارزا حتى أعاد الله الكرة لعقيدة السلف الصالح بالإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل . عندئذ وجدنا مطبعة المنار بمصر، ومجلة المنار بمصر وصاحبها محمد رشيد رضا، يقبل الخير ويتجاوب مع الملك عبد العزيز في نشر مؤلفات وآثار علماء الدعوة وعلى رأسهم الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب .

فهذه مجموعة الرسائل والمسائل النجدية أربعة مجلدات كبار وغيرها وكثير من كتب السلف الصالح في الفقه والتفسير والحديث وغير ذلك بلغ المجلدات الكبار وبلغ قدرا كبيرا من ذلك كان له أثر كبير في بث الوعي بين المسلمين ونشر ضالهم من الحق في تلك المؤلفات السلفية ومحمد رشيد رضا يخدمها بالتعليق والإشراف على طبعها وكانت له مواقف حميدة وكتابات منصفة وبيانات للحق ناصعة في مجلته الكبيرة مجلة المنار التي بلغت ما يربو على عشرين مجلدا واستمر صدورها سنين عديدة وكان ينشر دفاعا مجيدا عن دعوة السلف الصالح، وما يدفعه إلى ذلك إلا تأثره بعقيدة السلف الصالح وتطلعه إلى نهضة المسلمين إذا استيقظوا من غفلتهم إلى دينهم بهذه العقيدة السليمة ومن كتاباته أجد بين يدي طائفة من المقالات نشرت في مجلة المنار، وجريدة الأهرام جمعت وأصدرت بعنوان : «الوهابيون والحجاز» وكانت طبعها الأولى سنة ١٣٤٤ هـ . وأصبحت كتابا بذلك العنوان ويضم من الأبحاث أضواء على حقيقة العقيدة السلفية. مثل تسجيله : شهادة التاريخ للوهابيين ، وبيان عجز الشريف الحسين عن القيام بعقيدة السلف الصالح وأنه والى الأجانب على العرب وجعل الحجاز دولة حربية ونفسه ملكا للعرب وعزم على إخضاع نجد واليمن بالقوة مع

(١) الدرر السنية ٤٦/١٢ .

(٢) الدرر السنية ٤٧/١٢ .

عداوته لابن سعود وطعنه في عقيدته السلفية مما جعلها الله أسبابا لزحف ابن سعود على الحجاز وتمكينه من ولايته وتطهيره ثم شخص السبب لعداوة أشرف مكة المستولين عليها لأهل نجد عن مؤرخ مصري ، وأنه ليس السبب في غير العقيدة ، فأهل نجد يعتقدون عقيدة السلف الصالح ، وأولئك على خلافها ، ثم ذكر أشهر وقائع تعدى أهل الحجاز على النجديين ومنها منعهم من الحج ودسائس الشريف في نجد واغراؤه جيرانها بها واحباطه مؤتمر الكويت^(١) والوثائق الرسمية لنجد على أهل الحجاز ثم يتحدث عن صبر سلطان نجد وأنه صبر لم يعهد له نظير من قوى يعتدى عليه دينيا ودنيويا حتى علم هو وأمتة بعد التروى واستفتاء العلماء أن انقاذ الحرمين من الحسين واجب شرعا ولولم يكن لذلك موجب إلا منع أهل نجد من الحج لكفى . ويقول محمد رشيد رضا فكيف إذا أضيف إلى ذلك سائر ما أشرنا إليه فيما أجهلناه في الأهرام وفصلناه في المنار من إلحاده بالظلم لأهل الحرمين والحجاج ، وادخاله للنفوذ الأجنبي في البلاد وخطره على الأمة العربية وما بقي لها من البقعة الصغيرة المستقلة في جزيرتها وتكفيره للترك وللمصريين كالنجديين ثم تنحله منصب الخلافة . أما السلطان عبد العزيز ففي تصريحه نص قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده بإسلام جميع الشعوب الإسلامية والرغبة في التعارف والتواد معها وبأن هؤلاء الأمراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير النجديين والطعن فيهم والتنفير منهم .

وقال محمد رشيد : وقد استفتينا واستفتى غيرنا في شأن هذا الباغي الشريف حسين في سنة ١٣٤١هـ . فأفتى بعض علماء الأزهر بأنه من البغاة المتغلبين الذين يجب قتالهم على إمام المسلمين وكتبنا فتوى مطولة نشرناها في المنار الذي صدر في ذي الحجة من تلك السنة ج ٨ م ٢٤ ص ٥٩٣-٦١٦ ونشرناها في جريدة الأهرام أيضا أجهلنا فيها صفاته وجنayaاته ، ولكننا استدركنا على من جعل حكمه حكم البغاة متسائلين أين إمام المسلمين الأعظم الذي يجب عليه قتاله؟؟ ثم بينا أن انقاذ الحرمين من بغيه وظلمه يجب على كل من يقدر عليه من جماعات المسلمين وأمرائهم وأن أقدرهم على ذلك سلطان نجد وإمام اليمن وذكرنا ما يقال في المانع المشترك لهما من

(١) انظر: الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت، ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣-١٩٢٤م، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠١هـ، اعداد ماضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود، ط ١ عام ١٤٠٢هـ. نشر مؤسسة تهامة جدة .

ذلك وهو الخوف أن يفضى إلى تدخل الانكليز في الحجاز لأنه جعله تحت حمايتهم^(١).

وفي مقالة لمحمد رشيد يبين نهضة الوهابيين كما يسميهم بالاصلاح وما آلوا إليه وأن آل سعود أهل نهضة اصلاحية اسلامية وخصوصا السلطان عبد العزيز، السلطان العامل الصامت بخلاف ملوك الدعاية القوالين ثم كتب ملخصا لسيرة السلطان ابن سعود وملخصا لسيرة الشريف. ورد على الدعايات الكاذبة^(٢). إلى آخر ما كتب وبين فكان لكتابات أثر في تنبيه المصريين خصوصا والمسلمين عموما إلى رشد حملة عقيدة السلف من أهل نجد وصحة عقيدتهم، وانه لأثر كبير لاشك فيه، سيما والشيخ محمد رشيد رضا عالم محقق يأمر بالسنة وينهى عن البدعة خصوصا بدع القبوريين في العبادة كما في مقالاته هذه ويقصد نهضة المسلمين جميعا ويهدف لمصلحتهم، ومحمد رشيد رضا حين يدعو للملك الإمام عبد العزيز وللعلماء الذين معه، يعلم أن عقيدتهم السلفية هي الأصلح للمسلمين عامة. ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في رسالته التي بعنوان: (السنة والشيعية أو الوهابية والرافضة):

(ولما رأيت ما رأيت من سوء أمر مؤتمر النجف لشيعية العراق، ومن أمارات نشر الاتحاد في إيران وأفغان، ومن تجديد الشيخ العاملي في تواليفه والشيخ عارف الزين في مجلته الطعن في السنة، وتنفير المسلمين من دولتها الوحيدة في اقامتها ونصرها، ومن بث الرفض والخرافات بين المسلمين، رأيت من الواجب عليّ أن أظهر للمسلمين ما يخفى على جمهورهم من الحقائق التي لم يكن العاملي ولا الزين يعلمان بوقوفي عليها، لعلها يفيثان إلى أمر الله، فكتبت الفصول الآتية بهذه النية).

وتشير الرسالة إلى أن العاملي المسمى محسن الأمين وهو الرافضي المتعصب ألف كتابا استغرق خمسمائة صفحة، جعل عنوانه (الرد على الوهابية). ودس فيه ما يبغي من الخرافات القبورية والرفضية، والطعن في حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وعلى ابن تيمية وابن عبد الهادي والشيخ محمد بن عبد الوهاب ويرد الشيخ محمد رشيد بقوله: (أقول: أولا: إن الوهابية يدعون بحق أنهم

(١) انظر: ص - ص ٤٠-٤١ من الكتاب المذكور.

(٢) انظر: كتاب الوهابيون والحجاز ط ١٣٤٤هـ.

موحدون وحامون لحمى التوحيد من تطرق الشرك، وكان يدعي هذه الدعوى بحق قبلهم شيخ الإسلام يعني ابن تيمية.

ثانيا : أن الوهابية لم يدعوا أنهم هم الموحدون وحدهم وأن غيرهم من جميع المسلمين، مشركون كما افترى عليهم هذا الرافضي المتعصب وغيره، بل لم يدعوا أنهم فرقة أو أهل مذهب مستقل . . . وإنما يقولون كما يقول غيرهم من العلماء بتوحيد الله الذى دعت إليه جميع رسله^(١).

ويأتى من بعد المنار وصاحبه، جماعة أنصار السنة المحمدية ورئيسها محمد حامد الفقى ومطبعهم، فقد كان لهم دور في بث العقيدة السلفية ونشر كتب عقيدة السلف الصالح وبيان الحق والرد على طوائف الصوفية المنحرفة عن السنة، وكان لرئيس جماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ محمد حامد الفقى نشاط خاص في هذا المجال وله كتاب سماه أثر الدعوة الوهابية في الاصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها كتبه وتحدث به في نادي جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر وهذا النادي يحضره كثير من المصريين وغيرهم وقد نفع الله به وطبع عام ١٣٥٤ هـ. بمطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر، وقال الشيخ محمد حامد الفقى في مقدمته : أما بعد فهذا نبذة لطيفة في بيان حقيقة الدعوة الوهابية وإمامها وشيعتها وأنصارها وقصة ازاحة الأوهام وإبطال الأكاذيب التى نسجت حولها. وذلك للتخبط الكثير من الناس في شأنها^(٢). وغيرهما، ويتعاون معهم في نشر عقيدة السلف الصالح بدافع من إيمانه وإيمان جماعته بسلامة منهجهم.

ونذكر من أبرزهم شيخنا الدكتور محمد خليل هراس فقد كتب عن منهج الشيخ وأنصاره وسمى ما كتبه : الحركة الوهابية وهورد على مقال للدكتور محمد البهي في نقده للوهابية وطبعته الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٩٦ هـ. وقال في مقدمته ما ملخصه : لأستاذنا الدكتور محمد البهي كتيب نشرته (دار الفكر ببيروت) عالج فيه الفكر الاسلامي في أدواره وعقد فيه فصلا عن الحركة الوهابية وملاءه بمزاعم لا تتفق مع الحق، ولا سند لها من الواقع، ونقدها نقدا جانب فيه الانصاف ولم يراع فيه موازين البحث العلمي^(٣).

(١) نقلا عن كتاب انتشار دعوة الشيخ . . . تأليف محمد كمال جمعة ص ١٦٩ .

(٢) أثر الدعوة الوهابية، لمحمد حامد الفقى ص - ص ١-٢ .

(٣) الحركة الوهابية بقلم الدكتور محمد خليل هراس ص ٧ .

ثم إنَّ الدكتور المهراس نقض نقده ورد عليه رداً منصفاً أجاد فيه وأفاد رحمه الله تعالى .

ولا ننسى محمد منير بن عبده آغا النقلي الدمشقي الأزهري : صاحب «دار الطباعة المنيرية» في القاهرة . تفقه في الأزهر سلفياً وأصبح من علمائه . وأنشأ دار الطباعة المنيرية (١٣٣٧هـ) ونشر كثيراً من المصنفات القديمة والحديثة . وصنف كتاب : نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية - مطبوع أنجزه في شعبان ١٣٥٨هـ . وله (ارشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين) مطبوع وتوفي بالقاهرة^(١) ، وله المجموعة المنيرية وهي مجموعة رسائل سلفية لشيخ الإسلام ابن تيمية والصنعاني والشوكاني والصابوني وأبو محمد الجويني وغيرهم . وسأهاها المجموعة المنيرية وله عليها تعليقات وقد خدم كثيراً من رسائل السلف خاصة ومؤلفاتهم ، ومن ذلك مجموعة بعنوان : (الأصول الثلاثة وأدلتها ويلها شروط الصلاة وواجباتها وأركانها ، والقواعد الأربع للشيخ محمد بن عبد الوهاب علق عليها وصحح أصولها وكساها حواشي مفيدة محمد منير الدمشقي ، طبعت في القاهرة ، إدارة الطباعة المنيرية بلا تاريخ^(٢) ومنها : كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب نشر المكتبة القيمة ، بمبائ والقاهرة ، دار الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٤هـ^(٣) . ومنها : كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب علق عليه وصححه محمد منير الدمشقي ، وفي ذيله نبذة في الحث على اتباع الكتاب والسنة والعمل بهما للمعلق طبع القاهرة في إدارة الطباعة المنيرية ، سنة ١٣٥١هـ^(٤) .

وفي مقدمة الأصول الثلاثة وأدلتها يقول الشيخ محمد منير عبده آغا الدمشقي الأزهري بعد الثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ . أما بعد :

سألني كثير من أهل العلم والمعرفة أن أطبع رسالة الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في الأصول الثلاثة وأدلتها وشروط الصلاة وواجباتها وأركانها وأنشرها بين المسلمين لاسيما العوام منهم ليتفتعوا بها ويعملوا بأحكامها ، وهي سهلة

(١) الأعلام للزركلي ، ط ٤ ج ٧ ص ٣١٠ .

(٢) آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب سجل بيبليوجرافي مادة رقم ١٨ ص ٢٥ ومادة رقم ٥٢ ص ٣٠ .

(٣) المرجع السابق مادة رقم ٩٧ ص ٣٦ .

(٤) المرجع السابق مادة رقم ١٩٦ ص ٤٩ .

موجزة صحيحة على مذاهب أهل السنة والجماعة فأجبتهم لذلك^(١).

كما نذكر المطبعة السلفية ومكتبتها وصاحبها محب الدين الخطيب، وقد طبعت كثيرا من كتب السلف الصالح مع التحقيق والعناية من ذلك طبعهم لمجموعة التوحيد النجدية وعنايتهم بها، ولا زالت حتى بعد وفاة مؤسسها تحت إشراف ابنه قصي.

وكذلك مطبعة المدني المؤسسة السعودية في مصر وغيرها من المطابع التي تطبع آثار الشيخ ومؤلفاته وسائر مؤلفات السلف الصالح مما يكون له تأثير في نشر العقيدة السلفية.

وما يزال مدد تأثير عقيدة السلف الصالح في زيادة واستمرار خصوصاً لما نهضت المملكة بالتعليم واستوفدت مدرسين من مصر لجامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية، وغيرهما من جامعات المملكة فإن هؤلاء الأساتذة يعودون بانطباعات ومشاعر يحملونها ويثروتها في مجتمعاتهم وهذا ليس خاصاً بمصر غير أنه في مصر أكثر ظهوراً، ونذكر على سبيل المثال أستاذا زائراً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العام الجامعي ١٣٩٥-١٣٩٦ هـ. وهو المستشار عبد الحليم الجندي، والرئيس السابق لإدارة قضايا الحكومة في جمهورية مصر العربية ورئيس لجنة تجلية مبادئ الشريعة الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وعضو بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، جاءنا زائراً ثم عاد يخرج كتاباً اسمه (الإمام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي) يقول في مقدمته :

ومن أجل الاعتبار بما صنعه ابن عبد الوهاب وحاجة العصر الحالي إلى التأسيسي بكل كلمة قالها وكل صنيع صنعه وضع هذا الكتاب، ليذكر كل ذي بصر أن صفحات هذا التاريخ العظيم تتكرر ويعني تاريخ الإسلام إلى أن قال :

(بهذا أصبحت المملكة العربية السعودية دولة رائدة في المجتمع العالمي، معلمة للمجتمع الإسلامي، بانتصار الشريعة على الجريمة والذيلة والتواكل والجهل والفشل بسيادة العدالة والطمأنينة وانتشار الجامعات وازدهار الأخلاق الرغبة والائتثار

(١) ص ٢. ضمن مجموعة تضم الأصول الثلاثة وأدلتها وكتاب التوحيد والأربعين النووية وغيرها. مطابع الاشعاع - الرياض.

بالمعروف والتناهي عن المنكر. وبهذا قامت جماعة إسلامية حقاً هي آدى للأمانة وأكد في التعامل، وأبعد من التبذل، وأصون للحرمان، تتواصل فيها الطبقات وتكدح، وتجد وتجتهد، وتثبت لعالم تتخاذل دوله، وتتسلل شعوبه أن العذاب يحل بالأمم من أنفسها، ولا يصيب الذين ظلموا خاصة، وأن الله صادق وعده ناصر جنده، وإن غبي عن ذلك عبدة القوة أو المادة، أو عمي الآخرون عن رؤية الواقع^(١).

(١) انظر تقديم كتاب: الامام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي ص ٩٨.

حول ما يقال في تأثير بعض الحركات والدعوات بعقيدة الشيخ السلفية

وما قيل من تأثير بعض الحركات والدعوات في خارج سلطان أنصار عقيدة الشيخ مثل حركة السنوسي في ليبيا وحركة أحمد بن عرفان في الهند، وحركة الفرائضيين في الهند، وحركة نزار علي في الهند أيضا، وحركات البدر في الثلاث في أندونيسيا، وحركة الاخوان المسلمين، وبعض دعاة في البلدان قيل إنهم تأثروا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل الشيخ محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والجمعية الشرعية في مصر، وما قيل أيضا أن الثورات التي انطبعت بطابع ديني تأثرت بدعوة الشيخ كالثورة المهدية في السودان وثورة إيش محمد كول في التركستان، وما قيل من أن اصلاح سلطان المغرب المولى سليمان بن محمد في المغرب، وعبد الحميد بن باديس في الجزائر، قد تأثروا بدعوة الشيخ^(١)، كل ذلك يحتاج إلى دقة وتحقيق ودليل يثبت أن هذه الدعوات والحركات تأثرت بعقيدة الشيخ وحركته ودعوته وقيام أنصاره.

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الاسلامي رسالة دكتوراه على الآلة الكاتبة، ص - ص ٤٣٩-٤٩١. وكتاب انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، تأليف محمد كمال جمعة، مطبوعات دار الملك عبد العزيز وطبع على نفقة وزارة التعليم العالي ص - ص ٩٧-١٠٥ وص ٢١٣-٢٢٠ وص - ص ٢٢٣-٢٢٥. الفصول: الثالث والرابع، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن. وكتابات الدكتور محمد عبد الله ماضي أستاذ التاريخ بكلية أصول الدين في حاضرم العالم الاسلامي، النهضة الحديثة في جزيرة العرب.

في المملكة العربية السعودية ص - ص ٦٢-٧٠ ط ٢ عام ١٣٧٢هـ الحليي .
وانظر: بحث الدكتور محمد سلام مدكور من مصر ص، ص ١٦-٢١ وبحث الدكتور وهبه مصطفى الزحيلي من الشام ص، ص ٢١-٤١. وبحث عبد الفتاح مقلد الغنيمي، عن غرب أفريقيا ص، ص ٣-١٩. وبحث أنور الجندي عضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة ص، ص ٢، ٤-٩. وبحث الدكتور عبد الحليم عويس ص ١٤-١٩، ٢٠-٣١. وبحث الشيخ عطية محمد سالم ص - ص ١٤-١٦، ٢١-٢٢، ٣٥-٣٦. وبحث الدكتور مصطفى محمد سعد هرجس ص ٨، ١٦-١٧، ١٨. وبحث الدكتور محمد السعيد جمال الدين بعنوان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصدائها في فكر محمد اقبال وكل هذه البحوث قدمت لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكتبت على الآلة وجمعت في مجلد سمي: (تأثير الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ثم وزع على المشاركين في المؤتمر وبعض الحضور والمدعوين وهو المنعقد في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في ٢١/٤/١٤٠٠هـ.

وأغلب ما تعتمد عليه هذه الأقاويل على مصادر غريبة بعيدة معادية لا دقة لديها ولا تحقيق، ولكن تعتمد على الظنون وما تريده من تشويه للصورة الصحيحة حتى لا يفهم الناس الحقيقة.

والحقيقة أن هذه الدعوات والحركات والثورات نابعة من أهلها، وهم بأنفسهم لا يذكرون أنهم من أتباع الشيخ ولا أنهم تتلمذوا عليه أو قرأوا كتبه ومؤلفاته وأرادوا تطبيقها ولا أحد يثبت ذلك فيذكره، بل إن هؤلاء لا يعترفون بهذه التبعية، ولا بالتأثر به. وربما أن أكثرهم لا يعرفه إلا عن طريق أعدائه ودعاياتهم الكاذبة وبصورة مشوهة غير حقيقية، أو يعرفه بعضهم ولكن لا يعترف بطريقته السلفية وإن كان ينتسب إلى السلف، كما هو شأن الأشعرية والصوفية وأهل الكلام وأهل السياسة الدنيوية التي تريد العلو في الأرض والرئاسة أو تريد الدنيا ولا تريد الآخرة.

فكل هذه المذاهب وما كان على هذه الشاكلة لا تعترف بعقيدة السلف الصالح وهي العقيدة التي يعتقدها الشيخ. فأصحابها يخالفونها في كثير أو قليل والأمثلة على ذلك كثيرة فهذا السنوسي قد سئل عنه أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمهم الله فقال السائل السنوسي المغربي مصنف السنوسية المعروفة بعلم الصفات فهل تنقمون عليه شيئاً من ذلك؟ الخ. فكان جوابهم أن السنوسي ليس من أئمة السنة والجماعة فإن أهل السنة والجماعة هم الذين نعتهم النبي ﷺ لما ذكر أن (بنى إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) قالوا ما هي يا رسول الله؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)^(١) والسنوسي المذكور صنف كتابه أم البراهين على مذهب الأشاعرة وفيها أشياء كثيرة مخالفة ما عليه أهل السنة، فإن الأشاعرة خالفوا ما عليه السلف الصالح في مسائل، منها: مسألة العلو، ومسألة الصفات، ومسألة الحرف والصوت. الخ جوابهم^(٢).

وبعضهم الآخر في نصوص الصفات سلك مسلك من يفوض المعنى والكيف ولا يقول بأن، المعنى معلوم والكيف مجهول إذ لا فرق عنده بين المعنى والكيف، ثم صحح مذهب الخلف أهل التأويل المذموم وهو صرف اللفظ عن معناه الراجح من

(١) سبق تخريجه في ص ٢٠٣ من هذا البحث.

(٢) الدرر السنية ج ٣ ص ١٩١.

ظاهرة إلى المعنى المرجوح بحجة فرارهم من التشبيه والتمثيل وهم قد وقعوا في شرهما توهموه وفروا عنه، ورجح مذهب أهل التفويض وجعلهم هم السلف^(١)، ولم يذكر مذهب السلف الصحيح الذي عبر عنه الإمام مالك حيث قال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول، ففرق بين المعنى والكيف وأن المعنى معلوم والكيف مجهول)، وكذلك الإمام الطحاوي قال العلم علان علم موجود وعلم مفقود^(٢)، فالموجود علم المعنى والمفقود علم الكيف في باب صفات الله المقدسة.

وقد رد الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قول من قال في وسيلة دعوته الله وتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت فقال الشيخ عبد الرحمن: اعلم أن الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول) ففرق هذا الإمام بين ما يعلم منه معنى الصفة على ما يليق بالله فيقال استواء لا يشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه، وأما الكيف فلا يعلمه إلا الله فتنبه لئلا هذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف^(٣).

ويدعي هذا البعض من أولئك الدعاة أن في نصوص الصفات ما يوهم التمثيل والتشبيه^(٤). بينما أنه ليس في نصوص الصفات ما يوهم ظاهره اللائق بالله تعالى تمثيلاً أو تشبيهاً، ومن توهم شيئاً من ذلك فهو لأنه لم يعط النص حقه من التأمل والتدبر وإمعان النظر، ولو فعل ذلك لم يجد في ظاهره اللائق بجلال الله تعالى ما يوهم تمثيلاً أو تشبيهاً وحاشا أن يكون ظاهر كلام الله وكلام رسوله يوهم ذلك، والسلف والأئمة لم يكونوا يتوهمون أن ظاهرها التمثيل ولا يرضون بذلك كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية^(٥) وعلى ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسائر السلف الصالح.

وفي تعاليمهم أن أركان بيعتهم عشرة أولها الفهم ويريدون بالفهم أن يفهم

(١) انظر: العقائد، للإمام الشيخ حسن البنا، ص - ص ٧٠-٧٨.

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق محمد ناصر الدين الألباني ص ٣٤.

(٣) الدرر السنية، ج ٣ ص ٢٩٩.

(٤) انظر: العقائد، للإمام الشيخ حسن البنا، ص - ص ٧٤-٧٥.

(٥) انظر: التدمرية، القاعدة الثالثة ص ٢٧ ضمن مجموعة نفائس.

الإسلام في حدود ما يسمونه بالأصول العشرين وفي أكثرها نظر. ومن ذلك تأصيلهم أن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة وهو خلق وقوة وأرحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء وهو مادة وثروة أو كسب وغنى وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة كما هو عقيدة صادقة وعبادة^(١).

وهذه كلمات مجملة غامضة يدخل فيها ما هو من الإسلام وما ليس منه، ولا يفهم منها تحديد للمقصود كما يفهم من تعريف السلف الصالح للإسلام وعلى رأسهم رسول الله ﷺ فلما سأله جبريل عن الإسلام قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج بيت الله الحرام ان استطعت إليه سبيلا^(٢).

وقال ﷺ بنى الإسلام على خمس (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام)^(٣).

ولما كان أصل هذه المباني هو شهادة أن لا إله إلا الله كما بين الرسول ﷺ ذلك حين بدأ بها وحين بعث معاذًا إلى اليمن أمره أن يبدأهم بها وقد ذكر ذلك البخاري في أول كتاب التوحيد من صحيحه لذلك قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله وهو ثلاث مراتب الإسلام والإيمان والإحسان وكل مرتبة لها أركان فأركان الإسلام خمسة . . .) الخ^(٤).

ويرون الاستعاذة بالمقبورين ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم. وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر^(٥) بينها هي شرك ينقض الإسلام وليست مجرد كبائر ومبتدعات على المصطلح في مفهوم الكبائر والمبتدعات التي لا تخرج من الملة، وهكذا.

(١) رسالة التعاليم، للامام الشيخ حسن البنا ص ٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب ٣٧، ٣٤، وكتاب الشهادات باب ٢٦ وتفسير سورة ٣١ . . . وصحيح مسلم، الايمان ٨، ٧، ٥ وغيرهما.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الايمان باب ٢١، تفسير سورة ٢، ٣٠ وصحيح مسلم، الايمان ٢٢-١٩ وغيرهما.

(٤) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الأول، العقيدة، ثلاثة الأصول ص ١٨٩ وما بعدها.

(٥) رسالة التعاليم للامام الشيخ حسن البنا ص ٦.

لا يركزون في دعوتهم على ابعاد الناس عن الشرك مثل دعاء غير الله والندره طلبا للنفع ودفع الضرر ليصححوا التوحيد وهو أول شيء ولكن يركزون على الحاكمية تركيزا جعل دعوتهم أشبه بدعوة سياسية تطلب الحكم بينما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تركز على أنه لا يدعى إلا الله ولا يذبح إلا له ولا يصرف شيء من أنواع العبادة المشروعة لغيره فهي دعوة توحيد الله بالعبادة التي شرعها الله لرسوله ﷺ ولا تباعه . ثم طلب من الأمير الموهوب ملكات الامارة أن ينصر ذلك . وبين له أن الدولة والملك ثواب لمن نصر ذلك لا أن الإسلام هو الدولة كما توهمه تعاليمهم بأن الإسلام دولة ووطن أو حكومة وأمة .

وضياع الحكومة والملك من المسلمين إنما يكون عقوبة للتفريط منهم بدينهم فإذا عادوا إلى حفظ دينهم وصححوا توحيدهم عاد الله عليهم بالعز والتمكين ، كما في حديث ابن عباس (احفظ الله يحفظك) فمشكلة المسلم ليست في نزع الملك من يده وإنما مشكلة المسلم هي عدم تصحيحه شهادة أن لا إله إلا الله فإذا صححها وعمل بمقتضاها وصبر على ذلك ملكه الله بها العرب ودانت له بها العجم والله أعلم .

وهذا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد التي ألفها لا يذكر تعريف التوحيد الذي هو حق الله على العبيد حين أراد أن يعرف علم التوحيد ويبين معناه وقد استدرك عليه تلميذه محمد رشيد رضا فقال : (فات الأستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة ، وهو أن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره بدعاء ولا بغير ذلك بما يتقرب به المشركون إلى ما عبدوا معه من الصالحين والأصنام المذكورة بهم ، وغير ذلك كالندور والقربابن التي تذبح بأسمائهم أو عند معابدهم ، وهذا التوحيد هو الذي كان أول ما يدعو إليه كل رسول قومه ، بقوله : (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)^(١) .

وقال شيخنا محمد خليل هراس : (وقد غلط الشيخ عبده في اعتباره توحيد الربوبية والانفراد بالخلق هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فإن هذا النوع من التوحيد كانت تقر به الأمم التي بعثت إليها الرسل ، ولم يقع فيه نزاع بينهم وبين الرسل ، وإنما كان النزاع في توحيد الالهية والعبادة ، ولهذا لم يجيء على لسان الرسل عليهم السلام الدعوة إلى اعتقاد أن الله وحده هو الخالق ، وإنما

(١) رسالة التوحيد ، تأليف محمد عبده ، تعليق محمد رشيد رضا ، الطبعة ١٢ عام ١٣٦٦ هـ . ص ٤ .

كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لا شريك له ، فكل منهم كان مفتتح دعوته لقومه (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) .

إلى أن قال الشيخ الهراس : (ولعل فضيلة الشيخ عبده في هذا كان متأثرا بالأشعرية الذين جعلوا الانفراد بالخلق هو أخص خصائص الالهية ، واهتموا في كتبهم بأقامة البراهين على هذا النوع من التوحيد دون أن يشيروا إلى توحيد الالهية الذي هو أقصى الغايات ونهاية النهايات)^(١) .

وغير ذلك من شطحاته في الملائكة والجن ونحو ذلك كما في تفسير المنار نقلا عنه .

وذلك المهدي في السودان رضي أن يطلق عليه المهدي ، بل أعلن أنه قد رأى رؤية للنبي ﷺ يدعوه فيها إلى قيادة المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله . وتدافع عليه الآلاف يحملون له على الطاعة^(٢) .

وهذا يدل على أنه اغتر بنفسه أنه المهدي بناء على اعلانه أنه رأى رؤية للنبي ﷺ ، ثم ان هذه الرؤية لم يبين هل هي منام أو يقظة كما يدعيه جهلة الصوفية أنهم أو أحدهم يرى النبي ﷺ في اليقظة ويحضر المولد أو ما أشبه ذلك - وهذا أقبح الغلط وغاية التلبيس وأعظم الخطأ المخالف للكتاب والسنة واجماع أهل العلم لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا ومن قال خلاف ذلك فهو كاذب كذبا بينا أو غالط ملبس عليه لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح ودرج عليه أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم بإحسان .

ولوتبين أن هذه الرؤية رؤية منام فعلى كلا الاحتمالين هي ليست بصحيحة لأن رسول الله ﷺ لا يدعوا إلى خلاف الحق ولا يشير ولا يقول بخلاف الحق لا في حياته ولا بعد موته^(٣) وقد تبين أن مهدي السودان ليس هو المهدي الذي يقود المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله ، بل لم يخلص حتى أهل السودان من الخرافات ومخالفة التوحيد ، ومن الاستعمار النصراني فقد استولى كتشنر الانكليزي على السودان وأمر

(١) دعوة التوحيد ، أصولها ، الأدوار التي مرت بها - مشاهير دعائها ، تأليف حمد خليل هراس ص ، ص ١٠٩ .

(٢) انتشار دعوة الشيخ . . . تأليف محمد كمال جمعة ، ص ٢٢٤ .

(٣) انظر : التحذير من البدع للشيخ عبد العزيز بن باز ، ص - ص ١٨-١٩ .

بتدمير قبر المهدي والتمثيل بجثته وعرض رأسه في القاهرة^(١) وكان أتباعه يعتقدون بمعجزة رجوعه^(٢).

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عن الرؤيا السارة في المنام فقال: (الرؤيا أرجو أنها من البشرى، ولكن الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره)^(٣).

وكل تلك الدعوات والحركات لا تخلو واحدة من سمة تدل على عدم ارتباطها بعقيدة الشيخ دلالة واضحة فليس من عقيدة الشيخ شيء من هذه الطرق الصوفية ولا الأشعرية ولا القبورية ولا المذاهب السياسية التي تريد التسلط ولا النزعات الثورية كل ذلك ليس من عقيدة الشيخ السلفية كما هو ليس من عقيدة السلف الصالح جميعا في شيء، وما وافقوا فيه الإسلام من أمور فهذه الموافقة ليست دليلا على أنهم تأثروا بالشيخ كما قررنا وكون أحدهم حج مرة أو مرتين وحتى لو قابل أحدا من حملة عقيدة السلف الصالح ليس هذا اللقاء مقتضيا لتأثره ما لم يثبت دليل من أدلة التأثير أو صيغة من صيغ التحمل والاقتناع. هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء لا يقولون بأنهم من أتباع الشيخ كما قررنا ولا الشيخ وأتباعه وأنصاره يحتضنون شيئا من هذه الدعوات بقصد احتوائهم وجعلهم تبعاً لهم. ولا يطمئنون لبعض طرقهم المخالفة كالنزععات الصوفية أو الكلامية، أو البدع الأخرى، حتى في تعريف العبادة فأكثر هؤلاء لا يعرف أن العبادة مبنها على الأمر الشرعي ولا يعرف أن التوحيد من مقامين مقام توحيد المعرفة والاثبات، ومقام توحيد القصد والطلب ولا يعرف أن توحيد القصد والطلب الذي هو توحيد الألوهية والعبادة متضمن لتوحيد الربوبية ولا عكس لكن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية وكثير منهم إذا عرف التوحيد إنما يعرفه بأنه هو توحيد الربوبية كما ذكرت عن الشيخ محمد عبده، وسائر من تأثر بالأشاعرة، الذين أشتهر عنهم هذا المنهج في تعريفهم التوحيد. ومعلوم أن الاقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي عن الاتيان بلازمه وهو توحيد الألوهية، وكم من يقر بالربوبية وينكر توحيد

الالهية؟!

(١) انظر: انتشار دعوة الشيخ... تأليف محمد كمال جمعة، ص - ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ١١ ص ٥١. وانظر: روضة ابن غنام ج ١/ ١٩٨.

ولعل في ذلك كفاية في بيان عدم صحة الرأي القائل بأن مثل هذه الدعوات والحركات متأثرة بالشيخ ودعوته وحركته وحركة أنصاره من أجل نصرة دين الله ورسوله ﷺ والله أعلم . وبهذا نأتى على ختام هذا الفصل وبختامه أختم الباب الثاني في أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في العالم الإسلامي ونأتي إلى خاتمة البحث كله سائلين الله حسن الخاتمة .

الخاتمة

وشكراً على خلاصة البحث ونتيجته

نحمد الله تبارك وتعالى ونشكره على ما يسر من هذا البحث وقد أتيت فيه على مقدمة بدأتها بالثناء على الله بما هو أهله وثنيت بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ ، وأشرت إلى خير الحديث وخير الهدى ، وحالة الناس حين أرسل الله خاتم الرسل ﷺ ، وظهور دين الله ورسوله ﷺ على الدين كله . ثم حدوث ما أخبر به الرسول ﷺ من الفتن في الأمة الإسلامية ، وبقاء طائفة منها على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة لتقوم بهم الحجة الرسالية ومن هذه الطائفة المجددون في الإسلام ، ومن هؤلاء المجددين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن ناصرهم آل سعود .

ولأنني اخترت عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي موضوعاً لرسالة الدكتوراه التي أدرس للحصول عليها إن شاء الله تعالى ، لأهمية هذا الموضوع ، ولأسباب ركزتها في ثلاثة خلاصتها أنها عقيدة نعتمدها في ديننا ودنيانا وهي أساس وحدة المملكة العربية السعودية ، فأردت تذكير ناشئة الجيل الجديد بها على هذا المستوى الجامعي ، ليكون اعتقادنا السليم عن علم واتباع لا عن تقليد وابتداع .

وفي ضمن ذلك أردت الرد بأسلوب علمي على أعدائها والمفترين عليها وذلك عن طريق عرضها عرضاً أصيلاً وصحيحاً من مصادرها الكثيرة الأصلية وبينت فضائل من سبقني في ذلك وشكرت من أسدى إلي معروفاً ودونت خطة البحث ومنهجاً .

ثم أتيت إلى المدخل واشتمل على مبحثين أولهما في البيئة من حول الشيخ في العالم الإسلامي وثانيهما في حياة الشيخ خصوصاً الناحية العلمية ، وقد ذكرت في مبحث البيئة وصفاً لها من الناحية السياسية والدينية وما يتبع ذلك من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من النواحي المتفرعة وتوصلت إلى أنها بيئة يغلب عليها أمر الجاهلية من عبادة غير الله تعالى كالذبح للمقبورين ودعائهم والاستغاثة

بهم والنذر لهم من أجل أن يشفعوا لفاعل ذلك عند الله تعالى ، ومن فوضى واضطراب وتفرق وعداوة ونهب وسلب وخيانة ومعاملات كانت كلها سببا في دمار الاقتصاد وخرابه وفساد في الأخلاق وخوف وقلق وفتن هذا في الغالب فبينت أن البيئة بما غلب عليها من غربة لهذا الدين شديدة كانت بحاجة إلى مصلح يعيد للدين ظهوره وانتشاره وعهده بعد غربته فقيض الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب أبرز هؤلاء المصلحين .

وأما مبحث حياة الشيخ فقد تضمن ترجمته ونشأته ورحلاته العلمية وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته وورثاه ، وذكرت مصادر ترجمته وما يعتمد عليه وما لا يعتمد عليه منها ، ونسبه ، وأسرته العلمية ، ونشأته في هذه الأسرة نشأة علمية ، ورحلاته من ناحية خط سيرها وزمانها والأمكنة التي رحل إليها ، وشيوخه من أهل الحديث وغيرهم في الحرمين والبصرة والاحساء وذكرت أن نتيجة هذه الرحلات زيادة معرفة الشيخ وتسليحه بسلاح العلم النافع ، واليقين الراسخ وحرر علم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد من الكتاب والسنة على علماء أهل السنة والجماعة في مهابط الوحي إلى رسول الله ﷺ ، وامتلاء وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، ورجع من رحلاته وهو في مستوى علمي يفوق علماء زمانه . وفي ذكرى لمؤلفاته بينت عدم صحة نسبة بعض المؤلفات إليه وحققت نسبة بعض منها إليه وهي التي حصل تشكيك من البعض في نسبتها إليه .

هذا مع ذكر شيء عن كل مؤلف وأثر من مؤلفات الشيخ من ذكر مكان وجوده وصفته وشيء من موضوعه بشكل موجز ومختصر .

ثم وصلت إلى الباب الأول وهو ما يختص بعقيدة الشيخ السلفية وقد تضمن أربعة فصول أما الفصل الأول فهو في منهج الشيخ في عقيدته ودعوته وتوصلت إلى أن منهجه هو منهج السلف الصالح في العلم والعمل ، وأما الفصل الثاني فهو في مجمل عقيدة الشيخ السلفية وتوصلت إلى أنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره جملة وتفصيلا كما يؤمن بذلك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، ويقول في الإيمان ما يقولونه واكتفيت بذكر أدلته من الكتاب والسنة على كل مسألة من مسائل عقيدته لبيان أصالة اعتقاده وصلته بمذهب السلف الصالح والتقاءه معهم في المصير والمرجع كما التقى معهم في المنهج والوسيلة .

وأما الفصل الثالث فهو في التوحيد من مقاميه المقام العلمي والعملية ويكمن فيه الأمر الذي واجه به الشيخ مجتمعه واستنكره عليه عامة الناس ثم أظهره الله به على من ناواه وعاداه، وأما بقية أركان العقيدة فلم يحصل فيها من النزاع ما حصل في التوحيد، ولأنها في الحقيقة مبنية على التوحيد، فلذا لم أجد من تفاصيلها ما وجدته في التوحيد فاكتفيت بما ذكرته منها عن الشيخ في مجمل عقيدته.

وقد أتيت في هذا الفصل الثالث على ذكر عقيدة الشيخ في التوحيد من مقاميه المقام العلمي الخبري والمقام العملي الطلبي فالمقام الأول هو توحيد المعرفة والاثبات ويدخل فيه توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات والمقام الثاني توحيد الطلب والقصد ويدخل فيه توحيد الألوهية والعبادة.

وتوصلت إلى أن الشيخ يعتقد في كل ذلك عقيدة السلف الصالح وما خرج عنها في شيء من ذلك بين هذا من أدلته وبراهينه من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة واتفاق أهل المذاهب الأربعة، مذهب أبي حنيفة ومذهب مالك ومذهب الشافعي ومذهب أحمد بن حنبل إمام كل حنبلي في أصول العقيدة السلفية وفي مسائلها الأصلية ودلائلها.

والفصل الرابع تضمن التحذير من نواقض عقيدة السلف الصالح أو نواقض كمالها وأتيت فيه على نواقض الإسلام وتفاصيل عن الشرك وأقسامه وأفراده وخطره وامكان وقوعه وبيان وسائله وأسبابه وطرق مقاومته والحذر الشديد من ذلك وحماية جناب التوحيد وتصحيح الاعتقاد بترك الشرك كله وسد ذرائعه والرد على شبهات المشركين وكشفها ثم وصلت إلى الباب الثاني وهو ما يختص بأثر عقيدة الشيخ السلفية في العالم الإسلامي وقد تضمن خمسة فصول، فالفصل الأول ذكرت فيه أسباب ومبادئ تأثير عقيدة الشيخ وأول ظهورها في حريملاء لما رجع من رحلاته العلمية ثم أثرها في العينة وما حصل عليه من آثار في البلدان الأخرى وأتباع في تلك المرحلة قبل قيام دولة العقيدة.

ثم في الفصل الثاني بينت كيف تم لقاء الشيخ بالأمير محمد بن سعود وكيف تأثر بما عرضه الشيخ محمد من عقيدة السلف الصالح وحصلت البيعة المباركة وبينت أن ذلك التأثير دليل على فضل الأمير وطيب معدنه وخير يته ورجحان عقله وشجاعته وبينت أنه المؤسس لمكاسب آل سعود من دولة إسلامية بسبب تلك العقيدة السلفية

التي من شأنها أنها تأتي بالخلافة والملك الاسلامي ، وأن من مكاسبهم صلاح دينهم ودنياهم وظهورهم على الملوك والأمراء ونصرهم على أعدائهم واتساع مملكتهم حتى شملت غالب جزيرة العرب وما حولها وارتفع ذكرهم في الخافقين ، وبينت ظهور الدين وانتشاره ، واندحار الشرك واختفاء وحصول الأمن والأمان .

وفي الفصل الثالث وهو ما يخص الدور الثاني من أدوار دولة أنصارها ، بينت ما تم من أثرها على يد الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وابنه فيصل وما تم من آثارها العلمية على يد الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه عبد اللطيف وغيرهما من علماء الدعوة وأتباعها .

وفي الفصل الرابع بينت كيف عاد الله بعائده على أهل هذه الجزيرة المرة بعد المرة وهياً لها الإمام الملك عبد العزيز يستعيد مكاسب عقيدة السلف الصالح التي حققها أجداده وآبؤه ، ويعمل على نشر هذه العقيدة والقيام بما تقتضيه وهو الدور الثالث الحاضر الذي لا يزال متصل الحلقات ، يرتبط حاضره بماضيه ، ويعمل لمستقبله منطلقاً من حاضره وبينت أبرز ما في هذا الدور من أثر العقيدة وهو استعادة مكاسبها وتوحيد البلاد تحت راية واحدة واسم واحد والتقيّد بأحكام الشرع وتطبيقها ومحاربة البدع والمنكرات ومظاهر الشرك والقضاء على الأفكار الالحادية المنافية للعقيدة ، ودعوة العالم الاسلامي للتضامن ونشر الدعوة إلى الاسلام وبذل الجهود في التعليم وبناء المساجد وتعميرها والاهتمام بخدمة الحرمين الشريفين ، وذلك الأمن الوارف الذي لا يوجد في غير هذه المملكة العربية السعودية كل ذلك من أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وأما الفصل الخامس وهو الأخير فهو يختص بأثر عقيدة الشيخ في خارج سلطان أنصارها من بلدان العالم الاسلامي بينت فيه كيف وصل أثرها إلى خارج سلطانها وأثرها في اليمن ثم في الشام ثم في بلدان الخليج والعراق وفارس والهند ومصر وبينت عدم ثبوت صلتها بالحركات السياسية والدعوات وإن كانت متممة إلى الاسلام مثل حركة السنوسي في ليبيا ، والفرائضيين في الهند ، وأحمد بن عرفان الشهيد في الهند ، والبدري في أندونيسيا ، ومثل دعوة محمد عبده وجمال الدين الأفغاني والاخوان المسلمين ، والجمعية الشرعية وثورة المهدي في السودان وايش محمد كول في تركستان واصلاح سلطان المغرب وابن باديس في الجزائر كل ذلك لم يثبت شيء منه أنه تأثر بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته فبينت ذلك .

والنتيجة العامة التي توصلت إليها من بحثي هي : أن عقيدة السلف الصالح قطب رحي المسلمين ، وأنها تعود على المتمسك بها بالنصر والتمكين في العاقبة ومن تخلّى عن نصرتها فقد تخلّى عن نصره الاسلام الخالص وتكون عاقبته الهلاك والزوال ، وكلما رجع المسلمون إلى دينهم وعادوا إلى عقيدتهم السليمة كلما عاد الله عليهم بعائدته ورد لهم الكرة بعد الكرة : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

وأما النتيجة الخاصة فاني وجدت أن نور الحق والاسلام الخالص قد أشرق بدعوة الشيخ واستجابة آل سعود إلى نصره عقيدة السلف الصالح ، وبسبب ذلك صار ورثة الشيخ من أبنائه وغيرهم الذين ورثوا علمه فصاروا مشايخ الدعوة الاسلامية ، وصار أنصارها من آل سعود هم الأئمة والملوك ، وتحققت أن منهج الشيخ منهج السلف الصالح الذي يأتي بالخلافة والملك الاسلامي في الأرض ، كما تحققت أن عقيدة الشيخ السلفية كما قامت عليها دولة سعودية فاقت أهل زمانها فهي صالحة لأن تقوم عليها دولة سعودية معاصرة تفوق أهل هذا الزمان في الدين والدنيا والعلم والعمران في جميع أقطار المعمورة بحول الله وقوته ، كيف لا ؟! وهي تحقيق لا إله إلا الله ، التي تميل كفتها بكل كفة . وإننا على الطريق إن شاء الله سائرون ، قال الله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (النور: ٥٥) .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

قائمة بالمراجع من الكتب

— القرآن الكريم .

— السنة الشريفة .

رتبت ما يلي من الكتب حسب حروف الهجاء من أسماء المؤلفين أو المحققين أو الجامعين .

« أ »

ابراهيم بن صالح بن عيسى .

١ — تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ) . أشرف على طبعه وقدم له وحققه ووضع له فهارس حديثة وعلق عليه الأستاذ حمد الجاسر . ط ١ عام ١٣٨٦هـ . منشورات دار اليمامة - الرياض .

ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الفرضي .

٢ — العذب الفاضل شرح عمدة الفارض . المقدمة ط ١/١٣٧٢هـ . الحلبي ، على نفقة الشيخ عبد الرحمن الطبيشي .

ابراهيم بن عبيد آل عبد المحسن .

٣ — تذكرة أولى النہى والعرفان - الجزء الأول ، مطابع النور ، الرياض - الطبعة الأولى .

ابراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري البغدادي (١٢٣٥-١٣٠٠هـ) .

٤ — عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، ألفه سنة ١٢٨٦هـ . وصورة مخطوطته بقسم المخطوطات في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية ، بخط عبد الرزاق الملا محمد الحاج فليح البغدادي في ٢ جمادى الأولى عام ١٣٥٠هـ .

الامام أبو اسحاق : ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ت ٧٩٠هـ .

٥ — الاعتصام وبه تعريف العلامة محمد رشيد رضا ، مطبعة السعادة .

أحمد أمين .

٦ - زعماء الاصلاح في العصر الحديث . سنة ١٩٦٥م ، مكتبة النهضة المصرية .

أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي آل بن علي . قاضي المحكمة الشرعية بدولة قطر .
٧ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية ، وثناء العلماء عليه . تقديم وتصحيح الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٥هـ .

٨ - تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران - طبع بمطابع مؤسسة دار العلوم ، الدوحة - قطر .

الامام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) .

٩ - الرد على الجهمية والزنادقة ، فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتألوله على غير تأويله . ويليهِ : كتاب السنة . تصحيح اسماعيل الانصاري - نشر رئاسة البحوث العلمية السعودية .

١٠ - مسند الامام أحمد بن حنبل . وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال ، تصوير المكتب الاسلامي ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت .
أحمد السباعي .

١١ - تاريخ مكة . دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران . ط ٢ ، مطابع دار قريش بمكة ١٣٨٢هـ .

شيخ الاسلام ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (٦٦١-٧٢٨هـ) .

١٢ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط ٢ عام ١٣٦٩هـ . مطبعة السنة المحمدية .

١٣ - التدمرية ضمن مجموعة نفائس بتحقيق محمد حامد الفقي - الطبعة الثالثة ١٣٧٤هـ . مطبعة السنة المحمدية ،

١٤ - رسالة الفتوى الحموية الكبرى وقف على تصحيحها بقدر الامكان وتعليق حواشيها محمد عبد الرزاق حمزة - الطبعة السادسة ، مطبعة المدني .

١٥ - نقض المنطق . حقق الأصل المخطوط وصححه الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع ، وصححه ووضع عنوانه محمد حامد الفقي بمشورة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، وكتب مقدمته الشيخ عبد الرحمن الوكيل وعمل فهارسه رشاد سالم . الطبعة الأولى عام ١٣٧٠هـ . بمطبعة أنصار السنة المحمدية . وهو جواب سؤال عن مذهب السلف في الاعتقاد ومذهب غيرهم من المتأخرين ما الصواب منهما؟ .

١٦ - العقيدة الواسطية . بشرح وتحقيق الشيخ محمد بن مانع . مطبعة الاقتصاد بالقاهرة ، وط المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٧هـ .

١٧ - قاعدة في المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها ضمن مجموعة الرسائل والمسائل للشيخ وهي القسم الثالث من أقسام المجموعة . ط مطبعة المنار بمصر . الطبعة الأولى عام ١٣٤٩هـ .

أحمد عبد الغفور عطار .

١٨ - محمد بن عبد الوهاب - الطبعة السادسة عام ١٣٩٧هـ .

الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفي (٤٣٠هـ) .

١٩ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . ط ٣ عام ١٤٠٠هـ .

أحمد بن عطية بن عبد الرحمن الزهراني .

٢٠ - دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الاسلامي . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٢هـ .

الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ) .

٢١ - تقييد العلم - تحقيق يوسف العش - ط ٢ سنة ١٩٧٤م ، نشرته دار احياء السنة النبوية .

٢٢ - كتاب اقتضاء العلم العمل - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ضمن رسائل أربع من كنوز السنة ، نشر وتوزيع دار الأرقم - الكويت .

الحافظ ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد بن الكنائي العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) .

٢٣ - فتح الباري بشرح صحيح الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري . تصحيح وتحقيق واشراف ومقابلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز .

نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية . ط السلفية بمصر - بدون تاريخ الطبع ولا عدد الطبعة .

٢٤ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . ط ١ بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية في الهند سنة (١٣٤٨) .

الشيخ أحمد بن علي بن مشرف الاحسائي تلميذ المؤرخ حسين بن غنام .

٢٥/أ - ديوان بن مشرف - ط ٣ عام ١٣٧٠هـ ، مطبعة السنة المحمدية .

الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ت (٢٨٧هـ) .

٢٥/ب - كتاب السنة ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم محمد ناصر الدين الألباني ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ . المكتب الاسلامي .

أحمد محمد شاكر .

٢٦ - تحقيق ترجمة الإمام أحمد من تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي - ط دار المعارف للطباعة والنشر عام ١٣٦٥هـ .

الدكتور أحمد محمد الضبيب .

٢٧ - آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب سجل بيلوجرافي لما نشر من مؤلفاته ط ١ عام ١٣٩٧هـ . - الرياض المطابع الأهلية .

أبو المنتهي أحمد بن محمد المغنيساوي الحنفي .

٢٨ - كتاب شرح الفقه الأكبر - ضمن مجموعة بعنوان الرسائل السبعة (هكذا) في العقائد ، الطبعة الثانية بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن عام ١٣٦٧هـ .

الحافظ ابن كثير ، الامام الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت (٧٧٤) .

٢٩ - تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ط ٣ ، الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٦هـ .

٣٠/أ - البداية والنهاية (تاريخ ابن كثير) ج ٥-٦ المجلد الثالث ط/١٣٩٨هـ . دار الفكر بيروت .

٣٠/ب - البداية والنهاية (تاريخ ابن كثير) ج ١ ، ٣ تحقيق ومراجعة وتعليق وتصحيح محمد عبد العزيز النجار ، طبعة جديدة منقحة كاملة ، يطلب من مكتبة

الفلاح بالرياض ، مطبعة الفجالة الجديدة - مصر.

المحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني .

٣١ - كشف الخفاء ومزيل الالباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس . ط ٣ سنة ١٣٥١هـ . تصوير دار احياء التراث العربي - بيروت .

الشيخ اسماعيل الأنصاري .

٣٢ - بحث ضمن مجلد (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية) وهو عبارة عن بحوث مقدمة لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب المنعقد في الفترة من ٢١/٤/١٤٠٠هـ إلى نهاية ٢٧/٤/١٤٠٠هـ .

أمين الريحاني .

٣٣ - نجد وملحقاته وسيرة عبد العزيز ط ٣ ، دار الريحاني للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٤م .

أمين سعيد .

٣٤ - تاريخ الدولة السعودية ، عهد سعود بن عبد العزيز ، المجلد الثالث ، ط ١ توزيع دار الكاتب العربي ، بيروت ١٣٨٥هـ .

« ت »

تركي بن محمد بن تركي بن ماضي أمير أبها سابقا توفي رحمه الله .

٣٥ - تاريخ آل ماضي ، طبع سنة ١٣٧٦هـ . مطبعة الشبكشي بالأزهر بمصر .

« ح »

حافظ وهبه (١٣٠٧-١٣٨٧هـ) .

٣٦ - جزيرة العرب في القرن العشرين ، ط ٥ ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٨٧هـ .

الامام حسن البنا .

٣٧ - العقائد ، طبع ونشر دار الكتاب العربي بالقاهرة عام ١٣٧١هـ .

٣٨ - رسالة التعاليم ، مطابع دار الثقافة للطباعة بمكة المكرمة .

حسين خلف الشيخ خزعل .

٣٩ - تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، طبعة أولى ١٩٦٨ ، مطابع دار الكتب ، نشر دار
ومكتبة الهلال ، بيروت - لبنان .

الشيخ حسين بن غنام .

٤٠ - تاريخ نجد ، المسمى روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد
غزوات ذوى الإسلام . جزآن . الطبعة الأولى عام ١٣٦٨هـ . على نفقة الشيخ عبد
المحسن بن عثمان أبا بطين ، صاحب المكتبة الأهلية بالرياض نجد ، مطبعة الحلبي
بمصر .

٤١ - كتاب العقد الثمين في شرح أصول الدين - مخطوط .

حسين بن مهدي النعمي (ت سنة ١١٨٧هـ) .

٤٢ - معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ، حققه للمرة الأولى محمد
حامد الفقي ، ط ٢ عام ١٣٩٣هـ . بمطابع الرياض .

الشيخ حمد الجاسر .

٤٣ - مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ط ١ عام ١٣٨٦هـ . من منشورات
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

٤٤ - المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . بحث قدمه إلى
أمانة أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٤٥ - جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد . جزآن - ط ١ عام ١٤٠١هـ .
منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض .

٤٦ - مقدمة وتعليق على تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، لابراهيم بن
صالح بن عيسى ، ط ١ عام ١٣٨٦هـ . منشورات دار اليمامة - الرياض .

٤٧ - مجلة العرب ، الجزء التاسع ، السنة الأولى ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ .
ص ٩٥٣ - ٩٥٧ .

٤٨ - والجزء التاسع والعاشر الربيعان سنة ١٣٩٨هـ. ص ١٢٩.
٤٩ - مجلة العرب، الجزء العاشر، السنة الرابعة، ربيع الثاني ١٣٩٠هـ.
ص ٩٤١.

٥٠ - مجلة العرب، الجزءان التاسع والعاشر، السنة الثانية عشرة (الربيعان سنة ١٣٩٨هـ). و«السحب الوابلة» ومؤلفها، النجديون المترجمون في «السحب الوابلة» ص ٦٤١ - ٧٣٦.

الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق. توفي سنة ١٣٠١هـ.
٥١ - ابطال التنديد باختصار شرح التوحيد، الطبعة الثالثة عام ١٣٨٨-١٣٨٩هـ.

٥٢ - مجموعة رسائل الشيخ حمد بن علي بن عتيق - تقديم محمود أحمد غضنفر السلفي، طبع عام ١٣٩٦هـ. بلاهور - باكستان.

حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ت ١٢٢٥ بمكة المكرمة.
٥٣ - الفواكه العذاب، في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب (تحرير أجوبته على ثلاث مسائل من علماء مكة المكرمة) طبعت مفردة في مؤسسة النور بالرياض.

« خ »

خير الدين الزركلي.
٥٤ - الاعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٤ عام ١٩٧٩م، دار العلم للملايين.
٥٥ - شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ط ١ عام ١٣٩٠هـ، مطابع دار القلم، بيروت.
٥٦ - الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ط ٢، على مطابع الشركة العامة للمطابع، بيروت سنة ١٣٩٢هـ.

« ر »

الشيخ العالم راشد بن علي بن جريس الحنبلي النجدي من قرية نعام ومن أفاضل القرن الثالث عشر الهجري .
٥٧ - مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد - تقديم محب الدين الخطيب ، ط بالمطبعة السلفية ومكنتها بالقاهرة ١٣٧٩هـ .

« س »

ساطع الحصرى .
٥٨ - البلاد العربية والدولة العثمانية - دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٠ م .
سعد بن حمد بن عتيق (ت ١٣٤٩هـ) .
٥٩ - عقيدة الطائفة النجدية في توحيد الألوهية ، كتبها في الهند سنة ١٣٠٢هـ . طبع بالمطابع الأهلية للأوفست - الرياض .
الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) .
٦٠ - المعجم الكبير - حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي . ط ١ الدار العربية للطباعة - بغداد .
الامام الحافظ أبو داود - سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني .
٦١ - سنن أبي داود ، تعليق أحمد سعد علي ، ط ١ ، سنة ١٣٧١هـ . مطبعة الحلبي بمصر .
الشيخ العلامة سليمان بن سحمان (١٢٦٨-١٣٤٩هـ) .
٦٢ - مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤ أجزاء ، طبعة المنار في ١٣٤٤هـ و ١٣٤٥هـ .
الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية مجموعة خمس رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها ، ط ٢ المنار سنة ١٣٤٤هـ . وط مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة عام ١٣٩٣هـ .
٦٣ - كتاب الضياع الشارق في رد شبهات الماذق المارق . الطبعة الأولى ، مطبعة المنار سنة ١٣٤٤هـ .

- ٦٤ - الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد. ط ٢ في سنة ١٣٧٦هـ.
مطابع الرياض.
- ٦٥ - كتاب تبرئة الشيخين الامامين من تزوير أهل الكذب والمين. ط ١
بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٣هـ.
- ٦٦ - كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام. ط ٢ عام ١٣٧٦هـ.
مطابع الرياض.
- ٦٧ - ديوان بن سحمان. طبعة هندية قديمة.
الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان.
- ٦٨ - الدر النضيد على أبواب التوحيد، ط ١ عام ١٣٩٦هـ. بالمطبعة
السلفية بالقاهرة.
- الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٠-١٢٣٣هـ).
٦٩ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. نشر مكتبة الرياض
الحديثة.

- سليمان بن وائل التويجري.
٧٠ - حصر مخطوطات مكتبات القصيم ومكتبات منطقة حائل - بحث نشر في
مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي، ع ٢ عام ١٣٩٩هـ. وع ٣ عام
١٤٠٠هـ.

« ش »

- الأمير شكيب أرسلان. عضو المجمع العلمي العربي بسورية.
٧١ - فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الاسلامية
وتطورها الحديث على هامش كتاب: حاضر العالم الاسلامي، للمؤلف الأمريكي
لوثرزوب ستودارد ط ١٣٥٢، نشر وطبع مكتبة ومطبعة الحلبي بمصر.
- ٧٢ - لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم؟. منشورات دار مكتبة الحياة،
بيروت عام ١٩٦٥م.

« ص »

- صالح بن عبد الله العبود.
- ٧٣ - فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام، رسالة ماجستير وطبعت بمطبعة المدني الطبعة الأولى، نشر: دار طيبة، الرياض، السعودية.
- الأستاذ صالح محمد الحسن.
- ٧٤ - تعقيب حول مقال الدكتور العثيمين - في مجلة الدارة، ع ١ س ٥ ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ. ص - ص ٣٥٢ - ٣٥٨.
- الشيخ صالح بن محمد العمرى الشهير بالفلانى . رحمه الله (١١٦٦-١٢١٨).
- ٧٥ - ايقاظ هم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، وتحذيرهم عن الابتداع الشائع فى القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الاعصار. دار نشر الكتب الاسلامية - باكستان ط أولى ١٣٩٥ هـ.
- صلاح الدين مختار.
- ٧٦ - تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- المستشار عبد الحليم الجندي. فى جمهورية مصر العربية.
- ٧٧ - الامام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفي، نشر: دار المعارف.

« ع »

- الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسنى الادريسى الكتانى الفاسي .
- ٧٨ - فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات . طبع بالمطبعة الجديدة، ج ١/ ١٣٤٦ هـ. ج ٢/ ١٣٤٧ هـ. (جعله مؤلفه قاموسا عاما لتراجم المؤلفين فى السُّنة من القرن الثامن إلى أواسط القرن الرابع عشر الهجري).
- الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المعروف بأبى شامة الشافعي (٥٩٦-٦٦٥).

٧٩ - الباعث - على انكار البدع والحوادث ، ٨٩ ص ، وسط ، مطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة - بدون تاريخ ، وعدد للطبع .

الشيخ عبد الرحمن الأنصاري المدني . المولود سنة ١١٢٤هـ . والمتوفي سنة ١١٩٧هـ .
٨٠ - تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الانساب ط تونس ١٣٩٠هـ .

عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيرة .
٨١ - الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب ، صححه وأشرف على طبعه الأستاذ ابراهيم محمد الأصيل ، مطبعة المدني بمصر ، ١٣٨٢هـ .
أبو الفرج ، الحافظ الامام عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (٧٣٦-٧٩٥) .
٨٢ - غربة الاسلام ، ويسمى : (كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة) .
تحقيق وتعليق وشرح أحمد الشرباصي من علماء الأزهر ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ط ١٣٧٣هـ .

عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي .
٨٣ - جهود مخلص في خدمة السنة المطهرة عنى بالطبع والنشر ادارة البحوث الاسلامية بالجامعة السلفية بنارس ، الهند ط أولى عام ١٤٠٠هـ .

عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ .
٨٤ - تحقيق وتعليق على عنوان المجد في تاريخ نجد بأمر من وزارة المعارف ، وطبع على نفقة وزارة المعارف بالملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٤هـ . ط ٣ بدون ذكر لاسم المطبعة ولا مكان الطبع .

٨٥ - تحقيق وتعليق على كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز رقم ٢ ، المطابع الأهلية للأؤفست الرياض .
٨٦ - مشاهير علماء نجد وغيرهم . باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ط ١ عام ١٣٩٢هـ . بالملكة العربية السعودية .

٨٧ - دعوة الشيخ ومناصروها ، مطبعة المدني بمصر عام ١٣٨٤هـ .

٨٨ - علماء الدعوة ، مطبعة المدني بمصر عام ١٣٨٦هـ .

الشيخ الامام عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، (١١٩٣-١٢٨٥) .

٨٩ - فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد . تحقيق محمد حامد الفقي ، ط ٩ ،

مطابع الحكومة بمكة المكرمة ١٣٨٧هـ. وط ٥ عام ١٣٩١هـ. نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ومخطوطة له بعنوان: (كتاب التهذيب والتجريد لشرح كتاب التوحيد) ناسخها عبد العزيز بن عبد الله العامر، فرغ من نسخها عام ١٢٩٨هـ.

العلامة عبد الرحمن بن خلدون.

٩٠ - مقدمة ابن خلدون - المكتبة التجارية بالقاهرة لصاحبها مصطفى

محمد.

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (١٣١٩-١٣٩٢هـ).

حقق ورتب وجمع مجموعة الدرر السنية في الأجوبة النجدية ورسائلهم.

٩١ - الجزء الأول: كتاب العقائد.

٩٢ - الجزء الثاني: كتاب التوحيد.

٩٣ - الجزء الثالث: كتاب الأسماء والصفات.

٩٤ - الجزء الرابع: كتاب العبادات.

٩٥ - الجزء الخامس: كتاب البيع.

٩٦ - الجزء السادس: كتاب النكاح.

٩٧ - الجزء السابع: كتاب الجهاد.

٩٨ - الجزء الثامن: كتاب أحكام المرتد.

٩٩ - الجزء التاسع: كتاب مختصرات الردود.

١٠٠ - الجزء العاشر: كتاب تفسير القرآن.

١٠١ - الجزء الحادي عشر: كتاب النصائح.

١٠٢ - الجزء الثاني عشر: كتاب تراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة

مجموعها ١٢ جزءا.

من مطبوعات دار الافتاء بالملكة العربية السعودية ط ٢ عام ١٣٨٥هـ. ط ٢ مطابع المكتب الاسلامي بيروت. ماعدا التاسع والحادي عشر فقد طبعا في مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ط ٢ عام ١٣٨٨هـ. باشراف وتصحيح الأستاذ عبد العزيز بن سليمان الهيشه.

والعاشر والثاني عشر فقد طبعا بمؤسسة النور للطباعة والتجليد - الرياض.

١٠٣ - مجموعة فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية. جمع وترتيب. الطبعة الأولى

١٣٨١هـ مطابع الرياض.

- عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى . ت سنة ١٣٧٦هـ .
- ١٠٤ - القول السديد في مقاصد التوحيد . مؤسسة مكة للطباعة والاعلام
توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .
- العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي الباني . رحمه الله
(١٣١٣-١٣٨٦هـ) .
- ١٠٥ - التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل . قام على طبعه وتحقيقه
والتعليق عليه محمد ناصر الدين الألباني ، طبع على نفقة الشيخ محمد نصيف وشركاه
١٣٨٦هـ .
- الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم .
- ١٠٦ - الدولة السعودية الأولى ١١٥٨هـ - ١٢٣٣هـ . الطبعة الثانية مزيدة
ومنقحة ١٩٧٥م . معهد البحوث والدراسات العربية في المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم .
- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . رئيس إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة
والارشاد .
- ١٠٧ - محاضرة بعنوان : (محمد بن عبد الوهاب ، دعوته وسيرته) ، ط ٢ ،
الدار السعودية ١٣٨٩هـ .
- ١٠٨ - مقدمة الطبعة الثانية وتعليقات على كتاب : الشيخ محمد . . . بقلم
أحمد بن حجر آل بوطامي .
- ١٠٩ - مقال في مجلة البحوث الإسلامية مجلد (١) ع ٢ .
- ١١٠ - التحذير من البدع ، طبع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ، توزيع
الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٦هـ .
- الحافظ أبو محمد المنذرى . عبد العظيم بن عبد القوى (٥٨١-٦٥٦هـ) .
- ١١١ - مختصر سنن أبي داود - تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي ،
مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٧هـ .
- الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم آل الشيخ ت ١٣٨٦هـ . رحمه الله .
- ١١٢ - مجلة راية الاسلام ، العدد الأول .
- الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٢٥-١٢٩٢هـ) .
- ١١٣ - مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، الجزء الثالث - جمعها الشيخ

سليمان بن سحمان ، ط ١ سنة ١٣٤٥هـ . مطبعة المنار بمصر .
١١٤ - مصباح الظلام - في الرد على من كذب على الشيخ الامام ونسبه إلى
تكفير أهل الايمان والاسلام - تعليق محمد حامد الفقي ، مطبعة أنصار السنة
المحمدية - مصر .

الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن عبد العزيز آل الشيخ .
١١٥ - البيان الواضح لأسرة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب حتى سنة
١٣٩٣هـ . طبع بدار بوسلام للنشر بتونس .

أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، المتوفي سنة ٣٨٦ .
١١٦ - كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ . حققه وقدم له
وعلق عليه : محمد أبو الأجنان وعثمان بطيخ . ط ١ عام ١٤٠٢هـ . نشر المكتبة
العتيقة تونس ومؤسسة الرسالة بيروت .

عبد الله بن سعد الرويشد .
١١٧ - الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ . نشر مكتبة عيسى
البابى الحلبي بمصر عام ١٣٩٢هـ .

الدكتور عبد الله الصالح العثيمين .
١١٨ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حياته وفكره ، ط مطبعة المتوسط ،
بدون تاريخ نشر ، دار العلوم - الرياض .

١١٩ - مقال في مجلة الدارة ع ٣ س ٤ ، شوال ١٣٩٨هـ . بعنوان : (نجد من
القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ، الحالة الدينية ص
٣٢ - ٤٦ .

١٢٠ - (الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب) طبع على الآلة
ضمن مجلد حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية وهو مجموعة بحوث في
ذلك قدمت لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠هـ .

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين .

١٢١/أ - تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن سليمان بن جرجيس
- طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٤٤هـ .

١٢١/ب - الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين .
المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٨هـ .

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام.
١٢٢ - علماء نجد خلال ستة قرون، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة
ط ١٣٩٨ هـ.

الامام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي. المتوفي سنة
٢٥٥ هـ.

١٢٣ - سنن الدارمي. طبع بعناية محمد أحمد دهمان، وطبع بمطبعة
الاعتدال بدمشق عام ١٣٤٩ هـ.

الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد.

١٢٤ - مقال بعنوان: (الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته) طبع
ضمن هداية الناسك ومعه مجموعة رسائل، الطبعة السابعة ١٣٩٨ هـ.

١٢٥ - المجموعة العلمية السعودية من درر علماء السلف الصالح. مطبعة
النهضة بمكة عام ١٣٩١ هـ.

الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس.

١٢٦ - الشعر يواكب الدعوة بحث قدمه لمؤتمر أسبوع الشيخ محمد بن عبد
الوهاب، طبع على الآلة الكاتبة ضمن مجلد بعنوان: تأثير الدعوات الإصلاحية
بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠ هـ.

عبد الله بن يوسف الشبل - الأمين العام لجامعة الامام محمد بن سعود.

١٢٧ - الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته، مطابع جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية.

الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران (ت ١٣٤٦ هـ).

١٢٨ - المدخل إلى مذهب الامام أحمد بن حنبل، قام بتصحيحه ونشره
جماعة من العلماء بأشراف إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا
الدمشقي.

عبد المتعال الصعيدي (١٣١٣-١٣٧٧ هـ).

١٢٩ - المجددون في الاسلام من القرن الأول الهجري إلى الرابع عشر
١٠٠-١٣٧٠ هـ. نشر مكتبة الآداب ومطبعتها بمصر دار الحماشي للطباعة.

- الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد.
- ١٣٠ - دراسة حديث (نضر الله امرءاً سمع مقالتي . . .) رواية ودراية ط ١ عام ١٤٠١هـ.
- ١٣١ - عشرون حديثاً من صحيح مسلم ، دراسة أسانيدھا وشرح متونها ، ط ١ عام ١٣٩١هـ . المطبعة السلفية بالقاهرة .
- ١٣٢ - عالم جهنم وملك فذ ، ترجمتان موجزتان للشيخ محمد بن ابراهيم والملك فيصل رحمهما الله ، ط في عام ١٤٠٢هـ ، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة .
- الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر ، المتوفي سنة ١٢٨٨هـ . أو ١٢٩٠هـ . وكان قد أدرك عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد (١٢١٨-١٢٢٩هـ) .
- ١٣٣ - عنوان المجد في تاريخ نجد . ويبتدىء هذا التاريخ من سنة ٧٠٠-١٢٦٧هـ . طبع بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة ١٣٤٩هـ .
- ١٣٤ - عنوان المجد في تاريخ نجد ، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ بأمر من وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٤هـ . ط عام ١٣٩٤هـ . الطبعة الثالثة ، لم يذكر مكان الطبع ولا اسم المطبعة .
- الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، المتوفي سنة ٨٠٧هـ .
- ١٣٥ - مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين الجليلين ، العراقي وابن حجر - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ . منشورات دار الكتاب العربي بيروت .
- ١٣٦ - موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان حققه ونشره محمد بن عبد الرزاق حمزة ، تصوير دار الكتب العلمية بيروت .
- علي بن سلطان القارى الحنفى ، المتوفي سنة ١٠١٤هـ .
- ١٣٧ - شرح ملا علي بن سلطان القارى الحنفى ، على الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى (٨٠-١٥٠هـ) . الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م . مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .
- علي بن سليمان بن يوسف .
- ١٣٨ - اربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة ، طبع على نفقة علي آل ثاني بمشورة محمد بن عبد العزيز بن مانع ط ٢ عام ١٣٧٩هـ .
- علي بن علي بن محمد بن أبى العز الحنفى (٧٣١-٧٩٢هـ) .
- ١٣٩ - شرح العقيدة الطحاوية - حققها وراجعها جماعة من العلماء ، وخرج

أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني. ط ٤ عام ١٣٩١هـ. المكتب الاسلامي بيروت.

العلامة علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البراهان فوري، المتوفي سنة ٩٧٥هـ.

١٤٠ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. نشر وتوزيع دار اللواء - ارياض. ومكتبة التراث الاسلامي حلب.

« ك »

كسوركيس عواد.

١٤١ - معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ميلادي، مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٩م.

« ل »

لوثر وب ستودارد الأمريكي.

١٤٢ - حاضر العالم الاسلامي - نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الاسلامية وتطورها الحديث بقلم الأمير شكيب أرسلان (٤ ج) ط ١٣٥٢هـ. نشر وطبع مكتبة ومطبعة الحلبي وشركاه بمصر.

الامام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ٦٠٦-٥٤٤هـ. ١٤٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي طبع الحلبي، الطبعة الأولى عام ١٣٨٣هـ.

الحافظ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٦٧٣-٧٤٨). ١٤٤ - التلخيص على المستدرک على الصحيحين للحاكم، وأقره على ما لا كلام فيه وتعقب ما فيه الكلام. مطبوع بذييل المستدرک للحاكم تصوير دار الكتاب العربي - بيروت.

الامام المعروف بابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب. ١٤٥/أ - اعلام الموقعين عن رب العالمين، ط ١ عام ١٣٧٤هـ. مطبعة السعادة بمصر.

١٤٥/ب - القصيدة النونية، تصوير دار المعرفة بيروت ط ١، مطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٤٥هـ.

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت بعد ٦٦٠هـ.
١٤٦ - مختار الصحاح - طبعة ١٣٦١هـ. مطبعة الحلبي.
محمد أديب غالب.

١٤٧ - من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، باشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي (١٩٤-٢٥٦هـ).

١٤٨ - صحيح البخاري - ط المكتبة الاسلامية باستانبول محمد أوزدمير ١٩٧٩م.

محمد اسماعيل ابراهيم وزملاؤه.
١٤٩ - تاريخ المملكة العربية السعودية للصف الثالث المتوسط، وفق المنهج الجديد طبعة أولى عام ١٣٩٤هـ.

الامام محمد بن اسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني.
١٥٠ - ديوان الأمير الصنعاني، طبع على نفقة الشيخ علي بن ثاني ١٣٨٤هـ. مطبعة المدني، ط ١.

العلامة محمد اسماعيل السلفي (١٩٠٠-١٩٦٨م).
١٥١ - حركة الانطلاق الفكري وجهود الشاه ولي الله في التجديد. تعريب الدكتور مقتدا حسن الأزهرى، مطبوعات الجامعة السلفية (١) ملتزم الطبع والنشر، إدارة البحوث الاسلامية والدعوة والافتاء بالجامعة السلفية بنارس.

العلامة المحدث، الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي (١٢٥٢-١٣٢٦).
١٥٢ - صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ط ٥ عام ١٣٩٥هـ.
مطابع نجد التجارية الرياض.

الشيخ محمد بهجت البيطار.
١٥٣ - حياة شيخ الاسلام ابن تيمية، منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ١٣٨٠هـ.

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠).
 ١٥٤ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير الطبري) ط ٢
 عام ١٣٧٣هـ. مطبعة الحلبي بمصر.
 ١٥٥ - تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك تحقيق أبي الفضل إبراهيم،
 ط ١ دار المعارف بمصر ١٩٦٢م.
 محمد حامد الفقي، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، وقد توفي رحمه الله.
 ١٥٦ - تقديم وتعليق على كتاب: (معارج الألياب في مناهج الحق والصواب
 تأليف حسين بن مهدي النعمي، لأول مرة ط ٢ عام ١٣٩٣هـ. بمطابع الرياض.
 ١٥٧ - أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب
 وغيرها. ط مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر عام ١٣٥٤هـ.
 محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي الفاسي (١٢٩١-١٣٧٦هـ).
 ١٥٨ - الفكر السامي، في تاريخ الفقه الاسلامي، خرج أحاديثه وعلق عليه
 عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري، ط ١ أولى ١٣٩٦هـ. دار مصر للطباعة. الناشر:
 المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
 محمد حسن الغماري.
 ١٥٩ - الامام الشوكاني مفسرا، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى عام
 ١٤٠٠هـ.
 العالم السلفي، الشيخ محمد بن حسين نصيف، من أعيان أهل الحجاز رحمه الله.
 ١٦٠ - ترجمة للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى المتوفي عام ١٣٢٨هـ. في
 أول كتاب الرد على شبهات المستعنيين بغير الله للشيخ أحمد المذكور، ط دار مصر
 للطباعة.
 الشيخ العلامة محمد حياة السندي، المتوفي (١١٦٣هـ).
 ١٦١ - تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه السلام. والايقاف على
 سبب الاختلاف ضمن مجموعة تضم رسالة أخرى بعنوان الاتباع لابن أبي العز
 الحنفى. تحت اشراف المكتبة السلفية بلاهور باكستان طبعة أولى ١٤٠١هـ.
 محمد خليل هراس (ت ١٣٩٥هـ).
 ١٦٢ - دعوة التوحيد، أصولها - الأدوار التي مرت بها مشاهير دعاة. ط ٢
 مطبعة عاطف بمصر.

١٦٣ - الحركة الوهابية ، رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية .
من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦هـ (١٠) .

أبو الفضل محمد خليل المرادي .

١٦٤ - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، يطلب من مكتبة المثنى
ببغداد .

محمد رشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ) . منشىء مجلة المنار بمصر .

١٦٥ - تاريخ الامام محمد عبده ، ط ١٣٥٠هـ . بمطبعة المنار .

١٦٦ - الوهابيون ، والحجاز ، طائفة من مقالات نشرت في المنار والأهرام ،
ط ١ عام ١٣٤٤هـ .

١٦٧ - مقدمة صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان .

١٦٨ - تفسير المنار ، ط ٤ عام ١٣٧٣هـ .

محمد زهرى النجار .

١٦٩ - ترجمة مؤلف الدين الخالص ، محمد صديق حسن في مقدمته
ص - ص ز - ل .

الدكتور محمد بن سعد الشويعر .

١٧٠ - بحث : من تراثنا ، ابن ضويان وآثاره ١٢٧٥-١٣٥٣ . نشر في مجلة

الدائرة ، ع ٢ س ٤ ، رجب ١٣٩٨هـ . ص - ص ٨٢-٩٩ .

محمد سعيد العامودى وأحمد علي .

١٧١ - المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن

العاشر إلى القرن الرابع عشر ، تأليف الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير . مطبوعات
نادى الطائف الأدبي ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ . مؤسسة مكة للطباعة والاعلام .

العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلى .

١٧٢ - نفثات صدر المكمد ، وقرة عين المسعد لشرح ثلاثيات مسند الإمام

أحمد . الطبعة الأولى عام ١٣٨٠هـ . منشورات المكتب الاسلامى للطباعة والنشر
بدمشق .

محمد شفيق غربال ، باشرافه تم تأليف :

١٧٣ - الموسوعة العربية الميسرة ، صورة طبق الأصل من طبعة ١٩٦٥م

حقوق طبعها محفوظة لمؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، دار الشعب بالقاهرة .

محمد صديق حسن القنوجي البخارى من علماء الهند (١٢٤٨-١٣٠٧هـ).
١٧٤ - الدين الخالص - مطبعة المدني عام ١٣٧٩هـ. توزيع مكتبة دار
العروبة القاهرة.

١٧٥ - التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول - تصحيح وتعليق
الدكتور عبد الحكيم شرف الدين، طبع على نفقة علي بن ثاني. المطبعة الهندية
العربية ١٣٨٢هـ.

١٧٦ - الحطة في ذكر الصحاح الستة ألفه سنة ١٢٨٢هـ. ط ١ عام
١٣٩٧هـ. مطبعة المكتبة العلمية بـلاهور.

شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ).
١٧٧ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج ٦. منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت لبنان.

الحافظ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ١٢٨٣-١٣٥٣هـ.
١٧٨ - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى. أشرف على مراجعة أصوله
وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف، مطبعة المدني بالقاهرة ط ٢ عام ١٣٨٣هـ.

محمد بن عبد الحي اللكنوى الهندى (١٢٦٤-١٣٠٤هـ).
١٧٩ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية، مع التعليقات السنينة على الفوائد
البهية، عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه محمد بدر الدين أبوفراس
النعمانى. دار المعرفة للطباعة والنشر.

الشيخ محمد بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
١٨٠ - ترجمة للشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر فى أول منحة القريب
المجيب فى الرد على عباد الصليب - للشيخ عبد العزيز بن معمر، ط ٣ عام
١٤٠٠هـ. منشورات دار ثقيف الطائف.

الشيخ محمد بن عبد الله السبيل.
١٨١ - ترجمة مؤلف غاية الأماني فى الرد على النبهاني، محمود شكرى الألوسى فى
أول الكتاب المذكور ص - ص ١٢٠٦، طبع بمطابع نجد التجارية، ط ٢ عام
١٣٩١هـ.

الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر الاحسائي الأنصاري .
١٨٢ - تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء القديم والجديد ، أشرف على طبع
القسم الأول وعلق عليه بعض الحواشي حمد الجاسر ، ط ١-١٣٧٩هـ . بدمشق
المكتب الاسلامي . والقسم الثاني باشراف محمد زهير الشاويش ط ١-١٣٨٢هـ .
الدكتور محمد عبد الله ماضي .

١٨٣ - حاضر العالم الاسلامي ، النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، في
المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية عام ١٣٧٢هـ . دار احياء الكتب العربية ،
عيسى البابي الحلبي وشركاه .

الحاكم أبو عبد الله . محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابوري المعروف بابن
البيع والملقب بالحاكم ٣٢١-٤٠٥هـ .

١٨٤ - المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ،
تصوير دار الكتاب العربي ، بيروت .

محمد بن عبد الله بن عثيمين (١٢٧٠-١٣٦٣هـ) .

١٨٥ - العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين ، جمعه ورتبه وشرح ألفاظه
سعد بن عبد العزيز بن رويشد ، ط دار المعارف بمصر .

الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥-١٢٠٦هـ) .

١٨٦ - الرسالة الثالثة : تفسير كلمة التوحيد ضمن مجموعة التوحيد
النجدية ، ط السلفية بمصر ١٣٧٥هـ ، عني بتصحيحها واخراجها محب الدين
الخطيب .

١٨٧ - كشف الشبهات . قام بتفصيله وكتابة الترجمة والمقدمة والتعليق : علي
الحمد الصالحي . وذيله الشيخ عبد الرحمن المحمد الدوسري ، ط ٣ في
١٢/١٣٨٨هـ . مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض .

مؤلفات الشيخ الإمام :

١٨٨ - القسم الأول ، العقيدة ، مجلد .

١٨٩ - والقسم الثاني ، الفقه ، في مجلدين .

١٩٠ - والقسم الثالث ، مختصر سيرة الرسول ﷺ والفتاوى ، مجلد .

١٩١ - والقسم الرابع ، التفسير ومختصر زاد المعاد ، مجلد .

١٩٢ - القسم الخامس ، الرسائل الشخصية ، مجلد .
١٩٣ - وقسم الحديث ، خمسة مجلدات وملحق المصنفات مجلد .
هذه اثنا عشر مجلدا ، جمعتها لجنة من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
وصنفها وأعدّها للتصحيح تمهيدا لطبعها عبد العزيز بن زيد الرومي ، والدكتور محمد
بلتاجي ، والدكتور سيد حجاب وطبعت بمطابع الرياض .

١٩٤ - رسالة مخطوطة بعنوان (مسألة في رجل تفقه في مذهب من المذاهب
الأربعة . . . وهي حول المقلد القاصر إذا تبين له أحاديث تخالف مذهبه ويظهر أن
الشيخ يخاطب عبد الله بن عيسى الملقب بالمويس في أول الأمر .

وهذه الرسالة مخطوطة ضمن مجموعة رسائل مخطوطة وفيها قليل من رسائل
الشيخ غير هذه وقد طبعت . وهذه المجموعة المخطوطة بالمكتبة العامة بتطوان في
المغرب ، أخذ عنها الشيخ حماد الأنصاري صورة ومن صورته أخذت .

١٩٥ - آداب المشي إلى الصلاة . مقرر الفقه للسنة السادسة ، القسم الأول
والثاني قرر دراسته وعلق عليه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف
العام . مطابع دار الكتاب العربي بمصر . ونشر مكتبة محمد سعيد كمال بالطائف .

١٩٦ - مختصر تفسير المعوذتين لابن القيم ، صورة نقلت عن مخطوطة
بالمتحف العراقي وقف ابراهيم فصيح الحيدري .

وانظر: تفصيل الكلام عن مؤلفات الشيخ في مبحث حياة الشيخ العلمية من
المدخل ص - ص ١٥٠-١٨٥ .

١٩٧ - الرسائل المرقومة . مخطوطة ، الناسخ محمد بن حبيب الحلبي الحنفى ،
ساكن الافلاج سنة ١٣١٧هـ . صورة .

أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندی ، المتوفى ١١٣٨هـ .
١٩٨ - حاشية السندی ، على صحيح البخارى ، طبعة نور محمد ، كراتشى ،
ط ثانية ١٣٨١هـ .

الشيخ محمد عبده .
١٩٩ - رسالة التوحيد - طبعها وصححها وعلق عليها : محمد رشيد رضا ،
ط ٢ في سنة ١٣٦٦هـ . أصدرتها دار المنار .

محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي .
٢٠٠ - روضة الناظرين عن مآثر علما نجد وحوادث السنن ، ط ١ عام
١٤٠٠هـ . مطبعة الحلبي .

محمد عطاء الله حنيف .
٢٠١ - ترجمة للشيخ محمد حياة السندی في أول رسالة تحفة الأنام في العمل
بحديث النبي عليه السلام للشيخ العلامة محمد حياة السندی ، ضمن مجموعة رسائل
له . الطبعة الأولى جمادى الأولى ١٤٠١هـ . طبع بالمطبعة العربية بإشراف المكتبة
السلفية - لاهور ، باكستان .

محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠) .
٢٠٢ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ط ١ سنة ١٣٤٨هـ .
مطبعة السعادة محافظة مصر القاهرة ، جزءان . تصوير : بنشر : دار المعرفة ببيروت .
٢٠٣ - الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد ، عني بنشره وطبعه محمد علي
الكتبي ، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٠هـ . ونشر صورتها ضمن مجموعة باسم الرسائل
السلفية للشوكاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

محمد بن علي بن غريب ت ١٢٠٩هـ .
٢٠٤ - التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي
الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونسبة تأليفه إلى سليمان بن عبد الله
بن الشيخ خطأ^(١) . الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣١٩هـ .

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي الحافظ ت سنة ٢٧٩هـ .
٢٠٥ - جامع الترمذي في أعلا صحائف تحفة الأحوزي ، أشرف على
مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف ، مطبعة المدني بالقاهرة ط ٢ عام
١٣٨٣هـ .

محمد كمال جمعة . الباحث بدار الملك عبد العزيز ، ١٣٩٧هـ .
٢٠٦ - انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية .
مطبوعات دار الملك عبد العزيز . طبع على نفقة وزارة التعليم العالي بالملكة العربية
السعودية ، مطابع نجد التجارية .

(١) انظر ص ٥١٦ من هذا البحث .

- محمد منير عبده أغا الدمشقي الأزهري المتوفي سنة ١٣٦٧هـ.
- ٢٠٧ - مجموعة الرسائل المنيرية، عنيت بنشرها وتصحيحها والتعليق عليها للمرة الأولى سنة ١٣٤٦هـ. إدارة الطباعة المنيرية.
- الشيخ محمد بن الموصلي.
- ٢٠٨ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، تأليف الامام محمد بن أبي بكر عرف بابن قيم الجوزية، الجزء الأول بتصحيح محمد حامد الفقي، والجزء الثاني بتصحيح محمد عبد الرزاق حمزة. طبع بنفقة المطبعة السلفية بمكة المكرمة عام ١٣٤٨هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني.
- ٢٠٩ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، منشورات المكتب الاسلامي.
- ٢١٠ - تخريج أحاديث شرح الطحاوية.
- ٢١١ - تحقيق رسالة اقتضاء العلم العمل للبغدادى ضمن رسائل أربع.
- ٢١٢ - ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، في مذهب الامام أحمد. طبع المكتب الاسلامي، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ.
- ٢١٣ - ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، ط ١ عام ١٤٠٠هـ. المكتب الاسلامي.
- ٢١٤ - مختصر العلو للعلی الغفار للذهبي، ط ١ عام ١٤٠١هـ. المكتب الاسلامي.
- ٢١٥ - تخريج أحاديث كتاب اصلاح المساجد من البدع والعوائد لمحمد جمال الدين المقاسمي. ط ٢ سنة ١٣٩٠، المكتب الاسلامي، بيروت.
- ٢١٦ - التوسل، أنواعه وأحكامه، ط ٣، المكتب الاسلامي ١٤٠١هـ.
- الامام محمد بن نصر المروزي (٢٠٢-٢٩٤هـ).
- ٢١٧ - السنة، ط مطابع دار الفكر بدمشق، بدون تاريخ للطبع. نشر دار الثقافة الاسلامية بالرياض.
- محمد بن وضاح القرطبي (١٩٩-٢٨٧هـ).
- ٢١٨ - البدع والنهي عنها، تحقيق محمد أحمد دهمان، ط ٢ عام ١٤٠٠هـ. دار البصائر بدمشق.

أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفي بمصر سنة ٥٢٠-٥٢٥.
٢١٩ - كتاب الحوادث والبدع. تحقيق محمد الطالبي (٢٣١ ص، صغير)
دار الأصفهاني وشركاه بجدة، بدون تاريخ، وعدد للطبع.

الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة.
٢٢٠ - سنن ابن ماجة. بعناية محمد فؤاد عبد الباقي، طبع بمطبعة الحلبي
عام ١٣٧٢هـ.

أبو المعالي محمود شكري الألوسي (١٢٧٣-١٣٤٢هـ).
٢٢١ - تاريخ نجد، عني بتحقيقه محمد بهجة الاثرى، طبع السلفية بالقاهرة
عام ١٣٤٣هـ.

٢٢٢ - غاية الأمان في الرد على النبهاني، طبع بمطابع نجد التجارية، ط ٢
عام ١٣٩١هـ.

اللواء الركن محمود شيت الخطاب.
٢٢٣ - بحث بعنوان الامام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل، قدم
لأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠هـ. مطبوع على الآلة ضمن مجلد
حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية.
مسعود عالم الندوي - رحمه الله.

٢٢٤ - محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه. ترجمة وتعليق:
عبد العليم عبد العظيم البستوي، مراجعة وتقديم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي،
مطبعة زمزم، الطبعة الأولى ربيع أول ١٣٩٧هـ.

الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ).
٢٢٥ - صحيح مسلم خدمة محمد فؤاد عبد الباقي، طبع رئاسة البحوث
العلمية السعودية سنة ١٤٠٠هـ.

الشيخ منصور بن يونس بن ادريس البهوتي ١٠٠٠-١٠٥١هـ.
٢٢٦ - كشف القناع عن متن الاقناع. مطبعة الحكومة بمكة عام
١٣٩٤هـ.

الدكتور منير العجلاني ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، أستاذ تاريخ الحقوق في الجامعة السورية سابقا .

٢٢٧ - تاريخ البلاد العربية السعودية . نشر : دار الكتاب العربي ، مطابع دار الغد بيروت .

المودودي (أبو الأعلى) .

٢٢٨ - موجز تاريخ تجديد الدين وأحواله أو واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم . ط ١ ، دار الفكر بدمشق .

أبو النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي ، المتوفي سنة ٩٦٨هـ .

٢٢٩ - الاقناع - تصحيح عبد اللطيف محمد موسى السبكي - المطبعة المصرية بالأزهر سنة ١٣٥١هـ .

« ن »

الدكتور ناصر الدين الأسد .

٢٣٠ - تحرير وتحقيق تاريخ نجد للشيخ الامام حسين بن غنام . وقابله على الأصل الشيخ عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ . مطبعة المدني ط ١ عام ١٣٨١هـ .

الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثري .

٢٣١ - النفخة على النفخة والمنحة . وتليها نظرة في النفخة . . . لأبي اليسار الدمشقي الميداني - مطبعة الترقى سنة ١٣٤٠هـ .

« ي »

أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت (٦٢٦هـ) .

٢٣٢ - معجم البلدان . تصوير دار صادر بيروت .

أبو اليسار الدمشقي الميداني .

٢٣٣ - نظرة في النفخة . . . في الرد على الوهابية . مطبعة الترقى سنة ١٣٤٠هـ . طبعت مع النفخة كما تقدم .

الفنارس

المقدمة	٥
المدخل	٢١
المبحث الأول :	
في البيئة من حول الشيخ في العالم الاسلامي	٢١
نجد وأحوالها الدينية والسياسية	٢٢
أشراف الحجاز	٢٤
الدولة العثمانية في حكم الزوال	٢٥
الدولة الصفوية الرفضية	٢٦
الدولة المغولية في الهند	٢٧
في المغرب الأقصى	٢٨
في غرب افريقيا	٢٨
في أواسط آسيا	٢٨
في الصين	٢٨
في أندونيسيا	٢٩
واقع الحالة الدينية لأهل البلدان الاسلامية عموما في أول القرن الثاني عشر الهجري	٢٩
الواقع الديني كما يشخصه الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٣٠
تصوير ابن غنام للواقع الديني	٣٥
وصف الشيخ عبد اللطيف غربة الدين	٤٣
كلام ابن بشر عن فشو الشرك	٤٤
قول الشيخ ابن باز عن الحالة الدينية	٤٥
كلام الشيخ ابن حميد عن الانحراف الواقع	٤٥
ما ذكره البسام	٤٦

٤٦	وصف الأمير الصنعاني - ظهور البدع وطغيان الضلال
٤٨	شهادة أخرى من اليمن، وصف النعمي للبيئة
٥٦	شهادة ثالثة من الامام الشوكاني
٥٩	قول حافظ وهبه
٦٠	وصف دقيق من كاتب أمريكي
٦١	تعليق شكيب أرسلان
٦١	اقرار خصوم الشيخ بالواقع المنحرف
٦١	انكار علماء السنة ما حدث من الانحراف
٦٣	رد على من ينكر غلبة الجاهلية قبيل ظهور الشيخ
	المبحث الثاني :

٦٥	في حياة الشيخ خصوصاً الناحية العلمية
٦٥	الترجمون للشيخ
٦٥	أ - مراجع أساسية
٦٦	ب - مراجع فرعية
٦٧	ج - مراجع أعرضت عنها
٦٨	نسب الشيخ
٧٣	أسرته العلمية
٧٦	مولده ونشأته العلمية ومواهبه
٧٩	أثر البيئة في توجيه الشيخ
٨٠	توجه الشيخ للرحلة في طلب العلم
٨١	رحلاته العلمية
٨٨	شيوخه واجازاته وما حصله عنهم
١٠٨	رحلات الشيخ لم تتجاوز الحجاز والعراق والاحساء
١١٠	الشيخ لم يدرس غير اللغة العربية
١١٢	نتيجة رحلاته العلمية
١١٣	عودة الشيخ من رحلاته إلى حريملاء

١١٤	تلاميذ الشيخ
١١٨	مؤلفات الشيخ
١٤٦	وفاته
١٤٧	ثناء العلماء عليه وراثتهم

الباب الأول :

١٥٣	عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية
١٥٥	الفصل الأول : في بيان منهج الشيخ في عقيدته ودعوته
١٥٥	توطئة بذكر نبذة من منهج السلف الصالح
١٧١	منهج الشيخ
١٨٤	منهجه في الاستدلال
١٩٢	تقسيم التوحيد
١٩٥	ليس سبب الخلاف بين الشيخ وخصومه تقسيم التوحيد
١٩٥	منهجه في الاحكام
١٩٨	رفضه لمناهج الجاهلية وأهل الكلام
٢٠٦	أجوبة الشيخ عما نسب إليه من مناهج ومسألة التكفير والقتال
٢١٤	ما يركز عليه منهجه
٢٢٠	التقليد والاجتهاد
٢٣٠	موجز ما تقدم في نقاط
٢٣٣	الفصل الثاني : في مجمل عقيدته
٢٣٣	أصول الايمان
٢٣٤	الايمان بالله تعالى
٢٤٤	الايمان بالملائكة
٢٥٠	الايمان بكتب الله
٢٥٧	الايمان بالرسول
٢٥٧	الايمان بخصوصيات خاتمهم محمد ﷺ
٢٦٨	فضيلة أمة محمد ﷺ

الموضوع	الصفحة
الخلفاء الأربعة وبقية الصحابة	٢٦٨
آل النبي ﷺ	٢٧١
الموقف عموماً من الصحابة وما شجربينهم	٢٧٣
كرامات الأولياء والصالحين	٢٧٤
الامامة ومضني الجهاد مع البر والفاجر والسمع والطاعة	٢٧٦
اشراط الساعة	٢٧٨
الايان باليوم الآخر	٢٧٨
الايان بالقدر	٢٨٤
من مباحث الايان عموماً	٢٨٧
الفصل الثالث : عقيدة الشيخ في التوحيد	٢٩٥
توحيد المعرفة والاثبات في الربوبية والأسماء والصفات	٢٩٦
توحيد الالهية والعبادة : تفسيره ، والمراد من قول لا إله إلا الله ، وفرضه ،	
ومكانته ، وأهميته ، وفضله ، ودليله ، وافراد العبادة	٣٣٥
الفصل الرابع : في التحذير من نقيض عقيدة السلف الصالح أو نقيض	
كمالها	٤٠٩
نواقض الاسلام العشرة	٤١٤
امكان وقوعها من المعينين	٤١٩
من اطلق الشارع كفره	٤٢١
بيان ما هو الشرك ؟	٤٢٣
الشرك أول المحرمات	٤٢٧
تقسيمه وافراده	٤٢٨
تحديد أسباب الشرك ومباده	٤٤٦
ضرر الشرك وخطره	٤٥٦
شبهات وكشفها	٤٥٨
الباب الثاني :	
أثر عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية في العالم الاسلام	٤٧١

الفصل الأول : في ظهور دعوة الشيخ إلى عقيدة السلف الصالح وأسباب	
ومبادئ تأثيرها	٤٧٣
توطئه	٤٧٣
أسباب تأثير العقيدة	٤٧٤
توفيق الله	٤٧٤
سمو الغاية والعلم وسلامة المنهج	٤٧٥
الثبات والصبر	٤٧٧
كيف أثر الشيخ بعقيدة السلف دون غيره من معاصريه؟	٤٧٨
جهود الشيخ المؤثرة في نشر عقيدة السلف الصالح واستعداده	٤٨٤
في حريملاء	٤٨٦
لماذا إلى العيينة؟	٤٨٧
أثر إقامة الشيخ في حريملاء	٤٨٩
أثر العقيدة في العيينة	٤٨٩
نهاية علماء السوء	٤٩٣
مواصلة الشيخ جهوده رغم خذلان ابن معمر له	٤٩٨
الفصل الثاني : أثرها في الدور الأول من أدوار دولة أنصارها آل سعود	٥٠١
الشيخ في الدرعية	٥٠١
اللقاء التاريخي بالأمير الراشد	٥٠٢
البيعة المباركة	٥٠٣
نشاط تأثير العقيدة في الدرعية	٥٠٥
انطلاق الدعوة وبدء الجهاد	٥٠٧
الامام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود	٥١١
الامام عبد العزيز بن محمد والعلماء في زمنه ونشرهم للدعوة وثمرة ذلك	٥١٤
الامام سعود بن عبد العزيز بن محمد والعلماء في زمنه ونشرهم الدعوة	
وثمرة ذلك	٥٣٣
الأثر العمراني والحضاري	٥٣٩
الامام عبد الله بن سعود	٥٤١

٥٤١	حاصل أثر عقيدة الشيخ في هذا الدور
٥٤٤	امامة الأئمة والملوك من آل سعود
٥٥١	جملة اصلاحات الشيخ السلفية
٥٥٤	أسباب زوال الدولة وتسليط الأعداء
٥٥٦	نتيجة التغير عن عقيدة السلف الصالح
٥٥٩	الفصل الثالث : أثرها في الدور الثاني الامام تركي وابنه الامام فيصل
٥٦١	جهود شيخ المسلمين في عهده الشيخ عبد الرحمن بن حسن
٥٦٧	جهود الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن
٥٦٨	جهود الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين
٥٦٨	جهود الشيخ حمد بن علي بن عتيق
٥٦٩	جهود الشيخ الشاعر أحمد بن مشرف الاحسائي
٥٧٣	أسباب الخلل ونتيجة التغير
٥٧٥	استمرار أثر المشائخ رغم ضعف المناصر
		الفصل الرابع : أثرها في الدور الثالث الحاضر (الامام الملك عبدالعزيز وأبنائه الملوك)
٥٨٣	جهود الملك عبد العزيز في نشر العقيدة
٥٨٥	جهود الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف
٥٩٦	جهود الشيخ سليمان بن سحمان
٥٩٩	جهود الشيخ سعد بن حمد بن عتيق
٦٠١	جهود الشيخ محمد بن ابراهيم
٦٠٥	ما يختص بالبادية من الاصلاح
٦٠٨	استمرار الأثر الصالح
٦١٤	الملك سعود
٦١٦	الملك فيصل
٦١٦	الملك خالد
٦٢٠	الملك فهد
٦٢٠	وضوح الشعور بمسؤولية حماية مكاسب العقيدة
٦٢٢	

الموضوع	الصفحة
انتشار كتب السلف وطبعها	٦٢٣
دور الجامعة الاسلامية	٦٢٧
تمتاز المملكة العربية السعودية بالأمن	٦٢٨
الفصل الخامس : أثرها في خارج سلطانها	٦٣١
تمهيد	٦٣١
تطهير بيت الله من أسباب انتشار العقيدة في الخارج	٦٣٤
الرسائل إلى عموم المسلمين ومواصلتهم من أسباب انتشار العقيدة	
في الخارج	٦٣٤
أثرها في اليمن	٦٣٩
أثرها لدى الأمير الصنعاني	٦٣٩
أثرها لدى الشيخ حسين النعمي	٦٤١
أثرها لدى الامام الشوكاني	٦٤٤
أثرها في الشام	٦٤٧
أثرها لدى الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثرى والشيخ أبي اليسار	
الدمشقي الميداني	٦٤٧
أثرها لدى الشيخ محمد بهجت البيطار	٦٥٥
أثرها لدى المكتب الاسلامي في دمشق وبيروت	٦٥٦
أثرها لدى الأمير شكيب أرسلان	٦٥٦
أثرها لدى محمد كرد علي	٦٥٧
أثرها في بلدان الخليج العربي	٦٥٧
أثرها في العراق	٦٦٠
أثرها لدى آل الألوسي	٦٦٠
أثرها لدى أحمد بن سعيد البغدادي	٦٦٨
أثرها في فارس والهند	٦٧٠
أثرها كما يصوره الشيخ ملا عمران	٦٧٠
أثرها كما يصوره المحدث محمد بشير السهسواني	٦٧٢
أثرها في بهوبال	٦٧٥

٦٧٧	أثرها كما يصوره مسعود عالم الندوي من كلية ندوة العلماء بالهند
٦٧٧	أثرها عموماً في الهند
٦٧٨	أثرها في مصر
٦٨١	أثرها كما يصوره الشيخ عبد الرحمن الجبرتي وما كان لوجود أولاد الشيخ في مصر من أثر
٦٨٥	أثرها كما يصوره محمد رشيد رضا
٦٨٦	أثرها لدى جماعة أنصار السنة والشيخ محمد حامد الفقي والدكتور محمد خليل الهراس
٦٨٧	أثرها لدى محمد منير ومطبعته
٦٨٨	أثرها لدى المطبعة السلفية ومطبعة المدني
٦٨٨	أثرها عن طريق انطباعات الأساتذة الزائرين
٦٩٠	حول ما يقال من تأثير الحركات والدعوات الأخرى في العالم الإسلامي
٦٩٨	الخاتمة واشتملت على خلاصة البحث ونتيجته
٧٠٣	المراجع

مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة